الذكوات البيض

موضع قبر علي بن أبي طالب «عليه السلام»

اسم مشتق من الذكوة

وهي الجمرة الملتهبة والمراد بالذكوات الربوات

البيض الصغيرة المحيطة بمقام أمير المؤمنين علي بن

أبي طالب {عليه السلام}

شبهها لضيائها وتوهجها عند شروق الشمس عليها لما فيها

من الدراري المضيئة {در النجف}

فكأنها جمرات ملتهبة

وهي المرتفع من الأرض، وهي ثلاثة مرتفعات صغيرة نتوءات بارزة في أرض الغري وقد سميت الغري باسمها، وكلمة بيض لبروزها عن الأرض.وفي رواية انها موضع خلوته أو أنها موضع عبادته في رواية أخرى في رواية المفضل عن الإمام الصادق {عليه السلام} قال: قلت:يا سيدي فأين يكون دار المهدي ومجمع المؤمنين؟ قال: يكون ملكه بالكوفة، ومجلس حكمه جامعها وبيت ماله ومقسم غنائم المسلمين مسجد السهلة وموضع خلوته الذكوات البيض

بسم الله الرحمن الرحيم

Republic of Iraq
Ministry of Higher Education &
Scientific Research
Research & Development
Department

جمهورية العراق
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
دائرة البحث والتطوير

No.: الرقم: ب ح ع ٢٥٩٧
Date: التاريخ: ٢٠٢٢/١/١٦

ديوان الوقف الشيعي / دائرة البحوث والدراسات

م/ مجلة الذكوات البيض

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ...

إشارة الى كتابكم المرقم ١٠٤٦ والمؤرخ ٢٠٢١/١٢/٢٨ والحاقاً بكتابنا المرقم ب ت ٥٧٤٤/٤ في ٢٠٢١/٩/٦ ، والمتضمن أستحداث مجلتكم التي تصدر عن الوقف المذكورة أعلاه ، وبعد الحصول على الرقم المعياري الدولي المطبوع وانشاء موقع الكتروني للمجلة تعتبر الموافقة الواردة في كتابنا أعلاه موافقة نهائية على أستحداث المجلة.

... مع وافر التقدير

أ.م.د حسين صالح حسن
المدير العام لدائرة البحث والتطوير / وكالة
٢٠٢٢/١/١٢

نسخة منه الى:
- قسم الشؤون العلمية / شعبة التأليف والنشر والترجمة / مع الاوليات.
- الصادرة.

مهند ابراهيم
١٠ / كانون الثاني

الذخائر البيض

مجلة علمية فكرية فصلية محكمة تصدر عن
دائرة البحوث والدراسات في ديوان الوقف الشيعي

السنة الثانية / العدد (٣) - ذو القعدة ١٤٤٣ هـ - حزيران ٢٠٢٢ م

السنة الثانية / العدد (٣) - ذو القعدة ١٤٤٣ هـ - حزيران ٢٠٢٢ م
رقم الإيداع في دار الكتب والوثائق (١١٢٥)
الرقم المعياري الدولي ISSN 2786-1763

الذكوات البيض

مجلة علمية فكرية فصلية محكمة تصدر عن
دائرة البحوث والدراسات في ديوان الوقف الشيعي

المشرف العام
علاء القسام
مدير عام دائرة البحوث والدراسات

رئيس التحرير
أ.د. فائز هاتو الشرع

مدير التحرير
حسين علي محمد الحسني

هيأة التحرير
أ.د. عبد الرضا بهية داود
أ.د. حسن منديل العكيلي
أ.د.نضال حنش الساعدى
أ.م.د. عقيل عباس الريكان
أ.م.د. أحمد حسين حيال
ا.م .د. صفاء عبدالله برهان
أ .م. د. حميد جاسم عبود الغرابي
م.د.موفق صبرى الساعدى
م.د. فاضل محمد رضا الشرع
م.د.طارق عودة مرى
م.د. نوزاد صفر بخش
أ.د.نور الدين أبو لحية / الجزائر
أ.د. جمال شلبي / الاردن
أ.د. محمد خاقانى / إيران
أ.د. مها خيربك ناصر / لبنان

التدقيق اللغوي
أ.م.د. قحطان رشك دخيل

الترجمة إلى اللغة الانكليزية
لمياء جبار سلمان

الذكوات البيض

مجلة علمية فكرية فصلية محكمة تصدر عن دائرة البحوث والدراسات في ديوان الوقف الشيعي

العنوان الموقعي

مجلة الذكوات البيض

جمهورية العراق

بغداد / باب المعظم

مقابل وزارة الصحة

دائرة البحوث والدراسات

الاتصالات

مدير التحرير

٠٧٧٣٩١٨٣٧٦١

صندوق البريد / ٣٣٠٠١

الرقم المعياري الدولي

ISSN 2786-1763

رقم الإيداع

في دار الكتب والوثائق(١١٢٥) لسنة ٢٠٢١

البريد الالكتروني

إيميل

off reserch@sed.gov.iq

hus65in@gmail.com

دليل المؤلف .....

١-أن يتسم البحث بالأصالة والجدّة والقيمة العلمية والمعرفية الكبيرة وسلامة اللغة ودقة التوثيق.

٢- أن تحتوي الصفحة الأولى من البحث على:

أ. عنوان البحث باللغة العربية .

ب. اسم الباحث باللغة العربي، ودرجته العلمية وشهادته.

ت. بريد الباحث الإلكتروني.

ث. ملخصان: أحدهما باللغة العربية والآخر باللغة الإنكليزية.

ج. تدرج مفاتيح الكلمات باللغة العربية بعد الملخص العربي.

٣-أن يكونَ مطبوعًا على الحاسوب بنظام(office Word) ٢٠٠٧ أو ٢٠١٠) وعلى قرص ليزري مدمج (CD) على شكل ملف واحد فقط (أي لا يُجزّأ البحث بأكثر من ملف على القرص) وتُزوّد هيأة التحرير بثلاث نسخ ورقية وتوضع الرسوم أو الأشكال، إن وُجدت، في مكانها منَ البحث، على أن تكونَ صالحةً مِنَ الناحيةِ الفنيّة للطباعة.

٤-أن لا يزيدَ عدد صفحات البحث على (٢٥) خمس وعشرين صفحة من الحجم (A4).

٥. يلتزم الباحث في ترتيب وتنسيق المصادر على الصفية APA

٦-أن يلتزم الباحث بدفعِ أُجُور النشر المحدّدة البالغة (٧٥،٠٠٠) خمسة وسبعين ألف دينار عراقيّ، أو ما يعادلها بالعملات الأجنبية.

٧-أن يكونَ البحثُ خاليًا مِنَ الأخطاءِ اللغوية والنحوية والإملائيّة.

٨-أن يلتزم الباحث بالخطوط وأحجامها على النحو الآتي:

أ. اللغة العربية : نوع الخط (Arabic Simplified) وحجم الخط (١٤) للمتن.

ب. اللغة الإنكليزية : نوع الخط (Times New Roman) عناوين البحث (١٦). والملخصات (١٢). أما فقرات البحث الأخرى: فبحجم (١٤) .

٩-أن تكونَ هوامش البحث بالنظام الأكتروني (تعليقات ختامية) في نهاية البحث. بحجم ١٢.

١٠-تكون مسافة الحواشي الجانبية (٢،٥٤) سم،والمسافة بين الأسطر (١) .

١١-في حال استعمال برنامج مصحف المدينة للآيات القرآنية يتحمل الباحث ظهور هذه الآيات المباركة بالشكل الصحيح من عدمه، لذا يفضّل النسخ من المصحف الالكتروني المتوافر على شبكة الانترنيت.

١٢-يبلّغ الباحث بقرارِ صلاحيّة النشر أو عدمها في مدّةٍ لا تتجاوز شهرين من تاريخ وصوله إلى هيأة التحرير.

١٣-يلتزمُ الباحث بإجراءِ تعديلات المحكّمين على بحثه وفق التقارير المرسلة إليه وموافاة المجلة بنسخةٍ مُعدّلةٍ في مدّةٍ لا تتجاوزُ (١٥) خمسة عشر يومًا.

١٤-لا يحق للباحث المطالبة بمتطلبات البحث كافة بعد مرور سنة من تاريخ النشر.

١٥-لاتعاد البحوث الى أصحابها سواء قُبلت أم لم تُقبل.

١٦-تكون مصادر البحث وهوامشه في نهاية البحث، مع كتابة معلومات المصدر عندما يرد لأول مرة.

١٧-يخضع البحث للتقويم السري من ثلاثة خبراء لبيان صلاحيته للنشر.

١٨-يشترط على طلبة الدراسات العليا فضلاً عن الشروط السابقة جلب ما يثبت موافقة الأستاذ المشرف على البحث وفق النموذج المعتمد في المجلة.

١٩-يحصل الباحث على مستل واحد لبحثه، ونسخة من المجلة، وإذا رغب في الحصول على نسخة أخرى فعليه شراؤها بسعر (١٥) ألف دينار.

٢٠-تعبر الأبحاث المنشورة في المجلة عن آراء أصحابها لا عن رأي المجلة.

٢١-ترسل البحوث إلى مقر المجلة - دائرة البحوث والدراسات في ديوان الوقف الشيعي بغداد - باب المعظم)

أو البريد الإلكترونيّ: (hus65in@Gmail.com) (off reserch@sed.gov.iq) بعد دفع الأجور في مقر المجلة

٢٢-لا تلتزمُ المجلة بنشر البحوث التي تُخلُ بشرطٍ من هذه الشروط .

مجلة علمية فكرية فصلية محكمة تصدر عن
دائرة البحوث والدراسات في ديوان الوقف الشيعي

المحتوى.....

ص	عنوان البحث	اسم الباحث
٨	نظرية الظروف الطارئة وأحكامها في السياسة الشرعية باب الجهاد - أنموذجات تطبيقية -	أ.م.د.خالد محمد جاسم محمد
٢٦	الهدي النبوي ونماذج تطبيقية من سيرته العطرة في تعامله ﷺ مع الطفل والمرأة والحيوان	أ. م. د. كريمة عبود جبر
٤٨	المنهج الإسلامي التكاملي للحد من الجرائم الاقتصادية جرائم الغش والتدليس أنموذجاً	أ. م. د خضير جاسم حالوب أ. د ناهدة جليل الغالبي
٦٦	تاريخ الاجتهاد عند السيد المقرّم عرض وتحليل	أ.م.د. عمار محمد حسين
٨٦	النبوة والسياسة والعيش المشترك، دراسة من منظور الفلسفة الإسلامية	م.د.عقيل رحيم الساعدي
٩٤	المكان في المنجز الروائي العراقي بعد نيسان ٢٠٠٣ م علاقاته وانماطه ووظائفه رواية حارس التبغ لعلي بدر أنموذجاً	م.د. أسامة محمد مهدي
١١٤	معالجة الصحف العراقية لأزمة ادارة الثروات الطبيعية بين الحكومة الاتحادية وحكومة إقليم كردستان دراسة تحليلية لصحيفتي (الزمان و التآخي)	أ.م.د. ميثم حاتم حسن هادي عثمان
١٤٢	دور الإسلام في تحصين المجتمع من خطر الجريمة والانحراف	أ. م. حيدر سامي عبد
١٦٠	مباني الاستنباط بين المدرسة السندية والشهرة	أ. م. شهيد عبد الزهرة الخطيب
١٨٤	السمات الفقهية لمدرسة المتقدمين الإمامية	م. ظاهر محسن عبد الله
٢٠٠	العلاقات الاجتماعية في مواقع التواصل الصداقة أنموذجاً(دراسة فقهية)	م .م نصير صالح مهدي
٢١٤	مفهوم الإلحاد المعاصروسبل معالجته	م.م.أسيل ابراهيم شهاب
٢٢٠	الألفاظ المُعبِّرة عن الصلاةِ في التعبير القرآني / دراسة إحصائية دلالية	م. م. كاظم محمد عبد الحسن
٢٣٠	الدور السياسي للأمير العباسي عجيف بن عنبسة الكلبي(١٩٢-٢٢٣هـ/٨٠٧-٨٣٨م)	م.د.حيدر علي كاظم حسين
٢٤٤	تهذيب الاخلاق في القرآن الكريم دراسة موضوعية	م. د. قيس عبد الله أحمد
٢٥٨	عالم سبيط النيلي دراسة في تراثه العلمي	م.م. عباس كاظم عباس
٢٧٠	دور المعلم في غرس القيم الوطنية والتعايش السلمي (الحلول والمعالجات عبر القرآن الكريم)	م. م. مهدي مناتي عبود
٢٨٨	مسيرة حرب الاستقلال الاستونية	م.م ندى كامل تايه
٣٠٦	الأساليب التربوية في المقابلات الصورية للمعادلات القرآنية	م. د. مسلم حسين عطية
٣٢٤	An Ecocritical Comparative Study between the Works of Kamala Markanday and Altayib Salih	م.د. رافد سامي مجيد

فصلية مُحَكَمة تُعنى بالبحوث والدراسات العلمية والإنسانية والفكرية
العدد (٣) السنة الثانية ذو القعدة ١٤٤٣ هـ حزيران ٢٠٢٢ م
الذكر البيض

نظرية الظروف الطارئة
وأحكامها في السياسة الشرعية
باب الجهاد - أنموذجات تطبيقية -

أ . م. د. خالد محمد جاسم محمد
الجامعة المستنصرية / كلية التربية الأساسيّة

الملخص:
قد وضع سبحانه الأحكام وسنها لنا الرسول الأكرم (صلى الله عليه وآله وسلم) وبيّنها وفصّلها على أكمل مايكون وهذه الأحكام ثابتة لاتتغير ، ولكن قد يتغير الحال أو تحدث النازلة على الإنسان ،ويطرأ عليه ظرف فتأتي معه المشقة التي تدخل المسلم في حرج كبير ، ومن المعلوم أن الحرج مرفوع في الشريعة الاسلامية وحالة الاضطرار تغير الحكم الشرعي بالنسبة للمضطر .
وإنه من الممكن أن تدخل الظروف الطارئة في كل نواحي الحياة وكل التكاليف ، سواء العبادات والمعاملات وأحكام السياسة الشرعية .
ولا يخفى أن علم السياسة الشرعية من العلوم المهمة المرتبطة بالمصالح ، ويتعلق بهذا العلم سياسة الدولة ومشكلاتها الكبرى ، وأيضاً تتعلق بتصرفات الإمام ومنها باب الجهاد وهو باب واسع كبير وتدخل فيه المسائل الطارئة التي تحتاج الى بيان حكمها الشرعي وإلى فتوى تتلائم مع الأعذار والطواريء التي تحدث فيه .
ولقد جاء التشريع الإسلامي لرفع الحرج وتحقيق مصالح العباد في عاجلهم وآجلهم ومقاصد التشريع في الاحكام الشرعية واضحة جلية في حفظ الضروريات وتحقيق مصالح الناس ودرء الضرر والمفاسد عنهم .
وحيث أنَّ نظرية الظروف الطارئة في السياسة الشرعية مبناها على التيسير ورفع الحرج كباقي الأبواب الفقهية التي طبقت فيها نظرية الظروف الطارئة لاسيما باب المعاملات الذي اتخذت فيه بحسب النظرية كثيراً من أساليب التخفيف للعسر الحاصل نتيجة الظرف الطارئ ، فقد درس العلماء هذه النظرية وتكلموا فيها ودرسوا أحوال المسلمين عند حدوث الأعذار والجوائح والطواريء وأوجدوا لها الفتاوى والأحكام المستنبطة من النصوص الشرعية من القرآن والسنة النبوية الشريفة والقواعد الفقهية .

ABSTRACT :
Glory be to Him، He has laid down the provisions and the Noble Messenger، may God's prayers and peace be upon him، enacted them for us، and separated them to the fullest extent possible. Islamic law and the state of compelling change the legal ruling for the compelled.And it is possible for emergency circumstances to enter into all aspects of life and all costs، whether acts of worship، transactions، and the rulings of Islamic politics.It is no secret that the science of legitimate politics is one of the important sciences related to interests، and this science is related to the state's policy and its major problems، and also related to the actions of the imam، including the chapter on jihad، which is a large and wide chapter، and urgent issues that need to explain its legal ruling and a fatwa that fit with the excuses and emergencies that occur in it .The Islamic legislation came to remove the embarrassment and achieve the interests of the people in their immediate and later life، and the purposes of the legislation in the legal rulings are clear and evident in preserving the necessities، achieving the interests of the people،
and warding off harm and corrup
tion for them.And since the theory of emergency circumstances in legal politics

is based on facilitation and the removal of embarrassment، like the rest of the jurisprudence chapters in which the theory of emergency conditions was applied، especially the chapter of transactions in which، according to the theory، many methods were taken to alleviate the hardship that occurred as a result of the emergency circumstance، the scholars studied this theory and spoke in it and studied the conditions of Muslims When excuses، pandemics، and emergencies occur، find fatwas and rulings deduced from legal texts from the Qur'an، the honorable Sunnah and jurisprudence rules.

المقدمة:

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد سيد الأولين والآخرين وعلى آله الطيبين الطاهرين وأصحابه .

وبعد :

فإن الشريعة الإسلامية شريعة كاملة وهي لكل العالمين ، جاءت لإصلاح البشرية وإعمار الأرض ، وقد حققت هذه الشريعة كل المصالح للعباد، إذ إن مافيها جاء بالوحي من الله تعالى، ولذلك فهي تصلح لكل زمان ومكان وحال .وقد وضع سبحانه الأحكام وسنها لنا الرسول الأكرم (صلى الله عليه وسلم وآله) وبينها وفصلها على أجمل وأكمل مايكون وهذه الأحكام ثابتة لاتتغير ، ولكن قد يتغير الحال أو تحدث النازلة على الإنسان ويطرأ عليه ظرف فتأتي معه المشقة التي تدخل المسلم في حرج كبير ، ومن المعلوم أن الحرج مرفوع في الشريعة الإسلامية وحالة الاضطرار تغير الحكم الشرعي بالنسبة للمضطر ، قال تعالى :

(فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ)(١)، ومن هنا وضع العلماء الفتاوى ودرسوا تغير الأحوال واجتهدوا ضمن القواعد الفقهية في الدين وعرفوا علل الأحكام وما جاءت به الشريعة الغراء فوضعوا الأحكام الفقهية المنضبطة لمثل هذه الأحوال،

لتخفيف الحرج والمشقة على المسلم، ويكون الحكم الشرعي مناسب لكل طاريء .لقد جاءت نظرية الظروف الطارئة التي وضعها أهل القانون مطابقة لمبادئ الشريعة الإسلامية ونصوص الفقهاء واجتهادهم في رفع المشقة والحرج وجلب التيسير على الناس .

ولايخفى أن علم السياسة الشرعية من العلوم المهمة وهي مرتبطة بالمصالح ،ويتعلق بهذا العلم سياسة الدولة ومشكلاتها الكبرى،وأيضاً تتعلق

بتصرفات الإمام ومنها باب الجهاد وهو باب واسع كبير وتدخل فيه المسائل الطارئة التي تحتاج إلى بيان حكمها الشرعي وإلى فتوى تتلائم مع الأعذار والطواريء التي تحدث فيه .

ولأهمية هذا الأمر وكثرة النوازل والوقائع في عصرنا وأهمية فتوى العلماء واجتهادهم اخترت عنوان بحثي هذا «فكان نظرية الظروف الطارئة وأحكامها في السياسة الشرعية باب الجهاد «أنموذجات تطبيقية» .

وقد تطلب مني هذا البحث ان يقسم على مقدمة ومبحثين وخاتمة :

في المقدمة ذكرت أهمية الموضوع وأسباب اختياره .

وفي المبحث الاول:التعريف بالظروف الطارئة والسياسة الشرعية ، وبيان مضمون النظرية

المطلب الأول : التعريف بـــألفاظ (نظرية الظروف الطارئة) لغة واصطلاحاً

المطلب الثاني :مفهوم السياسة الشرعية لغة واصطلاحاً

المطلب الثالث: بيان نظرية الظروف

الطارئة في السياسة الشرعية
المبحث الثاني : تطبيقات الظروف الطارئة في السياسة الشرعية في باب الجهاد
المطلب الأول : الفرار من الزحف
المطلب الثاني : أحكام الظروف الطارئة في الهدنة
أمّا الخاتمة فقد ذكرت فيها أهم النتائج التي توصلت إليها في هذا البحث .
والحمد لله رب العالمين
وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم
المبحث الأول :
التعريف بالظروف الطارئة والسياسة الشرعية ، وبيان مضمون النظرية
المطلب الأول : التعريف بـــألفاظ (نظرية الظروف الطارئة) لغة واصطلاحاً
أولاً : النظرية في اللغة :
هي من (نظر) والنظر هو : حسن العين والمنظر، وهو مصدر نظر ، وتقول العرب نظر ينظر نظراً(٢).
وقد ورد معنى النظرية في المعاجم اللغوية المعاصرة فقيل هي : « قضية تثبت صحتها بحجة ودليل وبرهان مثل : «نظرية محاكاة الحيوان» (٣) .
ثانياً : الظروف في اللغة
١- جمع ظرف وهو بمعنى الوعاء .
ورد في معجم مقاييس اللغة :{(ظَرَفَ) الظَّاءُ وَالرَّاءُ وَالْفَاءُ كَلِمَةٌ كَأَنَّهَا صَحِيحَةٌ. يَقُولُونَ: هَذَا وِعَاءُ الشَّيْءِ وَظَرْفُهُ } (٤).
وورد في معجم لغة الفقهاء : «الظرف: بفتح فسكون من ظرف وظرف ، ظروف ، الوعاء.. ما كان محلاً للشيء من الزمان والمكان ، الوقت الذي يكون المأمور به واقعا» فيه، سواء استغرق كل الوقت ، أو جزءاً منه ، الحال ، ومنه : الظرف المخفف ، والظرف الطارئ» (٥).
٢. ويأتي الظرف بمعنى الكياسة وبمعنى الظرافة(٦).
جاء في مختار الصحاح :{.. وَ (الظَّرْفُ) أَيْضًا الْكِيَاسَةُ وَقَدْ (ظَرُفَ) الرَّجُلُ بِالضَّمِّ (ظَرَافَةً) فَهُوَ (ظَرِيفٌ) وَقَوْمٌ (ظُرَفَاءُ) وَ (ظِرَافٌ) . وَقَدْ قَالُوا: (ظُرُوفٌ) كَأَنَّهُمْ جَمَعُوا (ظَرْفًا) بَعْدَ حَذْفِ الزَّوَائِدِ. وَزَعَمَ الْخَلِيلُ أَنَّهُ بِمَنْزِلَةِ مَذَاكِيرَ لَمْ يُكَسَّرْ عَلَى ذَكَرٍ، وَ (تَظَرَّفَ) تَكَلَّفَ الظَّرْفَ}.
وليس المراد هنا من الظرف : الكياسة او الظرافة ، وإنما المراد هو (الوعاء) ، لأن الظرف يحتوي المشقة التي تقتضي التخفيف على الناس ، فبذلك صار الظرف هنا كالوعاء للمشقة .
ثالثاً: تعريف الطارئة : الطارئ في اللغة:
قال الفراهيدي :(طرأ: طرأ فُلانٌ علينا يَطْرَأُ طُرُوءاً، أي: خرج علينا مُفاجَأة من مكانٍ بعيد) (٧).
وورد في مختار الصحاح نفس المعنى :
« ط ر أ: (طَرَأَ) عَلَيْهِ طَلَعَ مِنْ بَلَدٍ آخَرَ» (٨) .
وأحسن في بيانه صاحب لسان العرب فقال :
«طرأ: طَرَأَ عَلَى الْقَوْمِ يَطْرَأُ طرْءاً وطُرُوءاً: أَتاهم مِن مَكان، أَو طَلَعَ عَلَيْهِمْ مِنْ بَلَدٍ آخَر، أَو خَرَجَ عَلَيْهِمْ مِن مكان بَعيدٍ فَجاءَةً، أَو أَتاهم مِنْ غَيْرِ أَن يَعْلَمُوا، أَو خَرج عَلَيْهِمْ مِنْ فَجْوةٍ. وَهُمُ الطُّرَاءُ والطُّرَآءُ. وَيُقَالُ للغُرباء الطُّرآء، وَهُمُ الَّذِينَ يأْتُون مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ. قَالَ أَبو مَنْصُورٍ: وأَصله الْهَمْزُ مِنْ طَرَأَ يَطْرَأُ. وَفِي الْحَدِيثِ: طَرَأَ عَلَيَّ حزْبِي مِن القرآن ، أَي وَرَدَ وأَقبل. يُقَالُ: طَرَأَ يَطْرَأُ، مَهْمُوزًا، إِذَا جاءَ مُفاجَأَةً، كأَنه فَجِئَه الْوَقْتُ الَّذِي كَانَ يُؤَدي فِيهِ وِرْدَه مِنَ القرآنِ، أَو جَعَلَ ابْتِداءَه فِيهِ طُرُوءاً مِنْهُ عَلَيْهِ. وَقَدْ يُترك الْهَمْزُ فِيهِ. فَيُقَالُ: طَرَا يَطْرُو طُرُوّاً. وطَرَأَ مِن الأَرض: خَرَجَ، وَمِنْهُ اشْتُقَّ الطُّرْآنِيُّ. وَقَالَ بَعْضُهُمْ: طُرْآنٌ

جَبَلٌ فِيهِ حَمَامٌ كَثِيرٌ، إِلَيْهِ يُنْسَبُ الحمامُ الطُّرْآنِيُّ؛ لَا يُدْرَى مِن حَيْثُ أَتى..»(٩).
يتضح مّما تقدم أنَّ معنى (الطارئة) هو الحدوث مع تحقق عنصر المفاجئة .
ثالثاً:التعريف بـــ (نظرية الظروف الطارئة) في الاصطلاح:
النظرية بهذا اللفظ هي صياغة قانونية وضعية ، ولكن لهذه النظرية أصول في الشريعة الإسلامية وتلك الأصول تمثلت بمصطلحي «الأعذار والجوائح» .
فنظرية الظروف الطارئة في القانون مفادها : «أنَّ عقداً يتراخى تنفيذه إلى أجل أو إلى آجال كعقد توريد، وعند حلول أجل التنفيذ تكون الظروف الاقتصادية قد تغيرت تغيراً فجائياً لحادث لم يكن في الحسبان ، بحيث يختل التوازن الاقتصادي للعقد اختلالاً خطيراً»(١٠).
ويجوز للقاضي فيها تعديل المعاملة بشكل يضمن الحق بالتخفيف على من وقع عليه الضرر وأصبح الالتزام بالنسبة له مرهقاً وفيه مشقة. وعلى ذلك نصت أغلب القوانين ومنها القانون العراقي، حيث نص القانون المدني العراقي في المادة (١٤٦ / ٢) ، على «أنه إذا طرأت حوادث استثنائية عامة لم يكن في الوسع توقعها وترتب على حدوثها أن تنفيذ الالتزام التعاقدي وأن لم يصبح مستحيلاً، صار مرهقاً للمدين بحيث يهدده بخسارة فادحة جاز للمحكمة بعد الموازنة بين مصلحة الطرفين أن تنقص الالتزام المرهق إلى الحد المعقول إن اقتضت العدالة ذلك، ويقع باطلاً كل اتفاق على خلاف ذلك»(١١).
تعريف الأعذار في الفقه الإسلامي :
«هو عجز العاقد عن المضي في موجبه إلا بتحمل ضرر زائد لم يستحق به» (١٢).
تعريف الجائحة : «هي الآفة السماوية التي لا صنع لآدمي فيها ، من نحو الريح والبرد ، والجراد ، والعطش ، والمطر الشديد ، إلى غير ذلك ، والتي تصيب الثمار والنبات بعد بيعه فتهلكه بالتلف كلاً أو بعضاً ، دون استطاعة لدفع أثر هذا الأمر السماوي ، ولا الاحتراز منه ، مما لايمكن دفعه تضمين أحد»(١٣).
المطلب الثاني: مفهوم السياسة الشرعية لغة واصطلاحاً:
أولاً : السياسة الشرعية لغة واصطلاحاً
«السياسة بالكسر ، مصدر أساس الأمر، سياسة : إذا قام به(١٤)، وسوسه القوم إذا جعلوه يسوسهم ، قال الجوهري : سست الرعية سياسة ، وسوس الرجل أمور الناس إذا ملك أمرهم» (١٥).
وفي الحديث النبوي الشريف : «كان بنو إسرائيل يسوسهم أنبياؤهم»(١٦)،أي :تتولى أمورهم كما يفعل الأمراء والولاة بالرعية .
والسياسة أيضاً،فعل السائس يقال
يسوس الدواب إذا قام عليها وراحتها
والسوس الرياسة قال ثعلب :
سادة قادة لكل جميع
ساسة للرجال يوم القتال (١٧)
«وجميع هذه المعاني في أصل الوضع اللغوي تدور حول تدبير الأمر وإصطلاحه أو القيام على الشيء بما يصلحه والقائم بذلك يسمى سائس والجمع ساسة وسواس»(١٨).أمّا كلمة الشرعية،فهي مؤنث شرعي،وهي المنسوبة إلى الشرع، ولا تكون السياسة منسوبة إلى الشرع إلا إذا كانت نازلة على أحكامه ، مقيدة بشروط محققة لمقاصده ، لأن الشيء لا ينسب الى أصل إلا ؟إذا كان فرعاً منه متصلاً بجذوره ، أمّا ما كان من السياسة مصدره الهوى والعرف السائد سواء وافق الشرع أو خالفه ، فلا يسمى سياسة شرعية ولكن يسمى سياسة وضعية ولو كان الحكم

السياسي يحققه مصلحة .

ثانياً : السياسة الشرعية اصطلاحاً :

اختلف فقهاء المسلمين في تعريف السياسة الشرعية تبعاً لاختلافهم في جمالها وموارد تطبيقاتها، فمنهم من رأى أنها خاصة بالحدود والقصاص والتعازير ، ومنهم من رأى أنها شاملة لجميع مناحي الحياة ، ومنهم من قصرها على أفعال ولي الأمر ومن في حكمه فيما يتعلق بتدبير شؤون الرعية وإصلاح أمرها .

وسيتضح ذلك فيما نورده من تعريفات عند الفقهاء :

عرّفها ابن نجيم :

«إنّها القانون الموضوع لرعاية الآداب والمصالح وانتظام الأموال»(١٩).

ثم ذكر ما نصه :

«وظاهر كلامهم أن السياسة فعل شيء من الحاكم لمصلحة يراها وإن لم يرد بذلك الفعل دليل جزئي»(٢٠).

وعرفها ابن فرحون بأنها الطريقة التي يتوصل فيها الى الحق ، وخص ذلك فيما يفعله الحاكم بقصد الردع والزجر (٢١).

«أما فقهاء الشافعية فإنهم يعبرون عن السياسة الشرعية بالمصلحة ويجعلونها مرادفة لها ، وإن لم يسموها سياسة «، «إلا أنهم يخصون ذلك فيما ترك الشارع تقديره للإمام أو من في حكمه» ، جاء في مغني المحتاج : «ويتعين التغريب الى حيث يراه الامام وما تقتضيه المصلحة» (٢٢).

«وهذا حكم سياسي واضح من تعليلهم ، وإن لم يقولوا إنه سياسة شرعية ولكنهم عللوه بالمصلحة ، فيتضح انها تعني عندهم ما يجتهد فيه الإمام في سلوك الاصلح» .وقد عرفها ابن عقيل بانها : «ما كان فعلاً يكون معه الناس أقرب الى الصلاح وأبعد عن الفساد ، وان لم يضعه الرسول ولا نزل به وحي»(٢٣).

ثم عرَّفها ابن القيم : «بأنها الإمارات والعلامات التي يظهر بها عدل الله ورسوله»(٢٤).

وقال أيضاً : إن تسميتها سياسة أمر اصطلاحي وقد ورد أمثلة كثيرة على القول بأحكام السياسة الشرعية عند الخلفاء والصحابة والأئمة تدل على أنه يرى أنها شاملة لكل مناحي الحياة فيما يراه الإمام من الحكم بالمصلحة(٢٥).

والحقيقة إن السياسة الشرعية تشمل كل ما قاله الفقهاء في تعريفاتهم ، ولو أننا جمعنا هذه الآراء في تعريف لرأينا إنها كما قال ابن القيم في تعريفه .

أما العلماء المعاصرون فقد عرّفوها بتعريفات متعددة نذكر بعضاً منها:

عرفها الشيخ عبد الوهاب خلاف بأنها : «تدبير الشؤون العامة للدولة الإسلامية بما يكفل تحقيق المصالح ودفع المضار مما يتعدى حدود الشريعة وأصولها الكلية ، وإن لم يتفق وأقوال الأئمة المجتهدين»(٢٦).

وعرفها عبد العال عطوة بأنها : «فعل شيء من الحاكم يراها فيما لم يرد فيه نص خاص ، وفي الأمور التي من شأنها ألا تبقى على وجه واحد بل تتغير وتتبدل تبعاً لتبدل الظروف والاحوال والأزمان والأمكنة والمصالح»(٢٧).

أما الأستاذ فتحي الدريني فقد عرفها بأنها :

«تعهد الامر بما يصلحه» (٢٨).

إن هذه التعريفات لأكابر العلماء في السياسة الشرعية في العصر الحديث تبين أهمية السياسة الشرعية في رعاية البلاد والعباد ، وهي أيضاً تبين انواع المسائل في الاحكام فضلاً عن المجالات في السياسة الشرعية من جهة الموضوعات ، فهي تلائم فهم جميعهم للسياسة الشرعية من

جهة مطابقة لشريعة الاسلامية ورعاية المصالح بشروطها المعتدة .

المطلب الثالث : بيان نظرية الظروف الطارئة في السياسة الشرعية

السياسة الشرعية منوطة بمعرفة الإمام(السلطان) لمصالح الناس ، وفيه جعل الإمام القرافي المالكي (رحمه الله) فرقاً بين الإمام و بين القاضي والمفتي ، فقال : « إنَّ القضاء يعتمد الحجاج ، والفتيا تعتمد الأدلة ، وأنَّ تصرف الإمام الزائد على هذين يعتمد المصلحة الراجحة أو الخالصة في حق الأمة ، وهي غير الحجة والأدلة» (٢٩) .

وعلى ما تقدم يتبين لنا أنَّ على الإمام أن يكون ملماً بأمور الشرع عامة وباب المصلحة خاصة لتحصل له الخبرة الكافية والدراية الشافية في إدراك مصالح الناس وما يحقق تلك المصالح لهم وكيفية حفاظها عليهم وفق ضوابط الشرع الشريف. وليحصل الدربة والمران فيما حققه الشارع من مقاصد للخلق وكيف حافظ عليها حفاظاً على الحق.

وعليه يمكن القول بأن باب السياسة الشرعية مبناه على المصالح ، وهو في هذا كباقي أبواب الشريعة الإسلامية.

قال الإمام الشاطبي (رحمه الله) :

«والمعتمد إنما هو أنا استقرينا من الشريعة أنها وضعت لمصالح العباد» (٣٠).

ثم قال:« تكاليف الشريعة ترجع إلى حفظ مقاصدها في الخلق، وهذه المقاصد لا تعدو ثلاثة أقسام: أحدها: أن تكون ضرورية ، والثاني: أن تكون حاجية ، والثالث: أن تكون تحسينية. فأما الضرورية، فمعناها أنها لا بد منها في قيام مصالح الدين والدنيا، بحيث إذا فقدت لم تجر مصالح الدنيا على استقامة، بل على فساد وتهارج وفوت حياة، وفي الأخرى فوت النجاة والنعيم، والرجوع بالخسران المبين، ومجموع الضروريات خمسة، وهي: حفظ الدين، والنفس، والنسل، والمال، والعقل، وقد قالوا: إنها مراعاة في كل ملة ، وأما الحاجيات، فمعناها أنها مفتقر إليها من حيث التوسعة ورفع الضيق المؤدي في الغالب إلى الحرج والمشقة اللاحقة بفوت المطلوب ، فإذا لم تراع دخل على المكلفين- على الجملة- الحرج والمشقة، ولكنه لا يبلغ مبلغ الفساد العادي المتوقع في المصالح العامة ، وأما التحسينات، فمعناها الأخذ بما يليق من محاسن العادات، وتجنب المدنسات التي تأنفها العقول الراجحات، ويجمع ذلك قسم مكارم الأخلاق» (٣١).

وتترتب الحاجيات والتحسينيات على رتابة الضروريات فهي ملحقة بها متممة لها.

وبناءً على ما تقدم من أنَّ الشريعة جاءت لتحقيق مصالح الناس وحفظها عليهم وأنها راعت قابلياتهم وقدراتهم قال تعالى : (لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا) (٣٢)، وقوله تعالى : (لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَا آتَاهَا) (٣٣)، وبناءً على مبدأ التخفيف ورفع الحرج في الشريعة الإسلامية المتمثل بقوله تعالى : (مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَرَجٍ)(٣٤)، وقوله تعالى : (وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ)(٣٥)، أشير إلى ما يأتي :

إنَّ نظرية الظروف الطارئة تفترض أنْ يكون هنالك « حوادث أو أعذار ، خاصة أو عامة ، قد تطرأ على حالة سياسية شرعية معينة مرحلة تنفيذ الحكم أو التصرف السياسي ، لا يمكن توقعها ، وهي غير ممكنة الدفع ، تجعل تنفيذ الحكم أو التصرف في السياسة الشرعية فيه عسر وشدة ، أو قد تحدث إستحالة في التنفيذ أو المضي فيه ، مما تستدعي هذه الحالات التيسير ورفع الضيق عن الناس» (٣٦).

حيث إنَّ نظرية الظروف الطارئة في السياسة الشرعية مبناها على التيسير ورفع الحرج كباقي الأبواب الفقهية التي طبقت فيها نظرية الظروف الطارئة لاسيما باب المعاملات الذي اتخذت فيه بحسب النظرية كثير من أساليب التخفيف للعسر الحاصل نتيجة الظرف الطارئ، قال الدكتور فتحي الدريني:

« ... لكل حالة من الحالات التي تتصل بموضوع النظرية حكماً يعتبر حلاً يقتضيه العدل فيها ، فقد يكون الحكم فيما نحن بصدد البحث فيه ، فسخ العقد بالنسبة لحالة معينة وقد يكون انقاض قيمة الالتزام ، أو مقداره بالنسبة لأخرى ، أو إرجاء تنفيذه ، انظاراً للمعسر ، أو توزيع عبء الخسارة على طرفيه وهكذا ... ، فلكل حالة مايقتضيه العدل من الحكم، درءًا للضرر بقدر الإمكان وإعادة التوازن بدون فسخ ما أمكن» (٣٧)

وأرى بأن التخفيف والتيسير في نظرية الظروف الطارئة في السياسة الشرعية يتجسد في أمرين:

الأول : التخفيف بترك العزيمة لأجل الرخصة في الحكم أو التصرف في الحالة السياسية القائمة.

الثاني : التخفيف بالتوقف عن التصرف أو الحكم لحين زوال الطارئ إن أمكن.

وأنَّ أركان نظرية الظروف الطارئة في السياسة الشرعية بناءً على ما قدمته من صياغة للنظرية آنفاً هي:

١. حالة سياسية قائمة.

٢. العذر أو الظرف طارئ على الحالة السياسية .

٣.حدوث مشقة أو استحالة في الاستمرار بتنفيذ الحكم التصرف السياسي

٤. التخفيف الذي يقضي به الشرع وينفذه الامام أو نائبه ، أو جماعة المسلمين اذا اقتضى منهم ذلك. أو المسلم نفسه إذا كانت الحالة السياسية خاصة.

ملاحظة : إذا أحدث الظرف مشقة فهو نظرية الظروف الطارئة عند القانونيين واذا احدث استحالة فهو قوة قاهرة لديهم.

أما في الفقه الإسلامي وبحسب نظرية الظروف الطارئة في باب المعاملات فقد جعلهما الدكتور فتحي الدريني نظرية واحدة(٣٨)، وأوافقه إن شاء الله تعالى في ذلك ، وأعمله في نظرية الظروف الطارئة في السياسة الشرعية ، فأرى أنْ يكون الجميع نظرية «ظروف طارئة» وتعتبر نظرية القوة القاهرة الشق الثاني من نظرية الظروف الطارئة ، فالشق الأول من النظرية ظرف يحدث مشقة ، والشق الثاني ظرف يحدث استحالة .

المبحث الثاني

تطبيقات الظروف الطارئة في السياسة الشرعية في باب الجهاد

المطلب الأول : أحكام الفرار من الزحف

أولاً : تعريف الفرار من الزحف في اللغة والاصطلاح

الفرار لغة : هو من (فَرَّ) : الفِرار: الهرب ، قال الله (عز وجل) (٣٩): (قُلْ لَنْ يَنْفَعَكُمُ الْفِرَارُ إِنْ فَرَرْتُمْ مِنَ الْمَوْتِ أَوِ الْقَتْلِ وَإِذًا لَا تُمَتَّعُونَ إِلَّا قَلِيلًا)(٤٠).

الزحف لغة :

هو من (زحف) والزحف له مواضع: زحف الرجل يزحف زحفاً إذا حبا على أسته ، وتزاحف القوم في الحرب إذا تدانوا ، وفر من الزحف إذا فرَّ من القتال (٤١) .

الفرار من الزحف في الاصطلاح :

قال ابن رشد من المالكية : هو «الفرار من الضُعفِ» (٤٢).

ورد في البيان والتحصيل لابن رشد قوله : «وحد الفرار من الزحف الفرار من الضعف كما قال الله عز وجل: { الآن خفف الله

عنكم وعلم أن فيكم ضعفا }(٤٣) إلى قوله: { وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ }(٤٤) ، فلا يحل الفرار من المثلين، فإذا زادوا على ذلك وكثروا فلا بأس بالفرار إذا خافوا الضعف، ولا يحل للناس إذا فر إمامهم أن يفروا إذا كانوا مثليهم على ما فسرت لك»(٤٥) .

وعرفه صاحب كتاب إعانة الطالبين على حل ألفاظ فتح المعين للدمياطي من الشافعية بقوله:

«الفرار من الزحف أي الفرار من الصف، لاجل زحف الكفار إلى جهة صف المسلمين»(٤٦) .

وعرفه القسطلاني من المحدثين بقوله :

«التولّي يوم الزحف: أي الفرار عن القتال يوم ازدحام الطائفتين» (٤٧)

ثانياً: حكم الفرار من الزحف

وحكم الفرار من الزحف (مُطْلَقاً)هو« التحريم»بدليل القران والسنة :

من القران الكريم :

قوله تعالى: { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا زَحْفًا فَلَا تُوَلُّوهُمُ الْأَدْبَارَ } (٤٨) .

وقوله تعالى: { وَمَنْ يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُ إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَى فِئَةٍ فَقَدْ بَاءَ بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ }(٤٩) .

التحرف في القتال هو : أن ينصرف من ضيق إلى سعة ، أو من سفل إلى علو، أو من مكان منكشف إلى مستتر، أو من استقبال ريح أو شمس إلى استدبارهما ، ونحو ذلك مما هو أمكن له في القتال(٥٠) .

والتحيز إلى فئة هو : أن ينضم إليهم ليقاتل معهم(٥١) ، وسواء قربت الفئة أو بعدت؛ لما «روى ابن عمر: أنه كان في سرية من سرايا رسول الله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -، فحاص المسلمون حيصة عظيمة، وكنت فيمن حاص، فلما برزنا قلنا: كيف نصنع وقد فررنا من الزحف، وبؤنا بغضب من الله؟! فجلسنا لرسول الله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قبل صلاة الفجر، فلما خرج قمنا فقلنا له: نحن الفرارون. فقال: لا بل أنتم العكارون أنا فئة كل مسلم، ومعنى قوله: بل أنتم العكارون» ، والعكار: الذي يفر إلى إمامه لينصره ليس يريد الفرار من الزحف. أخرجه الترمذي وقال: حديث حسن (٥٢).

ومن السنة النبوية :

انه(صلى الله عليه وآله وسلم) عد الفرار من الكبائر، ففي الصحيحين عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم) : «اجتنبوا السبع الموبقات»، قيل: يا رسول الله، وما هن؟ قال: « الشرك بالله ، والسحر، وقتل النفس التي حرم الله إلا بالحق، وأكل الربا، وأكل مال اليتيم ، والتولي يوم الزحف ، وقذف المحصنات الغافلات»(٥٣) .

ثالثاً: في الظروف الطارئة الخاصة بالفرار من الزحف :

أولاً : مسألة «إذا طرأ إن أصبح عدد غير المسلمين أكثر من ضعف عدد المسلمين» ؟

اعتبر ابن الملقن من الشافعية ان حدوث عدد المشركين أكثر من ضعف عدد المسلمين من الاعذار التي تبيح الانصراف من الصف في القتال ، فقال : « ولا ينصرف من الصف إلا(لعذر كزيادة على ضعف)، وتحيز إلى فئة، ..» (٥٤).

أ. الخلاف في المسألة :

اختلف الفقهاء في حكم الفرار من أكثر من الضعف على أقوال وكما يأتي :

القول الأول : قال الحنفية والمالكية والحنابلة

بـ (الإباحة) في الفرار من أكثر من ضعفهم .

قال السغدي الحنفي في الفتاوى : «ولا

يحل لرجل من المسلمين ان يفر من رجلين من الكفار ولو فر من ثلاثة فصاعدا جاز له وان اقام حتى قتل لم يكن بذلك بأس» (٥٥)..قال سحنون من المالكية : لا يفر من المثلين ولهم أن يفروا الواحد من الثلاثة والمائة من ثلثمائة(٥٦) .

وقال ابن قدامة الحنبلي في الكافي : «وإن كان العدو أكثر من المثلين، لم تجب مصابرتهم؛ لأن الله تعالى لما فرض مصابرة المثلين، دل على إباحة الفرار من الزائد عليهما»(٥٧) .

واحتجوا في ذلك بما يأتي من الأدلة :

١. من القران الكريم :

قول الله تعالى: { الْآنَ خَفَّفَ اللَّهُ عَنْكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا فَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِئَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ أَلْفٌ يَغْلِبُوا أَلْفَيْنِ بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ } (٥٨).

وجه الدلالة :

قال خليل من المالكية : «وفرار إن بلغ المسلمون النصف لقوله تعالى: { وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِئَةٌ يَغْلِبُوا أَلْفًا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ }(٥٩)، وهذه الآية ناسخة لآية:{ إِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ عِشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ }(٦٠) ؛ لأنه كان أول الأمر يحرم الفرار من الكفار مطلقاً، ثم نسخ بقوله: { إِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ عِشْرُونَ صَابِرُونَ }(٦١) الآية. ثم نسخ بآية: { الْآنَ خَفَّفَ اللَّهُ عَنْكُمْ }(٦٢) الآية»(٦٣) .

وأجاب ابن حزم بقوله : أما الآية فلا متعلق لهم فيها؛ لأنه ليس فيها لا نص ولا دليل بإباحة الفرار عن العدد المذكور؛ وفي الآية : أنه إن كان منا مائة صابرون يغلبوا مائتين، وإن يكن منا ألف يغلبوا ألفين بإذن الله، وهذا حق، وليس فيه أن المائة لا تغلب أكثر من مائتين ولا أقل أصلاً؛ بل قد تغلب ثلاثمائة، نعم وألفين وثلاث آلاف ولا أن الألف لا يغلبون إلا ألفين فقط لا أكثر ولا أقل، ومن ادعى هذا في الآية فقد أبطل وادعى ما ليس فيها منه أثر، ولا إشارة، ولا نص، ولا دليل، بل قد قال - عز وجل -: { كَمْ مِنْ فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ }(٦٤)، فظهر أن قولهم لا دليل عليه أصلا (٦٥) .

٢. من الأثر :

قال ابن عباس: «من فرَّ من اثنين، فقد فرَّ. ومن فرَّ من ثلاثة، فما فرَّ».

وأجاب ابن حزم بقوله : أما ابن عباس فقد خالفوه في مئين من القضايا، منها قراءة أم القرآن جهرا في صلاة الجنازة، وإخباره: أنه لا صلاة إلا بها وغير ذلك كثير، ولا حجة إلا في كلام الله - تعالى -، أو كلام رسوله - صلى الله عليه وسلم -(٦٦) .

القول الثاني : يكره لهم الفرار من الزحف عند الشافعي (رحمه الله) إذا صار عدد المشركين أكثر من ضعف عددهم.

فقال : « فإذا غزا المسلمون أو غزوا فتهيئوا للقتال فلقوا ضعفهم من العدو حرم عليهم أن يولوا عنهم إلا متحرفين إلى فئة فإن كان المشركون أكثر من ضعفهم لم أحب لهم أن يولوا عنهم، ولا يستوجب السخط عندي من الله (عز وعلا) لو ولوا عنهم إلى غير التحرف للقتال والتحيز إلى فئة؛ لأن.. الله (عز وجل) إنما يوجب سخطه على من ترك فرضه وأن فرض الله (عز وجل) في الجهاد إنما هو على أن يجاهد المسلمون ضعفهم من العدو»(٦٧) .

القول الثالث : وذهب ابن حزم الظاهري (رحمه الله) إلى القول بحرمة الفرار من الزحف وإن كان المشركون أكثر من ضعف ، أو أكثر.

فقال : « ولا يحل لمسلم أن يفرَّ عن مشرك، ولا عن مشركين ولو كثر عددهم أصلا؛ لكن ينوي في رجوعه التحيز إلى جماعة المسلمين إن رجا البلوغ إليهم، أو ينوي

الكرَّ إلى القتال، فإن لم ينو إلا تولية دبره هارباً فهو فاسق ما لم يتب»(٦٨) .

واستدل من القرآن بعموم واطلاق الآيات الآتية :

١. قال الله عز وجل: { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا زَحْفًا فَلَا تُوَلُّوهُمُ الْأَدْبَارَ }(٦٩) .

٢. وقوله تعالى: { وَمَنْ يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُ إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَى فِئَةٍ فَقَدْ بَاءَ بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ }(٧٠) .

٣. قوله تعالى: { كَمْ مِنْ فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ } (٧١) .

حيثُ إنَّ الفئة القليلة يمكن أن تغلب فئة كثيرة عند التوكل على الله واستحقاق الإذن الإلهي بالنصر.

ب)المناقشة والترجيح :

قلت : واعتبر الجصاص الحنفي (رحمه الله) في أحكام القرآن ، استدلال أصحاب القول الأول بتناسخ الآيات والتخفيف فيها على أنَّه دال على العدد والضعف وجواز الفرار من أكثر من الضعف هو استدلال صحيح ، ثم إنه يرى الجصاص أن عدد المسلمين إذا بلغ إثني عشر ألفاً لايجوز لهم الفرار مع قيد مهم ألا وهو : « إذا اجتمعت كلمتهم».

فقال الجصاص: « فإذا بلغوا اثني عشر ألفا فإن محمد بن الحسن ذكر أن الجيش إذا بلغوا كذلك فليس لهم أن يفروا من عدوهم وإن كثر عددهم، ولم يذكر خلافا بين أصحابنا فيه، واحتج بحديث الزهري عن عبيد الله بن عبد الله أن ابن عباس قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) : «خير الأصحاب أربعة وخير السرايا أربع مائة وخير الجيوش أربعة آلاف، ولن يؤتى اثنا عشر ألفا من قلة ولن يغلب» وفي بعضها: «ما غلب قوم يبلغون اثني عشر ألفا إذا اجتمعت كلمتهم». وذكر الطحاوي أن مالكاً سئل فقيل له: أيسعنا التخلف عن قتال من خرج عن أحكام الله وحكم بغيرها؟ فقال له مالك: إن كان معك اثنا عشر ألفا مثلك لم يسعك التخلف وإلا فأنت في سعة من التخلف، وكان السائل له عبد الله بن عمر بن عبد العزيز بن عبد الله بن عمر، وهذا المذهب موافق لما ذكر محمد بن الحسن ، والذي روي عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) في اثني عشر ألفا فهو أصل في هذا الباب وإن كثر عدد المشركين، فغير جائز لهم أن يفروا منهم وإن كانوا أضعافهم، لقوله (صلى الله عليه وآله وسلم) : «إذا اجتمعت كلمتهم» (٧٢) وقد أوجب عليهم بذلك جمع كلمتهم» .

وأرى والله أعلم :

أن هذا يؤكد اتفاق أهل العلم على تأويل آيات التولي والإدبار وآيات التخفيف والتناسخ فيما بينها ، وأنهم (رضي الله عنهم) كان عندهم فهم سليم صحيح ، فهكذا بالعقل لو سألت شخصاً كما يأتي : إن إلتقى رجلٌ برجلٍ آخر يساويه في القوة ، هل يصح له الفرار ؟ سوف يقول لك لا .

ولو سألته : إن إلتقى رجلٌ برجلين يساويهما في القوة مجتمعين ، هل يصح له الفرار ؟ سوف يقول لك لا .

ولو سألته : إن إلتقى رجلٌ بثلاثة رجال يساوي اثنين منهما في القوة مجتمعين ، هل يصح له الفرار ؟ سوف يقول لك نعم ، لزيادة قوة جديدة ترجح عقلاً إمكانية انتصار الثلاثة، فيجوز له الفرار .

وهذا ماقاله ابن عباس (رضي الله عنه) واستدل به أصحاب القول الأول ، فقد قال (رضي الله عنه) :

« من فرَّ من اثنين، فقد فرَّ. ومن فرَّ من ثلاثة، فما فرَّ» (٧٣).

أما قول الشافعي (رحمه الله) بالكراهة في الفرار من أكثر من ضعف العدد فيمكن حمله على قوله تعالى : { كَمْ مِنْ فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ } وهو احد استدلالات ابن حزم والله أعلم

وأما نفي ابن حزم لجواز الفرار جملة وإن كانوا أكثر من ضعف المسلمين، معتمداً بذلك على عموم واطلاق النصوص الواردة في المسألة محل الخلاف فمردود بما فهمه من تقدمه من العلماء المتقدمين عنه ممن كانوا أقرب إلى التشريع ، وكذلك فإن في اتفاقهم (حنفية ومالكية وشافعية) على هذا الفهم الآنف الذكر، قرينة على صحة دعواهم.ولهم حجة في قول ابن عباس (رضي الله عنه) أيضاً :« من فرَّ من اثنين، فقد فرَّ. ومن فرَّ من ثلاثة، فما فرَّ».

وكذلك فإنَّ لابن حزم حجة في قوله تعالى : { كَمْ مِنْ فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ } لا يمكن التغاضي عنها .

فلكل ما تقدم يترجح لي : أن ما ذهب إليه أصحاب القول الأول من (الحنفية والمالكية والحنابلة) وهو إباحة الفرار من أكثر من ضعفهم ، متحرفين لقتال أو متحيزين إلى فئة . والله أعلم .

رابعاً : « إذا طرأ أن فرَّ الإمام يوم الزحف فهل يجوز للجيش الفرار» ؟

الحكم : هو عدم جواز الفرار عن مثليهم إلا أن يتجاوز العدد المثلين.

قال القيرواني المالكي : « ولا يحل للناس إن فرَّ إمامهم أن يفروا من مثلي عددهم.

قال ابن القاسم: ومن فر من الزحف وفراره من مثلين لم تقبل شهادته إلا أن يتوب وتظهر توبته» (٧٤).

قال ابن رشد : « ولا يحلُ للناس إذا فرَّ إمامهم أن يفروا إذا كانوا مثليهم ..»(٧٥).

المطلب الثاني : أحكام الظروف الطارئة في الهدنة

أولاً : تعريف الهدنة في اللغة والاصطلاح :

١ــــ الهدنة في اللغة : من (هـ د ن) ، (هادنه) صالحه والاسم (الهدنة) ومنه قولهم: هدنة على دخن أي سكون على غل(٦٧).

وورد في تاج العروس :

« هدن: (هَدَنَ يَهْدِنُ هُدوناً: سكن) فلم يتحرك . (و) هَدَنَ أَيْضاً: (أسكن) ، قيل: تهدين المرأة ولدها: تسكينها له بكلام إذا أرادت إنامته.

«والهَدْنَةُ: المطر الضعيف القليل» ، (و) من المجاز: الهُدْنَةُ، (بالضم: المصالحة) بعد الحرب والموادعة بين المسلمين والكفار، وبين كل متحاربين، وأصل الهدنة السكون بعد الهيج، وربما جعلت الهدنة مدة معلومة، فإذا انقضت المدة عادوا إلى القتال؛ ومنه حديث الفتن: (يكون بعدها هدنة على دخن) ، أي سكون على غل؛ (كالمهادنة) ، وقد هادنه: صالحه. (و) الهُدْنَةُ: (الدعة والسكون، كالمهدنة)» (٧٧).

٢ــــ تعريف الهدنة عند الفقهاء :

الهدنة عند الفقهاء هي الموادعة.«والموادعة هي: المعاهدة والصلح على ترك القتال يقال: توادع الفريقان أي تعاهدا على أن لا يغزو كل واحد منهما صاحبه» (٧٨).

وورد تعريفها في معجم لغة الفقهاء عند المعاصرين بقولهم : « الاتفاق على وقف القتال بين المتحاربين مدة معينة بعوض أو غيره، مع استمرار حالة الحرب» (٧٩).

ثانياً: مشروعية الهدنة

اذا كان المسلمون في ضعف فلهم أن يعقدوا المهادنة أو الموادعة بدليل القران والسنة.

من القران الكريم:

قوله تعالى : (وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ

لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ) (٨٠).

ومن السنة النبوية:

جاء في مسند الإمام أحمد (رحمه الله) في عام الحديبية :» دعا رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) علي بن أبي طالب، فقال له رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) : «اكتب بسم الله الرحمن الرحيم» فقال سهيل بن عمرو: لا أعرف هذا، ولكن اكتب باسمك اللهم، فقال له رسول الله (صلى الله عليه وسلم): «اكتب باسمك اللهم، هذا ما صالح عليه محمد رسول الله سهيل بن عمرو» فقال سهيل بن عمرو: لو شهدت أنك رسول الله لم أقاتلك، ولكن اكتب: هذا ما اصطلح عليه محمد بن عبد الله وسهيل بن عمرو على وضع الحرب عشر سنين، يأمن فيها الناس، ويكف بعضهم عن بعض، على أنه من أتى رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) من أصحابه بغير إذن وليه رده عليهم، ومن أتى قريشا ممن مع رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يردوه عليه، وإن بيننا عيبة مكفوفة، وإنه لا إسلال ولا إغلال»(٨١).

وورد في مسند البزار : عن عمر بن الخطاب قال: « لقد صالح رسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم) أهل مكة صلحاً لو استعمل على غيره وحكم على ما سمعت وذاك أن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) صالح أهل مكة على أنه من جاء إلينا منهم رددناه إليهم» (٨٢)- يعني يوم الحديبية--.

وفي سنن أبي داود : « حدثنا محمد بن العلاء، حدثنا ابن إدريس، قال: سمعت ابن إسحاق، عن الزهري، عن عروة بن الزبير، عن المسور بن مخرمة، ومروان بن الحكم، «أنهم اصطلحوا على وضع الحرب عشر سنين، يأمن فيهن الناس وعلى أن بيننا عيبة مكفوفة، وأنه لا إسلال ولا إغلال»(٨٣).قال الامام السغدي من الحنفية :«وإذا كان للمسلمين قوة لا ينبغي لهم موادعة أهل الحرب لأنه لا مصلحة في ذلك لما فيه من ترك الجهاد صورة ومعنى أو تأخيره، لأن الموادعة طلب الأمان وترك القتال، قال تعالى: (فَلَا تَهِنُوا وَتَدْعُوا إِلَى السَّلْمِ وَأَنْتُمُ الْأَعْلَوْنَ) (٨٤) محمد:٣٥ ، وإن لم يكن لهم قوة فلا بأس به لأنه خيرة للمسلمين، قال تعالى: (وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا) (٨٥) أي إن مالوا إلى المصالح فمل إليهم وصالحهم، والمعتبر في ذلك مصلحة الإسلام والمسلمين، فيجوز عند وجود المصلحة دون عدمها، ولأن عليهم حفظ أنفسهم بالموادعة، ألا يرى (أنه (صلى الله عليه وآله وسلم) صالح أهل مكة عام الحديبية على وضع الحرب عشر سنين) ، ولأن الموادعة إذا كانت مصلحة المسلمين كان جهادا معنى، لأن المقصود دفع الشر وقد حصل، وتجوز الموادعة أكثر من عشر سنين على ما يراه الإمام من المصلحة، لأن تحقيق المصلحة والخير لا يتوقت بمدة دون مدة»(٨٦).

وقال الامام الشافعي (رحمه الله): « وإذا ضعف المسلمون عن قتال المشركين، أو طائفة منهم لبعد دارهم، أو كثرة عددهم أو خلة بالمسلمين، أو بمن يليهم منهم جاز لهم الكف عنهم ومهادنتهم على غير شيء يأخذونه من المشركين، وإن أعطاهم المشركون شيئا قل أو كثر كان لهم أخذه، ولا يجوز أن يأخذوه منهم إلا إلى مدة يرون أن المسلمين يقوون عليها إذا لم يكن فيه وفاء بالجزية، أو كان فيه وفاء، ولم يعطوا أن يجري عليهم الحكم » (٨٧).

ثالثاً: ويشترط لصحة الهدنة ما يلي:

١ - أن يعقدها مع الأعداء الإمام أو نائبه.

٢ - أن تُعقد لمصلحة إسلامية كضعف

المسلمين، أو رجاء إسلام العدو.
٣ - أن تكون مؤقتة بمدة معينة (٨٨) .
رابعاً : في الظروف الطارئة الخاصة بالهدنة :
مسألة: لو وادع الإمام الحربيين ثم طرأ أنْ خاف غدراً منهم أو خاف خيانة فهل يجوز له نقض الهدنة؟
في صياغة المسألة : قال السغدي في النتف : « وإن وادعهم الإمام ثم رأى أن يفسخ ذلك ورآه خيرا للمسلمين او خاف غدرا منهم او خيانة ؟» (٨٩)
حكم نقض الهدنة :
يجوز نقص الهدنة بالإتفاق إن علم الإمام غدراً أو خيانة على أن يتحقق ذلك فعلاً ، لا بمجرد الشك من غير بينة ، فإذا وقع الغدر أو الخيانة جاز له نقض الهدنة بشرط أن ينبذ إليهم ويعلمهم بذلك.
قال السغدي الحنفي: « لا بأس ان ينبذ اليهم ويفسخ العهد .. لقوله تعالى (وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِنْ قَوْمٍ خِيَانَةً فَانْبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَى سَوَاءٍ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْخَائِنِينَ) » (٩٠) (٩١).قال الإمام النفري القيرواني من المالكية :
« وإذا عاهدنا قوما من أهل الحرب على مال أو على غير مال عهدا إلى وقت أو إلى غير وقت، ثم تبين لنا أنهم يدولون المشركين على عوراتنا واخبارنا ويأوون عيونهم وثبت ذلك بالبينة فهذا نكث، ولينبذ إليهم لقول الله تعالى: (وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِنْ قَوْمٍ خِيَانَةً فَانْبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَى سَوَاءٍ) ، فالخيانة دون ما فعلوا » (٩٢).
قال الإمام الشافعي (رحمه الله) : « قال الله تبارك وتعالى (وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِنْ قَوْمٍ خِيَانَةً فَانْبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَى سَوَاءٍ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْخَائِنِينَ)(٩٣)، (قال الشافعي) : نزلت في أهل هدنة بلغ النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) عنهم شيء استدل به على خيانتهم. فإذا جاءت دلالة على أن لم يوف أهل هدنة بجميع ما هادنهم عليه فله أن ينبذ إليهم» (٩٤).
ورد في كتاب الكافي في فقه الامام أحمد رحمه الله : « وإن خاف الإمام نقض العهد منهم، جاز أن ينبذ إليهم عهدهم، لقول الله تعالى: (وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِنْ قَوْمٍ خِيَانَةً فَانْبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَى سَوَاءٍ)(٩٥)، يعني: أعلمهم بنقض العهد، حتى تصير أنت وهم على سواء في العلم، ولا يكفي بمجرد الخوف حتى تظهر أمارة النقض»(٩٦).
الخاتمة:
الحمدلله وصلى الله على سيدنا محمد رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه وبعد :
فهذه أهم النتائج التي توصلت إليها في هذا البحث وهي كالآتي :
١. الشريعة الإسلامية جاءت لتحقيق المصالح للعباد وهي شاملة لكل نواحي الحياة وفيها الاحكام الكاملة من عبادات ومعاملات وغيرها .
٢. من تحقيق مصالح الناس ان الشريعة الاسلامية ترفع الحرج وتقدر الضرورة التي تصيب الانسان ؛ فلذلك نرى كثيراً من الاستثناءات في الاحكام الشرعية في كثير من المواقف التي يتعرض لها الناس .
٣. الظروف الطارئة الواقعة على المسلم لها أحكامها وهي معتبرة لدى الشارع في تغير الفتوى أو تغير الحكم الشرعي بحسب الحال .
٤. وضع الفقهاء وأهل القانون نظرية الظروف الطارئة لتسهيل بيان أحكام الوقائع أو المستجدات أو النوازل التي تنزل بالناس .
٥.تدخل معاني الظروف الطارئة وأحكامها في مواضيع السياسة الشرعية ومجالاتها كغيرها من المجالات والمواضيع

في الشريعة الاسلامية .

٦. من مواضيع السياسة الشرعية الجهاد وهو ظرف استثنائي خاص جداً وبلاشك تعتريه الظروف الطارئة التي تحدث فيه بسبب الاحوال المتغيرة للناس والحالة الخاصة بهم وبما يحدث من صعوبات اثناء القتال .

وآخر دعوانا ان الحمدلله رب العالمين

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى اله وصحبه أجمعين

الهوامش:

(١) سورة البقرة / من الآية ١٧٣ .
(٢) لسان العرب ، ابن منظور ، ٥/ ٩٥ .
(٣) معجم اللغة العربية المعاصرة ، د. احمد مختار عبد الحميد عمر ، ٣ / ٢٢٣٣ .
(٤) معجم مقاييس اللغة ، أحمد بن فارس ، ٣/ ٤٧٤.
(٥) معجم لغة الفقهاء ، محمد رواس قلعجي - حامد صادق قنيبي ، ، ص ٢٩٥.
(٦) مختار الصحاح ، الرازي ، ص ١٩٦.
(٧) كتاب العين ، الفراهيدي ، ٧/ ٤٤٨.
(٨) مختار الصحاح ، الرازي ، ص ١٨٨.
(٩) لسان العرب ، ابن منظور ، ١/ ١١٤.
(١٠) مصادر الحق في الفقه الإسلامي ، د. عبد الرزاق السنهوري ، ١٦ /٦ .
(١١) قاعدة التشريعات العراقية ، مجلس القضاء الأعلى ، المصدر : الموقع الالكتروني / الانترنت ،، وينظر : أثر الظروف الطارئة في تنفيذ العقد الإداري - دراسة مقارنة - ، د. حسن محمد علي حسن البنان ، مجلد١٦/ العدد ٥٨ ، ص١٦٤ .
(١٢) الهداية شرح بداية المبتدئ ، ج٢ / ص٢٤٧.
(١٣) ينظر : الذخيرة ، القرافي ؛ وينظر : الجامع لعلوم الإمام أحمد - الفقه ، الإمام: أبو عبد الله أحمد بن حنبل ، خالد الرباط، سيد عزت عيد [بمشاركة الباحثين بدار الفلاح] ، ٩/ ١٤١ .
(١٤) مختار الصحاح ، الرازي ، ص٣٣١ .
(١٥) لسان العرب ، ابن منظور ، ٢/ ٢٣٩ .
(١٦) فتح الباري بشرح صحيح البخاري ، ابن حجر العسقلاني ، ٢/ ٤٢١ .
(١٧) معجم الاخطاء الشائعة ، محمد العدناني ، ص١٢٤ .
(١٨) المعجم الوسيط ، ابراهيم انيس وآخرون ، ١/ ٤٦٢ .
(١٩) البحر الرائق شرح كنز الحقائق ، ابن نجيم ، ٥/ ٧٥ .
(٢٠) منحة الخالق على البحر الرائق ، ابن عابدين ، ٥/ ٨٦ ».
(٢١) ينظر : تبصرة الحكام في اصول الاقضية ومناهج الاحكام ، ابن فرحون ، ٢/ ١٠٥ .
(٢٢) مغني المحتاج الى معرفة الفاظ المنهاج ، الخطيب الشربيني ، ٤/ ١٨٣ .
(٢٣) الطرق الحكمية في السياسة الشرعية ، ابن قيم الجوزية ، ص١٣ .
(٢٤) اعلام الموقعين عن رب العالمين ، ابن قيم الجوزية ، ٤/ ٣٧٤ .
(٢٥) ينظر : الطرق الحكمية ، ص١٤ .
(٢٦) السياسة الشرعية ، عبد الوهاب خلاف ، ص١٧ .
(٢٧) المدخل الى السياسة الشرعية ، عبد العال عطوة ، ص٥٣ .
(٢٨) خصائص التشريع الاسلامي في السياسة والحكم ، عبد الرحمن تاج ، ص١٩٣ .
(٢٩) الاحكام في تمييز الفتاوى عن الأحكام وتصرفات القاضي والإمام ، المالكي ، ص٥٦.
(٣٠) الموافقات ، الشاطبي ، ٢/ ١٢ .
(٣١) الموافقات ، ٢ / ١٧ وما بعدها.
(٣٢) البقرة / من الاية ٢٨٦.
(٣٣) الطلاق / من الاية ٧.
(٣٤) المائدة / من الاية ٦.
(٣٥) الحج / من الاية ٧٨.
(٣٦) صياغة مضمون نظرية الظروف الطارئة في السياسة الشرعية بالاعتماد على مضمون نظرية الظروف الطارئة في باب المعاملات في الفقه الاسلامي كما رسمه الدكتور فتحي الدريني/ كلية الشريعة جامعة دمشق، في كتابه النظريات الفقهية ، منشورات جامعة دمشق ، ط٤ /١٩٩٧، ص١٤٧. حيث قال : « ان ثمة حادثا ، أو ظرفاً ، أو عذراً خاصاً أو عاماً ، قد طرأ بعد ابرام العقد ، وقبل تنفيذه أو أثنائه ، سواء أكان لاحقاً بشخص أحد طرفي العقد أو بمحل العقد ، مما لم يكن متوقعاً ، ولا ممكن الدفع غالباً ، جعل تنفيذ الالتزام التعاقدي ضاراً بالمدين ضرراً زائداً أو فاحشاً وغير مستحق بالعقد ، لأن منشأه ذلك الحادث لاذات الالتزام ، فهو إذن خارج عن نطاق التعاقد ، سواء أكان الضرر قوامه تفويت منفعة محل العقد كلاً أو بعضاً، أم من تعذر استيفاء منفعة المعقود عليه ، حساً أو شرعاً ، حتى يصبح مستحيلاً لامرهقاً فحسب في بعض الحالات ، أو كان ضرراً شخصياً راجحاً يلزم من المضي في تنفيذ موجب العقد (تنفيذ الالتزام) لطرف شخصي مما لا علاقة له بمحل العقد وسلامته وكامل منفعته».
(٣٧) النظريات الفقهية ، ص١٤١.
(٣٨) ينظر : النظريات الفقهية ، ص١٤٧.
(٣٩) شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم ، الحميري اليمني ، ج٨/ ٥٠٧٢.
(٤٠) سورة الأحزاب/ ١٦.
(٤١) جمهرة اللغة ، أبو بكر الأزدي ، ج١/ ٥٢٧.
(٤٢) ينظر: البيان والتحصيل والشرح والتوجيه والتعليل لمسائل المستخرجة ، ابن رشد القرطبي ، ١٠ /٤٨.
(٤٣) الأنفال/ من الاية ٦٦ .
(٤٤) سورة الأنفال/ من الاية ٦٦ .
(٤٥) البيان والتحصيل ، ابن رشد القرطبي ، ١٠/٤٨.
(٤٦) إعانة الطالبين على حل ألفاظ فتح المعين (هو حاشية على فتح المعين بشرح قرة العين بمهمات الدين) ، أبو بكر (المشهور بالبكري) الدمياطي ، ج٤/ ص٢٢٦.
(٤٧) إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري ، القسطلاني ، ٥/ ٢٢.
(٤٨) سورة الانفال / الاية ١٥.
(٤٩) سورة الأنفال/ ١٦.
(٥٠) الكافي في فقه الإمام أحمد ، ابن قدامة المقدسي ، ٤/ ١٢١.
(٥١) المصدر نفسه ، ٤/ ١٢١.
(٥٢) سنن الترمذي ، أبواب الجهاد عن رسول الله صلى

الله عليه وسلم ـــــ باب ما جاء في الفرار من الزحف ، ٤/ ٢١٥.
(٥٣) صحيح البخاري ، ،كتاب الوصايا ـــــ باب قول الله تعالى: [إن الذين يأكلون أموال اليتامى ظلما، إنما يأكلون في بطونهم نارا وسيصلون سعيرا] ، ج٤/ ص١٠.. صحيح مسلم ، ١ / ٩٢.
(٥٤) التذكرة في الفقه الشافعي ابن الملقن ، ص ١٣٥.
(٥٥) النتف في الفتاوى ، السُّغدي الحنفي ٢/ ٧١٢.
(٥٦) ينظر : النَّوادر والزِّيادات على مَا في المدَوَّنة من غيرها من الأمهات ، القيرواني، ٣ / ٥٢.
(٥٧) الكافي في فقه الإمام أحمد ، ابن قدامة المقدسي ، ج٤/ ص١٣٢.
(٥٨) سورة الأنفال/٦٦.
(٥٩) سورة الأنفال/٦٦.
(٦٠) سورة الأنفال/ ٦٥.
(٦١) سورة الأنفال/ ٦٥.
(٦٢) سورة الأنفال/ ٦٦.
(٦٣) الفواكه الدواني على رسالة ابن أبي زيد القيرواني ، النفراوي ، ١/ ٣٩٧.
(٦٤) البقرة/٢٤٩.
(٦٥) المحلى بالآثار ، ابن حزم الأندلسي ٥/ ٣٤٣.
(٦٦) المحلى بالآثار، ابن حزم الأندلسي ٥/ ٣٤٢ ـــــ ٣٤٤.
(٦٧) الأم ، الشافعي ، ٤ / ١٧٩.
(٦٨) المحلى بالآثار ، ابن حزم الأندلسي ٥/٣٤٢ ،
(٦٩) الأنفال/ ١٥.
(٧٠) الأنفال/ ١٦.
(٧١) البقرة/٢٤٩.
(٧٢) أحكام القرآن ، أبو بكر الرازي الجصاص الحنفي ٣/ ٦٤.
(٧٣) أخرجه البيهقي ، ٦/٧٧ .
(٧٤) النَّوادر والزِّيادات على مَا في المدَوَّنة من غيرها من الأمهات ، القيرواني ، ٣/ ٥٤.
(٧٥) البيان والتحصيل والشرح والتوجيه والتعليل لمسائل المستخرجة ، ابن رشد القرطبي ١٠/٤٨.
(٧٦) مختار الصحاح ، الرازي ، ص ٣٣٥.
(٧٧) تاج العروس من جواهر القاموس ، الزَّبيدي ، ٣٦/ ٢٧٩.
(٧٨) بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع ، الكاساني ١٠٨/٧.
(٧٩) معجم لغة الفقهاء ، محمد رواس قلعجي - حامد صادق قنيبي ، ص ٤٩٣.
(٨٠) الأنفال/ ٦١.
(٨١) مسند الإمام أحمد بن حنبل ، ٣١/ ٢١٢.
(٨٢) مسند البزار المنشور باسم البحر الزخار ، البزار ، ١/ ٣١١.
(٨٣) سنن أبي داود ، ٣/ ٨٦.
(٨٤) سورة محمد/ ٣٥ .
(٨٥) سورة الأنفال/ ٦١.
(٨٦) الاختيار لتعليل المختار ، ابن مودود الموصلي ٤/ ١٢٠ – ١٢١ ، وورد عند الشافعية نفس القول : ينظر : المهذب في فقة الإمام الشافعي ، الشيرازي ٣/٣٢٢.
(٨٧) الأم ، الشافعي ٤/ ١٩٩.
(٨٨) موسوعة الفقه الإسلامي ، محمد بن إبراهيم بن عبد الله التويجري ، ٥/ ٥٢١.
(٨٩) في المسألة ينظر: النتف في الفتاوى ، السُّغدي الحنفي ٢/ ٧١٩.
(٩٠) سورةالانفال / ٥٨.
(٩١) النتف في الفتاوى، للسغدي ، ج٢/ ص٧٢٠.
(٩٢) النَّوادر والزِّيادات على مَا في المدَوَّنة من غيرها من الأمهات ، القيرواني ٣/ ٣٥٣.
(٩٣) سورة الانفال / ٥٨.
(٩٤) الام للشافعي ، ٤/ ١٩٦.
(٩٥)سورة الانفال / ٥٨.
(٩٦) الكافي في فقه الإمام أحمد ، ابن قدامة المقدسي ٤/ ١٦٩.

قائمة المصادر والمراجع

القرآن الكريم .
١) أحكام القرآن ، المؤلف: أحمد بن علي أبو بكر الرازي الجصاص الحنفي (المتوفى: ٣٧٠هـ) ، المحقق: عبد السلام محمد علي شاهين ، الناشر: دار الكتب العلمية بيروت – لبنان ، الطبعة: الأولى، /١٩٩٤م .
٢) الاحكام في تمييز الفتاوى عن الأحكام وتصرفات القاضي والإمام ، شهاب الدين أبي العباس أحمد بن ادريس المصري المالكي ، (ت ٦٨٤ هـ) ، اعتنى به عبد الفتاح أبو غدة ، الناشر مكتب المطبوعات الإسلامية ـــ بحلب ، ط٢/١٩٩٥ .
٣) الاختيار لتعليل المختار ، المؤلف: عبد الله بن محمود بن مودود الموصلي البلدحي، مجد الدين أبو الفضل الحنفي (المتوفى: ٦٨٣هـ) ، عليها تعليقات: الشيخ محمود أبو دقيقة (من علماء الحنفية ومدرس بكلية أصول الدين سابقا) ، الناشر: مطبعة الحلبي - القاهرة (وصورتها دار الكتب العلمية - بيروت، وغيرها) ، تاريخ النشر: ١٣٥٦ هـ - ١٩٣٧ م.
٤) إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري ، المؤلف: أحمد بن محمد بن أبي بكر بن عبد الملك القسطلاني القتيبي المصري، أبو العباس، شهاب الدين (المتوفى: ٩٢٣هـ) ، الناشر: المطبعة الكبرى الأميرية، مصر ، الطبعة: السابعة، ١٣٢٣ هـ
٥) إعانة الطالبين على حل ألفاظ فتح المعين (هو حاشية على فتح المعين بشرح قرة العين بمهمات الدين) ، المؤلف: أبو بكر (المشهور بالبكري) بن محمد شطا الدمياطي (المتوفى: بعد ١٣٠٢هـ) ، الناشر: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ، الطبعة: الأولى، ١٤١٨ هـ - ١٩٩٧ م .
٦) إعلام الموقعين عن رب العالمين ، محمد بن ابي بكر ابن قيم الجوزية (ت٧٥١ هـ) ، تحقيق : أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان ، دار ابن الجوزي ، الرياض ، ط١ ، ١٤٢٣هـ .
٧) الأم ، المؤلف: الشافعي أبو عبد الله محمد بن إدريس بن العباس بن عثمان بن شافع بن عبد المطلب بن عبد مناف المطلبي القرشي المكي (المتوفى: ٢٠٤هـ) ، الناشر: دار المعرفة – بيروت ، الطبعة: بدون طبعة ، سنة النشر: ١٤١٠هـ/١٩٩٠م .
٨) البحر الرائق شرح كنز الدقائق ، زين الدين بن إبراهيم ابن نجيم(ت ٩٧٠ هـ) ، دار الكتاب الاسلامي . ط٢ .
٩) بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع ، المؤلف: علاء الدين، أبو بكر بن مسعود بن أحمد الكاساني الحنفي (المتوفى: ٥٨٧هـ) ، الناشر: دار الكتب العلمية ، الطبعة: الثانية،

١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م .
١٠) البيان والتحصيل والشرح والتوجيه والتعليل لمسائل المستخرجة ، المؤلف: أبو الوليد محمد بن أحمد بن رشد القرطبي (المتوفى: ٥٢٠هـ) ، حققه: د محمد حجي وآخرون ، الناشر: دار الغرب الإسلامي، بيروت - لبنان ، الطبعة: الثانية، ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م.
١١) تاج العروس من جواهر القاموس ، المؤلف: محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني، أبو الفيض، الملقّب بمرتضى، الزَّبيدي (المتوفى: ١٢٠٥هـ) ، المحقق: مجموعة من المحققين ، الناشر: دار الهداية .
١٢) تبصرة الحكام في اصول الاقضية ومناهج الأحكام (ت ٧٩٩ هـ)، إبراهيم بن علي بن محمد بن فرحون المالكي ، مكتبة الكليات الأزهرية ، ط١ ، ١٩٨٦م .
١٣) التذكرة في الفقه الشافعي لابن الملقن ، المؤلف: ابن الملقن سراج الدين أبو حفص عمر بن علي بن أحمد الشافعي المصري (المتوفى: ٨٠٤هـ) ، تحقيق: محمد حسن محمد حسن إسماعيل ، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان ، الطبعة: الأولى، ١٤٢٧ هـ - ٢٠٠٦ م.
١٤) الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه = صحيح البخاري ، المؤلف: محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي ، المحقق: محمد زهير بن ناصر الناصر ، الناشر: دار طوق النجاة (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي) ، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ
١٥) الجامع لعلوم الإمام أحمد - الفقه ، الإمام: أبو عبد الله أحمد بن حنبل ، المؤلف: خالد الرباط، سيد عزت عيد [بمشاركة الباحثين بدار الفلاح] ، الناشر: دار الفلاح للبحث العلمي وتحقيق التراث، الفيوم - جمهورية مصر العربية ، الطبعة: الأولى، ١٤٣٠ هـ - ٢٠٠٩ م.
١٦) جمهرة اللغة ، المؤلف: أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدي (المتوفى: ٣٢١هـ) ، المحقق: رمزي منير بعلبكي ، الناشر: دار العلم للملايين - بيروت ، الطبعة: الأولى، ١٩٨٧م.
١٧) خصائص التشريع الاسلامي في السياسة والحكم ، عبد الرحمن تاج .
١٨) الذخيرة ، المؤلف: أبو العباس شهاب الدين أحمد بن إدريس بن عبد الرحمن المالكي الشهير بالقرافي (المتوفى: ٦٨٤هـ) المحقق: جماعة من اهل العلم، الناشر: دار الغرب الإسلامي- بيروت ، الطبعة: الأولى، ١٩٩٤ م .
١٩) سنن البيهقي الكبرى ، أحمد بن الحسين الخرساني أبو بكر البيهقي (ت٤٥٨هـ) ، تحقيق : محمد عبد القادر عطا ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط٣، ١٤٢٤هـ-٢٠٠٣م .
٢٠) سنن أبي داود ، المؤلف: أبو داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو الأزدي السِّجِسْتاني (المتوفى: ٢٧٥هـ) ، المحقق: محمد محيي الدين عبد الحميد ، الناشر: المكتبة العصرية، صيدا - بيروت، كتاب الجهاد ـــــ باب في صلح العدو.
٢١) سنن الترمذي ، المؤلف: محمد بن عيسى بن سَوْرة بن موسى بن الضحاك، الترمذي، أبو عيسى (المتوفى: ٢٧٩هـ)، تحقيق وتعليق: أحمد محمد شاكر (جـ ١، ٢) ، ومحمد فؤاد عبد الباقي (جـ ٣) ، وإبراهيم عطوة عوض المدرس في الأزهر الشريف (جـ ٤، ٥) ، الناشر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي - مصر ، الطبعة: الثانية، ١٣٩٥ هـ - ١٩٧٥ م ، أبواب الجهاد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ـــــ باب ما جاء في الفرار من الزحف.
٢٢) السياسة الشرعية ، عبد الوهاب خلاف (ت ١٣٧٥ هـ) ، دار القلم ، ١٩٨٨م .
٢٣) شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم ، المؤلف: نشوان بن سعيد الحميرى اليمني (المتوفى: ٥٧٣هـ) ، المحقق: د حسين بن عبد الله العمري - مطهر بن علي الإرياني - د يوسف محمد عبد الله ، الناشر: دار الفكر المعاصر (بيروت - لبنان)، دار الفكر (دمشق - سورية) ، الطبعة: الأولى، ١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩ م .
٢٤) العين ، المؤلف: أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي البصري (المتوفى: ١٧٠هـ) ، المحقق: د مهدي المخزومي، د إبراهيم السامرائي ، الناشر: دار ومكتبة الهلال.
٢٥) فتح الباري بشرح صحيح البخاري ، احمد بن علي بن حجر العسقلاني (٨٥٢هـ)، اشرف عليه عبد العزيز بن باز ، دار المعرفة ، بيروت ، ١٣٧٩هـ
٢٦) فتح الباري بشرح صحيح البخاري ، أحمد بن علي بن حجر العسقلاني (ت٨٥٢هـ) ، دار المعرفة ، بيروت ، ١٣٧٩هـ .
٢٧) الفواكه الدواني على رسالة ابن أبي زيد القيرواني ، المؤلف: أحمد بن غانم (أو غنيم) بن سالم ابن مهنا، شهاب الدين النفراوي الأزهري المالكي (المتوفى: ١١٢٦هـ) ، الناشر: دار الفكر ، الطبعة: بدون طبعة ، تاريخ النشر: ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م ، ج١/ص ٣٩٧.
٢٨) قاعدة التشريعات العراقية ، مجلس القضاء الأعلى ، المصدر : الموقع الالكتروني / الانترنت .. وينظر : أثر الظروف الطارئة في تنفيذ العقد الإداري - دراسة مقارنة - ، د. حسن محمد علي حسن البنان /مدرس القانون الإداري ، كلية الحقوق جامعة الموصل ، مجلة الرافدين للحقوق ، مجلد١٦/العدد ٥٨.
٢٩) الكافي في فقه الإمام أحمد ، المؤلف: أبو محمد موفق الدين عبد الله بن أحمد بن محمد بن قدامة

الجماعيلي المقدسي ثم الدمشقي الحنبلي، الشهير بابن قدامة المقدسي (المتوفى: ٦٢٠هـ) ، الناشر: دار الكتب العلمية ، الطبعة: الأولى، ١٤١٤ هـ - ١٩٩٤ م .

٣٠) لسان العرب ، المؤلف: محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعى الإفريقى (المتوفى: ٧١١هـ) ، الناشر: دار صادر - بيروت ، الطبعة: الثالثة - ١٤١٤ ه.

٣١) المحلى بالآثار ، المؤلف: أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي القرطبي الظاهري (المتوفى: ٤٥٦هـ) ، الناشر: دار الفكر - بيروت ، الطبعة: بدون طبعة وبدون تاريخ .

٣٢) مختار الصحاح ، المؤلف: زين الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الحنفي الرازي (المتوفى: ٦٦٦هـ) ، المحقق: يوسف الشيخ محمد ، الناشر: المكتبة العصرية - الدار النموذجية، بيروت - صيدا ، الطبعة: الخامسة، ١٤٢٠هـ / ١٩٩٩م ، ص ٣٢٥.

٣٣) المدخل الى السياسة الشرعية ، عبد العال عطوة .

٣٤) مسند الإمام أحمد بن حنبل ، المؤلف: أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (المتوفى: ٢٤١هـ) ، المحقق: شعيب الأرنؤوط - عادل مرشد، وآخرون ، إشراف: د عبد الله بن عبد المحسن التركي ، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠١ م.

٣٥) مسند البزار المنشور باسم البحر الزخار ، المؤلف: أبو بكر أحمد بن عمرو بن عبد الخالق بن خلاد بن عبيد الله العتكي المعروف بالبزار (المتوفى: ٢٩٢هـ) ، المحقق: محفوظ الرحمن زين الله، (حقق الأجزاء من ١ إلى ٩) ، وعادل بن سعد (حقق الأجزاء من ١٠ إلى ١٧) ، وصبري عبد الخالق الشافعي (حقق الجزء ١٨) ، الناشر: مكتبة العلوم والحكم - المدينة المنورة ، الطبعة: الأولى، (بدأت ١٩٨٨م، وانتهت ٢٠٠٩م) ، مسند عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، مما روى عبيد الله بن عبد الله بن عتبة، عن ابن عباس، عن عمر.

٣٦) المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، المؤلف: مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (المتوفى: ٢٦١هـ) ، المحقق: محمد فؤاد عبد الباقي ، الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت ، كتاب الإيمان - باب بيان الكبائر وأكبرها.

٣٧) مصادر الحق في الفقه الإسلامي ، د. عبد الرزاق السنهوري ، دار احياء التراث العربي / مؤسسة التاريخ العربي ، بيروت - لبنان .

٣٨) معجم الأخطاء الشائعة ، محمد العدناني

٣٩) معجم اللغة العربية المعاصرة ، د. احمد مختار عبد الحميد عمر (ت١٤٢٤ هـ) ، بمساعدة فريق عمل - الناشر : عالم الكتب ط١ /٢٠٠٨ .

٤٠) المعجم الوسيط ، إبراهيم مصطفى ، أحمد الزيات، حامد عبد القادر محمد النجار ، دار الدعوة .

٤١) معجم لغة الفقهاء ، المؤلف: محمد رواس قلعجي - حامد صادق قنيبي ، الناشر: دار النفائس للطباعة والنشر والتوزيع ، الطبعة: الثانية، ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م .

٤٢) معجم مقاييس اللغة ، المؤلف: أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين (المتوفى: ٣٩٥هـ) ، المحقق: عبد السلام محمد هارون ، الناشر: دار الفكر ، عام النشر: ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م ،.

٤٣) مغني المحتاج الى معرفة ألفاظ المنهاج ، شمس الدين، محمد بن أحمد الخطيب الشربيني الشافعي (ت ٩٧٧هـ) ،دار الكتب العلمية ، ط ١، ١٤١٥هـ / ١٩٩٤م .

٤٤) منحة الخالق على البحر الرائق ، محمد أمين بن عمر بن عبد العزيز عابدين الدمشقي» (ت ١٢٥٢ هـ).

٤٥) المهذب في فقة الإمام الشافعي ، المؤلف: أبو اسحاق إبراهيم بن علي بن يوسف الشيرازي (المتوفى: ٤٧٦هـ) ، الناشر: دار الكتب العلمية .

٤٦) الموافقات ، المؤلف: إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الغرناطي الشهير بالشاطبي (المتوفى: ٧٩٠هـ) ، المحقق: أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان ، الناشر: دار ابن عفان ، الطبعة: الطبعة الأولى ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م .

٤٧) موسوعة الفقه الإسلامي ، المؤلف: محمد بن إبراهيم بن عبد الله التويجري ، الناشر: بيت الأفكار الدولية ، الطبعة: الأولى، ١٤٣٠ هـ - ٢٠٠٩ م .

٤٨) النتف في الفتاوى ، المؤلف: أبو الحسن علي بن الحسين بن محمد السُّغْدي، حنفي (المتوفى: ٤٦١هـ) ، المحقق: المحامي الدكتور صلاح الدين الناهي ، الناشر: دار الفرقان / مؤسسة الرسالة - عمان الأردن / بيروت لبنان ، الطبعة: الثانية، ١٤٠٤ - ١٩٨٤ .

٤٩) النَّوادر والزِّيادات على مَا في المدَوَّنة من غيرها من الأُمهاتِ ، المؤلف: أبو محمد عبد الله بن (أبي زيد) عبد الرحمن النفزي، القيرواني، المالكي (المتوفى: ٣٨٦هـ) ، الناشر: دار الغرب الإسلامي، بيروت ، الطبعة: الأولى، ١٩٩٩ .

فصلية مُحَكَمة تُعنى بالبحوث والدراسات العلمية والإنسانية والفكرية
العدد (٣) السنة الثانية ذو القعدة ١٤٤٣ هـ حزيران ٢٠٢٢ م

الهدي النبوي ونماذج تطبيقية
من سيرته العطرة في تعامله ﷺ مع الطفل والمرأة والحيوان

أ. م. د. كريمة عبود جبر
الجامعة المستنصرية / كلية التربية الاساسية

الملخص:
الحمد لله العلي الأكرم، الذي علّم بالقلم، علّم الإنسان ما لم يعلم، وألف الصلاة والسلام على الرحمة المهداة للعالمين، وعلى آله الغر الميامين، وصحابته وكل من تبعهم بإحسان الى يوم الدين وبعد:
بيّن هذا البحث كيف كانت معاملة نبينا الأكرم -صلى الله عليه وآله وسلم -للطفل والمرأة والحيوان؛ لِيُعلم الغرب ان ديننا الحنيف عطف على الطفل، وكرّم المرأة، ورحم الحيوان، وقدمت نماذج تطبيقه من سيرته العطرة على ذلك؛ لإجلاء الصورة المزيفة المعطاة للغرب بأن محمداً -صلى الله عليه واله وسلم - رجل عنف وحرب وإرهاب، بل هو كان الرحمة المهداة للعالم أجمع، رحيماً حتى في تعامله مع اعدائه، فلم يطرق يوما باب العنف والإرهاب بل الرحمة التي اذهلت الالباب-صلى الله عليه واله وسلم -
فمن روائع صور الرحمة مع الطفل زيارة نبينا لطفل يهودي كان على فراش الموت، فطلب منه أن ينطق بالشهادة بحضور ابيه فنظر الطفل الى أبيه طالباً الموافقة على ذلك فوافق الاب ونطق الصبي بالشهادة وسعد النبي -صلى الله عليه واله وسلم بذلك؛ وانه سيلقاه في الاخرة.
وصورة أخرى عن المرأة: اماً، وبنتاً، وزوجة، وامرأة مسلمة.
وصورة أخرى عن الحيوان: عندما شكا له جمل بانه يجوعه مالكه، ويشق عليه، فوصى صاحبه بان يشبعه ولا يرهقه فوق طاقته.وصورة ثالثة عن جذع نخلة عندما شعرت بابتعاد نبي الرحمة عنها؛ بعد ان كان يتكئ عليها في خطبه فأخذت تصيح ولم تهدأ حتى احتضنها رسول الرحمة -صلى الله عليه وآله وسلم.
كل ذلك وضعت تفاصيله في ثنايا هذا البحث ضمن خطة مقسمة على مقدمة وتمهيد وثلاثة مباحث فخاتمة:
فكان المبحث الأول: في تعامله مع الأطفال وقد جعلته في ثلاثة مطالب، فكان المطلب الأول يندرج تحت عنوان: الرحمة المهداة مع أطفال اهل بيته، والمطلب الثاني: الرحمة المهداة مع أطفال الصحابة، وأما المطلب الثالث والأخير فكان بعنوان الرحمة المهداة مع أطفال اهل الكتاب.
أما المبحث الثاني فقد خصصته لبيان تعامله -صلى الله عليه وآله وسلم - مع المرأة، ونظرا لتنوع أدوار المرأة في المجتمع فقد قسمته بحسب هذه الأدوار الى أربعة مطالب : فكان المطلب الأول : في تعامله مع المرأة عندما تكون اما، والمطلب الثاني: عندما تكون اختاً أو بنتاً، والمطلب الثالث: عندما تكون زوجة، اما المطلب الرابع والأخير عندما تكون امرأة مسلمة ، أي : لا تربطه صلة قربى بها ، اما المبحث الثالث والأخير فكان مخصص لبيان تعامله -صلى الله عليه واله وسلم -مع الحيوان والجماد ثم ختمته بخاتمة ذكرت فيها أهم النتائج التي خرجت بها من هذه الدراسة.هذا واسأل الله التوفيق والسداد لما يحب ويرضى.

ABSTRACT :

Praise be to God، the Most High، the Most Generous، who taught by the pen، taught man what he did not know، and a thousand blessings and peace be upon the mercy bestowed upon the worlds، and upon his honorable family، his companions، and all those who followed them in goodness until the Day of Judgment and after:
This research shows how our Noble Prophet - may God's prayers and peace be upon him and his family - treated children، women and animals; To teach

the West that our true religion is kind to children، honors women، and has mercy on animals، and examples of its application have been presented from his fragrant biography on that; To clarify the false image given to the West that Muhammad - may God's prayers and peace be upon him and his family - is a man of violence، war and terrorism. Rather، he was the mercy given to the whole world، merciful even in his dealings with his enemies. and delivered -images of mercy with the child is the visit of our Prophet to a Jewish child who was on his deathbed. He asked someone to pronounce the testimony in the presence of his father. The child looked at his father asking for approval. The father agreed. And he will meet him in the hereafter.

And another picture of the woman: a mother، a daughter، a wife، and a Muslim woman.

And another picture of the animal: When a camel complained to him that his owner was starving him and was hard on him، he advised his owner to fill him and not overburden him.

And a third picture of the trunk of a palm tree when I felt the Prophet of Mercy moving away from it; After he was leaning on her in his sermons، she started screaming and did not calm down until the Messenger of Mercy embraced her - may God's prayers and peace be upon him and his family.

All of this was detailed in the folds of this research within a plan divided into an introduction، a preface and three sections، and a conclusion:children، and I made it into three demands. The first requirement was under the title: Mercy dedicated to the children of his family، and the second requirement: Mercy dedicated to the children of the Companions. As for the third and final requirement، it was entitled Mercy dedicated to the children of the People of the Book.

As for the second topic، I have devoted it to explaining his dealings - may God's prayers and peace be upon him and his family، that he loves and is pleased with. With women، and in view of the diversity of women's roles in society، I divided it according to these roles into four demands: the first requirement: in dealing with women when she is a mother، the second requirement: when she is a sister or daughter، and the third requirement: when she is a wife، and the fourth requirement And the last is when she is a Muslim woman، i.e. he is not related to her. As for the third and final topic، it was dedicated to explaining his dealings - may God's prayers and peace be upon him and his family - with animals and inanimate objects and then concluded it with a conclusion in which I mentioned the most important results that came out of this study.

This and I ask God success and payment for what he loves and is satisfied.

المقدمة:

الحمد لله الذي أنعم علينا بأعلى أنواع النعم، ومنها نعمة الإسلام، وأصلي وأسلم على خير الأنام، حبيب الله وحبيب المؤمنين والمؤمنات، الرحمة المهداة ، وعلى آله الاطهار مصابيح الدجى، وأصحابه الأبرار منارات التقى، وكل من اتبعهم من الأخيار ممّن صدق ووفى الى يوم الدين.

وبعد: .

ان ممّا دفعني الى الكتابة في هذا الموضوع هو اني ذات يوم وقع نظري على خبر

منشور في احدى المجلات البريطانية من ان كنيسة سانت جونز وود بالعاصمة البريطانية، قد استضافت مدير المركز الثقافي الإسلامي في لندن، الدكتور أحمد الدبيان، لإلقاء محاضرة بعنوان: الرحمة وتطبيقاتها في سيرة النبي صلى الله عليه وآله وسلم، لجمهور الكنيسة من المسيحيين وزوار الكنيسة ومجاوريها، وذلك في إطار برامج الحوار وعلاقات أتباع الأديان.

واستعرض الدبيان خلال محاضرته سبب اختياره لشخصية النبي صلى الله عليه وسلم، لأنه رأس هرم الشخصيات الإسلامية وقدوة الجميع، وقد تحدث عن مبدأ الرحمة في سلوك النبي صلى الله عليه وسلم في حياته الشخصية مع أزواجه وخدمه وأصحابه بل وأعدائه، وتطبيقات الرحمة من خلال التعامل مع من حوله حتى مع الحيوانات.

وأجاب الدبيان عن مجموعة من أسئلة الحضور عن الإسلام والسيرة النبوية وعلاقات المجتمع في بريطانيا.

فخطر ببالي ان اكتب عن معاملة نبينا الاكرم للطفل والمرأة والحيوان ليعلم الغرب ان ديننا الحنيف عطف على الطفل وكرّم المرأة ورحم الحيوان وقدمت نماذج تطبيقه من سيرته العطرة على ذلك، لإجلاء الصورة المزيفة المعطاة للغرب بان محمدا -صلى الله عليه واله وسلم -رجل عنف وحرب وإرهاب، بل هو رحمة مهداة للعالم اجمع، رحيما حتى في تعامله مع اعدائه، فلم يطرق يوما باب العنف والإرهاب بل الرحمة التي اذهلت الالباب.

فمن روائع صور الرحمة مع الطفل زيارة نبينا لطفل يهودي كان على فراش الموت، فطلب من ان ينطق بالشهادة بحضور ابيه فنظر الطفل الى ابيه طالبا الموافقة على ذلك فوافق الاب ونطق الصبي بالشهادة وسعد النبي -صلى الله عليه واله وسلم بذلك؛ وانه سيلقاه في الاخرة.

وصورة أخرى عن المرأة: اما، وبنتا، وزوجة، وامرأة مسلمة.

وصورة أخرى عن الحيوان: عندما شكا له جمل بانه يجوعه مالكه، ويشق عليه، فوصى صاحبه بان يشبعه ولا يرهقه فوق طاقته.

وصورة ثالثة عن جذع نخلة عندما شعرت بابتعاد نبي الرحمة عنها؛ بعد ان كان يتكئ عليها في خطبه فأخذت تصيح ولم تهدأ حتى احتضنها رسول الرحمة - صلى الله عليه واله وسلم.

كل ذلك وضعت تفاصيله في ثنايا هذا البحث ضمن خطة مقسمة الى مقدمة وتمهيد وثلاثة مباحث فخاتمة:

فكان المبحث الأول: في تعامله مع الأطفال وقد جعلته في ثلاثة مطالب، فكان المطلب الأول يندرج تحت عنوان: الرحمة المهداة مع أطفال اهل بيته، والمطلب الثاني: الرحمة المهداة مع أطفال الصحابة، واما المطلب الثالث والأخير فكان بعنوان الرحمة المهداة مع أطفال اهل الكتاب.

اما المبحث الثاني فقد خصصته لبيان تعامله -صلى الله عليه وآله وسلم - مع المرأة، ونظرا لتنوع أدوار المرأة في المجتمع فقد قسمته بحسب هذه الأدوار الى أربعة مطالب : فكان المطلب الأول : في تعامله مع المرأة عندما تكون اما، والمطلب الثاني : عندما تكون اختا أو بنتا، والمطلب الثالث : عندما تكون زوجة، اما المطلب الرابع والأخير عندما تكون امرأة مسلمة أي لا تربطه صلة قربى بها ، اما المبحث الثالث والاخير فكان مخصص لبيان تعامله - صلى الله عليه واله وسلم -مع الحيوان والجماد ثم ختمته بخاتمة ذكرت فيها اهم النتائج التي خرجت بها من هذه الدراسة.

هذا واسأل الله التوفيق والسداد لما يحب ويرضى.

المبحث التمهيدي

مفهوم الرحمة في اللغة والاصطلاح والمعاني المرادفة لها

اولاً: معنى الرحمة في اللغة والاصطلاح: -

أ-في اللغة: -وردت كلمة (الرحمة) في معاجم اللغة العربية بمعنى: الرقة واللطف والرأفة والتعطف، يقال من ذلك: رَحِمَه، يَرْحَمه: إذا رق له، وتعطف عليه، والرُّحْم، والرَّحَمة، والرَّحْمة بمعنى. (١)

قال عز وجل:" وتواصوا بالصبر وتواصوا بالمرحمة" البلد/١٧.

. وقال ابن منظور في كتابه (لسان العرب) :-(والرَّحْمَةُ في بني آدم عند العرب رِقَّةُ القلب وعطفه) (٢).

وقد استعمل القرآن الكريم هذه الكلمة بمعان مختلفة وهي تتضمن وجوه الاحسان بكل معانيه، وقد بلغت أربعة وعشرين وجهاً نذكر منها: -

١- جاءت بمعنى (المغفرة) قال تعالى: "هدى ورحمة لقوم يؤمنون" الأعراف/٥٢."

٢-كما جاءت بمعنى (الرزق)، كقوله تعالى: "ولئن أذقنا الانسان منا رحمة ثم نزعناها منه "هود/٩.

٣-بمعنى (العافية من الابتلاء والامتحان): "قال تعالى: "أو ارادني برحمة "الزمر/٣٨.

٤- (الألفة والمحبة لأهل الايمان) :""وجعلنا في قلوب الذين اتبعوه رأفة ورحمة" الحديد/٢

٥-بمعنى (النصرة على اهل العدوان) :" أو أراد بكم رحمةً". الاحزاب/١٧

٦-النجاة من عذاب النيران: "ولولا فضل الله عليكم ورحمته ". النور/١٠.

٧-بمعنى (الجنة) دار السلام والأمان: "إن رحمة الله قريب من المحسنين" الأعراف /٥٦.

٨-بمعنى صفة (الرحمن الرحيم) : "كتب على نفسه الرحمة" الانعام /٥٤.

ب- في الاصطلاح: عُرِفت الرحمة بتعريفات عدة كلها تؤدي الى معنى الخير والرقة والعطف نذكر بعضاً منها هلى النحو الآتي:

١-الرحمة عند الاصفهاني :(رقة تقتضي إيصال الاحسان الى المرحوم). (٣)

٢وعند ابن عاشور :(هي رقة في النفس تبعث على سوق الخير لمن تتعدى إليه) (٤)

٣-وعند الكفوري : (هي حالة وجدانية تعرض غالبا لمن به رقة القلب وتكون مبدأ للانعطاف النفساني الذي هو مبدأ الاحسان)). (٥)

وبهذا يفهم من هذه التعريفات: ان الرحمة ماهي الا شعور باللين والود والحنو نحو المرحوم بعيدا عن الغلظة والفظاظة وقسوة القلب.

المبحث الاول

الرحمة المهداة مع الأطفال

من المفاهيم الخاطئة لدى بعض الآباء تجدهم يرون أن العنف والضرب في تربية أبنائهم وسيلة فعالة لتربية الأبناء، مما ينعكس على شخصية الطفل وسلوكه واخلاقه مستقبلا، فيصبح غليظ القلب، حاد الطبع، الجفاء سمته، والخصومة ديدنه، والعنف منهجه، كل ذلك بسبب التربية الخاطئة التي تلقاها من اسرته.

ونبي الرحمة يقدم لنا منهجا عمليا ومثلاً عليا في الرحمة وكيفية التعامل مع الأطفال والرأفة بهم والحنو عليهم.

فهذه تطبيقات ونماذج عملية لسلوكه الشريف -صلى الله عليه واله وسلم، نبدأها من بيته -عليه الصلاة والسلام-،

وكيف تعامل مع أطفال أهل بيته، فكان ذلك في المطلب الأول، ثم مع أطفال الصحابة في المطلب الثاني ثم مع أطفال اهل الكتاب فكان ذلك في المطلب الثالث وعلى النحو الاتي: -

المطلب الأول

الرحمة المهداة مع اطفال أهل بيته

كان -صلى الله عليه واله وسلم - ارحم الناس بالعيال. فهذا انس بن مالك خادم الرسول -عليه الصلاة والسلام-يقول: "ما رأيت احداً كان ارحم بالعيال من رسول الله -صلى الله عليه واله وسلم -(٦).

واليك هذه الصور من سيرته العطرة - صلى الله عليه وآله وسلم -تبين مدى حبه ورحمته بالأطفال.

الصورة الأولى: مع ابنه إبراهيم بن ماريا القبطية: -

١- تقبيله وشمه: كانت لإبراهيم مرضعة تسكن في عوالي المدينة، فكان - صلى الله عليه وسلم يذهب مع انس بن مالك خادمه، ليرى ابنه إبراهيم-عليه السلام - ولندع الصحابي الجليل انس بن مالك يحدثنا عما يفعله المصطفى -صلى الله عليه واله وسلم -مع ابنه الرضيع إبراهيم، اذ قال:

" دخلنا مع رسول الله -صلى الله عليه وآله وسلم على ابي سيف القَيْن، وكان ظِئراً لإبراهيم عليه السلام، فأخذ رسول الله -صلى الله عليه وسلم إبراهيم، فقبله وشمه(٧). والقين: الحداد، والظئر: المرضعة وكانت زوجته -ام سيف- ترضع إبراهيم، وكانا يسكنان في عوالي المدينة. وهي تبعد عن المسجد النبوي بحوالي(٣-٥) كم فكان -صلى الله عليه واله وسلم يقطع هذه المسافة الطويلة مع خادمه انس من اجل تقبيل وشم إبراهيم ثم يعود(٨).

٢-بكاء رسول الله - صلى الله عليه وسلم على إبراهيم وهو يحتضر: خرج المصطفى -صلى الله عليه واله وسلم -ذات مرة الى العوالي لرؤية إبراهيم، وكان إبراهيم يجود بنفسه فبكى المصطفى -عليه أفضل الصلاة والسلام عند رؤيته بهذا الحال. ولندع الراوي انس بن مالك -رضي الله عنه يروي لنا هذا الحدث:

قال أنس: ثم دخلنا عليه بعد ذلك، وإبراهيم يجود بنفسه، فحملت عينا رسول الله -صلى الله عليه وآله وسلم -تذرفان -بكاءا ورحمة وحزناً على إبراهيم، فقال له عبد الرحمن بن عوف -ضي الله عنه - وانت يارسول الله؟ فقال يابن عوف انها رحمةٌ، ثم اتبعها الأخرى فقال -صلى الله عليه وآله وسلم: "أن العين تدمع والقلب يحزن، ولا نقول الا ما يرضي ربنا، وانا بفراقك يا إبراهيم لمحزونون" (٩).

الصورة الثانية: الرحمة المهداة -صلى الله عليه واله وسلم -مع احفاده:

١- مع حفيديه - الحسن والحسين ابني علي وفاطمة -عليهما السلام-: كان المصطفى -صلى الله عليه واله وسلم يحبهما حبا جماً، وكثيرا ما كان يقبلهما، ويشمهما، ويجلسهما في احضانه الشريفة، بل ويحملهما على ظهره، مما يظهر حُسنِ خُلُقِه ورحمتِه: تَواضعُه للأطفالِ الصِّغارِ وصَبرُه عليهم، ومداعبتُه إيَّاهم بما يُدخِلُ السُّرورَ والفرحَ عليهم.

واليك هذه المشاهد العملية من رحمته -صلى الله عليه واله وسلم -بأحفاده الأطفال:

أ-الرحمة المهداة -صلى الله عليه واله وسلم -يحمل أحد احفاده على ظهره

وهو يصلي بالمسلمين:
قال شداد بن أوس:
خرجَ علَينا رسولُ اللَّهِ صلَّى اللَّهُ علَيهِ وسلَّمَ في إحدَى صلاتَي العِشاءِ وَهوَ حاملٌ حسَنًا أو حُسَيْنًا فوضَعَهُ ثمَّ كبَّرَ للصَّلاةِ فصلَّى، فسجدَ بينَ ظَهْرانَي صلاتِهِ سجدةً أطالَها، فرفعتُ رأسي، فإذا الصَّبيُّ على ظَهْرِهِ علَيهِ السَّلامُ وَهوَ ساجدٌ؛ فرجَعتُ إلى سُجودي فلمَّا قضى رسولُ اللَّهِ صلَّى اللَّهُ علَيهِ وسلَّمَ صلاتَهُ قالَ أُناسٌ: يا رسولَ اللَّهِ إنَّكَ سَجدتَ بينَ ظَهْرانَي صلاتِكَ سجدةً أطلتَها حتَّى ظننَّا أنَّهُ قد حدثَ أمرٌ أو أنَّهُ يوحَى إليكَ؟ فقالَ رسولُ اللَّهِ صلَّى اللَّهُ علَيهِ وسلَّمَ كلُّ ذلِكَ لم يَكُن، ولَكِنَّ ابني ارتَحلَني فكَرِهْتُ أن أُعجِلَهُ حتَّى يقضيَ حاجتَهُ"(١٠).

وعن بريدة بن الحصين قال:
كانَ رسولُ اللَّهِ صلَّى اللَّهُ علَيهِ وسلَّمَ يخطبُنا إذ جاءَ الحسنُ والحُسَيْنُ عليهما قميصانِ أحمرانِ يمشيانِ ويعثُرانِ، فنزلَ رسولُ اللَّهِ صلَّى اللَّهُ علَيهِ وسلَّمَ منَ المنبرِ فحملَهُما ووضعَهُما بينَ يديهِ، ثمَّ قالَ: صدقَ اللَّهُ" إنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَة ". أي: ابتلاءٌ واختبارٌ"، ثم قال عليه الصَّلاةُ والسَّلامُ: "نظرتُ إلى هذينِ الصَّبيَّينِ يمشيانِ ويعثُرانِ فلم أصبِر حتَّى قطعتُ حديثي ورفعتُهُما"(١١) ، وفي هذا بيانٌ لشدَّةِ حبِّه صلَّى اللهُ علَيه وسلَّم لهما، وأنَّه لَمَّا رآهُما لم يَصبِرْ حتَّى حمَلَهما وقرَّبَهما منه، "ثمَّ أَخَذَ فِي الخُطْبَةِ"، أي: أكْمَلَها.

ب-كان قلبُ النَّبيِّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم يَفيضُ رَحمةً ورِقَّةً وحُبًّا لأهلِه: فعن أبي هُرَيرةَ رضي الله عنه: قال:((أنَّ الأقرعَ بنَ حابسٍ أبصَرَ النَّبيَّ صلَّى اللهُ عليه وآله وسلَّم يُقَبِّلُ الحَسَنَ. فقال: إنَّ لي عَشَرةً مِن الولَدِ ما قبَّلتُ واحِدًا منهم! فقال رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم: ((إنَّه مَن لا يَرحَمْ لا يُرحَمْ!)) (١٢). في الحديثِ دلالة على استحباب رَحمةُ الولَدِ الصَّغيرِ، ومُعانقتُه، وتقبيلُه، والرِّفقُ به.

الصورة الثالثة: -مع حفيدته أُمامة بنت زينب: لما ماتت أمها زينب؛ أشفق عليها -صلى الله عليه وآله وسلم-، وحنَّ لها، فكان يخرج بها أحيانا الى المسجد، فيحملها وهو في الصلاة، فإذا سجد وضعها على الأرض، وإذا قام حملها على كتفه -صلى الله عليه وسلم -واليك هذه الرواية بتفاصيلها:

يحكي أبو قَتادةَ الحارِثُ بنُ ربعيٍّ الأنصاريُّ رضِي الله عنه أنَّ رسولَ الله صلَّى اللهُ عليه وسلَّم خرَجَ عليهم وكان يَحمِلُ على عاتقِه -وهو الموضعُ ما بيْن الكَتِفِ والعُنُقِ- حَفيدتَه أُمامةَ بنتَ أبي العاصِ بنِ الرَّبيعِ الأُمَويِّ، وأمُّها زَينبُ بنتُ رَسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم، وكانت صَبِيَّةً صَغيرةَ السِّنِّ، فصلَّى بهم الفريضةَ وهو يحمِلُها على عاتِقه صلَّى اللهُ عليه وسلَّم، وعند أبي داودَ ذَكَر أنَّها كانت صلاةَ الظُّهرِ أو العَصرِ، فكان صلَّى اللهُ عليه وسلَّم يحمِلُها في قيامِه، فإذا ركَعَ وضَعَها على الأرضِ، ثم يسجُدُ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم، وإذا رفَع مِن الرُّكوعِ حمَلها صلَّى اللهُ عليه وسلَّم ورفَعها معه، وفي روايةِ أبي داودَ أنَّه صلَّى اللهُ عليه وسلَّم كان يحمِلُها على عاتِقِه، فإذا ركع وضَعَها على الأرضِ ويركَعُ ويَسجُدُ، ثم يَرفَعُها إذا استوى قائمًا بعد السُّجودِ، ويفعَلُ هذا في كُلِّ ركعةٍ حتى فرغ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم مِن صَلاتِه"(١٣).

ولما كانت الصَّلاةُ أفضَلُ الأعمالِ عندَ اللهِ، وقدْ أمَرَ صلَّى اللهُ عليه وآله وسلَّم بِلُزومِ الخُشوعِ فيها والإقبالِ عليها، ولم يَكُنْ حمْلُه لها مِمَّا يُضادُّ الخُشوعَ المأمورَ به فيها، وفي فِعلِه عليه الصَّلاةُ والسَّلامُ ذلك أعظمُ الأُسوةِ لنا؛ فيَنْبغي الاقتداءُ به في

رَحمتِه صِغارَ الأولادِ وكبارَهم والرِّفقِ بهم؛ لأنَّ ذلك مِن أعمالِ البِرِّ الواجبِ الاتِّباعُ فيها(١٤).

الصورة الرابعة: مع ابن عمه ابن عباس-رضي الله عنهما وكان غلاما: لقد رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم ابن عباس وهو غلام ابن العاشرة أهلا للوصية مع صغره، فأوصاه بهذه الوصية النافعة، ولندع ابن عباس -رضي الله عنه -يحكي لنا هذه الوصية اذ قال: « كنتُ خلفَ رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ يومًا قال: "يا غُلامُ إنِّي أعلِّمُكَ كلماتٍ، احفَظِ اللَّهَ يحفَظكَ، احفَظِ اللَّهَ تَجِدْهُ تجاهَكَ، إذا سألتَ فاسألِ اللَّهَ، وإذا استعَنتَ فاستَعِن باللَّهِ، واعلَم أنَّ الأمَّةَ لو اجتَمعت علَى أن ينفَعوكَ بشَيءٍ لم يَنفعوكَ إلَّا بشيءٍ قد كتبَهُ اللَّهُ لَكَ، وإن اجتَمَعوا على أن يضرُّوكَ بشَيءٍ لم يَضرُّوكَ إلَّا بشيءٍ قد كتبَهُ اللَّهُ عليكَ، رُفِعَتِ الأقلامُ وجفَّتِ الصُّحفُ» (١٥).

فوصيته -صلى الله عليه وآله وسلم هي إنهُ :أمره بأن يكون مطيعاً لربه مؤتمراً بأوامره منتهياً عن نواهيه، وأن يعمل له بالطاعة ولا يراه في مخالفته، فان فعل ذلك فإنه سيجد الله تجاهه في الشدائد، أي سيكون في حفظ الله ورعايته ، ثم أرشده إلى التوكل على الله، وأن لا يتخذ إليها سواه ولا يتعلق بغيره في جميع أموره ما قل منها وما كثر، وقد أكد النبي صلى الله عليه وسلم ذلك فقال: (واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك)، وكذلك في الضر، وهذا هو الإيمان بالقدر، والإيمان به واجب خيره وشره، ثم أكد أيضاً ذلك بقوله" (رفعت الأقلام وجفت الصحف) (١٦).يعني أن ما كتبه الله تعالى واقع لامحالة ، فالأقلام رفعت والصحف جفت ولا تبديل لكلمات الله .

المطلب الثاني

الرحمة المهداة-عليه الصلاة والسلام-مع أطفال المسلمين

الأطفال منهم من يعيش في كنف أبويه، ومنهم من فقد اباه أو امه وهذ هو اليتيم، فنجد المصطفى -صلى الله عليه واله وسلم له مواقف رائعة مع الأطفال كلها دورس وعبر، فلم يمنعه انشغاله بأمور الدولة ابتداء من بنائها ونشر الدعوة والجهاد في سبيل الله وانتهاء بإرساء قواعد الدولة وتثبيت دعائمها وبيان الحقوق والواجبات فلم يمنعه كل ذلك من الرفق بالأطفال والرحمة بهم

واليك هذه الصور العملية في سيرته العطرة -صلى الله عليه وآله وسلم توضح ما ذكرناه:

الصورة الأولى: مع أبناء الصحابة حديثي الولادة:

كان إذا ولد مولود أتوا به الى الرحمة المهداة -صلى الله عليه واله وسلم - ليدعو له فكان -عليه الصلاة والسلام - يحمله بيديه الشريفتين ويقبله ويضمه اليه ويحنكه بالتمر ويدعو له بالبركة. ولندع أبا موسى الاشعري يحكي لنا ما فعله -صلى الله عليه وآله وسلم عندما رزقه الله بولده الأكبر:

وفي الصحيحين مِن حديثِ أبي بُرْدَةَ عن أبي موسى رضي الله عنه قال: «وُلِدَ لِي غُلَامٌ فَأَتَيْتُ بِهِ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ فَسَمَّاهُ إِبْرَاهِيمَ فَحَنَّكَهُ بِتَمْرَةٍ وَدَعَا لَهُ بِالبَرَكَةِ وَدَفَعَهُ إِلَيَّ، وَكَانَ أَكْبَرَ وَلَدِ أَبِي مُوسَى(١٧)»

وعن عائشةَ رضي الله عنها قالت: «كَانَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُؤْتَى بِالصِّبْيَانِ فَيَدْعُو لَهُمْ بِالبَرَكَةِ وَيُحَنِّكُهُمْ» (١٨)

الصورة الثانية: سلامه -صلى الله عليه وآله وسلم -على الأطفال وعطفه عليهم:

١-يُسلِّم على الأطفال ويمسح رؤوس ووجوههم: من رحمته -صلى الله عليه وسلم بالأطفال كان إذا رآهم في الطرقات يلعبون سَلَّمَ عليهم ومسح رؤوسهم ووجوههم.

فعن جابر بن سمرة قال:

صَلَّيْتُ مع رَسولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عليه وآله وسلَّمَ صَلَاةَ الأُولَى، ثُمَّ خَرَجَ إلى أَهْلِهِ وَخَرَجْتُ معهُ، فَاسْتَقْبَلَهُ وِلْدَانٌ، فَجَعَلَ يَمْسَحُ خَدَّيْ أَحَدِهِمْ وَاحِدًا وَاحِدًا، قالَ: وَأَمَّا أَنَا فَمَسَحَ خَدِّي، قالَ: فَوَجَدْتُ لِيَدِهِ بَرْدًا، أَوْ رِيحًا كَأَنَّما أَخْرَجَهَا مِن جُؤْنَةِ عَطَّارٍ(١٩).

٢-تواضع الرسول مع الصغار وملاطفتهم: عن أنس بن مالك رضِيَ اللهُ عنه قال: كان ابنٌ لأُمِّ سُلَيم يُقالُ له عُمَيْرٌ، كان النَّبيُّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم يُمازِحُهُ إذا دَخَل على أُمِّ سُلَيْم، فدَخَل يومًا فوَجَدَهُ حَزينًا، فقال: ما لأَبي عُمَيْرٍ حَزينًا؟ قالوا: يا رسولَ اللهِ، ماتَ نُغَرُهُ الَّذي كان يَلْعَبُ به، فجَعَل يَقولُ لهُ: أبا عُمَيْر، ما فَعَلَ النُّغَيْر؟!(٢٠)

يَحكي أنسُ بنُ مالكٍ رضِيَ اللهُ عنه أنَّه: "كان ابنٌ لأُمِّ سُليمٍ يُقال له: عُمَيرٌ"، وفي روايةِ أبي داودَ: أنَّه كان يُكْنَى أبا عُمَيرٍ، وكان صغيرًا، وهو أخو أنسٍ لأُمِّه؛ فأُمُّ سُليمٍ رضِيَ اللهُ عنها هي أُمُّ أنسِ بنِ مالكٍ، "كان النَّبيُّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ يُمازِحُه"، أي: يُلاعِبُه ويُلاطِفُه، "إذا دخَلَ على أُمِّ سُليم، فدخَلَ يومًا فوجَدَه حزينًا، فقال: ما لأبي عُمَيرٍ حزينًا؟" يَسألُ عن سَببِ حُزنِه، "قالوا: يا رَسولَ اللهِ، مات نُغَرُه الَّذي كان يَلعَبُ به"، والنُّغَرُ: طائرٌ يُشْبِهُ العُصفورَ، أحمَرُ المِنقارِ، وقيل: هو العصفورُ، وقيل: هو العُصفورُ صَغيرُ المنقارِ أحمرُ الرَّأسِ، وقيل: أهلُ المدينةِ يُسَمُّونه البُلبلَ، "فجعَلَ يقولُ له: أبا عُمَيرٍ، ما فعَلَ النُّغَيرُ؟!" يَقصِدُ النَّبيُّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ بذلك مُمازحةَ الغلامِ ومُضاحكَتَهُ؛ لِيَصرِفَ عنه الحزنَ الَّذي اعتراهُ، وفي ذلك مِن العَطْفِ والتَّواضُعِ وكرَمِ الأخلاقِ ما لا يَخْفَى. وهذا الحديثُ عظيمُ الفوائِدِ، استخرَجَ بعضُ العُلماءِ منه أكثرَ مِن ستِّينَ فائدةً، وبعضُهم ذَكَرَ أكثرَ مِن ذلك؛ منها: بيانُ حُسنِ مُعاشَرةِ النبيِّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ لأصحابِه جميعًا وعلى قَدْرِ عُقولِهم ومَدارِكهم. (٢١)

٣-تقديمه -عليه الصلاة والسلام - للطفل في حقه: عن سهل بن سعد -رضي الله عنه-

إنَّ النبيَّ صَلَّى اللهُ عليه وآله وسلَّمَ أُتِيَ بشَرَابٍ، فَشَرِبَ وعَنْ يَمِينِهِ غُلَامٌ وعَنْ يَسَارِهِ الأَشْيَاخُ، فَقالَ لِلْغُلَامِ: إنْ أَذِنْتَ لِي أَعْطَيْتُ هَؤُلَاءِ، فَقالَ: ما كُنْتُ لِأُوثِرَ بنَصِيبِي مِنْكَ يا رَسولَ اللَّهِ أحَدًا، فَتَلَّهُ في يَدِهِ."(٢٢)

وهنا : يُخبِرُ الصَّحابيُّ سَهلُ بنُ سَعدٍ السَّاعديُّ رَضِيَ اللهُ عنه أنَّ النَّبيَّ صلَّى اللهُ عليه وآله وسلَّم قُدِّم له شَرابٌ، والشَّرابُ هو اللَّبَنُ الممزوجُ بالماءِ، فشَرِبَ منه صلَّى اللهُ عليه وسلَّم، وكان عن يمينِه غُلامٌ صَغيرٌ، قيل: إنَّه ابنُ عبَّاسٍ رضِيَ اللهُ عنهما، وكان عن يَسارِه صلَّى اللهُ عليه وسلَّم الأشياخُ الكِبارُ مِن الصَّحابةِ رِضوانُ اللهِ عليهم، فاسْتأذَنَ النَّبيُّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم الغلامَ في أنْ يُعطيَ الشَّرابَ الأشياخَ؛ لأنَّهم كانوا عن يَسارِه، والأيمنُ هو الأحَقُّ بالبَداءةِ . فرفَضَ الغلامُ، وقال: لا أُوثِرُ بنَصيبي منك أحدًا، فبيَّنَ الغلامُ العِلَّةَ في عدمِ الإيثارِ، وأنَّه ليس كَونه شرابًا، وإنَّما هو لحُلولِ أثَرِ بَركتِه صلَّى الله عليه سلَّمَ عليه؛ لكونِه ما فضَلَ مِن شَرابِه، وذلك مَحلُّ تَنافُسِ أصحابِ

الهِمَم؛ فلذا عبَّر بقوله: «بنَصِيبي منك»، أي: مِن أثَرِ بَركتِك، وإنما قال الغلامُ ذلك؛ لأنَّه صلَّى اللهُ عليه وسلَّم لم يأمُرْه به، ولو أمره لأطاع أمْرَ رَسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم، وظاهِرُ الكلام أنَّ الغُلامَ لو أذِنَ لرَسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم لأعطاهم.

«فتَلَّه رَسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم في يدِه»، أي: أعطاهُ الشَّرابَ في يَدِه، ولم يُقدِّم صلَّى اللهُ عليه وسلَّم الأشياخَ عليه.

٢- تعزيزه -عليه الصلاة والسلام للطفل الصادق: لما نزل القرآن مصدقا لكلام عمير بن سعد عندما قال قول الصدق والحق في رجل شتم رسول الله -صلى الله عليه واله وسلم اخذ النبي -صلى الله عليه وسلم -بإذن الصبي عمير برفق وقال له -وهو يحييه على صدقه: "وفت اذنك يا عمير وصدقك ربك"(٢٣).

فقد سمع الصبي عمير قريباً له واسمه: {جُلاس بن سويد بن الصامت} يقول: {لئن كان الرجل صادقا، لنحن شرٌّ من الحُمُر!}.

وكان يعني رسول الله -صلى الله عليه وآله وسلم-، وكان جُلاس دخل الإسلام رَهَبا، سمع عمير بن سعد هذه العبارة فاغتاظ واحتار، الغيظ أتى من واحد يزعم أنه من المسلمين ويقول ذلك عن الرسول -صلى الله عليه وآله وسلم- بلهجة رديئة، والحيرة أتت من مسؤوليته تجاه هذا الذي سمع وأنكر، أينقل ما سمع للرسول؟

كيف والمجالس بالأمانة؟ أيسكت عما سمع؟

ولكن حيرته لم تطل، وعلى الفور تصرف عمير كرجل قوي وكمؤمن تقي، فقال لجُلاس: {والله يا جُلاس إنك لمن أحب الناس إلي، وأحسنهم عندي يدا، واعَزهم عليّ أن يُصيبه شيء يكرهه، ولقد قلت الآن مقالة لو أذَعْتها عنك لآذتك، ولو صمَتّ عليها ليهلكن ديني وإن حق الدين لأولى بالوفاء، وإني مُبلغ رسول الله ما قلت}.

وهكذا أدى عمير لأمانة المجالس حقها، وأدى لدينه حقه، كما أعطى لجُلاس الفرصة للرجوع الى الحق.

بيد أن جُلاس أخذته العزة بالإثم، وغادر عمير المجلس وهو يقول: {لأبلغن رسول الله قبل أن ينزل وحي يُشركني في إثمك}.

وبعث الرسول -صلى الله عليه وسلم- في طلب جُلاس فأنكر وحلف بالله كاذبا، فنزلت آية تفصل بين الحق والباطل.

قال تعالى: {يحلفون بالله ما قالوا، ولقد قالوا كلمة الكفر، وكفروا بعد إسلامهم وهمّوا بما لم ينالوا، وما نقموا إلا أن أغناهم الله ورسوله من فضله، فإن يتوبوا يَكُ خيرا لهم، وإن يتولّوْا يعذبهم الله عذابا أليما في الدنيا والآخرة، وما لهم في الأرض من ولي ولا نصير}.

فاعترف جُلاس بمقاله واعتذر عن خطيئته، وأخذ النبي بأُذُن عمير وقال له: {يا غُلام، وَفَت أذُنك، وصَدّقت ربّك} (٢٤).

٣- رحمته -عليه الصلاة والسلام بأم الصبي في الصلاة: كان عليه الصلاة والسلام أحيانا يسرع في الصلاة إذا سمع بكاء صغير رحمة به. فمن ذلك: ما يرويه لنا انس بن مالك -رضي الله عنه- أن رسول الله عليه الصلاة والسلام- قال: "أني لأدخل الصلاة وانا اريد اطالتها فاسمع بكاء الصبي فأتجوز في صلاتي مما أعلم من شدة وجد امه من بكائه "(٢٥)كان النَّبيُّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ يُحِبُّ أن يُطيلَ في صَلاتِه، ولكنَّه في الوقتِ ذاتِه كان يُراعي حاجاتِ النَّاسِ؛ فربُما خفَّفَ في الصَّلاةِ لأجْلِ بعض الناس، كما

في هذا الحديثِ الذي يَقولُ فيه النَّبيُّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ: "إنِّي لَأقومُ إلى الصَّلاةِ وأنا أُريدُ أن أُطوِّلَ فيها"، أي: يُريدُ إتمامَها وإكمالَها على الوجهِ المعتادِ، وليس المرادُ الإطالةَ الَّتي نهَى النبيُّ صلَّى الله عليه وسلَّم الأئمَّةَ عنها؛ "فأسمَعُ بُكاءَ الصَّبيِّ؛ فأتَجوَّزُ"، أي: فأسمَعُ بكاءَ صَبيٍّ مِن الصِّبيانِ معَ أمِّه الَّتي تُصلِّي في الجَماعةِ؛ فأُخفِّفُ الصَّلاةَ ولا أُطيلُ فيها بالقراءةِ وغيرِها؛ "كراهيةَ أن أشُقَّ على أمِّه"، أي: إشفاقًا به وبأمِّه؛ بسببِ بكاءِ طفلِها؛ فتَنْشَغِلُ عنِ الصَّلاةِ.

وفي الحديثِ: الحثُّ على مُراعاةِ أحوالِ المأمومين في الصَّلاةِ، وعدمِ المشقَّةِ عليهم بالتَّطْويلِ.

الصورة الثالثة: اكرامه -عليه الصلاة والسلام -للبنات وحفظ حقوقهن ": حرَّم النبي (صلى الله عليه واله وسلم) وأد البنات، وهي عادة كانت في المجتمع الجاهلي إذ كان يفضل الذكور عليهن، فاكرمهنَّ-عليه الصلاة والسلام-فجعل تربية البنات والانفاق عليهن سببا لدخول الجنة، إذ قال:((من عال جاريتين حتى تبلغا، جاء يوم القيامة أنا وهو وضم أصابعه)) (٢٦).

بيَّنَ النَّبيُّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم أنَّه مَن "عالَ جارِيتينِ"، أي: أنفَقَ عَليهِما وقامَ بمُؤنَتِهما، والمُرادُ: بِنتَانِ له أو أعمُّ مِن ذلكَ؛ "حتَّى تَبلُغا"، أي: تُدرِكا البُلوغَ أو تَصِلَا إلى زَوجَيهِما؛ فإنَّه يَأتي يَومَ القيامةِ هوَ والنَّبيُّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم، أي: مُصاحبًا للنَّبيِّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم؛ وضَمَّ النَّبيُّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم أصابِعَه: أي: إصبَعَيْه.

في الحديثِ: الثَّوابُ العَظيمُ لِمَن قامَ على البَناتِ بالمَؤُونةِ والتَّربيةِ حتَّى يَكْبَرْنَ أو يَتزوَّجْنَ.

وفيه: فَضلُ الإحسانِ إلى البَناتِ.

وفيه: شَرفُ الإنفاقِ عَلى العيالِ ولا سيَّما البَناتُ.

وقال: "من عال ابنتين أو ثلاث بنات، أو أختين أو ثلاث اخوات حتى يمتن او يموت عنهن كنت انا وهو كهاتين -وأشار بأصبعيه الى السبابة والوسطى(٢٧).

جاء الإسْلامُ باجتِثاثِ عاداتِ الجاهِليَّةِ المُنْكَرةِ، ومِن ذلك أنَّه أَوْصى بالبَناتِ، وحَرَّمَ وَأْدَهنَّ وقَتْلَهنَّ، وبَذَرَ في قُلوبِ أَتْباعِهِ المودَّةَ والرَّحْمةَ لهنَّ، ووَعَدَ على الإحْسانِ إليهِنَّ وتَربيتِهنَّ الخيرَ كلَّهُ.

وفي هذا الحديثِ يقولُ النَّبيُّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم: "مَنْ عال ابْنَتَيْنِ أو ثلاثًا، أو أُخْتَيْنِ أو ثلاثًا"، أي: أَنْفَقَ عَليهِنَّ وقامَ بمُؤنَتِهنَّ، "حتى يَبِنَّ"، أي: يَنْفَصِلْنَ عنه بتَزْويجٍ أو مَوْتٍ، "أو يَموتَ عنهُنَّ؛ كُنْتُ أنا وهو في الجنَّةِ كهاتَيْنِ -وأشار بأُصْبُعَيْهِ السبَّابةِ والتي تليها-"، أي: يَأْتي يَوْمَ القِيامَةِ مُصاحِبًا للنَّبيِّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم كمُصاحَبَةِ الإصْبَعَيْنِ في اليَدِ الواحِدَةِ مثلَ إصْبَعِ السبَّابَةِ بجوارِ الإصْبَعِ الوُسْطى.

في الحديثِ: الثَّوابُ العَظيمُ لِمَنْ قامَ على البَناتِ بالمَؤُونةِ والتَّرْبيةِ حتَّى يَكْبَرْنَ أو يَتزوَّجْنَ.

الصورة السابعة: رحمته -عليه الصلاة والسلام في الأطفال اليتامى: ولد-صلى الله عليه وسلم يتيما، فذاق مرارة اليتم، فلم تكتحل عيناه برؤية ابيه اذ مات وهو في بطن امه، ثم ماتت عنه، وهو في السادسة من عمره، فكان شاعرا بآلامهم، فرغب بكفالة اليتيم إذ قال: " انا وكافل اليتيم في الجنة كهاتين، وأشار بإصبعيه يعني السبابة والوسطى(٢٨)"

في هذا الحديثِ يقولُ النَّبيُّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم: أنَّه وكافِلُ اليَتيمِ، وهُو المُربِّي لَه القائِمُ بأمرِه، (له) بأنْ يَكونَ مِن قَرابتِه. (أو لِغيرِه) بأنْ يَكونَ أجنبيًّا

بأنَّه في الجنَّةِ مُصاحبًا لَه لعِظَمِ أجرِه عِندَ اللهِ تَعالى. وأشارَ مالكٌ وَهُوَ إمامُ دارِ الهجرَةِ وَصاحبُ المذهَبِ المشهورِ، أشارَ في تِلكَ الرِّوايةِ تَفسيرًا لِلحديثِ (بالسَّبَّابةِ والوُسطَى) والسَّبَّابَةُ هِي الَّتي بَينَ الوُسطَى والإبهامِ، وفَعلَ ذلكَ ليُوضِّحَ كَلماتِ الحديثِ.

وفي الحديثِ: الحثُّ على الإحسانِ إلى اليَتامى وكَفَالتِهم.

كما رغب النساء بتربية الايتام: فقال: أن اول من يفتح باب الجنة فأرى امرأة تبادرني تريد ان تدخل الباب، فأقول لها من انت؟ فتقول انا امرأة قعدت على ايتام لي(٢٩).

المرأة إذا مات زوجها فأبت الزواج مع حاجتها إليه، وعكفت على تربية الأبناء، هذه المرأة مكانتها -في الإسلام-أنها تسابق النبي -صلى الله عليه وآله وسلم- لتدخل معه الجنة.

واتى رجل الى النبي -صلى الله عليه وآله وسلم يشكو قسوة قلبه، قال رسول الله:" أتحب أن يلين قلبك وتدرك حاجتك؟ ارحم اليتيم وامسح راسه، واطعمه من طعامك يلين قلبك وتدرك حاجتك (٣٠)"

وقال -صلى الله عليه واله وسلم أيضاً: "من ضم يتيما بين أبوين مسلمين الى طعامه وشرابه حتى يستغني عنه وجبت له الجنة البته (٣١)

ويحذر رسول الله -صلى الله عليه واله وسلم من ظلم اليتامى أو استغلال ضعفهم، او أكل أموالهم وعدَّ ذلك من الموبقات، فقال -صلى الله عليه وآله وسلم: "اجتنبوا السبع الموبقات " قيل يا رسول الله وما هنَّ؟ فذكرهنَّ الى ان قال: وأكل مال اليتيم (٣٢)"

بل من رحمته -صلى الله عليه واله وسلم -انه يوجه ولي اليتيم الى استثمار أمواله خشية ان تأكله الزكاة أو يقل نتيجة تغير القيمة بمرور الزمان، فيقول: "من ولي يتيما له مال، فليتجر فيه، ولا يتركه حتى تأكله الصدقة ".

المطلب الثالث

رحمته-عليه الصلاة والسلام - مع الأطفال غير المسلمين:

لقدْ ضرَب النبيُّ صلَّى اللهُ عليه وآله وسلَّمَ أروعَ الأمثلةِ في الرَّحمةِ بالأطفال والشفقة بهم، وإنْ كانوا مِن أهلِ الكِتابِ، والحِرصِ على هِدايتِهم إلى الإسلامِ.

يَروي البخاري عن أنَسِ بنِ مالكٍ (رَضيَ اللهُ عنه)أنَّ غلامًا يهوديًّا -ويُطلَقُ الغلامُ على الصبيِّ مِن وقتِ ولادتِه إلى أن يَشِبَّ أو يُقارِبَ سِنَّ البُلوغِ- كان يخدُمُ النبيَّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ، فمرِض هذا الغلامُ، فأتاه النبيُّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ يَعُودُه ويزُورُه، فقعَد عندَ رأسِه، وطلَب منه أن يُسلِمَ، فنظَر الغلامُ إلى أبيه وهو عندَه، وكأنَّه تَردَّد في الأمرِ، أو أنَّه كان مُريدًا للإسلامِ وإنَّما كان يَخافُ مِن أبيه؛ فلذلك الْتَفَتَ إليه، فأجابه أبوه أنْ أطِعْ أبا القاسِمِ، وتلك كُنْيةُ النبيِّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ، فأسلَمَ الغلامُ، والإسلامُ يَقتضي النُّطقَ بالشَّهادتَينِ، وهو قولُ: «أشهَدُ أنْ لا إلهَ إلَّا اللهُ، وأنَّ محمَّدًا رسولُ الله» كما جاء في رِوايةِ النَّسائيِّ في الكُبرَى، فخرَج النبيُّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ مِن عندِه وهو يقولُ: الحمدُ للهِ الَّذي أنقَذَه، فخلَّصه ونجَّاه بي مِن النَّارِ(٣٣).

الفرع الأول : توجيهات نبوية -للآباء رحمة بالأبناء:

١- التحذير من الكذب عليهم:

الكَذِبُ صِفَةٌ مَمقوتةٌ ومَذمومةٌ، والمُسلِمُ الحقُّ يتَحرَّى الصِّدقَ التَّامَّ في كلامِه، ولو كان مازِحًا، ومِنْ عادةِ الآباءِ عِنْدَ مُداعَبَةِ أطفالِهم أن يَعِدُوهم ببعضِ الوعودِ؛ لتَطييبِ خَواطِرِهم أو إسكاتِهم وإلهائِهم، ثُمَّ لا يُنفِّذُ ذلك إلَّا قليلٌ من النَّاسِ، وهذا

ضَرْبٌ مِن الكَذِبِ المَنهيِّ عَنْه.

قال عَبْدُ الله بنُ عامِرٍ -رَضِيَ اللهُ عَنْه- دعتْني أُمي يومًا ورسولُ اللهِ صلى اللهُ عليه وآله وسلم قاعدٌ في بيتِنا فقالتْ: ها تعالَ أُعطيكَ فقال لها رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ وما أردتِ أنْ تعطيهِ؟ قالتْ: أُعطيهِ تمرًا، فقال لها رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ: أما إنك لو لمْ تُعطيهِ شيئًا كُتبتْ عليكِ كَذبةٌ(٣٤).

فقولُ عَبْدُ الله بنُ عامِرٍ رَضِيَ اللهُ عَنْه: "دَعَتْني أُمِّي يومًا"، أي: نادَتْني أُمِّي ذاتَ يوم، وذلك وهو صغيرٌ، "ورسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وآله وسلَّم قاعِدٌ في بَيتِنا، فقالت: ها"، أي: تُنادي عليهِ، "تَعالَ أُعْطيكَ"، أي: أَقْبِلْ عِنْدي لأُعْطيَك شيئًا، ولم تُسمِّ هذا الشَّيءَ، فقال لها رسولُ الله صلَّى اللهُ عليه وسلَّم: "وما أَرَدْتِ أنْ تُعْطيهِ؟"، أي: اسْتَوقَفَها النَّبيُّ صلَّى اللهُ عليه وآله وسلَّم مُسْتَبينًا عن صِدْقِ وَعْدِها لابنِها ومُحايَلَتِها لَه، قالت: "أُعْطيه تَمْرًا"، أي: أَرادَتْ أنْ تُعطيَه تَمْرًا، فقال لها رسولُ الله صلَّى اللهُ عليه وسلَّم: "أَمَا إنَّكِ لو لَمْ تُعطيه شيئًا كُتِبَتْ عليكِ كَذِبةٌ"، أي: يُحذِّرُها النَّبيُّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم مِنْ مُواعَدةِ الأطفالِ ومُلاعبَتِهم بالكَذِبِ، وما يَنْتِجُ عَنْ ذلك مِنْ أثَرٍ سلبيٍّ في تَربيةِ الأبناءِ واعتيادِهم على الكَذِبِ مُنْذُ صِغَرِهم.

وفي الحَديثِ: بيانُ ما كان عليه النبيُّ صلَّى الله عليه وسلَّم مِن مُلاحظةِ ما يَصدُر من أفرادِ أُمَّتِه؛ فيقرُّ لهم الصوابَ، ويُصوِّبُ لهم الخطأَ، وهكذا يَنبغي أنْ يكونَ الإمامُ والحاكمُ والمربِّي.

وفيه: الزَّجْرُ والتَّحذيرُ من الكَذِبِ في كُلِّ الأحوالِ مهما كان الأمرُ يسيرًا.

٢-النهي عن الدعاء عليهم:

عن جابر بن عبد الله -رضي الله عنه: ((لا تدعُوا على أنفُسِكُمْ، ولا تدعُوا على أولادِكم، ولا تدعوا على خدمِكم، ولا تدعوا على أموالِكم، لا تُوَافِقوا من اللهِ ساعةً يُسألُ فيها عطاءٌ فيُستجابُ لكم)) .

سِرْنَا مع رَسولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عليه وسلَّمَ فِي غَزْوَةِ بَطْنِ بُوَاطٍ، وَهو يَطْلُبُ المَجْدِيَّ بنَ عَمْرٍو الجُهَنِيَّ، وَكانَ النَّاضِحُ يَعْتَقِبُهُ مِنَّا الخَمْسَةُ وَالسِّتَّةُ وَالسَّبْعَةُ، فَدَارَتْ عُقْبَةُ رَجُلٍ مِنَ الأنْصَارِ علَى نَاضِحٍ له، فأنَاخَهُ فَرَكِبَهُ، ثُمَّ بَعَثَهُ فَتَلَدَّنَ عليه بَعْضَ التَّلَدُّنِ، فَقالَ له: شَأْ، لَعَنَكَ اللَّهُ، فَقالَ رَسولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عليه وسلَّمَ: مَن هذا اللَّاعِنُ بَعِيرَهُ؟ قالَ: أنَا، يا رَسولَ اللهِ، قالَ: انْزِلْ عنْه، فلا تَصْحَبْنَا بمَلْعُونٍ، لا تَدْعُوا علَى أنْفُسِكُمْ، وَلَا تَدْعُوا علَى أوْلَادِكُمْ، وَلَا تَدْعُوا علَى أمْوَالِكُمْ، لا تُوَافِقُوا مِنَ اللهِ سَاعَةً يُسْأَلُ فِيهَا عَطَاءٌ، فَيَسْتَجِيبُ لَكُمْ(٣٥).

مُرُوا أولادَكم بالصلاةِ وهم أبناءُ سبعِ سِنِينَ، واضربوهم عليها وهم أبناءُ عشرِ سِنِينَ، وفرِّقُوا بينهم في المضاجعِ."(٣٦)

٣-التسوية بين الأولاد في العطية:

روى النعمان بن بشير رضي الله عنهما أن أباه أتى به إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال " إني نحلت ابني هذا غلاما (أي وهبته عبدا كان عندي) فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أكلَّ ولدك نحلته مثله؟ فقال لا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فأرجعه "(٣٧)، وفي رواية فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم " فاتقوا الله واعدلوا بين أولادكم" قال فرجع فرد عطيته(٣٨)، وفي رواية " فلا تشهدني إذا فإني لا أشهد على جور "(٣٩).

هذا الحديث يدلّ على أمر مهمّ من العدل الذي أمر الله به فقال إنّ الله يأمر بالعدل ألا وهو العدل بين الأولاد.

وكما أن الله قد أوصى الأبناء ببرّ الآباء وجعل حقّهم عظيما عليهم وقرنه بحقّه وتوحيده سبحانه فقال: (واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا وبالوالدين إحسانا)

فكذلك جعل على الآباء حقوقا للأبناء مثل التربية والنفقة والعدل بينهم.

وَفِي حديث النعمان رضي الله عنه إِشَارَةٌ إِلَى الْعَدْلِ بَيْنَ الْأَوْلَادِ فِي النِّحْلَةِ وَهُوَ التَّسْوِيَةُ بَيْنَهُمْ لِأَنَّ فِي التَّسْوِيَةِ تَأْلِيفَ الْقُلُوبِ وَالتَّفْضِيلُ يُورِثُ الْوَحْشَةِ بَيْنَهُمْ ..لأنّ عدم العدل يُفضي إلى العقوق فيقول من حُرم أو نُقِص أبي ظلمني وفضّل أخي عليّ ونحو ذلك فيتسلل إلى نفسه شيء من الكراهية لأبيه ومن الناحية الأخرى يزرع الشيطان بذور الشحناء بينه وبين أخيه الآخر الذي أُعطي أكثر منه وقد جاءت الشّريعة بسدّ كلّ طريق يوصل إلى الحقد والشَّحْنَاءُ والعداوة والبغضاء بين المسلمين عموما فكيف بالأخ تجاه أخيه وشقيقه .

وقد فهم بعض العلماء أنّ العدل بين الأولاد لَا يَخْتَصُّ بِالْعَطِيَّةِ بَلْ مِثْلُهَا التَّوَدُّدُ فِي الْكَلَامِ وَنَحْوِهِ وقَالَ الدَّمِيرِيُّ (رحمه الله): لَا خِلَافَ أَنَّ التَّسْوِيَةَ بَيْنَهُمْ أَيْ الْأَوْلَادِ مَطْلُوبَةٌ حَتَّى فِي التَّقْبِيلِ. انتهى وكان بعض السّلف يحرص على التسوية بين أولاده حتى في القُبُلات .

وكان من رحمته بالأطفال أنه لا يكلفهم ما لا يطيقون، وقد جاءه أطفالٌ يوم أُحُدٍ يريدون الخروج معه للقتال فردَّهم لصغر سنهم، وكان منهم عبد الله بن عمر بن الخطاب، وأسامة بن زيد، وأسيد بن ظهير، وزيد بن ثابت، وزيد بن أرقم، وعرابة بن أوس، وعمرو بن حزم، وأبو سعيد الخدري، وسعد بن حبة، وغيرهم(٤٠).

ولم تكن مواقف اهتمامه ورحمته للأطفال بالمواقف العابرة التي تحدث على مدد متباعدة، بل كانت متكررة جدًا، لدرجة أن الأطفال كانوا دائمًا في استقباله إذا جاء من سفر ليلاعبهم ويداعبهم، وكأنه ليس أمامه من الهموم والمشاغل غيرهم! يقول عبد الله بن جعفر بن أبي طالب(٤١) "كَانَ رَسُولُ اللَّهِ إِذَا قَدِمَ مِنْ سَفَرٍ تُلُقِّيَ بِصِبْيَانِ أَهْلِ بَيْتِهِ قَالَ: وَإِنَّهُ قَدِمَ مِنْ سَفَرٍ فَسُبِقَ بِي إِلَيْهِ فَحَمَلَنِي فَسُبِقَ بِي إِلَيْهِ فَحَمَلَنِي بَيْنَ يَدَيْهِ ثُمَّ جِيءَ بِأَحَدِ ابْنَيْ فَاطِمَةَ فَأَرْدَفَهُ خَلْفَهُ قَالَ: فَأُدْخِلْنَا الْمَدِينَةَ ثَلَاثَةً عَلَى دَابَّةٍ"(٤٢).

وتخيل هذا المشهد، وقائد الدولة يدخل مدينته، وهو يركب دابته وقد حمل طفلاً وأردف آخر خلفه!!بل إنه عندما دخل مكة فاتحًا استُقْبِل أيضًا بالأطفال، فلم يمنعه الموقف المهيب، ولا الوضع العسكري الخطير، من أن يتلطف معهم، بل ويحملهم! يقول عبد الله بن عباس: "لَمَّا قَدِمَ النَّبِيُّ مَكَّةَ اسْتَقْبَلَتْهُ أُغَيْلِمَةُ بَنِي عَبْدِ الْمُطَّلِبِ فَحَمَلَ وَاحِدًا بَيْنَ يَدَيْهِ وَآخَرَ خَلْفَهُ!"(٤٣). هذه كانت رحمة النبي – صلى الله عليه وآله وسلم -بالأطفال

المبحث الثالث:

الرحمة المهداة –عليه أفضل الصلاة والسلام-مع المرأة

تعددت صور المرأة في المجتمع الإنساني، وقد شرع الإسلام لكل صورة حقوقا وواجبات، لتعرف المرأة مالها وما عليها في كل دور من أدوار حياتها التي تعيشها في مجتمعها، وكان للرحمة المهداة عليه أفضل الصلاة واتم التسليم -منهجا في التعامل مع المرأة بجميع صورها، اذاً لنتعرف على الأساليب التي استخدمها الحبيب –صلى الله عليه وآله وسلم – مع المرأة باعتبارها اما، او بنتا، او اختا، او زوجة، امرأة اجنبية. لذا قسمت هذا المطلب الى خمسة مطالب وعلى النحو الاتي:

المطلب الأول: الصورة الأولى: المرأة أماً: -

نظرا للدور العظيم الذي أُلقي على عاتق الام لتقوم به، فتؤدي مهامها على أكمل وجه، نرى في المقابل أولى الشرع اهتماما

بالغا بالأم ورعايتها فكما رسم لها واجباتها أعطاها حقوقا على أبنائها ليتحقق التوازن بين ما لها وما عليها. فقد أوصى الرحمة المهداة بالأم وقدمها على الاب عند التفضيل، وعد الشرع رضاه من رضاهما في آيات وأحاديث كثيرة. فمن ذلك:

١-قوله تعالى: «وقضى رَبُّكَ أَلَّا تعبدوا إلا إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَينِ إحسانا إِمَّا يبلغن عِندَكَ الكبر أحدهما أو كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لهما أُفّ وَلَا تَنهَرهُمَا وَقُل لَّهُمَا قولا كَرِيما وأخفض لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرحَمهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرا» / الإسراء: ٢٣، ٢٤.

٢-وقَرَنَ الله تعالى بر الوالدين بعبادته، وقرن عقوقهما بالشرك به سبحانه؛ قال تعالى: «وَاعْبُدُوا اللهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا» /النساء: ٣٦، وقَرَن الشكرَ لهما بشكره سبحانه وتعالى بقوله: «أَنِ ٱشكُر لِي وَلِوَٰلِدَيكَ» /لقمان: ١٤، وأكد على ذلك كله حتى في حال أمرهما لولدهما بالشرك.

٣-قال تعالى:«وَصَاحِبهُمَا فِي ٱلدُّنيَا مَعرُوفا» /لقمان: ١٥.

٤-وقال الرحمة المهداة عندما سأله أحد الصحابة«من أحق الناس بحسن الصحبة؟» قال: "أمك ثم أمك ثم أمك ثم ابوك"(٤٤)

٥-وعن عطاء بن يسار قال: أتى رجل لابن عباس -رضي الله عنهما -فقال: إني خطبت امرأة، فأبت أن تنكحني، وخطبها غيري، فأحبت أن تنكحه، فغرت عليها فقتلتها، فهل لي من توبة؟، قال: أمك حية؟، قال: لا، قال: تب إلى الله -عز وجل -وتقرب إليه ما استطعت، قال عطاء: فذهبت فسألت ابن عباس: لم سألته عن حياة أمه؟، فقال: إني لا أعلم عملا أقرب إلى الله -عز وجل -من بر الوالدة. (٤٥)

بل البر بالأم وسيلة للتكفير عن الذنوب الكثيرة.

٦-(يا رسولَ اللَّهِ إنِّي كنتُ أردتُ الجهادَ معَكَ أبتغي بذلِكَ وجْهَ اللَّهِ والدَّارَ الآخرةَ قالَ ويحَكَ أحيَّةٌ أمُّكَ قُلتُ نعَم يا رَسولَ اللَّهِ قالَ ويحَكَ الزَم رِجلَها فثمَّ الجنَّةُ) (٤٦)، فمن أراد رضا الله سبحانه وتعالى فعليه بأمّه، ومن يسعى إلى الجنة فأحد مفاتيحها بين يدي الأم، فالظفر بجنات الفردوس يحتاج إلى الإحسان للأم، وكسب رضاها

المطلب الثاني: الصورة الثانية: -المرأة اختاً أو بنتاً

دعا الإسلام الى رعاية الأخت الصغيرة عند فقد الابوين وتكريمها وحفظ حقوقها، واختيار الزوج الكفء لها، والدفاع عنها إذا ما شعر ان ظلما وقع عليها من قبل زوجها فإذا رجعت مطلقة إلى بيت أخيها، فعليه أن يكرمها، ولا يجبرها على الرجوع إلى زوجها إلا راضية راغبة معززة مكرمة، مع نصحها والقيام على شؤونها وقصد الخير لها.

١-وعند البخاري أن جابرًا قال: هلك أبي وترك سبع بنات أو تسع بنات، فتزوجت امرأة ثيباً، فقال لي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «تزوجت يا جابر؟» فقلت: "نعم"، فقال: «بكراً أم ثيبًا؟» قلت: بل ثيبًا، قال: «فهلا جارية تلاعبها وتلاعبك، وتضاحكها وتضاحكك؟» قال: فقلت له: إن عبد الله -أي أبوه-هلك وترك بنات، وإني كرهت أن أجيئهن بمثلهن، فتزوجت امرأة تقوم عليهن وتصلحهن فقال: «بارك الله لك»، أو قال: «خيرًا(٤٧)» فانظر الى هذا الفكر الراقي الذي طبقه جابر، لقد ضحى بحقه في الزواج ببكر، وتزوج ثيباً، من أجل أخواته، تدبر قوله: "فتزوجت امرأة تقوم عليهن وتصلحهن"، إنه لم يكن له هدف من

الزواج في المقام الأول إلا القيام على راحة أخواته، ولم يكن همه من الزواج إسعاد نفسه، بقدر تفكيره في إسعاد أخواته، فمن يطبق هذا الفكر السهل الممتنع في زماننا هذا؟ ومن يؤثر أخواته على نفسه في عصرنا هذا؟

٢-روى البخاري عن معقل بن يسار قال: زوجت أختاً لي من رجل، فطلقها، حتى إذا انقضت عدتها جاء يخطبها، فقلت له: "زوجتك وفرشتك وأكرمتك، فطلقتها، ثم جئت تخطبها؟ لا والله، لا تعود إليك أبدًا"، وكان رجلاً لا بأس به، وكانت المرأة تريد أن ترجع إليه، فأنزل الله هذه الآية: {فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ أَن يَنكِحْنَ أَزْوَاجَهُنَّ}/ البقرة:٢٣٢، فقلت: "الآن أفعل يا رسول الله"، قال: فزوجها (٤٨). فهذا صحابي يحرص على صيانة أخته، وصيانة حقوقها، ويدافع عنها أمام زوجها الذي طلقها.

٣-عن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «من كان له ثلاث بنات، أو ثلاث أخوات، أو ابنتان، أو أختان، فأحسن صحبتهن، واتقى الله فيهن فله الجنة» (٤٩).

٤-وعنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «من عال ثلاث بنات فأدبهن وزوجهن وأحسن إليهن فله الجن ة»، وفي رواية قال: «ثلاث أخوات أو ثلاث بنات أو بنتان أو أختان» (٥٠).

٥-وعن أم سلمة رضي الله عنها قالت: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول: «من أنفق على ابنتين أو أختين أو ذواتي قرابة يحتسب النفقة عليهما حتى يغنيهما الله من فضله عز وجل أو يكفيهما كانتا له سترا من النار» (٥١).

٦-وقال صلى الله عليه وآله وسلم: «من عال ابنتين أو ثلاث بنات أو أختين أو ثلاث أخوات حتى يمتن أو يموت عنهن كنت أنا وهو كهاتين، وأشار بأصبعيه السبابة والوسطى» (٥٢).

الفرع الثالث: الصورة الثالثة:-المرأة زوجة

وكرم الإسلام المرأة زوجة، فجعل الزواج منها آية من آياته فقال تعالى: (ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجاً لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة) / الروم :٢١، واستوصى بها النبي خيراً كما قال في خطبة حجة الوداع: «استوصوا بالنساء خيراً، فإنكم أخذتموهن بأمانة الله، واستحللتم فروجهن بكلمة الله» (٥٣).

وجعلها راعية وسيدة في بيتها فقال صلى الله عليه وآله وسلم: «والمرأة راعية في بيت زوجها وهي مسؤولة عن رعيتها» (٥٤)، وقال عليه السلام أيضاً: «الرجل سيد على أهله والمرأة سيدة في بيتها» (٥٥).

وجعل للزوجة حقوقاً على زوجها أجملها الله تعالى بقوله: (وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ) /النساء: ١٩، وقوله تعالى: (وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ) / البقرة:

وسأل صحابي النبي -صلّى الله عليه وسلّم-فقال: "يا رسولَ اللّهِ، ما حقُّ زَوجةِ أحدِنا علَيهِ؟، قالَ: أن تُطْعِمَها إذا طَعِمتَ، وتَكْسوها إذا اكتسَيتَ، أوِ اكتسَبتَ، ولا تضربِ الوَجهَ، ولا تُقَبِّح، ولا تَهْجُرْ إلَّا في البَيتِ"، (٥٣) فبينَ هذا الحديث ما سبقه وهو وجوب كسوة المرأة وإطعامها، والنهي عن ضرب وجهها وجواز أن تُهجر في البيت من باب التأديب في حال الإتيان بذنب.

المطلب الرابع: الصورة الرابعة: المرأة المسلمة

مظاهر احترام الإسلام للمرأة متعددة نذكر بعضاً منها مثل؛ لم يكن للمرأة حق الإرث، وكانوا يقولون في ذلك: لا يرثنا إلا من يحمل السيف، وجاء الإسلام فرفع

شأن المرأة في هذا الجانب وأقر لها حقاً في الميراث زوجة وأماً وبنتاً وأختاً قال الله تعالى: (لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرَ نَصِيبًا مَفْرُوضًا) / النساء:

ومن مظاهر تكريم المرأة في الإسلام الاهتمام بتعليمها، فعن أبي سعيد الخدري، قالت النساء للنبي: «غلبنا عليك الرجال، فاجعل لنا يومًا من نفسك، فوعدهن يومًا لقيهن فيه، فوعظهن، وأمرهن» (٥٦). يقول عمر بن الخطاب رضي الله عنه: «كنا في الجاهلية لا نعُد النساء شيئًا، فلما جاء الإسلام، وذكرهن الله رأينا لهن بذلك علينا حقًا» (٥٧).

وعن عبد الله بن عمرو -رضي الله عنه- أنَّ النبي -صلّى الله عليه وآله وسلّم- قال: "الدُّنْيَا مَتَاعٌ، وَخَيْرُ مَتَاعِ الدُّنْيَا الْمَرْأَةُ الصَّالِحَةُ" (٥٨).

وعن عمرو بن الأحوص -رضي الله عنه- أنَّ النبي -صلّى الله عليه وسلّم- قال: "أَلَا واستَوْصُوا بالنساءِ خيرًا ، فإنما هُن عَوَانٌ عندكم ، ليس تملكونَ منهن شيئًا غيرَ ذلك ، إلَّا أنْ يَأْتِينَ بِفَاحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ ،فإن فَعَلْنَ فاهجُروهن في المَضاجِعِ ،واضربوهن ضَرْبًا غيرَ مُبَرِّحٍ،فإن أَطَعْنَكم ، فلا تَبْغُوا عليهن سَبيلًا ، أَلَا وإنَّ لكم على نسائِكم حقًّا ، ولنسائِكم عليكم حقًّا ، فأمَّا حقُّكم على نسائِكم ؛ فلا يُوطِئْنَ فُرُشَكم مَن تَكْرَهون ، ولا يَأْذَنَّ في بيوتِكم لِمَن تَكْرَهون ، أَلَا وإنَّ حَقَّهُنَّ عليكم أن تُحْسِنوا إليهنَّ في كِسْوَتِهِنَّ وطعامِهِنَّ"(٥٩) .

المبحث الرابع

تعامل الرحمة المهداة-عليه الصلاة والسلام -مع الحيوان

الرِّفْقُ لا يكونُ في شيءٍ إلَّا زَانَه ،وهو نعمة ينعم بها الله على بعض عباده فمن حُرِم منه فقد حُرِم من خير كثير ،وقد علّمنا الرحمة المهداة كيفية التعامل مع الآخرين بالرفق والرحمة ، وقد نرى من حرم من هذه النعمة كيف يكون غليظ القلب ، جلد مع الناس الذين يشاركونه في الإنسانية أو في الدين بل أحياناً حتى مع من يشاركونه في الرحم ، فإذا كان هذا حاله مع بني البشر، الذين ربما يمنعونه ولو بالقوة او ينصحونه بالرفق أو يوقفونه عند حدوده إذا أبى النصح ، فمثل هذا ،كيف تتخيل يكون تعامله مع الحيوانات التي لاحول لها ولا قوة ؟، اذا كانت عنده ، حتما سيكون القسوة والعنف خلقه،والضرب وسيلته ،ويحملها أكثر من طاقتها. وفوق ذلك كله يبخل عليها بالطعام والشراب. كما فعل ذلك الفتى مع جَملِه الذي شكاه الى رسول الله -صلى الله عليه واله وسلم - واليك قصته، وبعض النماذج من رحمته صلى الله عليه وسلم مع الحيوان.

١-فعن عبد الله بن جعفر -رضي الله عنه قال: أردَفَني رسولُ اللَّهِ صلَّى اللَّهُ علَيهِ وآله وسلَّمَ خَلفَهُ ذاتَ يومٍ، فأسرَّ إليَّ حَديثًا لا أحدِّثُ بِهِ أحَدًا من النَّاسِ، وَكانَ أحبُّ ما استَتَرَ بِهِ رسولُ اللَّهِ صلَّى اللَّهُ علَيهِ وآله وسلَّمَ لحاجَتِهِ هَدفًا، أو حائِشَ نَخلٍ،

قال: فدخل حائطًا لرجل من الأنصار فإذا جمل، فلما رأى النَّبيَّ صلى الله عليه وسلم حنَّ وذرفت عيناه، فأتاه النَّبي صلى الله عليه وسلم فمسح ذفراه، فسكت، فقال: من رب هذا الجمل؟ لمن هذا الجمل؟ فجاء فتى من الأنصار فقال: لي يا رسول الله. فقال: أفلا تتقي الله في هذه البهيمة التي ملَّكك الله إياها؟ فإنه شكا إليَّ أنك تجيعه وتدئبه)) (٦٠).

وفي هذا الحديثِ يقولُ عبدُ الله بن جَعْفَرٍ رضِي اللهُ عنهما: "أَرْدَفَنِي رسول الله

صلَّى الله عليه وسلَّم خَلْفَهُ"، أي: أرْكِبَني خَلْفَهُ على دابَّتِه ورُكوبَتِه، "ذاتَ يوم"، أي: في يوم، "فَأَسَرَّ إليَّ حديثًا"، أي: أخبرَني بِسِرٍّ من الأَسْرارِ، "لا أُحَدِّثُ به أحدًا من النَّاس"؛ لأنَّ الرَّسول صلَّى الله عليه وسلَّم لمَّا أخْفَاها عن النَّاس لا يَنبَغي لي أنْ أُفْشِيَها، "وكان أحبُّ ما اسْتَتَرَ به رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّم"، أي: أحبُّ شيءٍ يَسْتَتِرُ به عن أَعْيُنِ النَّاس، "لِحاجَتِهِ"، أي: لِقَضاءِ حاجَتِهِ، "هَدَفًا"، أي: ما ارْتَفَعَ من الأرض من بناءٍ وغيره، أو "حائِشَ نَخْلٍ"، وهو النَّخْلُ المُلْتَفُّ المُجْتَمِع بعضُه على بعضٍ كأنَّه لالتِفافِه يَحوشُ بعضُه بعضًا، "قال" عبدُ الله بن جَعْفَرٍ: "فَدخلَ" رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّم، "حائِطًا"، أي: بُسْتانًا، "لِرَجُلٍ من الأنصار" لم يَذكُر اسمَه، "فإذا جَمَلٌ" مَوجودٌ في الحائِط، "فلمَّا رأى" الجَمَلُ النَّبيَّ صلَّى الله عليه وسلَّم "حَنَّ"، أي: بَكَى بالحَنِينِ، "وَذَرَفَتْ عَيْنَاهُ"، أي: سالَتْ عَيْنَاهُ دَمْعًا، فأتاه النَّبيُّ صلَّى الله عليه وسلَّم "فَمسحَ ذِفْرَاهُ"، وهو المَوضِع الَّذي يَعْرَقُ من قَفا البَعير عند أُذُنِه، وهُما ذِفْرَيانِ، "فَسكتَ"، أي: عن الحَنينِ والدَّمْعِ، "فَقال" رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّم: "مَنْ رَبُّ هذا الجَمَلِ"، أي: مَنْ صاحِبُ هذا الجَمَلِ، "لِمَنْ هذا الجَمَلُ؟"، أي: مَن المَسْؤول عنه، فجاء فَتًى من الأنصار "فقال" الفَتَى: لي يا رسولَ الله. "فقال" رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّم: "أَفَلَا تَتَّقِي الله"! أي: لماذا لا تَتَّقِي اللهَ في هذه البَهيمَةِ التي مَلَّكَكَ الله إيَّاها؟؛ "فإنَّه"، أي: الجَمَلَ، "شَكَا إليَّ أنَّكَ تُجيعُهُ"، أي: لا تُطْعِمُهُ حتَّى يُؤْذِيَه الجُوعُ، "وتُدْئِبُهُ"، أي: تُكِدُّهُ وتُتْعِبُهُ في العَمَلِ الكثير.

٢-- عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: ((كنَّا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في سفر، فانطلق لحاجته فرأينا حُمرة (طائر صغير كالعصفور) معها فرخان(ولداها)، فأخذنا فرخيها، فجاءت الحُمرةُ فجعلت تعرِش، فجاء النَّبي صلى الله عليه وسلم فقال: (من فجع هذه بولدها؟ ردُّوا ولدها إليها، ورأى قرية نمل قد حرقناها، فقال: من حرَّق هذه؟ قلنا: نحن، قال: إنَّه لا ينبغي أن يعذِّب بالنَّار إلَّا ربُّ النَّار)) (٦١) .

وروي أنه قد مرَّ على النبي-صلى الله عليه واله وسلم-حمار قد وسم في وجهه-أي تم كي وجهه لتمييزه-فقال: "لعن الله الذي وسمه"(٦٢) .

وروي أنه قد قال رجل لرسول الله -صلى الله عليه وآله وسلم-يارسول الله، إني لأرحم الشاة أن اذبحها، قال:" والشاة إن رحمتها، رحمك الله مرتين "(٦٣).

وعن ابي هريرة أنَّ رَسولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ قالَ: بَيْنا رَجُلٌ يَمْشِي، فاشْتَدَّ عليه العَطَشُ، فَنَزَلَ بِئْرًا، فَشَرِبَ مِنْها، ثُمَّ خَرَجَ فإذا هو بكَلْبٍ يَلْهَثُ يَأْكُلُ الثَّرَى مِنَ العَطَشِ، فقالَ: لَقَدْ بَلَغَ هذا مِثْلُ الذي بَلَغَ بي، فَمَلَأَ خُفَّهُ، ثُمَّ أمْسَكَهُ بفِيهِ، ثُمَّ رَقِيَ، فَسَقَى الكَلْبَ، فَشَكَرَ اللَّهُ له، فَغَفَرَ له، قالوا: يا رَسولَ اللَّهِ، وإنَّ لنا في البَهائِمِ أجْرًا؟ قالَ: في كُلِّ كَبِدٍ رَطْبَةٍ أجْرٌ(٦٤).

أمَر اللهُ عزَّ وجلَّ بالرَّحْمَةِ لجَميعِ المَخلوقاتِ، وجَعَل الإسلامَ دِينَ الرَّحمَةِ والإحسانِ، ومِن شِدَّةِ عِنايَةِ الإسلامِ بهذا المَبدَأِ العَظيمِ، فإنَّه أمَر بالإحْسانِ لكُلِّ شَيءٍ حتَّى للحَيَوانِ، ووعَدَ على ذلك بالأجرِ الجَزيلِ.

وفي هذا الحديثِ يَحكِي أبو هُرَيرةَ رَضيَ اللهُ عنه عن رَسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ أنَّه قال: بيْنما رجُلٌ -ظاهِرُ هذه القِصَّةِ أنَّها وقَعَت في الأُمَمِ السَّابِقةِ- يَمْشي، فاشتدَّ عليه العطَشُ، فنزَل بِئرًا، فشَرِب منها، ثمَّ خَرَج مِن البئرِ، فرَأى

كَلْبًا يَلهَثُ، أي: يَرتفِعُ نفَسُه بيْن أضلاعِه، أو يُخرِجُ لِسانَه، يَأكُل الثَّرى، أي: يَلعَقُ بفَمِه الأرضَ النَّديَّةَ بسَببِ العطش. فقال الرَّجُلُ: لقدْ أصابَ هذا الكَلْبَ مِن العَطَشِ مِثلُ ما أصابَني، فنزَلَ البئرَ فمَلأَ خُفَّه -والخُفُّ: ما يُلبَسُ في الرِّجلَينِ مِن جِلدٍ رَقيقٍ- ثمَّ أمسكَه بفَمِه؛ ليَصعَدَ بيَدَيه مِن البئرِ، وذِكرُ الخُفِّ، وطَريقةِ صُعودِ الرَّجُلِ، وإمساكِه للخُفِّ بفَمِه؛ كُلُّ هذا لبَيانِ عُسْرِ ومَشقَّةِ المُرتَقى مِن البئرِ، وامتِهانِ الرَّجُلِ لِنَفسِه لِسُقْيا الكَلْبِ، واستَعمَلَ الرَّجُلُ خُفَّه؛ لبَيانِ اجتِهادِه وحِرصِه على بَذْلِ ما معه، فلمَّا صَعِدَ الرَّجُلُ بالماءِ سَقى الكلْبَ، واللهُ سُبحانَه وتعالَى هو المطَّلِعُ على فِعْلِه، فشَكَرَ اللهُ عزَّ وجَلَّ للرَّجُلِ صَنيعَه، فغَفَرَ له ذَنْبَه، وفي روايةٍ للبُخاريِّ: «فأدْخَلَه الجنَّةَ»؛ فالمرادُ بالشُّكرِ الجزاءُ؛ إذ الشُّكرُ نَوعٌ مِن الجَزاءِ.

فلَمَّا سَمِعَ الصَّحابةُ هذه القِصَّةَ، سَأَلوا النَّبيَّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ عن حُسنِ مُراعاتِهم للبَهائِم، والإحسانِ إليها: هلْ يَترتَّبُ عليه أجرٌ؟! فأجابَهُم صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ بقَولِه: «في كلِّ كَبِدٍ رَطْبةٍ أجرٌ»، والمعْنى: في كلِّ شَيءٍ فيه رُوحٌ ثَوابٌ ما دام الإنسانُ يُحسِنُ إليه، وعَبَّرَ بالكَبِدِ؛ لأنَّها العُضوُ الَّذي يَحتاجُ إلى الماءِ، فإذا يَبِسَ هلَكَ الحَيوانُ؛ فكُلُّ بَهيمةٍ أحسَنْتَ إليها بسَقيٍ، أو إطعامٍ، أو وِقايةٍ مِن حَرٍّ أو بَرْدٍ، سواءٌ كانت لكَ، أو لغَيرِك مِن بني آدَمَ، أو ليست مِلكًا لأحَدٍ -فإنَّ لك في ذلك أجرًا عندَ اللهِ.

وفي الحديثِ: الحثُّ على الإحسانِ إلى النَّاسِ؛ لأنَّه إذا حَصَلَت المَغفرةُ بسَببِ سَقْيِ الكلْبِ، فسَقْيُ بَني آدَمَ أعظَمُ أجْرًا. وفيه: فضْلُ سَقْيِ الماءِ وكَونُه مِن أعظَمِ القُرُباتِ.

وفيه: التَّنفيرُ مِن الإساءةِ إلى البَهائمِ والحَيوانِ. (٦٥)

٣-كما نَجد رحمته -صلى الله عليه وآله وسلم- مع النبات ، فعن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما، أنَّ النَّبي صلى الله عليه وسلم: ((كان يقوم يوم الجمعة إلى شجرة أو نخلة، فقالت امرأة من الأنصار، أو رجل: يا رسول الله، ألا نجعل لك منبرًا؟ قال: إن شئتم. فجعلوا له منبرًا، فلما كان يوم الجمعة دفع إلى المنبر، فصاحت النخلة صياح الصبي، ثم نزل النَّبي صلى الله عليه وسلم فضمَّه إليه، تئنُّ أنين الصبي الذي يسكن، قال: كانت تبكي على ما كانت تسمع من الذكر عندها)) .

جاءَ الإسلامُ بالرَّحمةِ لكلِّ الخَلْقِ إنْسًا وجِنًّا وحيوانًا وطيرًا وغيرَ ذلك، ومِن مظاهر تلك الرحمة: النَّهي عنْ أنْ تُعذَّبَ الحيواناتُ بالنَّارِ أو أنْ تُفْجَعَ بأَخْذِ صِغارِها أو بَيضِها، كما في هذا الحديثِ، الذي يقولُ عبدُ الله بنُ مسعودٍ رَضِيَ اللهُ عَنْه: "كُنَّا مع رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم في سَفَرٍ فانْطَلَقَ لحاجته"، أي: تَرَكَ المسيرَ لقضاءِ حاجته ، "فرَأَينا حُمَّرةً"، وهو طائرٌ صغيرٌ يُشْبِه العُصفورَ، "معَها فَرْخانِ فأَخَذْنا فَرْخَيْها"، والفَرْخُ هو الصَّغيرُ مِنْ أولادِ الطَّيْرِ، "فجاءتْ الحُمَّرةُ فجَعَلتْ تُفرِّشُ"، أي: تَطيرُ وتُرفْرِفُ فزعًا؛ لفَقْدِ فَرْخَيْها وصَغيرَيْها، "فجاء النَّبيُّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم فقال: مَنْ فَجَعَ هذه بولَدِها؟" (٦٦) . أي: مَنْ أحْزَنَها وخوَّفَها بأَخْذِ صِغارِها؟ "رُدُّوا ولَدَها إليها"، أي: وأَمَرَ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم بردِّ الصِّغارِ إليها، وهذا مِنْ رحمتِه صلَّى اللهُ عليه وسلَّم.

ثم قال: "ورَأى"، أي: النَّبيُّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم، "قريةَ نَمْلٍ قَدْ حرَّقْنَاها"، أي: حُرِّقَتْ بالنَّارِ، والمُرادُ بالقَريةِ: هي مَساكِنُها، فقال صلَّى اللهُ عليه وسلَّم: "مَنْ حَرَّقَ هذه؟" قال بعضُ أصحابِه

رَضِيَ اللهُ عَنْهم: "نَحْنُ"، فقال النَّبيُّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم: "إنَّه لا يَنْبَغي أنْ يُعذَّبَ بالنَّارِ إلَّا ربُّ النَّارِ"(٦٧)، أي: ليس لأيِّ إنسان أن يُعذِّب أيَّ رُوحٍ إنسانًا كانتْ أو حيوانًا؛ لأنَّه لا يُعذِّبُ بالنَّارِ إلَّا خالِقُها، وهو اللهُ عزَّ وجلَّ، وهذا نَهْيٌ صريحٌ عَن الحَرْقِ بالنَّارِ أو التَّعْذيبِ بِها؛ لأنَّه أَمْرٌ مُخْتَصٌّ باللهِ فَقَط.

أنَّ رَسولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ قالَ: بَيْنا رَجُلٌ يَمْشي، فاشْتَدَّ عليه العَطَشُ، فَنَزَلَ بِئْرًا، فَشَرِبَ منْها، ثُمَّ خَرَجَ فإذا هو بكَلْبٍ يَلْهَثُ يَأْكُلُ الثَّرى مِنَ العَطَشِ، فقالَ: لقَدْ بَلَغَ هذا مِثْلُ الذي بَلَغَ بي، فَمَلَأَ خُفَّهُ، ثُمَّ أمْسَكَهُ بفِيهِ، ثُمَّ رَقِيَ، فَسَقَى الكَلْبَ، فَشَكَرَ اللَّهُ له، فَغَفَرَ له، قالوا: يا رَسولَ اللَّهِ، وإنَّ لنا في البَهائِمِ أجْرًا؟ قالَ: في كُلِّ كَبِدٍ رَطْبَةٍ أجْرٌ(٦٨).

أمَر اللهُ عزَّ وجلَّ بالرَّحْمَةِ لجَميعِ المَخلوقاتِ، وجَعَل الإسلامَ دِينَ الرَّحمَةِ والإحسانِ، ومِن شِدَّةِ عِنايَةِ الإسلامِ بهذا المَبدَأِ العَظيمِ، فإنَّه أمَر بالإحْسانِ لكُلِّ شَيءٍ حتَّى للحَيَوانِ، ووعَدَ على ذلك بالأجرِ الجَزيلِ.

وفي هذا الحديثِ يَحكِي أبو هُرَيرةَ رَضيَ اللهُ عنه عن رَسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ أنَّه قال: بيْنما رجُلٌ -ظاهِرُ هذه القِصَّةِ أنَّها وقَعَت في الأُمَمِ السَّابِقةِ- يَمْشي، فاشتدَّ عليه العطَشُ، فنزَل بِئرًا، فشَرِب منها، ثمَّ خَرَج مِن البئرِ، فرَأى كَلْبًا يَلهَثُ، أي: يَرتفِعُ نفَسُه بيْن أضلاعِه، أو يُخرِجُ لِسانَه، يَأكُل الثَّرى، أي: يَلعَقُ بفَمِه الأرضَ النَّديَّةَ بسَببِ العطش. فقال الرَّجُلُ: لقدْ أصابَ هذا الكَلْبَ مِن العَطَشِ مِثلُ ما أصابَني، فنزَلَ البئرَ فمَلأَ خُفَّه -والخُفُّ: ما يُلبَسُ في الرِّجلَينِ مِن جِلدٍ رَقيقٍ- ثمَّ أمسكَه بفَمِه؛ ليَصعَدَ بيَدَيه مِن البئرِ، وذِكرُ الخُفِّ، وطَريقةِ صُعودِ الرَّجُلِ، وإمساكِه للخُفِّ بفَمِه؛ كُلُّ هذا لبَيانِ عُسْرِ ومَشقَّةِ المُرتَقى مِن البئرِ، وامتِهانِ الرَّجُلِ لِنَفسِه لِسُقْيا الكَلْبِ، واستَعمَلَ الرَّجُلُ خُفَّه؛ لبَيانِ اجتِهادِه وحِرصِه على بَذْلِ ما معه، فلمَّا صَعِدَ الرَّجُلُ بالماءِ سَقى الكلْبَ، واللهُ سُبحانَه وتعالَى هو المطَّلِعُ على فِعْلِه، فشَكَرَ اللهُ عزَّ وجَلَّ للرَّجُلِ صَنيعَه، فغَفَرَ له ذَنْبَه، وفي روايةٍ للبُخاريِّ: «فأدْخَلَه الجنَّةَ»؛ فالمرادُ بالشُّكرِ الجزاءُ؛ إذ الشُّكرُ نَوعٌ مِن الجَزاءِ.

فلَمَّا سَمِعَ الصَّحابةُ هذه القِصَّةَ، سَأَلوا النَّبيَّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ عن حُسنِ مُراعاتِهم للبَهائِمِ، والإحسانِ إليها: هلْ يَترتَّبُ عليه أجرٌ؟! فأجابَهُم صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ بقَولِه: «في كلِّ كَبِدٍ رَطْبةٍ أجرٌ»، والمعْنى: في كلِّ شَيءٍ فيه رُوحٌ ثَوابٌ ما دام الإنسانُ يُحسِنُ إليه، وعَبَّرَ بالكَبِدِ؛ لأنَّها العُضوُ الَّذي يَحتاجُ إلى الماءِ، فإذا يَبِسَ هلَكَ الحَيوانُ؛ فكُلُّ بَهيمةٍ أحسَنْتَ إليها بسَقيٍ، أو إطعامٍ، أو وِقايةٍ مِن حَرٍّ أو بَرْدٍ، سواءٌ كانت لكَ، أو لغَيرِك مِن بني آدَمَ، أو ليست مِلكًا لأحَدٍ -فإنَّ لك في ذلك أجرًا عندَ اللهِ.

وفي الحديثِ: الحثُّ على الإحسانِ إلى النَّاسِ؛ لأنَّه إذا حَصَلَت المَغفرةُ بسَببِ سَقْيِ الكلْبِ، فسَقْيُ بَني آدَمَ أعظَمُ أجْرًا.

وفيه: فضْلُ سَقْيِ الماءِ وكَونُه مِن أعظَمِ القُرُباتِ.

وفيه: التَّنفيرُ مِن الإساءةِ إلى البَهائمِ والحَيوانِ.

٤-عُذِّبَتِ امْرَأَةٌ في هِرَّةٍ أوْثَقَتْها، فَلَمْ تُطْعِمْها، ولَمْ تَسْقِها، ولَمْ تَدَعْها تَأْكُلُ مِن خَشاشِ الأرْضِ(٦٩).

٥-إنَّ اللهَ كتَبَ الإحسانَ على كلِّ شيءٍ، فإذا قتَلتُم فأَحْسِنوا القِتْلَةَ، وإذا ذبَحتُم فأَحْسِنوا الذَّبْحَ، ولْيُحِدَّ أحَدُكم شَفْرَتَه، ولْيُرِحْ ذَبيحتَه(٧٠).

ثِنْتَانِ حَفِظْتُهُما عن رَسولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عليه وسلَّمَ، قالَ: إنَّ اللَّهَ كَتَبَ الإحْسَانَ علَى كُلِّ شيءٍ، فَإذَا قَتَلْتُمْ فأحْسِنُوا القِتْلَةَ، وإذَا ذَبَحْتُمْ فأحْسِنُوا الذَّبْحَ، وَلْيُحِدَّ أَحَدُكُمْ شَفْرَتَهُ، فَلْيُرِحْ ذَبِيحَتَهُ(٧١).

الإسلامُ دِينُ رَحمةٍ في كُلِّ شَيءٍ، وفي جَميعِ الأحوالِ حتَّى في حالِ قَتلِ مَا يَستَحِقُّ القَتْلَ، فإنَّه يَكونُ برَحمةٍ.

وفي هذا الحديثِ يُبَيِّنُ النبيُّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم أنَّ اللهَ كَتبَ الإحسانَ على كُلِّ شيءٍ، يَعني: أنَّ الإحسانَ لَيس خاصًّا بشَيءٍ مُعَيَّنٍ مِنَ الحياةِ، بل هُو في جَميعِ الحياةِ. ثُمَّ بَيَّنَ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم أنَّ مِنَ الإحسانِ إلى ما يُذبَحُ أو يُقتَلُ أنْ يُحِدَّ الذَّابحُ شَفرَتَه، وهي السِّكِّينُ أو السَّيفُ الَّذي سَيَقْتِلُ أو يَذبَحُ به، كما بَيَّنَ أيضًا أنَّ مِنَ الإحسانِ إلى الذَّبيحَةِ أنْ يُريحَها عِندَ الذَّبحِ بحيثُ يُمِرُّ السِّكِّينَ بقُوَّةٍ وسُرعَةٍ.

في الحديثِ: الحثُّ على الإحسانِ في كُلِّ شَيءٍ؛ لأنَّ اللهَ تَعالى كتَبَ ذلك، أي: شَرَعَه شَرعًا مُؤَكَّدًا.

وفيه: حُسْنُ تَعليمِ النَّبيِّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم بضَرْبِ الأمْثالِ؛ لأنَّ الأمْثِلَةَ تُقرِّبُ المعانيَ.

الخاتمة:

ختمَ عمرَه الشريفَ صلواتُ الله عليه وآله وسلم-بحياةٍ حافلةٍ بالخلقِ العظيمِ ونفسٍ تفيضُ بالعاطفةِ، ورسمتْ للناسِ كافةً أسمى معاني الرحمةِ، باللينِ والرفقِ والسخاءِ، ما جعلَه قدوةً الى قيامِ الساعةِ وكان رجلَ سلامٍ ومحبّةٍ من قبلِ أنْ يُبعثَ نبياً يومَ حلَّ نزاعَ القبائلِ العربيةِ في أيهما تنالُ شرفَ وضعِ الحجرِ الأسود.

واليومَ نجد أنفسنا بأمس الحاجة إلى هذه الشمائل المحمدية؛ لمواجهة هذه التحديات الجسام التي يعاني منها المسلمون في يومنا هذا، آن لنا الأوان أن نبحر في هذه الشخصيةِ الطاهرةِ، ونستخرج منها اللآلئ والدروسَ الرائعةَ من سيرةِ سيدِ الأولين والاخرين، ونجعلَها انطلاقةً لتحقيقِ خيري الدنيا والآخرةِ؛ ولنخرجَ من وضعِنا المأزوم الناتجِ عن الانحرافاتِ عن نهجِهِ وهديِهِ ومسارِهِ الشريفِ، بعد أن فقدتْ مجتمعاتُنا التراحمَ والتوادد بينها.

إننا نجدُ العالَمَ اليوم يضجُّ بالظلم، وانتهاكاتِ حقوقِ الإنسانِ، ولا يستقيم أمر البشرية إلا بالتحلي بمكارمِ الأخلاقِ التي جاءتْ بها القيمُ السماويةُ والشريعةُ المحمّديةُ، وإلا سيكون مصير الأمة المخالفة المنحرفة مصير الأمم السالفة، سنة الله في خلقه. (وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا) الأحزاب/٦٢ .

الهوامش:

(١) ينظر مقاييس اللغة /لابن فارس، ج٢: ص ٤٩٨.
(٢) لسان العرب/لابن منظور، ج١٢: ص ٢٢٠.
(٣) المفردات في غريب القرآن/ للأصفهاني، ص١٩٧.
(٤) التحرير والتنوير /لابن عاشور /ج٢٦: ص٢١.
(٥) الكليات للكفوري، ص٤٧١.
(٦) صحيح مسلم، رقم الحديث (٢٣١٦)
(٧) أخرجه البخاري (٥٩٩٧)، ومسلم (٢٣١٨)، وأبو داود (٥٢١٨)، والترمذي (١٩١١)، وأحمد (١٠٦٧٣) واللفظ له
(٨) صحيح مسلم، رقم الحديث (٢٣١٦)
(٩) الكافي /ج٣: ص٢٦٣ ح٤٥. ذكرى الشيعة في احكام الشريعة /الشهيد الأول، ج٢: ص ٤٧.
(١٠) بحار الأنوار / العلامة المجلسي /ج٤٣: ص٣٠٠، واخرجه النسائي (١١٤١) واللفظ له، وأحمد(١٦٠٧٦)
(١١) صحيح الترمذي (٣٧٧٤) واللفظ له، ورقمه: ٣٧٧٤ | وهو حديث: صحيح /صححه الالباني. كما أخرجه أبو داود، (١١٠٩)، والنسائي (١٤١٣)، وابن ماجه (٣٦٠٠)، وأحمد (٢٢٩٩٥).
(١٢)أخرجه البخاري (٥٩٩٧)، ومسلم(٢٣١٨).
(١٣)أخرجه البخاري (٥٩٩٦)، ومسلم (٥٤٣).
(١٤) صحيح البخاري (٥٩٩٦) .
(١٥) صحيح الترمذي/ رقمه: ٢٥١٦ | قال الالباني حديث صحيح.
(١٦) المصدر السابق
(١٧):أخرجه البخاري (١٣٠٣) بنحوه، ومسلم (٢٣١٥)، وأحمد (١٣٠١٤) باختلاف يسير، وأبو داود (٣١٢٦) واللفظ له
(١٨) أخرجه البخاري(٥٤٦٧).
(١٩): صحيح مسلم (٢٣٢٩) .
(٢٠)صحيح البخاري (٤٩٧١)ومسلم (٢١٥٠)، واللفظ لابي داود (٤٩٧١)،والنغير : طائر يشبه العصفور(فتح الباري/ج١:ص١٩٧)
(٢١) صحيح البخاري (٥٦٢٠)
(٢٢) ارشاد الساري /للعسقلاني /ج٤: ص٥٤ والغلام هو ابن عباس (رضي الله عنهما)
(٢٣) المحلى لابن حزم /ج١١ ص٨٥.
(٢٤) المصدر السابق.
(٢٥) اخرجه البخاري(٧٠٨)، ومسلم (٤٦٩).
(٢٧) أخرجه مسلم (٢٦٣١)
(٢٨) أخرجه مسلم (٢٦٣١)، والترمذي (١٩١٤) بنحوه مختصراً، وأحمد (١٢٤٩٨) باختلاف يسير (٢٩٦).
إسناده صحيح على شرط الشيخين
(٢٩) صحيح الترمذي الراوي: سهل بن سعد الساعدي الرقم: ١٩١٨ | الحديث: صحيح.
(٣٠) أخرجه أبو داود في سننه (٥١٤٩) وأحمد في المسند

(٢٤٠٠٦، ٢٤٠٠٨) وغيرهما بإسناد ضعيف
(٣١) صحيح الترغيب والترهيب(٢٥٤٤).
(٣٢) رواه الإمام أحمد في " المسند " (٣١ / ٣٧٠)، وقال الألباني في " صحيح الترغيب والترهيب " (٢ / ٣٩٤): صحيح لغيره، وكذا قال محققوا المسند.
(٣٣) صحيح البخاري (٢٧٦٦)
(٣٤) صحيح البخاري: (١٣٥٦)
(٣٥) صحيح أبي داود: ٤٩٩١ | قال عنه الالباني: حديث حسن.
(٣٦) صحيح مسلم /: (٣٠٠٩)، صحيح الجامع / الرقم: (٥٨٦٨) | قال الالباني: حديث: حسن
(٣٧) صحيح البخاري: (٧٢٦٧)
(٣٨) فتح الباري شرح صحيح البخاري ٥/ ٢١١.
(٣٩) المصدر السابق نفسه.
(٤٠) صحيح مسلم ٣/ ١٢٤٣
(٤١) الرحيق المختوم /الكفوري/ص٢٥٨
(٤٢): صحيح الجامع: (٤٧٦٥) قال الالباني: حديث صحيح.
(٤٣) صحيح البخاري (١٧٩٨)
(٤٤) صحيح البخاري: (٥٩٦٥)
(٤٥) الادب المفرد /للبخاري رقم الحديث(٤)
(٤٦) جامع المسانيد والسنن /(٥٥٢٩)
(٤٧) صحيح البخاري(٥٣٦٧).
(٤٨) صحيح ابي داوود /(٢٠٨٧)
(٤٩) اخرجه مسلم (٢٦٣١)، والترمذي(١٩١٤) بنحوه مختصراً، وأحمد(١٢٤٩٨) باختلاف يسير.
(٥٠) الكافي الشاف/لابن حجر العسقلاني/رقم الحديث(٧١)
(٥١) صحيح ابن حبان /(٤٤٩١)، واخرجه البخاري(٢٥٥٤)، ومسلم(١٨٢٩) باختلاف يسير.
(٥٢) صحيح الجامع/(٤٥٦٥).
(٥٣) صحيح ابي داوود /(٢١٤٢): حديث صحيح.
(٥٤) صحيح البخاري /(١٠١).
(٥٥) صحيح البخاري /(٤٦٢٩).
(٥٦) مختصر المقاصد / اخرجه مسلم (١٤٦٧)
(٥٧) صحيح الترمذي/(٣٠٨٧) حديث حسن.
(٥٨) صحيح ابي داود /(٢٥٤٩) .
(٥٩) صحيح ابن ماجة /(١٥١٣) حديث حسن.
(٦٠) الترغيب والترهيب /ج٣: ص٢١٤، اخرجه أبو داود (٢٥٤٩)، واحمد(١٧٤٥).
(٦١) تحقيق رياض الصالحين /للإمام النووي م(٥١٩)
اسناده صحيح.
(٦٢) صحيح مسلم /(٢١١٧).
(٦٣) الصحيح المسند /(١٠٨١) حديث صحيح، ومجمع الزوائد/ج٤: ص٣٥، رجاله ثقات.
(٦٤) صحيح البخاري /(٢٣٦٣)
(٦٥) شرح رياض الصالحين /ج٢: ص١٧١-١٧٤.
(٦٦) صحيح البخاري/(٣٥٨٤).
(٦٧) صحيح ابي داود /(٥٢٦٨) .
(٦٨) صحيح البخاري/(٢٣٦٣).
(٦٩) صحيح البخاري/(٣٤٨٢).
(٧٠) صحيح ابي داود /(٢٨١٥) .
(٧١) أخرجه مسلم ((١٩٥٥)

المصادر والمراجع

أولاً: القرآن الكريم .
ثانيا: كتب السنة النبوية.
١-الادب المفرد الجامع للآداب النبوية / لمحمد بن إسماعيل، ابو عبد الله البخاري، تحقيق: محمد ناصر الدين الالباني، دار الصديق ،٢٠٠٠م. ط.
٢-بحار الانوار/ للعلامة محمد باقر المجلسي، دار احياء التراث العربي ط٢ .
٣-التحرير والتنوير/ محمد الطاهر ابن عاشور، مؤسسة التاريخ العربي، ط١، بيروت ١٤٢٠-/٢٠٠م.
٤-الرحيق المختوم /للشيخ صفي الرحمن المبار كفوري /وزارة الأوقاف بقطر، سنة ٢٠
٥-سنن ابن ماجة / محمد بن يزيد، أبو عبد الله القزويني، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي ، بيروت، دار الفكر، د.ت.
٦-سنن ابي داود / سليمان بن الأشعث السجستاني الازدي، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، دار الفكر، بيروت، د.ت.
٧-سنن الترمذي/ ابو عيس محمد بن عيس بن سورة بن الضحاك ت(٢٧٩)، تحقيق أحمد شاكر ومحمد فؤاد عبد الباقي وإبراهيم عطوة عوض، مصر، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وشركاؤه
٨-سنن النسائي /السنن الكبرى / أبو عبد الرحمن احمد بن شعيب بن علي بن سنان بن عمر بن دينار النسائي (٣٠٣هـ) مطبعة الرسالة، ٢٠١٥م.
٩-صحيح ابن حبان/ محمد بن حبان بن احمد بن حبان بن معاذ بن معبد التميمي ابو حاتم الدارمي البستي، ت ٣٥٤ه، تحقيق: شعيب الأرناؤوط، بيروت، مؤسسة الرسالة للنشر، ط٢ ،١٤١٤-١٩٩٣م
١٠-صحيح البخاري/ محمد بن إسماعيل البخاري، تحقيق: مصطفى ديب البغاء، دار ابن كثير، ودار اليمامة، ط٣، بيروت، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م.
١١-صحيح الترغيب والترهيب /للألباني (محمد ناصر الدين)، مكتبة المعارف، الرياض، ط٥.
١٢-صحيح مسلم/ مسلم بن الحجاج أبو الحسين القشيري النيسابوري، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، دار احياء التراث العربي، بيروت.
١٣-الصحيح المسند مما ليس في الصحيحين /لمقبل بن هادي الوادعي /دراسة الاثار-اليمن سنة ٢٠٠٥، ط٣.
١٤-فتح الباري شرح صحيح، البخاري/ ابن حجر العسقلاني (احمد بن علي بن محمد الكناني العسقلاني/تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي واخرون، المطبعة السلفية القاهرة، ط١ سنة ٢٠١٥م.
١٥-الكافي الشاف في تخريج أحاديث الكشاف/لابن حجر العسقلاني، دار عالم المعرفة -بيروت:
١٦-الكافي/محمد بن يعقوب الكليني (٣٢٩ه) تحقيق: علي أكبر الغفاري، ط٥ل، ١٣٦٣م.
١٧-الكليات/ أبو البقاء الكفوي، مؤسسة الرسالة، ط٢، بيروت، ١٤١٩هـ.
١٨-لسان العرب/ محمد بن مكرم بن منظور الافريقي، دار صادر، ط١، بيروت.
١٩ -المحلى بالآثار /لابن حزم /أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الاندلسي القرطبي الظاهري (ت٤٥٦) ه، دار الفكر بيروت، ب.ط.
٢٠-مختصر المقاصد الحسنة في بيان كثير من الأحاديث المشتهرة /لمحمد عبد الباقي الزرقاني، المكتبة الإسلامية، ١٠٥٥ه-١٦٤٥م.
٢١-مسند احمد بن حنبل، / ابو عبد الله احمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن اسد الشيباني ت٢٤١ه تحقيق: شعيب الأرناؤوط وعادل مرشد واخرون، بيروت، مؤسسة الرسالة، ط١، ٢٠٠١م-١٤٢١ه
٢٢-المفردات في غريب القران/ الراغب الاصفهاني، دار المعرفة، ط٣، بيروت، ١٤٢٢هـ
٢٣-مقاييس اللغة/ أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، بيروت، ١٣٩٩هـ ١٩٧٩م.

فصلية مُحَكَمة تُعنى بالبحوث والدراسات العلمية والإنسانية والفكرية
العدد (٣) السنة الثانية ذو القعدة ١٤٤٣ هـ حزيران ٢٠٢٢ م
الذكر البيض

المنهج الإسلامي التكاملي للحد من الجرائم الاقتصادية
جرائم الغش والتدليس انموذجا

أ. م. د خضير جاسم حالوب أ. د ناهدة جليل الغالبي
جامعة كربلاء/كلية العلوم الإسلامية

الملخص:
إنّ الإسلام دين وشريعة ودولة فهو الدعامة الأساس في بناء المجتمع؛إذ تنبع من تعاليمه القيم الإنسانية، وعلى هدى فلسفته يتعامل الناس ويتحركون ، ومن قصصه يأخذون الموعظة الحسنة ومن فيض عذوبته وخيره يتجهون الى خالقهم في كل شؤونهم ؛فالشريعة الإسلامية تهدف إلى إقامة العدل والاستقامة لبناء المجتمع الفاضل،إذ لا نجد سبيلاً أقوى من الدين للإصلاح الخلقي وتنشئة الإنسان على السلوك المستقيم ، فالقيم الثابتة التي يمنحها القانون الالهي هي صمام الأمان له في الدنيا والأخرة .
ويعد الغش والتدليس والخديعة والغرر من أكبر الجرائم الاقتصادية التي يعاني منها المجتمع والتي تؤدى إلى أكل أموال الناس بالباطل ، وتسبب خللاً وفوضى في المعاملات ، كما تضعف الثقة بين الناس ، وربما تؤدى بعضها إلى هلاك الأبدان والأعيان والأموال.

ABSTRACT :

Islam is a religion، a law، and a state. It is the mainstay in building society، as human values stem from its teachings. Based on its philosophy، people interact and move، and from its stories they take good advice and from the abundance of its sweetness and goodness، they turn to their Creator in all their affairs. Islamic law aims to establish justice and integrity to build a virtuous society، as we do not find a stronger way than religion for moral reform and the upbringing of man on upright behavior. .Fraud، deception، deception and deception are among the biggest economic crimes that society suffers from، which lead to eating people،s money unjustly، and cause imbalance and chaos in transactions، and weaken trust between people، and some of them may lead to the destruction of bodies، objects and money.

المقدمة:
الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على خير الأنام محمد النبي الأعظم صلى الله عليه واله وعلى الصفوة المنتجبين الال الكرام الطيبين الطاهرين..
إنَّ الإسلام دين وشريعة ودولة فهو الدعامة الأساس في بناء المجتمع إذ تنبع من تعاليمه القيم الإنسانية، وعلى هدى فلسفته يتعامل الناس ويتحركون ، ومن قصصه يأخذون الموعظة الحسنة ومن فيض عذوبته وخيره يتجهون إلى خالقهم في كل شؤونهم .
فالشريعة الاسلامية تهدف الى إقامة العدل والاستقامة لبناء المجتمع الفاضل، إذ لا نجد سبيلاً أقوى من الدين للإصلاح الخلقي وتنشئة الإنسان على السلوك المستقيم ، فالقيم الثابتة التي يمنحها القانون الالهي إذ هي صمام الأمان له في الدنيا والاخرة .
والدين الإسلامي الحنيف هو منهاج الحياة يعنى بالفرد وبالمجتمع وبالناحية المادية والروحية معاً، ويوضح معنى العبادة ويؤكد قيمة العمل، فضلاً عن عنايته بشؤون الحياة وتنظيم شؤون الدنيا جميعها(١).
إن الإسلام هو رسالة السماء الخالدة إلى الأرض ومما لاشك فيه أنها اعتبرت مصالح العباد، لأن العقل الإنساني قاصر عن إدراك

أصل المنفعة و الضرر، و لهذا فالتشريع الإلهي هو الذي يصون الإنسان من الغرور والهوى وحب الشهوات، فالحسن ما حسنه الشارع و القبح ما قبحه ، وقد قال تعالى: {وَلَوْ اتَّبَعَ الْحَقُّ أَهْوَاءَهُمْ لَفَسَدَتْ السَّمَاوَاتُ وَالأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ بَلْ أَتَيْنَاهُمْ بِذِكْرِهِمْ فَهُمْ عَنْ ذِكْرِهِمْ مُعْرِضُونَ} (٢) . والانسان الذي يعمل في مجال التجارة عليه ان يتفقه بأحكام المعاملات كافة وما يتعلق بها، للمروي عن الإمام الصادق (عليه السلام): «من أراد التجارة فليتفقه في دينه؛ ليعلم بذلك ما يحل له مما يحرم عليه، ومن لم يتفقه في دينه ثم اتجر تورط في الشبهات» (٣) .

ومن هنا نلاحظ ان الشريعة الاسلامية قد عالجت مختلف جوانب الحياة الاقتصادية بما يضمن العدالة وحسن الاختيار ، وتوريد الاستثمار وتوزيع الثروات بين أفراد المجتمع وطبقاته لما فيه من خير ومصلحة وسعادة الجميع. لابد ان يؤسس المشرّع الإسلامي هذه القواعد والضوابط ؛ لأجل تطبيق مبدأ الاتجاه الاقتصادي وهذه الضوابط اما تجيز أو تحظر بعض الأنشطة الاقتصادية أحياناً، أو تضيّق أو توسّع قنوات بعضها الاخر .

ولاشك ان الواجب على المكلف السعي للتكسّب لمعيشته ، ولضمان ذلك يجب الإنفاق على افراد اسرته كلهم، كالزوجة والأولاد والأبوين عند حاجتهم إذا لم يكن المكلف واجداً لها. ومن خلال ذلك وجب عليه السعي لكسب لقمة العيش اذ لا يترك له الباب مفتوحاً على مصراعيه لمزاولة الأعمال والنشاطات التي هو يريدها او يختارها، فهناك من الأنشطة التجارية والاعمال ما يحرم مزاولته لها.

فإذا فسد الناس فسد المال وانتشر الظلم الاقتصادي بكل صوره واشكاله ، وعلى هذه الحقيقية يقدم المنهج الإسلامي التكاملي العلاج لإصلاح المنهج الاقتصادي المنحرف، وما يترتب عليه من جرائم في حق الناس. ومن خلال هذا المنهج القويم نستطيع تطبيق أحكام ومبادئ الشريعة الإسلامية تطبيقا عادلا وشاملا في كل نواحي الحيا ة ومنها المعاملات الاقتصادية .

ويعد الغش والتدليس والخديعة والغرر من اكبر الجرائم الاقتصادية التي يعاني منها المجتمع والتي تؤدى إلى أكل أموال الناس بالباطل ، وتسبب خللاً وفوضى في المعاملات ، كما تضعف الثقة بين الناس ، وربما تؤدى بعضها إلى هلاك الأبدان والأعيان والأموال.

وسوف نتناول في هذا البحث عرض لمفردات العنوان للمنهج التكاملي والجريمة الاقتصادية والحد منها وقد اخذنا مثالا للجرائم الاقتصادية وهما الغش والتدليس ، ثم كيف وضع الاسلام الحلول والمعالجات لهذه الظواهر في المجتمع الاسلامي، وختمنا بأهم النتائج والمصادر والمراجع المعتمدة.

المبحث الأول: الاطار النظري لمفردات العنوان

اولا: نبذة عن المنهج التكاملي

المنهج التكاملي: هو محاولة للرّبط بين الموضوعات المختلفة في مسالة ما ، والتي تقدم للقارئ والباحث الموضوع بشكل مترابط ومتكامل ، وتنظم تنظيما دقيقا يسهم في تخطي الحواجز بين المواد المختلفة فتصبح فكرة المنهج التّكاملي على تقديم المعلومات متكاملة، بمعنى أنها ترفض تفريع المادة الواحدة وتؤكد على تكامل المعرفة ووحدة العلم، وإزالة الحواجز بين فروعها(٤). فمن المؤكد أن يعتمد أي علم من العلوم على منهج يتلاءم مع موضوعه، وينسجم ومضمونه

وأهدافه ، ويشكل تأصيل المنهج، المدخل الأساسي لتحديد معالم العلم وتركيز أسسه وتنظيم مباحثه وترشيد عملية البحث فيه لتصل إلى الأهداف المنشودة، وإن علماً لا يعتمد منهجاً واضحاً هو عرضة للتخبط والتجاذب والعشوائية (٥).

و إن المنهج التكاملي هو مستند بالدليل والبرهان والحجة العقلية ؛ لأنه مستفاد من الروايات الواردة عن المعصومين (عليهم السلام) عن هشام بن الحكم قال : الإمام الكاظم (عليه السلام)(يا هشام إن لله على الناس حجتين: حجة ظاهرة وحجة باطنة، فأما الظاهرة فالرسل والأنبياء والأئمة (عليه السلام) وأما الباطنة فالعقول) (٦).ولهذا المنهج أكثر من استعمال في البحث والدراسة ،بحيث تتكامل ما بينها في وضع وتطبيق مستلزماته.

وللمنهج التكاملي قسمان: المنهج العام هو الذي يستخدم في إحدى العلوم أو الدراسات المختلفة

وأمّا الخاص فهو الذي يستخدم في بحث مسألة أو قضية ما من أي علم من العلوم أو في أي جزء لذلك. وفي علم الكلام يعتمد فيه على المنهج العقلي، أو قد تعتمد بعض المدارس الكلامية أو الباحثين الكلاميين المنهج التكاملي المؤلف من المنهج العقلي والمنهج النقلي (٧).

وإن الشمولية والتكامل هي من المفاهيم التنموية في المجتمعات الإسلامية وغيرها ، والتي تُعدُّ من الجهود المنظمة التي تبذلها الدولة وفقا لما تقوم به من تخطيط لها من قبل، حتى تحقق للمجتمع التقدم والرقي، والمبادئ التي تعتمد عليها التنمية هي الشمولية والتكامل.

وإن الشمول هو أن تشمل التنمية نواحي الحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية جميعها،كما يجب أن تشارك في تنمية الدولة جميع مؤسساتها سواء أكانت مؤسسات عامة أو خاصة . وأما التكامل فهو أن يتم العمل على مبدأ التكامل في جميع القطاعات في الدولة، وأن تكمل القطاعات بعضها على بعض آخر، وأن تكون مؤثرة بعضها على بعض آخر، ويجب أن تحرص الدولة على تحقيق مبدأ التكامل بين القطاعات، حتى لا يحدث نمو في قطاع من قطاعات الدولة على حساب القطاع الأخر(٨).

ثانيا: مفهوم الجريمة الاقتصادية

الجريمة لغة مشتقة من مادة (جرم) والجريمة تعني الذنب ، وتجرم عليه أي ادعى عليه ذنباً لم يحمله، وأجرم ارتكب جرماً، ويقال: أجرم عليهم أي جنى جناية (٩).وجرمَ إذا عظم جرمه أي أذنب، ويُقال: فلان له جريمة أي جرم و الجارم الجاني والمجرم المذنب (١٠). وقد وردت كلمة الجرم في قوله تعالى:{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلاَ يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلاَّ تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ}(١١) ولا يحملنكم عداوةُ قوم على ألا تعدلوا في حكمكم فيهم وسيرتكم بينهم، فتجوروا عليهم من أجل ما بينكم وبينهم من العداوة (١٢). أما الجريمة في الاصطلاح :

هي التعبير عن السلوك المخالف للقانون الجزائي مستحقاً للعقاب لوقوع المخالفة على حق الفرد أو المجتمع، وفي القانون الجنائي عرفت الجريمة :

« بأنها فعل أو امتناع عن فعل يؤدي إلى الضرر بالغير ويعاقب عليه القانون»(١٣).

وتعرف الجريمة في الشريعة الإسلامية : (بأنها محظورات شرعية زجر الله عنها بحد أو تعزير)(١٤). والمحظورات هي:

« إما إتيان فعل منهي عنه، أو ترك فعل مأمور به، وقد وصفت المحظورات بأنها شريعة، إشارة إلى أنه يجب في الجريمة أن تحظرها الشريعة» (١٥).

ومن خلال معرفة المعنى العام لكلمة الاقتصاد، يتضح مفهوم الجريمة الاقتصادية. فمفهوم الاقتصاد كما عرفه مارشال بأنه « نشاط الفرد والمجتمع للحصول على الموارد اللازمة لتحقيق الرفاهية العامة»(١٦). فالجامع لتعريف الجريمة الاقتصادية هو « السلوك المخالف للقوانين المنظمة للتصرف الاقتصادي والذي نص عليه القانون بعقوبة محددة» (١٧).وللجريمة الاقتصادية أركان وهي كالآتي (١٨):

١-الركن المادي: هو ذلك السلوك أو الفعل المادي الملموس الذي يمثل الجريمة، وهو شرط أساسي، يتكون من ثلاث عناصر هي الفعل، والنتيجة وعلاقة السببية بينهما .

٢-الركن المعنوي : يشترط توفر العلم و الإرادة ، أي: إن القصد الجنائي هو مقياس للعقوبة، لكن هو يتغير من نظام لآخر، فكلما كان النظام شديد كلما كان القصد الجنائي غير متطلب .

٣-الركن الشرعي : هو النص القانوني الذي يحدد الجريمة و يحدد لها عقوبة، فلا يوجد جريمة بدون قانون.

ولاشك ان مصطلح الجريمة الاقتصادية لا يوجد في الشريعة الإسلامية ، فإن الفقهاء استدلوا عليه من خلال نظام الحسبة ، ومؤسسة الحسبة «هي التي يرأسها المحتسب حيث كان يتولى مراقبة النشاط الاقتصادي في المجتمع الإسلامي، فله الحق في فرض العقاب الذي يراه كي يصون المجتمع ومصلحته وفق قواعد الشريعة الاسلامية» (١٩). وكانت دائرة الحسبة من الدوائر المعروفة في صدر الإسلام وبعده وتشرف على نشاطات التجار والفلاحين وكافة شرائح المجتمع الاخرى من حيث المخالفات والمنكرات ، وكلما رأى المحتسبون مخالفة كانوا ينهونهم عنها، فإن لم يؤثر فيهم النهي والتذكير والموعظة ، كانوا يعاقبون المخالف في المكان نفسه مباشرة، أو يقبضون عليه ويسلّمونه إلى القاضي فيأمر بحبسه (٢٠).كان النّبيّ الأكرم (صلى الله عليه وآله) يتولى ذلك بنفسه ، ولاسيما في مسائل الاحتكار والغش والتدليس في المعاملة وأمثال ذلك ، ومن جملة ما ورد في ذلك : «إنّ رسول اللّه صلى الله عليه و آله مرَّ بالمحتكرين فأمر بحكرتِهم أنْ تخرج إلى بطون الأسواق وحيث تنظرُ الأبصار إليها»(٢١).

وقد بيّن الفقه الإسلاميّ مهام المحتسب وحدد نطاق عملة أي «إنّ وظيفة المحتسب ، أوّلًا: الإشراف على إجراء المقررات الشّرعيّة والمنع من ارتكاب المحرمات ، وثانياً : الإشراف على صحة سير الأمور المرتبطة بالمصالح العامة للمجتمع ورفاههم وحياتهم ، وكذلك الحدّ من سدّ الطّرقات العامة والأزقة من قبل بعض المخالفين والباعة ... والإشراف على الوزن ، وما هو اليوم في عهدنا تسمى بدائرة (البلديات) ومن هذه الوظائف كانت في الأصل في عهدة القاضي ، ولكنّهم جعلوها شغلًا مستقلًا لكي لا يبتلى القاضي بها»(٢٢)، ففي ما يخص المعاملات فقد قرر الفقهاء أن مدار المحتسب هو ما نطلق عليه الجرائم الاقتصادية فيتحدد واجبه الأساسي في منعها و الكف عنها أو على الأقل التقليل منها أو تركها ، ومن الجرائم في الفقه الإسلامي البيع بغير الموازين و المكاييل و المقاييس الرسمية التي تفرضها الدولـــــة أو المحتسب، فإن لم يكن للدولة محتسب موازين و لا مكاييل معينة

و مفروضة على الأسواق فإن له أن يتوجه بالإنكار لمرتكبي البخس والتطفيف (٢٣).

وإن مفهوم الجريمة الاقتصادية يختلف عند أهل الاختصاص من الاقتصاديين عنه في الاقتصاد الإسلامي إذ يكتسب معنىً أعم وأشمل وأكثر سعةً ووضوحاً ودقةً ومرونةً.وفي الاقتصاد الوضعي يوضح مفهوم الجريمة الاقتصادية على أنها جرائم الأموال وما يرتبط بها من اجراءات ، مثلا جريمة غسيل الأموال المكتسبة بطرق غير مشروعة، والغش والاختلاس، والسرقة والرشوة، والفساد المالي والاحتيال، والتهرب من الضرائب، وجرائم الإنترنت والتجارة الإلكترونية، وسرقة الإنتاج الفكري والإبداعي وغيرها (٢٤).

« أما في الاقتصاد الإسلامي فالمفاهيم تختلف كثيراً، إذ إن هناك العديد من الجرائم الاقتصادية التي يعتبرها الاقتصاد الإسلامي جرائم ولا تعتبرها التشريعات والنظم الوضعية جرائم. ومن الأمثلة على تلك الجرائم جريمة الربا الذي تمارسه بعض المصارف اليوم والذي أجمعت كافة المجامع الفقهية ومؤتمرات البنوك الإسلامية على حرمته، وصناعة الخمور وتربية الخنازير وما يرتبط بهما من أنشطة اقتصادية صناعية وزراعية وتجارية وتسويقية وشحن ونقل وتأمين وتمويل، وصناعة اللحوم والدواجن المذبوحة بطرق غير إسلامية، واستغلال المرأة في الأنشطة الاقتصادية المختلفة بطرق تخالف أحكام الشريعة الإسلامية وقيمها ومبادئها، واستخدام السلطات والنفوذ السياسي كدعامة للنفوذ الاقتصادي، وغيرها من الجرائم الاقتصادية. وقد يرجع استبعاد مثل تلك الجرائم الاقتصادية من شرائعنا وقوانيننا وأنظمتنا الوضعية»(٢٥).

ثالثا: المنهج القويم للاقتصاد في الإسلام

إن الشريعة الاسلامية شاملة لبيان الاحكام الشرعية ومراعية لأفعال الناس في كل جيل وعصر وبيئة و عرق ، إن فسح المجال بالاجتهاد للرقي العقلي و العلمي من غير حدود و للرقي الصناعي والمادي ضمن حدود الأخلاق، فكل مظاهر الطبيعة مفتوحة أمام عقل الإنسان ليجتهد للوصول إلى ما يرفه الحياة و يسعد الناس. والإسلام لم يحارب الغرائز الطبيعية و لم يكبتها بل أمر بالعمل و السعي لتحقيق ما يسد الحاجات البشرية بقيود الشرع لتبقى إنسانية تناسب رقي النوع الإنساني وتميزه بالفضائل النفسية .والأحكام الفقهية المستنبطة من النصوص الشرعية في مجموعها ذات نزعة جماعية تعنى بالمجتمعات وتهتم بإصلاح شأن الجماعة حتى في العبادات التي هي تكاليف فردية و في المعاملات التي بنيت على الصدق و الوفاء و النصح وعدم الغش و الخداع . والأمر بالعمل و السعي ينتهي أثره في رقي الفرد والجماعة. فالحكمة العامة في تشريع العقوبات هي القضاء على الجرائم والمحا فظة على الأرواح و الأموال و الأغراض و هذا يؤدي إلى إخلاء المجتمع من المفاسد وإلى الأمن و الطمأنينة على المقدسات الإنسانية (٢٦).

تتضح ملامح الاقتصاد الاسلامي من خلال النقاط الآتية:

١- نظام الاقتصاد الإسلامي هو نظام مُنفرد مستقل عن باقي الأنظمة الاقتصادية الأخرى، فهو مُنضبط ومرتبط ارتباطاً وثيقاً بالأحكام والتشريعات الإسلامية، وهو قائم بشكل أساسي على أخلاق الإسلام وقيمه؛ كالاعتدال والتوازن، وخالٍ من المُعاملات التي قد تظلم الفرد، لأنه تشريع إلهي منزه عن الخطأ (٢٧).

٢- يتميز الاقتصادي الإسلامي بمعرفة الجوانب الإنسانية الأخلاقية، إذ يسوده التعاون والتراحم الذي يُحقق الألفة والمودة بين الغني والفقير، فيحرص الإسلام على توزيع الثروات بين العباد دون استثناء؛ وذلك لتحقيق التنوع الاقتصادي وعدم اقتصار المال أو الثروة بيد فئة واحدة. (٢٨)، قال تعالى:
(مَّا أَفَاءَ اللَّـهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَىٰ فَلِلَّـهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ كَيْ لَا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنكُمْ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّـهَ إِنَّ اللَّـهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ) (٢٩).

٣--الاقتصاد الإسلامي يعترف بالملكية الفردية، وهي حق مشروع للجميع على حدٍّ سواء قال تعالى: (لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا اكْتَسَبُوا وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِّمَّا اكْتَسَبْنَ وَاسْأَلُوا اللَّـهَ مِن فَضْلِهِ إِنَّ اللَّـهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا)،(٣٠). والمال لله والانتفاع به حق مشروع؛ ولكن يجب أن يحرص العبد على استثماره في الاستخلاف الأرض، وإعطاء كل ذي حقّ حقّه (٣١).

٤- يحرص الاقتصاد الإسلامي على الانتفاع بجميع الموارد المتاحة للفرد والانتفاع بها، التي سخرها الله تعالى لعباده، قال تعالى: (وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ)،(٣٢)وحث الناس على إنتاج السلع والبضائع والخدمات التي تعود على المجتمع وأفراده بالنفع والفائدة(٣٣).

رابعاً: الأمور التي تحد من الجريمة الاقتصادية:

وفي ظل المتغيرات والأحداث المستجدة في العصر الحديث وفي عالم الاقتصاد والمال برزت أنماط عدة من السلوك في التعاملات المالية والاقتصادية التي تمثل خروجاً على القاموس الطبيعي للحياة ، دفعت المجتمعات الى اللجوء التجريم لهذه الأنماط وفرض العقوبات عليها، وقد تجلى اكثرها في المجال الاقتصادي فظهرت الجرائم الاقتصادية (٣٤).

وكان الإنسان هو الأساس في هذه التعاملات الفاسدة ، فإذا فسد الناس فسد المال ، وعلى هذه الحقيقية يقدم المنهج الإسلامي العلاج لإصلاح الفساد الاقتصادي ، ولمكافحة الجرائم الاقتصادية والحد منها في الشريعة الاسلامية نتبع الاتي(٣٥):

١- التربية الروحية التي تقوم على التقوى والإيمان والمراقبة والمحاسبة الذاتية والاخلاص لله سبحانه وتعالى ، والاعتقاد بأن الالتزام بشرع الله عبادة من الموجبات الدينية ، ودليل ذلك من الكتاب قول الله تعالى: {وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَرَكَاتٍ مِنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ وَلَكِنْ كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ} (٣٦). فالبركات هي كل ما يتنعمون به من نعم الله لكنها سدت دونهم فلا يجري عليهم منها شيء لكنهم لو آمنوا واتقوا لفتحها الله سبحانه فجرى عليهم منها بركات السماء من الأمطار والثلوج والحر والبرد وغير ذلك كل في موقعه وبالمقدار النافع منه، وبركات الأرض من النبات والفواكه والامن وغيرها(٣٧).

٢- الالتزام بالأخلاق الحسنة ، فلا اقتصاد بدون أخلاق لا يصلح عملهم ، لأن اغلب الآيات القرآنية التي وردت في القرآن الكريم جاءت مقترنة بالأخلاق الفاضلة منها على سبيل المثال قول الله تعالى في وجوب كتابة الديون :(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَدَايَنْتُمْ بِدَيْنٍ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى فَاكْتُبُوهُ وَلْيَكْتُبْ بَيْنَكُمْ كَاتِبٌ بِالْعَدْلِ وَلَا يَأْبَ كَاتِبٌ أَنْ يَكْتُبَ كَمَا عَلَّمَهُ اللَّهُ فَلْيَكْتُبْ وَلْيُمْلِلِ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ وَلْيَتَّقِ اللَّهَ رَبَّهُ وَلَا يَبْخَسْ مِنْهُ

شَيْئًا .....) (٣٨). وضع تعليمات دقيقة لتنظيم الروابط التجارية والاقتصادية، لكي تنمو رؤوس الأموال نموا طبيعيا دون أن تعتريها عوائق أو تنتابها خلافات ومنازعات. لكي يطمئن الطرفان على صحة العقد ويأمنا احتمال تدخل أحدهما فيه، فيجب أن يكون الكاتب شخصا ثالثا وليكتب بينكم كاتب (٣٩).

٣- تطبيق الشريعة الاسلامية ومنهج الرسول الاعظم (صلى الله عليه وآله) والائمة (عليهم السلام) في المعاملات الاقتصادية ؛لانهما أساس الإصلاح الاقتصادي لقوله تعالى : {وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى ،قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا ...} (٤٠). يذكر الفيض انها ولاية أمير المؤمنين (عليه السلام) أعمى قال يعني أعمى البصر في الآخرة وأعمى القلب في الدنيا عن ولاية أمير المؤمنين عليه السلام وهو متحير في القيامة يقول لم حشرتني الآية قال الآيات الأئمة عليهم السلام فنسيتها يعني تركتها وكذلك اليوم تترك في النار كما تركت الأئمة فلم تطع أمرهم ولم تسمع قولهم (٤١).

٤- تطبيق العقوبات الواردة في الشريعة ضد مرتكبي الجرائم الاقتصادية فهي تأكيد لسلطان العقيدة والأخلاق .

٥- حسن اختيار العاملين على أساس القيم الإيمانية والأخلاقية ؛لأن ذلك من موجبات الوقاية من الفساد قبل وقوعه ، ولقد طبق ذلك في صدر الدولة الإسلامية .

٦-القدوة في تطبيق أحكام ومبادئ الشريعة الإسلامية ، فإذا صلح الراعي صلحت الرعية ، ومن سيرة رسول الله (صلى الله عليه وآله) والأئمة (عليهم السلام) ومن تبعهم بإحسان نستطيع أن نستنبط النماذج المشرفة لدور ولى الأمر في منع الفساد الاقتصادي .

المبحث الثاني: جريمة الغش وأحكامها

أولاً: مفهوم الغش لغة وإصطلاحاً

الغش لغة هو: من غُشَّ غِشًا، فهو غاشّ، والمفعول مَغْشوش. غشَّ الشَّيءَ : خلَطه بغيره ممّا هو أرخص منه «غشّ الدقيقَ ، الذّهبَ- كتمان الغِشّ هو غشٌّ، غشَّ اللَّبنَ : خلطه بالماء . غَشَّ صَاحِبَهُ غِشّاً وَغَشّاً: أَظْهَرَ لَهُ الْمَحَبَّةَ وَزَيَّنَ لَهُ غَيْرَ الْمَصْلَحَةِ وَهُوَ يُضْمِرُ لَهُ عَكْسَ ذَلِكَ» (٤٢). والغَش هو نقيض النُصح ، و هو نوع من أنواع الخيانة ، ذلك لأنه إخفاء للواقع و إظهار لخلافه بحيث لا ينطبق عليه ، و يتحقق الغَش بإخفاء العيب أو تزيينه بحيث لا يتعرَّف عليه الطرف الآخر (٤٣).

وفي الاصطلاح : يُعرف الغش أنه (إخفاء عيب، أو ظهار غير الحق، أو نيل شيء دون وجه حق. أو هو تزوير في أمانة ما مثل الكذب والسرقة وخيانة الأمانة، أو نسبة شيء لا يخصه لنفسه مثل السرقة الأدبية) (٤٤) .

قال المناوي: (الغشُّ ما يخلط من الرَّديء بالجيِّد) (٤٥).وقيل إحدى الظواهر المُنحرِفة، والتي تظهر في المُجتمَع، وهي تدلُّ على الخروج عن قِيَم ومعايير الشرع؛ ممّا يترك أثراً سلبيّاً على مظاهر الحياة الاجتماعيّة(٤٦).

وممّا تقدم نلاحظ أن الغش خلط الشيء بغيره ، مما هو أقل منه في الثمن ، مثل الغش في اللبن عن طريق خلطه بالماء ، أما الغش في الشرع والدين الإسلامي الحنيف معناه ، خلط الجيد بالرديء ، وقد تبرأ النبي (صلى الله عليه وآله) من فاعله ، حيث قال (مَن غشنا فليس منا) ، وفي لفظ : (مِن كبائر الذنوب غش فليس منى)، والغش خديعة وخيانة ، وضياع للأمانة ، وفقد للثقة بين الناس ، وكل كسب من

الغش فإنه كسب خبيث حرام ، لا يزيد صاحبه إلا بُعدًا من الله . ونهى الله تعالى عن الغشّ والتدليس ومدح السلعة بما ليس فيها ، وكتم ما بها من عيب ونحو ذلك(٤٧).

«أنّ الغشّ ليست له حقيقة شرعية ولا متشرعية ، بل المراد به ما جرى عليه العرف واللغة من كونه بمعنى الكدر والخديعة والخيانة ، ولا يتحقّق ذلك إلاّ بعلم الغاش وجهل المغشوش فإذا كان كلاهما عالمين بالواقع ، أو جاهلين به ، أو كان الغاشّ جاهلاً والمغشوش عالماً انتفى مفهوم الغشّ» (٤٨).

نعم قد تنحصر معرفته بالغاشّ كمزج اللبن بالماء ، وخلط الدهن الجيّد بالدهن الرديء ، ووضع الحرير ونحوه في مكان بارد ليكتسب ثقلاً، وبيع الحيوان مسموماً لا يبقى أزيد من يوم ويومين ، وغير ذلك من الموارد التي لا يطلع على الغشّ إلاّ خصوص الغاشّ فقط ، ولكن هذا لا يوجب اختصاص الغشّ بتلك الموارد ، وعدم تحقّق مفهومه في غيرها(٤٩).

ثانياً: مفهوم الغش في القرآن والسنة الشريفة:

وردت عدة آيات في القران الكريم تنهى عن الغش منها: قوله تعالى: (وَيْلٌ لِلْمُطَفِّفِينَ* الَّذِينَ إِذَا اكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ* وَإِذَا كَالُوهُمْ أَوْ وَزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ* أَلَا يَظُنُّ أُولَئِكَ أَنَّهُمْ مَبْعُوثُونَ* لِيَوْمٍ عَظِيمٍ* يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ)(٥٠).

والمعنى الظاهر من الآية أن :

«الذين إذا أخذوا من الناس بالكيل يأخذون حقهم تاماً كاملاً، وإذا أعطوا الناس بالكيل أو الوزن ينقصون فيوقعونهم في الخسران. فمضمون الآيتين جميعاً ذم واحد وهو أنهم يراعون الحق لأنفسهم ولا يراعونه لغيرهم وبعبارة أخرى لا يراعون لغيرهم من الحق مثل ما يراعونه لأنفسهم وفيه إفساد الاجتماع الانساني المبني على تعادل الحقوق المتقابلة وفي إفساده كل الفساد» (٥١).

و في هذه الآيات وعيد شديد للتجار الجشعين الذين يسعون جاهدين في نخر جسم المجتمع المسلم بخيانة تطفيف الأوزان، بل ويزيدون على ذلك بخس أموال الناس بالغش والخداع والاحتيال أو أكل أموال الناس بالباطل .أو غير ذلك(٥٢).

وقوله تعالى:

(وَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ)(٥٣).

فالقسط معناه: العدل، بأن تزِنْ بالميزان العادل، وتكيل بالمكيال العادل الذي لا يظلم البائع ولا يظلم المشتري ، وإن الإيفاء بالقسط والوقوع في العدل الحقيقي الواقعي لا يمكن للنفس الإنسانية التي لا مناص لها عن أن تلتجئ في أمثال هذه الأمور إلى التقريب فأجيب بأنا لا نكلف نفسا إلا وسعها(٥٤).

وقوله تعالى : (إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَظْلِمُونَ النَّاسَ وَيَبْغُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ، أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ)(٥٥).

إنّ السبيل كلّه على الظالمين في الانتقام منهم للمظلومين(٥٦)،«وهذه الآيات - في الحقيقة - تأكيداً وتوضيحاً وتكميلاً للآيات السابقة بشأن الانتصار ومعاقبة الظالم والعفو في المكان المناسب، والهدف من ذلك أن معاقبة الظالم والانتقام منه من حق المظلوم، ولا يحق لأحد منعه عن حقه، وفي نفس الوقت فإذا صادف أن سيطر المظلوم على الظالم وانتصر عليه، وعند ذلك صبر ولم ينتقم فإن ذلك يعتبر فضيلة كبرى» (٥٧).

إن الغش والخديعة والمكر السيئ من ضروب خيانة الأمانة ويسبب الظلم ، ويمحق البركة ، ودليلهم في ذلك حديث

الرسول (صلى الله عليه وآله) :(المُؤمِنُونَ بَعضُهُم لِبَعض نَصَحَةٌ وادُّونَ و إن بَعُدَت مَنازِلُهُم و أَبدانُهُم ، و الفَجَرَةُ بعضُهُم لِبَعض غَشَشَةٌ مُتَخاوِنُونَ و إنِ اقتَرَبَت مَنازِلُهُم و أبدانُهُم) (٥٨). إن رسول الله (صلى الله عليه وآله) : ((مر على صبرة طعام، فأدخل يده فيها فنالت أصابعه بللا، فقال: ما هذا يا صاحب الطعام؟ قال: أصابته السماء يا رسول الله، قال: أفلا جعلته فوق الطعام حتى يراه الناس؟! من غشنا فليس منا))(٥٩).وقوله (صلى الله عليه وآله) :

((من غش أخاه المسلم نزع الله عنه بركة رزقه، وأفسد عليه معيشته، ووكله إلى نفسه)) (٦٠).وعن أمير المؤمنين علي (عليه السَّلام): (شر الناس من يغش الناس) (٦١). إنّ أسوأ أنواع الغش هو غش الحكام والعلماء وولاة الأمر ، يقول الإمام علي (عليه السَّلام)

(و إنَّ أَعْظَمَ الْخِيَانَةِ خِيَانَةُ الْأُمَّةِ و أَفْظَعَ الْغِشِّ غِشُّ الْأَئِمَّةِ)(٦٢).

المروي عن الإمام الصادق(عليه السَّلام) أنه قال : قال رسول الله (صلى الله عليه وآله) لرجل يبيع التمر: (يا فلان أما علمت أنه ليس من المسلمين من غشهم) (٦٣).

و في مرسلة هشام عن أبي عبد اللّه (عليه السلام)): أنه قال لرجل يبيع الدقيق: إياك و الغش، فإنّ من غش غشّ في ماله، فإن لم يكن له مال غشّ في أهله) (٦٤).

ومِنَ الغش أيضًا: ما يخلط من الرديء بالجيد.قال الإمام الباقر (عليه السلام) : مر النبي (صلى الله عليه وآله)في سوق المدينة بطعام فقال لصاحبه: ما أرى طعامك إلا طيباً وسأله عن سعره، فأوحى الله عز وجل إليه أن يدس يديه في الطعام ففعل فأخرج طعاماً ردياً، فقال لصاحبه: ما أراك إلا وقد جمعت خيانةً وغشاً للمسلمين (٦٥).

لا شك في حرمة هذا الخلط، لكونه غشاً ومن أقوى مصاديقه و أفراده فتشمله أدلة حرمة الغش المتقدمة. فيجب على البائع الإعلام به و لو باعه بدون الإعلام فسد البيع و لم يملك البائع الثمن، و لا المشتري المثمن (٦٦).وإن المقصود الأولي الذاتي في البيع هو اللبن الخالص من كل شائبة و هو لم يقع، و الذي وقع وهو اللبن المشوب بالماء لم يكن مقصود المتعاملين فيلزم حينئذ أن ما قصد لم يقع، و ما وقع لم يقصد و الحال أن العقود تابعة للقصود فالمعاوضة باطلة، لأنها لم تكن بإزاء الشيء المتسالم عليه من الطرفين (٦٧).

وروى مسلم عن معقل بن يسار المزني ، قال : سمعت رسول الله (صلى الله عليه وآله) يقول : ما من عبدٍ يسترعيه الله رعية ، يموت يوم يموت وهو غاش لرعيته ، إلا حرم الله عليه الجنة (٦٨).

ثالثاً: أضرار الغش وآثاره

ويسبب الغش الفساد الاقتصادي حيث يترتب عليه هلاكاً وضياعاً ولاسيّما إذا كان هذا الغش في مجال الجودة والمواصفات في الخامات والأشياء التي تصنع منها المواد الغذائية ومستلزمات البناء والعلاج .. ومن أشكاله وصوره : ستر عيوب السلع ، وخلط الجيد بالرديء ، التدليس والحلف والكذب.و «ظاهرة الغش و الخداع في الأسواق العالمية و كذلك الإسلامية بحيث لا تكاد سلعة أو بضاعة تسلم من تلاعب الغش والتدليس ، فاليوم نجد أن الغش قد طال كل شيء بدءاً بالخضار و الفواكه و اللحوم و وصولاً إلى الأدوية و المستحضرات الطبية ، بل وصل حتى إلى المدارس و المعاهد و الجامعات . فهذه وسائل التواصل الاجتماعي تتحدث كل يوم عن الغش التجاري الذي يكون من

خلال عرض البضائع والإعلانات ، كتقليد البضاعة الأصلية من حيث الاسم المشابه ، أو من حيث بعض الصفات الظاهرية ، و بيعها باعتبارها أصلية ، أو تدليس البضاعة الرديئة بحيث يتصورها المشتري بضاعة جيدة فيرغب في شرائها ، أو إخفاء العيوب الموجودة في البضاعة بحيث تظهر سليمة بصورة مخالفة لأوصافها الواقعية»(٦٩).

ويتمثل الغش في البيع والمعاملات في الآتي(٧٠):

١-بيع المواد الفاسدة والمنتهية الصلاحية.

٢-التلاعب في الأوزان ، كأن يكتب على العبوة وزنًا معينًا ثم لا يكون وزنها في الحقيقة كذلك.

٣-تسويق بضاعة رديئة على أنها بضاعة جيدة ، وذلك بوضع العلامة التجارية للبضاعة الجيدة ، على الرديئة.

٤-بيع المواد الضارة بالصحة ، التي تسبب الأمراض المستعصية .

٥-وصف مكونات المواد المصنعة بأوصافٍ غير حقيقية.

٦-الغش في تنفيذ المقاولات وأعمال البناء ، مثل : تقليل الحديد والإسمنت في البنايات ، مما قد يتسبب في انهيار المبنى ، ومقتل سكانه ، أو إصابتهم بأذى .

٧-بيع المصرَّاة من الأنعام ، ومعنى التصرية هو منع حلب ذات اللبن ، إظهارًا لكثرته حيث لا يجوز للمسلم أن يترك الناقة أو البقرة أو الشاة عدة أيام حتى يجتمع اللبن في ضرعها ، ترغيبًا للناس في شرائها لأن في ذلك غشًا للناس .

٨-بيع النَّجش ، والمقصود ببيع النجش : الزيادة في ثمن السلعة ، ممن لا يريد شراءها ليقعَ غيرُه فيها ، حيث لا يجوز للتاجر أن يتفق مع شخص ما أن يتقدم أثناء وجود المشتري ، فيرفع ثمن السلعة ، وهو لا يريد شراءها ، ليقتدي به المشتري ، فيظن أنه لم يرفع ثمن هذه السلعة ، إلا أنها تستحق ذلك ، فيغتر بذلك ، ويَزيد هو أيضًا في ثمن السلعة ، وهذا البيع حرام؛ لأن فيه غشًا للناس .

رابعاً- حكم الغش

ظاهرة الغش بكل صورها وأشكالها محرمة في الشريعة الإسلامية لأنه ظلم وبغى ، وعقوبة الغش في الشريعة الإسلامية حسب ما يراه القاضي وبحسب الأحوال والملابسات ، كما يجب رد الحقوق المغتصبة بسبب الغش إلى أصحابها ، وكذلك فسخ العقود القائمة على الغش وله صور عديدة منها، بخس الناس أشياءهم، والنقص في الكيل والميزان.

الجواب:فعن رسول الله (صلى الله عليه وآله) أنه قال : « من غش أخاه المسلم نزع الله بركة رزقه ، و سد عليه معيشته و وكله إلى نفسه »(٧١)، و يكون الغش بإخفاء الأدنى في الأعلى ، كمزج الجيد بالرديء و بإخفاء غير المراد في المراد ، كمزج الماء باللبن، و بإظهار الصفة الجيدة مع أنها مفقودة واقعاً ، مثل رش الماء على بعض الخضروات الفواكه ليوهم الناس أنها جديدة وهذا يعني إظهار الشيء على خلاف جنسه ، كما إذا أحرز البائع اعتماد المشتري عليه في عدم إعلامه بالعيب فاعتقد أنه صحيح و لم ينظر في المبيع ليظهر له عيوبه ، فإن عدم إعلام البائع بالعيب مع اعتماد المشتري عليه غش له.

الغش وان حرم لا تفسد المعاملة به ، لكن يثبت الخيار للمغشوش بعد الاطلاع ، إلاّ في إظهار الشيء على خلاف جنسه كبيع المطلي بماء الذهب أو الفضة على أنه منهما ، فإنه يبطل فيه البيع ويحرم الثمن على البائع ، هذا إذا وقعت المعاملة على شخص ما فيه الغش. واما إذا وقعت

على الكلي في الذمة وحصل الغش في مرحلة الوفاء فللمغشوش ان يطلب تبديله بفرد آخر لا غش فيه (٧٢).

المبحث الثالث: ظاهرة التدليس مفهومهاً وأحكامها

اولا: مفهوم التدليس في اللغة والاصطلاح

التّدليس في اللغة : الخديعة وهو مصدر دلّس، والدّلسة: الظّلمة، والتّدليس في البيع: كتمان عيب السّلعة عن المشتري، يقال: دلّس البائع تدليساً (٧٣)،ومنه التّدليس في الإسناد. الدَّلَسُ، بالتحريك: الظُّلْمَة. وفلان لا يُدالِسُ ولا يُوالِسُ. أي لا يُخادِعُ ولا يَغْدِرُ. والمُدالَسَة: المُخادَعَة (٧٤).

التدليس في الاصطلاح: «كتم البائع العيب عن المشتري مع علمه به ممّا يوهم المشتري عدمه»(٧٥).

ومعنى تدليس البائع السلعة هو أن يكتم العيب عن المشتري مع علمه به، أو يغطي العيب عنه بما يوهم المشتري عدمه، أو يغطي السلعة بما يُظهرها كلها حسنة.

وعرف التدليس في البيع : هو « إحداث فعل في السلعة يجعلها تظهر على ما ليست عليه في الواقع يعد تدليسًا و تغريرًا»(٧٦). وقد عرفه بعضهم : هو إغراء العاقد وخديعته ليقدم على العقد ظانًا منه أنه في مصلحته.

على أنه إذا بين البائع عيب السلعة للمشترى ، أو اشترط البائع لنفسه البراءة من عيوب المبيع فإن ذلك جائز لعدم الخداع والتدليس .

ومن صور التدليس: التصرية» وهى حبس اللبن في الضرع بترك الحليب أياماً عند إرادة بيع الشاة أو البقرة ليوهم المشتري أنها غزيرة اللبن وأن ذلك عادة لها ، فإذا حلبها المشتري بعد البيع وتبين له أنها مصراة فله حق الفسخ مع رد صاع من تمر عن اللبن الذي حصل عليه»(٧٧).

أو هي «جمع اللبن في ضروع الأنعام يومين فصاعداً لغرور المشتري عيب، وللمشتري بعد حلبها ردها وصاعاً من تمر أو بر» (٧٨).وعن النبي (صلى الله عليه وآله)أنه قال: (من ابتاع مصراة فهو بالخيار ثلاثة أيام، فإن ردّها ردّ معها صاعاً من تمر لا سمراء) (٧٩) ، والمراد ردّ ثمن لبنها الذي حلبه.

وعن الحلبي عن أبي عبد الله (عليه السلام) عن رجل اشترى شاة فأمسكها ثلاثة أيام ثم ردها، قال إن كان تلك الثلاثة أيام يشرب لبنها رد معها ثلاثة أمداد طعام، وإن لم يكن لها لبن فليس عليه شيء(٨٠). وإذا ثبت لبنها لجودة مرعى فلا خيار وقيل له الخيار. والخيار في المصراة ثلاثة أيام كغيرها .

ثانياً: الأدلة على التدليس

وردت كثير من الروايات على حرمة التدليس وسنذكر بعضاً منها : قال رسول الله (صلى الله عليه وآله) :

(البيعان بالخيار ما لم يتفرقا ، فإن صدقا وبينا بورك لهما ، وإن كذبا وكتما محقت بركة بيعهما)(٨١). ذلك لأنَّ الفُرقة قاطعةٌ للخيار من غير فرقٍ بين المصرَّاة وغيرها. وقال عليه أفضل الصلاة والسلام : (من باع عيبًا لم يبينه لم يزل في مقت الله ، ولم تزل الملائكة تلعنه)(٨٢).

فهذا التدليس بجميع أنواعه حرام، للمروي عن النبي (صلى الله عليه وآله) أنه قال: (لا تُصَرّوا الإبل والغنم، فمن ابتاعها بعد فإنه بخير النظرين بعد أن يحتلبها، إن شاء أمسك وإن شاء ردّها وصاع تمر) (٨٣). وقال النبي (صلى الله عليه وآله) أيضاً (من اشترى شاة مصراة فهو بالخيار ثلاثة أيام إن شاء أمسكها وإن شاء ردها وصاعاً من تمر)(٨٤).وعن عقبة بن عامر عن النبي (صلى الله عليه وآله) أنه قال: (المسلم أخو المسلم، ولا يحل لمسلم باع من أخيه بيعاً فيه عيب إلا بينه له)(٨٥)،و

عن أنس عن النبي (صلى الله عليه وآله): (أنه نهى عن بيع المحفلات)(٨٦). وهي التي لم تحلب حتى يظهر ضرعها كبيرا، أو يتوهم أنها حلوب، لأن ذلك خديعة، وأن ذلك حرام. ومثل ذلك كل عمل يغطي العيب، أو يكتم العيب، فإن ذلك كله تدليس يحرم فعله، فهذه الأحاديث صريحة في النهي عن تصرية الإبل والغنم، وفي النهي عن بيع المحفلات، وهي التي لم تُحلَب حتى يظهر ضرعها كبيراً أو يُتوهم أنها حلوب، وأن ذلك خديعة وأن ذلك حرام(٨٧).

ثالثاً: خيار التدليس وحيازته

وإذا حصل التدليس سواء أكان بالسلعة أم بالعملة صار للمدلَّس عليه الخَيار، إما أن يفسخ العقد أو يمضيه، وليس له غير ذلك. فإذا أراد المشتري إمساك السلعة المعيبة أو المدلَّسة وأخْذ الأرش أي الفرق بين ثمنها من غير عيب وثمنها بالعيب فليس له ذلك، لأن النبي (صلى الله عليه وآله) لم يجعل له أرشاً وإنما خيّره في شيئين (إن شاء أمسك وإن شاء ردّها)(٨٨).

ولا يُشترط أن يكون البائع عالماً بالتدليس أو العيب حتى يثبُت الخَيار بل يثبُت الخَيار للمدلَّس عليه بمجرد حصول التدليس، سواء أكان البائع عالماً أم غير عالم، لأن الأحاديث عامة ؛ ولأن واقع البيع يكون قد حصل على ما نهي عنه، وهذا بخلاف الغُبن فإنه يُشترط فيه العلم بالغبن لأنه إن لم يكن عالماً لم يكن الواقع أنه غابن حتى يكون هناك حق للمغبون.

قال الشيخ الطوسي: «وكذا يحرم إذا باع إنسان من غيره شيئا وهما في المجلس فلكل واحد منهما الخيار في الفسخ، فجاء آخر يعرض على المشتري سلعة مثل سلعته بأقل منها أو خيراً منها ليفسخ ما اشتراه ويشترى منه سلعة فهذا محرم، غير أنه متى فسخ الذي اشتراه انفسخ، وإذا اشترى الثاني كان صحيحاً. قال: وإنما قلنا: إنه حرام، لقوله - عليه السلام -: (لا يبيعن أحدكم على بيع أخيه) (٨٩) قال: وكذا الشراء قبل البيع محرم، وهو أن يعرض على البائع أكثر من الثمن الذي باعه به فإنه حرام»(٩٠).

ومن حاز شيئاً بالتدليس والغش لا يملكه لأنه ليس من وسائل التملك، بل من الوسائل المنهي عنها، وهو مال حرام ومال سحت، قال عليه الصلاة والسلام: (لا يدخل الجنة لحم نبت من سحت، النار أولى به)(٩١).

رابعاً: أحكام التدليس

والتدليس والتغرير والغش حرام ،وإذا كان التدليس مؤثراً في اختلاف الثمن في المعاملات ، يثبت به الخيار لمن وقع عليه شيء من ذلك، فله أن يفسخ الصفقة ليدفع عن نفسه الضرر الناشئ عن التدليس ويثبت حق الفسخ هنا دون اشتراط ، لأن الأصل في البيع السلامة من العيوب ، وانتفاء التدليس(٩٢)،أمّا رأي الفقهاء عند الفريقين في التدليس: إنّ التدليس حرام بالنص في أحاديث كثيرة التدليس في البيع من الطرق المحرمة لتنمية الملك، فيجب أن يكون معلوماً من الإسلام بالضرورة. إنّ الشرع الإسلامي جعل تنمية الملك مقيدة في حدود لا يجوز تعدّيها. ومنها التدليس. فالأصل في عقد البيع اللزوم، فمتى تم العقد بالإيجاب والقبول بين البائع والمشتري وانتهى مجلس البيع فقد لزم عقد البيع ووجب نفاذه على المتبايعيْن(٩٣).

إلاّ أنه لَمّا كان عقد المعاملة يجب أن يتم على وجه يرفع المنازعات بين الناس، فقد حرَّم الشرع على الناس التدليس في البيع، وجعله إثماً سواء حصل التدليس من البائع أو المشتري في السلعة أو العملة، فكله حرام. لأن التدليس قد يحصل من البائع وقد يحصل من المشتري.

وقال الشيخ في المبسوط: إن كان النجش من غير أمر البائع فلا خيار له، لأنه لا يفسخ عليه البيع بفعل غيره، وإن كان بأمره ،فمنهم من قال: لا خيار له، ومنهم من قال: له الخيار لأنه تدليس، والأول أقوى(٩٤).

إذاً دلس البائع على المشتري ما يزيد به الثمن حرم عليه ذلك ، وللمشتري خيار الرد ثلاثة أيام، وقيل إن الخيار يثبت له على الفور. أما الحرمة فللغش والتغرير،وأن أي التدليس لا يفسد أصل البيع، وأصل في أن مدة الخيار ثلاثة أيام، وأصل في تحريم التصرية وثبوت الخيار بها ، فإذا كان التدليس من البائع بدون قصد انتفت الحرمة مع ثبوت الخيار للمشتري دفعا للضرر عنه(٩٥).

إنّ المحرم في التدليس ليس هو الفعل وهو التدليس والتحريم هنا للعقد ولأن التحريم هنا لحق الله تعالى فاسد العقد كبيع درهمين بدرهم بخلاف التدليس فإنه حق آدمي(٩٦).

الخاتمة:

وفي نهاية هذا البحث المتواضع وجدت بعض الأمور التي نلخصها بالختام وبعضها نتائج استلت من خلال عرض البحث المتقدم .

١- لاشك أن منهج الشريعة الإسلامية في التربية تتناول معالجة شؤون الكائن البشري معالجة شاملة لا تترك منها شيئاً، ولا تغفل عنها شيء، في الجوانب المادية والمعنوية ونشاطاته كلها على الارض.

٢- إنّ الوقاية من الجريمة ترتبط بمدى وعي الأفراد والجماعات من خلال الالمام بالتشريعات اللهية والقوانين الوضعية ومدى استعدادهم لاحترامها وعدم تجاوزها، كما ترتبط بمدى قدرة الأجهزة الأمنية والسلطات المختصة على الوقاية من تلك الجرائم.

٤- الغش هو معصية لله تعالى ولرسوله ، ولا يُفيد فاعله إلا الوزر الواقع فيه ، إضافة إلى أن الغاش يعد من الكذابين والظالمين ، والغش سبب لإضاعة حسنات الانسان ، أو لحمل سيئات غيره ممن غشهم وأخذ أموالهم ، كما أنه يعد من الاستهانة بأحكام الله تعالى .

٥- والتدليس يمحو البركات من الاعمال وهو خيانة للأمانة التي كلف الله تعالى الإنسان ، وسبب لقطع الصلات ، وزعزعة الثقة في المجتمع ، وإثارة الأحقاد والبغضاء بين الناس وسبب لنشر الفساد وتضييع مصالح الناس.

٦- ويعتبر الغش والتدليس والخديعة والغرر من الجرائم التي تؤدي إلى أكل أموال الناس بالباطل، وتسبب خللاً وفوضى في المعاملات، كما تضعف الثقة بين الناس، وربما يؤدي بعضها إلى هلاك الأبدان والأعيان والأموال.

٧- وعقوبة الغش في الشريعة الإسلامية بحسب ما يراه القاضي و حسب الأحوال والملابسات، كما يجب رد الحقوق المغتصبة بسبب الغش إلى أصحابها وكذلك فسخ العقود القائمة على الغش. وتطبق عقوبة التعزير على أي جريمة في مجال المعاملات المالية، أن يقوم المتعاقدون سواء أكانوا موردين، أو مقاولين، أو عاملين بعدم الوفاء بما اتفقوا عليه وتعاقدوا على تنفيذه والمماطلة والمغالطة في أداء الحقوق.

الهوامش :

(١)بحث عن الاسلام منهاج للحياة الصحيحة ، مجلة التربية العدد ١١٣ السنة :٢٠٠٤ ص١٤٠.

(٢).المؤمنون :٧١

(٣). وسائل الشيعة ، الحر العاملي ج ١٧ - ص ٣٨٢

(٤) المنهج التكاملي وأهميته وأسسه و أنواعه ، .

(٥) المنهج التكاملي في بناء العقائد ،الشيخ حسين الخشن .

(٦) الكافي ، الشيخ الكليني ، ج ١ ص ١٦

(٧)أصول البحث ، الدكتور عبد الهادي الفضلي - ص ٦١
(٨)مقالة بعنوان ، الفرق بين الشمول والتكامل.
(٩)المعجم الوسيط (معجم اللغة العربي)،مادة(جرم) مكتبة الشروق الدولية، ط ٠٤، ٢٠٠٥
(١٠)لسان العرب، الجزء الثاني، ص١٣٢ ..
(١١)المائدة:٨
(١٢)تفسير الطبري ، ابن جرير الطبري تفسير سورة المائدة الآية ٨. .
(١٣)مختار شبيلي، الإجرام الاقتصادي المالي الدولي وسبل مكافحته، دار هومة، ط١ الجزائر .ص٥٤
(١٤)التشريع الجنائي الإسلامي مقارنا بالقانون الوضعي، عبد القادر عودة ، الناشر : دار الكتب العلمية، ص٣٢ .
(١٥)المصدر نفسه.
(١٦)مبادئ الاقتصاد ،الفريد مارشال نقلا عن مقالة مفهوم الجريمة الاقتصادية للدكتور عادل عامر ، جريدة الفراعنة .
(١٧) الجرائم الاقتصادية من منظور الاقتصاد الاسلامي، د خلف سليمان النمري، المجلة العربية للدراسات الأمنية والتدريب .منشور نت .
(١٨)المسؤولية الجزائية عن الجرائم الاقتصادية"، نور محمد صدقي المساعدة، دار الثقافة للنشر والتوزيع، ٢٠٠٧، عمان.
(١٩) الحسبة في النظام الإسلامي.. تاريخها وأهميتها أ.د. راغب السرجاني
(٢٠)نفحات القران: الشيخ ناصر مكارم الشيرازي ، ج١٠ ، ص٢١٦ .
(٢١) وسائل الشيعة ، ج ١٢ ، ص ٣١٧ ، ح ١ ، الباب ٣.
(٢٢)دائرة معارف دهخدا» (فارسية) في بحث «وظائف المحتسب»، نقلا عن كتاب نفحات الرحمن للشيرازي.».
(٢٣)تحديد مفهوم الجريمة الاقتصادية في التشريع الإسلامي، محمد محمود حسن ص٥٤ . .
(٢٤)مفهوم الجريمة الاقتصادية بقلم :- الدكتور عادل عامر ،
(٢٥)الجرائم الاقتصادية من المنظور الإسلامي المقارن د. محمد إبراهيم الرميثي . ص٢١٣ .
(٢٦)الجريمة الاقتصادية في القانون الوضعي ، محمود محمود مصطفى، طبعة القاهرة ١٩٧٩م .
(٢٧) القرآني للقيم الخلقية والتشريعية علي صبح التصوير ، ص ٢٦٥
(٢٨)نحو ثقافة إسلامية أصيلة عمر سليمان الأشقر الطبعة ٤ ، ص ٢٩٣
(٢٩) سورة الحشر::٧
(٣٠)سورة النساء :٣٢
(٣١)نحو ثقافة إسلامية أصيلة ص ٢٩٤
(٣٢)مناهج التربية أسسها وتطبيقاتها على أحمد مدكور ، ص ١٩١
(٣٣)أصول الدعوة وطرقها، مجموعة من المؤلفين ، صفحة ٤٣-٥٢
(٣٤)دور الشريعة الاسلامية في الوقاية من الجرائم الناجمة عن النمو الاقتصادي، د. أحمد الكبيسي ، - ص٦٥ .
حسين حسين شحاتة، في الفكر الاقتصادي الإسلامي سلسلة بحوث ودراسات.
(٣٥) الفساد الاقتصادي والإصلاح الإسلامي ،
(٣٦) الأعراف : ٩٦
(٣٧)تفسير الميزان ، السيد الطباطبائي ، ج ٨ - الصفحة ٢٠١
(٣٨)البقرة ٢٨٢
(٣٩)الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل - الشيخ ناصر مكارم الشيرازي - ج ٢ - الصفحة ٣٥٣
(٤٠)طه : ١٢٤ ـ ١٢٦
(٤١) التفسير الصافي ، الفيض الكاشاني - ج ٣ - ص ٣٢٥
(٤٢) لسان العرب لابن منظور، دار صادر، بيروت. ج ٦، ص ٣٢٤،٣٢٣.
(٤٣)معجم اللغة العربية المعاصرة ، أحمد مختار ج ٢ - ص ١٦١٩
(٤٤)الغش في البيع والشراء للشيخ أحمد الزومان مقالة على شبكة الالوكة .
(٤٥)التوقيف على مهمات التعاريف، عبدالرؤوف المناوي ، ص٢٥٢
(٤٦)موارد الظمآن لدروس الزمان ، عبدالعزيز السلمان ، ج ٥ ص ٢٤٣
(٤٧)الفقه على المذاهب الأربعة، الجزيري ٢ : ٢٥٥
(٤٨) مصباح الفقاهة في المعاملات - المكاسب المحرمة للسيد الخوئي، باب التكسب الحرام،ج١،ص٧٥٦ .
(٤٩)مصباح الفقاهة في المعاملات ،باب التكسب الحرام. .
(٥٠)المطففين: ١: ٦
(٥١)تفسير الميزان ، السيد الطباطبائي ، ج ٢٠ ص٢٣٠
(٥٢)شرح لقوله تعالى (ويل للمطففين) الكاتب: أبو عبدالله عبد الفتاح بن آدم المقدسي ،شبكة الطريق الى الله.
(٥٣) الانعام :١٥٢
(٥٤)الميزان في تفسير القرآن المؤلف ، العلامة الطباطبائي: ج٧ ص ٣٧٦
(٥٥)الشورى : ٤٢
(٥٦)تفسير الميزان ، السيد الطباطبائي ج ٢ -ص ١٢٩

(٥٧)الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل ، الشيخ ناصر مكارم الشيرازي - ج ١٥ - الصفحة ٥٦٣
(٥٨)ميزان الحكمة ، الريشهري ج٨:ص٤٣٠
(٥٩)الترغيب والترهيب: ج ٢ ص ٥٧١ ح ٢.
(٦٠)ميزان الحكمة ، محمد الريشهري - ج ٣ - الصفحة ٢٥٩.
(٦١)غُرَرُ الحِكَم و دُرَرُ الكَلِم : ٣٦٠ ، حديث رقم : ٨١٥٠ .
(٦٢)نهج البلاغة : ٣٨٣ ، عهد الامام أمير المؤمنين (عليه السلام) لمالك الأشتر ، طبعة صبحي الصالح .
(٦٣)وسائل الشيعة ، ج ١٢. ص ٢٠٩. الباب ٨٦ من أبواب ما يكتسب به. الحديث ٧.
(٦٤) وسائل الشيعة: ج ١٢ ص٢٠٣ .
(٦٥) الكافي: ج ٥ ص ١٦١ ، ح ٧.
(٦٦) كتاب المكاسب ، الشيخ مرتضى الأنصاري ، ج٣ ص١٢٣
(٦٧)كتاب المكاسب ج٣ ص١٢٣.
(٦٨)أخرجه البخاري في كتاب الأحكام (باب من استرعى رعية فلم ينصح) حديث (٦٧٣١).
(٦٩)ما هو المقصود بالغش المحرم في الشريعة الاسلامية؟ ،مركز الاشعاع الاسلامي للدراسات والبحوث
(٧٠) فقه التاجر المسلم ، حسام الدين عفانة ص ٤٣
(٧١)ميزان الحكمة - محمد الريشهري ، ج ٣ ص ٢٣٩ .
(٧٢)موقع السيد السيستاني / www.sistani.org/arabic.. (٧٣)الصحاح، للجوهري ج ٦ ص٢٤٠ .
(٧٤) لسان العرب ،ابن منظور، مادة (دلس) ج ٢ ص ٤٣٦ .
(٧٥)القاموس الفقهي لغة واصطلاحا، سعدي أبو جيب الناشر :دار الفكر. دمشق - سورية ط٢ ١٤٠٨ هـ ١٩٨٨ م .
(٧٦)الفقه الاسلامي وادلته، الدكتور وهبة الزحيلي ج٢ ص٤٣٢ .
(٧٧)كتاب فقه المعاملات، مجموعة من المؤلفين، ج١ ص٧٧ .
(٧٨) الجامع للشرائع ، يحيى بن سعيد الحلي ص ٢٦٧
(٧٩) جامع أحاديث الشيعة - السيد البروجردي ، ج ١٨ ص ٩٢
(٨٠)الوسائل، ج ١٢، الباب ١٣ من أبواب الخيار، الحديث ١.
(٨١)صحيح البخاري ، ج٣ ص ١٨ .
(٨٢)سنن ابن ماجه ، ص١٦٧ .
(٨٣) صحيح البخاري، كتاب البيوع باب النهي للبائع أن لا يحفل الإبل، والبقر والغنم وكل محفلة حديث رقم ٢٠٦٤
(٨٤) الدعائم ج٢ ص٢٣ .
(٨٥) المروى البخاري عن حكيم بن حزام عن النبي (ص).
(٨٦)فتح الباري، لابن حجر ج ٤ ص٣٦١ .
(٨٧)إرواء الصادي من نمير النظام الاقتصادي ، محمد احمد النادي ، كتاب منشور نت.
(٨٨) فتح الباري شرح صحيح البخاري ج٤ ص ٤٢٢
(٨٩)أخرجه البخاري في باب البيوع ٤/٤١٣؛ ومسلم أيضا فيه برقم (١٤١٢).
(٩٠)المبسوط: ج ٢ ص ١٦٠.
(٩١) رواه أحمد عن طريق جابر بن عبد الله..
(٩٢) . كتاب فقه المعاملات مجموعة من المؤلفين، المكتبة الشاملة.ج١ ص٧٧ .
(٩٣) كتاب فقه المعاملات، ج١ ص٦٧
(٩٤) المبسوط: ج ٢ ص ١٥٩.
(٩٥) فقه السنة سيد سابق ج٢ ص٣٤٢
(٩٦) منتهى المطلب العلامة الحلي ج ٢ ص ٣٢٣

المصادر والمراجع

خير ما نبدأ به القرآن الكريم
١- أصول البحث ، الدكتور عبد الهادي الفضلي ، مؤسسة دار الكتاب الإسلامي.
٢-أصول الدعوة وطرقها، مجموعة من المؤلفين، المؤلف: مناهج جامعة المدينة العالمية، الناشر: جامعة المدينة العالمية.
٣-الاقتصاد الإسلامي بين الفكر والتطبيق تأليف حسين حسين شحاتة الناشر دار النشر للجامعات السلسلة الفكر الاقتصادي الإسلامي الطبعة ٢٠٠٨ .
٤-الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل ، الشيخ ناصر مكارم الشيرازي: الناشر: مدرسة الامام علي بن ابي طالب عليه السلام: الطبعة: الاولى التصحيح الثالث .
٥-تفسير الصافي المؤلف الفيض الكاشاني تصحيح و تعليق حسين الاعلمي الناشر مكتبة الصدر،ط٣ ١٤١٥ .
٦-التصوير القرآني للقيم الخلقية والتشريعية المؤلف: علي علي صبح الناشر: المكتبة الأزهرية للتراث.
٧-الترغيب والترهيب. (٥ تقييمات). مؤلف :إسماعيل بن محمد بن الفضل الجوزي

الأصبهاني أبو القاسم قوام السنة. قسم :المسانيد. اللغة : العربية. الناشر : دار الحديث.
٨-التربية الإسلامية بين الأصالة والمعاصرة، فرحان، أسحق أحمد، دار الفرقان، عمان، ١٩٨٢م .
١٠-التشريع الجنائي الإسلامي مقارنا بالقانون الوضعي، عبد القادر عودة ، الناشر : دار الكتب العلمية.
١١-التوقيف على مهمات التعاريف، المؤلف زين الدين محمد المدعو بعبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي بن زين العابدين الحدادي ثم المناوي القاهري (المتوفى) الناشر دار الفكر المعاصر ، دار الفكر - بيروت ، دمشق.
١٢- جامع أحاديث الشيعة المؤلف: السيد البروجردي الجزء: ١ الوفاة: ١٣٨٣ المجموعة: مصادر الحديث الشيعية ـ القسم العام تحقيق: الطبعة: سنة الطبع
١٣-الجامع للشرائع - يحيى بن سعيد الحلي الهذلي المتوفى ٦٩٠ هـ تحقيق وتخريج: ثلة من الفضلاء. الناشر: مؤسسة سيد الشهداء - العلمية.
١٤-جامع البيان عن تأويل آي القرآن ، ابن جرير الطبري؛ محمد بن جرير بن يزيد الطبري، أبو جعفر ، المحقق: عبد الله بن عبد المحسن التركي الناشر: دار هجر للطباعة والنشر.
١٥- الإجرام الاقتصادي المالي الدولي وسبل مكافحته، مختار شبيلي، دار هومة، ط١ الجزائر .
١٦-الجريمة الاقتصادية في القانون الوضعي ، محمود محمود مصطفى، طبعة القاهرة ١٩٧٩م .
١٧-الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية المؤلف: أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي (المتوفى: ٣٩٣هـ) تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار الناشر: دار العلم.
١٨-صحيح البخاري ، بخاري، أبو عبد االله محمد بن إسماعيل، ، دار الفكر، بيروت، ١٩٨٣.
١٩-غُرَرُ الحِكَم و دُرَرُ الكَلِم : لعبد الواحد بن محمد التميمي الآمدي ، و المتوفى سنة : ٥٥٠ هجرية ، طبعة : مؤسسة الإعلام التابعة للحوزة العلمية بقم ، إيران.
٢٠-فتح الباري شرح صحيح البخاري المؤلف: أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي الناشر: دار المعرفة ، بيروت.
٢١-فقه السنة المؤلف: سيد سابق (المتوفى: ١٤٢٠هـ) الناشر: دار الكتاب العربي، بيروت - لبنان الطبعة: الثالثة، ١٣٩٧ هـ
٢٢-فقه التاجر المسلم المؤلف: حسام الدين بن موسى محمد بن عفانة الطبعة: الأولى، بيت المقدس ١٤٢٦هـ
٢٣-الفقه على المذاهب الأربعة، الجزيري ، المؤلف: عبد الرحمن بن محمد عوض الجزيري (المتوفى: ١٣٦٠هـ) الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان الطبعة: الثانية، ١٤٢٤ هـ
٢٤-الفقه الاسلامي وادلته، الدكتور وهبة الزحيلي ، جامعة دمشق - كلّيَّة الشَّريعة الناشر: دار الفكر - سوريَّة - دمشق .
٢٥-فقه المعاملات المؤلف: عبد العزيز محمد عزام الناشر: مكتب الرسالة الدولية للطباعة والكمبيوتر ١٩٩٧-١٩٩٨مـ .
٢٦-القاموس الفقهي لغة واصطلاحا، سعدي أبو جيب الناشر :دار الفكر. دمشق - سورية ١٤٠٨ هـ ط٢ ١٩٨٨ م .
٢٧- الكافي، الاصول والروضة ، كليني، محمد بن يعقوب، تحقيق محمد صالح بن احمد مكان النشر: طهران، الناشر: المكتبة الاسلامية .
٢٨-لسان العرب ، ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم ، الدار المصرية للتأليف والترجمة، القاهرة، د .ت .
٢٩-المبسوط في فقه الامامية الكاتب طوسي محمد بن الحسن ، كشفي محمد تقي بهبودي محمد الباقر مكان النشر تهران الناشر المكتبة المرتضوية لا حياء الآثار الجعفرية.
٣٠- المسند ، احمد بن حنبل، ، ط٤ ، ،المكتب الإسلامي، بيروت، ١٩٨٣ م .
٣١-المعجم الوسيط (معجم اللغة العربي)، مكتبة الشروق الدولية، ط ٠٤، ٢٠٠٥
٣٠-مناهج التربية أسسها وتطبيقاتها المؤلف: على أحمد مدكور الناشر: دار الفكر العربي الطبعة: ١٤٢١هـ - ٢٠٠١م.
٣١-منتهى المطلب في تحقيق المذهب للعلامة الحلي الحسن بن يوسف بن علي بن المطهر ٦٤٨ - ٧٢٦ هـ الجزء الأول تحقيق قسم الفقه في

مجمع البحوث الإسلامية .
٣٢-مصباح الفقاهة في المعاملات - المكاسب المحرمة (موسوعة الإمام الخوئي) الشيخ محمد علي التوحيدي. مؤسسة الخوئي الإسلامية.
٣٣-المكاسب ، المؤلف مرتضى الأنصاري: إعداد لجنة تحقيق تراث الشيخ الأعظم. - قم: مجمع الفكر الإسلامي ١٤٢٠ ه.
٣٤-المسؤولية الجزائية عن الجرائم الاقتصادية ،نور محمد صدقي المساعدة، ، دار الثقافة للنشر ٢٠٠٧، عمان.
٣٥-موارد الظمآن لدروس الزمان ، عبدالعزيز السلمان الطبعة: ١٩٨٢ ،الناشر مكتبة الشيخ السلمان .
٣٦-الميزان في تفسير القرآن . المؤلف : السيد محمد حسين الطباطبائي. الناشر : مؤسسة الأعلمي للمطبوعات-بيروت. تأريخ الاصدار : ١٤١٧هـ .
٣٧-ميزان الحكمة ،محمد الريشهري، الناشر : دار الحديث - قم. تأريخ الاصدار : ١٤٢٢هـ
٣٨-نفحات القران: الشيخ ناصر مكارم الشيرازي ،الناشر مدرسة الامام علي بن ابي طالب عليه السلام، ط١ ١٤٢٦هـ .
٣٩-نحو ثقافة إسلامية أصيلة عمر سليمان الأشقر الطبعة ٤ ، الأردن - عمان: دار النفائس للنشر والتوزيع.
٤٠-نهج البلاغة : عهد الامام أمير المؤمنين (عليه السلام) لمالك الأشتر ، طبعة صبحي الصالح
٤١-وسائل الشيعة (تفصيل وسائل الشيعة إلى تحصيل مسائل الشريعة) : محمد بن الحسن بن علي ، المعروف بالحُر العاملي ، ،ت : ١١٠٤ هجرية طبعة : مؤسسة آل البيت ، سنة : ١٤٠٩ هجرية ، قم .

المجلات والدوريات والانترنيت:
١-دور الشريعة الإسلامية في الوقاية من الجرائم الاقتصادية، أحمد عبيد الكبيسي ، مجلة القانون المقارن، العدد ١٨، ١٩٨٦ .
٢-الجرائم الاقتصادية أنواعها وطرق مكافحتها والوقاية منها، محمد احمد المشهداني، مجلة العلوم القانونية، المجلد العشرون، العدد الاول ٢٠٠٥
٣-إرواء الصادي من نمير النظام الاقتصادي ، محمد احمد النادي ، كتاب منشور نت
٤-د خلف سليمان النمري، الجرائم الاقتصادية من منظور الاقتصاد الاسلامي، المجلة العربية للدراسات الأمنية والتدريب .منشور نت
٥-بحث عن الاسلام منهاج للحياة الصحيحة ﷺ ، مجلة التربية العدد ١١٣ السنة :٢٠٠٤ ص١٤٠
٦-المنهج التكاملي وأهميته وأسسه و أنواعهن
٧-academy.com/blog
٨-https://www.almrsal.com
مقالة بعنوان ، الفرق بين الشمول والتكامل. موقع المرسال.
٩-مبادئ الاقتصاد ،الفريد مارشال نقلا عن مقالة مفهوم الجريمة الاقتصادية للدكتور عادل عامر ، جريدة الفراعنة
https://www.alittihad.ae/wejhatarticle١٠- الجرائم الاقتصادية من المنظور الإسلامي المقارن، د. محمد إبراهيم الرميثي
٣maraje.https://١١com- تحديد مفهوم الجريمة الاقتصادية في التشريع الإسلامي، محمد محمود حسن،
١٢-الغش في البيع والشراء للشيخ أحمد الزومان مقالة علي شبكة الالوكة .
١٣- شرح لقوله تعالى (ويل للمطففين) الكاتب: أبو عبدالله عبد الفتاح بن آدم المقدسي شبكة الطريق الى الله.
١٤-www.islam٤u.com- ما هو المقصود بالغش المحرم في الشريعة الاسلامية؟ ،مركز الاشعاع الاسلامي للدراسات والبحوث www.sistani.org/arabic.
١٥-موقع السيد السيستاني
https://islamstory.com/ar/artical
١٦-الحسبة في النظام الإسلامي.. تاريخها وأهميتها أ.د. راغب السرجاني

فصلية مُحَكَمة تُعنى بالبحوث والدراسات العلمية والإنسانية والفكرية
العدد (٣) السنة الثانية ذو القعدة ١٤٤٣ هـ حزيران ٢٠٢٢ م

تاريخ الاجتهاد عند السيد المقرّم عرض وتحليل

أ.م.د. عمار محمد حسين الأنصاري
جامعة كربلاء / كلية العلوم الإسلامية

الخلاصة:
يمثل الفقه الاسلامي الركيزة الأولى للحضارة الإسلامية والقانون الإلهي الذي ينظم حياة الإنسان في الدنيا والآخرة بما يحويه من ثروة تشريعية مصدرها الشارع المقدس ؛ والتي تصلح لجميع العصور لأنها خاتمة الشرائع وأكملها وقادرة على الوفاء بجميع حاجات الإنسان المتجددة على مرّ الأزمان، فالفقه يسير مع الإنسان ويتطور بتطوره وتتغير أساليبه ومقدماته بتغيّر أساليبه ، فهو يسير بحركة اطرادية معه كونه المخلوق الأرقى على وجه الأرض ، أما من حيث المشقة في البحث عن تاريخ الاجتهاد ؛ فلكثرة الأدوار التي مرّ بها الفقه وتبلور المذاهب والمدارس الفقهية وتعددها وانقسامها على مدرسة النص ومدرسة الرأي ومدرسة الحديث ، وهذا الانقسام والتعدد أدى إلى التباين في مراحل تطور الاجتهاد عند المسلمين وتعدد مناهجه وأدواره ، ومن بين العلماء الذين خاضوا في هذا المضمار السيد المقرّم من خلال مقدمة كتبها بقلمه الشريف على كتاب الاجتهاد والتقليد للسيد الخوئي تقريرات الميرزا علي الغروي ، لذا تناولت ما كتبه السيد عن تاريخ الاجتهاد من خلال العرض للمطالب وتحليلها ، محاولا بيان منهجه في عرض الموضوعات، ومحاولة إكمال بعض المطالب التي تستدعي بعض التوضيح والتفصيل .الكلمات المفتاحية : السيد المقرّم ، الاجتهاد ، تاريخه ، مراحل نشوء الاجتهاد ، الإمامية ، المذاهب الأخرى

Abstract:
Islamic jurisprudence is the first pillar of the Islamic civilization and divine law، which regulates the human life in this world and the Hereafter، including the wealth of its content from the legislative source sacred street; Which is suitable for all ages as the conclusion laws and completed and able to meet all the needs of the renewable over the times of man، Valvgah walks with man and develops its evolution and change methods and introductions change methods of man، he walks Ataradah with the human being a creature finest movement on the face of the earth، but in terms of hardship Search for the history of jurisprudence Falaktherh roles experienced by the Fiqh and crystallized doctrines and schools of jurisprudence and pluralism and divided into school text and school opinion modern School، this division and pluralism has led to different stages of diligence when Muslims and the multiplicity of its methods and roles، and among the scientists who fought in this regard، Mr. Almqurm through the introduction to his pen.Sharif on the book of diligence and tradition of Mr. Al.Khoei predictions Mirza Ali colloid، so dealt with what was written by Mr. on the history of jurisprudence through the presentation of the demands and analysis، trying statement approach in the presentation of topics، and try to complete some of the demands that require some clarification and detail.

Keywords: Mr. Almqurm، diligence، history، stages of the development of jurisprudence، front، and other doctrines.

مقدمة:

الحمد لله الذي لا شريك له في خلقه ، ولا منازع له في مُلكه ، ولا مضادَ له في حكمه ، الذي بعُد فلا يُرى وقرُب فشهد النجوى ، والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين الذي أشرقت بنور وجهه الكائنات وختمت برسالته الرسالات وبنبوته النبوات سيدنا ونبينا وشفيعنا أبي القاسم محمد بن عبد الله صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله الطيبين الطاهرين الهداة المنتجبين المعصومين.

وبعد ..

يمثل البحث في تاريخ الإجتهاد مبحثا مهما وشاقا على كل باحث ؛ كونه يتعلق بالفقه الإسلامي الذي يمثل الركيزة الأولى للحضارة الإسلامية والقانون الإلهي الذي ينظم حياة الإنسان في الدنيا والآخرة بما يحويه من ثروة فكرية وتشريعية مصدرها التشريع السماوي ؛ والتي تصلح لجميع العصور كونها خاتمة الشرائع وأكملها ، وقادرة على الوفاء بجميع حاجات الإنسان المتجددة على مر الأزمان وتطور الإنسان واتساع المكان ، فالفقه يسير مع الانسان ويتطور بتطوره وتتغير أساليبه ومقدماته بتغير أساليبه ، إذ أنه يسير بحركة اطرادية معه كونه المخلوق الأرقى على وجه الأرض ، أما من حيث المشقة في البحث عن تاريخ الاجتهاد ؛فلكثرة الأدوار التي مر بها الفقه وتبلور المذاهب والمدارس الفقهية وتعددها ، وانقسامها الى مدرسة النص ومدرسة الرأي ومدرسة الحديث ، وهذا الانقسام والتعدد أدى إلى التباين في مراحل تطور الاجتهاد عند المسلمين وتعدد مناهجه وأدواره ، والسبب الأساس في اختياري للكتابة في هذا المضمار أنني وجدت مقدمة بقلم السيد المقرم على كتاب الاجتهاد والتقليد للسيد الخوئي تقريرات الميرزا علي الغروي ذكرها ناشر الكتاب بعنوان (تاريخ الاجتهاد بقلم سماحة الحجة السيد عبد الرزاق المقرم) كما ان الأخوة في العتبة الحسينية المقدسة قاموا بطباعة جميع مؤلفاته فأرجو من الله أن يوفقهم لطباعة هذه المقدمة وباقي ما حرره السيد المقرم من مقدمات وتقريرات لأبحاث أساتذته ، لذا تناولت ما كتبه من خلال العرض للمطالب وتحليلها ، والتي كتبها سماحته (قدس سره) عن تاريخ الاجتهاد ، محاولا بيان منهجه في عرض موضوعات البحث عن تاريخ الاجتهاد - والتي كانت مختصرة إلى حد ما - ومحاولة إكمال بعض المطالب التي تستدعي بعض التوضيح والتفصيل ، لذا انتظم البحث على مقدمة وأربعة مطالب ، كان المطلب الأول في نبذة عن حياة السيد المقرم ، أما المطلب الثاني فكان في ذكر مقدمات لتاريخ الاجتهاد ، أما المطلب الثالث فكان بعنوان مراحل نشوء الإجتهاد عند المسلمين ، وكان المطلب الرابع بعنوان مراحل نشوء الإجتهاد عند الإمامية ،ثم خاتمة ذكرت فيها أهم ما توصلت إليه خلال البحث ، ثم قائمة بالمصادر والمراجع المعتمدة.

المطلب الأول : حياة السيد المقرم

أولا : اسمه ونسبه :

هو الخطيب الحسيني الحجة السيد عبد الرزاق بن محمد بن عباس بن حسين بن قاسم النسابة بن حسون بن سعيد بن حسن بن كمال الدين الموسوي آل المقرم الدغاري النجفي ، ولد سنة ١٣١٦هـ في النجف الأشرف (١).

ثانيا : أقوال العلماء فيه :

قال عنه الشيخ الأميني بأنه أحد أعلام العصر المكثرين من التأليف في المذهب ، على تضلعه في العلم ، وقدمه في الشرف ، واحتوائه للمآثر الجليلة من مهمات تآليفه ، ثم ذكر مجموعة من مؤلفاته والتي عبّر عنه بأنه قد جمع فيها وأوعى وأتى بما خلت عنه زبر الأولين فحياه الله ووفقه للخير كله(٢).

ووصفه نجل الأميني بقوله :» عالم متتبع ومجتهد محقق متضلع في الفقه المقارن والتاريخ الإسلامي ، مؤلف مكثر له كتب ـ ثمّ عدها ـ ولد سنة ١٣١٦ وربّاه جدّه الأعلى السيد حسين (ت ١٣٣٤ هـ) وكان من عادته أن يعقد مجالس الحسين (عليه السلام) في داره ، وأن يقرأ التعزية بنفسه وقد حضرت له مجالس في داره وشاهدت جمعا من عارفي فضله يشارك فيها ، منهم سيدنا الأستاذ الخوئي ، وقد كتب سلسلة كتب في تراجم أهل البيت (عليهم السلام) وسعى في إحياء تراثهم»(٣).

وقال عنه الشيخ جعفر السبحاني : كان عالما إماميا ، باحثا ، مؤلفا ، متضلعا في الفقه المقارن والتاريخ الإسلامي وعكف على البحث والتأليف ، وتفانى في حبّ أهل البيت (عليهم السلام) واهتم بتاريخهم وقرض الشعر ، وكان يقرأ مقتل الإمام السبط الشهيد (عليه السلام) في يوم عاشوراء من كل عام بكربلاء وله مؤلفات كثيرة(٤).

ثالثا : أساتذته

تربّى في بيت من بيوت العلم والمعرفة وتغذى منذ نعومة أظفاره على حبّ أهل البيت (عليهم السلام) فقد تولى تربيته وتعليمه جدّه السيد حسين المقرم فكان أول أساتذته ثم حضر على أعلام عصره ، منهم : السيد أبو الحسن الأصفهاني والشيخ أغا ضياء العراقي والشيخ الميرزا حسين النائيني والسيد محسن الحكيم والسيد محمد البغدادي والشيخ حسين الحلي والشيخ محمد رضا آل كاشف الغطاء والسيد الأستاذ أبي القاسم الخوئي واختص به ، وحضر في الفلسفة على الشيخ محمد حسين الأصفهاني (٥) .

رابعا : آثاره العلميّة:

عكف السيد طيلة عمره الشريف على البحث والتأليف ، خاصة فيما يتعلق بأهل بيت العصمة صلوات الله عليهم ؛ لحبه وشغفه بهم فكانت جلّ مصنفاته عنهم ، وهي كالآتي :

١ـ مقتل الحسين أو حديث كربلاء وهو أشهر مؤلفاته طبع سنة ١٣٦٨ هـ ، كما طبع مرات عدة ، منها الطبعة الخامسة في بيروت سنة ١٣٩٩ هـ ـ ١٩٧٩ م ، كما وترجم إلى اللغة الانكليزية وطبعت الترجمة في المدرسة الحرة بشيكاغو سنة ١٣٩٩ هـ

٢ـ الإمام زين العابدين عليه السلام ، طبع في النجف سنة ١٣٧٤هـ.

٣ـ الإمام الجواد عليه السلام ، طبع سنة ١٣٧١ هـ.

٤ـ الإمام الرضا عليه السلام ، طبع بدون تاريخ.

٥ـ حياة المختار ، طبع سنة ١٣٥٦هـ.

٦ـ زيد الشهيد عليه السلام ، طبع سنة ١٣٧١هـ.

٧ـ سرّ الإيمان في الشهادة الثالثة في الأذان ، طبع سنة ١٣٧٤هـ.

٨ـ السيدة سكينة عليها السلام ، طبع سنة ١٣٦٩هـ.

٩ـ الشهيد مسلم بن عقيل عليه السلام ، طبع سنة ١٣٦٩هـ.

١٠ـ الصديقة الزهراء عليها السلام ، طبع في النجف سنة ١٣٧٠هـ.

١١ـ علي الأكبر عليه السلام ، طبع سنة ١٣٦٧هـ.

١٢ـ قمر بني هاشم العباس عليه السلام، طبع سنة ١٣٦٩هـ.
١٣ـ يوم الأربعين طبع سنة ١٣٧٧هـ.
وقد تبنت اللجنة التحضيرية الخاصة بمؤتمر السيد المقرم وجهود الأخوة في العتبة الحسينية المقدسة بطباعة مجموعة آثاره وهي :(النقل قبل الدفن إلى المشاهد (٣ج)، حادثة البقيع ، التعريف بذي الكفل ، التعريف بالمسجد الأقصى ، مجموعة رسائل ، نقل الأموات في الفقه الإسلامي ، العقيلة زينب بنت أمير المؤمنين (عليه السلام) ،نقد التاريخ في الرضاع من حليمة ، ذكريات الأئمة الأطهار (عليهم السلام) ، بحوث إسلامية في الفقه والتاريخ ، يوم الغدير أو حجة الوداع ، نوادر الآثار ١٠ج ، حلق اللحية في الفقه الإسلامي ، رباتب الرسول (صلى الله عليه وآله) ، صحائف التعقيب ، صلاة ليلة الرغائب ، حديث الخراج بالضمان الإسلام يجب ما قبله) . فضلا عن تقريراته لأستاذه السيد الخوئي – المحاضرات في الفقه الجعفري للسيد علي الشاهرودي وتعليقة في الفقه المقارن ـ ومقدمة لتاريخ الاجتهاد للسيد الخوئي تقرير الميرزا علي الغروي وهي محل بحثنا هذا.

خامسا : وفاته
توفي قدس سره في (يوم ١٧) محرم الحرام سنة ١٣٩١هـ في النجف الأشرف ودفن في داره(٦).

المطلب الثاني : مقدمات لتاريخ الاجتهاد
أولا : الاجتهاد في اللغة والاصطلاح
أ ـ الاجتهاد لغة :
مأخوذ من (الجهد) وهو المشقة ، أو من (الجهد) وهو الوسع والطاقة(٧) ، قال الفيومي:» اجتهد في الأمر : بذل وسعه وطاقته في طلبه ليبلغ مجهوده ويصل إلى غايته»(٨) ، ويؤيده قول السيد المرتضى « فأما الاجتهاد ، فموضوع في اللغة لبذل الوسع والطاقة في الفعل الذي يلحق في التوصل إليه بالمشقة ، كحمل الثقيل وما جرى مجراه ثم استعمل فيما يتوصل به إلى الأحكام من الأدلة على وجه يشق « (٩) ، ومنه نرى أن الاجتهاد في معناه اللغوي يفيد طلب الشيء والسعي في تحصيله بمشقة.

ب ـ الاجتهاد اصطلاحا :
تباينت أقوال العلماء فيه ما بين موسع ومضيق لمفهومه ، إذ عرفه المحقق الحلي بأنه « بذل الجهد في استخراج الأحكام الشرعية « (١٠)، أما العلامة الحلي فإنه يرى أنه « استفراغ الوسع في النظر فيما هو من المسائل الظنية الشرعية على وجه لا زيادة فيه»(١١) ، واختصره الآخوند الخراساني على «تحمل المشقة» (١٢) ، وقال السيد الخوئي « والصحيح أن يعرف الاجتهاد باستفراغ الوسع في تحصيل الحجة على الأحكام الشرعية أو تعيين الوظيفة عند عدم الوصول إليها « (١٣)، وهذا التعريف هو الراجح من بين ما تقدم من تعريفات كونه يحيط بكل مستلزمات الاجتهاد ووظائف المجتهد في استنباطه للأحكام الشرعية من أدلتها الأصلية أو الأدلة التبعية.

ثانيا : تاريخ الاجتهاد :
يصف السيد المقرم حال المجتمع العربي قبل بعثة النبي محمد (صلى الله عليه وآله) وما فيه من انحطاط وتخلف فيقول:
«لقد كانت الأمم تترامى بهم أمواج الضلال فلا ينقذون من هوة الهوان إلا ويقذفون إلى أعمق منها، سادت فيهم الفوضى ونبتت عليهم العادات الخرافية وحكمتهم النواميس المخزية فمن دماء مهدورة وغارات متتابعة وأخلاق وحشية ونظم مهتوكة ، وسبيل الأمن شائك وسير الإنسانية

متقهقر ، يعبدون الحجارة ويشربون الرنق ويقتاتون القدّ، أذلة خاسئين ، يخافون أن يتخطفهم الناس فظهر بينهم الرسول الأقدس محمد (صلى الله عليه وآله) حاملاً مصباح الهداية هاتفاً بما فيه حياة البشر عامة من الطقوس الراقية والتعاليم الإلهية والنظم المقدسة فأبطل مسعى الإلحاد وتفككت عرى الوثنية واندحرت عادات الجاهلية وكان دستوره المتكفل للعز الخالد»(١٤) ، وفي هذا إشارة إلى ان الله سبحانه قد أنزل رسالته على نبيه الكريم (صلى الله عليه وآله) تشرح للبشر مغزى حياتهم وتهديهم إلى صراط النجاة ؛ باعتبارها الرسالة الخاتمة والأكمل والأوسع والأشمل لكل الرسالات السابقة على لسان خاتم النبيين محمد (صلى الله عليه وآله) ، واختتم الله كتبه السماوية بأكملها وأشملها وأخلدها وهو القرآن الكريم ، ولكون الشريعة الإسلامية خاتمة الشرائع السماوية فقد أودع الله سبحانه فيها من الأصول والأحكام ما يجعلها قادرة على الوفاء بحاجات الانسانية المتجددة على امتداد الزمان واتساع المكان وتطور الإنسان ، وكان مصدر هذه الأحكام كتاب الله بما تضمنه من كليات الأحكام الشرعية ، وسنة نبيه (صلى الله عليه وآله) بما تضمنته من تفصيل وتطبيق لهذه الأحكام بقوله وفعله وتقريره (صلى الله عليه وآله) ، وبعد وفاته (صلى الله عليه وآله) انتهى عصر النص عند المذاهب الإسلامية عدا الإمامية ، وبدأ عصر الاجتهاد والمجتهدين.

المطلب الثالث : مراحل نشوء الاجتهاد عند المسلمين

تباينت آراء علماء المذاهب الأخرى عند كتابتهم عن تاريخ الاجتهاد ومراحل تطوره ، فالاتجاه الأول قسمه إلى أربعة مراحل وهي: طور الطفولة ثم طور الشباب فطور الكهولة ثم طور الشيخوخة والهرم مشبهاً له بالكائن الحي الذي ينمو ويتطور بمرور الزمن(١٥) ، أما الاتجاه الثاني فقسمه إلى خمسة أدوار طبقاً للأسباب والأحداث التي رافقت تكامله وارتقاءه ابتدأها بعصر التشريع ثم عصر الصحابة والتابعين ثم عصر التدوين والأئمة المجتهدين ثم فترة توقف الحركة الاجتهادية وظهور التقليد ثم عصر النهضة وإعادة النشاط الفقهي (١٦) ، واختزلها الأستاذ محمد سلام مدكور إلى ثلاثة أدوار هي : عصر الرسول (صلى الله عليه وآله) والصحابة ثم عصر تكوين المذاهب والتدوين ثم عصر التقليد والنهضة الحديثة(١٧) .

ويبدو أن السيد المقرم قد اعتمد في الغالب على ما ذكره أصحاب الاتجاه الثاني لكن بصورة مقتضبة ، فقد بدأ السيد المقرم بذكر مصادر التشريع في المرحلة النبوية وهي القرآن والسنة الشريفة وحاول اعطاء صورة مفصلة عنهما من حيث التعريف وال أهمية:

أ- «الكتاب المجيد فإنه منبع المعارف والعلوم فاستعان به علماء العربية وفقهاء الشريعة واتخذه الفرق الإسلامية للتدليل على ما ذهبوا إليه وركن إليه الفلاسفة وأساتذة الطب في المهم من هذه المباحث» (١٨)، وفي هذا إشارة منه إلى التعريف بالقرآن الكريم باعتباره المصدر الأول للتشريع فهو كما يعرفه السيد محمد باقر الصدر بأنه : «الكلام المعجز المنزل وحيا على النبي (صلى الله عليه وآله) المكتوب في المصاحف المنقول عنه بالتواتر المتعبد بتلاوته»(١٩)

ب- جمع القرآن وتدوينه :

بعد أن وضح السيد المقرم أهمية القرآن تطرق إلى مسألة مهمة كانت مثار جدل

بين العلماء ألا وهي مسألة جمع القرآن وتدوينه مبينا أنّ القرآن قد جُمع في زمن النبي (صلى الله عليه وآله) ومستدلا على ذلك من كتب القوم ،قال :»

وقد جمع الصحابة كتاب الله بتمامه في إضبارة خاصة أيام صاحب الدعوة الإلهية بأمر منه صلوات الله عليه وآله ، معللا ذلك بقوله : « فإن تركه هذا القانون الموحى به إليه في الجرائد والعظام كما عليه المزاعم معرض للتلف والزيادة والنقصان مع أنه متكفل لأنظمة حياة الأمم وسعادتها فرسول السماء المبعوث للإصلاح لا يستسيغ ترك القرآن متفرقا بين الصبيان والنساء» أي أن جمع القرآن وكتابته في حياة النبي (صلى الله عليه وآله) كان ضروريا ؛ لأنّ الاعتماد على حفظ القرآن في الصدور لم يكن يبعث على الاطمئنان فيما يخص صيانته والحفاظ عليه ، ويؤكد هذا السيد الصدر؛ إذ يرى أنّ مجموع الظروف والخصائص الموضوعية والذاتية المسلمة واليقينية التي عاشها النبي والمسلمون والقرآن أو اختصوا بها ، مما يجعلنا نقتنع بضرورة قيام النبي (صلى الله عليه وآله) بجمع القرآن في عهده ، ومن هذه الخصائص أن القرآن يعتبر الدستور الأساسي للأمة الاسلامية ، وهو يشكل الزاوية الرئيسية التي يقوم عليها كيان الأمة العقدي والتشريعي والثقافي،فضلا عن شعور المسلمين بالأهمية التي يحتلها القرآن في حياتهم الاجتماعية ، ومركزه من الدور الذي ينتظرهم في الحياة الإنسانية (٢٠) . ثمّ ذكر السيد المقرّم أنّ الإمام علي (عليه السلام) أوّل من جمع القرآن على عهد النبي (صلى الله عليه وآله) إذ قال :»ولم يختلف اثنان في جمع أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام لكتاب الله على حسب النزول» ويؤكد هذا ما ورد في كتب المذاهب الأخرى(٢١) ، فقد رأى ابن النديم مصحفا بخط علي (عليهه السلام) عند أبي يعلى حمزة الحسيني يتوارثه بنو الحسن(٢٢) ،وذكر الآلوسي أنّ جماعة من الصحابة ختموا القرآن عدة مرات على النبي صلى الله عليه وآله (٢٣) .ونقل القرطبي حديثا عن محمد بن كعب القرظي أن علي بن أبي طالب(عليه السلام) وعثمان وابن مسعود ختموا القرآن ورسول الله صلى الله عليه وآله حي (٢٤) ، وأمّا ابن العربي المالكي الأندلسي فإنّه لم يتأخر عمّا عليه صحيح الأحاديث من جمع القرآن بتمامه أيام النبي صلى الله عليه وآله وبأمر منه فيقول: «كان تأليف القرآن ينزل من عند الله تعالى فيبينه النبي لكتابه ويميزه لأصحابه ويرتبه على أبوابه إلا براءة فإنه لم يذكر لهم شيئا ليتبين للخلق أن الله تعالى يفعل ما يشاء»(٢٥) ،وروى البخاري حديث أنس بن مالك الذي ينص على أن أربعة من الصحابة جمعوا القرآن على عهد رسول الله صلى الله عليه وآله وهم معاذ بن جبل وزيد بن ثابت وأبو زيد عند عمومته واختلفت الرواية عنه في الرابع هل هو أبو الدرداء أو أبي بن كعب (٢٦)، ويستوضح الحاكم النيسابوري جمع القرآن على عهد الرسول صلى الله عليه وآله من قول زيد بن ثابت « كنا عند رسول الله نؤلف القرآن من الرقاع (٢٧) ، ويؤكده مجاهرة ابن عمر في جمعه القرآن وقراءته كل ليلة غير أن النبي صلى الله عليه وآله أمره بقراءته في كل شهر(٢٨) ، وفي كل ما تقدم دلالة على أنّ القرآن قد جمع على عهد رسول الله وفي حياته (صلى الله عليه وآله) ردا على من يدّعي أن القرآن قد جمع على عهد الشيخين.

ج- السنة النبوية:

يعرفها السيد المقرم بأنها«عبارة عن أوامر النبي(صلى الله عليه وآله) ونواهيه وأعماله بحضرة أصحابه قاصدا تعبيد الجادة الموصلة إلى الرضوان وتقريره الأعمال التي تأتي بها الصحابة بحضرته»(٢٩)،وهو بهذا يقتصر السنة على النبي (صلى الله عليه وآله) فقط والمفروض أن يقول المعصوم (عليه السلام) لتشمل الأئمة (عليهم السلام)(٣٠) .أما من حيث الحجية فإنه يرى أنها كالكتاب المجيد في تلكم الأهمية الكبرى لأن صاحبها لا ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى»(٣١) ، ثم تطرق إلى ذكر أول من دوّن السنة من الشيعة الإمامية « وأول من دوّن الحديث من الشيعة أبو رافع مولى رسول الله صلى الله عليه وآله أهداه له العباس بن عبد المطلب فأعتقه النبي صلى الله عليه وآله وسماه إبراهيم وأسلم قديما وهاجر إلى المدينة ولازم أمير المؤمنين عليا عليه السلام وكان قيمه على بيت ماله بالكوفة إلى أن توفي أول خلافته» ومن قبله دوّن أمير المؤمنين (عليه السلام) الصحيفة الجامعة وهي « إملاء رسول الله (صلى الله عليه وآله) وخط علي (عليه السلام) وهي عند أهل بيته يتوارثونها» (٣٢) ، وقال النجاشي عن أبي رافع بأنه « أول من دوّن في علم الفقه ومن بعده ابنه علي وهو تابعي من خيار الشيعة وكانت له صحبة أمير المؤمنين (عليه السلام) وكان كاتبا له»(٣٣)،وتبعهم في ذلك سليم بن قيس الهلالي في كتابه الأصل الذي قال عنه ابن النديم « وكان للشيعة في العصر الأول نشاط مستقل في هذا الفن،وأول كتاب ظهر لهم كتاب سليم بن قيس الهلالي»(٣٤). وردّ السيد المقرم رأي السيوطي في أن أول من دوّن هو الزهري وذلك لتقدم أبي رافع عليه إلا أن يقصد به أول التابعين ، ثم نقل رأي الزرقاني في أنه يذهب « إلى أن الصحابة والتابعين لم يكتبوا الحديث وإنما كانوا يؤدون الأحاديث لفظا ويأخذونها حفظا إلا كتاب الصدقات ولما خاف عمر بن عبد العزيز اندراسها أمر قاضيه على المدينة أبا بكر محمد بن عمرو بن حزم أن يجمع الأحاديث وتوفي ابن عبد العزيز وقد جمع ابن حزم كتابا قبل أن يبعث به إليه وفي تخريج أبي نعيم الأصبهاني أن عمر بن عبد العزيز كتب إلى الآفاق بجمع حديث رسول الله صيانة له عن التلف»(٣٥)،ولم يعقب السيد المقرم على هذا الرأي وأرسله ارسال المسلمات والمفروض أن يناقشه ويفنده بما ثبت في كتب التاريخ من أن حديث رسول الله قد تم تدوينه قبل أن يولد عمر بن عبد العزيز .

ثم ذكر السيد ما عليه حال المسلمين من الصحابة بعد رحيل النبي (صلى الله عليه وآله) والتحاقه بالرفيق الأعلى،وكثرة الفروع والمسائل بسبب اتساع رقعة الإسلام واختلاط المسلمين بغيرهم ، ولعدم وجود النص في بعض تلك المسائل لجأوا إلى الرأي والاستحسان، ولم يحجموا عن الفتوى برأيهم فيما لا يجدون نصا فيه واشتهروا بأصحاب « الرأي والقياس«كما قيل لمقابليهم الواقفين على النصوص فحسب «أهل الظاهر» وكان أهل العراق أهل قياس وأكثر أهل الحجاز أهل حديث ،ويرى أن أول من غرس بذرة العمل بالقياس هو عمر بن الخطاب فإنه يقول في كتابه إلى أبي موسى الأشعري : اعرف الأشباه والأمثال وقس الأمور عند ذلك بنظائرها واعمد إلى أقربها عند الله تعالى وأشبهها بالحق ،وممن أخذ بالقياس والاستحسان أبو حنيفة النعمان بن ثابت(ت: ١٥٠ هـ) تلقاه من أستاذه حماد بن سليمان(ت: ١٢٠ هـ) تلميذ إبراهيم بن يزيد النخعي(ت:٩٦ هـ) وأعانه على

تأسيسه تلميذاه أبو يوسف القاضي(ت:١٨٢ هـ) ومحمد بن الحسن الشيباني (ت:١٨٩ هـ) (٣٦).وهو بهذا يشير إلى ما ذكره ابن خلدون وابن القيم الجوزية وكتاب تاريخ التشريع الإسلامي من أن المسلمين قد انقسموا إلى اتجاهين: الأول: اتجاه الرأي الذي تبناه عمر بن الخطاب ومعاذ بن جبل وحماد بن أبي سليمان إلى أن تطور على يد أبي حنيفة وتلامذته الذين اشتهروا واستكثروا من القياس ، أما الاتجاه الثاني فهو اتجاه الحديث الذي تبناه عبد الله بن عمر وسعيد بن المسيب حتى تبلور على يد مالك بن أنس ، حيث اشتهر هذا الاتجاه بالأخذ بظواهر النصوص (٣٧) وفي هذا التحليل دلالة على سعة اطلاع السيد المقرّم على كتب المذاهب الأخرى والنقل بأمانة منهم.

ثمّ أخذ السيد بذمّ القياس وعبّر عنه بـ (وخامة القياس) وهذا الوصف مأخوذ من رواية الإمام الصادق (عليه السلام) في أبي حنيفة ، وذكر بعض الأحاديث التي تدل على ذمّه بقوله « ولم يزل أبو عبد الله جعفر بن محمد الصادق (عليه السلام) يعرّف أبا حنيفة بوخامة القياس ورداءة عاقبته قال له يوماً : أيهما أعظم عند الله تعالى قتل النفس التي حرم الله قتلها أم الزناء ؟ قال أبو حنيفة : القتل فقال الصادق (عليه السلام) : فلماذا قبل الله تعالى في القتل شاهدين وفي الزنا أربعة شهود ؟ فوجم أبو حنيفة ولم يدر ما يقول ثم قال الصادق (عليه السلام) أيهما أعظم عند الله تعالى الصوم أم الصلاة ؟قال أبو حنيفة الصلاة فقال الصادق(عليه السلام) لماذا تقضي المرأة الصوم أيام الحيض ولا تقضي الصلاة ؟ثم قال : يا عبد الله اتق الله ولا تقس فإنا نقف غدا بين يدي الله تعالى نحن وأنت فنقول قال الله عز وجل وقال رسول الله صلى الله عليه وآله وتقول أنت وأصحابك قسنا ورأينا فيفعل الله بنا وبكم ما يشاء ، إنّ أول من قاس إبليس إذ أمره الله بالسجود لآدم فقال أنا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طي ن»(٣٨).

وقال أمير المؤمنين (عليه السلام):لو كان الدين بالرأي لكان أسفل القدم أولى بالمسح من أعلاه ، وعن النبي (صلى الله عليه وآله) تفترق أمتي على بضع وسبعين فرقة أعظم فتنة على أمتي قوم يقيسون الأمور بآرائهم فيحلون الحرام ويحرمون الحلال» وقد أنكرت الشريعة المقدسة القياس ومنعته منعاً باتاً.وفيه يقول أبو عبد الله جعفر بن محمد الصادق(عليه السلام) أبان بن تغلب(ت:١٤١ هـ)

«السنة إذا قيست محق الدين والقصة في ذلك أنه سأل أبا عبد الله عن دية قطع إصبع من أصابع المرأة فقال:(عليه السلام) عشرة من الإبل، قال أبان فإن قطع اثنين قال أبو عبد الله عشرون من الإبل ، قال أبان فإن قطع ثلاثة قال أبو عبد الله ثلاثون من الإبل ، قال أبان فإن قطع أربعة قال أبو عبد الله عشرون من الإبل ،فاستغرب أبان هذا الحكم وتعجب كثيراً لأنه عراقي وشايع عند أهل العراق القياس وهو قاض بأن قطع الأربعة يوجب أربعين من الإبل فقال يا سبحان الله إن هذا كان يبلغنا ونحن بالعراق فنقول ما جاء به إلا شيطان ،فعندها رفع « إمام الأمة»بصيصاً من القول الحق اهتدى به أبان إلى الطريق اللاحب، وقال له : مهلا يا أبان هذا حكم الله وحكم رسوله أن المرأة تعاقل الرجل إلى ثلثي الدية فإذا بلغت رجعت إلى النصف يا أبان إنك أخذتني بالقياس والسنة إذا قيست محق الدين»(٣٩) .ولم يتباعد عن هذا الحكم سعيد بن المسيب ومالك وجمهور أهل المدينة ، وأبو حنيفة مع ما يرى

لنفسه المكانة العلمية لم يعدم الانتفاع من الإمام الصادق (عليه السلام) والاقتباس من آثاره اللامعة كما حظي من قبل بأبيه أبي جعفر الباقر عليه السلام ،وكان مالك بن أنس إمام المالكية يكثر من اطراء أبي عبد الله جعفر بن محمد (عليه السلام) فيقول : «كنت اختلفت زمانا إلى جعفر بن محمد الصادق(عليه السلام) فما رأيته إلا صائما أو مصليا أو قارئا للقرآن وما رأيته إلا على طهارة، ولا يتكلم فيما لا يعنيه وهو من العلماء الزهاد الذين يخشون الله ويتقونه حق تقاته ، ومن هنا كان يرجع إليه في مشكلات الشريعة ،وانكار الذهبي رواية مالك عنه(عليه السلام) محكوم بشهادة الأعلام(٤٠).

أولا :عصر الأمويين :

يصف السيد المقرم العصر الأموي بالراكد والمتذبذب ؛لبقاء علماء الحديث فترة من الزمن بين حفظ الحديث أولا وتدوينه ثانيا ،ويؤكده وصف أحمد أمين له بقوله : « لم يكن الحكم الأموي حكما إسلاميا يسوي فيه بين الناس ويكافئ فيه المحسن عربيا كان أم مولى ولم يكن الحكام خدمة للرعية على السواد وإنما كان الحكم عربيا والحكام خدمة للعرب على حساب غيرهم وكان تسود العرب فيه النزعة الجاهلية لا النزعة الاسلامية»(٤١).

ويقول جرجي زيدان: « يعد انتقال الدولة الإسلامية إلى بني أمية انقلابا عظيما في تاريخ الأمة الإسلامية لأنها كانت في زمن الخلفاء الراشدين خلافة دينية فصارت في أيامهم ملكا عضوضا وكانت شورية فصارت إرثية ويعتقد المسلمون عدم أحقية معاوية للخلافة ؛ لأنه طليق لا تحل له ولم يعتنق الإسلام إلا كرها «ولم يهتم الخلفاء في عهد الدولة الأموية بشيء من شؤون التشريع إلا قليلا كعمر بن عبد العزيز فالتشريع لم يرق تحت حمايتهم ورعايتهم كالذي كان في عهد الدولة العباسية ولم يبذل الأمويون محاولة في صبغ تشريعهم صبغة رسمية فلا ترى في الدولة الأموية مثل أبي يوسف في الدولة العباسية يحميه الخلفاء ويؤيدونه في التشريع ويوثقون الصلة بينه وبينهم وبينه وبين قضاة الأمصار، ولا ترى من المشرعين من اتصل بالأمويين إلا قليلا كالزهري ، وفي العصر الأموي كان المرجع في الفتيا أهل المدينة، ولم يقطع الخلفاء أمرا دونهم كما أن فقهاء هذا العصر لم يخلفوا آثارا في الفقه مكتوبة فإنها ظهرت في العصر العباسي(٤٢) .

ثانيا :العصر العباسي

يقسم السيد المقرم العصر العباسي على قسمين،العصر العباسي الأول وهو عصر السيطرة على الحكم بعد الأمويين وتشجيع الخلفاء للحركة العلمية ، ومدوا أربابها بسلطانهم فانتعشت العلوم الدينية في ظلهم وترجمت الكتب من اللغات الأجنبية إلى العربية، وكانت حركة النهوض أسرع إلى العلوم الشرعية من غيرها؛ لأنهم فرضوا أحقيتهم بالأمر من غيرهم لادعائهم الانتساب إلى البيت النبوي ، وأنهم سيشيدون على أطلال الحكومة الموسومة بالزندقة عند أهل الصلاح نظاما منطقيا على سنة الرسول (صلى الله عليه وآله) وأحكام الدين الإلهي ،ولما انتظم أمر الدولة العباسية ظهر الجدل والخلاف واتسع المجال للعقول،خاف المنصور الدوانيقي من جراء ذلك تشتيت أمر الشريعة ودخول الفوضى في الأحكام،فأمر أنس بن مالك أن يكتب له كتابا يتجنب فيه رخص ابن عباس وشدائد ابن عمر فكتب (الموطأ) وأراد المنصور أن يحمل الناس على العمل به

كما حمل عثمان الناس على العمل بالمصحف، وفتر مالك من عزمه بدعوى أن الناس بعد رسول الله (صلى الله عليه وآله) على هدى فتبطأ المنصور عن امضاء فكرته ، وتحكى هذه القصة عن الرشيد معه وأنه أراد تعليق الموطأ على الكعبة فلم يوافقه مالك ،وكل منهما يجهل ما عند الإمام جعفر الصادق (عليه السلام) من فقه الشريعة المستقى من اللوح المحفوظ وفنون المعارف وتأويل القرآن المجيد وأسرار الطبائع وجوامع التاريخ سجلت اعترافهما بذلك ،وفي هذا العصر تمكن استنباط الأحكام واستقرت أصوله وسمى أهله بالفقهاء ، ويروى أن أبا حنيفة أول من دوّن الفقه ورتّب أبوابه ، وينسب الرازي هذا الأمر إلى الشافعي باعتبار أن من صنف فقه أبي حنيفة هم أصحابه (٤٣) .أما العصر العباسي الثاني فيبدأ من سنة (٣٣٢هـ) وهو عصر ظهور المجتهدين من فقهاء الإسلام الذين كونوا لهم مذاهب نسبت إليهم غير أنها لم تستمر تجاه المذاهب الأربعة التي أوقفت الاجتهاد عند حدّها ، كما قصر التقليد على أربابها واندرس أثر المقلدين لسواهم وسد الناس باب الاجتهاد ،وبالرغم من عدم خضوع جملة من محققي علماء السنة لذلك مدعين فتح باب الاجتهاد، وادعى بعضهم أن من الجرأة على الله عز وجل وعلى رسوله وشريعته حصر فضل الله تعالى على بعض خلقه وقصر فهم أحكام الشريعة على طائفة خاصة، ويذهب محمد فريد وجدي «إلى أن باب الاجتهاد والاستنباط من الكتاب والسنة مفتوح إلى يوم القيامة ولكن قصور أفهام جملة من البارزين اضطرهم إلى ستر هذا القصور بدعوى الانسداد(٤٤) .

ويمكن القول أن هذا العصر هو عصر الذروة بالنسبة إلى المذاهب الإسلامية وذلك لظهور كبار الفقهاء والمجتهدين وحريتهم في ممارسة الاجتهاد،وعناية خلفاء بني العباس بهم عكس الأمويين، وظهور حركة الكتابة والتدوين والترجمة لمختلف العلوم ، فقد دونت السنة وفتاوى الفقهاء من الصحابة والتابعين وتابعيهم وموسوعات تفسير القرآن وعلومه وفقه الأئمة المجتهدين ، وظهور عدد من رجال الاجتهاد الذين كان لهم الأثر البارز في التقنين واستنباط الأحكام لما وقع أو يحتمل وقوعه ، فضلاً عن اتساع الدولة الاسلامية ودخول شعوب مختلفة في الدين الإسلامي أدّى إلى كثرة الوقائع أثر الاحتكاك مع ثقافة هذه الشعوب أدّى إلى النضج الفكري .

ثالثًا : حصر المذاهب في الأربعة

تطرق السيد إلى مسألة حصر المذاهب الاسلامية بالأربعة فقط(الحنفي والشافعي والمالكي والحنبلي) ومعاداة ومنع كل من تمذهب بغيرها ، وذكر قول ياقوت الحموي» أمر القادر العباسي المتخلف سنة ٣٨١ هـ أربعة من علماء الاسلام أن يصنف كل واحد منهم مختصرا على مذهبه ، فصنّف الماوردي الشافعي كتاب الاقناع ،وصنّف أبو الحسين القدوري مختصرا على مذهب أبي حنيفة ،وصنّف أبو محمد عبد الوهاب بن محمد بن نصر المالكي مختصرا ، ولم يُعرف من صنّف له على مذهب أحمد بن حنبل، ولما عرضت على القادر قبلها وأمضى العمل عليها»(٤٥) ،ويحدث ملا عبد الله المعروف بالأفندي تلميذ المجلسي في رياض العلماء اتفاق رؤساء الأمة في زمن علم الهدى الشريف المرتضى (ت: ٤٣٦ هـ) على تقليل الآراء في الأحكام الشرعية ؛ لئلا يوجب كثرة الخلاف قلة الوثوق بالشريعة المقدسة فتلحق بالأناجيل المبتدعة ، ولحصر ذلك عينوا مبلغا من

المال فكل طائفة تدفعه يقرر مذهبها رسميا فاستطاع أرباب المذاهب الأربعة أن يدفعوا ذلك المقدار من المال لوفور عدتهم وعددهم وتأخر غيرهم ، ولم يوافق الشيعة الإمامية على هذا وعجز الشريف المرتضى عن اقناعهم وتوفير المال (٤٦) ، فتقررت هذه المذاهب عند الدولة رسميا ومنع غيرها .ويؤكد هذا السيد الخوئي بقوله «وهذه الحكاية لا تتباعد عما حكاه الحموي؛ لأن الشريف المرتضى عاصر القادر بالله في كثير من السنين فيمكن أن ترتأي الدولة مالا خطيرا لقطع المعاذير ، وتقليل الآراء كما أن من المحتمل أن القادر بالله غرس هذه البذرة وتم نتاجها وتحكمت أصولها في زمن الملك بيبرس»(٤٧)وأيضا يؤكده قول المقريزي وابن خلدون الذي يقول « ودبّ التقليد في صدورهم دبيب النحل وهم لا يشعرون ، وكان السبب من وراء ذلك تزاحم الفقهاء وتجادلهم فيما بينهم ، فإنهم لما وقعت فيهم المزاحمة في الفتوى كان كل من أفتى بشيء نوقض في فتواه وردّ عليه، فلم ينقطع إلا بمسير إلى تصريح رجل من المتقدمين في المسألة»(٤٨) وعقد ابن القيم الجوزية فصلا مطولا استقصى فيه أدلة من قال بغلق باب الاجتهاد وأبطلها (٤٩) ، وقال السيوطي : «إنّ الناس قد غلب عليهم الجهل وعمّهم وأعماهم حبّ العناد وأصمّهم ، فاستعظموا دعوى الاجتهاد وعدّوه منكرا بين العباد ، ولم يشعر هؤلاء الجهلة أنه فرض الكفايات في كل عصر ، وواجب على أهل كل زمان أن يقوم به طائفة في كل قطر»(٥٠) ، وفي كل هذا إشارة إلى التنديد وعدم القبول بفتوى ابن الصلاح في غلق باب الاجتهاد والوقوف على تقليد المذاهب الأربعة فقط ومعاداة غيرها .

المطلب الرابع : مراحل نشوء الاجتهاد عند الإمامية: مرّ الفقه الإمامي بمراحل وأدوار تطوّر من خلالها تطوّرا كبيرا ؛ وذلك لوفرة المادة العلمية الفقهية والأصولية والحديثية والرجالية... التي تركها أئمة أهل البيت (عليه السلام) وأتاحت للفقهاء مساحة كبيرة خلقت فيهم ملكة الاستنباط الفقهي للحكم الشرعي من مصادره الأساسية ، واتجهت حركة الاجتهاد بالاستمرارية التي اتصفت بها منذ ولادتها إلى وقتنا الحاضر ، وتستمر بالنمو والتطوّر نتيجة لفتح باب الاجتهاد.لذا تباينت أقوال علماء الإمامية في تقسيمهم لمراحل نشوء الاجتهاد وتطوره ، فكل منهم ينظر إليه من زاوية معينة ، فبعض منهم يقسمه بحسب المنطقة الجغرافية- عنصر المكان - ، فهو يتنقل من مدرسة المدينة ومدرسة الكوفة والري وقم وأصفهان وبغداد والنجف والحلة(٥١)واعتمد بعضهم في تقسيمه على عنصر الزمان ، فبدأ بعصر النبي (صلى الله عليه وآله) ثم عصر الخلفاء فعصر الأئمة (عليه السلام) إلى عصر الغيبة الصغرى والكبرى (٥٢)، وذهب آخر إلى تقسيم هذه الأدوار إلى سبعة واختار لكل دور اسم خاص به وأرخ للفقهاء الذين عاصروا ذلك الدور (٥٣)،وقسم الشيخ علي كاشف الغطاء هذه الأدوار على سبعة ابتدأها بعصر النبي (صلى الله عليه وآله) ثم عصر الخلفاء ثم من خروج معاوية على طاعة الإمام علي (عليه السلام) إلى نهاية خلافة عمر بن عبد العزيز، ثم إلى بداية ضعف الخلافة العباسية إلى سقوطها على يد المغول،أي: إنه بحثها من جهة تطوّر الأحداث سياسيا وانعكاسه على تطور الاجتهاد (٥٤) ،أمّا السيد محمد تقي الحكيم فقد تبنّى دراسة هذه الأدوار من وجهة تشريعية ، وذلك بدراسة مصادر التشريع في حدود نشأتها وتطورها ، مستندا في بحثه على أن المرحلة الأولى من

مراحل التشريع هي عصر النص ويشمل نزول القرآن وصدور السنة قولا وفعلا وتقريرا ، وبين موقف المسلمين من عدم تدوينها وعده اجتهاداً مقابل النص ؛ لأنه بعدم تدوينها ضاعت الكثير منها أو حُرفت مما يسوغ لهم الرجوع إلى مصادر أخرى كالرأي والقياس والاستحسان ، بحجة عدم ورود النص في ذلك(٥٥)وقسم الشيخ الأيرواني هذه الأدوار على ثلاثة مبتدئا بعصر التشريع واستمراره إلى سنة (٢٦٠هـ) ثم المرحلة الثانية وتستمر إلى وفاة الشيخ الطوسي عام ٤٦٠هـ والمرحلة الثالثة من بعد وفاة الشيخ الطوسي وتستمر إلى وقتنا الحاضر ، حيث أشار إلى أبرز المظاهر التي مرّ بها الفقه الإمامي وما تخللها من مراحل (٥٦) .أما سيدنا المقرّم فقد حاول دراسة هذه الأدوار من وجهة تشريعية فضلاً عن النظر من حيث تطور البحث الفقهي والأصولي ، واعتماداً على ظهور كبار المجتهدين وتنقلهم بين مدرسة النجف والحلة وسامراء وكربلاء فابتدأها بعصر التشريع الذي وضح فيه أعين الشيعة تمسكوا بأهل بيت العصمة (عليه السلام) وجمعهم ما روي من أحاديث في الأصول الأربعمائة التي استقى منها أصحاب المجاميع الحديثية الأربعة : الشيخ الكليني والشيخ الصدوق والشيخ الطوسي في مصنفاتهم ، ثم ذكر ما وصل إليه الفقه من تطور زمن ابن الجنيد والعماني ، وسمى هذا الدور بالاجتهاد في القرون السابقة ، ثم ذكر ما وصل إليه الفقه زمن الفقهاء في مدرسة النجف إذ أطلق عليه اسم الجامعة الكبرى للشيعة ، ثم ختم هذه الأدوار بعنوان الاجتهاد المعاصر بين فيه ما وصل إليه حال الاجتهاد من تطور على يد السيد بحر العلوم وانتهاء بالسيد الخوئي والشيخ الغروي قدّس الله سرّهم.

أولا : عصر التشريع :

ابتدأ هذا العصر بوصف عام للشيعة وتمسكهم بآل العصمة (عليه السلام) ودعوة النبي (صلى الله عليه وآله) طيلة حياته للتمسك بهم ، وما جرى عليهم بعده ، فقال» إن أصحابنا الإمامية قد أذعنوا لقانون الخلافة الإلهية الكبرى التي لم يزل صاحب الدعوة (صلى الله عليه وآله) طيلة حياته يجاهر بالتنويه بها وأوقف أصحابه في مواطن عديدة على أسماء من يلي أمر الأمة من بعده من أبنائه الأقدسين بعد سيد الأوصياء أمير المؤمنين (عليه السلام) وأوضح ما منحهم الباري عز وجل به من العلم بأسرار الطبايع وحوادث الكون من خير وشر ، وكان الأصحاب يتحفظون بما تحملوه عن أئمتهم عليهم السلام من الأحاديث في فقه الشريعة وآثارها حتى أن أبان بن تغلب وهو راو واحد حدّث عن أبي عبد الله عليه السلام بثلاثين ألف حديث، وتظافر النقل أن أربعة آلاف رجل من المشتهرين بالعلم جمعوا من أجوبة مسائله أربعمائة كتاب عرفت بالأصول الأربعمائة ، كلهم من أهل العراق والحجاز والشام وخراسان ،وهذا غير ما دوّن عن السجاد والباقر والأئمة بعد الصادق عليه السلام ،فقد جمع أصحابهم فيما تحملوه من أحاديثهم ما يزيد على الأصول الأربعمائة بكثير»(٥٧). ثم ذكر أن هذه الأصول الأربعمئة قد جُمعت في الأصول الأربعة عند الإمامية وهي : الأول من الأصول: الكافي ، لمحمد بن يعقوب الكليني المتوفى ببغداد سنة (٣٢٩ هـ)ألفه في حياة السفراء عن الإمام المنتظر عجل الله فرجه ، وقد أحصيت أحاديثه إلى ستة عشر ألف ومئة وتسعة وتسعين حديثاً .

الثاني من الأصول: من لا يحضره الفقيه ، لأبي جعفر محمد بن علي بن الحسين بن موسى بن بابويه المتوفى بالري سنة (٣٨١هـ)

الثالث والرابع من الأصول:
التهذيب والاستبصار ، لأبي جعفر محمد بن الحسن بن علي الطوسي المتوفى والمدفون بداره في النجف الأشرف سنة ٤٦٠ هـ.
ويرى السيد المقرّم أنّ تصنيف الموسوعات الحديثية لم يقف عند هذا الحد ، فقد جمع الملا محسن الكاشي المعروف بالفيض الكاشاني (ت:١٠٩١هـ) هذه الأصول الأربعة مع إضافة بعض الشرح عليها في كتاب سمّاه بـ (الوافي) ، وجمعها أيضًا مع الزيادة عليها من كتب أخرى الشيخ محمد بن الحسن الحر العاملي (ت:١١٠٤هـ) في كتاب سماه (وسائل الشيعة إلى تحصيل مسائل الشريعة) ، واستدرك عليه بعض ما فاته الشيخ محمد الحسين النوري (ت:١٣٢٠هـ) في كتاب سمّاه(مستدرك الوسائل ومستنبط المسائل) أمّا المجلسي الثاني محمد باقر بن المولى محمد تقي (ت:١١١٠هـ) فقد توفرت لديه جوامع الأخبار مع ما كتبه علماء السنة في الحديث والفقه والرجال والسيرة والفلسفة ، وبمساعدة ملوك الدولة الصفوية أودع كل هذه العلوم في موسوعته المسماة (بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار) وهذه الموسوعات كلها مطبوعة ومنتشرة في الآفاق ، واستمر حفظ الحديث وتدوينه طيلة عصر المعصومين (عليهم السلام) إلى أن وقعت الغيبة الكبرى بوفاة السفير الرابع للإمام (عجل الله فرجه) الشيخ أبي الحسن علي بن محمد السمري سنة (٣٢٩هـ) في بغداد ، هذا من جهة التأليف في الحديث الشريف.

ثانيا : الاجتهاد في القرون السابقة
أمّا من حيث التصنيف في الفقه الاستدلالي فيعطي وصفًا تامًا لمجمل الكتب التي صنّفت ، مبتدئًا بالقول أنّ أول من فتح باب استنباط الفروع من أدلتها وهذبها الشيخ الجليل محمد بن أحمد بن الجنيد أبو علي الكاتب الإسكافي المعاصر لأبي جعفر محمد بن يعقوب الكليني والشيخ الصدوق علي بن بابويه، فابن الجنيد هو الذي كتب الفروع الفقهية وعقد لها الأبواب في كتابه (تهذيب الشيعة) وكتاب (الأحمدي في الفقه المحمدي) ونبّه على أصول المسائل وبين ما يقتضيه مذهب الإمامية بعد أن ذكر أصول جميع المسائل ،فإن كانت المسألة ظاهرة اقتنع فيها بمجرد ذكر الفتوى وان كانت مشكلة أومأ إلى تعليلها ووجّه دليلها .
واقتفى أثره الحسن بن علي بن أبي عقيل المعروف بالعماني الحذاء ، وكان وجهًا من وجوه الإمامية ، وشيخ فقهائهم والمتكلم المناظر في الفقه، والمحقق في العلوم الشرعية ، عاصر الشيخ محمد بن يعقوب الكليني والصدوق علي بن بابويه ، وكان الشيخ المفيد محمد بن محمد بن النعمان يُكثر الثناء عليه ، ويقول أبو جعفر محمد بن الحسن الطوسي هو من فضلاء الإمامية المتكلمين ، واستجازه بالكتابة أبو القاسم جعفر بن محمد بن جعفر بنموسى بن قولويه صاحب كتاب كامل الزيارة المتوفى سنة(٣٦٩ هـ) والمدفون في رواق مشهد الإمام موسى بن جعفر (عليه السلام) فكتب إليه ابن أبي عقيل بإجازة كتابه (المتمسك بحبل آل الرسول) وبساير كتبه(٥٨).
وعلى إثرهما سار شيخ الطائفة الشيخ الطوسي في استخراج المسائل الفقهية ، والمناضل عن مذهبهم مع مهارة في الجدل وبصيرة في مناظرة أهل كل عقيدة مع الجلالة والعظمة ، وحسن البيان والصبر مع الخصم ،ومن بعده الشيخ المفيد محمد بن محمد بن النعمان العكبري المتوفى ببغداد سنة(٤١٣ هـ) المدفون في داره

سنين ثم نقل إلى مشهد الإمام موسى بن جعفر(عليه السلام) وكان كتابه « المقنعة » مدار الدراسة بين العلماء.

وعلى ضوء هذا ألف علم الهدى الشريف المرتضى(ت: ٤٣٦ هـ) كتابيه الناصريات والانتصار في الفقه المقارن وألف الشيخ أبو جعفر محمد بن الحسن الطوسي (ت:٤٦٠هـ) كتاب «المبسوط» الذي كان حافلا بالفروع الفقهية وناظر أهل السنة في كتابه « الخلاف » مع بسط في الأدلة ، وأصبح كتابه « النهاية» محل أنظار العلماء في التدريس كالشرائع للمحقق الحلي في العصر الحاضر ، مع شروح متعددة ، وألف محمد بن أحمد بن إدريس الحلي (ت: ٥٩٨هـ) كتاب السرائر ،والمحقق نجم الدين جعفر بن يحيى الحلي (ت: ٦٧٦هـ) كتاب شرائع الإسلام والمختصر النافع والمعتبر في الفقه المقارن ، وألف العلامة الحسن بن يوسف بن المطهر الحلي (ت: ٧٢٦هـ) القواعد والتحرير والإرشاد والتذكرة والمنتهى وكلاهما في الفقه المقارن ، والشهيد الأول محمد بن مكي بن محمد العاملي المتوفى قتلا سنة (٧٨٦هـ) كتابيه الذكرى والقواعد وغيرها ، والشهيد الثاني علي بن أحمد العاملي المتوفى قتلاً سنة (٩٦٦ هـ) المسالك وروض الجنان وغيرها .

واقتفى علماء الإمامية هذا الأثر من تدوين مسائل الفقه حسبما أدى إليه اجتهادهم مع تحقيق عميق ومهارة في استنباط الفروع ، مائلين عن جادة القياس المكدسة بأشواك الخطأ والتضليل ، ومستضيئين في ذلك بأحاديث أئمتهم الذين لا ينطقون عن الهوى ، وانما هو تعليم من عزيز عليم بما أودعه فيهم من القوة القدسية النورية التي بها تمكنوا من استعلام ما يحدث في الكائنات وهي المعبر عنها بروح القدس في بعض الأخبار(٥٩) .

ثالثا : الجامعة الكبرى للشيعة

ثم يعطي السيد المقرم وصفا كاملا لما مر به الفقه وتطوره من عهد الشيخ الطوسي وانتقاله إلى مشهد الإمام علي (عليه السلام) في النجف وتأسيسه للجامعة الكبرى للشيعة حيث كانت الجامعة الوحيدة بين البلدان لدرس الفنون والمعارف الإلهية بعد أن لاقى ببغداد من الحنابلة غصصا ، وكابد ما لا يغض الطرف عنه يوم هجموا على داره بالكرخ سنة (٤٤٨هـ) وأحرقوا كتبه وآثاره ونهبوا داره ، وجرى لهم مع شيخه المفيد محمد بن محمد بن النعمان ما هو أفظع وأشنع كما نهبوا دار الشريف المرتضى ، وبعد أن حل الشيخ الطوسي في هذه البقعة المغمورة بالفيوضات الإلهية ببركات باب مدينة علم الرسول فانضوى إليه أهل الفضيلة ممن قطنها قبله للاقتباس من آثاره والاستضاءة من معارفه التي حباه المهيمن سبحانه بها وتزاحمت العلماء على الانتهال من بحره المتموج بأسرار أهل البيت (عليه السلام) وكانت حلقات مجالس الدراسة ورواية الحديث في أيامه وثيقة الأطراف وأصبحت النجف مركزا للزعامة العلمية وجامعة كبرى لنشر الفقه والأصول والحديث والتفسير والفلسفة العالية والرجال والأدب(٦٠).

ثم يصف السيد نوعية وطبيعة الدرس في مدرسة النجف التي أسسها الشيخ الطوسي بقوله :» ولم تكن الدراسة فيها على نهج ترتيب الصفوف والتدرج من صف لآخر يتلقى التلميذ دروسه من أستاذه على حسب المنهج المقرر له لا يتخطاه وانما هناك حلقات تضم الفاضل والأفضل وغيرهما يلقى عليهم الأستاذ نتيجة بحثه عن أدلة الأحكام وتضارب الأقوال فيوفق بين الجميع بثاقب فكره والملكة المرتكزة

فيه ويجزم بما ينتج عنده فيفيضه على الطلاب وبهذا تتجلى مقدرة الأستاذ العلمية كما يعرف مبلغ التلميذ من الفضيلة وحتى إذا تمكنت فيه ملكة استنباط الفروع من أصولها يمنحه الأستاذ الشهادة بالاجتهاد فيؤب إلى بلاده حاملا من تلك الجامعة الكبرى النجف الأشرف ما هو أعز عنده من كل نفيس للتبشير والدعوة إلى دين التوحيد دين السلام والأمن دين التضامن والعطف دين الإخاء والحرية دين يسترشد الضال ويتفقه الجاهل ويقام الأمت والأود ويكون هو الفرد الأكمل لقوله تعالى :» فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم لعلهم يحذرون «(التوبة /١٢٢) .

ونتيجة لهذا تخرج من هذه الجامعة مئات العلماء الأعلام الذين حازوا بفضل جدهم وسعيهم أقصى مراتب الاجتهاد ، وآثارهم في الفقه والأصول والعقائد والتفسير والفلسفة والرجال كلها موجودة احتفظت بها رجال العلم والأدب وقد سدت فراغا كبيرا في المكتبة العربية.

رابعا : الاجتهاد المعاصر

يصف السيد المقرم على نحو الإيجاز ما وصل إليه حال الاجتهاد في الوقت الحاضر وظهور كبار المجتهدين وتنقلهم وهجرتهم بين مدينة النجف والحلة وكربلاء وسامراء كالسيد بحر العلوم والشيخ كاشف الغطاء والشيخ النجفي صاحب الجواهر ، الذي عبّر عنه بمجدد المذهب في كتابه الحاوي لما حرر من مسائل الشريعة مع تحقيق عميق فأذعن أولوا النهي بفضله وتسابقوا إلى اختزان جواهره والاقتباس من آرائه الثاقبة ، وحيث إن المولى تعالت أياديه لم يخل الأرض من مصلح مجاهر بالدعوة الإلهية يزيح الأوهام ويدعو إلى سبيل ربه بالحكمة ويرشد إلى الطريقة المثلى ،غمر الفيض الربوبي شخصية شيخنا« الأنصاري » ومنحته المشيئة القدسية مواهب ميزته على من تقدمه من الأعلام فكان مرموقا في الفضائل جمعاء ،لذلك اتخذ رواد المعارف كتابيه « الرسائل»في أصول الفقه و « المتاجر في الفقه الجعفري» أساس التعليم والدراسة العالية ، وأكثر المحققون من تلامذته وغيرهم من التعليق عليهما والتنبيه على ما فيهما من دقائق العلم ،ووصف الدراسة في النجف أيام هجرة شيخ المحققين المولى محمد كاظم الخراساني نور الله ضريحه إليها ، فلقد هبط هذه المدينة ـ النجف ـ في أيامه الجمع الغفير من العلماء للاستضاءة من آرائه وتحقيقاته(٦١) .

وفي الختام يعطي صورة أنيقة عما وصل إليه حال الاجتهاد زمن أستاذه السيد الأستاذ أبو القاسم الخوئي (قدس سره) ، وما حباه الله من منزلة علمية ، إذ يقول : « وقام من بعده أساتذة الفن من الأعلام المحققين يفيضون على الطلاب ما انتهلوه من بحر علمه حتى انتهى الدور إلى فخر المحققين وعمدة الفقهاء المبرزين»السيد أبو القاسم الخوئي « المميز من المولى الجليل تعالت نعماؤه بالذكاء المتوقد واصابة الرأي ولا أغالي إذا قلت : باحث أرباب المعقول ففاقهم ، ودارس الأصوليين فأذعنوا له ، وجرى مع المفسرين فحاز قصب السبق ، وناظر المتكلمين ففلجهم ، وكتابه في مقدمة التفسير البيان حافل بما لم تصل إليه أفكار النابهين ، ولم يسبقه المتقدمون في كثير مما كشف الغطاء عنه ، فلقد غاص بحر الشريعة واستخرج لآلئه الناصعة ولمس الحقائق الراهنة ، وأماط الستار عن كثير مما أشكل على الفحول والأكابر، وأوضح السبيل إلى تفاريع المسائل ، وأنار

المنهج إلى درس كليات الفنون ، فلذلك كان مقصد المهاجرين من العلماء لدرس أصول الشريعة وفقهها ، ومحاضراته في حل فروع العروة الوثقى تشهد له بفقاهة عالية واستنباط دقيق ، وقد أحكم أسرار فصولها ونظم دراريها ببيان سهل ، وعبارة أنيقة ومن بعده المحقق الميرزا علي الغروي التبريزي العلم الفرد والمجتهد الأوحد حجة الله الواضحة وبينته اللامعة بتقريراته لدرس الأستاذ الأكبر السيد الخوئي المسماة بالتنقيح ، فكان موئل رواد العلم بين من يستوضح منه ما لم تصل إليه فاكرته ، وبين من ينسخ ما جمعه من ثمرات بحوث أساتذته فإلى الباري عز وجل أبتهل بإدامة عنايته بهذه الشخصية اللامعة ، ليرتوي طلاب المعارف من نير آرائه ويستضئ رواد الحقائق بثاقب أفكاره ، مدّ الله تبارك وتعالى في أيامه الزاهية وأفاض عليه لطفه الذي يلحقه بالعلماء المحققين(٦٢).

الخاتمة:

بعد هذه الاطلالة الرائعة على ما كتبه السيد المقرّم وما خطته أنامله المباركة يمكن أن أسجّل أهم النتائج التي ظهرت لي من خلال البحث ، وهي كالآتي :

١ـ فاقت شهرة السيد المقرّم الآفاق ، فهو الحجة والخطيب الحسيني الألمعي والعالم المجتهد المحقق ، وهذه الشهرة اكتسبها من خلال مؤلفاته التي اختصت – في الغالب – بتتبعه لسيرة أهل البيت (عليه السلام) وذكر ما جرى عليهم فضلاً عن مؤلفاته الأخرى في الفقه والتاريخ بصورة عامة.

٢ـ تعرّض السيد إلى المسار التاريخي للاجتهاد عند الفريقين ، وسبب هذا اهتمامه بالتاريخ اولا ، وثانيا لأنه مقدمة لكتاب الاجتهاد والتقليد للشيخ الغروي ،وما يؤسس له من ضرورة الاجتهاد واستمراريته في مدرسة أهل البيت (عليه السلام).

٣ـ اعتمد السيد على العديد من المصادر ولاسيما ما يتعلق بمصادر المذاهب الأخرى في نقله للمعلومات والأحداث وهذا يدل على أمانته العلمية في النقل واطلاعه الواسع على كتب المذاهب الأخرى.

٥ـ في أغلب المطالب حاول السيد الاختصار وعدم الإطالة مع الإشارة إلى المصادر الأصلية للمعلومة والتي يمكن الرجوع إليها.

٦ـ في كثير من الموارد استشهد السيد بالنصوص التي وردت في كتب المذاهب الأخرى على صحة رأيه اعتمادا على دليل الالزام للخصم ، من حيث أن المورد ثابت في كتبهم وعدم التزامهم بتطبيقه ، مثال ما ورد من أن أمير المؤمنين (عليه السلام) هو أول من دوّن القرآن وجمعه.

٧ـ من خلال عرضه لمراحل الاجتهاد عند المذاهب الأخرى حاول السيد اختزال الأدوار التي مرّ بها الاجتهاد عنده إلى ثلاثة وهي العصر الأموي والعصر العباسي الأول والثاني ثم عصر توقف الاجتهاد وحصر المذاهب في أربعة

٨ـ بالنسبة إلى مراحل نشوء الاجتهاد وتطوره عند الامامية حاول السيد تقسيمها من وجهة تشريعية ابتداءً بعصر التشريع ووجود المعصوم (عليه السلام) إلى مرحلة تدوين أحاديث أهل البيت (عليه السلام) في المجاميع الحديثية ، ثم إلى ظهور كبار الفقهاء وتطور الاجتهاد عندهم ، وتنقلهم بين مدارس النجف وبغداد والحلة وسامراء وكربلاء والنجف ، وما وصل إليه البحث الفقهي في مدرسة النجف الحديثة منذ عصر الشيخ الأنصاري ، وانتهاءً بالسيد الأستاذ السيد الخوئي وتلميذه الشيخ علي الغروي قدس الله سرهم.

٩ـ تطرق السيد إلى مسألة غلق باب الاجتهاد عند المذاهب الأخرى ، ولم يتطرق إلى دعوة العلماء ولاسيما علماء الأزهر منذ بداية القرن العشرين إلى ضرورة فتح باب الاجتهاد تماشيا مع الظرف الحالي ومتطلبات الزمن ، والتي تقتضي أحكاما لها ، وأيضا لم يتطرق السيد إلى ما مر به الفقه الإمامي من ركود نسبي بعد الشيخ الطوسي ، وما مر به خلال ظهور الموجة الأخبارية والتي أصابت الاجتهاد في المدرسة الإمامية .

الهوامش:

١ـ ظ: أغا بزرك – الذريعة ٨٨/١٢ ، الأميني – الغدير ٧٤/٣ ، جعفر سبحاني – موسوعة طبقات الفقهاء ٣٤١/١٤ .
٢ـ ظ : الأميني – الغدير ٧٤/٣ ، عبد المحسن السراوي – القطوف الدانية ٥٧/١ .
٣ـ محمد حسين الجلالي – فهرس التراث ٥١٠/٣ .
٤ـ ظ : جعفر سبحاني – موسوعة طبقات الفقهاء ٣٤١/١٤ .
٥ـ ظ : م.ن ، محمد حسين الجلالي – فهرس التراث ٥١٠/٣ .
٦ـ ظ: أغا بزرك – الذريعة ٨٨/١٢ ، الأميني – الغدير ٧٤/٣ ، جعفر سبحاني – موسوعة طبقات الفقهاء ٣٤١/١٤ ، محمد حسين المقرم – مقتل الحسين (عليه السلام)
٧ـ ظ: الجوهري – الصحاح ٤٥٧/١، الزبيدي – تاج العروس ٤٠٧/٤ ، ابن منظور – لسان العرب ١٣٣/٣ .
٨ـ المصباح المنير ١١٢/١ .
٩ـ الذريعة إلى أصول الشريعة ٦٧٢/٢ .
١٠ـ معارج الأصول / ٢٥٣ .
١١ـ مبادئ الوصول إلى علم الأصول / ٢٤٠ .
١٢ـ كفاية الأصول / ٥٢٨ .
١٣ـ مصباح الأصول ٤٦٧/٣ .
١٤ـ الاجتهاد والتقليد /٣ .
١٥ـ ظ: الحجوي- الفكر السامي في تاريخ الفقه الإسلامي ٦٠/١ ١٦ـ ظ: محمد الخضري – تاريخ التشريع الإسلامي / ١٠ ، محمد يوسف موسى – تاريخ الفقه الإسلامي ١/ ٤٧ـ٤٨ .
١٧ـ ظ: مدخل الفقه الإسلامي / ٢٧ .
١٨ـ الاجتهاد والتقليد / ٣ .
١٩ـ المدرسة القرآنية / ٢٠٩ .
٢٠ـ ظ : علوم القرآن / ٩٩ .
٢١ـ ظ : فتح الباري ٤٣/٩ ، ارشاد الساري ٤٥٩/٧ ، عمدة القاري ٣٠٤/٩ .
٢٢ـ ظ : الفهرست / ٤٢ .
٢٣ـ ظ : روح المعاني ٥٢٤/١ .
٢٤ـ ظ : الجامع لأحكام القرآن ٥٨/١ .
٢٥ـ أحكام القرآن ٦١١/١ .
٢٦ـ ظ : البخاري ـ صحيح البخاري فضائل القرآن ، ابن حجر ـ فتح الباري باب من جمع القرآن .
٢٧ـ المستدرك ٦١١/٢ .
٢٨ـ ظ : ارشاد الساري ٤٥٩/٧ .
٢٩ـ الاجتهاد والتقليد / ٥ .
٣٠ـ ظ : المظفر – أصول الفقه ٦١/٢ ، محمد تقي الحكيم – الأصول العامة للفقه المقارن /١٢٢ .
٣١ـ الاجتهاد والتقليد / ٥ .
٣٢ـ الكليني – الكافي ٢٣٨/١ ، النجاشي – الرجال /٤ .
٣٣ـ الرجال ٦٥/١ .
٣٤ـ الفهرست /٣٢١ .
٣٥ـ ظ : حاشية الزرقاني على موطأ مالك ١٠/١ .
٣٦ـ الاجتهاد والتقليد / ٦
٣٧ـ ظ : ابن خلدون – المقدمة /٢٥٢ ، أحمد أمين – فجر الإسلام ٢٣٦ ، محمد يوسف موسى – تاريخ التشريع الإسلامي ١٣/٢ .
٣٨ـ الكليني – الكافي ٥٨/١ ، الحر العاملي – وسائل الشيعة ٤٦/٢٧ .
٣٩ـ الطوسي – التهذيب ٤٤١/٢ ، البيهقي – السنن الكبرى ٩٦/٨ ، ابن حزم – المحلى ٦١/١ .
٤٠ـ ظ : شرح الزرقاني على موطأ مالك ٢٣٢/١ ، ابن حجر – تهذيب التهذيب ١٠٣/٢ .
٤١ـ فجر الإسلام ٢٩٩/١ .
٤٢ـ ظ : الاجتهاد والتقليد / ١١ .
٤٣ـ ظ : الاجتهاد والتقليد /١٢ ، مناقب الشافعي /٤٤٠ .
٤٤ـ دائرة المعارف – مادة (جهد) .
٤٥ـ معجم الأدباء ٥٤/١٥ .
٤٦ـ رياض العلماء ٣٣/٤ .
٤٧ـ ظ : التنقيح في شرح العروة الوثقى ١/ن .
٤٨ـ الخطط المقريزية ٣٣٣/٢ ، المقدمة / ٣٥٥ .
٤٩ـ ظ : أعلام الموقعين ١/ ٣٥ـ٦٨ .
٥٠ـ الرد على من اخلد إلى الأرض وجهل أن الاجتهاد في كل عصر فرض /٦٥ .
٥١ـ ظ : الشيخ الأصفي – مقدمة كتاب الروضة البهية في شرح اللمعة الدمشقية للشهيد الثاني ٢٤/١ .
٥٢ـ ظ : عبد الهادي الفضلي – تاريخ التشريع الإسلامي

/١٥ ، جواد الشهرستاني- مقدمة كتاب جامع المقاصد للمحقق الكركي ١٢/١ .
٥٣ـ ظ : جعفر السبحاني – أدوار الفقه الإسلامي ٤٥/١ .
٥٤ـ ظ : أدوار علم الفقه وأطواره /١٠ .
٥٥ـ ظ : تاريخ التشريع الإسلامي /٢٥ .
٥٦ـ ظ : دروس تمهيدية في الفقه الاستدلالي ٢٨ـ٣٨ .
٥٧ـ الاجتهاد والتقليد / ١٦ .
٥٨ـ ظ : الاجتهاد والتقليد /١٨ ، النجاشي – الرجال/٣٦ ، حسن الصدر – تأسيس الشيعة /٣٠٢ ، الخوانساري – روضات الجنات /١٦٨ .
٥٩ـ ظ : الاجتهاد والتقليد /١٩ـ٢٠ .
٦٠ـ ظ : م.ن / ٢١ .
٦١ـ ظ : الاجتهاد والتقليد /٢٣
٦٢ـ ظ : الاجتهاد والتقليد / ٢٤ .

المصادر والمراجع

سلطان القرآن الكريم خير ما نبتدئ به .

١ـأحمد أمين (ت: ١٣٧٣هـ) – فجر الإسلام ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، ١٩٩٦م .
٢ـ أغا بزرك الشيخ محمد محسن بن علي بن محمد رضا الطهراني (ت:١٣٨٩هـ) – الذريعة إلى تصانيف الشيعة الدار الإسلامية ، طهران ، ط١ ، ١٣٨٧هـ
٣ـ الآلوسي شهاب الدين محمود البغدادي – روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط٢ ، ١٤٢٤هـ .
٤ـ الأميني عبد الحسين أحمد النجفي (ت:١٣٩٠هـ) – الغدير في الكتاب والسنة والأدب ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، ط٤ ، ١٩٧٧م .
٥ـ الأيرواني الشيخ محمد باقر – دروس تمهيدية في الفقه الاستدلالي ، دار سعيد بن جبير للطباعة والنشر ، قم ط٢ ، ١٤٢٢هـ .
٦ـ البخاري محمد بن اسماعيل (ت:٢٥٦هـ) – صحيح البخاري ، دار الفكر ، بيروت ، ط١، ١٤١٩هـ .
٧ـ البيهقي أحمد بن الحسين بن علي (ت:٤٥٨هـ) – السنن الكبرى ، اعداد :يوسف عبد الرحمن ، دار المعرفة بيروت ، ط١ ، ١٤١٣ هـ .
٨ـ الجلالي محمد حسين الحسيني – فهرس التراث ، تح: محمد جواد الحسيني ، قم ، ط١ ، ١٤٢٢هـ .
٩ـ الجوهري أبو النصر اسماعيل بن حماد – الصحاح (تاج اللغة وصحاح العربية) تح : أحمد عبد الغفور العطار دار العلم للملايين ، بيروت ، ط٤ ، ١٤٠٧ هـ .
١٠ـ الحاكم النيسابوري أبو عبد الله محمد بن محمد (ت:٤٠٥هـ) – المستدرك على الصحيحين ، تح: يوسف المرعشلي ، دار المعرفة ، بيروت ، ١٤٠٦هـ .
١١ـ ابن حجر أحمد بن علي العسقلاني (ت:٨٥٢هـ) – فتح الباري شرح صحيح البخاري ، دار المعرفة ، بيروت ط٢ ، ١٤٠٥هـ .
١٢ـ ابن حزم أبو علي بن أحمد بن سعيد الأندلسي الظاهري (ت:٤٥٦هـ) – المحلى شرح المجلى ، تح: أحمد محمد شاكر ، دار احياء التراث العربي ، بيروت ، ط١ ، ١٤١٨هـ .
١٣ـ الحجوي محمد بن الحسن الفاسي (ت:١٣٧٦هـ) – الفكر السامي في تاريخ الفقه الإسلامي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط١ ، ١٤١٦هـ .
١٤ـ الحكيم السيد محمد تقي – الأصول العامة للفقه المقارن ، المؤسسة الدولية للدراسات والنشر ، بيروت ، ط٤ ١٤٢٢ هـ .
تاريخ التشريع الإسلامي ، نشر معهد الدراسات العربية والاسلامية ، لندن ، ١٩٩٨م .
١٥ـ الحموي أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله (ت:٦٢٦هـ) – معجم الأدباء ، دار احياء التراث العربي ، بيروت ، ط١ ، ١٩٧٩م .
١٦ـ الخراساني الشيخ محمد كاظم الآخوند (ت:١٣٢٩هـ) – كفاية الأصول ، تحقيق ونشر مؤسسة النشر الاسلامي التابعة لجماعة المدرسين ، قم ، ط٨ ، ١٤٢٤هـ .
١٧ـ الخضري محمد بك (ت:١٩٢٧م) – تاريخ التشريع الاسلامي ، مطبعة الاستقامة ، مصر ،ط٥ ، ١٩٣٩م .
١٨ـ ابن خلدون عبد الرحمن بن محمد المالكي (ت:٨٠٨هـ) – المقدمة ،دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط٨ ، ٢٠٠٣م .
١٩ـ الخوانساري الميرزا محمد باقر بن زين العابدين الموسوي – روضات الجنات في أحوال العلماء والسادات دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط١ ، ١٣٩٠هـ .
٢٠ـ الخوئي السيد أبو القاسم الموسوي (ت:١٤١٣هـ) – التنقيح في شرح العروة الوثقى تقريرات الميرزا علي الغروي ، المطبع العلمية ، قم ، ط١ ، ١٤١٨هـ .
مصباح الأصول تقرير محمد سرور الواعظ ، مطبعة باقري ، قم ، ط١ ، ١٤٢١هـ .
٢١ـ الزبيدي محمد مرتضى الواسطي الحنفي (ت:١٢٠٩هـ) – تاج العروس من جواهر القاموس ، تح: علي شيري ، دار الفكر ، بيروت ، ط١ ، ١٤١٤هـ .
٢٢ـ الزرقاني – حاشية الزرقاني على موطأ مالك ، دار

الفكر ، بيروت ، ط٤ ، ١٤٢٤هـ.
٢٣ـ السبحاني الشيخ جعفر – أدوار الفقه الإمامي ، مؤسسة الإمام الصادق (ع) ، قم ، ط١ ، ١٤٢٤هـ.
موسوعة طبقات الفقهاء ـ مطبعة اعتماد ، قم ، ط١ ، ١٤١٨هـ.
٢٤ـ السراوي السيد عبد المحسن علاوي الحسيني – القطوف الدانية ، دار المودة ، ط٣ ، ١٩٩٧م.
٢٥ـ السيوطي جلال الدين عبد الرحمن بن الكمال (ت:٩١١هـ) – الرد على من أخلد إلى الأرض وجهل أن الاجتهاد في كل عصر فرض ، تح: خليل الميس ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط١ ، ١٤٠٣هـ.
٢٦ـ الصدر السيد حسن بن هادي بن محمد علي (ت:١٣٥٤هـ) – تأسيس الشيعة لعلوم الإسلام ، بغداد ،ط١.
٢٧ـ الصدر السيد محمد باقر (ت:١٤٠١هـ) – علوم القرآن ، بغداد ، ط١ ، ٢٠١٣م.
المدرسة القرآنية – نشر مركز البحاث والدراسات التخصصية للشهيد الصدر ، قم ، ط٢ ، ١٤٢٤هـ.
٢٨ـ الطوسي أبو جعفر محمد بن الحسن (ت:٤٦٠هـ) – تهذيب الأحكام ، تح: السيد حسن الخرسان ، مطبعة النعمان ، النجف الأشرف ، ط٢ ، ١٩٦٢م.
٢٩ـ العاملي محمد بن الحسن الحر العاملي (ت:١١٠٤هـ) – وسائل الشيعة إلى تحصيل مسائل الشريعة ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت.
٣٠ـ العلامة الحلي الحسن بن يوسف بن المطهر (ت:٧٢٦هـ) – مبادئ الوصول إلى علم الأصول ، تح: عبد الحسين البقال ، دار الأضواء ، بيروت ، ط٢ ، ١٩٨٦م.
٣١ـ علم الهدى السيد المرتضى أبو القاسم علي بن الحسين (٤٣٦هـ) – الذريعة إلى أصول الشريعة ، مطبعة دانشكاه ، طهران ، ط١ ، ١٣٤٦ش.
٣٢ـ العيني بدر الدين محمود بن أحمد الطرابلسي (ت:٨٥٥هـ) – عمدة القاري شرح صحيح البخاري ، دار احياء التراث العربي.
٣٣ـ الغروي الميرزا علي التبريزي – الاجتهاد والتقليد تقرير بحث السيد الخوئي ، دار الهادي ،ط٢ ، ١٤١٠هـ.
٣٤ـ الفيومي أحمد بن محمد بن علي الحموي (ت:٧٧٠هـ) – المصباح المنير في شرح غريب الشرح الكبير ، دار الهجرة ، قم ، ط٢ ، ١٤١٤هـ.
٣٥ـ القرطبي أبو عبد الله محمد بن أحمد (ت:٦٧١هـ) – الجامع لأحكام القرآن ، تح: سالم مصطفى البدري ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط٢ ، ١٤٢٤هـ.
٣٦ـ ابن القيم الجوزية محمد بن أبي بكر (ت:٧٥١هـ) – أعلام الموقعين عن رب العالمين ، تح: محمد عبد السلام ابراهيم ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط١ ، ١٤١٧هـ.
٣٧ـ كاشف الغطاء الشيخ علي بن محمد رضا (ت:١٤١٠هـ) – أدوار علم الفقه وأطواره ، دار الزهراء ، بيروت ، ط١ ، ١٩٧٩م.
٣٨ـ الكليني الشيخ أبو جعفر محمد بن يعقوب (ت:٣٢٩هـ) – الكافي ، تح: علي أكبر غفاري ، دار الكتب الاسلامية ، قم ، ط٤ ، ١٣٦٥هـ.
٣٩ـ المحقق الحلي نجم الدين جعفر بن الحسن (ت:٦٧٦هـ) – معارج الأصول ، تح: محمد حسين الرضوي ، مؤسسة آل البيت (ع) ، قم ، ط١ ، ١٤٠٣هـ.
٤٠ـ محمد سلام مدكور – مدخل الفقه الاسلامي ، دار النهضة العربية ، القاهرة ، ط١ ، ١٩٧٦م.
٤١ـ محمد يوسف موسى – تاريخ الفقه الاسلامي ، دار الفكر ، دمشق ، ط١ ، ١٤٢٥هـ.
٤٢ـ المظفر الشيخ محمد رضا بن محمد (ت:١٣٨٤هـ) – أصول الفقه ، دار التعارف للمطبوعات ، بيروت ،ط٤ ، ١٤٠٣هـ.
٤٣ـ المقرم السيد محمد حسين بن عبد الرزاق – مقتل الحسين (عليه السلام) ، بيروت ، ١٣٩٩هـ.
٤٤ـ المقريزي أبو العباس أحمد بن علي (ت:٨٤٥هـ) – الخطط المقريزية ، تح: خليل المنصور ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط١ ، ١٤١٨هـ.
٤٥ـ ملا عبد الله الأفندي – رياض العلماء وحياض الفضلاء ، نشر مكتبة آية الله المرعشي النجفي ، قم ، ط١ ، ١٤٠٣هـ.
٤٦ـ ابن منظور أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم (ت:٧١١هـ) – لسان العرب ، منشورات أدب الحوزة ، قم ط١ ، ١٤٠٥هـ.
٤٧ـ النجاشي أبو العباس أحمد بن علي (ت:٤٥٠هـ) – رجال النجاشي ، تح: السيد موسى الشبيريالزنجاني ، طبع مؤسسة النشر الاسلامي التابعة لجماعة المدرسين ، قم ، ط٤ ، ١٤١٣هـ.
٤٨ـ ابن النديم محمد بن اسحاق (ت:٣٨٥هـ) – الفهرست ، نشر دار المعرفة ، بيروت ، ط١ ، ١٣٩٨هـ.

فصلية مُحَكَمة تُعنى بالبحوث والدراسات العلمية والإنسانية والفكرية
العدد (٣) السنة الثانية ذو القعدة ١٤٤٣ هـ حزيران ٢٠٢٢ م

النبوة والسياسة والعيش المشترك
دراسة من منظور الفلسفة الإسلامية

م. د. عقيل رحيم الساعدي
كلية الإمام الكاظم عليه السلام الجامعة

الملخص:
بغض النظر عن اختلاف علم الكلام والفلسفة الإسلامية منهجاً وموضوعاً فإن للفلاسفة المسلمين طريقتهم التي تختلف عن طريقة المتكلمين في بحث المسائل العقدية الأساسية (المبدأ والمعاد والواسطة بينهما وهي النبوة).
ومن جهة فرعية المسائل فإن مسألة النبوة فرع من الحكمة النظرية أما السياسة ففرع من الحكمة العملية.
تشترك النبوة والسياسة من وجهة نظر الفلاسفة المسلمين في الدليل المثبت وهو ضرورة الاجتماع الإنساني الذي يقوم على التعاون بين أفراد النوع ثم يكون القانون (الشريعة) هو الضامن لقيام عقد المدينة والعيش المشترك.
تقوم هذه الدراسة على إثبات الرابطة بين المسائل الثلاث أعني النبوة والسياسة والعيش المشترك من وجهة نظر الفلاسفة المسلمين.
مع ملاحظة أن الدراسة متوجهة أولاً وبالذات لبحث الخطوط العامة للموضوع أو عناصره المشتركة ولا يعنيها بحث المسائل وفقاً لتسلسلها التاريخي أو نسبتها إلى هذا الفيلسوف أو ذاك.

Abstract
Regardless of the difference in theology and Islamic philosophy in approach and subject matter، the Muslim philosophers have their own method، which differs from the method of the theologians in discussing the basic doctrinal issues (the principle، the return، and the medium between them، which is the prophecy)In terms of sub-issues، the issue of prophecy is a branch of theoretical wisdom، while politics is a branch of practical wisdom. Prophecy and politics، from the point of view of Muslim philosophers، share the established evidence، which is the necessity of human society، which is based on cooperation between members of the species، and then the law (Sharia) which is the guarantor of the establishment of the city contract and coexistence.
This study is based on proving the link between the three issues، i.e. prophecy، politics and coexistence from the point of view of Muslim philosophers.
Noting that the study is directed first and in particular to discuss the general outlines of the subject or its common elements، and we are not concerned with examining issues according to their historical sequence or attributing them to this or that philosopher.

المقدمة:
تُعدُّ مسألة النبوة العامة – بحسب التقسيم التقليدي للعلوم الفلسفية- واحدة من مسائل الحكمة النظرية إذ بحثها الفلاسفة المسلمون في فرع الإلهيات بالمعنى الأخص بينما تعد السياسة من مسائل الحكمة العملية.
وبالرغم من انتماء المسألتين إلى مجالين مختلفين إلا إنهما يشتركان في الدليل المثبت لكل منهما أعني: ضرورة الاجتماع الإنساني(١) كما يتلازمان – بحسب رؤية الفلاسفة المسلمين- في السبب الضامن لبقاء الاجتماع بعد ثبوت الحاجة إليه وهو القانون العادل (الشريعة).
هذا بحسب النظرة الأولية ولكن لو أمعنا في النصوص التي كتبها الفلاسفة المسلمون قليل إمعان - ومع ملاحظة الثوابت التي

اعتمدوها في كتابة تلك النصوص من قبيل: مضاهاة النظم العلمي للنظام العيني(٢)، وموافقة الحكمة للشريعة(٣)، واتحاد الحكمة والنبوة خارجاً (في شخص النبي) وإن تغايرتا مفهوماً- لبدا واضحاً أن السياسة ليست غير الشريعة القائمة على الحق والداعية إليه بناء على ما قرره الفلاسفة المسلمون كما سيتضح من سير البحث.

ضرورة الاجتماع الإنساني:

أو ما عبر عنه الفلاسفة المسلمون «بقولهم: الإنسان مدني بالطبع أي لابد له من الاجتماع وهو المدينة في اصطلاحهم»(٤) أو ما يمكن التعبير عنه بـ(العيش المشترك).

ومع كونه إحدى المسائل التي ورثتها الفلسفة الإسلامية عن سابقتها اليونانية ولكنه ومن جهة أخرى تم توظيفه من قبل الفلاسفة المسلمين ليكون دليلاً على ضرورة النبوة العامة.

وهو - على أي حال - دليل مركب أي مكون من أربعة أدلة يثبت بعضها بعضاً على الترتيب أدناه:

١-ضرورة الاجتماع بمعنى: إن الإنسان الفرد لا يمكنه العيش إلا في ظل وجود الجماعة.

٢- ضرورة المشاركة بمعنى: إن الاجتماع لا يكون اجتماعاً منتجاً إلا بالمشاركة(٥).

٣-ضرورة المعاملة بمعنى: إن المشاركة لا تكون مشاركة إلا على أساس تبادل المنافع وفقاً لشروط معينة

٤-ضرورة النبوة بمعنى:

إن العيش المشترك القائم على تبادل المنافع التي تحفظ وجود الإنسان لا يتحقق أولاً ولا يستمر ثانياً إلا في ظل وجود القانون أو الشريعة؛ لما في طبيعة الإنسان من ميل إلى جلب المنفعة لنفسه و»جريه على استخدام غيره»(٦) للوصول إلى هذه المنفعة الأمر الذي يدفعه للتعدي على حقوق الآخرين من بني نوعه.

لقد دلت على هذا المعنى نصوص أغلب الفلاسفة المسلمين - الذين كان لديهم تقارب في مفاصل الرؤية الكونية - من أمثال: الفارابي وأبن سينا وابن رشد وصدر الدين الشيرازي وعليه سار ابن خلدون في مقدمته.

لنتأمل هذا النص وهو لابن سينا: «إنه من المعلوم أن الإنسان يفارق سائر الحيوانات بأنه لا يحسن معيشته لو انفرد وحده شخصاً واحداً يتولى تدبير أمره من غير شريك يعاونه على ضروريات حاجاته، وإنه لابد من أن يكون الإنسان مكفياً بآخر من نوعه يكون ذلك الآخر أيضاً مكفياً به وبنظيره.. فإذا كان هذا ظاهراً فلابد في وجود الإنسان وبقائه من مشاركة، ولا تتم المشاركة إلا بمعاملة... ولابد في المعاملة من سنة وعدل»(٧).

يؤكد النص الخطوات الأربع التي مرَّ ذكرها التي تؤلف بمجموعها ضرورة النبوة سواء أكان ميل الإنسان إلى الاجتماع يسبق ميله إلى الاستخدام - بحسب الظاهر من كلام ابن خلدون(٨)- أم إن ميله إلى الاستخدام اضطره إلى الميل إلى الاجتماع بناء على رؤية العلامة الطباطبائي(٩).

ومنه يبدو واضحاً - أيضاً- التلازم بين الاجتماع المبني على التعاون (العيش المشترك) ووجود الإنسان وبقائه بوصفه موجوداً يطلب الكمال(١٠) إذ لا يكفي مجرد الاجتماع لتحقيق هذه الغاية «فمن كان .. غير محتاط في عقد مدينته على شرائط المدنية وقد وقع منه ومن شركائه الاقتصار على اجتماع فقط فإنه مجبل على جنس بعيد الشبه من الناس وعادم لكمالات الناس..»(١١).

ضرورة النبوة:

وإذا كان الاجتماع التعاوني ضرورياً لوجود الإنسان وبقائه فإن النبوة ضرورة لحفظ وحدة الجماعة البشرية وانتظام أمرها لأنها السبيل الوحيد لوجود القانون العادل المتمثل بالشريعة التي يبلغها إنسان ذو طبيعة خاصة إلى سائر الناس فضلاً عن ضرورتها الخارجية بوصفها جزءاً من أجزاء النظام العيني (العالم بمراتبه) الفائض عن واجب الوجود.

قال صدر المتألهين: «وكما لابد في العناية الإلهية لنظام العالم من المطر مثلاً والعناية لم يقتصر عن إرسال السماء مدراراً، فنظام العالم لا يستغني عمن يعرفهم موجب صلاح الدنيا والآخرة. فانظر إلى لطفه ورحمته كيف جمع لخلقه بإيجاده ذلك الشخص وبين النفع العاجل في الدنيا والآجل في العقبى، وكيف خلق هذا لأجل النظام»(١٢).

وعن طريقها يتعين وجود الأفراد ومراتبهم في المدينة الفاضلة بحسب قابلياتهم واستعداداتهم التي وجبت لهم تبعاً لمرتبة وجودهم من النظام العيني أعني نسبتهم إلى سائر أجزاء الوجود (الممكن بذاته/ الواجب بغيره)(١٣) وبذلك تكون السياسة بمعنى تدبير (إدارة) شؤون الجماعة(١٤) ورعايتهم من جهة رعاية استعداداتهم وقابلياتهم التكوينية شأناً خاصاً بالنبوة ووظيفة النبي(١٥).

النبي الموصوف بالحكمة

ثم إن التدبير من هذه الجهة يعني وضع الموجودات في مواضعها التي تستحقها أي نسبة كل واحد منها إلى باقي أجزاء النظام الكوني مع حفظ وجودها وبقائها وإيصالها إلى غايتها وهي الكمال اللائق بكل واحد منها يرادف الحكمة من جهة ويرادف العناية من جهة أخرى وهو في كلا المعنيين صفتان لواجب الوجود بالأصالة وللعقول السماوية بالتبع حتى ينتهي التدبير إلى العقل الفعال الذي يتولى تدبير عالم ما تحت فلك القمر أي الأرض وما عليها(١٦).

وإذا كان النبي عقلاً مستفاداً لاتصاله بالعقل الفعال عندئذ يكون رئيس المدينة الفاضلة هو النبي الموصوف بالحكمة فالنبوة والحكمة متحدان في شخص هذا الإنسان الذي «لا يتكرر وجود مثله في كل وقت؛ فإن المادة التي تقبل كمال مثله تقع في قليل من الأمزجة..»(١٧). ومنه يعرف وجه الاشتباه في تفسير كلام الفارابي في جعله الحكمة (الفلسفة) في مرتبة أعلى من النبوة الأمر الذي لا يعنينا الخوض في تفصيلاته الآن. وإنما يعنينا أن نعرف أن السياسة بهذا المعنى تؤكد العدل (التكويني)(١٨) بوصفه شرطاً أساسياً لقيام عقد المدينة وضمان العيش المشترك.

السياسة والشريعة:

اتضح مما تقدم: إن التدبير أو الإدارة المتقنة الناجحة التي تضع الأمور في مواضعها المناسبة وترتب أفراد المدينة في مراتبهم اللائقة بهم بحسب استعداداتهم تتم بواسطة الإنسان النبي أو النبي الحكيم وهو ما يسمى اليوم بـ (السلطة التنفيذية)

ومما لاشك فيه إن هذا البعد من أبعاد السياسة ينبغي أن يكون متكئاً على بعد آخر هو البعد التشريعي منها إن لم نقل إنهما وجهان لحقيقة واحدة.

بعبارة ثانية: إن الكمالات أو الصور الموهوبة من العقل الفعال بوصفه مدبراً لهذا العالم تختلف بحسب الإمكان الذاتي لكل موجود في هذا العالم فلا تتلبس المادة بالصورة الحيوانية مثلاً من دون استعدادها لقبول تلك الصورة وهكذا الحال في كل صورة تقبلها المادة ومن هنا

يختلف الكمال الموجود في هذا الفرد من أفراد الإنسان عن فرد آخر وهذا عن غيره وهكذا بحسب اختلاف الاستعداد والقابلية وهنا يأتي دور الإنسان الحكيم أو النبي الحكيم – الذي وهبت له الصورة الكاملة بسبب استعداده التام- لتدبير أحوال الافراد بحسب إمكاناتهم وقابلياتهم.

وإذا كان الأفراد مختلفين في استعداداتهم – وهو اختلاف ضروري لوجود النظام الكوني الأحسن أو الأصلح – فلابد أن تتنزل الشريعة متوافقة مع هذا الاختلاف وإن شئت قلت: أن تراعي الاختلاف الموجود في قابليات الأفراد فلها باطن موافق لعقول الحكماء – وهو الأصل أو الحقيقة العقلية- وظاهر يأخذ طابع الأمثلة الحسية الموافقة لعقول عامة الناس لعدم قدرتهم على الوصول إلى ذلك الأصل العقلي.

إن انقسام الشريعة إلى ظاهر وباطن يرتبط بقابلية القوة المتخيلة للنبي على التصرف في الصور العلمية التي يستفيدها عقله من العقل الفعال إذ يتلقى عقل النبي الصورة بوجودها المجرد ثم تتصرف فيها المخيلة وتحولها إلى رموز وأمثلة حسية(١٩) تراعي القابليات العلمية للأفراد «فإن الظاهر هو تلك الأمثال المضروبة لتلك المعاني، والباطن هو تلك المعاني التي لا تنجلي إلا لأهل البرهان»(٢٠).

ويطلق على الوصول إلى تلك المعاني العقلية التي لا تنكشف إلا للحكماء اسم التأويل أي ما يؤول إليه أمر الظاهر أو الصورة العقلية المعبر عنها بالمثال الحسي.

الشريعة والعيش المشترك:

لماذا اختص الحكماء بمعرفة باطن الشريعة وقُيد الجمهور بظاهرها؟ وما صلة ذلك بالعيش المشترك؟

بينا فيما سبق: إن مرجع انقسام الشريعة إلى ظاهر وباطن هو اختلاف استعدادات الأفراد وقابلياتهم الأمر الذي يتطلب من صاحب الشريعة (النبي الحكيم) مراعاة الفروق الموجودة فيما بينهم من الناحية العلمية مما يجعلهم مختلفين في نوع التصديق والمعرفة بالواقع. وبسبب هذا الاختلاف جعل صاحب الشريعة لبعضهم حق التصرف في الظاهر.. تأويل هذه الأمثلة المضروبة للجمهور وإرجاعها إلى أصولها أو معانيها الحقيقية بينما لم يعط هذا الحق للجمهور أو عامة الناس وإنما ألزمهم بالوقوف عند حدود الظاهر.

وسبب إلزام العامة بالوقوف عند الظاهر جزء لا يتجزأ من السياسة أو التدبير الذي يحفظ عقد المدينة ويضمن العيش المشترك بين أفرادها ذلك أن انصراف الجمهور إلى البحث في المعاني الباطنة التي يصعب عليهم تحصيلها لضعف استعدادهم «لا يمكنهم أن يتصوروا هذه الأحوال على وجهها إلا بكدّ... فلا يلبثون أن يكذبوا بمثل هذا الوجود، ويقعوا في تنازع وينصرفوا إلى المباحثات والمقايسات التي تصدهم عن أعمالهم المدنية. وربما أوقعهم في آراء مخالفة لصلاح المدينة، ومنافية لواجب الحق، وكثرت فيهم الشكوك والشبه»(٢١).

وقد توسع ابن رشد من جهته في بيان هذا المعنى – وإن اختلفت طريقته عن طريقة من سبقوه من الفلاسفة – بتصنيفه الناس – بالقياس إلى قابلياتهم من جهة وطرق الوصول إلى معرفة الحق والعمل به الذي هو مقصد الشريعة من جهة ثانية- إلى: خطابيين وجدليين وبرهانيين «وكان الشرع إنما مقصوده تعليم الجميع، وجب أن يكون الشرع يشتمل على جميع أنحاء طرق التصديق»(٢٢) أي البرهان والجدل والخطابة مع تأكيده على حصر التأويل بالصنف الثالث من الناس وهم البرهانيون أو الخواص إذ يكون واجبهم

التأويل في مورد التأويل ويكون واجب الخطابيين والجدليين معاً حمل المعنى على ظاهر اللفظ.

ولا يجوز للخواص التصريح بالتأويل لغير أهله «ومتى صرح بشيء من هذه التأويلات إلى من هو من غير أهلها... أفضى ذلك بالمصرح به والمصرح له إلى الكفر... فالتأويلات ليس ينبغي أن يصرح بها للجمهور ولا أن تثبت في الكتب الخطابية أو الجدلية: أعني الكتب التي الأقاويل الموضوعة فيها من هذين الجنسين كما صنع ذلك أبو حامد»(٢٣).

والنتيجة المهمة التي خرج بها ابن رشد هي: إن التصريح بالتأويل كان السبب في نشأة الفرق المتعددة في الإسلام مع ما رافقها من اتساع دائرة الخلاف والاتهام المتبادل بالتكفير وهو ما انعكس سلباً على وحدة المجتمع الإسلامي(٢٤) والعيش المشترك بين أفراده وهو ما كان ليكون لو التزم كل صنف من الأصناف الثلاثة بما ينبغي له أو يجب عليه.

الخاتمة:

بهذا العرض المقتضب: حاولنا إيضاح الترابط بين ثلاث مسائل في الفلسفة الإسلامية مع قناعتنا بأن البحث عن أي مسألة منفردة أو مسائل مجتمعة في هذه الفلسفة أو استخلاص نتائجها لا يتحصل من دون نسبتها إلى مباني الفلاسفة ورؤيتهم الكونية (عقيدتهم في المبدأ والمعاد والواسطة بين المبدأ والمعاد) فضلاً عن نسبتها إلى سائر المسائل.

وبناء على هذه النظرة التي أطلق عليها بعض الباحثين اسم «المنهج الكلي»(٢٥) يمكن قراءة الفلسفة الإسلامية بطريقة مختلفة والخروج منها بنتائج مختلفة عن تلك النتائج المستخرجة بناء على النظرة التجزيئية.

أما النتائج المستخلصة من البحث فهي:

١-المدينة الفاضلة بمثابة نظام علمي لما ينبغي أن يكون عليه المجتمع الإنساني وهو مثال الوجود الخارجي القائم على النظام المترابط الأجزاء - الصادر عن مبدأ الوجود والمدبر من قبله بواسطة العقول المجردة - يؤدي كل جزء منها وظيفته المناسبة لاستعداده ويكون مدبراً من عقل مستفاد من العقل الفعال هو عقل النبي الموصوف بالحكمة أو الحكيم المكلف بالنبوة.

٢- وإذا كانت المدينة مثالاً وصورة مصغرة للوجود المترابط ينبغي أن تقوم على قانون يضمن ترابط أفرادها ويضمن عيشهم المشترك.. مشترك كاشتراك أجزاء النظام الخارجي وهذا القانون أو السنة العادلة بحسب تعبير الفلاسفة هو الشريعة التي تراعي استحقاق الأفراد وقابلياتهم وتقوم بتدبير شؤونهم في جانبي العلم والعمل لضمان استمرار عقد المدينة.

٣-تمثل الشريعة بمعناها المتقدم المعنى الواسع للسياسة ومنه يتضح نظرة الفلاسفة إلى الدين بوصفه قيماً على حياة الإنسان وواسطة لحفظ وجوده في الحال وتحصيل سعادته في المآل.

الهوامش:

(١) ينظر: ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد، مقدمة ابن خلدون، تحقيق: علي عبد الواحد وافي، إشراف: داليا محمد إبراهيم، دار النهضة، مصر، ط٧، مارس ٢٠١٤م، ج١، ص٣٤٠.

(٢) ينظر: ابن سينا، أبو علي الحسين بن عبد الله، تسع رسائل في الحكمة والطبيعيات، دار العرب للبستاني، القاهرة - مصر، ط٢، من دون تاريخ، ص١٠٤-١٠٥.

(٣) ينظر: ابن رشد، أبو الوليد محمد بن أحمد، فصل المقال في تقرير ما بين الحكمة والشريعة من الاتصال، مع مدخل ومقدمة تحليلية للمشرف على المشروع: الدكتور محمد عابد الجابري، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت - لبنان، ط١، تشرين الثاني، نوفمبر، ١٩٩٧م، ص١٢٥.

(٤) مقدمة ابن خلدون، ج١، ص٣٤٠

(٥) ينظر: ابن سينا، أبو علي الحسين بن عبد الله، الإلهيات من كتاب الشفاء، تحقيق: حسن زاده الآملي، مركز النشر التابع لمكتب الإعلام الإسلامي، قم- إيران، ط١، ١٤١٨ق/١٣٧٦ش، ص٤٨٧.

(٦) الطباطبائي، محمد حسين، الميزان في تفسير القرآن، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت - لبنان، ط٣، ١٩٧٣م، ج٢، ص١١٦.

(٧) الإلهيات من كتاب الشفاء، ص٤٨٧-٤٨٨.

(٨) ينظر: ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد، ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، تحقيق: خليل شحادة، مراجعة: سهيل زكار، دار الفكر، بيروت - لبنان،

١٤٢١هـ/ ٢٠٠١م، ج١، ص٥٦.

(٩) ينظر: الطباطبائي، محمد حسين أصول الفلسفة والمنهج الواقعي، تقديم وتعليق: مرتضى مطهري، ترجمة: عما أبو رغيف، مؤسسة أم القرى للتحقيق والنشر، بيروت – لبنان، ط١، ذي الحجة ١٤١٨هـ ج١، ص٥٨٠-٥٨٥.

(١٠) ينظر: الفارابي، أبو نصر محمد بن طرخان، آراء أهل المدينة الفاضلة ومضاداتها، قدم له وعلق عليه وشرحه: علي بو ملحم، دار ومكتبة الهلال، بيروت- لبنان، ط١، ١٩٩٥م، ص١١٢.

(١١) الإلهيات من كتاب الشفاء، ص٤٨٧.

(١٢) الشيرازي، صدر الدين محمد بن إبراهيم، المبدأ والمعاد، قدمه وصححه: جلال الدين الآشتياني، مركز النشر التابع لمكتب الإعلام الإسلامي، قم – إيران، ط٣(الأولى لهذا الناشر)، ١٤٢٢ق/ ١٣٨٠ش، ص٦١٢.

(١٣) ينظر: الفارابي، أبو نصر محمد بن طرخان، السياسة المدنية، قدم له وبوبه وشرحه: علي بو ملحم، دار ومكتبة الهلال، بيروت- لبنان، ط١، ١٩٩٦م، ص٤٥-٩٠.

(١٤) ينظر: الخوئي، حبيب الله الهاشمين منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة، ضبط وتحقيق: علي عاشور: دار إحياء التراث العربي، بيروت – لبنان، ط١، ٥١٤٢٤/ ٢٠٠٣م، ج٢١، ص٢٤٦.

(١٥) ينظر: ابن السيد البطليوسي، الحدائق في المطالب العالية الفلسفية العويصة، اعتنى به: محمد رضوان الداية، قدم له: عبد الكريم اليافي، دار الفكر، دمشق – سورية، ط١، ٥١٤٠٨/ ١٩٩٨م، ص٥٥.

(١٦) ينظر: ابن باجة، أبو بكر بن الصائغ، رسائل ابن باجة الإلهية، حققها وقدم لها: ماجد فخري، دار النهار للنشر، بيروت – لبنان، ط٢، ١٩٩١م، ص٣٧-٤١.

(١٧) الإلهيات من كتاب الشفاء، ص٤٩١.

(١٨) ينظر: السبحاني، جعفر، مفاهيم القرآن، مؤسسة التاريخ العربي، بيروت – لبنان، ط١، ٥١٤٣١/ ٢٠١٠م، ج١٠، ص١٩.

(١٩) ينظر: ابن سينا، أبو علي الحسين بن عبد الله، النفس من كتاب الشفاء، تحقيق: حسن زاده الآملي، مركز النشر التابع لمكتب الإعلام الإسلامي، قم- إيران، ط١، ١٤١٧ق/ ١٣٧٥ش، ص٢٣٥-٢٤٧.

(٢٠) فصل المقال في تقرير ما بين الحكمة والشريعة من الاتصال، ص١٠٩-١١٠.

(٢١) الإلهيات من كتاب الشفاء، ص٤٨٩.

(٢٢) فصل المقال في تقرير ما بين الحكمة والشريعة من الاتصال، ص١١٦.

(٢٣) المصدر نفسه، ١١٩.

(٢٤) ينظر: المصدر نفسه، ص١٢١-١٢٢.

(٢٥) ينظر: العاتي، إبراهيم، إشكالية المنهج في دراسة الفلسفة الإسلامية، دار الهادي، بيروت – لبنان، ط١، ٥١٤٢٤/ ٢٠٠٣م، ص٢٣.

المصادر والمراجع

-ابن السيد البطليوسي، الحدائق في المطالب العالية الفلسفية العويصة، اعتنى به: محمد رضوان الداية، قدم له: عبد الكريم اليافي، دار الفكر، دمشق – سورية، ط١، ٥١٤٠٨/ ١٩٩٨م.

-ابن باجة، أبو بكر بن الصائغ، رسائل ابن باجة الإلهية، حققها وقدم لها: ماجد فخري، دار النهار للنشر، بيروت – لبنان، ط٢، ١٩٩١م.

-ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد، ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، تحقيق: خليل شحادة، مراجعة: سهيل زكار، دار الفكر، بيروت – لبنان، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠١م، ج١.

-ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد، مقدمة ابن خلدون، تحقيق: علي عبد الواحد وافي، إشراف: داليا محمد إبراهيم، دار النهضة، مصر، ط٧، مارس ٢٠١٤م، ج١.

-ابن رشد، أبو الوليد محمد بن أحمد، فصل المقال في تقرير ما بين الحكمة والشريعة من الاتصال، مع مدخل ومقدمة تحليلية للمشرف على المشروع: الدكتور محمد عابد الجابري، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت – لبنان، ط١، تشرين الثاني، نوفمبر، ١٩٩٧م.

-ابن سينا، أبو علي الحسين بن عبد الله، الإلهيات من كتاب الشفاء، تحقيق: حسن زاده الآملي، مركز النشر التابع لمكتب الإعلام الإسلامي، قم- إيران، ط١، ١٤١٨ق/ ١٣٧٦ش.

-ابن سينا، أبو علي الحسين بن عبد الله، النفس من كتاب الشفاء، تحقيق: حسن زاده الآملي، مركز النشر التابع لمكتب الإعلام الإسلامي، قم- إيران، ط١، ١٤١٧ق/ ١٣٧٥ش.

-ابن سينا، أبو علي الحسين بن عبد الله، تسع رسائل في الحكمة والطبيعيات، دار العرب للبستاني، القاهرة – مصر، ط٢، من دون تاريخ.

-الخوئي، حبيب الله الهاشمي منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة، ضبط وتحقيق: علي عاشور: دار إحياء التراث العربي، بيروت – لبنان، ط١، ٥١٤٢٤/ ٢٠٠٣م، ج٢١.

-السبحاني، جعفر، مفاهيم القرآن، مؤسسة التاريخ العربي، بيروت – لبنان، ط١، ٥١٤٣١/ ٢٠١٠م، ج١٠.

-الشيرازي، صدر الدين محمد بن إبراهيم، المبدأ والمعاد، قدمه وصححه: جلال الدين الآشتياني، مركز النشر التابع لمكتب الإعلام الإسلامي، قم – إيران، ط٣(الأولى لهذا الناشر)، ١٤٢٢ق/ ١٣٨٠ش.

-الطباطبائي، محمد حسين أصول الفلسفة والمنهج الواقعي، تقديم وتعليق: مرتضى مطهري، ترجمة: عما أبو رغيف، مؤسسة أم القرى للتحقيق والنشر، بيروت – لبنان، ط١، ذي الحجة ١٤١٨هـ ج١.

-الطباطبائي، محمد حسين، الميزان في تفسير القرآن، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت – لبنان، ط٣، ١٩٧٣م، ج٢.

-العاتي، إبراهيم، إشكالية المنهج في دراسة الفلسفة الإسلامية، دار الهادي، بيروت – لبنان، ط١، ٥١٤٢٤/ ٢٠٠٣م.

-الفارابي، أبو نصر محمد بن طرخان، آراء أهل المدينة الفاضلة ومضاداتها، قدم له وعلق عليه وشرحه: علي بو ملحم، دار ومكتبة الهلال، بيروت- لبنان، ط١، ١٩٩٥م.

-الفارابي، أبو نصر محمد بن طرخان، السياسة المدنية، قدم له وبوبه وشرحه: علي بو ملحم، دار ومكتبة الهلال، بيروت- لبنان، ط١، ١٩٩٦م.

فصلية مُحَكَمة تُعنى بالبحوث والدراسات العلمية والإنسانية والفكرية
العدد (٣) السنة الثانية ذو القعدة ١٤٤٣ هـ حزيران ٢٠٢٢ م

وعلى الله فليتوكل المتوكلون

المكان في المنجز الروائي العراقي بعد نيسان ٢٠٠٣ م علاقاته وانماطه ووظائفه رواية حارس التبغ لعلي بدر أنموذجاً

م.د. أسامة محمد مهدي
جامعة كربلاء / كلية العلوم الإسلامية

الملخص:
يبرز دور المكان في العمل الروائي بوصفه واحداً من أهم مكوناته فهو يمثل المرتكز الذي تستند عليه بقية المكونات في تشكيل البنية الروائية، فهو بمثابة كيان اجتماعي يمثل خلاصة التفاعل بين الإنسان والمجتمع الذي ينتمي إليه ، لذا فإن شأنه شأن أي نتاج اجتماعي آخر، يحمل جزءاً من اخلاق وأفكار ووعي ساكنيه، ومن خلال الأماكن نستطيع قراءة سيكولوجية ساكنيه وطريقة حياتهم وكيفية تعاملهم مع الطبيعة ، والنظرة للمكان بوصفه إطاراً حاضناً يحتوي المكونات الأخرى فقط من دون التأثير فيها والتأثر بها لهي نظرةٌ قاصرة لا تنبني على أسس علمية صحيحة ، فالتطور الحاصل في المجالات المعرفية قد أكد قصورها ، وأثبت أثر المكان الحيوي في الأعمال السردية، إذ إن سطوته تتعدى في الواقع ما يبدو عليه السطح من تأثيرات ، وفاعليتها المباشرة إلى أعماق التكوين النفسي للشخصيات.

Abstract:
The role of the place in the fictional work emerges as one of its most important components، as it represents the basis upon which the rest of the components are based in forming the narrative structure. It is a social entity that represents the summary of interaction between man and the society to which he belongs. The morals، ideas and awareness of its residents، and through places we can read the psychology of its residents، their way of life and how they deal with nature، and the view of the place as an incubating framework that contains only other components without affecting or being affected by it is a limited view that is not based on correct scientific foundations. It confirmed its shortcomings، and proved the vital role of the place in the narrative works، as its influence actually goes beyond what appears on the surface of the effects، and its direct effectiveness to the depths of the psychological formation of the characters.

Osama Mohammed Mahdee University of Karbala- College of Islamic Sciences Department of Arabic language Achievement، novelist، Iraqi، place، self، function، patterns(Iraqi poetry، incitement، the popular revolution))

المقدمة:
الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أفضل الأنبياء والمرسلين وعلى آله الطيبين الطاهرين وبعد:
فقد مرت الرواية العراقية بعد نيسان ٢٠٠٣م بمنعطفٍ خطير، فقدت فيه بوصلة اتجاهها الصحيح ومن ثم تاهت في نفقٍ مظلم انعدمت الرؤية فيه، وأصيب معظمُ الروائيين العراقيين بصدمة مأساوية جعلتهم عاجزين عن فهم ما يدور حولهم من أحداثٍ متلاحقةٍ سريعةٍ خرجت عن نطاق المنطق والمألوف خاصةً بعد اشتداد الأحداث الطائفية والصرعات والحروب التي ما أن تخمد في مكان حتى تنشب نيرانها في مكانٍ آخر فاختلطت المفاهيم وتغيرت الثوابتُ، وهيمن الموت بظلاله الثقيلة على منجز الرواية العراقية بعد نيسان ٢٠٠٣م من خلال ظهور خطابٍ روائي فجائعي تشاؤمي موغل بالحزنِ والانكسار وجلد الذات، خطابٌ تظهر فيه شخصياته بمظهر العاجز الذي لا يعي أثره الحقيقي ومسؤوليته الكبرى في تبصير الجماهير بمواطن الخلل بغية تصحيحها ومن ثم بناء مجتمع يؤمن بالمواطنة وتتحقق فيه قيم العدالة والحرية والديمقراطية ، ولعل فقدان مظاهر التمسك بالمكان والدفاع عنه وخلق الرؤية الإيجابية لدى المتلقي قد بدت واضحة المعالم على معظم شخصيات وأبطال هذا المنجز، فكان لا بد من التوقف عند هذه الظاهرة وتبيان أسبابها وتأثيراتها من خلال رصد مواقف الشخصيات وعلاقاتها بالمكان بعد اتخاذنا

لرواية حارس التبغ لعلي بدر بوصفها أنموذجاً ينتمي لهذا المنجز ، فجاء البحث مشتملاً على تمهيد و ثلاثة مباحث :

أما التمهيد فقد تضمن أهمية المكان في العمل الروائي والتطور الحاصل في مجال الرواية والرواية العربية على وجه الخصوص ، فيما جاء المبحث الأول مشتملاً على نقطتين الأولى هي الذات وعلاقتها بالمكان في المنجز الروائي العراقي بعد ٢٠٠٣م ، والثانية : الذات وعلاقتها بالمكان في رواية حارس التبغ بوصفها أنموذجاً ينتمي لهذا المنجز ، أما المبحث الثاني فقد اشتمل على تضمن دوائر العلاقة المكانية في الرواية، وجاء المبحث الثالث متضمناً لأنماط المكان ووظائفه ، تلي ذلك خاتمة لأبرز النتائج التي توصل البحث إليها ومسرداً للمصادر التي أستعان بها الباحث في إنجاز هذه الدراسة ومن الله التوفيق

التمهيد:

لا تتحد أهمية المكان في أي عمل روائي بوصفه إطاراً حاضناً تلتقي فيه المكونات الأخرى وتتفاعل فيما بينها لتنتج أحداثاً تنمو وتتحرك ضمن حدود الحاضنة المكانية ، وإنما تتعدى أهميته لأكثر من ذلك فهو يعد معادلاً معنوياً وحسياً للمجال الشعوري والذهني الذي تحمله شخصيات الرواية ومن ثم يعد مظهراً من مظاهر التعبير عن الهوية الثقافية للبنية المجتمعية التي يخوض العمل الروائي في غمارها، فهو يتحول في بعض الأعمال المتميزة إلى (فضاء يحتوى كل العناصر الروائية، بما فيها من حوادث وشخصيات، وما بينها من علاقات، ومن ثم منحها المناخ الذى تفعل فيه، وتعبر عن وجهة نظرها، ويكون هو نفسه المساعد على تطوير بناء الرواية، والحامل لرؤية البطل، والممثل لمنظور المؤلف، وبهذه الحالة لا يكون المكان كقطعة القماش بالنسبة إلى اللوحة، بل يكون الفضاء الذى تصنعه اللوحة)(١) ، فالمكان يمتزج ويتداخل بشكل يصعب معه فصله عن العناصر القصصية الأخرى ويتآلف في الوقت نفسه معها لبلورة الحدث داخل النص الحكائي فهو(يدخل في علاقات متعددة مع المكونات الحكائية الأخرى كالشخصيات والأحداث والرؤى السردية .... وعدم النظر إليه ضمن هذه العلاقات والصلات التي يقيمها يجعل من العسير فهم الدور النصي الذي ينهض به المكان الروائي داخل السرد)(٢) .

وفي سياق الحديث عن المكان يمكننا النظر اليه بوصفه شبكة من العلاقات والرؤى ووجهات النظر التي تتضامن مع بعضها لتشييد الفضاء الروائي الذي ستجري فيه الأحداث ويكون المكان هو المتحكم في بناء الفضاء واعطائه طابعه المميز فالمكان يظهر بشكل مستقل عن طبيعة الحدث الجاري فيه وينمو ويحمل وجهة نظر الشخصيات التي تعيش فيه فهو (ملعب الأحداث والشخصيات الروائية فكلما أُجيد بناؤه وتجهيزه استطاعت الأحداث والشخصيات أن تؤدي دورها بشكل أفضل وتبرز مهاراتها بشكل أكمل فهو يؤثر فيها ويقوي نفوذها كما يعبر عن مقاصد المؤلف وهذا الارتباط يجعلنا ننظر قيام حدث ما مهمته الأساسية هي التنظيم الدرامي للأحداث)(٣) .

إن المكان شأنه شأن أي عنصر من عناصر البناء الفني ، (يتجدد عبر الممارسة الواعية للفنان، فهو ليس بناءً خارجياً مرئياً ، ولا حيزاً محدد المساحة ، ولا تركيباً من غرف وأسيجة ونوافذ ، بل هو كيان من الفعل المغيّر والمحتوي على تاريخ ما ، والمضمخة أبعاده بتواريخ الضوء والظلمة ، وهو في الفن اختيار والاختيار لغة ومعنى وفكرة تقصد)(٤)، وإذا كان من معاد القول أن المكان عملٌ لغويٌ خلاق ذو كثافةٍ دلاليةٍ عميقة ، فإن دلالاته هذه

تنبع من الإشارات التي تحملها الكلمات ويظهر أثرها في داخل سياق النص الروائي ، فهو لا يتواجد إلا من خلال الكلمات المكتوبة ويتشكل بوصفه موضوعاً للفكر الذي يبدعه الروائي بكل أجزائه، ومن ثم يحمله طابعاً مطابقاً لطبيعة الفنون الجميلة ولمبدأ المكان نفسه(٥)، وعلى أساس ذلك فإن المكان يمثل البؤرة الرئيسة التي تدعم الحكي وتنهض في كل عمل تخيلي، فهو بمثابة (وجهة نظر شخصية تعيش فيه أو تخترقه وليس لديه استقلال إزاء الشخص الذي يندرج فيه وعلى مستوى السرد فإن المنظور الذي تتخذه الشخصية هو الذي يحدد أبعاد الفضاء الروائي ويرسم طوبوغرافيته ويجعله يحقق دلالته الخاصة وتماسكه الأيديولوجي)(٦)، ومن ثم فإنه يصبح (كياناً اجتماعياً يحتوي على خلاصة التفاعل بين الإنسان ومجتمعه ، لذا شأنه شأن أي نتاج اجتماعي آخر، يحمل جزءاً من أخلاق وأفكار ووعي ساكنيه، ومن خلال الأماكن نستطيع قراءة سيكولوجية ساكنيه وطريقة حياتهم وكيفية تعاملهم مع الطبيعة)(٧).

وتبعاً لهذا التطور المتسارع الخطى للبنية المكانية في الأعمال الحكائية فإن الرواية العربية هي الأخرى قد حذت حذو الأدب العالمي في توظيفها لخصائص المكان ومميزاته، وقد ظهر هذا التوظيف جلياً في الروايات ذات المنحى التجريبي إذ أنها أولت عناية فائقة في رسم مشهدية المكان بما يوحي للمتلقي بأن المكان المتخيل بمثابة نسخة أصيلة من عالمه الواقعي، بيد أن هذا التوظيف بدأ متفاوتاً نسبياً نتيجة للظروف السياسية والاقتصادية والدينية التي تتحكم في كل بلد.

المبحث الأول

أولاً: الذات وعلاقتها بالمكان في المنجز الروائي العراقي بعد ٢٠٠٣م.

إن متابعةً للمنجز الروائي التجريبي في العراق بعد أحداث ٢٠٠٣م تظهر بوضوح مدى التطور الحاصل في هذا المنجز بفعل توظيف مزايا البنية المكانية إلى جانب خصائص المكونات الأخرى للحكي،إذ مكنها ذلك من اقتحام كثيرٍ من التابوهات والمحظورات التي ما كان لها أن تخوض في غمارها بوجود سلطة الرقيب وقيودها الصارمة التي فرضها النظام الشمولي ، والتي حددتها بمساراتٍ ضيقة لا يمكن لها أن تحيد عنها ، فقد سبرت تلك الروايات أغوار كثيرٍ من الإشكاليات الثقافية والاجتماعية والسياسية والاقتصادية وتعمقت بالبحث والتقصي عن مسبباتها وآثارها المترتبة على البنية المجتمعية ، لكنها وبرغم دقة رصدها لتلك الإشكاليات لم تحمل في ثناياها ممكنات روئ لحل تلك الأزمات والاشكاليات التي عصفت في المجتمع العراقي ، فمعظم شخصيات تلك الروايات لا تظهر صلتها بالمكان إلا ضمن حدود الجوانب الإستلابية المضطهدة والمقهورة التي تقف موقف المتفرج الذي لا يتفاعل مع الأحداث بل يبقى ساكناً بحكم رؤيته المرهونة بحدود ظاهرة الخراب المكاني وإظهار ما فيها من سلبيات دون اتخاذها منطلقاً نحو التغيير ، والحال أن (الأدب لم يكن يوماً من الأيام مجرد تسلية أو هروب من الحياة ومشاكلها ومعاركها، وأن الأديب يجب ألا يعيش التجارب في المجتمع ككائن طفيلي.... أو سلبي بائس أو مهرج ممسوخ)(٨) ، فهو لا يتواجد مثلما تتواجد (الشجرة أو الحصاة ، وإنما يكون طرفاً محركاً في التوجيه والإصلاح وصانعاً حاذقاً في تقديم الأثر الذي يترك البصمات الإصلاحية واضحة الملامح وهي فكرة تتحد من الموقع الريادي الذي يتمتع به بوصفه أداة من أدوات التغيير والتوجيه)(٩) .

أن تقصي أبطال الروايات العراقية ما

بعد ٢٠٠٣ يفضي بنا للقول انهم غالباً ما كانوا محكومين بمسارات ملتوية ومعقدة ويتوحدون في أنهم ينتهون دائما عند طريق مسدودة بركام الخوف والقلق والضياع وهم بذلك شخصيات قلقة لا تمتلك رؤى موقفية واضحة ، وبمعنى أخر أن الروائي العراقي بعد أحداث نيسان ٢٠٠٣م بدأ يعاني من ازدواجية مبهمة ويلجأ إلى ممارسة طقوس نرجسية غريبة نتيجة احباطاته وخيباته النفسية والاجتماعية، ولهذا فمن البديهي أن يكون مقذوفاً خارج حدود وجوده الاجتماعي ، وأن يمارس أشكالاً مختلفة من المعايشة العدمية والغيبية دون أن يفكر بمواجهة نفسه أولاً ومواجهة الواقع ثانياً بوصف هذه المواجهة إحدى أهم مقومات البطولة الشخصية .

إن أحداث ما بعد ٢٠٠٣ كشفت عن بون شاسع ما بين الروائي والواقع، فقد دفعتهُ الأحداث فجأة وباضطراب شديد لأن يعي دوره السلبي فحسب؛ إذ إنه لم يحقق مرجعية اجتماعية شاملة لما يصطرع من حوله، ورغم إشكالية التعتيم والترميز والتغريب التي بقيت تغلف أحداث عوالمه، فقد حاول أن يواجه نفسه، إلا أنه أصيب بخيبة مريرة نتيجة ردود فعل الهزيمة النفسية في داخله، بفعل ثقل الأحداث المتسارعة بالإنهيار، ومن ثم فقد تحرك أبطاله مرغمين باتجاه مشاكلة العلائق والممارسات المتواطئة مع الواقع.

لقد خلق التأثير المركزي لأحداث ما بعد ٢٠٠٣ أبطالاً منكسرين وخائبين ومهزوزين لا يقوون على مواجهة رياح التخاذل والتواطؤ والاستسلام للواقع، ولهذا انسحبوا إلى تقريع ذواتهم بالندب الذاتي واجترار الكوابيس السوداوية القاتمة، فغياب عوامل الصفاء الذهني والنفسي أوجد أبطالاً ملوثين بغبار الهزيمة ، دون أن يتخذوا من الهزيمة موقعاً جديداً لبلورة موقفهم بوعي جدلي ، في حين أن الهزيمة نفسها فتحت أمامهم موضوعات سياسية واجتماعية مختلفة،يستطيعون منها الانطلاق لمعالجة العلل والنكبات والهزائم التي مُني المجتمع بها في ظل الاحتلال الأمريكي وما رافقه من أحداثٍ طائفيةٍ مريرة، إلا أنهم لجأوا الى موضوعات الخيبة والتداعي والسقوط،غير مدركين أن الإحساس الفردي لا يمكن أن ينفتح وينمو إلا من خلال المأساة الاجتماعية ، فأي ممارسة إبداعية لا يكتب لها النجاح على المستوى الفردي إلا إذا اعتمدت على الواقع الاجتماعي بكل تناقضاته ومصالح فئاته المتضاربة ، بجعله نقطة انطلاق لعملية التغيير التي ينشدها الأديب بما يمتلكه من موهبة فذة .

إن المغزى الأيديولوجي وأن كان لا يمثل الشاغل الأول في الأعمال الحكائية ، لكن ذلك لا يعني بأي شكلٍ من الأشكال اغفاله وتحاشيه كلما طفا على السطح ، بل يتوجب الوقوف عنده وتبيان مراميه ، لأنه أفضل معبّر عن أصالة ووجاهة البحث المجرى وعنواناً لإنتاجيته، فالسؤال الأيديولوجي يظل حاضراً دائماً ومفتوحاً على كل الممكنات مهما حاولنا إضماره أو السكوت عنه(١٠) ، وبناءً على ذلك فإن الأعمال الإبداعية لا يمكن أن تتسم بالحياد مطلقاً، فهي دائماً تعبير عن مصالح طبقة من الطبقات المتصارعة ، والعمل الروائي ، انطلاقاً مما سبق ، لا يمكنه أن يشكل الاستثناء، انه سلاح أيديولوجي يخدم أهدافا طبقية يعرضها بشكل تبدو فيه وكأنها حقائق مطلقة ، ومن ثم فهو اما يدعم أيديولوجية الطبقة المسيطرة ، واما يحاربها ، ويعري ما وراءها من مصالح(١١) .

إن مقارنةً نقدية للمنجز العراقي الروائي بعد الاحتلال الأمريكي بالمنجز الروائي

الفلسطيني (بوصفه يعيش تجربة مماثلة) سيظهر بوضوح بوناً شاسعاً من حيث التعامل مع المكان ، فالمنجز الروائي الفلسطيني مسكونٌ بهاجس التمسك بالأرض وتثبيت الجذور فيها ؛ إذ تمثل الأرض بالنسبة لهم اليوتوبيا والفردوس المفقود الذي يتوقون البقاء فيه رغم كل المحاولات الهادفة لاقتلاعهم من جذورهم(١٢) ، فقد استوعبوا الصدمة وتعايشوا مع واقع الاحتلال ، وأخذوا يبلورون من انكساراتهم السياسية والاجتماعية نقطة للنهوض والبعث من جديد لتصحيح المسارات التي استنزف السير فيها روح المواطنة والتمسك بالهوية ، فكان الغالب على أبطال رواياتهم شدة التعلق بالمكان والدفاع عنه والتحلي بروح الإيجابية والتفاؤل التي تبعث الأمل لدى المتلقي وتحرضه على مواصلة المسيرة نحو التحرر والاستقلال(١٣) .

بينما نجد نقيض ذلك تماماً في كثيرٍ من الاعمال الروائية العراقية المنجزة بعد نيسان ٢٠٠٣ والتي أظهرت في تعاملها مع ثيمة المكان وجود أزمة حقيقية ذات منحى طوباوي مغرق في الانكسار فأبطالها يعيشون مرحلة الانسحاب التدريجي من المكان مسجلين اعتراضاً صامتاً على النظم السياسية التي تحكمت في البلاد ومحاولين بالوقت نفسه تأكيد حضورهم الذاتي كمعادل موضوعي للخراب المكاني الذي يعيشونه مع التأكيد على أن مظاهر الخراب المكاني في النص الروائي العراقي لم تظهر على نحوٍ فجائي بعد نيسان ٢٠٠٣ ، بل عاش الفرد العراقي مراحل التدمير النفسي والمكاني وصولاً إلى هذا التاريخ ؛ إذ أصبح الوطن ممراً ضيقاً لا يؤدي إلا للسلطة ومواسم انتصاراتها ، وأصبح الإنسان صغيراً مهملاً في لوحة ادعاءاتها(١٤)، وهذا ما تمت ملاحظته في كثيرٍ من نصوص المنجز الروائي العراقي بعد نيسان ٢٠٠٣م(١٥)؛ إذ إن دلالة المكان قد تغيرت كلياً وأصبحت رمزاً للمعاناة الإنسانية فانكسار الألفة وزوال الإحساس بالمكان فضلاً عن الانكفاء على الذات كلها عوامل أسهمت بوضوح في تشكيل معمارية المكان الروائي لنصوص هذا المنجز والتي تمثلت بشوارع رثة ومزدحمة وبيوت خربة ذات ملامح فردية فضلاً عن تقطيع ملامح المكان إلى أوصال تبعاً للتخندق الطائفي(١٦) ، فأصبحت الشخصيات الدرامية في روايات هذه المنجز شخصيات مسالمة لا تبتغي من الدنيا غير السلامة ، وهي تجد نفسها في احتدام الصراع المرير تسلك سلوك الطريدة الفارة من موتٍ يلوح أينما حلت ، فبمجرد استمرار وجودها المادي يعد أعجوبة بحد ذاتها(١٧)، ومن هنا فإن المتأمل في روايات هذا المنجز لا يجد صعوبةً في الكشف عن ملامح العجز على مقاربة المكان في علاقته العضوية بالإنسان وما يترتب عليه من إقامة فاصل للمكان بين كونه وعيٌ ورؤية يحملها القاطن وبين وصفه مجرد ديكور ليس فيه أي تقدم لإدراك قيم الألفة الإنسانية التي تكمن فيه وتمثل جوهر وجوده في النص الحكائي(١٨).

ثانياً: الذات وعلاقتها بالمكان في رواية حارس التبغ

إنَّ قراءةً نقدية في رواية حارس التبغ لعلي بدر (بوصفها أنموذجاً ينتمي للمنجز الروائي العراقي ما بعد نيسان ٢٠٠٣م) ستظهر لنا بوضوح طبيعة التعامل المرتبك مع ثيمة المكان؛ إذ طرحت هذه الثيمة على خلفيتين متداخلتين بصورة كبيرة ، تمثلت الأولى بشخصية الراوي وهي شخصيةٌ حملت رؤية المؤلف وخبراته ومواقفه والتي أوضحها الراوي من خلال طبيعة العمل الذي يقوم به ، من خلال سرد أحداث كثيرة من حياته بدأً من تسرحه من الخدمة الإلزامية حتى عودته

من عمان وعمله في مهنة الصحافة بصفة (البلاك رايتر) والتي جرى تبيان المقصود منها بقوله:
(البلاك رايتر كاتبٌ مأجور يذهب إلى المناطق الخطرة لكتابة تقرير صحفي عن موضوعات ساخنة ، لكن التقرير ينشر باسم أحد الصحفيين الكبار في الصحيفة، أما الصحفي فلا يتقاضى سوى ثمن أتعابه)(١٩)، فهذه الشخصية تتخلى كلياً عن هويتها لتعيرها لأسم آخر لا ترتبط معه بأي شكل من الأشكال ، ومن ثم فإنها تمثل مظهراً من مظاهر الانسحاق والتشظي للهوية الوطنية فهي (الشخصية المسحوقة على الدوام ، وهي الغائبة كلياً وظاهرة في وجود آخر لا يمت لها بصلة)(٢٠)، فعلاقتها بثيمة المكان تناسبت طردياً مع مقدار ما تتحصل عليه من منفعة مادية ، وعلى أساس ذلك فإن المكان لا يشكل بالنسبة لها أهمية قصوى فيأتي وصفه بالأعم الأغلب باهتاً ينحو منحى سلبي ، فيما تبدو شخصية الموسيقار في الرواية مربكة تغير من أسمائها تبعاً لتغير الأحداث التي تطرأ على المكان ؛ لذلك فهي ترتبط به بعلاقات جديدة مختلفة تماماً عن علاقة الشخصية التي سبقتها، فهي عبارة عن (ثلاث حالات تقمص.. استوحاها المؤلف من شخصيات الشاعر فرناندو بيسو في ديوانه دكان التبغ ، فكل شخصية من هذه الشخصيات المخترعة هي وجه من وجوه بيسوا مقدماً لكل واحدة منها أسماً خاصاً بها وعمراً محدداً وحياة مختلفة وأفكاراً وقناعات وملامح مختلفة عن الشخصية الأخرى، وكل مرة يطور شكلاً للهوية أعمق وأكثر اتساعاً، ولكننا نصل فيما بعد إلى التباس حقيقي للهوية الشخصية الأولى لحارس القطيع وأسمه البرتو كايرو والثانية للمحروس وهو ريكاردو ريس والثالثة للتبغجي وهو الفار ودي كامبوس .. فنجد أنفسنا أمام لعبة ثلاثية الأطراف أو رسم تكعيبي ثلاثي لوجه واحد)(٢١)، لقد أوردت الرواية في صفحاتها أدلةً كثيرة على وجود تناظر ثلاثي الأبعاد بين شخصياتها وشخصيات كتاب(دكان التبغ) ، فشخصية يوسف سامي صالح اليهودي المنحدر من عائلة قوجمان التي هجرت قسراً إلى إسرائيل عام ١٩٥٠ تناظر شخصية البرتو كايرو في ديوان التبغ ؛ إذ تبدو شخصية يوسف سامي ذات طبيعة وادعة تعقل الأشياء بالحس لكنها في الوقت نفسه غير متأقلمة مع المكان الذي تعيش فيه (حي التوراة) نتيجة لحالة الانغلاق الذي تعيشه الطائفة اليهودية في بغداد ، وحتى بعد انتقالها إلى أماكن أخرى فإن هاجس الارتياب والقلق لم يفارقها بل إنها ظلت أسيرة لحالة التوتر والارتياب من المكان، هذه الشخصية تتلاشى عن الوجود حين تظهر شخصية حيدر سلمان(الشيعية) المحروس من عائلة الطباطبائي
(الشخصية الثانية) والتي تعيش حالة من القلق والحزن نتيجة لاستسلامها للقوى الغيبية التي تتجاهل حريتها ومن ثم فإنها تعيش حالة من الحياة الابيقورية وهي في ذلك تناظر شخصية ريكاردو ريس في ديوان التبغ ، فيما تبدو شخصية الثالثة كمال مدحت(السنية) مغرقة بمتعها ورغباتها الجنسية المحمومة وهي تناظر شخصية ألفارو دي كامبوس الشخصية الثالثة في ديوان دكان التبغ والتي تتصف بالمزايا نفسها.ثمة تناظر آخر أشار إليه المؤلف بإشارات خافتة جداً قد يستعصي فهمها على بعض القرّاء فتوقعه في شرك المخادعة السردية حين يعتقد خطأً بوجود تماثل بين شخصية عازف الكمان بصورها المتقمصة الثلاثة وبين شخصية فرناندو بيسو المؤلف وفي حقيقة الأمر أن المماثلة لا تقع بين هاتين الشخصيتين بل أنها تقع بين شخصية مؤلفين يختبئان وراء

شخصياتهم المفترضة أي بين شخصية بيسو نفسه وشخصية علي بدر المختبئ في إهاب الكاتب المأجور وهو ما يعطي للتناظر بين المؤلفين قيمة ومعنى حقيقياً ، وليس التناظر الزائف الذي يقع في شِركه من لا يمعن النظر في مسارب الرواية جيداً ذلك أن (بيسو وعلي بدر يقعان في رتبةٍ سرديةٍ واحدة هي رتبة التأليف فيما تقع شخصياتهما قي رتبة سردية أخرى هي رتبة التخيل ،ويحظر في الدراسات السردية الخلط بين هاتين الرتبتين)(٢٢).

ثمة موضوع آخر يتعلق بثيمة المكان جرى التأكيد عليه في الرواية كثيراً يتمثل بهيمنة الصراع الطائفي في العراق بهوياته الثلاثة (اليهودية ، الشيعية ، السنية) التي أوردها المؤلف في الرواية بطريقة تثبت تجذر هذا الصراع وتشكله من أصول فكرية راسخة قادت المجتمع للانقسام والتحلق حول تلك الهويات ، وفي حقيقة الأمر إن اثبات وجود صراع بين الهويتين الشيعية والسنية نابعٌ من أصول عقائدية تفضي بالنتيجة إلى رفض الآخر وإقصائه تماماً لهو أمرٌ فيه نظر ؛ لأن جذور هذا الصراع سياسية بحتة(٢٣).

على مر العصور ، فالمؤلف حاول ترسيخ فكرة الصراع الطائفي ، من خلال التأكيد على أن الهوية اليهودية كانت ضحية للهوية الإسلامية ، وأن الهوية الشيعية بدورها ضحيةٌ لسياسات الهوية السنية ، ومن ثم فأوحى للمتلقي بوجود أهداف وقواسم مشتركة بين الهويتين اليهودية والشيعية أفضت بالنتيجة للانتقام من الهوية السنية ، نلحظ ذلك من خلال طريقة رسم المؤلف للسمات التي أضفاها على كل شخصية من الشخصيات التي تقمصها الموسيقار، ففي الوقت الذي أضفى فيه سمات الثقافة والتحضر والرقي على شخصية يوسف سامي اليهودية والتي بقي الموسيقار متمسك بها حتى مقتله وبدا ذلك واضحاً من خلال رسائله التي كان يكتبها لزوجته فريدة روبين ، فإنه أضفى على شخصية حيدر سلمان (الشيعية) سمات التهميش والاقصاء والتعرض المستمر للظلم والاستبداد واتخاذه لموقف التقية وهي صفات تمثل بمجملها طبيعة تكوين الهوية الشيعية في المجتمع العراقي ، ومن ثم فإنه يعاني شعوراً دائماً بالحزن المستمر جعله متشائماً ينتظر بترقب حذر مآل الأحداث التي ستجري ضده ، وهو ما تمثل بترحيله بتهمة التبعية الإيرانية (يجب أن تهجروا لأنكم من التبعية الإيرانية)(٢٤)، فيما أضفى على شخصيته الثالثة كمال مدحت صفات سلبية حين جعل منها أسيرة الرغبات الحسية المنقادة لرغبات الحياة ونوازعها ملصقاً إياها بالهوية السنية ، ولا ندري كيف تسنى للمؤلف استحضار مثل تلك الصفات وإضفائها على هاتين الشخصيتين (السنية والشيعية) ، في حين أن الشخصية الاصلية للموسيقار نفسها لم تتعرض للتغير وبقيت مخلصة لهويتها اليهودية طيلة أحداث الرواية .

لقد تعمد المؤلف في تعامله مع ثيمة المكان في نصه الحكائي التركيز في الولاء على البعد الطائفي دون البعد الوطني بوصفه الأساس في البناء المجتمعي العراقي ، إذ أشاح بوجهه عن جانبٍ سردي مهم يتمثل بنقطة التقاء الأبناء الثلاثة للموسيقار بعد أن صنفهم بين يهودي محتل ، وشيعي مقاوم ، وسني أنزوى بعيداً عن المشهد بلا موقفٍ ثابت ، فالسارد لم يذكر تفصيلات هذا اللقاء وكيف سيكون موقف الأخوة في ولائهم وانتمائهم للمكان ، وبذلك فإنه قد أغفل القضايا الكبرى التي القت بظلالها الثقيلة على البنية المجتمعية العراقية والمتمثلة بما خلفه الإحتلال الأمريكي للبلاد ومن قبله التركة الثقيلة للنظام الشمولي الاستبدادي مستبدلاً إياها بصراعٍ

الهويات السردية المتخيلة (كان الانقسام الاجتماعي واضحاً لقد وجدكمال مدحت الجميع وحتى أوساط الفناني بدأت تعكس هذا الانقسام الثنائي،وكان الجميع يهوون الانقسام ، ولكنه يمده بعون ساكن ، كمال الذي كان يعتقد أن لهذه البلاد قصة واحدة وروايةً واحدة وبالتالي لها هوية واحدة ، فجأة وقف على ثلاث روايات متعارضة ومتناقضة ، كل واحدة من الجهات تكتب تاريخها وتروي وجودها بمعزلٍ عن الجهة الأخرى)(٢٥)، بهذه الرؤيةً المضطربة التي قدم بها الراوي شخصياته وبيّن من خلالها السمات والمزايا الخاصة بهم جرى التعامل مع ثيمة المكان في رواية حارس التبغ فانعكس ذلك جلياً على كل مفصلٍ من مفاصلها .

المبحث الثاني

دوائر العلاقة المكانية

يمكننا ملاحظة وجود ثلاثة دوائر للعلاقات المكانية في رواية حارس التبغ تم التأكيد عليها من خلال علاقة الشخصيات الرئيسة بتلك الأماكن وعلى النحو الآتي:

١-دائرة العلاقة مع بغداد

مثلت مدينة بغداد الدائرة الأولى والمحورية التي انطلقت منها أحداث الرواية وانتهت فيها ، فقد بدأ الحدث الروائي من لحظة إيجاد جثة الموسيقار العراقي مرمية بالقرب من نهر دجلة في منطقة الجادرية ، ومن ثم تكليف الراوي بالتحقيق والتقصي لأخبار الموسيقار وكتابة ريبورتاج عن حياته لذلك عمد الراوي لذكر تفصيلات كثيرة عن موضوعة الحرب وملامحها المألوفة في المدينة مثل تحرك القوات الأمريكية المحتلة والشركات الأمنية المرتزقة التي عملت في بغداد (أرتال من السيارات السوداء تمر ، ورجال ببدلاتٍ سوداء ونظاراتٍ سوداء يحملون الأسلحة ويهبطون أحياناً بسرعة ، وبصورة حازمة يصوبون مسدساتهم نحو أي عربة تقترب منهم) ، فضلاً عن تصوير مشهد عمل المافيات السياسية والحركات المسلحة وكذلك تبيان وجوه الخراب المكاني الأخرى التي باتت مألوفة لدى الفرد العراقي في الفترة التي غطتها أحداث الرواية كمشهد انتشار الجثث في الشوارع وكثرة الصحفيين الوافدين إلى بغداد لتغطية أحداثها (كانت معالم بغداد ممحوة بسبب الحرب ، نهر دجلة جفت مياهه، الأزهار ذابلة ، الأشجار محترقة الأغصان ، الهواء مملوء بالتراب ،الحدائق ذبلت خضرتها ، بنايات ومنازل بدت بعيدة عن الانسجام ، الغبار يغطي الأشجار الباهتة الخضرة ، زبالة مركونة ومتراكمة على الأرصفة ، مطبات وحفر تدور فيها المياه الآسنة ، وقواطع كونكريتية عالية يظللها سعف أصفر ذابل ، وأشجار برتقال يابسة وقد خبت رائحتها ، أما رائحة الموت فقد كانت في كل مكان ، صورة الموت تغطي كل شيء) (٢٦)، فالنزعة الدستوبية تبدو آثارها واضحةً في رسم ملامح المكان والتي تجلت برصد معالم الخراب والدمار الحاصل بفعل الحرب المفروضة على المدينة وما خلفته وراءها من تركة ثقيلة ألقت بظلالها على البنية المجتمعية فالحروب هي بمثابة الرافد الأكبر للديستوبيا ، لأنها المعين الأكبر الذي تنهل منه صور المدينة الفاسدة ومظاهرها مثل : القتل ، والتهجير ، والفقر ، والاضطهاد ، والظلم ، والجهل والفساد وغير ذلك فلا وجود لليوتوبيا بوجود الحرب المدمرة(٢٧)، وعلى أساس ذلك فإن دائرة العلاقة بالمدينة تفقد أهميتها نتيجة لغياب عوامل الاستقرار والالفة فيها بفعل الحرب المدمرة فيتحول المكان بفعل عوامل الخراب التي لحقت به إلى مكان طارد غير مرغوب بالاستقرار فيه(بعد ساعة كنتُ في المطار منهك القوى تماماً ... أكملتُ الإجراءات بسرعة ، وحين حلقت الطائرة إلى أعلى ، ألقيت نظرة سريعة على

بغداد ... كان الغبار يغطيها ، ونهرها بلون الطين ، فأخذت أردد كلمات دكان التبغ الأخيرة: كلي الشوكلاته يا صغيرتي ،لا توجد ميتافيزيقا تضاهي الشوكولاته ، والديانات لا تعلم أكثر مما تعلمه المقشدة ، كلي أيتها الصغيرة القذرة)(٢٨).

وبالعودة لحياة الموسيقار فإن علاقته بالمدينة تكاد تكون متشابهة مع حياة البلاك رايتر ، إذ كانت علاقته بشخصياتها الثلاثة ذات طبيعة قلقة غير مستقرة مع المدينة على الرغم من إصراره بالعودة إليها كلما أبعد عنها قسراً إلا أن هذه العودة لا توحي بتمسكه المكاني بقدر ما هي نوعٌ من أثبات تجذر هويته الأصلية (اليهودية) في المدينة فنراه في شخصيته الأولى والتي لم يتعرض في بداياتها للتهجير القسري ذو طبيعة قلقة يعيش دائماً بحالة من الانعزال والانطواء النفسي داخل بيته رافض للانفتاح على الفضاءات التي تقع خارج هذا المنزل المتحصن في حي التوراة ذو الطبيعة المنغلقة على فئة عرقية محدودة فيستحيل المنزل بمناظره الرتيبة إلى مصدر خوف وقلق (لقد أخذ يوسف يشعر شيئاً فشيئاً بالقرف والسأم والحزن الشديد من كل شيء في المنزل ، من الكرويتات الباردة ، من الشباك المغلق على الدوام بالستائر الثقيلة ، من باب الخشب ، من الهدوء ، من المطبخ وخواشيق العجم ... لقد شعر يوسف بأنه وحيد والوحشة تغزو قلبه ... فلا يستطيع أن يعزف أو يكتب ويجلس ويفكر ، المعلومات ، الأفكار ، النقاشات ، الوجه الأصفر الكئيب والمتيبس لوالده ، كلها جعلت عيشته في هذا المنزل صعبة جداً)(٢٩).

كما أن يوسف قد عاش في بغداد أحداثاً مؤلمة أخرى تمثلت بعدم تقبل المجتمع لوجوده لاعتبارات طائفية فقد سمع في النادي الإنكليزي وهو يعزف الناي احد الشباب يشتمه (سمع أحداً من كتائب الشباب بين الجالسين يشتمه ويقول له: يهودي ... كان يوسف يدرك أن الأمر لم يعد كما كان)(٣٠)، وكذلك فإنه عاش أحداثاً مأساوية أخرى تمثلت برؤيته لأحداث الفرهود التي راح ضحيتها أبناء طائفته اليهودية (كان يوسف في بغداد ينظر المشهد الذي يتكون أمامه دون أن يكون عنه أفكاراً على الإطلاق ، كان يرقبه بتأمل بارد كما لو كان يرقبه ألبرتو كايرو حارس القطيع في دكان التبغ ، كان يوسف يقف في شباك منزلهم المفتوح فاغراً فمه وهو يرقب العربنجية والحوذيين الذين يمسكون القمجيات ويبدون استعدادهم لحمل المسروقات لمنازل السارقين ... يرقب شاهري السيوف والآلات الحادة وهم يركضون وراء صبرية بنت داود أفندي التي كانت تركض بشعرها المشعث ووراءها مجموعة من المهاجمين الذين جروها من شعرها قبل أن تدخل الدار ، أخذ يراقبهم وهم يسحلونها على الأرض)(٣١).

وفي شخصيته الثانية نجد الموسيقار(حيدر سلمان)الذي عاد إلى بغداد بعد ثورة تموز عام ١٩٥٨ وحصل على شهرة كبيرة ومكانة اجتماعية مرموقة بين النخب المثقفة التي وجدت لنفسها مكانة بعد الثورة في حالة من اللاتصالح مع المكان فهو يعيش هاجس القلق والخوف الذي بقي ملازماً له على الرغم من فناء شخصيته الأولى واختفاء أي اثر لها ؛ لأن الدستوبيا ليست وليدة الظروف الراهنة ، بل هي مصاحبة لتفتق الوعي التام لدى المثقف والمفكر والمبدع مهما كان مجال ابداعه الفني ، ليعبر عن إحساسه بالخذلان التام مما يمكن أن ينجم عن تحول معاني الآ دمية والإنسانية إلى تغول ووحشية مادية ومعنوية ، بل وغوغائية يستحيل فيها العالم إلى غابة موحشة مقلوبة المفاهيم(٣٢)(كان حيدر يتخوف كثيراً

من الجمهور، كان يرتعب منهم ويحس بخطرهم كلما رأى وجوههم وأجسادهم وحركاتهم تنتظم في حركة واحـــدة حتى تلغي كل اخـــتلاف بين كل واحد وآخر) (٣٣)فظلال الخراب لاتزال مرتسمة على ملامح المدينة ومظاهر الخوف والرعب طاغية على ملامحها وهي تزداد باضطرادٍ كلما تصاعدت في شوارعها النزعة الجماهيرية التي يرى في تناميها خطر حقيقي يهدد الثقافة الأصيلة ومن ثم يهدد وجوده ومن ثم يجعله في حالة من عدم الاستقرار تفضي به في نهاية المطاف إلى الطرد من المكان والتهجير قسراً عنه (نظر إلى بغداد التي لم تكن سوى أرض قاحلة ، .. وهناك أحزمة خضراء نحيلة تحيط ببلاد أشبه بمعسكر مبنية بسلاك شائكة وأسيجة من الطوب الطيني الامغر، أمّا الجدران فقد كانت ممتلئة بالشعارات العنيفة، وبالرسوم السطحية الفاقدة للذوق، فشعر بتقزز كبير ، ذلك أن مسيرة القبح والنزعة المعادية للجمال ترافق الثورة على الدوام لقد شعر بما لا يقبل الشك أن النزعة الغوغائية للجماهير تتصاعد شيئاً فشيئاً)(٣٤)، وفي شخصية الموسيقار الثالثة (كمال مدحت) ذي الهوية السنية الغارقة في ملذاتها الحسية ، تظهر ثيمة الحرب بصورة أكثر فتكاً ومأساوية .

ثمةَ رصدٌ آخر للخراب المكاني في الرواية يعطي ملامح واضحة المعالم عن طبيعة العلاقة مع المدينة يتمثل (باستجلاء السرد الفجائعي عبر الحب الفاشل والعلاقات الاجتماعية المنهارة لإنسان لا يملك غير ذاكرة مدمرة ونفسية مضطهدة، وقد غابت في هذه الروايات مشاهد السعادة والأمل والحب الناجح والتفاؤل والرومانسية وتم التعبير عن رماد الواقع عبر الإحساس بالفاجعة ورصد الخراب داخل فضاء العنف فقد كانت شخصياته تخوض صراعاً مع نفسها ومع معطيات الواقع وانقاضه)(٣٥)، فمعظم العلاقات التي خاضتها الشخصيتين الرئيستين في الرواية (البلاك رايتر) و(الموسيقار) كانت عابرة تحكمها المصالح المادية تارة ،أو الرغبة العارمة في التلذذ بالجنس لفترةٍ معينة بغية ملء فراغ زمني والاستعانة به لمآرب أخرى ، وطالما أنّ هذه العلاقات عابرةٌ وغير مستقرة وجدانياً فإنها لا يمكن أن تنبت وتتجذر في المكان ، وبهذه الحالة يفقد المكان قيمته المعنوية نتيجة لانعدام الأواصر الرابطة بين قاطنيه فغياب أواصر الألفة والمحبة التي تجمع الأشخاص في مكان ما هي التي تعطي للمكان قيمة روحية تدفع بقاطنيه للتجذر والبقاء فيه ، وغياب تلك الأواصر تحوله إلى مكان سلبي طارد للحياة ، وهو ما نراه في معظم علاقات البلاك رايتر بنساء الرواية (وهكذا بقيت أعمل سراً مع هذه الصحفية، ومع بعض الصحف الأجنبية الأخرى، حتى تعرفت على فرانسواز لوني ، وهي صحفية فرنسية ، كانت تعمل أيضاً مخرجة أفلام تسجيلية ، ثم تنقلنا على مدى عامين بين دمشق وبيروت وكازابلانكا .. كانت هذه الرحلات هي رحلات حب أكثر منها رحلات عمل، بل أمضيت مع (فرانسواز لوني) أجمل الأوقات في حياتي...كنا منغمسين كلياً بالمتع واللذائذ والأهواء من يوم إلى آخر ، مسارح ، وبارات ، وأحواض سباحة ، وجنس ، وخمور وسهر حتى الصباح) (٣٦)، غير أنَّ هذه العلاقة انتهت فجأة دون ذكر أي تفصيلاتٍ أخرى عنها

(ومثل أي عمل يقوم بالأساس على حب ، وهي علاقة الحب التي نشأت بيني وبين الصحفية الفرنسية ، فقد انتهى العمل بانتهاء الحب وهكذا انفصلنا سريعاً ، عادت هي إلى باريس ، أما أنا فلم أعد أعرف أين أذهب أبداً)(٣٧)، وقد يتعدى الأمر ذلك بأن تصبح العلاقة المنتهية سبباً

لوجود العلاقة الجديدة (قبل أن ترحل كاترينا حسون بأشهر كانت عرفتني على مراسلة في صحيفة الأمريكان تودي نيوز في بغداد ، وهي لبنانية الأصل اسمها عايدة شاهين ، ارتبطنا هي وأنا بعلاقة حميمية ذلك الوقت ،وقد كلفتني بعمل مجموعة من الريبورتاجات الغريبة ، أو على الأقل ذات الطابع الاستثنائي غير المألوف)(٣٨) ومثلما هو حال العلاقة الأولى فقد كانت العلاقة مع عايدة شاهين سبباً للدخول في علاقة جديدة (غير أن علاقتي مع عايدة لم تدم كثيراً .. وسرعان ما تغيرت المعطيات، فقد عرّفتني على صحفية أمريكية من أصل فلسطيني اسمها نانسي عودة ، رأيناها أول مرة في بار في بيروت ، وقد انجذبنا – نانسي وأنا – لبعضنا من اللقاء الأول)(٣٩)، والحال نفسها نجدها في معظم علاقات الموسيقار باستثناء ثبات العلاقة مع زوجته اليهودية فريدة روبين التي تميزت بالاستقرار والثبات تأكيداً منه على الارتباط بهذه الزوجة الرامزة للهوية الدينية التي ينتمي إليها ، فعلاقته بزوجاته الأخريات وحتى النساء اللاتي تعرف عليهن وبنى معهن علاقات عاطفية كانت في الغالب مبنية على أساس منفعي خالص بوصفهن خشبة الخلاص المتعلق بها ومنفذ الخلاص عند كل معضلة تعرض لها في شخصياته الأخرى فقد اتخذ من علاقته مع طاهرة السعيد المرأة البرجوازية التي شاطرت الموسيقار في رؤيته لفن الكيتش الشعبي بوصفه –حسب رؤية الموسيقار– فناً هابطاً لا يمكن له ان يرقى لمرتبة الفنون الكلاسيكية ؛ لأنه يبقي المجتمع في مستويات متدنية من التحضر ومن ثم فإنه يخدم بطريق غير مباشر القائمين على السلطة من خلاله تسخيره في السيطرة على الجماهير وتوجيهها في المسارات التي تخدم سياساتهم المتبعة، فناهدة السعيد الرسامة اليسارية التي تعرف عليها الموسيقار في منزل صديقه حكمت عزيز هي المرأة الوحيدة التي انسجمت معه وشاطرته هذا الرأي ، فبدأت العلاقة الحميمية بينهما بتواطئ من زوجته طاهرة الطباطبائي (كانت تقترب منه بالأفكار ، وتدافع عن بعض ما يطرحه في الأمسيات التي تعقد في منزل حكمت عزيز... وفي تلك الأيام التي كانت طاهرة زوجته تسافر الى موسكو كان يقضي حيدر أكثر لياليه معها .. وكان حيدر سلمان يجد نوعاً من التواطؤ في هذه العلاقة من زوجته المريضة بالتأكيد) (٤٠)، فالملاحظ هنا أن العلاقة قد بُنيت على أساس المخاتلة والتواطئ من الزوجة بسبب المرض وإحساسها بالضعف الذي أجبرها على التغاضي ومسايرة نزوة الموسيقار و جموحه ، والحال نفسها نراها في علاقاته بسوريا ؛ إذ كانت تنطلق بدافع ملء الفراغ الكبير الحاصل في حياته بعد فقدانه لزوجته وابنه بعد التسفير ، فقبل تعرفه على زوجته الثانية نادية العمري حيث تعرف على نوسا وهي فتاة سورية تعمل في دور الدعارة (عرف انها انجذبت له ، ليس بالضرورة لشيء، كما أنه شعر بأنه هو أيضاً كان منجذباً لها، بعد دقائق خلع قميصه وبنطلونه واقترب منها ليضمها إلى صدره، وسرعان ما ذابت بين يديه)(٤١)، ويبدو أن مشهد التواطئ والسكوت الذي تتخذه الزوجة يتكرر في الرواية وهو يوحي بانعدام أواصر الحب الحقيقية بين الزوجين واتخاذ كل منها الآخر وسيلة للتعويض عن نقص حاصل ؛ بسبب الظروف القاهرة والانكسارات التي تعرضوا لها،وهو ما نجده في علاقة الموسيقار بعازفة موسيقية من بغداد(كانت وداد تنجذب لأفكار كمال مدحت وأكثر من توافقها مع أفكار زوجها أمجد ، وكانت تدفع به نحو مساحة جديدة

أخرى ، ويقال إنها لم تكتف بإدخاله في الفرقة السيمفونية الوطنية في بغداد ، حتى أصبح وبوقتٍ قصير عازف السولو الأولي في الأوركسترا العراقية.. إنما هي التي عرفته على النخب السياسية أنذاك، فقد استخدمت كل علاقاتها الواسعة، وعلاقات عائلتها المتنفذة الثرية لربطه بالنخب السياسية في بغداد .. كانت وداد معجبة جداً بكمال مدحت .. وكانت حتى زوجته تعرف ذلك)(٤٢).

إن التركيز على سرد هذه المشاهد بشيء من التفصيل يؤدي بالنتيجة لحقيقةٍ مهمة مفادها أن مظاهر التجذر بالمكان والثبات فيه معدومة نسبياً بسبب زوال قيم الألفة والمحبة الحقيقية والاكتفاء بالعلاقات العابرة الطارئة التي ما أن تولد حتى تتلاشى سريعاً بسبب انعدام مقومات بقائها وبنائها على أسس هشة واهية، وبذلك يصبح المكان بؤرة طاردة لا تجتذب قاطنيها ولا تتفاعل معهم ومن ثم تفقد أهميتها المعنوية ؛لأن المكان يرتبط بعلاقة تفاعلية تبادلية مع الشخصية ، فهو قوة فعالة مؤثرة في سلوك الشخوص وأفعالها وممارساتها بل وحياتها كلها ، فالشخصية هي نتاج للبيئة المكانية التي تولد وتنشأ وتترعرع فيها ومتى كانت الشخصيات تتسم بطبائعها السلبية وعلاقاتها غير المستقرة مع بعضها فإن ذلك على ملامح المكان فيصيبها بالتشوّه ومن ثم تصبح غير مناسبة للاستقرار والثبات(٤٣).

٢- دائرة العلاقة مع طهران:

لم يكن دخول الموسيقار الى مدينة طهران ذو طبيعة استقرارية وإنما من أجل العودة إلى بغداد مرة أخرى ، لذلك نلحظ غلبة الوصف في معظم مشاهد الحكي التي أوردها المؤلف ؛ إذ أنه يحقق القدر الكافي من الانسجام المنطقي للأحداث(فكلما هم السرد بتقديم شخصية أو حدث جديد الا وفسح السرد المجال أمام العملية الوصفية لأنه لا بد من تقديم المظهر الخارجي للشخصية ومحددات المكان وأبعاده وسمات الأشياء القابعة داخله أو حواليه وهي عملية تسبق عادة بتمهيد يضطلع به السرد لتهيئ القارئ لتلقي الوصف ، ولفسح المجال أمام الوصف الذي يعلن عن نفسه ليكون منتمياً للسرد وموجهاً من طرفه)(٤٤)فمدينة طهران لا تعدو أن تكون سوى محطة انطلاق جديدة للعودة على بغداد مرة أخرى بهويةٍ جديدة غير الهوية التي كان يحملها قبل التهجير (تكلم معه كاكة حمه طويلاً ، وقدم له معلومات كثيرة عن كيفية دخول طهران ، ثم قدم له جوازاً باسم حيدر سلمان بمهنة موسيقي ، وقال له إنه سيبقى فترة من الزمن في طهران ، ثم بعد ذلك يدخل بغداد)(٤٥)، فمن هذه المدينة بدء ظهور الشخصية الثانية للموسيقار والمتباينة كلياً عن شخصيته الأولى فهي المحروسة من قبل عائلة الطباطبائي المتمتعة بالنفوذ المالي والاجتماعي ، فمعظم المشاهد التي أوردها المؤلف للمدينة لا تخرج عن دائرة الوصف المكاني لطبيعة المدينة الاجتماعية والسياسية (أما بالنسبة لطاهرة وحيدر فقد هذا التجوال طقساً مقدساً تقريباً لهما يبدأ من شارع رضا بهلوي في الشمال حيث زحام السيارات ، والموتوسكلات إلى وسط الشارع حيث ينتصب تمثال الحكيم فردوسي)(٤٦).

٣- دائرة العلاقة مع موسكو:

تتسم العلاقة بموسكو بطبيعة وادعة محببة فلهذه المدينة أهمية كبيرة في حياة الموسيقار فقد زارها مرتين الأولى كانت بحصوله على منحة قدمت له من احد أثرياء بغداد (لكن التجربة العظيمة الحقيقية التي حدثت في حياته هي المنحة التي حصل عليها من ثري بغدادي للسفر إلى موسكو ، وقد أثرت عليه هذه الزيارة

أكبر الأثر فقد وقف هناك مندهشاً لمرآهم ، منسحراً بأشكالهم وملابسهم وهندامهم الأنيق ، ومن هناك أراد أن يتشبه بهم) (٤٧)فهي المدينة التي أثرت على شخصية الموسيقار بنهضتها الثقافية والحضارية ومن ثم فإنها كانت منطلقاً له في موهبته الموسيقية ومرجعاً مهماً لثقافته، كما أنّها المنطلق نحو العودة مرة أخرى إلى بغداد بعد أن هُجّر منها قسراً (توجه نحو المحطة الكبيرة ، وعند كشك التلفون كان كاكه حمه بانتظاره ، يرافقه موسيقي روسي اسمه سيرجي أو يستراخ ، ولم يتحدث سوى باللغة الروسية ، وكان كاكه حمه هو الذي يترجم له ... وقد تكلم معه كاكه حمه طويلاً ، ثم قدم له جواز سفر مزور باسم حيدر سلمان بمهنة موسيقي)(٤٨) كما أنها كانت بمثابة استراحة مؤقتة من حالة الوجوم التي أصابته والرعب والخوف الذي لاحقه (طلبت منه طاهرة أن يلتحق بها في موسكو ، موسكو هذا يعني استراحة حقيقية من حال الوجوم الذي أصابه في الأيام الماضية .... إنها العودة مرة أخرى إلى الموسيقى) (٤٩)

المبحث الثالث

أنماط المكان ووظائفه:

حرص الروائي علي بدر على إيراد نمطين للمكان في رواية حارس التبغ هما المكان المفتوح والمكان المغلق:

أولاً: المكان المفتوح:

المكان المفتوح هو الذي لا تحده الحدود من أبعاده الأربعة ولا سيما السقوف مثل الشوارع والمدن والبحر والصحراء والحدائق العامة، (فهو يحتضن نوعيات مختلفة من البشر وأشكال متنوعة من الأحداث)(٥٠)، وهو (يمتاز بأفقه الواسع الذي يرمي إلى الانفتاح الفكري والنفسي فضلاً عن الاجتماعي وهو فضاءٌ يمتد به القاص للخروج الى الطبيعة الواسعة الذي تتحرك فيه الشخصيات والذي يمثل حقيقة التواصل مع الآخرين والحركة والتوسع والانطلاق)(٥١)، وتتخذ الروايات في عمومها أماكن منفتحة على الطبيعة تؤطر بها الاحداث مكانياً وتخضع هذه الأماكن لاختلاف يفرض الزمن المتحكم في شكلها الهندسي وفي طبيعتها وفي أنواعها إذ تظهر فضاءات وتختفي أخرى فهذا النوع من الأماكن توحي في إطارها الشخصية بمحض إرادتها وتشعر بانتماء وجداني شعوري نحوها وارتياح وجداني لها(٥٢)، لقد كان للأماكن المفتوحة دورٌ مهم في تطوير أحداث الرواية وحركة اشخاصها وصراعها ، فقد كانت احداثها مختارة بعناية القاص وحنكته إذ تطفو الخطوط المتعلقة بعلاقة الشخصيات بالمكان والملاحظ أن الأماكن المفتوحة قد تم اللجوء إليها نتيجة الشعور بالراحة والاطمئنان فيها عندما تزداد تعقيدات الحياة في محاولةٍ للتخفيف من أثر تلك التعقيدات ولعل المؤلف قد ركز كثيراً على المدن في الرواية ومن أبرز تلك المدن بغداد وبيروت وطهران وموسكو فهو يصف بغداد بمركز استقطاب الصحفيين على الرغم من المعاناة التي كان يعيشها الشعب العراقي في تلك الحقبة الزمنية إذ دلت عبارة (مركز استقطاب الصحفيين) على الأمان الذي كان يسود بغداد مما جعلها واجهة للصحفيين ، ففي حديثه عن كيفية تعرفه على الصحفية الفرنسية فرانسواز لوني يقول : (تعرفت عليها في بغداد أيام الحصار ، حين كانت بغداد مادة إعلامية ممتازة ، بل مركز استقطاب صحفيين وصحفيات من كل العالم)(٥٣) ويدل قول الراوي على أن بغداد مكان أليف جاذب لكل الصحفيين من جميع أنحاء العالم كما يشير الراوي على بغداد بوصفها مكاناً آمناً في حديثه عن نفسه (كنتُ أحب باب توما جداً وكان سكني هناك يعيد إلي

لحظات غائبة من حياتي في بغداد، بسبب تشابه هذا الحي مع حي الكرادة ولاسيما الوجود الدائم) .

أما في سرده عن شخصية الموسيقار فيشير أيضاً إلى تعلقه بمدينة بغداد وحبه لها(وما كان يهمه هو العودة إلى العراق) فهو يحاول بشخصياته الثلاثة العودة إلى مدينته التي اقتلعت جذوره منها قسراً في كل شخصية من شخصياته فبعد تسفيره إلى إسرائيل حاول العودة مرة أخرى بشخصية أخرى مختلفة كلياً عن شخصية اليهودي يوسف سامي، والحال نفسها حين تم تسفيره بشخصيته الثانية (حيدر سلمان) بحجة التبعية ؛ إذ عاد بشخصية أخرى هي شخصية كمال مدحت ، فقد أدى وصف المكان هنا وظيفة إيهامية ؛ إذ يحاول الراوي جذب انتباه الراوي ليتفاعل مع الحدث الذي يوهمه بأنه حقيقة وليس خيالاً ؛ إذ إن دور الوظيفة الإيهامية في العمل الروائي لا يتضمن نقل الواقع كما هو وإنما تقريبه للمتلقي بغية زيادة تفاعله وشد إنتباهه ، وهذا ما نجده في مشهد وصفي آخر يؤدي الوظيفة الإيهامية نجده في معرض حديث الراوي مع الصحفية نانسي عن الأخطار المحدقة بالصحفيين الذين يسافرون إلى بغداد في تلك المرحلة (أسمع ، ما ممكن تروح على بغداد ، هناك مخاطر كبيرة على حياتك ... الوضع أسوأ ، شيريد يسوي هذا الـــــــ ما أقدر أسويه أنا ....

ياعزيزي هذا له قدرة فائقة على التعامل مع المسلحين ، إنه يتولى بعض الأحيان إدخال صحفيين أجانب ، وإخراجهم له علاقات الكل يعرف أنها مشبوهة ولكنه قادرٌ على التعامل مع الصحفيين)(٥٤) فالوصف الممتزج بالسرد هنا قد تضمن وظيفة إيهامية من خلال تصويره لمشاهد الحياة اليومية التي كانت تجري في المدينة فيخلق صورة مشهدية أقرب ما تكون الى الواقع بغية التأثير في المتلقي واقناعه بأن ما يقرأه هو في حقيقة لا خيال ، ومن المشاهد الأخرى التي اضطلع فيها الوصف المكاني الممتزج بالسرد بتأدية الوظيفة الإيهامية ما جاء في مشهد وصف المنطقة الخضراء (بعد أيام جلستُ على الشرفة قبل أن أنام مصغياً إلى هدوء المنطقة الخضراء ، شوارعها الكبيرة ، قصورها الفخمة ، وصالات الاستقبال ...

وهي محاطةٌ بسور صلب من كل النواحي ...، كنتُ أميز أنوار المباني المتوهجة بي بينما بغداد كلها تنام في الظلام)(٥٥) فقد أدى الوصف المكاني الممتزج بالسرد وظيفته الإيهامية من خلال دقة الوصف لأجواء المدينة في أضوائها ومبانيها وحداثتها وشدة الحماية لها وهي تقع في قلب بغداد المدينة التي تقبع في ظلامها الحالك فهو يرسم صورة خيالية له محاولاً شد انتباهه والتأثير فيه من خلال إيهامه بأن المشهد التخييلي هو صورة واقعية أصيلة للمشهد الحقيقي .

ومن الوظائف الأخرى التي اضطلع وصف المكان في تأديتها الوظيفة التفسيرية والتي ينطوي الوصف فيها على أبعاد إيحائية تعبر عن حال من أحوال الشخصية الروائية، أو يكون الوصف إرهاصاً بالحدث وتمهيداً له عن طريق وصف المكان ومكوناته من الأشياء(٥٦)ومن المشاهد الوصفية للمكان والتي اضطلعت بتأدية الوظيفة التفسيرية في الرواية وصف الراوي لحالة الخراب والدمار التي لحقت بالمدينة جراء الاحتلال الأمريكي وما رافقه من مظاهر مسلحة (كانت شوارع بغداد ممحوة بسبب الحرب ، نهر دجلة جفت مياهه ، الأزهار ذابلة ، الأشجار محترقة الاغصان ، الهواء مملوء بالتراب ، الحدائق ذبلت خضرتها ، بنايات ومنازل بدت بعيدة عن الانسجام ، الغبار يغطي الأشجار الباهتة الخضرة ، زبالة مركونة ومتراكمة على

الأرصفة مطبات وحفر تدور فيها المياه الآسنة)(٥٧) تنهض المقاطع الوصفية بتأدية الوظيفة التفسيرية كونها تحمل بعداً دلالياً يفسر للمتلقي مدى الخراب والدمار الذي حل بالمدينة نتيجة لاحتلالها وما رافقه من مظاهر سلبيةٍ افضت للتشظي في بنيتها المجتمعية فمن خلال رصد الراوي لتفصيلات هذا الدمار و تعداد صوره المرصودة بدقة فإنه يحاول تفسير مجريات الحدث الحكائي ومن ثم تهيئة القارئ لتلقي الاحداث الأخرى الوارد بتسلسلها المنطقي .

ويتكرر الوصف المكاني كذلك بتأديته للوظيفة التفسير في الرواية في عددٍ من المشاهد منها ما ورد في وصف المنطقة الخضراء (انطلق الميكروباص بسرعة ، استقبلتنا قواطع كونكريتية عالية ، وحواجز شاهقة بالارتفاع أربعة أو خمسة أمتار ، ما إن وصلت الميكروباص التي تقلنا إلى جدار اسمنتي عالي وسميك حتى عرفت أننا سندخل المنطقة الخضراء ، توقفنا عند نقطة تفتيش أمريكية تعد مدخلاً لأهم منطقة في الشرق الأوسط ، فهناك جدران موضوعة بصورة متقاطعة ، تمر بينها الميكروباص بصورة زكزاك ..) (٥٨) فالراوي يصف المكان بتفصيلاته وصفاً دقيقاً محاولاً إضاءة جوانب متعددة للمكان من شأنها ان تُمهِّد للقارئ الدخول في الحدث القادم الذي تتبلور ملامحه بدخول الراوي إلى المنطقة الخضراء وشروعه بكتابة التقرير الصحفي عن حياة الموسيقار .

ثانياً: المكان المغلق

نعني بالمكان المغلق (الفضاءات التي ينتقل بها الانسان ويشكلها حسب أفكاره والشكل الهندسي الذي يروقه، ويناسب تطور عصره وينهض الفضاء المغلق كنقيض للفضاء المفتوح، وقد جعل الروائيون من هذه الأمكنة إطاراً لأحداث قصصهم ومتحرك شخصياتهم) (٥٩)؛لأنها تمثل مكان العيش والسكن الذي يأوي الإنسان فيبقى فيه مدة طويلة من الزمن ، سواء بإرادته أو بإرادة الآخرين، ويبرز الصراع الدائم والقائم بين المكان كعنصر فني وبين الإنسان الساكن فيه ، ولا يتوقف هذا الصراع إلا إذا بدأ التألف يتضح أو يتحقق بين الإنسان والمكان الذي يقطنه(٦٠)، ومن ثم فإنه (يبعث في الإنسان إحساساً خاصاً حيث ينطوي فيها ليبعث فيه الأمل والارتياح والمتعة)(٦١) ، فتؤدي بذلك دوراً محورياً في الرواية ؛ لأنها (ذات علاقة وثيقة بتشكيل الشخصية الروائية فهي تتفاعل مع الأمكنة المفتوحة بإيجابياتها وسلبياتها وتجلياتها، فتغدو هذه الأمكنة مليئة بالأفكار والذكريات والآمال والترقب وحتى الخوف والتوجس ، ومن ثم تولد المشاعر المتناقضة المتضاربة في النفس ، وتخلق لدى الانسان صراعاً داخلياً بين الرغبات وبين الواقع)(٦٢).

ولعل أكثر الأمكنة المغلقة حضوراً في رواية حارس التبغ هو البيت فهو يمثل مكان الراحة والاستقرار والهدوء للشخصيات الرواية ، فمنذُ بداية الرواية تم تقديم البيت على أنها مركز الراحة والطمأنينة للراوي من خلال وصفه لمنزل صديقه الذي تردد عليه بعد تسريحه من الخدمة الإلزامية(كنتُ أتردد على صديق ثري جداً ، يقيم منزله الصغير حفلات صاخبة ، عشرات من الصبايا والشباب ، والكثير من الأجانب هم من زواره ، تمتد حفلاته حتى الصباح ، وكل فجر أترنح عائداً إلى المنزل مخموراً ، في دروب ضيقة ، وأصعد درجات السلم منتشياً)(٦٣) فالوصف المكاني قد اضطلع بتأدية الوظيفة الإيهامية في محاولةً من الراوي لتشكيل صورة توحي للمتلقي أنها صورة واقعية بغية التأثير فيه وشد انتباهه ومن ثم تفاعله مع الأحداث المتقادمة في الرواية .

ولعل شقة جاكلين مغيرب في دمشق تمثل واحدة من أهم الأماكن التي تبعث في نفس الراوية الراحة والطمأنينة والاستقرار (ففي الشقة المتواضعة في دمشق، أو الطابق العلوي من المنزل الذي كانا يعيشان به، هي وزوجها ، تجد على الدوام جمهرة الصحفيين والمراسلين والممثلين والمخرجين .. كان هذا المكان يذهلني حقاً ويجعلني منشغلاً بالآخرين أكثر من الانشغال بنفسي)(٦٤) فقد أدى الوصف المكاني وظيفة إيهامية تتمثل بتقديم صورة وصفية توحي للمتلقي بواقعيتها فعلى الرغم من صغر حجم الشقة إلا أنها كانت ملتقى للطبقات المثقفة بمختلف توجهاتها ولعل غرض الراوي من هذا الوصف التمهيد للسرد الذي سيتناول التعريف بشخصية جاكلين ودورها في أحداث الرواية إذ عن طريقها جرى التعارف بين البلاك رايتر والصحفية التي كلفته بمهمة كتابة تقرير عن حياة الموسيقار.

ومن الأماكن الأخرى التي أدى فيها الوصف وظيفة إيهامية ، وصف الراوي لشقة الموسيقار في طهران والتي أراد منها التمهيد لبداية رحلة الراوي في تقصي حياة الموسيقار في طهران (عثر كمال على شقة صغيرة في الطابق الثاني من منزل مكون من طابقين يقع بالقرب من ميدان انقلاب ، ثم حصل على بطاقة تموينية من الجامع لقد حصل على حجرة صغيرة دوت فيها أصداء الفراغ ، كانت الحجرة فوقانية ، جلس في ركن خال من النوافذ ، سرير مستعمل ، وبساط قديم رث ، وطباخ نفطي صغير ، وقدر ومقلاة ، فضلاً عن حقيبة ملابسه)(٦٥) فالوصف هنا قد امتزج بالسرد معلناً عن بداية انطلاقة حياة الشخصية الثانية للموسيقار والتي ابتدأت من طهران.

ومن الأماكن التي مثلت ارتياحاً نسبياً للراوي وصفه لبار الخورنق في المنطقة الخضراء وقد أدى هذا الوصف وظيفة تزيينية مقصودة لذاتها كونها لم تنطوي على أي معنى خارج حدود هذه الوظيفة كون البار يمثل محطة مؤقتة انتهى دورها في الرواية بمجرد الخروج منها(دخلنا البار، كان على شكل كوخ ، شبه معتم من الداخل ، وما إن تجاوزنا البوابة الرئيسية حتى اقترب منا حارسٌ أسود من جنوب أفريقيا كانت لهجته صعبة الفهم ... كانت الحانة جميلة جداً ، أشبه بالحانات الشعبية في لوس انجلوس وميامي ... في المقدمة ثمة برميل خشبي موضوع لصب الدرافت ، وكانت الحانة نفسها كبيرة مزودة بغرف عديدة ، وهنالك عدد من الغارسونات السود يقفون وراء البار الخشبي ، وخلفهم قناني الخمور بكل أنواعها)(٦٦).

وبالعودة لشخصية الموسيقار فإن البيت كان يمثل بالنسبة إليه الملجأ الآمن والمتنفس الذي طالما هرع إليه في أغلب المواقف التي صادفته، ومن بين تلك المنازل التي كان الموسيقار يشعر بالراحة والاطمئنان فيها منزل خالته إذ كانت (متعة زيارة منزل خالته دلال التي لا توصف.. فيصاحب أمه ليأكل الكباب بملاعق وشوكات وسكاكين فضية من شغل العجم)(٦٧) ، فالوصف المشهدي قد أدى الوظيفة التفسيرية من خلال وصفه لنمط الحياة الذي تعيشه عائلة خالته حيث مظاهر التحضر والرقي التي بدورها قادت للإعجاب بابنة خالته(وكانت أبنة خالته كلادس تقرأ معه الكتاب المقدس تجلس إلى جانبه ، ترفع بيديها الجميلتين إناءً كان موضوعاً على المائدة ، فيرى أبطيها الأبيضين الحليقين ، وهما يبعثان عطراً طيباً يجعله يتسمر في مكانه ويتخدر)(٦٨) فالإعجاب بابنة خالته جعله يعشق هذا المكان ويألفه ويشعر

بالراحة النفسية وهو يجلس قرب حبيبته التي ملأت حياته.

ومن الأماكن الأخرى التي وردت في الرواية وصف الراوي لجامع فينتوري المشيد بطريقة عصرية ممزوجة بفن العمارة الإسلامية (وقف الرئيس ، أمام جامع فينتوري : قبة مقرنصة عالية مأخوذة من الفن الإسلامي القديم ، ومطعمة بصور استشراقية من روايات أفلام هوليود عن بغداد ، إنها قبة مثل شجرة ضخمة داخل الفناء ، يلقي سقفها العالي بظله على الصحن والمصلين من تحتها ، إنه جامع كبير جداً ، ولكنه يشبه صالة قمار)(٦٩) فقد أدى الوصف هنا وظيفة تفسيرية تمثلت بالكشف عن اعجاب الموسيقار بمعمارية البناء التي تتماهى مع ذوق الموسيقار وثقافته ، ومن ثم منح المتلقي قدراً كبيراً لفهم شخصية الموسيقار من خلال إفصاحها عن مكنوناتها ومشاعرها النفسية وسلوكها .

الخاتمة:

يمكن إجمال نتائج هذه الدراسة بالآتي:

-للمكان دورٌ مهمٌ وبارز في العمل الروائي وقد تطورت أهمية المكان بفعل التقدم الكبير في المجال المعرفي والثقافي والسياسي الذي فسح المجال واسعاً للروائيين العراقيين بالدخول في كثيرٍ من التابوهات والمحظورات التي ما كان لهم أن يدخلوها بفعل السياسة الشمولية المستبدة التي كانت تحكم العراق قبل نيسان ٢٠٠٣م.

-على الرغم من هذا التطور المعرفي الكبير إلا أن المنجز الروائي العراقي وبفعل الاحتلال الأمريكي والأحداث التي عصفت بالبلاد لم يقدم النموذج الأمثل للبطل الذي يتدخل في مسير الأحداث ويعي دوره المهم في تغيير واقع المجتمع وتصحيح سلبياته ورؤيته.

-معظم شخصيات تلك الروايات لا تظهر صلتها بالمكان إلا ضمن حدود الجوانب الإستلابية المضطهدة والمقهورة التي تقف موقف المتفرج الذي لا يتفاعل مع الأحداث بل يبقى ساكناً بحكم رؤيته المرهونة بحدود ظاهرة الخراب المكاني.

-جسدت مدينة بغداد بحضورها المميز في الرواية نموذج الواقع الاجتماعي بأبعاده كافة الاجتماعية والسياسية والاقتصادية

-احتوت الرواية على نماذج كثيرة للمكان الأليف مثل البيت ودور العبادة والحانات وكذلك المدن مثل بغداد وموسكو.

-سلطت الرواية الضوء على فترات زمنية مهمة من تاريخ البلاد عاثت فيها الأحداث الطائفية والاحتلال فساداً وافقدتها لمكانتها المرموقة .

الهوامش:

(١) بناء الرواية العربية السورية: د سمر روحي الفيصل اتحاد الكتاب العرب، دمشق، ١٩٩٥، ص٣٤

(٢)بنية الشكل الروائي: د حسن بحراوي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ١٩٩٠، ص٢٦

(٣) المكان في رواية شرق المتوسط عبد الرحمن منيف : ارشد يوسف عباس ، جامعة كركوك مجلة جامعة كركوك للدراسات الإنسانية ،مج ٧، ع ٢ ٢٠١٢، ص٧٣

(٤) إشكالية المكان في النص الأدبي : ياسين النصير ، دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد، ١٩٨٦م، ص٨

(٥) ينظر: التجريب في الرواية العربية المعاصرة : عبد العزيز ضويضو، عالم الكتب الحديث ، بيروت ، ٢٠١٤م، ص١٢٦

(٦) بنية الشكل الروائي: ص٣٢

(٧) الرواية العراقية الجديدة المنفى الهوية اليوتوبيا: د عبد الله إبراهيم، مجلة علامات، ع٣٣، ٢٠١٠م، ص٧٨

(٨) في النقد والادب: ايليا حاوي، دار الكتاب اللبناني، بيروت – لبنان، ط٤ .

(٩)الاديب والالتزام: د نوري حمودي القيسي ، دار الحرية للطباعة ، بغداد ، ط١ ،١٩٧٩م ، ص٣٢

(١٠) بنية الشكل الروائي : ص ٣٣

(١١)عصر الرواية، د محسن جاسم الموسوي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ا لقاهرة، بالاشتراك مع دار الشئون الثقافية، بغداد ١٩٨٦، ص٢٧

(١٢) ينظر : وجهة نظر في الرواية الفلسطينية : انجيل بطرس سمعان ، مجلة فصول، العدد ٢، ١٩٨٢، ص ١٠٣

(١٣) ينظر: البطل في الرواية الفلسطينية ١٩٩٣-٢٠٠٢م : د أحلام محمد حسين ، الدار العربية للنشر والتوزيع ، بيروت ، ط١،٢٠٠٥م، ص٧٣

(١٤) ينظر: متغيرات المكان في السرد الروائي العراقي ١٩٢٠-٢٠١٠: ا. م. د عبد الله حبيب كاظم، مجلة آداب القادسية ١٦٥

(١٥) تظهر هذه الثيمة بوضوح في كثيرٍ من النصوص الروائية بعد نيسان ٢٠٠٣م مثل روايات ليالي الكاكا وبلاد سعيدة لشاكر الأنباري، وروايات دروب وغبار وأماكن حارة لجنان جاسم حلاوي، وروايات تل اللحم، صورة يسوف وملائكة الجنوب لنجم والي ورواية الخائف والمخيف لزهير الجزائري وغيرها من الروايات الأخرى.

(١٦) ينظر : متغيرات المكان في السرد العراقي :ص١٧١

(١٧) ينظر : الرواية العراقية (رصد الخراب العراقي في أزمان الديكتاتورية والحروب والاحتلال وسلطة الطوائف : سلام أبراهيم ، مجلة تبين، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات ، صنعاء ، ع٢ ، مجالأول،٢٠١٢م، ص١٦٥

(١٨) بنية النص الروائي ص٤٤.

(١٩) حارس التبغ : ص ٤٩

(٢٠) المصدر نفسه: ص٥٥

(٢١) رواية حارس التبغ: ص١٣

(٢٢) الرواية العراقية الجديدة (المنفى ، الهوية ، اليوتوبيا) : عبد الله إبراهيم / مجلة غيمان ، ع ٨ ، السنة ٢٠٠٩م ، ص ١٤

(٢٣) الشخصية العراقية البحث عن الهوية : د عبد الله إبراهيم الحيدري ، التنوير للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت ، ط١، ٢٠١٣م ، ص١٦٥

(٢٤)رواية حارس التبغ : ص٢٣٠

(٢٥)رواية حارس التبغ: ص ٢٢٩

(٢٦) رواية حارس التبغ : ص٨٢

(٢٧) ينظر: ضدية اليوتوبيا والديستوبيا – قراءة في رواية (قواعد العشق الأربعون)لإليف شفق : د سعد داحس ناصر ، مجلة لارك للفلسفة واللسانيات والعلوم الاجتماعية ، مج ١، ع ٤٤ ، ٢٠٠م ، ص١٦

(٢٨)رواية حارس التبغ : ص ٣٥٧

(٢٩) رواية حارس التبغ : ص١٤٤

(٣٠) المصدر نفسه : ص١٤٩

(٣١)المصدر نفسه: ص١٣٦

(٣٢) ينظر : مشهديات الديستوبيا في رواية جملكية آرابيا لواسيني الاعرج : د أحلام أبن الشيخ ، مجلة العلامة – مخبر اللسانيات النصية وتحليل الخطاب ، جامعة قاصدي مرباح ورقلة ، الجزائر، ع٦، ص٦٤

(٣٣)رواية حارس التبغ: ص١٩٢

(٣٤)المصدر نفسه: ص٢٠٧

(٣٥) تمثلات العنف والموت في الرواية العراقية ما بعد٢٠٠٣ م: لؤي حمزة عباس و غانم حميد عبودي، مجلة جامعة ذي قار، ع٩، مج ٢، ٢٠١٤م، ص ٨٤

(٣٦) رواية حارس التبغ: ص٣١

(٣٧) المصدر نفسه: ص٣١

(٣٨) المصدر نفسه: ص٢٩

(٣٩) رواية حارس التبغ: ٣٤

(٤٠)المصدر نفسه: ص ١٩٣-١٩٥

(٤١)المصدر نفسه: ص٢٧٠

(٤٢) رواية حارس التبغ: ص ٣٠٣

(٤٣) ينظر: الرؤية والبنية في روايات زياد قاسم : منتهى الحراحشة ، رسالة ماجستير ، جامعة ال البيت ، اردن ، ص٥٥

(٤٤) وظيفة الوصف في الرواية : عبد اللطيف محمود ، الدار العربية للعلوم – منشورات الاختلاف ، بيروت ، ط١ ، ٢٠٠٩م ، ص٤٨

(٤٥)رواية حارس التبغ : ص١٦٣

(٤٦)المصدر نفسه : ص١٧٦

(٤٧)المصدر نفسه : ص ١١٧

(٤٨) رواية حارس التبغ : ص ١٦٣

(٤٩) المصدر نفسه: ص٢٠٣

(٥٠)بنية الخطاب في الرواية النسائية الفلسطينية : حفيظة أحمد ، منشورات مركز أو غاريت الثقافي ، فلسطين ، ٢٠٠٧م ، ص١٦٦

(٥١) البنية السردية في الرواية دراسة في ثلاثية خيري شلبي، عبد المنعم زكريا القاضي، عين للدراسات الإنسانية والاجتماعية، الجيزة – مصر، ط١، ٢٠٠٩م.

(٥٢) ينظر: منطق السرد (دراسات في القصة الجزائرية الحديثة : احمد بورايوك ، ديوان المطبوعات الجامعية بن عكنون ، الجزائر ،١٩٩٧م ص١٤٦

(٥٣) رواية حارس التبغ : ص ٢٩

(٥٤) رواية حارس التبغ : ص٨٧

(٥٥) المصدر نفسه : ص٦٢

(٥٦) ينظر: بنية الخطاب في الرواية النسائية الفلسطينية : ص١٣٤

(٥٧) رواية حارس التبغ : ص ٨١

(٥٨) المصدر نفسه : ص٨٢

(٥٩) جماليات المكان في الرواية العربية ، شاكر النابلسي ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، عمان – الأردن ، ط١ ،١٩٩٤م ، ص١٠

(٦٠) ينظر: المكان في الرواية البحرينية : فهد حسين ، ص١٦٣

(٦١) السياق والنص الشعري من البنية إلى القراءة : علي أيت أوشان ، دار الثقافة للنشر والتوزيع ، الدار البيضاء ، ٢٠٠٠م ، ص١٦٦

(٦٢) دراسات ومقالات في الرواية : إبراهيم سعيدي ، منشورات السهل ، بيروت – لبنان ، ط١، ٢٠٠٩م، ص١١٢

(٦٣) رواية حارس التبغ : ص٨٤

(٦٤) المصدر نفسه : ص٤٤

(٦٥) رواية حارس التبغ : ص٢٥١

(٦٦) المصدر نفسه : ص٨٥
(٦٧) المصدر نفسه : ص١١٩
(٦٨) حارس التبغ : ص١١٩
(٦٩)المصدر نفسه: ص٣٠٨

المصادر والمراجع

أولاً: الكتب المطبوعة:
- الاديب والالتزام: د نوري حمودي القيسي، دار الحرية للطباعة ، بغداد ، ط١ ،١٩٧٩م .
- إشكالية المكان في النص الأدبي: ياسين النصير، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ١٩٨٦م.
- البطل في الرواية الفلسطينية ١٩٩٣-٢٠٠٢م: د أحلام محمد حسين، الدار العربية للنشر والتوزيع، بيروت، ط١، ٢٠٠٥م.
- بناء الرواية العربية السورية: د سمر روحي الفيصل اتحاد الكتاب العرب، دمشق، ١٩٩٥.
- البنية السردية في الرواية دراسة في ثلاثية خيري شلبي، عبد المنعم زكريا القاضي، عين للدراسات الإنسانية والاجتماعية، الجيزة – مصر، ط١، ٢٠٠٩م.
- بنية الخطاب في الرواية النسائية الفلسطينية: حفيظة أحمد، منشورات مركز أو غاريت الثقافي، فلسطين، ٢٠٠٧م
- بنية الشكل الروائي: د حسن بحراوي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ١٩٩٠.
- التجريب في الرواية العربية المعاصرة: عبد العزيز ضويضو، عالم الكتب الحديث، بيروت، ٢٠١٤م .
- جماليات المكان في الرواية العربية، شاكر النابلسي، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، عمان – الأردن ، ط١ ،١٩٩٤م .
- دراسات ومقالات في الرواية: إبراهيم سعيدي، منشورات السهل، بيروت – لبنان ، ط١، ٢٠٠٩م.
- السياق والنص الشعري من البنية إلى القراءة: علي أيت أوشان ، دار الثقافة للنشر والتوزيع ، الدار البيضاء ، ٢٠٠٠م .
- الشخصية العراقية البحث عن الهوية : د عبد الله إبراهيم الحيدري ، التنوير للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت ، ط١، ٢٠١٣م .
- عصر الرواية، د محسن جاسم الموسوي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ا لقاهرة، بالاشتراك مع دار الشئون الثقافية، بغداد ١٩٨٦.
-في النقد والادب: ايليا حاوي، دار الكتاب اللبناني، بيروت – لبنان، ط٤ ، د.ت .
- منطق السرد (دراسات في القصة الجزائرية الحديثة : احمد بورايوك ، ديوان المطبوعات الجامعية بن عكنون ، الجزائر ،١٩٩٧م .
- وظيفة الوصف في الرواية : عبد اللطيف محمود ، الدار العربية للعلوم – منشورات الاختلاف ، بيروت ، ط١ ، ٢٠٠٩م .

ثانياً : الأطاريح والرسائل الجامعية
- الرؤية والبنية في روايات زياد قاسم: منتهى الحراحشة ، رسالة ماجستير ، جامعة ال البيت ، اردن ، ٢٠٠٠م.

ثالثاً: الدوريات
- مجلة آداب القادسية، مج١٧، ع٢، متغيرات المكان في السرد الروائي العراقي ١٩٢٠-٢٠١٠: ا. م. د عبد الله حبيب كاظم.
- مجلة تبين، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، صنعاء، ع٢، مجالأول،٢٠١٢م ، الرواية العراقية (رصد الخراب العراقي في أزمان الديكتاتورية والحروب والاحتلال وسلطة الطوائف) : سلام أبراهيم
- مجلة جامعة ذي قار، ع٩، مج ٢، ٢٠١٤م، تمثلات العنف والموت في الرواية العراقية ما بعد٢٠٠٣ م: لؤي حمزة عباس و غانم حميد عبودي.
- مجلة جامعة كركوك للدراسات الإنسانية، مج ٧، ع٢، ٢٠١٢م، المكان في رواية شرق المتوسط عبد الرحمن منيف: أرشد يوسف عباس.
- مجلة علامات، ع٣٣، ٢٠١٠م، الرواية العراقية الجديدة المنفى الهوية اليوتوبيا: د عبد الله إبراهيم.
- مجلة العلامة – مخبر اللسانيات النصية وتحليل الخطاب ، جامعة قاصدي مرباح ورقلة ، الجزائر، ع٦ ، مشهديات الديستوبيا في رواية جملكية آرابيا لواسيني الاعرج : د أحلام أبن الشيخ .
- مجلة غيمان ، ع ٨ ، السنة ٢٠٠٩م الرواية العراقية الجديدة (المنفى ، الهوية ، اليوتوبيا) : د. عبد الله إبراهيم.
- مجلة فصول، ع٢، ١٩٨٢م، وجهة نظر في الرواية الفلسطينية: انجيل بطرس سمعان .
- مجلة لارك للفلسفة واللسانيات والعلوم الاجتماعية ، مج ١، ع ٤٤ ، ٢٠٠م ، ضدية اليوتوبيا والديستوبيا – قراءة في رواية (قواعد العشق الأربعون)لإليف شفق : د سعد داحس ناصر

معالجة الصحف العراقية لازمة ادارة الثروات الطبيعية بين الحكومة الاتحادية وحكومة اقليم كردستان
تحليل مضمون لصحيفتي (الزمان ، التآخي)

أ.م.د. ميثم حاتم حسن هادي عثمان
جامعة الاديان والمذاهب، كلية الاعلام والعلاقات

الملخص:
تسعى الدراسة إلى معالجة الأطر الإخبارية لأزمة إدارة الثروات الطبيعية بين الحكومة الإتحادية وحكومة إقليم كردستان في الصحافة العراقية،ومعرفة مديات إسهامها في تشكيل الرأي العام تجاه الأزمة ، وذلك عبر التعرف على حجم التغطية الإخبارية ومعرفة طبيعتها ومحدداتها لتلبية حاجة الجمهور المعرفية لها ، فضلاً عن دراسة استراتيجية القائم بالاتصال في بناء رسالته الإعلامية وطبيعة حجم الضغوط التي يتعرض لها خلال إعدادها ، كونها تكشف عن أبرز الأطر الإخبارية للأزمة ومدى ارتباطها بالسياقات السياسية والاجتماعية والاقتصادية على المجتمع ، بالإضافة إلى أنها ترصد القواعد المهنية الإعلامية لدى القائمين بالإتصال ومدى إهتمامهم بمواقف الأطراف السياسية الداخلية أو الخارجية، ودورهم في بناء الأخبار وتشكيلها من حيث إنتقاؤها ، وإختيار مصادرها ، وزوايا معالجتها ، وتأتي هذه الدراسة في ظل ندرة الدراسات الإعلامية التي تناولت إزمة إدارة الثروات بين حكومتي المركز والإقليم في العراق، والتي استخدم فيها البحاث نظرية الأطر الإعلامية واعتمد على تحليل مضمون عينة لصحيفتين عراقيتين هي: (الزمان ، التآخي) ، كما إنه إعتمد المنهج الكمي لرصد الأطر الإخبارية للأزمة والمقارنة المنهجية بينها من أجل تحقيق الفروض العلمية فيها .

Abstract
The study reviwes to address the news frameworks for the need to manage natural resources between the federal government and the Kurdistan Regional Government in the Iraqi press، and to know the extent of its contribution to shaping public opinion towards the crisis، by identifying the volume of news coverage and knowing its nature and determinants to meet the public's knowledge need for it، as well as a strategic study The communicator in building his media message and the nature of the pressures he is exposed to during its preparation، as it reveals the most prominent news frameworks of the crisis and the extent to which it is related to the political، social and economic contexts on society، in addition to it monitors the media professional rules of the communicators and the extent of their interest in the positions of internal or external political parties، and their role In building and shaping the news in terms of its selection، and the selection of its sources،

And the dementions of its treatment، and this study comes in light of the scarcity of media studies that dealt with the crisis of wealth management between the governments of the center and the region in Iraq، in which the theory of media frameworks was used and relied on analyzing the content of a sample of three Iraqi newspapers: (Al-Sabah، Al-Zaman، Al-Takhi)، and it also adopted the approach Quantitative monitoring of the crisis news frameworks and systematic comparison to achieve scientific hypotheses.Keywords: News Processing، Natural Resources، Federal Government، Kurdistan Region

المقدمة:
تعمل المؤسسات الصحفية ضمن السياسة التي تتبناها في صناعتها للمحتوى الإخباري؛ لتحقيق أهداف مرسومة مسبقاً وفق رؤية معينة، ولعل من أبرز تلك الأهداف هو إحداث التغيير بقناعات المتلقي نحو الوقائع من خلال إعادة الرسائل والنصوص الصحفية الخاصة بالأحداث اليومية ووضعها في إطر إعلامية تؤكد على معنى معين أو نفيه.
تُستخدم نظرية الاطر احياناً بهدف فهم كيفية تقديم الصحف الافكار، ووفقاً

لانتمان فإن الأطر تحدث عندما يتبنى القائم بالاتصال مدخلاً لقضية ما، ويجعل منها محط انتباه الجمهور، وإن الأطر الخبرية تفسر المشاكل وتعرف الأسباب وتقدم الحلول لها، فيما يؤمن بعض الباحثين بأن الاطر الخبرية تسهم في الطريقة التي يدرك بها الجمهور السياسات العامة.

إن للمؤسسات الصحفية دوراً بارزاً وأهمية كبيرة في المجتمعات كافة وأصبح لها نظام مركبٌ فهي تعمل في بيئة إجتماعية عن طريق إختبار التوجهات الفكرية العامة من أجل الوصول إلى تحقيق أهدافها الموجة نحو جمهور يصل حجمه عدد سكان البلاد كلها. كما أن وسائل الإتصال تحتفظ بردة الفعل الشخصية والحرية في الحكم على الأشياء وهذا يمكنها من الافلات من إندماجها بالجماهير ومن ظاهرة الذوبان فيها.

يُشبّه (جوفمان) التفاعل الإجتماعي بالمسرح، والناس في الحياة اليومية بالجهات الفاعلة؛ أي: إن الممثلين على المسرح يلعبون إدواراً مختلفة، ويتكون الجمهور من أفراد آخرين يلاحظون تمثيل تلك الأدوار ويتفاعلون معها.

مفاهيم الورقة البحثية:

أولاً: نظرية الأطر الإعلامية: بالإمكان تحديد نظرية التأطير وفقاً لـــ (فريمان) بإعتبارها عملية لإختيار عدد من عناصر الواقع لتركيب قصة خبرية تبيّن الإرتباط بين تلك العناصر، من أجل وضع تفسير خاص للواقع، أي: إن الأطر تعمل على تعديل أو تشكيل التفسير للمتلقي من خلال عناصر الابراز،إذ إن الإطار يعمل على تقديم أو طرح الأحداث وإضفاء إهمية على زوايا محددة منه، فضلاً عن تحديد الخطط التي تشجع المستقبل المستهدف بالتفكير وإتخاذ القرار بطريقة معينة.

وتعتمد نظرية التأطير على جعل الأحداث والأشخاص في إطار معين مع تغييب العوامل التي لا تصب بمصلحة الأطراف المتحكمة بالإعلام، فهي تعمل على تحوير المعلومة التي تصل إلى المؤسسة الإعلامية وعرضها على الجمهور. ويرى عدد من المختصين في مجال الإعلام أن الصحفيين يتأثرون كجمهور بالإطر التي تفرض عليهم من قبل السلطات والنخب، فيما ينعكس هذا التأثير على أبراز أحداث معينة وأطر معينة للأن أطر الأفراد تتاثر بالأطر الإعلامية، إذ تتشكل في هذا الأطار إستجابتهم المعرفية والوجدانية للقضايا والسياسات والاشخاص، فإن أغلب الدراسات التي اهتمت بدراسة تاثير الأطر الإعلامية كمتغير مستقل على أطر الأفراد كمتغير تابع أكدت وجود علاقة بين أطر الإعلام كمدخلات وأطر الأفراد كمتغيرات.

فعملية لتأطير هي أعم وأشمل من الأطر وأكثر فائدة لأنه يشير إلى التأطير كعملية تفاعلية يتعدد أطرافها على وفق سياق محدد.

ولكن عملية التأطير بشكل عام تتم من خلال نوعين من الأطر وعلى وفق الاتي:

١-أطر الإعلام: إن الأطار الإعلامي كما يراه (انتمان) «هو الانتقاء المعتمد لبعض جوانب الواقع المنظور وجعلها اكثر بروزا في النص الاعلامي بطريقة تنظم القضية وتحددها.»

ويعرفه (جوفمان) بأنه بناء محدد للتوقعات التي تستخدم لتجعل الناس اكثر ادراكا للمواقف الاجتماعية في وقت ما كما ان اطر الاعلام هي نمط متتالي للتفكير، التحليل، التمثيل، الاختيار، واخراج الشاذ. اذ انه بواسطة الاطر يمكن خلق اشارات ورموز التي بدورها تنظم (ترتب) الحديث الكلامي او الصوري. وتمكن اطر الاعلام الصحفيين من العمل على معلومات كثيرة بشكل سريع، وأن يكونوا جاهزين دائما للحدث غير المتوقع.

٢- أطر الجمهور:عرف كل من نيلسون و اوكسلي أُطر الجمهور بأنه العملية التي تحدد وتنظم عن طريقها المصادر الإعلامية أو القضايا السياسية أو الجدل حولها، وفقاً لذلك فإن نظرية التأطير تؤثر في الراي العام، عن طريق تركيزها على قيم محددة أو حقائق أو أفكار تمنحها درجة عالية من

الوضوح المرتبط بالقضية اكثر مما تحققه الاطر البديلة، فيما يرى كل من (برايس) price (وباورز) powers و(توكسوبي) وجود مستويين يمكن ان تاثر الاطر الخبرية من خلالهما باتجاهات الجمهور نحو القضايا والاحداث المتناولة وهن التالي:

أ- الطلب الأول (order fiert): ويكون أثناء عملية المعالجة للمعلومات أو بعدها مباشرةً، ويستخدم لعملية تقييم الأداء.

ب - الدرجة الثانية (second order): وتقع في زمن بعيد نسبيا، إذ يتم من خلالها تنشيط الأفكار التي أصبحت مستقرة، وتوظف في عملية التقييم اللاحقة للسياسات والقضايا المطروحة، فيما يحدد كل من (زيلر) zaller و (اينجار) Iyengar تاثيرات الأطر الخبرية على الاستجابات المعرفية عند الجمهور على النحو التالي:

١- الاهتمام أي: اهتمام الجمهور وإدراكه للقضية.

٢- الفهم إي: طريقة فهم الجمهور للقضية.

٣- الحكم أي: تغيير التقييم النهائي عند الجمهور للقضية.

ثانياً - نشأة النظرية:

طُرحت هذه النظرية بواسطة (جوفمان) في العام (١٩٧٤) ويرجع استعمال مصطلح الإطار Frame لأول مرة إلى عالم الاجتماع Bateson الا ان الفضل يرجع بتطوير مفهوم الاطر الاعلامية الى الباحثان «erge & Luckmann » عندما اشارا الى الطرق التي تستخدمها الجماعات المختلفة في تصنيف خبراتها للجماعات المستمدة من الواقع، ضمن فئات محددة يمكن الاستعانة بها عند الحاجة لبلورة المعلومات والخبرات الجديدة واعطائها دلالة لفهمها.

إلا أن الفضل الحقيقي في نشأتها يرجع الى (جوفمان) الذي بيّن فيها بأن الناس يفسرون ما يجري حولهم من خلال إطار أساسي، وأكد فيها أيضاً على أن المستخدم أمراً مفروغًا منه، ولا تعتمد فائدته كإطار على أطر أخرى، كما بين وجود تمييزين داخل الأطر الأساسية وهما طبيعي واجتماعي، وأوضح أيضاً ان من خلالها يمكن لكلاهما أداء دور مساعدة الأفراد على تفسير البيانات، بحيث يمكن فهم تجاربهم في سياق اجتماعي أوسع، حيث أن الفرق بين الاثنين وظيفي بحسب (جوفمان).

وفي ضوء الوعي بما تنطوي عليه آلية التأطير الإعلامي - كأداة رئيسة تعمل من خلالها وسائل الإعلام كافة، صدرت العديد من البحوث والمؤلفات التي تصدى أصحابها لبيان قدرة وسائل الإعلام على تضليل الجماهير حال توظيفها أُطراً إعلامية لا تعبّر عن مختلف أبعاد الظاهرة الاجتماعية أو الاقتصادية أو السياسية التي تتصدى لمناقشتها.

ويرى عدد من الباحثين إن نظرية الأُطر تمثل العملية الأساسية لتأطير الأحداث التي يجري عن طريقها إختيار عدد قليل من عناصر الحدث وتركيبها أو تجميعها وفق قصة خبرية متكاملة توضح الإرتباط بين هذه العناصر، أو هي القالب أو البناء الذي يجري عن طريقه عرض البيانات أو المعلومات من أجل تأسيس أو تعزيز تفسير خاص للواقع وفق ما يريده المرسل أو القائم بالاتصال، فهي تعمل على تشكيل وتعديل تفسيرات الجمهور وتفضيلاتهم لمعنى الأحداث عن طريق عناصر الإبراز، أو الاستبعاد أو الانقاء أو الاضافة أو الحذف لبعض العناصر، فالإطار يقدم أو يطرح الحدث أو الواقعة ويضفي أهمية لجانب أو زاوية أو فكرة محددة منها، كذلك يركز على الخطط التي تشجع الجمهور المستهدف على التفكير وإتخاذ قرار بطريقة معينة لفهم الأحداث التي تنقلها وسائل الإعلام.

ثالثاً- تطور النظرية:

يُرجع عدد من الباحثين المهتمين بنظريات الاتصال الفضل في التطبيقات الأولية التي تتسم بالدقة والمنهجية لنظرية الأُطر الإخبارية إلى Entman وذلك بملاحظة دراساته المتعددة (١٩٨٩،١٩٩١،١٩٩٣)،

التي قام من خلالها بالربط بين تحليل الأطر وتمثيل المعلومات من قبل الجمهور، يليه في ذلك Tankard ١٩٩١في دراسته التي أشار فيها إلى أهمية توصيف معايير وأدوات محددة ودقيقة لعملية قياس الأطر الإخبارية التي يتم توظيفها من قبل وسائل الإعلام لمختلف القضايا ذات الأهمية الإخبارية وعلى المستويات كافة.

وتلاهم العديد من العلماء والباحثين الذين استخدموا نظرية التأطير الإعلامي

في دراساتهم الخاصة بالمضمون الإعلامي للتعرّف على المتغيرات المؤثرة ببناء إهتمام المؤسسات الإعلامية وتأثيرها على المتلقي، إلا أنّ أغلبهم بين وجود خلط في مجال دراسات الأطر الإعلامية أساسه عدم إتفاقهم على إستخدام مصطلح علمي موحد للدلالة على التأطير، فهناك ثلاثة مصطلحات صريحة تدل على التأطير وهي: التأطير (Framing) الذي يشير إلى عملية التأطير كعملية إتصال جماهيري متعددة الأطراف ومصطلح (Frames) او (Frame) وهو يشير إلى الزوايا والجوانب التي يتم من خلالها تغطية الأحداث والموضوعات والشخصيات والقضايا المختلفة وتأثيراتها في الجمهور، فيما يشير مصطلح إطار (Framrwork) إلى إطار عمل ويعتبر بدقة عن المقصود بعملية التأطير.

رابعاً- تصنيفات الأطـــر الإخبارية أو الإعلامية وأنواعها:

لنظرية الأطر الإخبارية أو الإعلامية أنواع وضعت من قبل المختصين في تطبيقات النظرية على الكثير من الأحداث والمواضيع المختلفة التي تعالجها وسائل الإعلام، ومن ابرزها:

أ- الإطار العام: في هذا الإطار ترى الأحداث أو الأزمات التي تتناولها وسائل الإعلام في سياقها العام المجرد وتعطي تفسيرات عامة للوقائع والأحداث وتقوم بربطها بالمعايير الثقافية والسياسية السائدة في المجتمع والتي من الممكن أن تكون صعبة أو ثقيلة على الجمهور من حيث توجيهه من الناحية المهنية إلا أنها مهمة لفهم المشكلة والازمة من خلال تقديم الحلول والمعالجات والاقتناع بها على المدى البعيد وهي ايضاً تختلف عن الاطر الخاصة او المحددة وعلى نقيضها، اذ تصنف الازمات والقضايا العامة التي تتناولها وفق سياق عام مجرد.

ب- الإطار المحدد: في هذا الاطار يجري التركيز على قضايا أو احداث او ازمات من جوانبها الواضحة لدى الجمهور، كونها ترتبط بوقائع واحداث ملموسة وبذلك يركز الإطار على المدخل الشخصي أو تقديم ابرز عناصر الحدث وتداعياته.

ج- الإطار الاستراتيجي: في هذا الاطار يتم التركيز على احداث وازمات ووضع سياقها الاستراتيجي المؤثر في المجتمع والبلد الذي ينتمي اليه، فهو اطار يتلاءم وجيد مع الأحداث والازمات السياسية والعسكرية.

ت-إطار النتائج الاقتصادية: في هذا الاطار يكون الاهتمام بالموضوعات الاقتصادية، اذ يضعها ضمن سياق النتائج الاقتصادية التي نتجت عن طريق الأحداث، كونه يشير للتأثير المتوقع في الجانب الاقتصادي على الدولة او المسؤولين ويرتكز عليه القائمون على الاتّصال في اطار استخدام النتائج المادية لجعل الرسالة الإعلامية أكثر فاعلية على الناس وأكثر ارتباطا بمصالحهم الانية والمستقبلية.

ث-إطار الاهتمامات الإنسانية (القصص اليومية ذات الطابع الانساني): في هذا الاطار توضع الاحداث في سياق الانعكاسات الإنسانية والعاطفية العامة، اذ يتم صياغة المضامين في قوالب وقصص درامية ذات نزعة عاطفية مؤثرة بالجمهور.

د-إطار المسؤولية: في هذا الاطار يسعى القائمون على الاتّصال بالمضامين التي تجيب عن التساؤلات من قبل المسؤولين والشخصيات المهمة في المجتمع والمؤسسات والمسؤولين الحكوميين، المعنيين بمعرفة الحدث وتحديده.

فيما تقسم الأطر الخبرية عند التناول الإخباري إلى ثلاثة أنواع هي:

١ـ التأطير الموضوعي: اذ يتناول فيه الحديث بطريقة أكثر شمولا تتضمن سبرا لغور القصة وخلفياتها.

٢ـ التأطير المشهدي: وهو التصوير الذي يتناول المشهد العام للأحداث دون التركيز على أعماق القصة، ودون إجراء استقصاء لما وراء المشهد.

٣ـ التأطير في العناوين الإخبارية: العناوين الإخبارية مليئة باستراتيجيات التأطير، وعلى القارئ أن يتعرف على الرؤية الكامنة في ثنايا العنوان، اي التركيز على الزاوية التي يتم تناول القصة منها أو الميل إلى وجهة نظر بعينها.

خامساً ـ أهداف النظرية:

تُعد النظرية واحدة من الروافد الحديثة في دراسات الاتصال الجماهيري وفيما يأتي أهدافها:

١ـ تتحدد أهمية الأُطر في قدرتها التأثيرية على كيفية تفسير الجمهور للقضايا والأحداث المختلفة من حوله.

٢ـ أهمية الأُطر كبناء ذهني يسهم في إدراك الأحداث في الصراعات الدولية حيث تعد الأطر إسلوباً ملائماً لإختيار مكانة وسائل الإعلام في السياق الدولي، كما تضيف الأطر معنى إلى الأحداث والقضايا، فوسائل الإعلام لا يقتصر أثرها على تقديم المحتوى الإخباري، فحسب بل يقوم ببناء معنى لهذا المحتوى.

٣ـ تبرز قوة الأطر في مدى قدرتها على بناء أو هدم معالم أي نص إعلامي من خلال مفردات ومصطلحات متناقضة.

٤ـ تعد نظرية الأطر واحدة من الروافد الحديثة في دراسات الإتصال، لأنّها تسمح للباحث بقياس المحتوى الضمني للرسائل الإعلامية التي تعكسها وسائل الإعلام، وتقدم هذه النظرية تفسيراً منتظماً لدور وسائل الإعلام في تشكيل الافكار والإتجاهات حيال القضايا البارزة، وعلاقة ذلك باستجابات الجمهور المعرفية والوجدانية لتلك القضايا.

٥ ـ تفترض هذه النظرية أن الأحداث لا تنطوي في حد ذاتها على مغزى معين، وإنما تكتسب مغزاها من خلال وضعها في اطار يحددها وينظمها ويضفي عليها نسقاً عند التركيز على بعض جوانب الموضوع واغفال بعضها.

كما أن عملية التأطير بشكل عام تتم من خلال نوعين من الأُطر وعلى وفق النقطتين الاتيتين:

١ـ أطر وسائل الإعلام (الفضائيات): وتركز هذه الأطر في عملها وتغطيتها على كيفية عرضها للقضايا والأزمات وأساليب التغطية الإعلامية لها.

٢ـ أطر الجمهور (المتلقي): والتي تسعة وسائل الإعلام من خلالها إلى أهمية إدراك الجمهور المتابع للرسالة أو المضمون الإعلامي للأحداث أو الازمات وفهم تداعياتها.

وتحدد وظائف نظرية التأطير بالتالي:

١ـ تحديد المشكلة أو القضية بدقة.

٢ـ تشخيص أسباب المشكلة.

٣ـ وضع أحكام أخلاقية.

٤ـ اقتراح سبل العلاج.

سادساً ـ فروض النظرية:

إن نظرية التأطير الإعلامي تفرض بأن الأحداث لا تنطوي على مغزى معين، بل تكتسب مغزاها من خلال وضعها في أُطر تحددها وتنظمها وتضفي عليها نسقاً أثناء التركيز على جوانب موضوع وإغفال موضع أخرى، كما تفترض تركيز وسائل الإعلام في رسائلها على جوانب بعينها في القضية دون غيرها من الجوانب، وفرض معايير مختلفة يستخدمها أفراد الجمهور عندما يفكرون في القضية ويشكلون آراءهم حولها.

فالأطر الإعلامية تفرض على وسائل الإعلام تحويل الأحداث التي ليس لها مغزى أو غير معروفه للمتلقي إلى أحداث مميزة، وتساعد المتلقي على إدراك قضايا اجتماعية وسياسية معينة؛ فهي تؤثر على العمليات الإدراكية لدى الجمهور من خلال تأثيرها

على التذكر والإدراك والحكم على الأحداث، لأن الطرق المختلفة التي تُقدّم أو تؤطّر بها الرسالة الإعلامية يمكن أن تعمل على تحقيق استجابات مختلفة لدى المتلقي.

خلاصة القول، الأطر الإعلامية تقوم باختيار بعض النواحي من الواقع المدرك، والتركيز عليها وجعلها أكثر بروزاً في النص الاعلامي، ليثير (أو يروج) لتعريف مشكلة معينة، والتفسير السببي لها، والتقييم العقلي، ومعالجة الاقتراحات الخاصة بالموضوع المطروح.

وتقوم نظرية الأطر الإعلامية على عدد من الفروض، وهي:

• تحديد وسائل الإعلام لاهتمامات الراي العام بالمواضيع، فالصحفيون هم من يختارون تلك الموضوعات.

• تحدد الأطر الطريقة التي تقدّم بها المؤسسات الإعلامية وحراس البوابة الإعلامية والأحداث كذلك تحدد الطريقة التي يفسر بها المتلقي ما تقدم له.

•تؤثر الأطر على إدراك الجمهور للمادة الخبرية فهي بذلك لا تحدد ما يفكر فيه فقط بل تجعله كيف يفكر ايضا.

•تفرض الاطر الاعلامية على انها نوايا مختزلة تساعد على بناء المعاني الاجتماعية.

•تمكن الجمهور من الحكم على مصداقية وموثوقية المصدر فيما لو اتفقوا مع الإطار الذي يقدمه.

سابعاً ـ العوامل المؤثرة بالتأطير:

هناك عدد من العوامل التي تؤثر في عملية التأطير الإعلامي نذكر منها:

١ ـ الاتجاهات الأيديولوجية والسياسية للمؤسسات الإعلامية.

٢ ـ العادات الثقافية والاجتماعية.

٣ ـ القيود الصحفية الروتينية.

٤ ـ القيود والضغوطات المؤسسية والتنظيمية.

٥- أنماط الممارسة الإعلامية، ونوع مصدر الأخبار

٦ ـ الاحداث ذاتها.

ووفقاً لنموذج Gans ١٩٧٩، ودراسة Reese &Shoemaker ١٩٩٦ التي تؤكد وجود ثلاثة مصادر يمكنها التأثير في الأطر الإعلامية وهي كالاتي:

ـ المصدر الأول:التأثيرات التي مصدرها الصحفي: إذ تتوسط الأطر الإعلامية المتغيرات كالأيديولوجية والاتجاهات والتي بدورها تعكس عمل الصحفيين للتغطيات الاعلامية.

ـ المصدر الثاني: تطبيق نظرية الاطر الإعلامية وفقا للتوجه السياسية للمؤسسة الإعلامية أو القيود التي تعمل وفقها.

ـ المصدر الثالث: وتتمثل بالعوامل السياسية الخارجية أي: السلطة أو أصحاب المصالح والنخب الأخرى، فضلاً عن السياق الاقتصادي وضغوط عناصر الملكية أو التمويل وكذلك الإعلان، بالإضافة إلى القيم والثقافة المجتمعية.

وقدّم Shoemaker إضافات تتعلق في بناء الأطر الخبرية وهي:

١ـ المستوى الفردي: يشمل هذا المستوى الآراء والقيم والمستوى العلمي والمعرفي وسنين الخبرة.

٢ـ المستوى المؤسسي: ويشمل سياسة المؤسسة والصحفيين العاملين فيها.

٣ـ المستوى المهني: يشمل مواثيق الشرف والقيم الاخلاقية والمهنية.

٤ـ المستوى الاجتماعي: وهو يشمل القيود التشريعية والسلطة والجمهور العام.

فيما يرى اخرون عوامل اخرى مؤثرة في تأطير وسائل الاعلام للأحداث وابرازها للجمهور تتمثل بالعناصر او المحددات الاتية:

أ- طبيعة القضية او الازمة المستهدفة.

ب- طبيعة الأحداث الأخرى المرتبطة بالقضية او الازمة البارزة.

ت- حجم ونمط ومستوى او طبيعة التغطية الإخبارية للقضية او الازمة.

ث-الأهمية المدركة للقضية او الازمة التي تتناولها الفضائيات.

ج- مقدار الجدل العام الحاصل بشأن القضية أو الأزمة المثارة بين الأوساط الجماهيرية أو الرأي العام.

ويمكن إجمال أهم العوامل المؤثرة في بناء أو

تشكيل عملية بناء الإطار الإعلامي على النحو الاتي:

١ـ مدى الاستقلال السياسي للمؤسسات الاعلامية: هنالك علاقة بين بناء الاطر وتشكيلها من قبل المؤسسات الاعلامية وبين مدى الاستقلال السياسي لوسائل الاعلام وقربها من الحكومة او بعدها عنها فهي علاقة عكسية ترتبط بحقيقة التمويل لتلك المؤسسات ومقدار استغلال الاعلانات التجارية لتمويلها من عدمه.

٢ـ امتلاك مصادر الأخبار لوسائل الإعلام وتنوعها: إذ تنعكس مصادر الأخبار وتنوعها بشكل كبير في بناء وتشكيل الإطار الإعلامي، فهي تؤثر على نوعية عملهم سواء كانت في مؤسسات داخلية أم خارجية حكومية أم غير حكومية.

٣ـ أنماط عمل الممارسة الإعلامية واجراءاتها: اذ تنعكس أنماط ممارسة العمل الإعلامي على الأطر الإعلامية وتؤثر فيها لاسيّما التي يتبعها القائم بالاتّصال في تغطية الازمات والقضايا المتنوعة، وذلك وفقاً للسياسات الإعلامية الخاصة بكل مؤسسة إعلامية.

٤ـ المعتقدات الأيديولوجية والثقافية للقائم بالاتّصال: فقد توثر المعتقدات للقائمين بالاتصال وتنعكس على عملهم فالأيديولوجية تشبه على انها الصورة الشعرية أو المجازية التي يمكن من خلالها إدراك الواقع للأحداث، وبالتالي فهي أداة تعبيرية لتوصيل رسالة، بل هي قد تفلح حينما تخيب، أي حينما تشوّه الواقع فتطمس بعض الحقائق وتعكس وتؤكد بعض الحقائق الأخرى، فتوصل رسالة مجردة وتنعكس سلباً على القائمين بالإتصال.

٥- طبيعة الأحداث ذاتها:

لا يمكن النظر للأحداث بشكل مستقل، وفصله عن بيئته وسياقه العام سواء كان سياسياً أم اجتماعياً أم اقتصادياً أي: أن كل الأحداث والحقائق تتشكل وتترسخ ضمن سياقها الاجتماعي بالنسبة للفرد والمجتمع.

ثامناً ـ عناصر التأطير:

إنّ نظرية التأطير الإعلامي تتكون من عدد من العناصر التي تعد بمثابة الهيكلية الرئيسة لها، ومن بينها نظرية الأطر الإخبارية التي تتكون من العناصر الإتصالية الأربعة المتكاملة في عملية التأطير الظاهرة بشكل واضح في بناء الأطر، وتأثيرها على الجمهور وهذه العناصر هي:

١ـ الجمهور ـ المتلقي.
٢ـ المضمون ـ الرسالة.
٣ـ القائم بالاتصال ـ المرسل.
٤ـ الثقافة أو المجتمع.

على وفق ذلك يرى الباحث أنه لا يمكن وضع إطار على الشخص الذي يُصدر الرسالة وعلى من يستقبلها فحسب، بل وأيضًا على المعلومات نفسها وعلى الثقافة التي يتم تسجيلها فيها.

تاسعاً ـ آليات التأطير:

عرّف المختصون آليات التأطير بأنها الأساليب التي تعالج الأحداث من خلال انتقاء وإبراز جوانب للأحداث دون أخرى، عبر آليات متعددة لا تعمل منفردة إنما تتشابك وتتم بعملية منظمة مما يضاعف من أثر توظيفها إعلاميًا تحقيقًا لأهداف سياسية واقتصادية او اجتماعية ومن اهم اليات التأطير الاتي:

١ـ الانتقاء: وهو عملية إنتقاء المؤسسة الصحفية إلى المواضيع وفق معايير محددة يتم التركيز على جوانب منها لمعالجتها.

٢ـ البروز: وتقوم من خلاله المؤسسة الصحفية إعطاء حدث ما الأثر الأكبر من المصادر الصحفية الموجودة على الواقع وابراز جانباً منه.

٣ـ الاستبعاد: ترتبط هذه الآلية بثلاثة مفاهيم هي، الايديولوجيا، والموضوعية وحراسة البوابة والتي تعمل فيها المؤسسة الصحفية على تجاهل احداث في قضية ما وتمثل الوجه الآخر للإنتقاء.

إلا أن أبرز تلك الآليات بحسب (Entman) هي الإبراز والإنتقاء، إذ تختار المؤسسة الإعلامية من الأخبار إطاراً معيناً للنص الخبري؛ لتكون السمات المميزة للخبر ضمن ذلك الإطار أكثر

بروزاً من الأشياء الموجودة خارجه، من خلال تضخيمه أو التركيز على تعميمه أو تجريده من النزعة الإنسانية أو إضفاء القداسة عليه أو ربطه بأحداث الماضي.

عاشراً ـ أدوات التأطير:

إن التأطير يكمن بضرورة الإنتقاء والإبراز وذلك لتعزيز مشكلة وإبرازها وفي ذات السياق فإن استبعاد واستثناء معلومات أو جوانب معينة من الموضوع يعد من أدوات التأطير والتي من أهمها الآتي:

١ـ نغمة أو نبرة المعالجة: إحدى أدوات التأطير المستخدمة لمعالجة المحتوى الإعلامي والتي تحدد ميول المؤسسات الإعلامية ومواقفها إتجاه ذلك المحتوى، وتعد لغة الجسد المستخدمة من قبل مذيعي ومقدمي البرامج واحدة منها.

٢ - التلميحات الاجتماعية: والتي تستخدم من خلالها الوسائل الإعلامية المعاني المتداولة على نطاق واسع في المجتمع من أجل نشرها للآراء والأفكار والقيم.

٣ - الاستعارات والكلمات الدالة: تقوم المؤسسات الإعلامية باستخدامها عند وقوع الازمات من اجل التهويل والتضخيم او العكس على خلاف ما تكون عليه في الواقع.

٤ - عناصر الشكل: يرتكز عمل هذه الاداة على الصور بأنواعها بالإضافة إلى حجم التغطية وعناوينها الرئيسة والفرعية والتعليق على الصور وتكرارها.

٥ - ربط التغطية بنماذج مشابهة ومرتبطة بالمحتوى الإخباري: من خلالها يتم التركيز على ربط حدث سابق بإطار تم تكوينه عند المتلقي بآخر ذو محتوى جديد.

٦ـ الإضافة أو الحذف: وتستخدمها المؤسسات الإعلامية خلال تغطيتها للأحداث عبر حذفها لمعلومات أو إضافة اخرى.

إحدى عشرـ الصحف وتأطير الاحداث:

عادة ما تختلف المؤسسات الصحفية بتغطياتها الإخبارية للأحداث، مما يجعلها عرضة للإتهام بنشر الأكاذيب من خلال أخبارها أو تقاريرها، إلا أن الحقيقة هي غير ذلك تماما فالواقع المهني والعلمي يصنف ما يجري في تلك المؤسسات على انها عملية لتجزئة تلك الاحداث، فالواقع يقول ان ما تتناوله الصحف في مضمونها لا تمثل الحقيقة بشكل كامل، بل انها قد تحمل اراء وتفسيرات لها طابع شخصي او مسيس.

ان الاخبار الكاذبة هي الاخبار التي لا وجود لها اصلا على ارض الواقع، وهي تلك الاخبار التي تقوم المؤسسة الصحفية باختلاقها والترويج لها على انها احداث واقعية، وهذه السياسة لا تتبناها الصحف الرصينة.

ويرى الباحث إن ما تشهده المؤسسات الصحفية من اختلاف في تغطياتها للأحداث، مبني على حقائق واقعية يتم اعادة صناعتها بطريقة احترافية من خلال التركيز او البروز، تجعل من المتلقي يراها بشكل مغاير تماماً، ويكون ذلك من خلال عمل تلك المؤسسات بعملية التأطير التي تجزء المادة الخبرية وتحرفها عن مساره باليات وطرق مختلفة توضع في إطار محدد، وهذا المفهوم يتجاوز سطحية الاعتقاد بأن الرسالة الصحفية يمكن أن تكون خالية من القيمة المعيارية، لان صياغة الخبر تتأثر بشكل كبير بالسياق الثقافي والاجتماعي لمنتجه، وإن الأطر الاخبارية تقدم الاحداث للجمهور وكأنهم يقفون أمام نافذة لا يرون منها الا ما يسمح به إطار تلك النافذة، فعلى سبيل المثال تناول المؤسسات الصحفية لخبر تفجير انتحاري في إحدى ضواحي بغداد تقدمه صحيفة على إنه تفجير إرهابي يستهدف الأبرياء لطائفة معينة وفي اخرى يقدم على إنّه يأتي ضمن مؤامرة كبيرة ضد العراق وتنقله أخرى على إنّه هجوم مفتعل من قبل حزب سياسي.

بينت العديد من الدراسات الإعلامية عدد من الأطر البارزة في معالجة الأخبار الصحفية، تتمثل في إطار المنافسة داخل حدث ما، وإطار الاهتمامات الإنسانية من خلال تقديم الأحداث بشكل واقعي كذلك ضمن إطار الاخلاق الذي يُعرّف الحدث وفق سياق ديني أو اخلاقي، وإطار المسؤولية الذي يحدد

اسباب وحلول في قضية ما، او من خلال اطار النتائج الاقتصادية الذي بدوره يعالج الاحداث من زاوية التأثير الاقتصادي على الفرد او المؤسسة او الدولة بحد ذاتها، هناك ايضا اطار عدم القدرة على التفسير الحدث و إطار الرؤية غير الواضحة لمستقبل الأحداث.

اثنى عشر- المعالجة الإخبارية:

طرح مفهوم المعالجة الإخبارية بوصفه مصطلح إجرائي في العديد من البحوث ولدى الكثير من المختصين في مجال الاخبار، وعرف مفهوم المعالجة الاخبارية بأنه الكيفية التي يصاغ بها الخبر الصحفي، وطريقة عرضه واختيار العناوين الرئيسة له وطريقة عرضه واختيار العنوان الرئيس له، والمكان الذي يحتله.

وقدمت أيضاً مفاهيم عديدة من قبل مختصين في مجال الاتصال الإعلامي حول المعالجة الاخبارية إلا إنّهم لم يحددوا معنى خاص لها، فبعضهم تناول المعالجة الاخبارية من الجانب التحريري وبعضهم درسها من الجانب الشكلي الاخراجي، فيما راها اخرون بانها تعبر عن المضمون، أي إنها اساليب التأثير المستخدم في تقديم ذلك المضمون، وهناك رأي مغاير لعدد من المختصين في مجال الصحافة والاعلام يرى بأنها عدد من القرارات التي يتخذها المصدر لتقديم المضمون، وهذا الرأي يرى ايضا ان المصدر قد يختار معلومة معينة ويتجاهل اخرى، فيما يكرر الدليل الذي يثبت به رأياً ما، وقد يلخص ما يقوله في البداية او النهاية، ويكون قادر على ذكر جميع الحقائق برسالته او انه يترك للمتلقي مهمة تكملة ما لم يذكره في رسالته ليكون قادر على اتخاذ القرارات الي تحقق اهدافه بافضل شكل متاح.

كمان إنّ هناك ثلاثة طرق يمكن من خلالها معالجة الأزمات والصراعات إعلامياً وتصنف على النحو الآتي:

١- المعالجة المثيرة: إذ تقوم على تهويل وتضخيم الأحداث والأزمات على حساب أحداث مهمة لا ينبغي التقليل من أهميتها.

٢- المعالجة السطحية: اذ تقوم على تهوين الاحداث المهمة والبارزة وهي تميل إلى التضليل المتعمد للاحداث.

٣- المعالجة المتكاملة: إذ تقوم على عرض الأحداث عرضاً عميقاً ومتكاملاً من خلال التعرض إلى مختلف جوانب الازمة أو الصراع تعرضاً هادئاً وبمعنى أخر إنها لا تستخدم التهويل ولا التهوين.

ثلاثة عشر- مفهوم الأزمة:

مفهوم الأزمة من المفاهيم الواسعة الانتشار، إذ تمر على المجتمعات في دول العالم أجمع أحداث ووقائع سياسية واجتماعية واقتصادية واغلب تلك الاحداث تترك أزمات قد تكون داخلية او خارجية، ومع ما تخلفه تلك الازمات اوجب على تلك الدول ان تكون مستعدة لما قد لا يحدث والتعامل مع ما حدث بطرق مخطط لها و مدروسة، لاسيّما في الوقت الذي يشهد العالم فيه نمو واتساع ونضوب في الموارد المتنوعة، الامر الذي يتطلب انشاء أفكار جدية من أجل دراسة الازمات ومحاولة الخروج منها بأقل الخسائر والاستفادة من نتائجها الايجابية ان امكن، فالأزمات باتت تعصف بالدول بشكل واسع ومتزايد وعلى نطاقين دوري او عشوائي، مما يهددها بالتعرض الى خسائر واضرار كبيرة على المستويات الاجتماعية او السياسية او الاقتصادية والادارية او في المنشآت والمرافق العامة لها، بالإضافة الى الثروات الطبيعية والبشرية التي تنعكس سلبا على تقدمها، وفي هذا الاطار تعددت التعريفات التي تناولت مفهوم الازمة وما تنتجه بشكل مباشر من متغيرات داخلية وخارجية ومتلاحقة والتي تعمل على اساسها جميع المؤسسات وسنقدم فيما يلي عدد من التعريفات.

أربعة عشر- الأزمة إصطلاحاً:

لقد عرف الباحثون الأزمة بأنها: حالة من التوتر ونقطة تحول تتطلب قرارات حاسمة، سلبية كانت او ايجابية، فهي تؤثر على مختلف الكيانات المرتبطة بها، ومنهم من يرى الازمة بأنها حالة غير عادية تخرج عن

نطاق التحكم والسيطرة وتؤدي الى تعطيل حركة العمل اهو هبوطها الى درجة غير معتادة، بحيث تهدد تحقيق الاهداف المرجوة في الوقت المحدد.

وتعرف بأنها المرحلة التي تصل فيها العلاقات الى ذروة التوتر في البنية الاستراتيجية الوطنية او الاقليمية او المحلية او الموقف الذي يهدد الغاية العليا لوحدة صناعة القرار في ظل وقت ضيق للرد ويحدد ذلك تحمل وحدة صناعة القرار لعنصر المفاجئة، وعرفت الازمة ايضاً بانها الخلل الذي يؤثر ماديا على النظام بصورة كلية ويهدد الافتراضات الاساسية التي يقوم عليها.

وفي تعريف اخر فأن الازمة: هي التحول الفجائي في السلوك المعتاد الذي يترتب عليه حدوث موقف يترتب عليه تهديد مباشر لقيم ومصالح الدولة الجوهرية، الامر الذي يتطلب اتخاذ قرارات سريعة وبوقت ضيق وظروف عدم التأكد من اجل ان لا تتفاقم وتنفجر الأزمة.

فيما عرفها (Mitroff) على انها العملية التي من خلالها يمكن ان كتشف اشارات الانذار المبكرة والاستعداد للوقاية منها وتقليل الخطر او احتوائه وتقليل اثاره السلبية، بالإضافة الى زيادة إيجابياتها، واستعادة النشاط واخيرا التعلم واكتساب الخبرة.

خمسة عشر- أنواع الأزمات:

قد تتعرّض المؤسسات خلال عملها إلى عدد من الأزمات، والتي تختلف أنواعها وتتفاوت شدتها على المؤسسة، فالبعض منها يمكن تجاوزها من خلال اتباع إجراءات وقائية أو إصدار القرارات المناسبة لصدها وبعضهم الاخر تواجه المؤسسة صعوبة في صدها إلا أنها تستطيع مواجهتها.

يرى جمال محمد علي (٢٠٠٧) إن الأزمات تنوع وتعدد إشكالها مع التقدم العلمي الحاصل في الكثير من المجالات العلمية ويمكن أن نقسمها كما هو موضح بالشكل رقم (١).وفي اغلب الدراسات استقر الباحثين على تقسيمها على النحو الآتي:

١- أزمات تحدث بفعل الإنسان: أي أزمات ناتجة بفعل إنساني مثل (تهديد دول بغزو عسكري، عمليات إرهابية، الفتن والإضطرابات، التلوث البيئي الناتج عن تسرب الاشعاعات أو مواد كيميائية ألى الارض أو الهواء او الماء، إنهيار السدود أو إنقطاع التيارات الكهربائية عن المدن الكبرى، حرائق الغابات، حوادث الطائرات والقطارات والسفن).

٢- أزمات تحدث بفعل الطبيعة: أي أزمات لا يتدخل الإنسان فيها مثل (الكوارث الطبيعية كالزلازل والاعاصير والفيضانات والبراكين، الجفاف، غزو الحشرات الضارة).

واعتمدت دراسات أخرى ثلاثة أنواع لتقسيمها وذلك وفقا لطبيعة الأزمة، والمدى الزمني لها على النحو التالي:

١- الأزمات المفاجئة:

يتمثل هذا النوع بالأزمات التي تحدث بشكل مفاجئ وتتطلب من المؤسسة عمل جماعي قائم على التنبؤ بالأحداث غير المتوقعة مثل (حوادث الطائرات، السفن، القطارات، الحرائق، الانفجارات)

٢- الأزمات ذات المقدمات المحسوسة: يتمثل هذا النوع بالأزمات التي تكون لها مقدمات تنذر بوقوعها بشكل فعلي ومحتمل مثل (الاضطرابات العمالية).

٣- الأزمات المزمنة:

يتمثل هذا النوع بالأزمات التي تستمر لفترات طويلة قد تصل لسنوات على الرغم من بذل المؤسسة جهود حثيثة لمواجهتها وايجاد الحلول لها مثل (الشائعات).

أنواع الأزمات

أنواع الأزمات

أزمات داخلية	أزمات خارجية
نتيجة الأخطاء البشرية	نتيجة للكوارث الطبيعية
نتيجة اخطاء او خلل اداري	الازمات المدبرة من المنافسين
نتيجة الانحراف او التخلف الاداري	نتيجة الاشاعات المقصودة او غير المقصودة
نتيجة اخطاء او خلل الجانب الفني	نتيجة لتغيير في القواعد في والقوانين واللوائح

شكل (١) أنواع الأزمات

الجانب التحليلي:

ويقدّم فيه الباحث النتائج التي توصل لها خلال الاجراءات التحليلية للصحف عينة البحث (الزمان، التآخي) خلال الفترة من تاريخ ٢٠١٧/١٢/١ وحتى ٢٠١٨/٢/٢٨ والتي اسخدمت فيها عينة من ١٧٨ عدداً والتي من خلالها تمكن من التوصل أيضاً إلى الآليات التي تم توظيفها للفئات الرئيسة والفرعية ضمن الاطر المستخدمة في نظرية الاطر الاعلامية، وبحسب مخرجات استمارة تحليل المحتوى وفق قسمين (تحليل المضمون - ماذا قيل - تحليل الشكل - كيف قيل) وعلى وفق ترتيب الأطر والفئات التي أوردها الباحث في الجداول أدناه وجاءت النتائج على وفق الآتي:

جدول رقم (١) محور الفنون الصحفية المستخدمة في موضوعات الصحف عينة الدراسة

الصحيفة / الفنون الصحفية	الزمان		التآخي		المجموع
	ت	٪	ت	٪	
الاخبار	٣٨	٧٣,٠٧	١٧٧	٦٩,٩٦	المجموع ٢١٥
التقارير	٥	٩,٦٢	٦	٢,٣٧	١١
المقال	٩	١٧,٣١	٦٩	٢٧,٢٧	٧٨
التحقيق	٠	٠	١	٠,٤	١
المجموع	٥٢	١٠٠	٢٥٣	١٠٠	٣٠٥

استخدمت الصحف عينة الدراسة بشكل متفاوت الفنون الصحفية التي عينها الباحث في الجدول رقم (١) وهي (الخبر والتقرير والمقال والتحقيق) وبحسب النسب اعلاه تبين الدراسة الارتفاع الواضح في فنون (الخبر، والمقال) وانخفاض نسب فنون (التقرير، التحقيق) ويرجع ذلك الى اهتمام الصحف عينة الدراسة في مواكب احداث الازمة والصراع الناتج عنها من خلال اعطاء مساحة اوسع لفن (الخبر) و (المقال) من اجل ايصال جميع تطورات الازمة ومستجداتها الى جمهورها، فضلا عن اتاحة الفرصة الى مواد الرأي المتمثلة بـ(المقالات) والتي تتيح للمتلقي معرفة تفاصيل وتداعيات الازمة على الرغم من التفاوت الحاصل في نسب استخدامات تلك المواد، ومن جهة اخرى تدنت نسب فنون (التقرير) و(التحقيق) في نقل تفاصيل الازمة والاحداث الناتجة عنها ويعود ذلك الى الامكانيات والجهود التي تتطلبها تلك الفنون بالوقوف على الاحداث المتسارعة بمعالجة الازمة، كما ان السياسة المتبعة في الصحف الثلاث ازاء الازمة تركت مساحة واسعة للفنون الاخرى وخاصة مواد الرأي.

وكشفت نتائج تحليل أيضاً عن اعتماد جريدة (الزمان) على فن (الخبر) بنسبة عالية إذ جاء بالمرتبة الاولى وبنسبة بلغت (٧٣,٠٧٪)، فيما جاءت جريدة (التاخي) بالمرتبة الثانية على وفق نسبة بلغت،(٦٩,٩٦٪) وان تصدر جريدة (الزمان) في استخدامها لفن (الخبر) يبين مدى إهتمامها بتغطية الأحداث الناتجة عن الأزمة والتداعيات التي خلفتها بين الحكومة الاتحادية وحكومة إقليم كردستان العراق والمتمثلة بتصدير الاقليم للنفط والغاز والموارد الطبيعية الاخرى كالسدود والمنافذ البرية والجوية ودفع مستحقات المزارعين في الاقليم، بالاضافة الى الاخبار التي تشير الى تقديم قاعدة بيانات عن نسب الموظفين في الاقليم، فضلا عن حصة الاقليم في موازنة العراق العامة والتداخل في ادارة المناطق المتنازع عليها وتطبيق عدد من مواد الدستور الخلافية كالمادة (١٤٠)، وصرف رواتب الموظفين وقوات البيشمركة.

كذلك جاء فن (المقال) في جريدة (التآخي) بنسبة بلغت (٢٧,٢٧٪) وهي الاولى، فيما جاءت جريدة (الزمان) المرتبة الثانية وبنسبة بلغت (١٧,٣١٪) ومن خلال النسب اعلاه في الجدول رقم (١) تكشف الدراسة الاهمية التي وضعتها جريدة (التآخي) لفن

(المقال) والذي استطاعت من خلاله معالجة الازمة بحسب مواد الرأي (المقالات) والتي تمكنت من خلالها عرض التفاصيل التي تسعى الى ايصالها لمتلقيها بصورة تتناسب مع حجم الاحداث التي نتجت عن الازمة، هذا ولم تقتصر (المقالات) التي نشرت فيها على الكُتاب من الصحفيين والاعلاميين، بل انها تركت مساحة لعدد من السياسيين الاكراد في الاقليم للإبداء عن آرائهم وتقديم تفاصيل عن الأزمة.

وفي فن التقرير احتلت جريدة (الزمان) المرتبة الاولى بنسبة بلغت (٩,٦٢ ٪) وحلت جريدة (التآخي) بالمرتبة الثانية بنسبة بلغت (٢,٣٧٪)، وهنا يتضح لنا من خلال النسب التي حصلت عليها جريدة (الزمان) في ابداء اهمية لاستخدامها لفن (التقرير) بمعالجتها لازمة ادارة الثروات الطبيعية بين الحكومة الاتحادية وحكومة اقليم كردستان ويعود ذلك الى الامكانيات التي تمتلكها الجريدة والتي تتيح لها ابراز تقارير تسلط الضوء على الازمة والاحداث التي تلتها.

اما عن النسب التي احتلتها الصحف عينة الدراسة في استخداماتها لفن (التحقيق) بمعالجتها الاخبارية الخاصة بالازمة فقد جاءت جريدة (التآخي) بالمرتبة الأولى حيث بلغت نسبة استخدامها لفن (المقال) (١٠٠٪)، في حين لم توظف جريدة (الزمان) فن (التحقيق) في صفحاتها.

جدول رقم (٢) العنوانات المستخدمة في الصحف عينة الدراسة

الصحيفة / العنوانات الصحفية	الزمان ت	الزمان ٪	التآخي ت	التآخي ٪	المجموع ت	المجموع ٪
رئيس(مانشيت)	٠	٠	٤٨	٣٠,٣٨	٤٨	
عنوان تمهيدي	٣٣	٢٥٨,٩٣	١,٢٧	٧٩		
عنوان ممتد	٢	٣,٥٧	١٦	١٠,١٣	٢٧	
عنوان ثانوي	٠	٠	٩	٥,٧	١٢	
عنوان استفهامي	٣	٥,٣٦	١٤	٨,٨٦	١٨	
عنوان ثابت	٦	١٠,٧١	٠	٠	١٤	
عنوان منفرد	٤	٧,١٤	٦٤	٤٠,٥١	٧٦	
عنوان بشكل هرمي	٨	١٤,٢٩	٥	٣,١٦	٢٠	
المجموع	٥٦	١٠٠	١٥٨	١٠٠	٢٩٤	

بينت نتائج التحليل للصحف عينة الدراسة الاعتماد على تصنيفات متعددة بتوظيف العنوانات المستخدمة في معالجتها لازمة ادارة الثروات الطبيعية بين الحكومة الاتحادية وحكومة اقليم كردستان وبمجموع تكرارات بلغت (٢٩٤)، ومن خلال النسب التي جاءت في الجدول رقم (٢) يتبين مدى الاهمية التي اولتها الصحف عينة الدراسة في استخدامها لعنوانات متنوعة بهدف الانتشار بشكل واسع بين الجمهور من اجل متابعة كل ما تناقلته عن الازمة وتداعياتها وايصال كل المعلومات التي تتبناها وفقاً للسياسة التي تتبعها من خلال عرضها بمساحات خصصتها بشكل يتناسب وحجم المادة التي تسعى الى ايصالها للمتلقي وتصدرت في ذلك جريدة (التآخي) باستخدامها (العنوانات الرئيسة) بنسبة بلغت (٣٠,٣٨٪) في حين لم توظف جريدتي (الصباح،الزمان) (العنوانات الرئيسة) في معالجتها لازمة ادارات الثروات الطبيعية، اما في (العنوانات التمهيدية) فكان توظيف جريدة (الزمان) بشكل عالي اذ جاءت بالمرتبة الاولى بنسبة بلغت (٥٨,٩٣٪) وبلغت جريدة (التآخي) بالمرتبة الثالثة باستخدامها لـ(العنوانات التمهيدية) بنسبة بلغت (١,٢٧٪) وفي فئة (العنوانات الممتدة) فقد كانت جريدة (التآخي) بالمرتبة

الاولى وبنسبة بلغت (١٠,١٣٪) وكانت نسبة جريدة الزمان (٣,٥٧٪) وحلت في هذه الفئة بالمرتبة الثانية، وفي فئة (العنوانات الثانوية) فقد تصدرت جريدة (التآخي) المرتبة الاولى بنسبة (٥,٧٪) ولم تسخدم جريدة (الزمان) هذه الفئة في معالجتها الاخبارية للازمة، وبما يخص فئة (العنوانات الاستفهامية) فكان استخدام جريدة (التآخي) بشكل واسع إذ احتلت المرتبة الأولى بذلك وفق نسبة بلغت (٨,٠٨٦٪) وكانت المرتبة الثانية من نصيب جريدة (الزمان) التي وظفت هذه الفئة بنسبة بلغت (٥,٣٦٪) وفي (العنوانات الثابتة) كانت جريدة (الزمان) الاولى في استخدامها لهذه الفئة حيث بلغت نسبة الاستخدام (١٠,٧١٪)، اما جريدة التآخي فلم تستخدم هذه الفئة، فيما حصلت على المرتبة الاولى في توظيفها لفئة (العنوانات المنفردة) وبنسبة بلغت (٤٠,٥١٪) لتأتي بعدها جريدة ((الزمان) بنسبة بلغت (٧,١٤٪)، بينما حلت جريدة (الزمان) في المرتبة الاولى من خلال استخدامها لفئة (العنوانات بالشكل الهرمي) بنسبة بلغت (١٤,٢٩٪) وجاءت بعدها جريدة (التآخي) بنسبة بلغت (٣,١٦٪) ومن خلال الجدول رقم (٢) تكشف الدراسة عن تصدر التكرارات في فئة (العنوانات التمهيدية) في استخدامات الصحف عينة الدراسة وخلال الفترة التي حددها الباحث، كما انها نوعت من استخدامها في باقي العنوانات وذلك في خطوة منها لجذب القارىء من اجل متابعة اهم الاحداث وتداعيات الازمة خلال معالجاتها الاخبارية.

جدول رقم (٣) مؤشرات اطر الصراع بشأن إدارة الثروات الطبيعية بين الحكومة الاتحادية وحكومة إقليم كردستان المستخدمة في الصحف عينة الدراسة

الصحيفة / اطر الصراع	الزمان ت	الزمان ٪	التآخي ت	التآخي ٪	المجموع
التلويح بالخيار العسكري	٩	٣٦	١٩	١٩	٣٣
الضغط بالخيار الاقتصادي	٥	٢٠	١١	١١	٢٣
التلويح بتدخل إطراف إقليمية ودولية	٥	٢٠	٢١	٢١	٣١
التلويح بالانفصال	٢	٨	٣٠	٣٠	٣٣
التهديد باللجوء للمنظمات الدولية	٤	١٦	١٤	١٤	١٨
التهديد بالانسحاب من البرلمان	٠	٠	٥	٥	١٠
المجموع	٢٥	١٠٠	١٠٠	١٠٠	١٤٨

ومن خلال النسب التي وردت في الجدول رقم (٣) فقد جاءت جريدة (الزمان) بالمرتبة الاولى في استخدامها لفئة (التلويح بالخيار العسكري) وبنسبة بلغت (٣٦٪) وعرضت من خلالها التهديدات التي تبنتها حكومة الاقليم وعدد من الاحزاب الكردية خلال المدة المحددة في الدراسة والتي شهدت تفاقم الازمة بين الحكومة الاتحادية وحكومة الاقليم من خلال اغلاق المنافذ البرية والجوية ودخول الجيش العراقي الى محافظة كركوك، فضلا عن ايقاف صرف رواتب موظفي الاقليم وقوات البيشمركة، كذلك ايقاف صرف مستحقات مزارعي الاقليم وقطع الهواتف الارضية عن مدن الاقليم وتعرض مطار الاقليم للقصف والخروقات التركية للاراضي العراقية في الاقليم كل تلك الاحداث تناقلتها جريدة (الزمان) وكانت قد تضمنت (التلويح بالخيار العسكري) من قبل حكومة الاقليم والاحزاب الحاكمة فيها لاسيما الحزبين الرئيسين (الوطني ـ الديمقراطي)، واما جريدة (التآخي) فقد جاءت بالمرتبة الثانية بنسبة بلغت (١٩٪) إذ تناولت فيها أطر الصراع بالتلويح بالخيار

العسكري من قبل الحكومة الاتحادية لفرض ادارتها على المناطق المتنازع عليها والتي شهدت خروقات امنية في تلك الفترة، وفي فئة (التلويح بالانفصال) فقد احتلت جريدة (التآخي) على المرتبة الاولى وبنسبة بلغت (٣٠٪) من خلالها ابرزت الجريدة اطر الصراع التي تحدثت عن الانفصال، اذ تزامنت الفترة التي حددها الباحث تداعيات اجراء اقليم كردستان استفتاء جماهيري في مدن الاقليم للانفصال عن العراق، حيث ركزت اطر الصراع بالتلويح بالانفصال كردة فعل بما وصفته حكومة الاقليم واغلب الاحزاب الكردستانية على الحصار الذي فرضته حكومة المركز، فيما جاءت هذه الفئة (التلويح بالانفصال) بالمرتبة الثانية في جريدة (الزمان) بنسبة بلغت (٨٪)، وعن ما اوردته الصحف في فئة (التلويح بتدخل إطراف إقليمية ودولية)، فقد حلصت جريدة (التآخي) وفق جدول تحليل الفئات على اعلى النسب بنسبة بلغت (٢١٪) بعرضها لاهم ما جاء من تصريحات حكومية عن الاتهامات المتبادلة بتدخل اطراف اقليمية ودولية في صراع الازمة، كذلك جاءت جريدة (الزمان) في المرتبة الثانية بنسبة بلغت(٢٠٪) حيث عرضت عبر صفحاتها هذه الفئة ملوحة بتدخل اطراق اقليمية ودولية وكانت من ابرز تلك الدول (تركيا، ايران، امريكا) بالاضافة الى عدد من الدول الاوربية وتنوعت استخداماتها لهذه الفئة (التلويح بتدخل إطراف إقليمية ودولية) فتارة تلوح بأنها جز من الازمة بين الطرفين واخرى تؤكد فيها دعم تلك الدول الى حلحلة الامور العالقة بين طرفي الازمة.

وفي فئة (الضغط بالخيار الاقتصادي) فجاءت جريدة (الزمان) بالمرتبة الاولى وبنسبة بلغت (٢٠٪) عبر تناولها للتصريحات الحكومية والنيابية لقرارات غلق المنافذ البرية والجوية وايقاف تصدير النفط والغاز الا من خلال شركة (سومو) وتسليم قاعدة بيانات عن اعداد الموظفين في الاقليم وقوات البيشمركة والرجوع بالقرارات السيادية الى حكومة المركز، فيما جاءت جريدة (التآخي) بالمرتبة الثانية بنسبة بلغت (١١٪)، اذ انها وظفتها في صفحاتها من خلال تصريحات حكومة الاقليم واعلانها عن الخيار الاقتصادي عبر استمرارها لتصدير النفط والغاز والتعاقد مع شركات النفط والشركات الاستثمارية في الاقليم من دون الرجوع الى حكومة المركز بذريعة اتاحة الدستور العراقي لها ذلك، اما ما جاء بفئة(التهديد باللجوء للمنظمات الدولية) فقد عرضت جريدة (الزمان) هذه الفئة بنسبة بلغت (١٦٪) وكانت بالمرتبة الاولى بين الصحف عينة الدراسة لتأتي بعدها بالمرتبة الثانية جريدة (التآخي) بنسبة بلغت (١٤٪)، واشارت نتائج التحليل بما يخص فئة (التهديد بالانسحاب من البرلمان) الى ان جريدة (التآخي) حصلت على المرتبة الاولى بنسبة بلغت (٥٪) حيث عرضت من خلالها اهم من جاء بخصوص هذه الفئة والتي جاءت على لسان الاحزاب الكردستانية النيابية في فترة اقرار الموازنة العامة للبلاد والتي تزامنت مع فترة دراسة للصحف عينة البحث، وكانت تلك التلويحات كردة فعل على نسبة تخصيصات الاقليم المالية في موانة العراق العامة،، فيما لم تضع جريدة(الزمان) مساحة في صفحاتها لتلك الفئة، وعبر ذلك يتضح لنا ومن خلال ما جاء في جدول رقم (٣) ان جريدة التآخي عملت في هذه الفئات على ابراز الية الاغفال والاخفاء في معالجتها الاخبارية فيما تناولت الزمان عنصر الابراز و الانتقاء والحياد.

جدول (٤) تحميل المسؤولية بين اطرف الازمة المستخدمة في الصحف عينة الدراسة

الصحيفة	الزمان		التآخي		المجموع
تحميل المسؤولية	ت	٪	ت	٪	
اتهامات تخص الحكومة الاتحادية	١٥١	٧٧,٨٥	١١٦	٣٠	١٥

اتهامات تخص حكومة الاقليم	١٤	٢٨	١	٠,٦٧
اتهامات لجهات اقليمية	١٣	٢٦	١٨	١٢,٠٨
اتهامات دولية	٨	١٦	١٤	٩,٤
المجموع	٥٠	١٠٠	١٤٩	١٠٠

وقد كشفت الدراسة التكرارات التي وردت في الصحف عينة الدراسة في فئة (اتهامات تخص الحكومة الاتحادية) حيث جاءت جريدة (التآخي) بالمرتبة الاولى بنسبة لغت (٧٧,٨٥٪) والتي وظفتها في صفحاتها خاصة الاولى منها من خلال عرض محتوى يشير باصابع الاتهام الى الحكومة الاتحادية لاحداث الازمة بين الجانبين (حكومة المركز والاقليم) اكدت فيه خرق الحكومة الاتحادية للدستور وتجويع الشعب الكردي عبر فرض حصار اقتصادي عليه وعدم الالتزام بدفع مستحقات موظفيها وكذلك قوات البيشمركة، فضلا عن تخفيض حصة الاقليم من موانة البلاد العامة واغلاق المنافذ البرية والجوية، وحلت جريدة (الزمان) بالمرتبة الثانية وبنسبة بلغت (٣٠٪) والتي شملت معالجتها لهذه الفئة بعرض تصريحات لممثلي الاحزاب الكردية في البرلمان العراقي كذلك عرض الاتهامات الموجه للحكومة الاتحادية على لسان الاحزاب الكردية.

وفي فئة (اتهامات لحكومة الاقليم) فقد جاءت جريدة (الزمان) في المرتبة الاولى بنسبة (٢٨٪) من خلال معالجتها لهذه الفئة عن طريق تخصيص مساحة وفق النسبة التي توصل لها الباحث، حيث عرضت خلال معالجتها الاخبارية ابرز الاتهامات الموجه لحكومة الاقليم والمتضمنة بعدم التزام حكومة الاقليم بموضوعة تصدير النفط والغاز والنسب المهربة منها الى تركيا كذلك الاعلان عن الاعداد الرسمية لموظفيها وقوات البيشمركة والاعلان عن المنافذ الرسمية وغير الرسمية، فيما جاءت جريدة (التآخي) بالمرتبة الثاني بنسبة بلغت (٠,٦٧٪) اذ انها اكتفت بعرض الاتهامات التي وجهتها الاحزاب الكردية المعارضة في الاقليم وعدد ضئيل مما وجهته الاحزاب السياسية في بغداد.

واما فئة (اتهامات لجهات اقليمية) فقد تصدر جريدة (الزمان) هذه الفئة بنسبة بلغت (٢٦٪) والتي اسخدمت فيها عنصر الانتقاء عبر نقل التصريحات الرسمية لحكومة الاقليم والاحزاب الكردية للاتهامات الى وجهتها لدول القليمية مثل (ايران، وتركيا) وجاءت بالمرتبة الثانية جريدة (التآخي) هذه الفئة بنسبة بلغت (١٢,٠٨٪) حيث وجهت اتهامات الى دولة تركيا في معالجتها الاخبارية بخصوص الخروق الامنية للقوات التركية على عدد من المناطق الشمالية، كذلك الجمهورية الاسلامية الايرانية اذ ان الاحزاب الكردية بالاضافة الى حكومة الاقليم اتهمتها عبر تصريحات رسمية بدعمها لعدد من فصائل الحشد الشعبي خلال بالسيطرة على محافظة كركوك وعدد من المدن الاخرى مثل قضاء سنجار خلال عمليات دخول الجيش العراقي لها واخراج قوات البشمركة منها، وبما يخص فئة (اتهامات دولية) التي تصدرتها الولايات الامريكية المتحدة عبر توجيه الاتهامات لها في تفاقم الازمة بين الجانبين وجاءت جريدة جريدة (الزمان) بالمرتبة الاولى وبنسبة بلغت (١٦٪)، وكانت جريدة (التآخي) في المرتبة الثانية وبنسبة بلغت (٩,٤٪) فيما لم توظف جريدة (الصباح) هذه الفئة في معالجتها الاخبارية للازمة.

جدول رقم (٥) انعكاس الازمة على المجتمع والاهتمامات الانسانية لازمة ادارة الثروات الطبيعية بين الحكومة الاتحادية وحكومة اقليم كردستان المستخدمة في الصحف عينة الدراسة

الصحيفة	انعكاسات الازمة

	الزمان		التآخي		المجموع
	ت	٪	ت	٪	
اهتمامات عاطفية	٢٢	٢٩,٧٣	٥٠	٣٠,٦٧	١٠٥
غلاء الأسعار	٨	١٠,٨١	٠	٠	٢٥
تأخر صرف	١٤	١٨,٩٢	٣٦	٢٢,٠٩	٥٧
الرواتب					
اظهار المظلومية	٣٠	٤٠,٥٤	٧٧	٤٧,٢٤	١٢٠
المجموع	٧٤	١٠٠	١٦٣	١٠٠	٣٠٧

اوضحت ان نتائج التحليل وكما هو مثبت في الجدول رقم (٥) ان فئة (اظهار المظلومية) تناولتها جريدة التآخي في معالجتها الاخبارية حيث جاءت بالمرتبة الاولى وبنسبة (٤٧,٢٤٪) ومن خلال هذه النسبة عملت الجريدة على اظهار مظلومية الشعب الكردي في الاقليم نتيجة الازمة، كذلك ابراز مظلوميته على قبل حصوله على الحكم الذاتي عام ١٩٩١ فمن خلالها تنولت موضوع قصف حلبجة والهجرة القسرية للاكراد كذلك تأخر صرف رواتب الموظفين وقوات البيشمركة والظروف الاقتصادية التي عصفت بهم نتيجة الازمة، وجاءت جريدة (الزمان) بالمرتبة الثانية وبنسبة بلغت (٤٠,٥٤٪) من خلال عرضها لمظلومية الشعب الكردي بسبب الازمة، كذلك عرضت خلال معالجتها محتوى يؤكد عدم تمتع الشعب الكردي بالثروات التي تنعم بها السلطة الحاكمة في الاقليم، وفي فئة (اهتمامات عاطفية) فقد كانت جريدة (التآخي) بالمرتبة الاولى بنسبة بلغت (٣٠,٦٧٪) وفي المرتبة الثانية حلت جريدة (الزمان) وبنسبة بلغت (٢٩,٧٣٪)، وفي فئة (تأخر صرف الرواتب) فجاءت جريدة (التآخي) بالمرتبة الاولى وبنسبة بلغت (٢٢,٠٩٪) اما في المرتبة الثانية فحلت جريدة (الزمان) بنسبة بلغت (١٨,٩٢٪)، وفي فئة (غلاء الأسعار) فقد احتلت جريدة(الزمان) المرتبة الاولى وبنسبة بلغت (١٠,٨١٪) ولم تتناول جريدة (التآخي) في معالجتها لهذه الفئة (غلاء الاسعاء) وركزت على الانعكاسات الاخرى التي اثرت بالمجتمع بشكل اوسع وادق.

جدول (٦) مؤشرات الأطر القانونية لادارة الثروات الطبيعية بين الحكومة الاتحادية وحكومة اقليم كردستان المستخدمة في الصحف عينة الدراسة

الصحيفة	الزمان		التآخي		المجموع
الاطر القانونية	ت	٪	ت	٪	
التأكيد على تطبيق الدستور العراقي	١٢٠	٨٧,٥٢٨	١٨٠	٩٣,٧٥	٣٠٠
اللجوء للمحكمة الاتحادية	١	٣,١٢٥	٤	١,٥٦	٥
اللجوء للمحاكم الدولية	٣	٩,٣٧٥	٦	٤,٦٩	١٠
المجموع	٣٢	١٠٠	١٢٨	١٠٠	١٩٤

اظهرت الدراسة عبر جدول التحليل رقم (٦) نسب التكرارات في الصحف عينة الدراسة اذ اوردت جريدة (التآخي) فئة (التأكيد على تطبيق الدستور العراقي) وبنسبة بلغت (٩٣,٧٥٪) وجريدة (الزمان) حلت بالمرتبة الثانية بنسبة بلغت (٨٧,٥٪)، ووفق هذه النسب تناولت الصحف في معالجتها لفئة (الاطر القانونية) حيث تصدرت الفنون التي وظفتها في صفحاتها الدعوة الى ضرورة تحكيم الدستور لانهاء الخلافات الناتجة عن الازمة، وفي فئة (اللجوء للمحاكم الدولية) فقد جاءت جريدة (الزمان) بالمرتبة الاولى وبنسبة بلغت (٩,٣٧٥٪) و جريدة (التآخي) بالمرتبة الثانية بنسبة بلغت (٤,٦٩٪)، وكانت الصحف

قد تناولت موضوعات تدويل الازمة واللجوء الى المحاكم الدولية في موضوعات مختلفة منها احقية الاكراد بالاستفتاء وكذلك دخول الجيش العراقي لمحافظة كركوك وموضوعة النازحين وكذلك التفجيرات التي حدثت في قضاء طوز خور ماتو ابان الفترة التي حددها الباحث خلال فترة دراسة العينة، فيما جاءت جريدة (الزمان) في توظيفها لفئة (اللجوء للمحكمة الاتحادية) بالمرتبة الاولى وبنسبة (٣,١٢٥٪) تليها جريدة (التآخي) بنسبة بلغت (١,٥٦٪).

جدول (٧) مؤشرات اطر التشكيك في ادارة الثروات الطبيعية بين الحكومة الاتحادية وحكومة اقليم كردستان المستخدمة في الصحف عينة الدراسة

الصحيفة / اطر التشكيك	الزمان ت	الزمان ٪	التآخي ت	التآخي ٪	المجموع
عدم إيفاء بالوعود	١٥	٣٤,٠٩	٣٩	٢٣,٠٧	٦٧
غياب المصداقية	١٥	٣٤,٠٩	٧٩	٤٦,٧٥	١٠٨
عدم وجود رغبة حقيقية	١٤	٣١,٨٢	٥١	٣٠,١٨	٧٦
المجموع	٤٤	١٠٠	١٦٩	١٠٠	٢٥١

اظهرت الدراسة عبر جدول التحليل رقم (٧) نسب التكرارات في الصحف عينة الدراسة اذ اوردت جريدة (التآخي) فئة (غياب المصداقية) وبنسبة بلغت (٤٦,٧٥٪) حيث جاءت في المرتبة الاولى فمن خلالها وظفت عبر فنونها الصحفية التصريحات الخاصة بحكومة الاقليم والاحزاب الكردستانية التي تؤكد غياب المصداقية في تعامل الحكومة الاتحادية معها، فيما جاءت جريدة (الزمان) بالمرتبة الثانية وبنسبة بلغت (٣٤,٠٩٪) اذ ان جريدة (الزمان) اوردت محتوى خلاف ما اشارت اليه جريدة (التآخي) من خلال التأكيد على غياب المصادقية من قبل حكومة الاقليم في حلحلة الامور وانهاء الخلافات بين الحكومة الاتحادية، وفي فئة (عدم وجود رغبة حقيقية) فكانت بالمرتبة الاول جريدة (الزمان) بنسبة بلغت (٣١,٨٢٪) وفي المرتبة الثانية جاءت جريدة (التآخي) بنسبة بلغت (٣٠,١٨ واما فئة (عدم إيفاء بالوعود) فقد تناولتها الصحف عينة الدراسة وفق نسب متفاوتة حيث جاءت جريدة (الزمان) بالمرتبة الاولى و في المرتبة الثانية وبنسبة بلغت (٢٣,٠٧٪) جاءت جريدة (التآخي) وكان عرض المحتوى لهذه الفئة في الصحف عينة الدراسة قد تركز على اطر التشكيك بين طرفي الازمة بعدم وجود رغبة حقيقة بانهاء ملفات الازمة فمن جانب الحكومة الاتحادية اشارت اطر التشكيك الى ان حكومة الاقليم ليس لديها الرغبة الحقيقة بالاستجابة الى تصدير النفط والغاز عبر شركة سومو في بغداد وكذلك اشراك القوات الامنية والاعلان عن جميع المنافذ غير الرسمية في الاقليم وفسح المجال لديوان الرقابة المالية في بغداد بمتابعة اعداد الموظفين في اقليم كردستان، فيما اشارت فيها حكومة الاقليم وعدد من الاحزاب الكردستانية الى عدم وجود رغبة حقيقية من قبل حكومة الاقليم بحلحلة جميع الامور العالقة من خلال العودة الى تطبيق مواد الدستور العراقي.

جدول (٨) مؤشرات اطر الاشارة التاريخية للأحداث السابقة لازمة إدارة الثروات الطبيعية بين الحكومة الاتحادية وحكومة اقليم كردستان المستخدمة في الصحف عينة الدراسة

الصحيفة / اطر الاشارة للاحداث التأريخية	الزمان ت	الزمان ٪	التآخي ت	التآخي ٪	المجموع
اتفاقيات حكومية	١٠	٥٥,٥٦	٥		١٥,٦٢

٣١				
تحالفات سياسية	٠	٠	١	٣,١٣
٩				
حزبية				
مبادرات شعبية	٢	١١,١١	١٤	٤٣,٧٥
٢٣				
مشتركة				
رموز وشخصيات	٦	٣٣,٣٣	١٢	٣٧,٥
٢١				
تاريخية				
المجموع	١٨	١٠٠	٣٢	١٠٠
٨٤				

اظهرت الدراسة تصدر جريدة (الزمان) في فئة (اتفاقيات حكومية) حيث جاءت بالمرتبة الاولى وبنسبة بلغت (٥٥,٥٦٪) من خلال عرض ابرز الاتفاقيات التي ابرمت بين الحكومتين بخصوص الازمة ومنها الاتفاق على تسبة الاقليم في الموازنة العامة وكذلك ادارة المناطق المتنازع عليها وسددود الماء الشمالية وتصدير النفط والغاز والامور الاستثمارية في الاقليم في جانب النفط والغاز والزراعة والصناعة، فيما احتلت جريدة (التآخي) المرتبة الثانية بنسبة بلغت (١٥,٦٢٪) وفي فئة (مبادرات شعبية مشتركة) جاءت جريدة (التآخي) المرتبة الاولى وبنسبة بلغت (٤٣,٧٥٪) وكانت المرتبة الثانية لجريدة (الزمان) بنسبة بلغت (١١,١١٪) وتناولت الصحف عينة الدراسة ما يخص هذه الفئة اهم المبادرات الشعبية تأريخياً ومنها ماقام به الشعب الكردي عندما تعرض للظلم ابان فترة نظام صدام حسين كذلك التظاهرات التي شهدتها مدن الاقليم لتنديد بالقرارات التي عدوها مجحفة بحقهم من قبل حكومة المركز، وبما يخص فئة (رموز وشخصيات تاريخية) فقد عالجتها الصحف عينة الدراسة بتناولها لشخصيات ورموز تأريخية مثل (صدام حسين، جلال طالباني، مصطفى البارزاني، محمود الحفيد، وغيرهم) بالاضافة الى حادثة (مدينة حلبجة (الانفال)، معاهدة الحكم الذاتي في آذار ١٩٩١، اعياد نوروز) وجاء في المرتبة الاولى جريدة (التآخي) وبنسبة بلغت (٣٧,٥٪) وفي المرتبة الثانية جاءت جريدة (الزمان) وبنسبة بلغت (٣٣,٣٣٪)، وفي فئة (تحالفات سياسية حزبية) جاءت جريدة (التاخي) في المرتبة الاولى بنسبة بلغت (٣,١٣٪) فيما لم تتناول جريدة (الزمان)هذه الفئة التي تحدثت عن اهم التحالفات السياسية تأريخياً بين حكومة المركز والاقليم.

جدول رقم (٩) انواع اليات التأطير واساليبها المستخدمة في معالجة ازمة اداراة الثروات الطبيعية بين الحكومة الاتحادية وحكومة اقليم كردستان في الصحف عينة الدراسة

الصحيفة	الزمان		التآخي	
اليات واساليب التأطير	ت	٪	ت	٪
المجموع				
الابراز	١٧	٢٨,٣٣	١١٥	٢٤,٦٨
١٤٧				
الاستبعاد	١	١,٦٧	٢٣	٤,٩٤
٣٤				
والاغفال				
التكرار	١٢	٢٠	٨٨	١٨,٨٨
١١٤				
واعادة التاطير				
الاضافة	١	١,٦٧	٩	١,٩٣
١١				
والحذف				
الانتقاء	١٥	٢٥	٥٦	١٢,٠٢
٨٤				
التضخيم	٢	٣,٣٣	٢٥	٥,٣٦
٣٠				
الانحياز	٢	٣,٣٣	١٢٠	٢٥,٧٥
١٢٢				
الحياد	١٠	١٦,٦٧	٣٠	٦,٤٤
٦٦				
المجموع	٦٠	١٠٠	٤٦٦	١٠٠
٦٠٨				

كما اظهرت الدراسة تصدر جريدة (الزمان) في فئة (الابراز) بالمرتبة الاولى وبنسبة بلغت

(٢٨,٣٣٪) فيما جاءت جريدة (التآخي) بالمرتبة الثانية وبنسبة بلغت (٢٤,٦٨٪) واعتمدت الصحف عينة الدراسة وعالرغم من تفاوت النسب فيها الية الابراز في معالجتها للازمة لاعطاء اهمية كبيرة لها من خلال استخدامها في مختلف الفنون التي حددها الباحث وكما مبين في الجدول رقم (١) وفي فئة (الانحياز) فقد تصدرت جريدة (التآخي) المرتبة الاولى وبنسبة بلغت (٢٥,٧٥٪) وجاءت جريدة الزمان في المرتبة الثانية وبنسبة بلغت (٣,٣٣٪)، ووفق هذه النسب يتبين السياسة التي تتبعها الصحف عينة الدراسة، وفي فئة (التكرار واعادة التاطير) فقد جاءت جريدة (الزمان) بالمرتبة الاولى وبنسبة بلغت (٢٠٪) وحلت جريدة (التآخي) بالمرتبة الثانية وبنسبة بلغت (١٨,٨٨٪) كذلك جاءت جريدة (الزمان) الاولى في فئة (الحياد) بنسبة بلغت(١٦,٦٧٪) وتلتها جريدة (التآخي) بنسبة بلغت (٦,٤٤٪)، وفي فئة (الاستبعاد والاغفال) حصلت جريدة (التآخي) على المرتبة الاولى بنسبة بلغت (١٢,٢٪) وحلت جريدة (الزمان) بالمرتبة الثانية بنسبة بلغت (١,٦٧٪)، اما في فيئة (التضخيم) فقد حصلت جريدة (التآخي) على المرتبة الاولى وبنسبة بلغت (٥,٣٦٪) وحصلت جريدة (الزمان) على المرتبة الثانية وبنسبة بلغت (٣,٣٣٪) وفي فئة (الاضافة والحذف) فقد جاءت جريدة (التآخي) في المرتبة الاولى بنسبة بلغت (١,٩٣٪) و حصلت جريدة (الزمان) ثانياً على نسبة بلغت (١,٦٧٪).

جدول (١٠) ابرز مصادر المعلومات التي اعتمدت عليها الصحف عينة الدراسة

الصحيفة / المصادر	الزمان ت	الزمان ٪	التآخي ت	التآخي ٪	المجموع ٪
المندوب	٣٣	٥٧,٨٩	٩٧		٥٠,٥٢
١٥٩					
الموفد	٠	٠	٧	٣,٦٥	٧
كتاب ة ١٥	٢٦,٣٢	٧	٣,٦٥	٥٩	
داخل الصحيف					
صحفيون	٩	١٥,٧٩	٤٥		٢٣,٤٤
٦٤					
واعلاميون					
اعلاميون	٠	٠	٠		٠
١					
داخل الصحيفة					
صحف ٠	٠	٠	٠		٠
اخرى					
مجلات ٠	٠	٢	١٠,٤		٢
وكالات ٠	٠	٢٦	١٣,٥٤		٢٦
مواقع ٠	٠	٣	١,٥٦		٣
تواصل					
اذاعات /	٠	٠	٥		٢,٦
٥					
فضائيات					
المجموع	٥٧	١٠٠	١٩٢		١٠٠
٣٢٦					

واوضحت نتائج التحليل التي توصل لها الباحث والمبينة في جدول رقم (١٠) الى ان جريدة (الزمان) حصلت على المرتبة الاولى في فئة (المندوب) وبنسبة بلغت (٥٧,٨٩ ٪) اذ توزع مندوبيها على محافظات عديدة وخاصة الشمالية

منها وذلك للاهمية التي خصصتها الجريدة في متابعتها للازمة وفي المرتبة الثانية جاءت جريدة (التآخي) وبنسبة بلغت (٥٠,٥٢٪)، وفي فئة (صحفيون واعلاميون) اوضح جدول التحليل رقم (١٠) ان جريدة (التآخي) حصلت على المرتبة الاولى وبواقع نسبة بلغت (٢٣,٤٤٪) اذا انها اعطت مساحة كبيرة في معالجتها لهذه الفئة للصحفيين والاعلاميين، فيما جاءت ثانيا جريدة (الزمان) وبنسبة بلغت (١٥,٧٩٪)، وفي فئة (كتاب داخل الصحيفة) حصلت جريدة (الزمان) على المرتبة الاولى وبنسبة بلغت (٢٦,٣٢٪) وحلت جريدة (التآخي) في المرتبة الثانية وبنسبة بلغت (٣,٦٥٪)، اما فئة (وكالات) فجاءت جريدة (التآخي) في المرتبة الاولى وبنسبة بلغت (١٣,٥٤) لتسليط الضوء بشكل اوسع

على الازمة من خلال الاعتماد على الوكالات المحلية والدولية، الان ان جريدة (الزمان) لم توظف هذه الفئة في معالجتها الاخبارية للازمة واعتمدت في ذلك على تغطيتها للازمة من خلال شبكة مراسليها ومندوبيها، وفي فئة (الموفد) فكانت جريدة (التآخي) قد حصلت على المرتبة الاولى وبنسبة بلغت (٣,٦٥٪) اذ انها اوفدت العديد من مراسليها لتغطية المؤتمرات والمحافل الدولية التي بحثت الازمة من خلال حكومة الاقليم او ممثليها، في حين لم توظف جريدتي (الزمان) هذه الفئة و جاءت جريدة (التآخي) في المرتبة الاولى في توظيف فئة (اذاعات/ فضائيات) وبنسبة بلغت (٢,٦٪) وكذلك لم توظف جريدة (الزمان) هذه الفئة في معالجتها الاخبارية للازمة، وسجلت جريدة (التآخي) المرتبة الاولى في فئة مواقع التواصل (١,٥٦) وبنسبة بلغت (٢,٦٪) وايضا لم تسجل جريدة (الزمان) اي نسبة في هذه الفئة، وعن فئة (مجلات) سجلت جريدة (التآخي) المرتبة الاولى وبنسبة بلغت (١,٠٤٪) في حين لم تسجل جريدة (الزمان) اي نسبة في هذه الفئة، واخيرا وفي فئة (اعلاميون داخل الصحيفة) فأن جريدتي (الزمان و التآخي) لم تظهر اي نسب لتوظيفهما هذه الفئة في معالجتمها الاخبارية للازمة، ومن هنا يتضح مدى الاهمية التي اولتها جريدة (التآخي) في الحصول على المعلومات في معالجتها للازمة وتغطيتها بمساحات واسعة ومركزة.

جدول (١١) الاحداث التي تتناولها المعالجات الاخبارية لازمة ادارة الثروات الطبيعية في الصحف عينة الدراسة

الصحيفة / أنواع الحدث	الزمان ت	الزمان ٪	التآخي ت	التآخي ٪	المجموع
موضوعات	١٤	٢١,٢١	٣٥		١٤
واحداث جديدة	٣	٤,٥٥	٣٨		١٥,٢
مشكلات	٥٦				٦٩
متكررة					
قضايا انية	١٢	١٨,١٨	٦٦		٢٦,٤
ظواهر متجذرة	٣٧	٥٦,٠٦	١١١	٤٤,٤	١٨٧
المجموع	٦٦	١٠٠	٢٥٠	١٠٠	٤١١

بينت الدراسة ان جريدة (الزمان) حصلت على المرتبة الاولى في فئة (ظواهر متجذرة) وبنسبة بلغت (٥٦,٠٦٪) والتي عرضت من خلالها الظواهر المتجذرة للازمة النقاط الخلافية في الدستور العراقي والرسم الحدودي للاقليم كذلك الاستفتاء السكاني في العراق وفي المرتبة الثانية جاءت جريدة (التآخي) وبنسبة بلغت (٤٤,٤٪)، وفي فئة (قضايا انية) التي عالجت الصحف عينة الدراسة فيها مواضيع انية كدخول الجيش العراقي الى محافظة كركوك في الفترة التي حددها الباحث في الدراسة كذلك قرار غلق المنافذ البرية والجوية في الاقليم من قبل الحكومة الاتحادية والزيارات المتبادلة بين الوفود السياسية لطرفي الازمة والاعتداءات التركية على الاراضي العراقية في الاقليم وانتخابات برلمان اقليم كردستان واستهداف مطار اربيل بالصواريخ والتفجيرات الارهابية التي شهدها قضاء طوزخورماتو في تلك الفترة وموضوعة السدود ونسب اطلاق المياه حيث جاء جريدة (التآخي) بالمرتبة الاولى وبنسبة بلغت (٢٦,٤٪) فيما حلت ثانياً جريدة (الزمان) بالمرتبة الثانية وبنسبة بلغت (١٨,١٨٪) وفي فئة (موضوعات واحداث جديدة) التي تنولت في الصحف عينة الدراسة موضوعات واحداث جديدة كالتظاهرات التي شهدتها مدن الاقليم حول عمليات قصف مدينة عفرين السورية وكذلك التظاهرات المندة بتاخير صرف رواتب الموظفين وتوقيع احالات استثمارية جديدة بين شركات نفطية دولية وحكومة الاقليم وموافقة حكومة الاقليم على دخول

ديوان الرقابة المالية في الحكومة الاتحادية الى الاقليم لغرض كشف اعداد الموظفين فيه واتفاق الحكومتين على التعاون المشترك بين قوات الجيش العراقي والبيشمركة على مسك المنافذ البرية وعدد من المناطق المتنازع عليها، فضلا عن انسحاب الاحزاب الكردية من جلسات التصويت على الموازنة العامة للبلاد في البرلمان العراقي ومقاطعة الجلسات الخاصة بها، فقد جاءت جريدة (الزمان) بالمرتبة الاولى وبنسبة بلغت (٢١,٢١٪) وفي المرتبة الثانية حلت جريدة (التآخي) وبنسبة بلغت (١٤٪)، وفي فئة (مشكلات متكررة) والتي تناولت فيها الصحف عينة الدراسة ابرز ما جاء من قضايا متكررة بخصوص الازمة ومنها تحديد نسبة حصة الاقليم في الموازنة العامة للبلاد وكذلك قضايا تصدير النفط والغاز حيث جاءت جريدة (التآخي) بالمرتبة الاولى بنسبة بلغت (١٥,٢٪) وثانيا جاءت جريدة (الزمان) بنسبة بلغت (٤,٥٥٪).

جدول (١٢) القوى الداخلية الفاعلة التي تستهدفها المعالجة الصحفية في مواقع الصحف عينة الدراسة

الصحيفة / الجهات الداخلية	الزمان ت	الزمان ٪	التآخي ت	التآخي ٪	المجموع
رئاسة الجمهورية	٤	٣,٥٤	٦	١,٦١	٢٠
رئاسة الوزراء	١٤	١٢,٣٩	١٣١	٣٥,٢٢	١٥٥
مجلس النواب	١٥	١٣,٢٧	١٤	٣,٧٦	٦٦
رئاسة حكومة اقليم كردستان	٣٧	٣٢,٧٤	١٣٣	٣٥,٧٥	٢٠٢
وزارات الحكومة الاتحادية	١٢	١٠,٦٢	١٢	٣,٢٣	٤٦
وزارات حكومة اقليم كردستان	٥	٤,٤٢	٢٦	٦,٩٩	٤٤
الكتل السياسية والاحزاب	٢٠	١٧,٧	٣٥	٩,٤١	٧١
السياسيون	٢	١,٧٧	٦	١,٦١	١٩
الاكاديميون	٠	٠	١	٠,٢٧	٧
الاعلاميون والصحفيون	١	٠,٨٨	٣	٠,٨١	١٢
الخبراء	٢	١,٧٧	٣	٠,٨١	٩
المحللون	١	٠,٨٨	٢	٠,٥٤	٨
المجتمع المدني	١١٣	١٠٠	٣٧٢	١٠٠	٦٥٦
المجموع					

اوضحت نتائج التحليل وكما هو مؤشر في الجدول رقم (١٢) حصول جريدة (التآخي) بالمرتبة الاولى وبنسبة بلغت (٣٥,٧٥٪) في فئة (رئاسة حكومة الاقليم) فيما حلت جريدة (الزمان) ثانيا وبنسبة (٣٢,٧٤٪) وفي فئة (رئاسة الوزراء) جاءت جريدة (التآخي) بالمرتبة الاولى ايضا وبنسبة بلغت (٣٥,٢٢٪) فيما جاءت ثانياً جريدة (الزمان) وبنسبة بلغت (١٢,٣٩٪)، في حين كانت جريدة (الزمان) في المرتبة الاولى في فئة (الكتل السياسية والاحزاب) وبنسبة بلغت (١٧,٧٪) وحلت جريدة (التآخي) ثانياً بنسبة بلغت (٩,٤١٪) وفي فئة (مجلس النواب) جاءت جريدة (الزمان) بالمرتبة الاولى وبنسبة بلغت (١٣,٢٧٪) فيما جاءت جريدة (التآخي) بالمرتبة الثانية وبنسبة بلغت (٣,٧٦٪) وفي فئة (وزارات الحكومة الاتحادية) فقد جاءت جريدة (الزمان) اولا وبنسبة بلغت (١٠,٦٢٪) وتلتها جريدة (التآخي) بنسبة بلغت (٣,٢٣٪) وفي فئة (وزارات حكومة اقليم كردستان) فقد احتلت جريدة (التآخي) المرتبة الاولى وبنسبة بلغت(٦,٩٩٪) وثانيا كانت جريدة (الزمان) وبنسبة بلغت (٤,٤٢٪) اما فئة (رئاسة الجمهورية) فقد وظفتها جريدة (الزمان) في

معالجتها وجاءت في المرتبة الاولى بين الصحف عينة الدراسة وبنسبة بلغت (٣,٥٤٪) فيما جاءت جريدة (التآخي) ثانياً وبنسبة بلغت (١,٦١٪)، وفي فئة (السياسيون) فكانت المرتبة الاولى لجريدة (الزمان) وبنسبة بلغت (١,٧٧٪) وحلت ثانياً جريدة (التآخي) وبنسبة بلغت (١,٦١٪)، واما فئة (الخبراء والمحللون) فقد جاءت جريدة (الزمان) الاولى وبنسبة بلغت (١,٧٧) وثانيا جاءت جريدة (التآخي) وبنسبة بلغت (٠,٨١٪)، فيما تناولت الصحف عينة الدراسة فئة (منظمات المجتمع المدني) وجاءت جريدة (الزمان) اولاً وبنسبة بلغت (٠,٨٨٪) وتلتها جريدة (التآخي) بنسبة بلغت (٠,٥٤٪) واخيراً وفي فئة (الاكاديميون) فقد حصلت جريدة (التآخي) على المرتبة الاولى وبنسبة بلغت (٠,٢٧٪) والتي غطت من خلالها تظاهرة للمحامين منددة بالاوضاع التي الاقتصادية التي سببتها الازمة في الاقليم، في حين لم توظف جريدة (الزمان) هذه الفئة (الاكاديميون) في معالجتها الاخبارية للازمة.

جدول (١٤) أماكن صفحات عرض الفنون الصحفية في الصحف عينة الدراسة

الصحيفة / اماكن العرض	الزمان ت	الزمان ٪	التآخي ت	التآخي ٪	المجموع ت	المجموع ٪
الصفحة الاولى	٢٧	٥٢,٩٤	١٣٤	٥٨,٧٧	١٨٣	/
الصفحات الداخلية	٢٢	٤٣,١٤	٧٠	٩٤٤١,٢٣		/
الصفحة الاخيرة	٢	٣,٩٢	٠	٠	٣	
المجموع	٥١	١٠٠	٢٢٨	١٠٠	٢٥٦	

واوضحت نتائج التحليل ان جريدة (التآخي) جاءت بالمرتبة الاوى وبنسبة بلغت (٥٨,٧٧٪) وجاءت جريدة (الزمان) بالمرتبة الثانية وبنسبة (٥٢,٩٤٪) وفي فئة (الصفحات الداخلية) جاءت جريدة (الزمان) الاولى وبنسبة بلغت (٤٣,١٤٪) وثانيا جاءت جريدة (التآخي) وبنسبة بلغت (٤٣,١٤٪)، فقد اولت جريدة (الزمان) اهتماما واسعاً في تغطيتها عبر ابراز مواضيع الازمة في الصفحات الاولى وفي الفئة الاخيرة من الجدول رقم (١٤) (الصفحة الاخيرة) حصلت جريدة (الزمان) على المرتبة الاولى وبنسبة بلغت (٣,٩٢٪) لتأتي بعدها جريدة (التآخي) في معالجتها للازمة على الرغم من اهميتها، الا انها اكتفت بعرض المحتوى الثقافي والفني والترفيهي من خلالها.

جدول (١٥) موقع المادة المنشورة في الصفحات لكل فئة من الفنون الاخبارية في الصحف عينة الدراسة

الصحيفة / الموقع	الزمان ت	الزمان ٪	التآخي ت	التآخي ٪	المجموع ت	المجموع ٪
وسط اعلى الصفحة	٠	٠	١٣	٥,٨	٢٠	
اعلى الصفحة	١٥	٢٧,٧٨	٥٥	٢٤,٥٥	٨٩	
يميناً						
اعلى الصفحة	٧	١٢,٩٦	٤٦	٢٠,٥٤	٦١	
يساراً						
وسط الصفحة	٩	١٦,٦٧	٢٩	١٢,٩٥	٤٤	
يساراً						
وسط الصفحة	١	١,٨٥	٥	٢,٢٣	٩	
وسط الصفحة	١٠	١٨,٥٢	٣٨	١٦,٩٦	٦٧	
يميناً						
وسط اسفل الصفحة	١	١,٨٥	٧	٣,١٣	١٢	

اسفل الصفحة يميناً	٦	١١,١١	٩	٤,٠٢
اسفل الصفحة يساراً	٥	٩,٢٦	١٤	٦,٢٥
صفحة كاملة	٠	٠	٨	٣,٥٧
المجموع	٥٤	١٠٠	٢٢٤	١٠٠

بينت الدراسة الى ان فئة اعلى الصفحة يميناً قد كانت محط اهتمام للصحف عينة الدراسة اذ جائت جريدة (الزمان) في المرتبة الاولى في هذه الفئة وبنسبة بلغت (٢٧,٧٨٪) وكانت بالمرتبة الثانية جريدة (التآخي) وبنسبة بلغت (٢٤,٥٥٪) وفي فئة (وسط الصفحة يميناً) جاءت جريدة (الزمان) الاولى وبنسبة بلغت (١٨,٥٢٪) وتلتها جريدة (التآخي) وبنسبة بلغت (١٦,٩٦٪) وفي فئة (وسط الصفحة يساراً) جاءت جريدة (الزمان) اولاً وبنسبة بلغت (١٦,٦٧٪) تلتها بالمرتبة الثانية جريدة (التآخي) وبنسبة بلغت (١٢,٩٥٪) واما فئة (اسفل الصفحة يساراً) فقد جاءت جريدة (الزمان) بالمرتبة الاولى وبنسبة بلغت (٩,٢٦٪) وثانيا جاءت جريدة (التآخي) بنسبة بلغت (٦,٢٥٪) وفي فئة (وسط اعلى الصفحة) فقد حصلت جريدة (التآخي) على المرتبة الاولى بنسبة بلغت (٥,٨٪) في حين لم توظف جريدة (الزمان) هذه الفئة في صفحاتها، وفي فئة (اسفل الصفحة يميناً) جاءت جريدة (الزمان) اولا بنسبة بلغت (١١,١١٪) واتت ثانياً جريدة (التآخي) وبنسبة بلغت (٤,٠٢٪)، واما فئة (وسط اسفل الصفحة) جاءت جريدة (التآخي) اولاً بنسبة بلغت (٣,١٣٪) وتلتها جريدة (الزمان) وبنسبة بلغت (١,٨٥٪)، في حين وظفت الصحف عينة الدراسة فئة (وسط الصفحة) بنشرها للموضوعات المتعلقة بالازمة حيث جاءت جريدة (التآخي) بالمرتبة الاولى وبنسبة بلغت (٢,٢٣٪) وحلت ثانيا جريدة (الزمان) بنسبة بلغت (١,٨٥٪)، واخيرا وفي فئة (صفحة كاملة) فقد جاءت جريدة (التآخي) بالمرتبة الاولى وبنسبة بلغت (٣,٥٧٪)، اذ انها عرضت مقابلات تلفزيونية كاملة للمسؤولين في حكومة الاقليم عبر تفريغها على شكل حوار مقروء في صفحة كاملة كذلك تناولت تحقيق للاحداث التي مر بها الشعب الكردي منذ تاسيس الدولة العراقية الحديثة وحتى العام ٢٠١٨ الا ان جريدة (الزمان) لم تخصص بمعالجتها للازمة صفحة كاملة لعرض الاحداث والتداعيات التي نتجت عنها، ومن هنا يتبين التنوع في عرض مواضيع الازمة في الصحف عينة الدراسة خلال الفترة التي اختارها الباحث، اذ تهدف الصحف في الغالب الى نشر موضوعاتها كل بحسب الاهمية وايضا مع ما يتوافق ورؤيتها والسياسة التحريرية التي تتبعها في النشر، تماشيا مع مصالحها وافكارها ومنها الصحف عينة البحث، كونها تعد مساحة النشر اداة ضرورية لقياس مستوى اهتمامها بالمحتوى المنشور وابراز تلك الاهمية للمتلقي واثارته بصريا من اجل جلب فضوله للمتابعة والاطلاع على جميع جوانب الصفحات.

جدول (١٦) الصور والرسوم المستخدمة في الصحف عينة الدراسة

الصحيفة	الزمان		التآخي		المجموع
الصور والرسوم	ت	٪	ت	٪	
الصور الموضوعية	١١	١٨,٩٧	٣٥	١٦,٦٧	٧٠
الصور الشخصية	٣٧	٦٣,٧٩	١٠٩	٥١,٩	١٥٦
الانفو غراف	٠	٠	٢	٠,٩٥	٢
الخرائط	٠	٠	٠	٠	٠
الالوان	١٠	١٧,٢٤	٦٤	٣٠,٤٨	١٠٢
المجموع	٥٨	١٠٠	٢١٠	١٠٠	٣٣٠

واوضح الجدول رقم (١٦) ان الصحف عينة

الدراسة وفي فئة (الالوان) جاءت (التآخي) الاولى بنسبة بلغت (٣٠,٤٨٪) وتلتها جريدة (الزمان) بنسبة بلغت (١٧,٢٤٪)، وفي فئة (الصور الشخصية) قد وظفتها بشكل واسع وكبير حيث جاءت جريدة (الزمان) بالمرتبة الاولى وبنسبة بلغت (٦٣,٧٩٪) وجاءت ثانياً جريدة (التآخي) وبنسبة بلغت (٥١,٩٪) اما فئة (الصور الموضوعية) فقد احتلت جريدة (الزمان) المرتبة الاولى وبنسبة بلغت (١٨,٩٧٪)، وجاءت ثانيا جريدة (التآخي) وبنسبة بلغت (١٦,٦٧٪) اذ انها ركزت على استخدام الصور الشخصية للمسؤولين في الاقليم عبر نشرها موضوعات الازمة، وفي فئة (الانفوغراف) فقد انفردت جريدة (التآخي) باستخدام هذه الفئة وبنسبة بلغت (٠,٩٥٪)، وفي فئة (الخرائط) فلم تستخدم هذه الفئة اي من الصحف عينة الدراسة خلال فترة الدراسة، ويتبين من خلال ذلك بأن الصحف عينة البحث عملت على توظيف عناصر الابراز في تناول موضوعات الازمة خلال الفترة التي حددها الباحث عبر اسخدام عناصر (ابناط الكتابة، الالوان، والخطوط، الصور، والعناصر التيبوغرافية الاخرى) في خطوة منها للحصول على الاستمالة العاطفية من المتلقي عن طريق توظيف الالوان واحجام الحروف في معالجتها الاخبارية وكذلك تنوع استخدام الصور والانفو غراف وبنسب متفاوتة.

قراءة في ابرز النتائج (الاستنتاجات):

١ـ ما هي أبرز القوى الفاعلة في ازمة ادارة الثروات الطبيعية بين الحكومة العراقية الاتحادية وحكومة اقليم كردستان ؟ اظهرت نتائج فيما يخص القوى الفاعلة فئتين، الاولى قوى داخلية والثانية قوى فاعلة خارجية، جاءت فئة «القوى الفاعلة الداخلية» في صحيفة الزمان وصحيفة التآخي حيث جاءت التاخي بالمرتبة الاولى لفئة (رئاسة حكومة اقليم كردستان)، وصحيفة الزمان جاءت فئة (مجلس النواب) بالمرتبة الاولى، فيما يخص الفئة الثانية (القوى الخارجية الفاعلة)، فقد جاءت بالمرتبة الاولى فئة (قوى اقليمية) بالمرتبة الاولى بالنسبة لصحيفة الزمان، اما صحيفة التآخي فقد جاءت فئة (قوى دولية) بالمرتبة الاولى، بالاضافة الى اختلاف النسب لبقية القوى التي عرضت مما يدل على ان الصحف عينة البحث تناولت عدة اطراف وربطتها بموضوع يخص العراق، حيث ظهرت هذه النتائج في الجداول رقم ١٢ و ١٣ في الاطار العملي.

٢ـ ماهي الفنون الصحفية المستخدمة في الصحف الثلاث لمعالجة ازمة ادارة الثروات الطبيعية بين الحكومة العراقية الاتحادية وحكومة اقليم كردستان ؟ استخدمت الصحف عينة البحث (الزمان والتآخي) فنون عدة وبنسب متفاوته، فيما يخص صحيفة الزمان حصل فن الخبر النسبة الاعلى من باقي الفنون بنسبة ٧٣,٠٧٪، اما التآخي ايضا الخبر المرتبة الاعلى بنسبة ٦٩,٩٦٪، وقد تفاوت النسب لبقية الفنون المستخدمة (التقرير المقال والتحقيق)، فقد انعدمت نسبة استخدام فن التحقيق والذي يبعد من اهم الفنون الصحفية المهمة كونها يتعمق بالموضوع المتناول، حيث ورد فن التحقيق بصحيفة التآخي بعدد تكرار (١) فقط ولم يرد ببقية الصحفة كما مبين بالجدول رقم ١ من الفصل العملي للدراسة.

٣ـ ما هي اسباب ازمة ادارة الثروات الطبيعية بين الحكومة العراقية الاتحادية وحكومة اقليم كردستان ؟ فيما يخص الفئة (تحميل المسؤولية) اظهرت نتائج التحليل اوردت صحيفتي الزمان والتآخي باستخدامها بشكل واسع فقد جاءت فئة (اتهامات تخص حكومة الاتحادية) بالمرتبة الاولى، مما اختلفت الصحف عينة البحث في تحميل المسؤولية من صحيفة لاخرى، فالتاخي وجهت تحميل المسؤولية على حكومة المركز (بغداد) واما صحيفة الزمان وجهت تحميل المسؤولية على عاتق حكومة الاقليم وقد ظهرت هذه النتائج في جدول رقم ٤.

٢ـ علاقة النتائج بنظريات الدراسة

نظرية التأطير الاعلامي

• تحديد وسائل الاعلام لاهتمامات الراي العام بالمواضيع، فالصحفيون هم من يختارون تلك الموضوعات.

توصل الباحث الى ان الصحف عينة البحث حددت الجمهور والرأي العام بأطر عدة منها؛ الاطر القانونية، واطر التشكيك، واطر الاشارة للاحداث التاريخية، حيث تبين ان الصحف تستخدم اطر لتحديد الجمهور بمواضيع معينة تختارها المؤسسة الاعلامية وقد ظهرت هذه العلاقة بين النظرية والنتائج في الجداول المرقيمة (٦، ٧، ٨).

• تحدد الاطر الطريقة التي تقدم بها المؤسسات الاعلامية وحراس البوابة الاعلامية والاحداث كذلك تحدد الطريقة التي يفسر بها المتلقي ما تقدم له.

من خلال التحليل وجد الباحث العلاقة بين الفرضية الخاصة بالنظرية النتائج في الجدول رقم ٩، حيث ان الصحف عينة البحث (التآخي و الزمان) استخدمت اطر عديدة حتى يفسر المتلقي ما تقصد به المواد الاعلامية المنشورة، كذلك تعمل هذه الصحف لتحديد المعنى المراد ايصاله لصناع القرار، لان مثل هكذا تفسيرات لان يمكن للمتلقي العادي فهمها.

٣ـ نتائج الدراسة العامة

١.اظهرت النتائج ان الصحف عينة البحث استخدمت الفنون الصحفية التالية؛ (الخبر، التقرير، المقال)، فلم تستخدم فن (التحقيق) الذي يعد من الفنوان الصحفية لما فيه من اهمية في تناول الموضوع وعرض مشاكل وتقديم حلول ايضا كما مبين في الجدول رقم ١ من الاطار العملي للدراسة.

٢.تبين للباحث ان الصحف عينة استخدمت عدة عنوانات ولكن اختلفت النسب من صحيفة لأخرى فصحيفة التاخي استخدمت (العنوان الرئيس) بالمرتبة الاولى بنسبة ٣٠,٣٨٪، ما صحيفة الزمان استخدمت ايضا (العنوان التمهيدي) بنسبة ٥٨,٩٣٪، مما يدل على ان هناك تفاوت فقد وزجد عناوين اخرى بشكل متفاوت بالنسب كما مبين بالجدول رقم ٢ من الفصل الرابع.

٣.اظهرت نتائج التحليل ان الصحف عينة البحث استخدمت اطر الصراع، فقد كانت صحيفة الزمان قد استخدمت فئة (الضغط بالخيار الاقتصادي) بنسبة ٢٠٪، اما صحيفة التاخي فكانت فئة (التلويح بالخيار العسكري) بنسبة ١٩٪، مما يدل على ان صحيفة التاخي حاولت تصعيد الاحداث عسكريا، اما صحيفة التآخي استخدمت فئة (التلويح بالانفصال) بنسبة ٣٠٪، وهذه النتائج ظهرت في جدول رقم ٣ من الاطار العملي.

٤.انعكست الازمة على المجتمع من خلال تناول الاخبار في عينة البحث فقد ظهرت النتائج كالاتي؛ (اهتمامات عاطفية) في صحيفة الزمان جاءت فئة (اظهار المظلومية) بنسبة ٤٠,٥٤٪، والتآخي فقد جاءت بنسبة ٧٤,٢٤٪، وجاءت هذه النتائج في جدول رقم ٥.

٥.اوضحت النتائج الفئة الرئيسية (مؤشرات الأطر القانونية) جاءت في الصحف عينة البحث من خلال الفئات الفرعية لصحيفة الزمان (التأكيد على تطبيق الدستور العراقي) بنسبة ٨٧,٥٪، اما صحيفة التآخي جاءت بنسبة ٩٣,٧٥٪، مما يدل على ان المواضيع الاخبارية جاءت متفقة على تطبيق الدستور العراقي.

٦.جاءت النتائج بالفئة الرئيسية (اطر التشكيك) جاءت في الصحف عينة البحث من خلال الفئات الفرعية لصحيفة الزمان فئة (غياب المصداقية) فقد جاءت بالمرتبة الاولى للصحف عينة البحث، فقد جاءت صحيفة الزمان ٣٤,٩٪، اما التآخي ٤٦,٧٥٪، وجاءت هذه النتائج في الجدول رقم ٧ من الفصل الرابع.

٧.اظهرت النتائج في الجدول رقم ٩ في الفئة الرئيسية (اليات واساليب التأطير) جاءت صحيفة الزمان للفئة الفرعية (الابراز) بنسبة ٢٨٠٣٣٪، اما صحيفة التآخي

٢٤,٦٨٪ لفئة (الابراز).

٨.اظهرت النتائج بالنسبة للجدول رقم ١٠ الخاص بمصدر المعلومات التي استخدمتها الصحف عينة البحث (الزمان، التآخي)، حيث جاءت فئة (كتاب داخل الصحيفة) بالمرتبة الاولى بنسبة مئوية ٤٨,٠٥٪، اما صحيفة الزمان فقد جاءت فئة (المندوب بالمرتبة الاولى بنسبة ٥٧,٨٩٪، اما صحيفة التآخي فقد جاءت فئة (المندوب) ايضا.

٩.اظهرت النتائج في جدول رقم (١١) الاحداث التي تتناولها المعالجات الاخبارية لازمة ادارة الثروات الطبيعية في الصحف عينة الدراسة، فقد طابقت كل العينات مع بعضها في فئة (ظواهر متجذرة) مع اختلاف النسب.

١٠.اظهرت النتائج ان في الجدول رقم (١٤) أماكن صفحات عرض الفنون الصحفية في الصحف عينة الدراسة، فجاءت فئة (الصفحات الاولى) بالمرتبة الاولى وبنسبة ٥٢,٩٤٪، اما صحيفة التآخي فقد جاءت ايضا فئة (الصفحات الاولى) بالمرتبة الاولى وبنسبة ٥٨,٧٧٪.

١١.اظهرت نتائج التحليل في الجدول رقم (١٥) الذي يخص موقع المادة المنشورة في الصفحات لكل فئة من الفنون الاخبارية في الصحف عينة الدراسة، وقد جاءت كل عينات الدراسة اتفقت في فئة (اعلى الصفحة يميناً) ولكن بنسب مختلفة، ففي صحيفة الزمان بنسبة ٢٧,٧٨٪، وصحيفة التآخي بنسبة ٢٤,٥٥٪.

المصادر والمراجع:

١. ابراهيم حمد عليان، (٢٠١٩) الاعلام الالكتروني وحقوق الانسان، مكتبة العربي للنشر والتوزيع.
٢. ابو اصبع، صالح خليل (٢٠٠٦) الاتصال الاعلامي في المجتمعات، ط٥، الاردن: مكتبة الاسكندرية.
٣. احمد يوسف الصالح، طلال احمد الرزوق(٢٠١٨) ادارة الموارد الطبيعية، جامعة البعث كلية الزراعة.
٤. ارجوان هاشم علي (٢٠٠٥) الصحافة العراقية في المهجر.
٥. ازهار، هاشم احمد (٢٠١٤) تنظيم العلاقة بين السلطة المركزية وسلطات الاقاليم في النظام الفدرالي، القاهرة، ط ١.
٦. الاسدي، صفاء عبد الامير، جغرافية الموارد الطبيعية (مبادئ عامة)، جامعة البصرة كلية التربية للعلوم الانسانية، قسم الجغرافية.
٧. امال معيزي (٢٠٠٥) المعالجة الاعلامية لوضع الصحافة المستقلة في الجزائر عند منظمة مراسلون بلا حدود الفرنسية.
٨. اميرة عبد الفتاح محمد (٢٠١٤) استخدام الاخبار المجهلة، القاهرة: مكتبة طريق العلم.
٩. انيس ايدير، (٢٠١٩) اطر المعالجة الاعلامية لظاهرة الهجرة غير الشرعية (الحراقة) في برامج القنوات التلفزيونية الجزائرية.
١٠. جاعد، حميد، (٢٠٠٤) أساسيات البحث العلمي، بغداد: دار الحضارة.
١١. جليلة عبدالله خلف (٢٠١٤) الوظيفة الاخبارية للبوابات الالكترونية، الامارات: دار الكتاب الجامعي.
١٢. الجواهري، حمزة (٢٠١٤) سياسة الاقليم النفطية وحتمية تقسيم العراق، مقال منشور في موقع الحوار المتمدن ـ العدد ٤٤٦٩.
١٣. حامد ربيع (١٩٨٨) كتابة التاريخ والحرب النفسية، بحث غير منشور، بغداد.
١٤. حسني محمد نصر(٢٠١٥) نظريات الإعلام، الامارات، بيروت: دار الكتاب الجامعي.
١٥. حسين، سمير محمد (١٩٩٩) بحوث الإعلام، القاهرة: عالم الكتب.
١٦. حفناوي، شيخة (٢٠١٩) الوظائف التداولية لحروف التنبيه في شعر المتنبي، مجلة الادب والحضارة الاسلامية، مج ١٢، عدد ٢٤.
١٧. حمزة السيد خليل، محمد سعد ابراهيم (٢٠٢٠) تقنيات التاطير الاعلامي وبناء المعنى، دار العلوم للنشر والتوزيع.
١٨. الحميداوي، شيماء رشيد (٢٠٠٨) مجالات استخدام الكاريكاتير في الصحافة العراقية.
١٩. الحنفي، سامح احمد (٢٠١٧) ادارة الازمات، مجلة البحوث التجارية والمالية جامعة بور سعيد، المجلد ١٨، العدد ٢.
٢٠. الخاقاني، أسعد عبود (٢٠٠٢)، مناهج الدراسات الإعلامية، الجزائر: مكتبة القيروان، ط١.
٢١. الدراجي، محمد عودة (٢٠١٨)، تقاسم الثروات وتوزيعها في دولة الاتحاد الفيدرالي، مصر: دار النهضة العربية.
٢٢. الدليمي، عبد الرزاق (٢٠١٥) نظريات الاتصال في القرن الحادي والعشرين.
٢٣. الدليمي، عبد الرزاق(٢٠١٢)، الاعلام وادارة الازمات، الاردن: دار المسيرة للنشر والتوزيع.
٢٤. الدهان، رواء هادي (٢٠٠٦) التغطية الصحفية للأخبار السياسية المحلية في الصحافة العراقية.
٢٥. الربيعي، حنان (٢٠١٨) اطر المعالجة الاخبارية لازمة استفتاء اقليم كردستان العراق في الصحف العراقية.
٢٦. الربيعي، حنان كامل صريم (٢٠١٨) اطر المعالجة الاخبارية لازمة استفتاء اقليم كردستان العراق في الصحف العراقية.
٢٧. رجب ضو خليفة المريض(٢٠١٤) ادارة الازمات الدولية، ازمة لوكربي في الاطار العربي الافريقي، القاهرة: دار زهران للنشر.
٢٨. ريهام عاطف عبد العظيم(٢٠١٩)، انماط التحيز في المعالجة الخبرية، لبنان: مكتبة العربي للنشر والتوزيع، ط ١.

٢٩. الزعبي، عرين عمر(٢٠١٥) المعالجة الصحفية للعدوان الاسرائيلي على غزة ٢٠١٤ في الصحافة الاردنية اليومية (دراسة تحليلية لصحيفتي، الراي والسبيل) جامعة اليرموك.
٣٠. سالم الشيخ، سوسن، (٢٠٠٣) ادارة وعالجة الازمات في الاسلام، القاهرة: مركز النشر للجامعات.
٣١. ستيتية، علي عدنان، إدارة الأزمات انهيار أم نجاة، مقال منشور في جريدة الشرق القطرية.
٣٢. سليمان رخا، (٢٠٢٠) الادارة العامة بين النظرية والتطبيق، جامعة دمياط
٣٣. السماك، محمد ازهر سعيد، وأخرون (١٩٨٠) اصول البحث العلمي، جامعة الموصل.
٣٤. الشجيري، سهام، صحف العراقية، دراسة تحليلية لموضوعات الانتخابات البرلمانية ٢٠١٨ في جرائد الصباح والمدى للمدة من ١/٤-١/٦/٢٠١٨، كلية الإعلام/جامعة بغداد.
٣٥. شريف سعيد حميد السعدي (٢٠٢١) معالجة الفضائيات العراقية للازمات المحلية، كلية الاعلام، جامعة بغداد، قسم الصحافة الاذاعية والتلفزيونية.

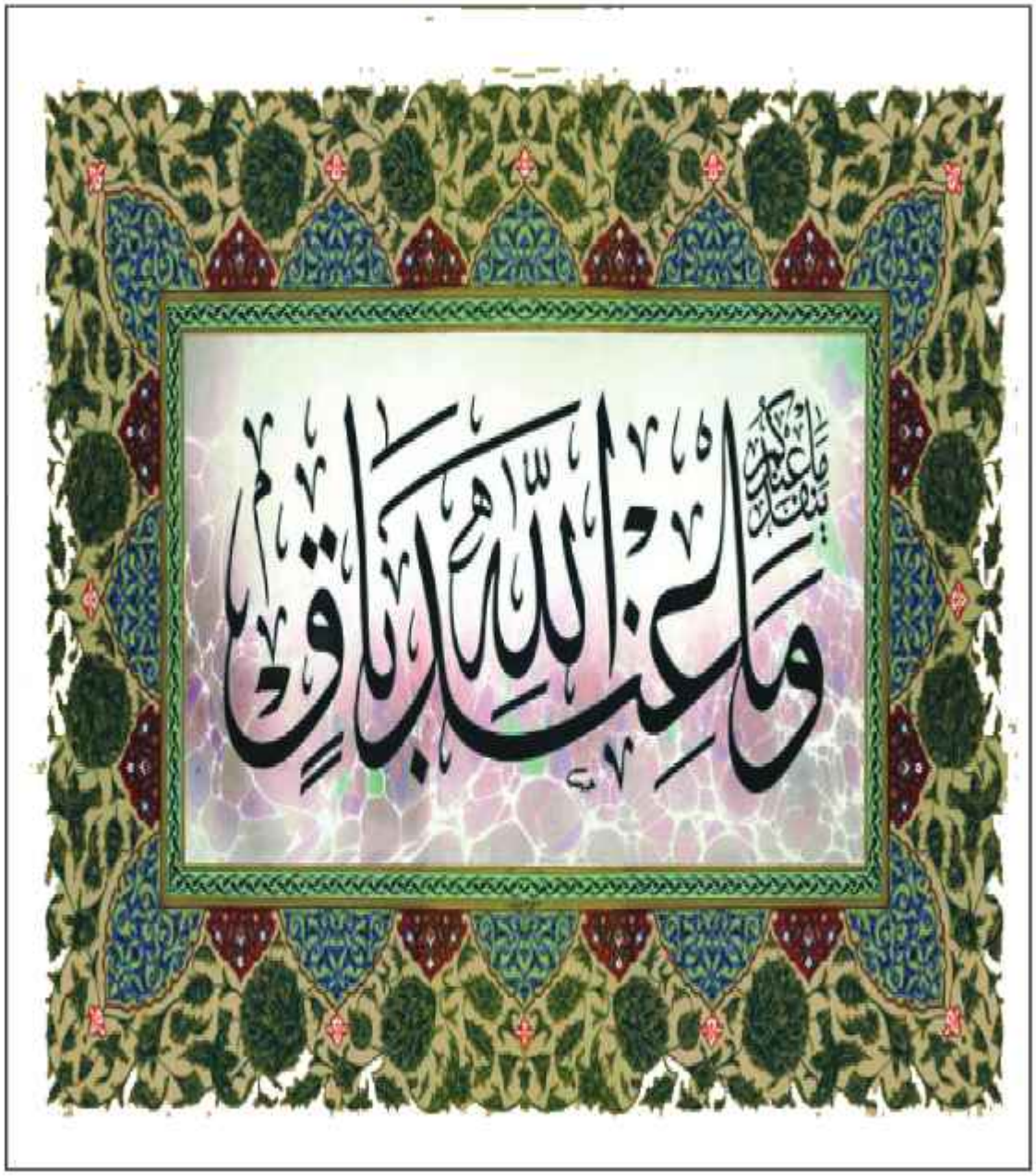

فصلية مُحَكَمة تُعنى بالبحوث والدراسات العلمية والإنسانية والفكرية
العدد (٣) السنة الثانية ذو القعدة ١٤٤٣ هـ حزيران ٢٠٢٢ م
الذكر البيض

دور الإسلام في تحصين المجتمع من خطر الجريمة والانحراف

أ. م. حيدر سامي عبد
الجامعة المستنصرية / كلية التربية الاساسية

الملخص:
يتناول هذا البحث بيان دور الإسلام في تحصين المجتمع من خطر الجريمة والانحراف.
بينت في المبحث الأول: المنهجية التربوية الإسلامية ودورها في تنشئة الفرد للوقاية من خطر الجريمة والانحراف، فبينت دور العناية بالأسرة في الوقاية من خطر الجريمة والانحراف، فهي المهد الأول الذي ينشأ فيه الفرد، وهي المؤثر الأول، والرئيسي في سلوكه. وبينت دور العناية بحقوق الطفل في الوقاية من خطر الجريمة والانحراف، نحو: حقه في التسمية، والرضاعة، والنفقة، والحضانة، والتربية الصالحة والرعاية الكاملة، وبينت دور المؤسسات التي لها علاقة بتربيته وحمايته من خطر الجريمة، والانحراف، نحو: المدرسة، والمسجد، ووسائل الإعلام.
وبينت في المبحث الثاني: دور العبادات في الوقاية من خطر الجريمة والانحراف، نحو: دور الصلاة، والصوم، والزكاة، والحج الوقائي، والتي تسهم إسهاماً فعالاً في تربية الفرد تربية روحية، وأخلاقية تقيه من شرور الجريمة، والانحراف.
وبينت في المبحث الثالث: دور التكافل الاجتماعي في انحسار الجريمة، فبينت دور التكافل المادي في انحسار الجريمة، الذي هو التكافل المعيشي للناس، وذلك بتوفير الحاجات الضرورية لهم بما يضمن لكل فرد العيش الكريم. وبينت دور التكافل المعنوي في انحسار الجريمة، الذي هو أن يشعر كل فرد نحو الآخرين بشعور الحب، والعطف، والتعاون في شؤون الحياة كافة سرائها وضرائها.

Abstract:
This paper deals with: The role of Islam in immunizing society from the danger of crime and delinquency.The first section deals with: The Islamic educational methodology and its role in the upbringing of the individual to prevent danger and deviation.
The first: The role of family care in preventing crime and delinquency.
The second: The role of child rights care in preventing the risk of crime and delinquency.
The second section deals with: The role of worship in preventing the risk of crime and delinquency.
The first: The role of prayer in preventing the risk of crime and delinquency.
The second: The role of fasting in preventing the risk of crime and delinquency.
The third: The role of zakat in preventing the risk of crime and delinquency.
The fourth: The role of Hajj in preventing crime and delinquency.
While the third section deals with: The role of social solidarity in the decline of crime.
The first: The role of material solidarity in the decline of crime.
The second: The role of moral solidarity in the decline of crime.
Key words: Protection، Family، Child، worship، Symbiosis.

المقدمة:
الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه وسلم.
أما بعد:
لقد خلق الله تعالى الإنسان، وكرمه على سائر المخلوقات، وسخر له ما في السماوات والأرض؛ لينتفع بها، قال تعالى: «وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلاً»(١). وجعله سبحانه وتعالى خليفته في الأرض، قال تعالى: «وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً»(٢)، ونبه الخالق عز وجل على أن الغرض من خلق الإنسان، هو العبادة، قال تعالى: «وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ»(٣).
وتعهده منذ بدء الخليقة بالرسالات التي تبين له طريق الخير، والهدى؛ لتحقيق مصالح الخلق بجلب النفع لهم، ودفع الضرر عنهم(٤).

وأبرز تلك المصالح هي المصالح الضرورية التي لا قيام لحياة الناس بدونها وإذا فاتت حل الفساد وعمت الفوضى واختل نظام الحياة، وهي: حفظ الدين، وحفظ النفس، وحفظ النسل، وحفظ المال، وحفظ العقل، إذ إن مقصود الشرع من الخلق خمسة: وهو أن يحفظ عليهم دينهم، وأنفسهم، وعقلهم، ونسلهم، ومالهم، فكل ما يتضمن حفظ هذه الضروريات، فهو مصلحة(٥).

وعدت الشريعة الإسلامية أي اعتداء على واحدة من هذه الضروريات الخمس، جريمة يجب منعها، واتخذت وسائل عدة لمنع وقوعها، وهي على أنواع: منها وسائل تربوية تبدأ مع الإنسان منذ ولادته، ومنها وسائل عبادية (روحية) تبدأ مع الإنسان منذ بدء التكليف، ومنها اجتماعية تحقق التكافل بين الناس، ونظراً لأهمية هذا الموضوع، والحاجة إليه في مجتمعنا، سنتناول في هذا البحث هذه الوسائل بعنوان: (دور الإسلام في تحصين المجتمع من خطر الجريمة والانحراف).

وقد اقتضت طبيعة البحث تقسيمه على ثلاثة مباحث وخاتمة.

فالمبحث الأول: بينت فيه المنهجية التربوية الإسلامية ودورها في تنشئة الفرد للوقاية من خطر الجريمة والانحراف، وجعلته على مطلبين: الأول: دور العناية بالأسرة في الوقاية من خطر الجريمة والانحراف، والثاني: دور العناية بحقوق الطفل في الوقاية من خطر الجريمة والانحراف.

والمبحث الثاني: بينت فيه دور العبادات في الوقاية من خطر الجريمة والانحراف، وجعلته على أربعة مطالب: الأول: دور الصلاة في الوقاية من خطر الجريمة والانحراف، والثاني: دور الصوم في الوقاية من خطر الجريمة والانحراف، والثالث: دور الزكاة في الوقاية من خطر الجريمة والانحراف، والرابع: دور الحج في الوقاية من خطر الجريمة والانحراف.

والمبحث الثالث: بينت فيه دور التكافل الاجتماعي في انحسار الجريمة، وجعلته على مطلبين: الأول: دور التكافل المادي في انحسار الجريمة، والثاني: دور التكافل المعنوي في انحسار الجريمة.

ثم الخاتمة التي تضمنت أهم نتائج البحث.

المبحث الأول

المنهجية التربوية الإسلامية ودورها في تنشئة الفرد للوقاية من خطر الجريمة والانحراف

تضمن الإسلام جملة من المعايير، والضوابط، والأحكام التي تضمن حسن تنشئة الفرد، ووقايته من خطر الجريمة، والانحراف، لذا فإنه اشتمل على منهج تربوي شامل، يقي المجتمع من خطر هذه الظاهرة يستند على أسس قوية متينة، قوامها العناية بالأسرة، وبحقوق الطفل(٦).

وسنتحدث عن هذه الأسس بشيء من التفصيل، وذلك في مطلبين:

المطلب الأول: دور العناية بالأسرة في الوقاية من خطر الجريمة والانحراف.

الأسرة: هي الوحدة الأولى للمجتمع، وأولى مؤسساته التي تكون العلاقات فيها في الغالب مباشرة، ويتم داخلها تنشئة الفرد اجتماعياً، ويكسب منها الكثير من معارفه، ومهاراته، وميوله، وعواطفه، واتجاهاته في الحياة، ويجد فيها أمنه، وسكنه(٧).

وعرفت أيضاً بأنها: الكيان الاجتماعي الذي من خلاله يتمكن الفرد من بناء شخصيته، وإشباع حاجاته النفسية، والروحية، والعاطفية، والجسمية على

شكل متكامل(٨).

وقد نشأت الأسرة مع نشأة الإنسان، فوجودها كان مصاحباً لوجود سيدنا آدم «عليه السلام»، قال تعالى: «وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلاَ مِنْهَا رَغَداً حَيْثُ شِئْتُمَا وَلاَ تَقْرَبَا هَـذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الْظَّالِمِينَ»(٩)، وقوله تعالى: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُواْ رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاء وَاتَّقُواْ اللّهَ الَّذِي تَسَاءلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً»(١٠).

والأسرة نعمة من نعم الله تعالى، وآية من آياته، هيأها الله للإنسان لتصفو له الحياة، وتتهيأ له أسباب الراحة، والطمأنينة قال تعالى: «وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجاً لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ»(١١).

فالأسرة: هي المهد الأول الذي ينشأ فيه الفرد، وهي المؤثر الأول، والرئيسي في سلوكه(١٢). ولأهمية الأسرة، وعظم دورها في المجتمع، فإن الإسلام قد اهتم بهذا الكيان أهمية فائقة، وتتضح من خلال عنايته بحسن الاختيار، وهي وحدة الرجل والمرأة في صورة الزواج الصحيح، فهو الأساس الطبيعي لبقاء النوع البشري، وسلالته المتعاقبة(١٣).

فالغريزة الجنسية لم تخلق لتكون غاية في إشباع اللذة، وإنما هي وسيلة لثمرة أسمى، تحافظ على استمرارية حياة الإنسان بصورة تتلاءم مع الكرامة التي منحها الله تعالى إياه، يقول تعالى: «وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلاً»(١٤).ولهذا تفرعت عن الغريزة الجنسية غرائز فرعية وهي(١٥):

١.الغريزة الشهوانية الحيوانية التي تجذب احد الجنسين نحو الآخر.

٢.غريزة العاطفة الروحية المعنوية، التي تجمع بين الزوجين عن طريق بناء الكيان الزوجي.

٣.غريزة الحب الأسري الذي يربط بين الزوجين من جهة، وبينهما وبين الأولاد من جهة أخرى حين نشوء الأسرة، وهي الغريزة الأسمى؛ لأن الأسرة إن صحت، صح المجتمع، وإن فسدت فسد المجتمع.

ولأجل أن ينبت الإنسان نباتاً حسناً، ويصبح نبتة صالحة في بناء كيان المجتمع بعيداً عن كل نوع من أنواع السلوك الجرمي، حدد الإسلام طبيعة الاختيار، فقد دعا إلى ضرورة اختيار الزوجة الصالحة عند الإقدام على الزواج، فقال «صلى الله عليه وآله وسلم»: «تنكح المرأة لأربع: لمالها، ولحسبها، وجمالها، ولدينها، فاظفر بذات الدين تربت يداك»(١٦).

ودعا الإسلام أيضاً أهل الفتاة إلى اختيار الصالح من الرجال لفتاتهم، فقال «صلى الله عليه وآله وسلم»: «إذا خطب إليكم من ترضون دينه وخلقه، فَزَوجوه، إلا تفعلوا، تكن فتنة في الأرض، وفساد عريض»(١٧).

وبحسن اختيار كل من الزوجين للآخر، تستمر الحياة الزوجية، وتكون مليئة بالسعادة والحب، وتضمن للأولاد ثمرة هذا الزواج حسن التربية والرعاية؛، لأن الطفل لا يكون سوياً في سلوكه في بيت مملوءٍ بالبغضاء، والشحناء، وتسوده الخلافات، ويسيطر على وجوده دوماً سوء التفاهم(١٨).

ولقد أكد العديد من البحوث والتجارب الأهمية البالغة لدور الأسرة في التنشئة الاجتماعية، موضحة الخطوة التي تهدد الطفل، عندما لا تتوافر له أسرة طبيعية

صالحة، وتنشئة سليمة، أو عندما يتعرض كيان الأسرة للتصدع والتفكك، أو عندما يغيب احد الأبوين لسبب طارئ لمدة زمنية معينة(١٩).

فحسن الاختيار يحافظ على وحدة الأسرة، وتماسكها، ويحقق السعادة للزوجين، وتحيا الأسرة مليئة بالسعادة والحب، وهذا يضمن للنشء حسن التربية والرعاية، ويحقق له الإشباع النفسي، والروحي، والعاطفي الذي يحول بينه وبين شرور الجريمة والانحراف(٢٠).

وتزداد مسؤولية الأسرة في أيامنا خطورة، وأهمية عن ذي قبل؛ لكون عناصر الحياة خارج البيت ليست موافقة للتنشئة الإسلامية، فعلى الأبوين أن يكونا يقظين؛ لتهيئة الحماية الكاملة للأبناء من مزالق الانحراف، لذلك تتحتم على الأبوين جملة من الأمور أبرزها(٢١):

١.تعويد الطفل على تذكر عظمة الله، ونعمه، والاستدلال على توحيده، من آثار قدرته، وتفسير مظاهر الكون من برد، وحر، وليل، ورياح شديدة، وأمطار، ونحو ذلك، تفسيراً يحقق هذا الغرض؛ لإبقاء فطرة الطفل على صفائها، واستعدادها لتوحيد الله، وتمجيده.

٢.إظهار الاستياء من انحرافات الضالين، والمجرمين، ومن تبعهم أمام الناشئ(٢٢).

وبناءً على ما تقدم، فإن الأسرة تحقق معانيَ اجتماعيةً مهمة، تتلخص في الآتي(٢٣):

١.تحافظ على صيانة الأنساب.

٢.تحافظ على المجتمع من الآفات، والأمراض الخلقية، والفوضى الجنسية، وهي بهذا المعنى تعمل على تنمية معاني العفة، والطهارة في نفوس الأفراد والجماعات .

٣.تحافظ على سلامة أفراد المجتمع من الأمراض الجنسية الناشئة عن الاتصال غير المشروع.

٤.تربي الأسرة أفرادها على تحمل المسؤوليات،

والواجبات، إذ إنها تعدهم إعداداً متكاملاً لمواجهة حياتهم المقبلة.

المطلب الثاني: دور العناية بحقوق الطفل في الوقاية من خطر الجريمة والانحراف.

اعتنت الشريعة الإسلامية بحقوق الطفل، وأكدت ضرورة التزامها وعدم التهاون بها من قبل الوالدين، ولكي تعد الأسرة الطفل للحياة الاجتماعية، جعل الشرع له جملة من الحقوق على الوالدين أن يعطوها له، ومن أبرز هذه الحقوق:

أولاً: حقه في التسمية.

فمن حق الطفل أن يسمى باسم مقبول يقبله المجتمع، ففي ذلك تأكيد لذاته، وله دور كبير في نمو شخصيته، وفي علاقته، وتفاعله مع الآخرين، فقد ورد عن النبي «صلى الله عليه وآله وسلم» أنه قال: «إنكم تدعون يوم القيامة بأسمائكم، وأسماء آبائكم، فأحسنوا أسماءكم» (٢٤)، وورد عن علي بن أبي طالب «عليه السلام» أنه قال: «أول ما يَبَرُّ الرجل ولده أن يُسَمِّيه باسم حسن، فليحسن أحدكم اسم ولده»(٢٥).

ثانياً: حقه في الرضاعة.

للرضاعة دور كبير في نماء صحة الطفل، إذ إنها تحميه من الأمراض، وتكسبه مناعة ضد الجراثيم، كما أن الرضاعة تنمي الحنان، وتقوي الرابطة العاطفية بين الطفل وأمه، فيشعر الطفل بالطمأنينة، ومشاعر الأمن والأمان(٢٦).وقد أعطى الإسلام عناية كبيرة لإرضاع الطفل من حليب الأم؛ لما له من تأثير في تكوين شخصيته، وسلوكه في المستقبل، قال تعالى: «وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ حَوْلَيْنِ

كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَن يُتِمَّ الرَّضَاعَةَ»(٢٧).
فهذا النص، وإن ورد بصيغة جملة خبرية، إلا أنه في الحقيقة والمعنى جملة طلبية، إذ طلب من الأمهات على وجه الحتم والإلزام أن يرضعن أولادهن بأنفسهن، إن أمكن ذلك، وأسلوب الطلب في هذه الصورة يعد فَنّاً بلاغياً يدل على أهمية الحكم(٢٨).

ثالثاً: حقه في النفقة.

أوجب الإسلام نفقة للولد على والده(٢٩)، لقوله تعالى: «وَعلَى الْمَوْلُودِ لَهُ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ»(٣٠)، أي على الأب المولود له نفقة أولاده، بسبب الولادة، كما تجب عليه نفقة الزوجة بسبب الولد أيضاً، لقوله «صلى الله عليه وآله وسلم» لهند بنت عتبة: «خذي ما يكفيك وولدك بالمعروف»(٣١). وورد عن محمد بن مسلم، عن أبي عبد الله الصادق «عليه السلام»، قال: قلت له: «من يلزم الرجل من قرابته ممن ينفق عليه؟» قال: «الولِدَان والوَلَد والزوجة»(٣٢).
والنفقة صورة من صور التكافل الاجتماعي(٣٣)، الذي يقي المجتمع من الجريمة(٣٤).

رابعاً: حقه في الحضانة.

الحضانة: هي تربية وحفظ من لا يستقل بأمور نفسه عما يؤذيه؛ لعدم تمييزه، نحو: طفل، وكبير، مجنون، وذلك برعاية شؤونه، وتدبير طعامه، وملبسه، ونومه، وتنظيفه، وغسله، وغسل ثيابه في سن معين، ونحوها (٣٥).وللحاضنة دور كبير في سلوك الطفل، فهو يقلدها لا إرادياً في أقوالها، وأفعالها، وصفاتها وأخلاقها، وفي تصرفاتها جميعها، كما يقلدها تلقائياً في تعلم لغتها (٣٦)، لذلك اشترط الإسلام في الحاضنة بأن تكون أهلاً لهذه الرسالة الإنسانية، القدرة على تربية الطفل تربية سليمة تصونه في خلقه، وصحته، فلا حضانة للعاجز؛ لكبر سن، أو مرض، أو شغل. والأمانة على الأخلاق، فلا حضانة لغير أمين على تربية الولد، وتقويم أخلاقه(٣٧).فكل ما يتلقاه الطفل من الحاضنة في مرحلة الحضانة من العاطفة، والحنان، والمحبة، والمودة، والانسجام، والوئام، والابتسام، ينعكس دوره في المستقبل في معاملته مع محيطه الاجتماعي بالأسلوب نفسه الذي عومل به في تلك المرحلة(٣٨).
وقد أعطى الإسلام للأم، الأولوية في ممارسة مهمة الحضانة؛ لوفرة حنانها، وعطفها، ومودتها بولدها، فقد ورد أن امرأةً جاءت إلى النبي «صلى الله عليه وآله وسلم»، فقالت له: «يا رسول الله، إن ابني هذا، كان بطني له وعاءً، وثديي له سقاءً، وحجري له حواءً، وأن أباه طلقني، وأراد أن ينتزعه مني»، فقال: «أنت أحق به، ما لم تنكحي»(٣٩)، وسُئِل أبو عبد الله الصادق «عليه السلام»، عن الرجل يطلق امرأته، وبينهما ولد، أيهما أحق بالولد؟ قال: «المرأة أحق بالولد، ما لم تتزوج»(٤٠).

خامساً: حقه في التربية الصالحة والرعاية الكاملة.

تهدف الشريعة الإسلامية إلى بناء شخصية الطفل بناءً متكاملاً يشمل جوانب الحياة كافة: الروحية، والخلقية، والاجتماعية، والصحية، والفكرية، فمن واجب الأسرة نحو أبنائها، تنشئتهم على طاعة الله، وحب رسوله، وتلقيهم مبادئ الدين الحنيف، وتعرفهم بالقيم، والأخلاق، والآداب الاجتماعية(٤١).
ومن المؤسسات التي لها علاقة بتربية الطفل، ودور كبير في حمايته من خطر الجريمة، والانحراف: المدرسة، والمسجد، ووسائل الإعلام، ويمكن توضيح هذا الدور بما يأتي:

١.المدرسة:

المدرسة: هي المؤسسة التي أنشأها المجتمع لتربية، وتعليم صغاره نيابة عن الكبار الذين منعتهم مشاغل الحياة، وحالت دون تفرغهم للقيام بتربية صغارهم(٤٢).

وهي إحدى المؤسسات التربوية التي تشارك في صقل شخصية الطفل، وإعداده للحياة، إذ تسعى إلى تحقيق أهم الأهداف التربوية في النظام التربوي، وهو مساعدة الطفل على أن يحقق أحسن إمكاناته، وعلى إنماء شخصيته حتى يصبح مواطناً صالحاً، وهذا يعني أن المدرسة تقوم بعملية تربية تستهدف تغيير سلوك الطفل، وشعوره، وفكره تغييراً يتفق مع أهداف هذه التربية(٤٣). فهي تقوم بإعداد الأطفال إعداداً صالحاً شاملاً تربوياً، واجتماعياً، وعقلياً، وخلقياً، ومعرفياً، ليكونوا أعضاء صالحين، وايجابيين في المجتمع، إذ تقوم المدرسة بدور كبير في وقاية الطفل من خطر الجريمة، والانحراف، وتقوم بدور علاجي أيضاً، وذلك من خلال مواجهة مشكلات الطفل السلوكية، ووضع الحلول لها(٤٤).فالطفل يأتي إلى المدرسة، وهو محمل بشحنات انفعالية خاصة، واتجاهات، وأنماط، وسلوكيات، قد حددتها الأسرة، وجماعة الأصدقاء، وبيئة الحوار، وقد يكون أداء الوظائف الاجتماعية لهذه القوى فيه شيء من الخلل، والنقص، مما يؤثر تأثيراً سلبياً على شخصية الطفل، وهنا تقوم المدرسة بدور كبير في التغلب على الآثار السلبية لهذه القوى الاجتماعية، ومواجهة القيم التي تتعارض مع قيم المدرسة، والمجتمع على نحو عام(٤٥).وبناءً على ما تقدم يمكن بيان بعض الوسائل الوقائية التي تمكن المدرسة مساعدة الطلبة في حمايتهم من خطر الجريمة، والانحراف، ومن هذه الوسائل ما يأتي(٤٦):

أ-وقاية الطلبة من بعض الجماعات، أو القيادات المنحرفة، وذلك من خلال استثمار أوقات فراغهم فيما يشبع حاجاتهم الروحية، والنفسية، والاجتماعية، ومد جسور التعاون مع الأسرة؛ لرعاية ظروف النشء الصحية، والنفسية، والاجتماعية.

ب-تنمية الثقة بالنفس لدى الطلاب، وتشجيعهم على مواجهة مشكلاتهم، وتدريبهم على معالجتها، وهذا يتطلب من المشرفين على العملية التعليمية مراعاة الظروف الانفعالية للطلاب.

ج-الكشف عن احتياجات الطلاب، والعمل على متابعتها في مختلف الميادين، والأنشطة الثقافية، والاجتماعية، والنفسية، والرياضية.

٢.المسجد:

يعد المسجد مركزاً للإشعاع الفكري والتربوي، يتشبع فيه المسلمون بفضائل الأخلاق، وكريم الشمائل، وفيه يتعلمون القرآن، ويرتلونه، وفيه يتعلمون الحديث، والفقه، وكل ما يحتاجون من نظم الحياة الاجتماعية، كما أراد الله أن ينظمها للإنسان(٤٧).

فهو ينظم العلاقة بين الإنسان، وربه، وبين الإنسان، وأخيه الإنسان، ومن أروقة المساجد، تنشأ النماذج الصالحة من الشباب المسلم، الذين يسعون على تقدم المجتمع، ورقيه، ويعد المسجد وسيلة مهمة لتحقيق التعاون بين الفرد، والمجتمع، وتكوين شخصية الأمة، وبناء كيانها(٤٨).

وعندما يأخذ المسجد مكانه الطبيعي الذي بُنِيَ من أجله، وأراده الله له، يصبح من أعظم المؤثرات التربوية في نفوس الناشئين، فيتربوا في ظله، وينمو في نفوسهم الشعور بالمجتمع، والاعتزاز بالجماعة، وفهم

هدفهم من الحياة، وما أعد الله لهم في الدنيا والآخرة(٤٩).

فمن هنا يصبح المسجد المعقل الذي يلجؤون فيه إلى بارئهم، والمنطلق الذي يتزودون منه لرحلتهم في الحياة، ويستمدون منه السكينة، والقوة، والعون، ويعمرون قلوبهم بشحنات جديدة من الطاقات الروحية، بما يمنحهم الله من صبر، وبأس، وإقدام ووعي، وبُعُد نظر(٥٠).

وحتى يتمكن المسجد من أداء رسالته في مجال حفظ النشء من خطر الجريمة، والانحراف، فلا بد من تحقيق الأمور الآتية(٥١):

أ- العناية بالمسجد لا من حيث البناء فقط، بل من حيث ملحقاته، كأن يكون فيه مكتبة عامة، وقاعات للمناسبات الاجتماعية، وعيادات تقدم مختلف الخدمات الإنسانية، حتى يقوم بدوره التربوي والإصلاحي، فضلاً عن ذلك العناية باختيار الأئمة، والوعاظ، فمن الضروري إسناد مهمة الإمامة، والخطابة إلى الكفاءات الدينية، والعلمية، والثقافية، ومن لديهم التأثير في النفوس، أما إسناد مهام المسجد إلى فئات غير مؤهلة دينياً، وثقافياً، وعلمياً، فذلك أمر خطير، ويترك نتائج وخيمة على المستوى الفردي، والاجتماعي.

ب-تعاون الأسرة والمجتمع مع القائمين على المسجد، فالأسرة هي المهد الأول الذي ينشأ فيه الفرد، وهي المؤثر الأول والرئيسي في سلوكهم(٥٢)، فمن الضروري أن تكون قد لقنته المبادئ الأساسية لعقيدته، ومن ثم تعوده الذهاب إلى المسجد؛ لتصقل شخصيته بالإيمان، وقواعده التي تحميه من خطر الجريمة، والانحراف. وأما تعاون المجتمع مع المسجد، فيجب أن يكون مؤثراً وموجهاً نحو تنشئة الفرد تنشئة صالحة، تعزز في نفسه بذور الإصلاح، والتقوى، والطاعة، ومن ثم تكون مهمة المسجد تنمية هذه المبادئ.

ج-العمل على الإكثار من عقد الندوات،والمحاضرات الدينية، والثقافية، ولاسيما في أوقات الفراغ، والعطلات الرسمية، وأن تتناول هذه اللقاءات الموضوعات ذات العلاقة بهموم ومشاكل أفراد المجتمع، وسد حاجتهم، مع التعاون والتواصل بين الأسرة، والمجتمع والمسجد حتى يمكن للمسجد الحد من ظاهرة الإجرام، والانحراف، وحماية النشء من كل ما يسئ إلى أخلاقهم، وعقيدتهم.

٣.وسائل الإعلام:

ويقصد بها: هي المؤسسات الحكومية والأهلية، الرسمية، وغير الرسمية التي تهتم بنشر الوعي الثقافي بين أفراد المجتمع، وتتمثل في الإذاعة، والتلفاز، والصحافة(٥٣).

وتسهم هذه الوسائل في تشكيل شخصية الفرد، وتكوين فكره، ونظره، وتنشئته على أنماط سلوكية محددة، وتصل بينه، وبين الثقافات الأخرى(٥٤)، ولذلك يمكن القول عن وجود أرضية مشتركة بين التربية، والإعلام، تجيز لنا القول بأن العملية الإعلامية في بعض جوانبها هي عملية تربوية، وأن العملية التربوية في بعض جوانبها، هي عملية إعلامية(٥٥).بيد أن هذه الوسائل تحمل جوانب سلبية كثيرة، لذا يتطلب استخدامها بصورة ايجابية، وتوجيهها توجيهاً سليماً؛ لتسخيرها في خدمة الفرد، والمجتمع(٥٦).

ومما تقدم يتبين لنا خطورة هذه الوسائل في تنشئة الفرد، فهي سلاح ذو حدين، فإذا استخدمت على وفق المنظور الإسلامي، فسيكون لها دور عظيم في غرس، وتعميق

الإيمان، والطاعة في النفوس(٥٧).

المبحث الثاني

دور العبادات في الوقاية من خطر الجريمة والانحراف

العبادات فرائض فرضها الله تعالى على عباده ليتقربوا بها إليه، لا لشيء آخر، قال تعالى: «وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ»(٥٨)، وقد شرعت لتنظيم علاقة الإنسان بربه، وبالشعور الدائم بمراقبته له في العلن والخفاء، الذي لا يغيب عن علمه شيء من الخير والشر، يثاب من عمل الخير على فعله، ويعاقب من ارتكب الشر على جريمته(٥٩)، قال تعالى: «فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْراً يَرَهُ * وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرّاً يَرَهُ»(٦٠)، فسيستشعر الإنسان بعظمة خالقه في كل تصرف، ويصبح قوي الإرادة متحرراً من عبودية الشهوة والأطماع(٦١)، فضلاً عن أنها تعطي نتائج ايجابية لا تقتصر على المسلم العابد بل تعم المجتمع بأسره(٦٢).وللعبادات دور كبير، ومميز في بناء الفضائل الإيمانية، وتقوية الروابط الاجتماعية، والسمو بأهداف الجماعة وغاياتها نحو الكمال، والنجاح، فضلاً عن أنها تسهم إسهاماً فعالاً في تربية الفرد تربية روحية، وأخلاقية تقيه من شرور الجريمة، والانحراف(٦٣). وهذه العبادات منها بدنية محضة، نحو الصلاة والصوم، ومنها مالية محضة، نحو الزكاة، ومنها مالية وبدنية في وقت واحد، نحو أداء فريضة الحج.

لذا سنتناول دور هذه العبادات الوقائي، في مطالب أربعة:

المطلب الأول: دور الصلاة في الوقاية من خطر الجريمة والانحراف.

الصلاة: هي أقوال وأفعال مخصوصة تؤدى في أوقات محددة، بشرائط معينة، مفتتحة بالتكبير، مختتمة بالتسليم(٦٤).

وقد أمر الإسلام الآباء بتعليم أولادهم الصلاة لسبع سنين، لقوله «صلى الله عليه وآله وسلم»: «مُرُوا أولادكم بالصلاة، وهم أبناء سبع سنين»(٦٥)، وعن أبي عبد الله الصادق «عليه السلام» عن أبيه قال: «مُرُوا صبيانكم بالصلاة، إذا كانوا بني سبع سنين»(٦٦)، فتعليم الصلاة دون سن البلوغ، فيه تعويد منذ الصغر على تقوية صلتهم بربهم؛ لأن الصلاة توثق العلاقة بين العبد، وبين ربه، فيناجي فيها المصلي ربه على أن يهديه إلى الطريق المستقيم(٦٧).

وفيها تقوية النفس، والإرادة، والاعتزاز بالله تعالى دون غيره، والسمو عن الدنيا ومظاهرها، والترفع عن مغرياتها وأهوائها، وعما يحول في النفس، مما لدى الآخرين من جاه، ومال، وسلطان(٦٨)، قال تعالى: «وَاسْتَعِينُواْ بِالصَّبْرِ وَالصَّلاَةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلاَّ عَلَى الْخَاشِعِينَ»(٦٩).

والصلاة ليست مقصودة لذاتها؛ لأن الله تعالى غني عن عبادة العابدين، وإنما شرعت؛ لتنهي الناس عن الفحشاء والمنكر، وتقوي صلتهم بالله تعالى، قال تعالى: «وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاء وَالْمُنكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ»(٧٠). فهي تنهى، وتمنع المصلي عن العمل الفاحش، والتصرف المنكر، وتعد وسيلة فعالة من الوسائل الوقائية لمكافحة الإجرام، إن أقيمت بروحها، لا بصورتها، وبحقيقتها وجوهرها، لا بشكلها الذي أخذه تقليداً من الآباء، دون الشعور بأهميتها، والغاية منها(٧١).

المطلب الثاني: دور الصوم في الوقاية من خطر الجريمة والانحراف.

الصوم: هو الإمساك نهاراً عن المفطرات بنية من أهله، من طلوع الفجر إلى غروب الشمس(٧٢).

أي: إن الصوم امتناع فعلي عن شهوتي البطن، والفرج، وعن كل شيء حسي يدخل الجوف من دواء، ونحوه، في زمن معين، أي من طلوع الفجر إلى غروب الشمس، من شخص معين أهل له، وهو المسلم البالغ العاقل السليم بنية التقرب إلى الله تعالى(٧٣).

فالصوم تقوى الله تعالى، والشعور مع المحروم، وتعويد على الصبر، والتحمل، وتقوية لشعور الإنسان بدوام مراقبة الله تعالى(٧٤).

وجعل الإسلام تقوى الله تعالى الغاية من الصوم، قال تعالى: «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ»(٧٥).

والصوم فضلاً عن أنه عبادة، فأنه يعد مظهراً أساسياً من مظاهر الاستقامة، ووسيلة فعالة في تقوية ضمير الفرد، ويقظته(٧٦)، فهو رياضة روحية تهذيبية لسلوك الإنسان، وله تأثير كبير في الوقاية، واكتساب المناعة ضد الإجرام(٧٧).

ويمكن للصيام أن يؤدي دوره الوقائي من الجريمة، والانحراف، وذلك في ثلاث مراتب، على النحو الآتي(٧٨):

المرتبة الأولى:

الإمساك والامتناع عن الأكل، والشرب، والشهوات، فهذا هو الصوم الذي يكتفي به أكثر الناس، ولذا لا نرى له دوراً فعالاً في تقييم سلوكهم.

المرتبة الثانية:

صوم الجوارح، والأعضاء البدنية، وإمساكها عن كل ما يؤذي الإنسان، فصوم اللسان إمساكه عن الكلام المؤذي، وصوم الأرجل منعها من المشي نحو تنفيذ عمل الشر، وصوم الأيدي منعها من إيذاء غيره، وصوم الأذان إمساكها عن الإصغاء للكلام الباطل، وصوم العين غضها عن عورات الناس.

المرتبة الثالثة:

صوم القلب تطهير النفوس عن النوايا السيئة تجاه غيره، وتهذيبها من الصفات الباطنية الرذيلة، نحو الحقد، والحسد، والتكبر، والطغيان.

المطلب الثالث:دور الزكاة في الوقاية من خطر الجريمة والانحراف.

الزكاة: هي جزء مقدر من المال، أوجبه الله تعالى على الأغنياء حقاً للفقراء(٧٩).

فقد شرع الإسلام نظام الزكاة لحل مشكلة الفقر، التي هي تحديد نسبة معينة، تؤخذ من أموال الأغنياء، وتدفع للفقراء والمساكين، قال تعالى: «وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ* لِّلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ»(٨٠)، فهي فريضة مالية اجتماعية تطهر نفس المزكي من الشح، وتطهر ماله من النقص، وتطهر نفس الفقير من الحقد، والحسد، وهي تعاون على البر والتقوى في تحقيق التكافل الاجتماعي(٨١)، قال تعالى: «خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلاَتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْ وَاللّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ»(٨٢).

ويعود سر كون الزكاة وسيلة وقائية لمكافحة الجرائم، إلى أسباب كثيرة منها(٨٣):

١.القضاء على مشكلة الفقر بصورة تدريجية.

٢.تضييق نطاق التفاوت الطبقي بين الأغنياء، والفقراء، فالفقير يصعد، والغني ينزل إلى أن يلتقيا في مستوى واحد، أو يتقاربا، قال تعالى: «كَيْ لَا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الْأَغْنِيَاء مِنكُمْ»(٨٤).

٣.الوقوف ضد طغيان الأغنياء، قال تعالى: «كَلَّا إِنَّ الْإِنسَانَ لَيَطْغَى*أَن رَّآهُ اسْتَغْنَى»(٨٥)، فالزكاة تزكي المزكي من هذه الصفة الرذيلة على وفق قوله تعالى: «خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا»(٨٦).

٤.تقوية الصلة بين الغني والفقير بعد شعور الفقير بأنه له حصة من أمواله، فبدل من أن يتعدى على ماله، ويتمنى زواله، يتعاون معه، ويدعو له بالزيادة.

المطلب الرابع: دور الحج في الوقاية من خطر الجريمة والانحراف.

الحج: هو زيارة مكان مخصوص في زمن مخصوص بفعل مخصوص(٨٧).

فهو مؤتمر سنوي عالمي في العالم الإسلامي يلتقي فيه المسلمون من أماكن مختلفة، فيوحد كلمتهم، ويحل مشاكلهم، ويزيل الخلافات بينهم(٨٨).

والحجاج حين يكونون في زي الإحرام متوجهين إلى قبلة واحدة خاشعين لرب واحد، يتجردون عن صفاتهم الرذيلة من الأنانية، والانحياز، والتعصب الإقليمي، أو القبلي، أو المذهبي، أو الطائفي(٨٩).

فالحج يعد مدرسة للتجرد، ونكران الذات، والجهاد في سبيل الله تعالى، وفيه إحياء لذكرى تضحية سيدنا إبراهيم ولده إسماعيل «عليهما السلام»، وفيه معنى وحدة الهدف، والتوجه للأمة الإسلامية، وهو فرصة للتعارف(٩٠)، ففيه تقوية للصلاة الدينية، والاجتماعية، فضلاً عن شهود المنافع التجارية، والاقتصادية(٩١)، قال تعالى: «لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ»(٩٢).فبهذه الطريق الروحية الجماعية التضامنية، تغرس في نفس الإنسان روح الألفة، والمحبة، والتسامح، والتعاون، وتمكنه من صون نفسه من خطر الجريمة، والانحراف(٩٣).

المبحث الثالث

دور التكافل الاجتماعي في انحسار الجريمة.يتحقق هذا الدور في انحسار الجريمة بصورتين: مادية، ومعنوية، ويمكن توضيح ذلك في مطلبين:

المطلب الأول: دور التكافل المادي في انحسار الجريمة.ويقصد به: التكافل المعيشي للناس، وذلك بتوفير الحاجات الضرورية لهم من مأكل، وملبس، ومسكن بما يضمن لكل فرد العيش الكريم الذي ينسجم مع تكريم الله له، قال تعالى: «وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ»(٩٤).والتكافل المادي دعامته المال، وسبيله مد يد المعونة للمحتاجين، وتفريج كربة المكروبين، وتأمين الخائفين، وإشباع الجائعين، وقد دعا الإسلام إلى هذا النوع من التكافل، وحث عليه، واستنهض الهمم فيه، وأطلق عليه الأسماء المحببة فيه الداعية إليه، نحو الزكاة، والإحسان، والصدقة، والإنفاق في سبيل الله(٩٥).

ففي الزكاة، قال تعالى: «وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ* لِّلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ»(٩٦)، وفي الإحسان، قال تعالى: «إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ»(٩٧)، وفي الصدقة، قال تعالى: «إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَابْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ»(٩٨)، وفي الإنفاق في سبيل الله، قال تعالى: «وَأَنفِقُواْ فِي سَبِيلِ اللّه» (٩٩).

إلا أن الإسلام أوجب على الإنسان ابتداء أن يسد حاجته، ومن يعول بنفسه، وحثه على العمل، والكد، والسعي لتحصيل ذلك(١٠٠)، قال تعالى: «هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذَلُولاً فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِن رِّزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ»(١٠١).

وقد أوجب الإسلام على ولاة الأمور تهيئة فرص العمل للقادرين عليه، بل أن بعض الفقهاء المسلمين، ذهب إلى القول بأن على الدولة إعانة الفقير من بيت المال، بما يمكنه من العمل، والكسب لتأمين حاجاته الضرورية في المعاش(١٠٢).

أما إذا كان الإنسان عاجزاً عن العمل، فقد أوجب الإسلام كفالته بطرق عدة،

منها الزكاة، فهي ركن من أركان الإسلام، وأوجب صدقة الفطر على كل مسلم يجد ما يزيد عن كفايته، وهي صورة لمبدأ التكافل الاجتماعي بشكله المادي بين المسلمين لكي يتعلم المسلم من دينه، كيف يسع الناس بعضهم بعضاً في المجتمع الإسلامي(١٠٣).

ولتحقيق التكافل المادي، شرّع الإسلام نظام الإرث، والوصية، والوقف، والكفارات، وسائر الصدقات التي تتجه في مجموعها إلى إنقاذ الفقراء، والمحتاجين، وتمكينهم من الحياة الكريمة(١٠٤).

ولم يترك الله سبحانه وتعالى أمر الصدقات بأنواعها كلها من دون بيان، تأكيداً لخطورتها وأهميتها في إعانة الطبقات الضعيفة، وتحقيق الانسجام بين أفراد المجتمع(١٠٥)، إذ قال تعالى: «إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاء وَالْمَسَاكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللّهِ وَابْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِّنَ اللّهِ وَاللّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ»(١٠٦).

وأوجب الإسلام كفالة اليتيم، والإنفاق عليه، وامتدح كافل اليتيم، ووعده بالحسنى، قال تعالى: «وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِيناً وَيَتِيماً وَأَسِيراً»(١٠٧).وقال رسول الله «صلى الله عليه وآله وسلم»: «أنا وكافل اليتيم في الجنة هكذا»(١٠٨)، وشملت رعاية الإسلام (الأرملة) أيضاً التي ليس لها مورد عيش، والمسكين الذي ليس لديه ما يكفيه، وقد وعد رسول الله «صلى الله عليه وآله وسلم» كفالتهما بمنزلة الجهاد في سبيل الله، أو صيام النهار، أو قيام الليل، إذ قال «صلى الله عليه وآله وسلم»: «الساعي على الأرملة، والمسكين، كالمجاهد في سبيل الله، أو كالذي يصوم النهار، ويقوم الليل»(١٠٩).

وبهذا النظام الدقيق يكون الإسلام قد كفل عيش كل فرد في المجتمع، وهذا عامل مهم للقضاء على الجريمة، إذ إن كثيراً من الجرائم سببها العوز، والفاقة، وشظف العيش التي يمر بها بعض الناس(١١٠).

المطلب الثاني: دور التكافل المعنوي في انحسار الجريمة.ويقصد به: هو أن يشعر كل فرد نحو الآخرين بشعور الحب، والعطف، والتعاون في شؤون الحياة كافة سرائها وضرائها(١١١).

فتدفع إليه العواطف النبيلة، والعناصر الخيرة المستندة إلى الإيمان الراسخ في قلب المؤمن، وهو قمة ما يجب أن يسعى الإنسان لتحقيقه في هذه الحياة، فقد ورد عن أبي جعفر «عليه السلام»، أنه قال: «إن إعرابياً من بني تميم أتى النبي «صلى الله عليه واله وسلم» فقال له: «أوصني»، فكان مما أوصاه: «تَحَبَب إلى الناس يُحِبوك»(١١٢).

ولما كان الإسلام يهدف إلى تحقيق مجتمع فاضل، فقد أوجب على كل مسلم أن يؤدي واجبه تجاه غيره، فينصحه، ويرشده إذا ما أخطأ، أو حاد عن طريق الحق، وقرر الإسلام مبدأ عظيماً لتحقيق هذا الهدف وهو: «الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر»، قال تعالى: «وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَأُوْلَـئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ»(١١٣)، وعد المجتمع الذي يسود فيه هذا المبدأ، ويطبق عملاً بأنه خير المجتمعات، قال تعالى: «كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ»(١١٤).

وعدَّ الإسلام المستقيم مسؤولاً عن تغير سلوك المنحرفين، وأوجب عليه، إن رأى في سلوكه اعوجاجاً، أن يقومه، إن كان قادراً على ذلك بالفعل، وإن كان غير قادر، فعليه أن يستنكره بلسانه، فإن لم يستطع، فبقلبه، قال رسول الله «صلى

الله عليه وآله وسلم»: «من رأى منكم منكراً، فليغيره بيده، فإن لم يستطع، فبلسانه، فإن لم يستطع، فبقلبه، وذلك أضعف الإيمان»(١١٥).فالأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر تهذيب عام، وتعاون على البر والتقوى، ودفع الإثم والعدوان، وهو وسيلة فعالة في تأليف القلوب، وتقريبها، وإيجاد رأي عام إسلامي يستنكر الفساد، ويلاحق الشر، وينقى المجتمع من الجريمة(١١٦).

ومن الجدير بالذكر أن مسألة التكامل الاجتماعي بنوعيه المادي، والمعنوي في نظام الإسلام، تبدأ من اصغر وحدة في المجتمع وهي الفرد إلى أكبر وحدة وهي الأمة من أجل التربية الاجتماعية الرشيدة، وتهذيب الإنسانية تهذيباً صحيحاً، وتنمية روح الخير في نفوس الناس، ليكون شعارهم الخير، والتعاون، والرحمة العامة، بحيث يشعر الفرد، إذا ما أصابه الجوع، والعرى، أو المرض، أن يداً تربت على كتفه، وتقدم له المعونات من غير أن تشعره إنها صدقة مال أو زكاة، وإنما هي حق المؤمن على أخيه المؤمن التي قضى الله أن يلتزم بها الجميع طوعياً، فقد ورد عن أبي جعفر «عليه السلام»، أنه قال: «من حق المؤمن على أخيه المؤمن أن يشبع جَوعَتَهُ، ويواري عَورَتَهُ، ويفرِّج عنه كربته، ويقضي دينه، فإذا مات، خَلَفَهُ في أهله، وولده»(١١٧)، وإذا ما أخطأ، يجد من يقوم خطأه، وينصحه، ويرشده، فقد ورد عن أبي جعفر «عليه السلام»، أنه قال: «قال رسول الله «صلى الله عليه وآله وسلم»: «لينصح الرجل منكم أخاه كنصيحته لنفسه»(١١٨).

فالمجتمع الذي تسوده هذه المبادئ يعد بحق مجتمعاً فاضلاً، لا وجود للجريمة فيه إلا نادراً.

ويتضح من هذا كله أن منهج الإسلام في تحصين المجتمع من خطر الجريمة، والانحراف، ليس منهجاً عقابياً فحسب، وإنما هو إصلاحي وعقابي.

الخاتمة:

وفي الختام توصلت إلى النتائج الآتية:

١. اتخذ الإسلام وسائل عدة في منع الجريمة، منها وسائل تربوية تبدأ مع الإنسان منذ ولادته، ومنها وسائل عبادية (روحية) تبدأ مع الإنسان منذ بدء التكليف، ومنها اجتماعية تحقق التكافل بين الناس.

٢. اشتمل الإسلام على منهج تربوي شاملٍ يقي المجتمع من خطر الجريمة والانحراف.

٣. للعبادات دور كبير ومميز في بناء الفضائل الإيمانية، وتقوية الروابط الاجتماعية، وتسهم إسهاماً فعالاً في تربية الفرد تربية روحية، وأخلاقية تقيه من شرور الجريمة، والانحراف.

٤. إن للتكافل المادي والمعنوي دور كبير في انحسار الجريمة.

٥. أن منهج الإسلام في تحصين المجتمع من الجريمة، ليس منهجاً عقابياً فحسب، وإنما هو إصلاحي وعقابي.

الهوامش:

(١) سورة الإسراء/ ٧٠.

(٢) سورة البقرة/ ٣٠.

(٣) سورة الذاريات/ ٥٦.

(٤) ينظر: الموافقات في أصول الشريعة، إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الغرناطي الشاطبي، ت (٧٩٠هـ)، المكتبة التجارية الكبرى – مصر، ٢/ ٨-١١.

(٥) ينظر: المستصفى في أصول الفقه، أبو حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي، ت(٥٠٥هـ)، مطبعة بولاق – مصر، ط/٢، ١/ ٢٨٧- ٢٨٩.

(٦) ينظر: التربية الاجتماعية في القران الكريم ودورها في مكافحة الجريمة والانحراف، د. محمد خليل محسن الديسي، دار النشر: دار الكتب – القاهرة، ٢٠٠٢م، ص٣٧٨، ومنهاج الإسلام لمكافحة الإجرام، د. مصطفى إبراهيم الزلمي، مطبعة شفيق – بغداد، ١٤٠٦هـ – ١٩٨٦م، ص٦.

(٧) ينظر: معجم مصطلحات العلوم الاجتماعية، احمد زكي بدوي، دار النشر: دار الفكر العربي – القاهرة، ١٩٨٠م، ص١٥٢.

(٨) ينظر: التربية الاجتماعية في القران الكريم ودورها في مكافحة الجريمة والانحراف، ص٢٤٠.

(٩) سورة البقرة/ ٣٥.

(١٠) سورة النساء /١.

(١١) سورة الروم/٢١.

(١٢) ينظر: محاضرات في طرائق تدريس الفقه الإسلامي، د. إحسان عمر محمد الحديثي، مطبعة التعليم العالي – بغداد، ط/١، ١٤٢٥هـ – ٢٠٠٤م، ص١٢٩.
(١٣) ينظر: منهاج الإسلام لمكافحة الإجرام، ص٦.
(١٤) سورة الإسراء / ٧٠.
(١٥) ينظر: منهاج الإسلام لمكافحة الإجرام، ص٧.
(١٦) صحيح البخاري، أبو عبدالله محمد بن إسماعيل البخاري الجعفي، ت(٢٥٦هـ)، رقم كتبه وأبوابه ووضع فهارسه: محمد بن نزار تميم، وهيثم بن نزار تميم، دار النشر: دار الأرقم – بيروت، ١/ ١١٢٠، كتاب النكاح، باب: الأكفاء في الدين، رقم الحديث: ٥٠٩٠، وصحيح مسلم، أبو الحسن مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري، ت(٢٦١هـ)، رقم كتبه وأبوابه ووضع فهارسه: محمد بن نزار تميم، وهيثم بن نزار تميم، دار النشر: دار الأرقم – بيروت، ١/ ٦٨٧، كتاب النكاح، باب: استحباب نكاح ذات الدين، رقم الحديث: ١٤٦٦.
(١٧) سنن الترمذي، أبو عيسى محمد بن عيسى بن سَوْرة بن موسى بن الضحاك الترمذي، ت(٢٧٩هـ)، دار النشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت، ط/١، ١/ ٣١٢، كتاب النكاح، باب: ما جاء إذا جاءكم من ترضون دينه فزوجوه، رقم الحديث: ١٠٨٤.
(١٨) ينظر: الجانب الاجتماعي في رسالة الإسلام، محمد رجاء حنفي، دار النشر: المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية – القاهرة، ص٥١.
(١٩) ينظر: الطفولة والتنشئة الاجتماعية، عبد السلام بشير الرويبي، دار النشر: اللجنة الشعبية العامة – طرابلس، ط/١، ص٤١.
(٢٠) ينظر: التربية الاجتماعية في القران الكريم ودورها في مكافحة الجريمة والانحراف، ص٢٤٢.
(٢١) ينظر: محاضرات في طرائق تدريس الفقه الإسلامي، ص١٣٠.
(٢٢) ينظر: أساليب تدريس التربية الإسلامية، تيسير طه، وآخرون، دار النشر: دار الفكر- بيروت، ١٩٩٢م، ص١٦٠، وأصول التربية الإسلامية وأساليبها في البيت والمدرسة والمجتمع، عبد الرحمن النحلاوي، دار النشر: دار الفكر – بيروت، ط/٢، ٢٠٠١م، ص١٤٠.
(٢٣) ينظر: التربية الاجتماعية في القران الكريم ودورها في مكافحة الجريمة والانحراف، ص٢٤٠.
(٢٤) سنن أبي داود، أبو داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد الأزدي السِّجِسْتاني، ت(٢٧٥هـ)، تحقيق: خليل مأمون شيحا، دار النشر: دار المعرفة – بيروت، ط/١، ١٤٢٢هـ – ٢٠٠١م، ٢/ ٣٧٤، كتاب الأدب، باب: في تغيير الأسماء، رقم الحديث: ٤٩٤٨.
(٢٥) وسائل الشيعة إلى تحصيل مسائل الشريعة، محمد بن الحسن بن علي بن الحسين الحر العاملي، ت(١١٠٤هـ)، دار النشر: مؤسسة الأعلمي – بيروت، ط/١، ١٤٢٧هـ – ٢٠٠٧م، ١٥/ ٦٨، كتاب النكاح، باب: استحباب تسمية الولد باسم حسن وتغيير اسمه إن كان غير حسن.
(٢٦) ينظر: التربية الاجتماعية في القران الكريم ودورها في مكافحة الجريمة والانحراف، ص٣٨٥.
(٢٧) سورة البقرة/ ٢٣٣.
(٢٨) ينظر: أصول الفقه الإسلامي، د. وهبة الزحيلي، دار النشر: دار الفكر – دمشق، ط/٣، ١٤٢٦هـ – ٢٠٠٥م، ١/ ٢١٥، وأصول الفقه في نسيجه الجديد، د. مصطفى الزلمي، مطبعة شركة الخنساء – بغداد، ط/٩، ٢٠٠٢م ، ص٣٠٣.
(٢٩) ينظر: شرائع الإسلام في مسائل الحلال والحرام، أبو القاسم نجم الدين جعفر بن الحسن الحلي، ت(٦٧٦هـ)، مطبعة ستارة – إيران، ط/١، ١٤٢٧هـ – ٢٠٠٦م، ٢/ ٥٩٠، مغني المحتاج إلى معرفة معاني ألفاظ المنهاج، شمس الدين محمد بن أحمد الخطيب الشربيني الشافعي، ت(٩٧٧هـ)، مطبعة مصطفى البابي الحلبي – مصر، ١٣٧٧هـ – ١٩٥٨م، ٣/ ٤٤٦، كشاف القناع عن متن الإقناع، منصور بن يونس بن صلاح الدين ابن حسن بن إدريس البهوتي الحنبلي، ت(١٠٥١هـ)، مكتبة النصر الحديثة – الرياض، ٥/ ٥٥٩، الشرح الصغير على أقرب المسالك إلى مذهب الإمام مالك، أبو البركات احمد بن محمد الدردير، ت (١٢٠١ هـ)، دار النشر: دار المعارف – مصر، ٢/ ٧٥٣، وحاشية ابن عابدين، محمد أمين بن عمر بن عبد العزيز عابدين الدمشقي الحنفي، ت(١٢٥٢هـ)، مطبعة مصطفى البابي الحلبي – مصر، ط/٢، ١٣٨٦هـ – ١٩٦٦م، ٢/ ٩٢- ٩٢٥.
(٣٠) سورة البقرة/ ٢٣٣.
(٣١) صحيح البخاري، ١/ ١١٧٧، كتاب النفقات، باب: إذا لم ينفق الرجل فللمرأة أن تأخذ بعين علمه ما يكفيها وولدها بالمعروف، رقم الحديث:٥٣٦٤، وصحيح مسلم، ١/ ٨٤٣، كتاب الأقضية، باب: قضية هند، رقم الحديث: ٥٣٦٤.
(٣٢) وسائل الشيعة إلى تحصيل مسائل الشريعة، ١٥/ ١٢٧، كتاب النكاح، باب: وجوب نفقة الأبوين والولد دون باقي الأقارب.
(٣٣) ينظر: النظم الإسلامية نشأتها وتطورها، د. صبحي الصالح، دار النشر: دار العلم للملايين – بيروت، ط/٩، ١٩٩٢م، ص٣٦٩.
(٣٤) سيأتي الكلام عنها فيما بعد.
(٣٥) ينظر: بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، أبو بكر علاء الدين بن مسعود بن أحمد الكاساني الحنفي، ت(٥٨٧هـ)، دار النشر: دار الكتاب العربي – بيروت، ط/٢، ١٤٠٢هـ ٤/ ٤٠، الروضة البهية في شرح اللمعة الدمشقية، زين الدين الجعبي العاملي، ت(٩٦٦هـ)، دار النشر: دار التفسير – قم، ط/٥، ١٤٢٦هـ ٢/ ٣٩٥، مغني المحتاج إلى معرفة معاني ألفاظ المنهاج، ٣/ ٤٥٢، كشاف القناع عن متن الإقناع، ٥/ ٥٧٦، والشرح الصغير

على أقرب المسالك إلى مذهب الإمام مالك، ٢/ ٧٥٦.
(٣٦) ينظر: منهاج الإسلام لمكافحة الإجرام، ص١٠.
(٣٧) ينظر: الفقه الإسلامي وأدلته، د. وهبة الزحيلي، مطبعة إحسان – طهران، ط / ٣، ٢٠٠٦م، ١٠/ ٧٣٠٥.
(٣٨) ينظر: منهاج الإسلام لمكافحة الإجرام، ص١٠.
(٣٩) سنن أبي داود، ٢/ ٣٨٧، كتاب الطلاق، باب: من أحق بالولد، رقم الحديث: ٢٢٧٦.
(٤٠) وسائل الشيعة إلى تحصيل [1]مسائل الشريعة، ١٥/ ١٠٣، كتاب النكاح، باب: إن الأم أحق بحضانة الولد من الأب حتى يفطن.
(٤١) ينظر: التربية الاجتماعية في القران الكريم ودورها في مكافحة الجريمة والانحراف، ص٣٨٦.
(٤٢) ينظر: في اجتماعيات التربية، منير المرسي سرحان، دار النشر:عالم الكتب – القاهرة، ١٩٩٨م، ص ١٩٢.
(٤٣) ينظر: الجريمة والمجتمع، محمد عارف، مكتبة الانجلو المصرية – القاهرة، ط/٢، ١٩٩٠م، ص٣٩٤.
(٤٤) ينظر: التربية الاجتماعية في القران الكريم ودورها في مكافحة الجريمة والانحراف، ص٣٧٤.
(٤٥) ينظر: الجريمة والمجتمع، ص ٣٨٩.
(٤٦) ينظر: التربية الاجتماعية في القران الكريم ودورها في مكافحة الجريمة والانحراف، ص ٢٥٣-٢٥٤.
(٤٧) ينظر: محاضرات في طرائق تدريس الفقه الإسلامي، ص ١٣١.
(٤٨) ينظر: التربية الاجتماعية في القران الكريم ودورها في مكافحة الجريمة والانحراف، ص٢٦٨.
(٤٩) ينظر: محاضرات في طرائق تدريس الفقه الإسلامي، ص١٣١.
(٥٠) ينظر: أصول التربية الإسلامية وأساليبها في البيت والمدرسة والمجتمع، ص ١٣٢- ١٣٤.
(٥١) ينظر: التربية الاجتماعية في القران الكريم ودورها في مكافحة الجريمة والانحراف، ص ٢٧٣-٢٧٤.
(٥٢) ينظر: محاضرات في طرائق تدريس الفقه الإسلامي، د. إحسان عمر محمد الحديثي، ص١٢٩.
(٥٣) ينظر: التربية الاجتماعية في القران الكريم ودورها في مكافحة الجريمة والانحراف، ص٢٧٥.
(٥٤) ينظر: محاضرات في طرائق تدريس الفقه الإسلامي، ص١٣٥.
(٥٥) ينظر: الإعلام والرسالة التربوية، نور الدين عبد الجواد، ص٦٥.
(٥٦) ينظر: التربية الاجتماعية في القران الكريم ودورها في مكافحة الجريمة والانحراف، ص٢٧٥.
(٥٧) ينظر: طرائق تدريس التربية الإسلامية وأساليبها وتطبيقاتها العلمية، ناصر احمد الخوالدة، ويحيى إسماعيل عيد، دار النشر: دار حنين – عمان، ٢٠٠١م، ص ١٠٠- ١٠٣، وأساليب تدريس التربية الإسلامية، ص١٦٣.
(٥٨) سورة الذاريات/ ٥٦.

[1]

(٥٩) ينظر: المدخل لدراسة الشريعة الإسلامية، د. مصطفى الزلمي، ود. عبد الباقي البكري، شركة العاتك لصناعة الكتاب – القاهرة، ٢٠٠٦م ، ص١٦٦.
(٦٠) سورة الزلزلة / ٧-٨.
(٦١) ينظر: محاضرات في طرائق تدريس الفقه الإسلامي، ص١٢٧.
(٦٢) ينظر: المدخل لدراسة الشريعة الإسلامية، ص١٦٦.
(٦٣) ينظر: التربية الاجتماعية في القران الكريم ودورها في مكافحة الجريمة والانحراف، ص ٣٥٣-٣٥٤.
(٦٤) ينظر: الفقه الإسلامي وأدلته، ١/ ٦٥٣.
(٦٥) سنن أبي داود، ١/ ٢٠٢، كتاب الصلاة، باب: متى يؤمر الغلام بالصلاة، رقم الحديث: ٤٩٥.
(٦٦) الوسائل، ٣/ ١١، كتاب الصلاة، باب: استحباب أمر الصبيان بالصلاة لست سنين أو سبع ووجوب إلزامهم بها عند البلوغ.
(٦٧) ينظر: المدخل لدراسة الشريعة الإسلامية، ص١٦٧.
(٦٨) ينظر: الفقه الإسلامي وأدلته، ١/ ٦٥٦.
(٦٩) سورة البقرة / ٤٥.
(٧٠) سورة العنكبوت / ٤٥.
(٧١) ينظر: منهاج الإسلام لمكافحة الإجرام، ص١٥.
(٧٢) ينظر: المقنعة، أبو عبد الله محمد بن محمد بن النعمان العكبري، ت (٤١٣هـ)، دار النشر: مؤسسة النشر الإسلامي – قم، ص٢، مغني المحتاج إلى معرفة معاني الفاظ المنهاج، ١/ ٤٢٠، كشاف القناع عن متن الإقناع، ٢/ ٣٤٨ وما بعدها، الشرح الصغير على أقرب المسالك إلى مذهب الإمام مالك، ١/ ٦٨١، ٦٩٨، واللباب في شرح الكتاب، عبد الغني بن طالب بن حمادة الغنيمي الدمشقي الحنفي، ت(١٢٩٨هـ)، مطبعة الحجازي – القاهرة، ط/٣، ١٩٥٢م، ١/ ١٦٢.
(٧٣) ينظر: الفقه الإسلامي وأدلته، ٣/ ١٦١٦.
(٧٤) ينظر: محاضرات في طرائق تدريس الفقه الإسلامي، ص١٢٨.
(٧٥) سورة البقرة/ ١٨٣.
(٧٦) ينظر: التربية الاجتماعية في القران الكريم ودورها في مكافحة الجريمة والانحراف، ص٣٦١.
(٧٧) ينظر: منهاج الإسلام لمكافحة الإجرام، ص١٦.
(٧٨) ينظر: المصدر السابق، ص١٦.
(٧٩) ينظر: الفقه الإسلامي وأدلته، ٣/ ١٧٨٨.
(٨٠) سورة المعارج/ ٢٤- ٢٥.
(٨١) ينظر: محاضرات في طرائق تدريس الفقه الإسلامي، ص١٢٨.
(٨٢) سورة التوبة/ ١٠٣.
(٨٣) ينظر: منهاج الإسلام لمكافحة الإجرام، ص١٩.
(٨٤) سورة الحشر /٧.
(٨٥) سورة العلق/ ٦-٧.
(٨٦) سورة التوبة/ ١٠٣.

(٨٧) ينظر: الفقه الإسلامي وأدلته، ٣/ ٢٠٦٤- ٢٠٦٥.
(٨٨) ينظر: المدخل لدراسة الشريعة الإسلامية، ص١٦٩.
(٨٩) ينظر: منهاج الإسلام لمكافحة الإجرام، ص١٧.
(٩٠) ينظر: محاضرات في طرائق تدريس الفقه الإسلامي، ص ١٢٨- ١٢٩.
(٩١) ينظر: النظم الإسلامية نشأتها وتطورها، ص١٩٠.
(٩٢) سورة الحج/٢٨.
(٩٣) ينظر: منهاج الإسلام لمكافحة الإجرام، ص١٧.
(٩٤) سورة الإسراء/ ٧٠.
(٩٥) ينظر: الإسلام عقيدة وشريعة، محمود شلتوت، دار النشر: دار القلم- القاهرة، ص٤٤٨.
(٩٦) سورة المعارج / ٢٤-٢٥.
(٩٧) سورة النحل/ ٩٠.
(٩٨) سورة التوبة / ٦٠.
(٩٩) سورة البقرة / ١٩٥.
(١٠٠) ينظر: الإسلام وحقوق الإنسان، محمد عبد المنعم الخفاجي، مطبعة فؤاد علي- القاهرة، ط/١، ١٩٥١م، ص١٠٤.
(١٠١) سورة الملك / ١٥.
(١٠٢) ينظر: ينظر: حاشية ابن عابدين، ٣ / ٣٦٤.
(١٠٣) ينظر: شخصية المسلم كما يصورها القران، مصطفى عبد الواحد، مطابع دار التأليف – مصر، ط/٢، ١٩٦٩م، ص١١٩.
(١٠٤) ينظر: الإسلام وحقوق الإنسان، ص١٠٤.
(١٠٥) ينظر: درر إسلامية، عبد العظيم منصور، مطابع الأهرام التجارية – القاهرة، ١٩٧٥م، ص١١٢.
(١٠٦) سورة التوبة / ٦٠.
(١٠٧) سورة الدهر/٨.
(١٠٨) صحيح البخاري، ١/ ١٢٩٠، كتاب الأدب، باب: فضل من يعول يتيماً، رقم الحديث: ٦٠٠٥.
(١٠٩) صحيح البخاري، ١/ ١٢٩٠، كتاب الأدب، باب: الساعي على الأرملة، رقم الحديث: ٦٠٠٦، وصحيح مسلم، ١/ ١٤١٨، كتاب الزهد والرقائق، باب: الإحسان إلى الأرملة والمسكين واليتيم، رقم الحديث: ٢٩٨٢.
(١١٠) ينظر: التربية الاجتماعية في القران الكريم ودورها في مكافحة الجريمة والانحراف، ص٣٣
(١١١) ينظر: اشتراكية الإسلام، مصطفى السباعي، مطبعة الشعب – القاهرة، ط/٢، ١٩٦٠م، ص١٧٩.
(١١٢) أصول الكافي، أبو جعفر محمد بن يعقوب الكليني، ت(٣٢٨ هـ)، دار النشر: مؤسسة الأعلمي – بيروت، ط/١، ١٤٢٦هـ- ٢٠٠٥م، ٢/ ٦٥٤، كتاب العشرة، باب: التحبب إلى الناس والتودد إليهم.
(١١٣) سورة آل عمران / ١٠٤.
(١١٤) سورة آل عمران / ١١٠.
(١١٥) صحيح مسلم، ١/ ٥٢، كتاب الإيمان، باب: بيان كون النهي عن المنكر من الإيمان...، رقم الحديث: ٤٩.
(١١٦) ينظر: العقوبة، محمد أحمد أبو زهرة، دار النشر: دار الفكر العربي – مصر، ص٣٠، ونظام التجريم والعقاب في الإسلام، علي منصور، دار النشر: مؤسسة الزهراء، ط/٢، ١٩٧٦م، ص٦٥.
(١١٧) أصول الكافي، ٢/ ٤٢٣، كتاب الإيمان والكفر، باب: حق المؤمن على أخيه وأداء حقه.
(١١٨) المصدر السابق، ٢/ ٤٤٥، كتاب الإيمان والكفر، باب: نصيحة المؤمن.

قائمة المصادر والمراجع

بعد القرآن الكريم:
١. أساليب تدريس التربية الإسلامية، تيسير طه، وآخرون، دار النشر: دار الفكر- بيروت، ١٩٩٢م.
٢. الإسلام عقيدة وشريعة، محمود شلتوت، دار النشر: دار القلم- القاهرة.
٣. الإسلام وحقوق الإنسان، محمد عبد المنعم الخفاجي، مطبعة فؤاد علي- القاهرة، ط/١، ١٩٥١م.
٤. اشتراكية الإسلام، مصطفى السباعي، مطبعة الشعب – القاهرة، ط/٢، ١٩٦٠م.
٥. أصول التربية الإسلامية وأساليبها في البيت والمدرسة والمجتمع، عبد الرحمن النحلاوي، دار النشر: دار الفكر – بيروت، ط/٢، ٢٠٠١م.
٦. أصول الفقه الإسلامي، د. وهبة الزحيلي، دار النشر: دار الفكر – دمشق، ط/٣، ١٤٢٦هـ – ٢٠٠٥م.
٧. أصول الفقه في نسيجه الجديد، د. مصطفى الزلمي، مطبعة شركة الخنساء – بغداد، ط/٩، ٢٠٠٢م.
٨. أصول الكافي، أبو جعفر محمد بن يعقوب الكليني، ت(٣٢٨ هـ)، دار النشر: مؤسسة الأعلمي – بيروت، ط/١، ١٤٢٦هـ – ٢٠٠٥م.
٩. بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، أبو بكر علاء الدين بن مسعود بن أحمد الكاساني الحنفي، ت(٥٨٧هـ)، دار النشر: دار الكتاب العربي – بيروت، ط/٢، ١٤٠٢هـ.
١٠. التربية الاجتماعية في القران الكريم ودورها في مكافحة الجريمة والانحراف، د. محمد خليل محسن الديسي، دار النشر: دار الكتب – القاهرة، ٢٠٠٢م.
١١. الجانب الاجتماعي في رسالة الإسلام، محمد رجاء حنفي، دار النشر: المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية – القاهرة.
١٢.الجريمة والمجتمع، محمد عارف، مكتبة الانجلو المصرية – القاهرة، ط/٢، ١٩٩٠م.
١٣.حاشية ابن عابدين، محمد أمين بن عمر بن عبد العزيز عابدين الدمشقي الحنفي، ت(١٢٥٢هـ)، مطبعة مصطفى البابي الحلبي – مصر، ط/٢، ١٣٨٦هـ – ١٩٦٦م.
١٤.درر إسلامية، عبد العظيم منصور، مطابع الأهرام التجارية – القاهرة، ١٩٧٥م.
١٥. الروضة البهية في شرح اللمعة الدمشقية، زين الدين الجعبي العاملي، ت(٩٦٦هـ)، دار النشر: دار

التفسير – قم، ط/٥، ١٤٢٦هـ.
١٦. سنن أبي داود، أبو داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد الأزدي السِّجِسْتاني، ت(٢٧٥هـ)، تحقيق: خليل مأمون شيحا، دار النشر: دار المعرفة – بيروت، ط/١، ١٤٢٢هـ – ٢٠٠١م.
١٧. سنن الترمذي، أبو عيسى محمد بن عيسى بن سَوْرة بن موسى بن الضحاك الترمذي، ت(٢٧٩هـ)، دار النشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت، ط/١.
١٨. شخصية المسلم كما يصورها القران، مصطفى عبد الواحد، مطابع دار التأليف – مصر، ط/٢، ١٩٦٩
١٩. شرائع الإسلام في مسائل الحلال والحرام، أبو القاسم نجم الدين جعفر بن الحسن الحلي، ت(٦٧٦هـ)، مطبعة ستارة – إيران، ط/١، ١٤٢٧هـ – ٢٠٠٦م.
٢٠. الشرح الصغير على أقرب المسالك إلى مذهب الإمام مالك، أبو البركات احمد بن محمد الدردير، ت (١٢٠١ هـ)، دار النشر: دار المعارف – مصر.
٢١. صحيح البخاري، أبو عبدالله محمد بن إسماعيل البخاري الجعفي، ت(٢٥٦هـ)، رقم كتبه وأبوابه ووضع فهارسه: محمد بن نزار تميم، وهيثم بن نزار تميم، دار النشر: دار الأرقم – بيروت.
٢٢. صحيح مسلم، أبو الحسن مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري، ت(٢٦١هـ)، رقم كتبه وأبوابه ووضع فهارسه: محمد بن نزار تميم، وهيثم بن نزار تميم، دار النشر: دار الأرقم – بيروت.
٢٣. طرائق تدريس التربية الإسلامية وأساليبها وتطبيقاتها العلمية، ناصر احمد الخوالدة، ويحيى إسماعيل عيد، دار النشر: دار حنين – عمان، ٢٠٠١م.
٢٤. الطفولة والتنشئة الاجتماعية، عبد السلام بشير الرويبي، دار النشر: اللجنة الشعبية العامة – طرابلس، ط/١.
٢٥. العقوبة، محمد أحمد أبو زهرة، دار النشر: دار الفكر العربي – مصر.
٢٦. الفقه الإسلامي وأدلته، د. وهبة الزحيلي، مطبعة إحسان – طهران، ط / ٣، ٢٠٠٦م.
٢٧. في اجتماعيات التربية، منير المرسي سرحان، دار النشر:عالم الكتب – القاهرة، ١٩٩٨م.
٢٨. كشاف القناع عن متن الإقناع، منصور بن يونس بن صلاح الدين ابن حسن بن إدريس البهوتي الحنبلي، ت(١٠٥١هـ)، مكتبة النصر الحديثة – الرياض.
٢٩. اللباب في شرح الكتاب، عبد الغني بن طالب بن حمادة الغنيمي الدمشقي الحنفي، ت(١٢٩٨هـ)، مطبعة الحجازي – القاهرة، ط/٣، ١٩٥٢م.
٣٠. محاضرات في طرائق تدريس الفقه الإسلامي، د. إحسان عمر محمد الحديثي، مطبعة التعليم العالي – بغداد، ط/١، ١٤٢٥هـ – ٢٠٠٤م.
٣١. المدخل لدراسة الشريعة الإسلامية، د. مصطفى الزلمي، ود. عبد الباقي البكري، شركة العاتك لصناعة الكتاب – القاهرة، ٢٠٠٦.
٣٢. المستصفى في أصول الفقه، أبو حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي، ت(٥٠٥هـ)، مطبعة بولاق – مصر، ط/٢.
٣٣. معجم مصطلحات العلوم الاجتماعية، احمد زكي بدوي، دار النشر: دار الفكر العربي – القاهرة، ١٩٨٠م.
٣٤. مغني المحتاج إلى معرفة معاني ألفاظ المنهاج، شمس الدين محمد بن أحمد الخطيب الشربيني الشافعي، ت(٩٧٧هـ)، مطبعة مصطفى البابي الحلبي – مصر، ١٣٧٧هـ – ١٩٥٨م.
٣٥. المقنعة، أبو عبد الله محمد بن محمد بن النعمان العكبري، ت (٤١٣هـ)، دار النشر: مؤسسة النشر الإسلامي – قم.
٣٦. منهاج الإسلام لمكافحة الإجرام، د. مصطفى إبراهيم الزلمي، مطبعة شفيق – بغداد، ١٤٠٦ هـ – ١٩٨٦م.
٣٧. الموافقات في أصول الشريعة، إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الغرناطي الشاطبي، ت (٧٩٠هـ)، المكتبة التجارية الكبرى – مصر.
٣٨. نظام التجريم والعقاب في الإسلام، علي منصور، دار النشر: مؤسسة الزهراء، ط/٢، ١٩٧٦م.
٣٩. النظم الإسلامية نشأتها وتطورها، د. صبحي الصالح، دار النشر: دار العلم للملايين – بيروت، ط/٩، ١٩٩٢م.
٤٠. وسائل الشيعة إلى تحصيل مسائل الشريعة، محمد بن الحسن بن علي بن الحسين الحر العاملي، ت(١١٠٤هـ)، دار النشر: مؤسسة الأعلمي – بيروت، ط/١، ١٤٢٧هـ – ٢٠٠٧م.

مباني الاستنباط بين المدرسة السندية والشهرة

أ، م شهيد عبد الزهرة الخطيب
الجامعة كربلاء / كلية العلوم الإسلامية

الملخص:
الحمدُ لله رب العالمين، والصلاة، والسلام على أشرف الخلق أجمعين ، محمد وآل بيته، الطيبين الطاهرين ، حجج الله، وسفن النجاة إلى يوم الدين .
يُعد علم الرجال من العلوم المهمة ،والأساسية في الشريعة الإسلامية ،والتي لها الأثر المهم في علمي الأصول ،والفقه، فهو من جملة العلوم ،التي يحتاجها الفقيه ، لغرض استنباط الحكم الشرعي ، فمن خلال علم الرجال، يستطيع الفقيه دراسة حال الرواة وستنباطه ، ووثاقتهم؛ لكي يتم قبول الخبر، ويكون حجة على المكلفين ،ولا يخفى ما للمسألة من أثر واضح في مختلف المسائل والأحكام .
وعند تأمل البحث الرجالي عند علمائنا نجد أن هناك مسلكان في المباني الرجالية ،وهما مسلك «الوثوق» ومسلك «الوثاقة» ،أو ما يسمى بالمدرسة» السندية» ومدرسة «الشهرة» ،والتي لابدّ للفقيه من معرفتها ،لأن استنباط الأحكام الشرعية مرتبط بحجية الروايات الواردة عن النبي الخاتم صلى الله عليه وآله، والمعصومين عليهم السلام، وهذه المرويات تختلف من حيث الوثاقة ،والوثوق وبالتالي بالبحث السندي، أو الشهرة ، فكان لابدّ من بيان طريقة الاستنباط بحسب هذين المسلكين المعروفين عند العلماء ،ومن هنا فقد اقتضت طبيعة البحث أن يقسم إلى : مقدمة ومباحث ثلاثة ،وخاتمة تضمنت أبرز النتائج .
المبحث الأول : الإطار النظري لمفردات العنوان ، وكان في مطلبين ، الأول : التعريف بمفردات العنوان ، والثاني : بذور منهجية الاستنباط وأهميتها ، أما المبحث الثاني : المدرسة السندية ومدرسة الشهرة ، وكان في مطلبين ، الأول : المدرسة السندية ، والثاني : مدرسة الشهرة .والمبحث الثالث تضمن حجية الظن المطلق لارتباطها بمضمون البحث .

Abstract
Praise be to God، Lord of the Worlds، and prayers and peace be upon the most honorable of all creation، Muhammad and his family، the good and pure، the arguments of God، and the ships of salvation until the Day of Judgment.
The science of men is one of the important and basic sciences in Islamic law، which has an important impact on the science of assets and jurisprudence. The news is accepted، and it is an argument against the taxpayers، and the clear impact of the issue on various issues and rulings is not hidden.
When contemplating the men's research among our scholars، we find that there are two paths in the masculine buildings، which are the path of "trust" and the path of "al-Wathiqa"، or the so-called "Sindhi school" and the school of "fame"، which the jurist must know، because the deduction of legal rulings is linked to the authenticity of the incoming narrations. On the authority of the Final Prophet، may God's prayers and peace be upon him and his family، and the infallibles، peace be upon them، and these narrations differ in terms of authenticity، trustworthiness، and consequently with the Sindhi research، or fame. It was necessary to clarify the method of deduction according to these two well-known paths of scholars، and from here the nature of the research required that it be divided into: An introduction and three sections، and a conclusion that included the most important results.
The first topic: the theoretical framework

for the vocabulary of the title، and it was in two demands، the first: the definition of the vocabulary of the title، and the second: the seeds of the deduction methodology and its importance، and the second topic: the Sindhi school and the school of fame، and it had two demands، the first: the Sindhi school، and the second: the school of fame. And the third topic. It guarantees the authority of absolute conjecture because it is related to the content of the research.

المقدمة:

الحمدُ لله رب العالمين، والصلاة، والسلام على أشرف الخلق أجمعين، محمد وآل بيته، الطيبين الطاهرين ، حجج الله، وسفن النجاة إلى يوم الدين .

يُعد علم الرجال من العلوم المهمة ،والأساسية في الشريعة الإسلامية ،والتي لها الأثر المهم في علمي الأصول ،والفقه، فهو من جملة العلوم ،التي يحتاجها الفقيه ، لغرض استنباط الحكم الشرعي ، فمن خلال علم الرجال، يستطيع الفقيه دراسة واستبيان حال الرواة ، ووثاقتهم لكي يتم قبول الخبر، ويكون حجة على المكلفين ،ولا يخفى ما للمسألة من أثر واضح في مختلف المسائل والأحكام . وعند تأمل البحث الرجالي عند علمائنا نجد أن هناك مسلكان في المباني الرجالية ،وهما مسلك «الوثوق» ومسلك «الوثاقة» ،أو ما يسمى بالمدرسة» السندية» ومدرسة «الشهرة» ،والتي لابد للفقيه من معرفتها ،لأن استنباط الاحكام الشرعية مرتبط بحجية الروايات الواردة عن النبي الخاتم صلى الله عليه وآله، والمعصومين عليهم السلام، وهذه المرويات تختلف من حيث الوثاقة ،والوثوق وبالتالي بالبحث السندي، أو الشهرة ، فكان لابد من بيان طريقة الاستنباط بحسب هذين المسلكين المعروفين عند العلماء ،ومن هنا فقد اقتضت طبيعة البحث أن يقسم إلى : مقدمة ومباحث ثلاثة ،وخاتمة تضمنت أبرز النتائج .

المبحث الأول : الإطار النظري لمفردات العنوان ، وكان في مطلبين ، الأول : التعريف بمفردات العنوان ، والثاني : بذور منهجية الاستنباط وأهميتها ، أما المبحث الثاني : المدرسة السندية ومدرسة الشهرة ، وكان في مطلبين ، الأول : المدرسة السندية ، والثاني : مدرسة الشهرة .والمبحث الثالث تضمن حجية الظن المطلق لارتباطها بمضمون البحث .

المبحث الأول :الإطار النظري لمفردات العنوان

المطلب الأول : التعريف بمفردات العنوان :

أولاً : مفهوم المباني لغة واصطلاحاً :

لغةً :جاءت لفظة المباني من الأصل اللغوي بني ومعناه : « الباء والنون والياء أصل واحد وهو بناء الشيء بضم بعضه إلى بعض، تقول بنيت البناء أبنيه» (١) . ويقال : « وبنى كلاماً وشعراً وهذا كلام حسن المباني وبنى على كلامه احتذاه وهذا البيت مبني على بيت كذا وكل شيء صنعته فقد بنيته ، بنى البيت على بوانيه أي على قواعده « (٢) .

اصطلاحاً : المباني : « من المصطلحات المعاصرة النشأة ، والجمع منه مباني ، وهو ما تتقوم به القاعدة ، ويراد منه ما يحيط كل جوانب القاعدة، ويحكمها ، فهو ما يُستفاد من الدليل، ويُشيد على الأدلة « (٣)، «وهو متجذّر من التعريف اللغوي ، من حيث ما يفيده الفقيه الباحث عن الدليل ، ويشيد عليه أدلّة بنائه ، لذا لا نجد تعريفا في مصنفات الفقهاء يحدّد بدقّة تلك الإفادة ، وأقرب ما يمكن أن يقال

في بيانه:
«هو الدليل الذي يلتزم المجتهد الفقيه به على ما يبتنيه، لنفسه من أُسس أُصولية وفقهية ورجالية وعلاجية ، عند تعارض الأدلّة في إصدار فتواه ، وليست بالضرورة أن تكون موافقة لغيره ، وكلّما كثر الفقهاء كثرت احتمالات الاختلاف في المبنى»(٤) ،»وتتعدّد تلك المباني ،بتعدّد نظرة الفقيه إلى جهة الرواية ، فمَن سبر طرقها ووقف على وثاقة رجالها ومِن تراكم تلك الروايات ، جعل له مبنىً رجاليا اعتمد فيه على توثيق طائفة من الرواة دون غيرهم «.
«ومَن كانت همّته اكتشاف البعد القاعدي لتقنين القواعد الكلّية الأُصولية ، كانت مبانيه أُصولية ، والذي جعل دليله ،أو مستنده رواية معيّنة دون غيرها معارضة لها ، كانت مبانيه فقهية ، فالتعدّد جهتي اعتباري وليس واقعيا حقيقيا «.(٥)
وعُرِف المبنى أيضا بأنه : « الأساس الذي يعتمده الأصولي، أو الفقيه استناداً إلى دليل خاص ، ثم يبني عليه نظرياته و آرائه ، في المسائل الفرعية، أو يعتمده في المسائل الاعتقادية ،أو الأصولية، «(٦) .
ثانياً : مفهوم الاستنباط لغةً واصطلاحاً :
لغةً : «جاء من الأصل اللغوي نبط، بمعنى الانتهاء إلى الشيء» ، وقد أنبطنا الماء ،أي :استنبطناه، يعني :انتهينا إليه»(٧) .
اصطلاحاً : الاستنباط : « استنباط الأحكام استخراجها من أدلتها الشرعية «(٨) ، والاستنباط : « هو استخراج الحكم ،أو العلّة، إذا لم يكونا منصوصين، ولا مجمعا عليهما بنوع من الاجتهاد ، فيستخرج الحكم بالقياس ،أو العلّة بالتقسيم ،والسبر، أو المناسبة ،أو غيرها مما يعرف بمسالك العلّة « (٩) ، وعرف كذلك بأنه : « استنباط الأحكام الشرعية من أدلتها المعتبرة « (١٠).

المطلب الثاني : الأسس المنهجية للاستنباط، وأهميته :
لا يخفى على أحد « إن هذا الاهتمام بمنهجيّة الاستنباط موجود لدى الفقهاء، وهم يمارسون الاستنباط ،و التفقّه، في شريعة الله، جيلاً بعد جيل، إلاّ أنهم لم يؤلّفوا كتباً مستقلّة حول مناهج الاستنباط، وآلياته الموصلة إلى الأحكام الشرعيّة، ولكنهم ذكروا ضمن كتبهم الأصوليّة ،الفقهيّة ، أو طريقة الاستنباط، ومنهجه بشكل موجز جدّاً « (١١).»
فذكر الشيخ المفيد(ت٤١٣ه) في مقدّمة مصنفه «التذكرة بأصول الفقه»: « ان الطرق المؤدية إلى علم المشروع في هذه الأصول ثلاثة: أحدها: العقل، وهو السبيل إلى معرفة حجّيّة القرآن ودلائل الأخبار؛ والثاني: اللسان، وهو السبيل إلى المعرفة بمعاني الكلام؛ وثالثها: الأخبار، وهي السبيل إلى إثبات، أعيان الأصول من الكتاب والسنّة، وأقوال الأئمة « (١٢). وأشار إليه المحقّق الحلّي(ت٦٧٦هـ)(١٣) في الفائدة الثانية من مقدمات كتابه المعارج في اصول الفقه بقوله: « الفائدة الثانية:» إذا عرفت أن أصول الفقه، إنّما هي طرق الفقه على الإجمال، وكان المستفاد من تلك الطرق، إمّا علم، أو ظن من دلالة، أو أمارة بواسطة النظر، لم يكن بدّ من بيان فائدة كلّ واحد من هذه الألفاظ، فالنظر هو ترتيب علوم، أو ظنون، أو علوم وظنون، ترتيباً صحيحاً ليتوصّل به إلى علم، أو ظنّ، والعلم هو الاعتقاد المقتضي سكون النفس، مع أنّ معتقده على ما تناوله، والأقرب أنه غني عن التعريف لظهوره ، والظنّ هو تغليب أحد مجوزين ظاهريّ التجويز بالقلب، والدلالة هي ما كان النظر الصحيح فيها يفضي إلى العلم. والأمارة هي: «ما كان النظر الصحيح

فيها يفضي إلى الظن «(١٤)، وكذلك فقد «وردت بحوث مرتبطة، بماهية الاجتهاد ،ضمن الكتب الأصوليّة، ولكن من دون نظرة شاملة إلى نظام الاجتهاد، ومنهجيّته، كما جاء في نهاية الوصول للعلامة الحلّي(ت ٧٢٦هـ)(١٥) مبحث خاصّ حول مجال الاستنباط بعنوان : «ما فيه الاجتهاد» ، كما نظم الفاضل المقداد السيوري (ت ٨٢٦هـ)(١٦) في مقدّمات كتابه» نضد القواعد الفقهيّة على مذهب الإماميّة»، الذي ألّفه على أساس كتاب أستاذه «الشهيد الأول(ت ٧٨٦هـ) (١٧)، « فتعرّض لأمور مهمة ، من مباني الشهيد الأول(ت ٧٨٦هـ) » (١٨) ، وكذلك فإنه « بعد الإيمان بضرورة التعرّف على أحكام الشريعة الإسلاميّة في كل وقائع الحياة، وبعد الإيمان بالحاجة الماسّة إلى البحث العلميّ والدراسة المتخصّصة ، للوصول إلى أحكام اللّه تعالى، بالاستدلال الصحيح، عن طريق دراسة مصادر التشريع الإسلاميّ، المتمثّلة بالكتاب والسنّة، تبلورت عمليّة الاستدلال للوصول إلى هذه الأحكام بالتدريج، وسُمّيت عمليّة الاستدلال هذه بالاستنباط، وبالتفقّه في الدين، كما عُرفت بالاجتهاد، إذ يتمّ فيها استخراج الحكم الشرعيّ من مصادره المقرّرة له، ويتفقّه الدارس في أحكام اللّه تعالى مستنداً إلى الأدلّة الدالة عليها، ويبذل جُهده وطاقته ، ويستفرغ وسعه للوصول إلى أحكامه سبحانه وتعالى،فيكون مستنبطاً ،ومتفقّهاً ،ومجتهدا.

إنّ العلم الذي يتولّى رفع الغموض عن الموقف العمليّ ،تجاه الشريعة في كلّ واقعة من وقائع الحياة، بإقامة الدليل على تعيين الموقف العمليّ، هو علم الفقه، إذ يتمّ في هذا العلم تحديد الموقف العمليّ الشرعيّ، تحديداً استدلاليّاً ،وهذا التحديد الاستدلاليّ ، هو ما يسمى» بعمليّة الاستنباط، أو الاجتهاد، أو التفقّه في الدين ،وللاستنباط تبعاً لتعقّد عمليّة الاستنباط، مراتب ومستويات تختلف، باختلاف مستوى وضوح النصوص وغموضها، أو تعارضها، وتبعاً لما يريد الفقيه، أن يصل إليه ،من حكم واقعة معيّنة، أو نظريّة فقهيّة معيّنة، أو نظام اقتصاديّ ،أو سياسيّ ،أو اجتماعيّ متكامل، يعبّر عن رأي الإسلام، وموقف الشريعة تجاه مفردات السلوك في حياة الإنسان الفرد ،أو تجاه المجتمع الإنسانيّ ،أو الإسلاميّ وعمليّات الاستنباط، والتي يشتمل عليها علم الفقه، على الرغم من تعدّدها وتنوّعها ،من حيث التعقيد، تشترك في عناصر موحّدة، وقواعد عامّة تدخل في جميع، أو في كثير من عمليّات الاستنباط، وهذه العناصر المشتركة، تطلّبت وضع علم خاصّ بها، لدراستها وتحديدها وإعدادها لعلم الفقه، فكان «علم الأصول»، الذي ولد في أحضان علم الفقه بالتدريج. وفي علم أصول الفقه يتمّ» :

أوّلاً : تحديد منابع الاستنباط ،والحجج ،التي يمكن الاستناد عليها.

ثانياً: و يبحث عن موقع ، ودرجة الاعتماد ،على كلٍّ منها.

ثالثاً : و يتمّ تحديد القواعد، أو العناصر المشتركة ،في عمليّات الاستنباط .

« فضلا عن منهجة عمليّة الاستنباط نفسها لضرورة تحديد «منهج الاستنباط» من خلال تعيين مورد استعمال كلّ مصدر، ومجرى كلّ قاعدة من القواعد ،التي تبلورت بالبحث ،والدراسة في علم الأصول « (١٩). قال السيد محمد باقر الصدر(ت١٤٠٠هـ) (٢٠) :

«ولا يحدد علم الأصول العناصر المشتركة فحسب» ،بل يحدد أيضا درجات استعمالها ،في عملية الاستنباط، والعلاقة القائمة

بينها ، وبهذا يضع للعملية ،الاستنباطية نظامها العام الكامل « (٢١) ، بيد أن « الاقتصار على العناصر المشتركة، في الاستنباط ،وهي التي عبّر عنها بالقواعد الممهّدة للاستنباط هو: المتداول في الأوساط الدراسيّة ،ولكن يمكن أن نتوسّع، في مصطلح العناصر المشتركة ،فنريد منها مصادر الاستنباط، والمنهج الذي ينبغي اتّباعه في استعمال قواعد الاستنباط أيضاً، باعتبار أن المصادر، والمنهج، والقواعد كلّها تعدّ عناصر مشتركة في عامّة عمليّات الاستنباط ،إذاً يمكن أن نقول: إنّ العلم بمنهج الاستنباط، أو كيفية استخدام قواعد الاستنباط ،ربما غاب عن عامّة الدارسين لعلم الأصول، وهذا هو ما اهتمّ ببيانه بعض الأصوليّين، بينما تركه البعض الآخر؛ اعتماداً على إرشادات، الفقهاء المستنبطين للأحكام، وتعليمه، لطلاّب التفقُّه في الدين من خلال ،ممارسات التطبيق ،إن تقنين حركة ،الاجتهاد، والكشف عن طبيعة ،العلاقات بين النصوص الشرعيّة، للوصول إلى الحكم الشرعيّ من خلالها ،وفي كل واقعة من، وقائع الحياة تعدّ واحدة من الاهتمامات الأساسيّة لعلماء مدرسة أهل البيت ويمكن القول: إن من الضروري في مجال الاستنباط، في عصرنا هذا تكامل، وتسريع مسيرة الاجتهاد ،من خلال خفض، العامل الزمنيّ، في مجال، تعلُّم ما هو لازم ،لاكتساب القدرة ،على الاجتهاد ،وتحصيل ملكة، الاستنباط، وفقاً لنظام يراعي الحدّ الأدنى من الوقت، والحدّ الأعلى في القوّة العلميّة « (٢٢)، «من هنا يتبين بأن :منهجية الاستنباط ،وفق المباني للمجتهدين، كانت موجودة، وجذورها قائمة» ،كلٌ حسب مسلكه ومبناه الذي اتخذه في دراساته سواء كان مسلك أو مبنى الوثاقة(٢٣) أم مسلك ومبنى الوثوق»(٢٤) .

المبحث الثاني : المدرسة السندية ومدرسة الشهرة

المطلب الأول : المدرسة السندية :

« وهي المدرسة التي سلكت مسلك الوثاقة أي المسلك السندي « وجعلوا المعيار في قبول الخبر دائراً مدار وثاقة رواته ، فإن كانوا ثقات كان حجّة ، وإلّا فلا «(٢٥) ،وعندهم « إن الحجة إنما هو الخبر ،الذي يرويه الثقة ،سواء أفاد الوثوق الفعلي بالصدور ،عن المعصوم «عليه السلام « أم لا ، فإن موضوع الحجية ،وثاقة الراوي للخبر، وبالتالي إذا وجدنا ،أن الراوي ثقة حكمنا بحجية هذا الخبر ،من غير النظر، إلى إيراثه الوثوق الفعلي عندنا بصدوره عن المعصوم «ع »، أو لا « (٢٦) ، ويبدو إنّ « الإنطلاقة الأولى لمسلك الوثاقة كان على يد المحقق الحلي ، فقد شيّد قواعد هذا المسلك، وجعل علم الرجال على رأس تلك القواعد، فأبدى اهتماماً كبيراً بالسند ، بل جعله تمام المناط، والملاك في حجية الروايات ،وقبولها، وبالتالي العمل على طبق مؤداها ، فكان للسند محورية، أساسية في قبول الرواية، وحجيتها ، ومن الطبيعي أن يفرز ،هذا المنهج الجديد آراء فقهية جديدة مغايرة لما عليه مدرسة المتقدمين لاختلاف المنهج ،والمسلك بينهما» ، ومما ساعد في استقرار، مسلك الوثاقة في حوزة الحلة العلميةتبني السيد احمد بن طاووس(ت ٦٧٣هـ)(٢٧)» لهذا المسلك ، وإليه، ينسب التقسيم الرباعي للحديث « الصحيح، الحسن، الموثق ،الضعيف»، ومن ثم جاءت محطة الشهيد الثاني(ت ٩٦٥هـ)(٢٨) ، وهي محطة مهمة في، تاريخ مسلك الوثاقة ؛ لقيامه بتدعيم المسلك بقواعد رجالية ودرايتية ، فصارت هناك مدرسة جديدة

ومنهج رجالي واضح المعالم ،والضوابط ،والمعايير ، وأزيحت القرائن الخارجة ،عن السند عن ساحة الاعتبار ،والاهتمام ،وتربع السند على عرش الاهتمام ، وتحركت أهمية ،وثاقة الراوي واكتسبت توثيقات ،الرجاليين أهمية كبيرة ،فاحتلت الدور المحوري ،في تقييم أحوال، الرواة وبالتالي اعتبار مروياتهم والعمل على طبق مؤداها « (٢٩) ، وكذلك، فإن مبنى الوثاقة، هو ما ذهب ،إليه السيد الخوئي(ت ١٤١٣هـ)(٣٠) (٣١)، وهو أن الخبر المقبول في الفقه ،ما كان رواته، منصوصاً ،على وثاقتهم، إما بالتوثيقات الخاصة، مثل نص الإمام (عليه السلام) ،أو نص أحد، الرجاليين، المتقدمين، مثل البرقي(ت ٢٧٤هـ) (٣٢) ،والطوسي(٤٦٠هـ) (٣٣) والنجاشي(٤٥٠هـ) (٣٤) والكشي(ت ٣٤٠هـ) (٣٥)،والصدوق(ت ٣٨١هـ)»(٣٦)،والمفيد(ت٤١٣هـ)»(٣٧) ،وأمثالهم،» أو نص أحد الأعلام المتأخرين، وهذا مرة عن الحس كتوثيقات الشيخ منتجب الدين، وابن شهر آشوب(٣٨) صاحب معالم الدين والسبب في ذلك لقرب عصورهم من عصور الرواة، ومرة عن حدس كالتوثيقات الواردة في رجال من تأخر عنهم، كالميرزا الاسترآبادي(١٠٢٣هـ) (٣٩) ،والسيد التفريشي(كان حيّاً سنة ١٠٤٤.ه) (٤٠) والأردبيلي(ت ٩٩٣هـ) (٤١) ،والقهبائي(ت بعد ١٠٢٦ هـ)، (٤٢) ،والمجلسي(ت ١١١٠ه)(٤٣) ،والمحقق البهبهاني(ت ١٢٢٥) ،(٤٤) ،وأضرابهم، أو دعوى الإجماع ،الكاشف عن رأي المعصوم، من قبل الأقدمين، أو المدح الكاشف ،عن حسن الظاهر، أو سعي ،المستنبط على جمع القرائن ، أو بالتوثيقات العامة كأصحاب الإجماع(٤٥) ،ومشايخ الثقاة ،والعصابة الذين لا يرون، إلا عن ثقة»، وغيرها مما هو مقرر في علم الرجال(٤٦) . وهناك سمات عدة برزت على مبنى الوثاقة ومنها» : (٤٧) .

١ - : «تقسيمهم للحديث إلى أربعة أقسام هي» : « الصحيح ، الحسن ، الموثق ، الضعيف»(٤٨).

٢- : إعطاء وثاقة الراوي دوراً محورياً أساسياً ، بل ووحيداً في تقييم حال الراوي وبالتالي الرواية والعمل على طبق مؤداها» .

٣- : «كان من آثار، هذا المسلك تضييق دائرة الروايات المعتبرة المتاحة أمام الفقيه وما يستتبعه من تضييق للآفاق أمامه».

٤- : «سد الباب ،عن الحديث، أمام إمكانية مدخلية، القرائن الخارجة ،عن السند ودورها في إثبات، وثاقة الراوي، أو اعتبار الرواية مثل عمل المشهور، وأعراضه ،وغيره» .

٥- : «محاولة سد الباب أمام التوثيقات العامة»(٤٩) ، وما يمكن أن يكون طريقاً لإثبات وثاقة الراوي ،وثبوت صدور الرواية ، ومن خلال الخدش في، وجوه إثبات هذه التوثيقات» .

٦-:»الخدش فيما ،عرضه، أصحاب مسلك، الوثوق،من طرق لإثبات ، حجية مراسيل البعض كابن أبي عمير ،ومحاولة إلحاق الصدوق بهم، وبالتالي إسقاط هذه ،الروايات من الاعتبار» .

٧- : «محاولة إثبات، مضعفية جملة من العوامل ،مثل الإضمار، ونحوه ، وجعلها موانع في طريق الأخذ بالرواية .

٨-: تقييد مناشئ ،وثاقة الراوي بالتصريح ،في كلمات الرجاليين، مما حرم البعض ممن اشتهر بالرواية من، الدخول في دائرة ،الثقات المعتبرة مروياتهم ؛ لعدم ورود، تصريح بوثاقتهم .

٩- : تضييق دائرة، إفادة ألفاظ التوثيق،

لوثاقة الراوي ،وقصر استفادة، ذلك منها ،على الصريح ،منها كلفظ ثقة، أو عين ونحو ذلك» (٥٠) .

المطلب الثاني : أصحاب الاجماع، التوثيقات العامة:

«إن البحث عن أصحاب الاجماع من أهمّ أبحاث الرجال ، وقد اشار اليه المحدّث النوري(ت١٣٢٠هـ)، وقال : « إنه من مهمّات هذا الفنّ ، إذ على بعض التقادير تدخل آلاف من الاحاديث الخارجة عن حريم الصحة إلى حدودها أو يجري عليها حكمها « والمعروف ان هناك طُرقا تثبت، بها وثاقة راو معيَّن، وهناك طرقا تثبت بها وثاقة، جمع كثير ،تحت ضابطة خاصة ، وأهمّ طريق مايطلق عليه «مسألة أصحاب الاجماع» المشهورة بين الرجاليين،وهم ثمانية عشر رجلاً على المشهور والذي يهم البحث هو رأي السيد الخوئي (قده) : فالاحتمالات الثلاثة لعبارة: « تصحيح ما يصح عنهم »، جلالة الراوي، صحة المروي، توثيق من، يروى عنه، فقد ردّ السيد الخوئي (قده) القول الثالث من خلال التوضيح الآتي : .... « اما كلمت « تصحيح ما يصح عنهم « فقد قلنا ان فيها ثلاثة احتمالات. الاول: توثيق او تصحيح الراوي بمعنى جلالة قدر الراوي. الثاني: تصحيح المروي، أي تصحيح كل ما يصل اليهم. الثالث: توثيق أو تصحيح ما يروون عنه، من قبيل « لا يروون إلا عن ثقة »، ذكرنا ان الاحتمال الاول «هو ما سنعتمده في «بيان هذه المسألة أي ما يصح عنه، واقصينا احتمال وثاقة كل مروي وكنا نتكلم في الاحتمال الثالث تصحيح ما يصح عنهم الذي هو بقوة لا يروون إلا عن ثقة ، و السيد الخوئي (ره) نفى هذا الاحتمال لأمرين: الاول: قال ان هذا خلاف ظاهر اللفظ. الثاني: ان هؤلاء رووا عن ضعاف، من قبيل وهب بن وهب الكذاب. هذه القاعدة مخترقة بقرينة واقع الامور، إذن يوجد دليلان على بطلان الاحتمال الثالث في معنى كلمة « تصحيح ما يصح عنهم « وهما عدم ظهور اللفظ في ذلك، ثانيا الرواية عن ضعاف، فإذا بطل المعنى الثاني إي المروي وبطل المعنى الثالث « لا يروون إلا عن ثقة « تعين تفسيره في الاول في بيان جلالتهم، اما بطلان الاحتمال الثالث « لا يروون إلا عن ثقة »، بحسب إبطال السيد الخوئي (ره) له والابطال بدليلين: الدليل الاول نسلم به، وهو ان كلمة « تصحيح ما يصح عنهم « ليست ظاهرة بمعنى توثيق من يروون عنه، اما الدليل الثاني، وهو الرواية عن ضعاف: فنقول: إن هؤلاء الثمانية عشر قد رووا عن الضعاف بلا شك، الصغرى نسلم بها لكن الكبرى لا نسلم بها. ليس لانه كل رواية عن ضعيف تؤدي إلى اسقاط القاعدة وبطلانها، قبل ان نبين هذه المسألة لا باس ببيان مقدمة لم تطرح كمسألة لكنها مسألة مهمة ليس فقط في مطلبنا في علم الرجال بل وفي وغيره، مهمة في علم الاصول اكثر من علم الرجال وهي: متى تسقط العمومات؟ من قبيل إذا قلت لك « اوفوا بالعقود « ثم تبين انه هناك عقد وعقد وعقد لا يجب الوفاء بها، هل يسقط العام؟ بعبارة اخرى: العمومات متى تسقط، متى يكون الإستثناء تخصيصا ومتى يكون اسقاطا. هذه مقدمة لا بد منها قبل ان نبين كلام السيد الخوئي (ره)، فنتساءل: متى يكون الاستثناء من العموم مسقطا له؟ ومتى يكون تخصيصا له؟»«وفي التطبيق هنا: هل رواية بعض أصحاب الاجماع عن الضعفاء يسقط عموم انهم لا يروون إلا عن ثقة كما ذكر السيد الخوئي (ره)، فمثل عموم: « كل من روى عنه زرارة

ثقة «، هل يسقط هذا العموم روايته عن أحد الضعفاء؟ وقبل بيان المسألة والمختار فيها لا بد من مقدمة وهي: إن المتكلم عندما يصدر عنه حكم منصب على موضوع عام لا بد من ملاحظة ملاك يكون هو سبب الحكم ، فلا بد من وجود الملاك في كل فرد من أفراد العام، ومن هنا يأخذ العقلاء بأصالة العموم لظهور اللفظ في كل أفراده ولو أراد المتكلم بعض الافراد دون الاخرى لوجب عليه بيان ذلك، وحينئذ يكون الاستثناء قيدا للموضوع، فلو قلت « أكرم العلماء وأردت خصوص العدول لوجب عليّ ان أقول: « أكرم العلماء العدول «. والا أكون مقصرا في البيان، بعد ذلك: لو قال الآمر « أكرم العلماء « ثم قال: « لا تكرم زيدا منهم « وكان استثناء متصلا لا منقطعا» (٥١) ، فان خروج زيد ليس خروجا موضوعيا، أي لم يخرج عن كونه من العلماء، بل هو خروج حكمي، أي خروج عن حكم الاكرام رغم انه عالم. فعنوان العالم يصدق عليه، وبالتالي يصدق عليه ملاك الحكم، لان مصلحة الحكم وملاكه تدور مدار العالمية، نعم خرج عن حكم الاكرام لوجود ملاك آخر مزاحم لملاك الحكم، ككونه فاسقا مثلا. ولذا فمصلحة الاكرام زاحمها مفسدة تكريم الفاسق فخرج عن الحكم مع بقائه عالما، أي خروج عن الحكم مع بقاء الموضوع، ولذا، لا يصح الاستثناء من العام في المخصص غير المنقطع إلا مع وجود مزاحم. هذا بالنسبة للمتكلم، اما بالنسبة للسامع فيصح الاستثناء عنده مع احتمال المبرّر العقلائي للاستثناء، وإلا سقط العموم عند السامع واعتبر المتكلم كاذبا».

والنتيجة: «انه مع احتمال المبرّر العقلائي لرواية زرارة مثلا عن الضعاف لا يسقط الإخبار بعموم « كل من روى عنه زرارة فهو ثقة «. نعم مع عدم وجود مبرّر يسقط العموم المنقول، وهذا مطلب لم أجد - على حد علمي - من بيّنه واتكل عليه في مقام الجواب، وقد أجاب بعضهم بأن « ما من عام إلا وقد خصّ « فرواية أحد أصحاب الاجماع عن ضعيف أو ضعيفين لا تخدش بعموم» كل من روى عنه فهو ثقة «، وهذا شأن العمومات، لكن هذا الجواب ضعيف جدا، ومردود بما ذكرنا من أن التخصيص والاستثناء ولو بفرد واحد غير جائز إلا مع احتمال المبرّر العقلائي ومع عدمه يسقط ويكشف عن كذب القائل: أمثل لكم مثالا: لو قلت لكم :إن الشيخ فلان لا يدخل إلى محل يباع فيه الخمر، ثم إنك رايته يدخل إلى أحد محلات بيع الخمور، ألا ترى في نفسك أستغرابا وتعجبا فتتساءل: كيف قال لي فلان بان هذا الشيخ لا يدخل محلا يباع فيه الخمر؟! فإذا لم تجد عنوانا مجوزا للدخول كانقاذ مالٍ أو طفلٍ أو غير ذلك، ولو احتمالا، نحكم بكذب هذه المقولة - أي أن الشيخ فلان لا يدخل محلا يباع فيه الخمر ،إذن الاستثناء من العام في المتصل النحوي تارة يسقط العام إذا لم يكن بمبرر ومسوغ، وتارة لا يسقطه ان كان مع احتمال الخلاف، بعد هذه المقدّمة نعود للسيد الخوئي (ره) ونقول: إن الاشكال الذي ذكرته على من فسّر عبارة: « تصحيح ما يصحّ عنهم « بكونهم لا يروون إلا عن ثقة غير تام، لان جميع الضعاف الذين روى عنهم هؤلاء يوجد احتمال مبرّر للنقل عنهم، فمثلا أن تكون الرواية عن شخصين أحدهما هذا الضعيف والآخر ثقة، فقد يكون ابن أبي عمير متكلا على الآخر ، كما في رواياته عن يونس بن ضبيان، وغير ذلك مما سنذكره مفصلا في بحثنا عن مشايخ الثقات.، والنتيجة: إن المراد من عبارة « تصحيح ما يصح عنهم « هو المعنى

الثاني أي بيان جلالة هؤلاء وبيان قدرهم في الرواية والفقه، وان الفقه يدور مدارهم إلى حدّ كبير، وإلا لما قام للفقه عمود ولم يخضرّ له عود، واما النقطة الثانية وهي حجية هذا الاجماع المنقول، غدا ان شاء الله نبينه وننتهي إلى ان قاعدة اصحاب الاجماع قاعدة لا تتم في توثيق المروي، ولا في توثيق من يروى عنهم، بل معناها بيان جلالتهم وعظمة قدرهم لا اكثر ولا أقل، وبذلك ننتهي من القاعدة الاولى الاساسية وهي اصحاب الاجماع، لننتقل منها إلى قاعدة مشايخ الثقات»(٥٢).

تطبيق على مبنى الوثاقة : اجزاء الأغسال عن الوضوء :

« أن الأساس في هذه المسألة هو مرسلة محمد بن أبي عمير(٥٣)، وفي ذلك يقول المحقق الأردبيلي (ت ٩٩٣هـ)(٥٤) : « وأما دليل، وجوبه في سائر، الأغسال، فهو أن الإنسان مأخوذ عليه، أن لا يدخل في الصلاة، إلا بالوضوء لظاهر الآية ،والإجماع أيضاً ،وخرج غسل الجنابة لما مر، فبقي الباقي ، وقوله «ع «فيما رواه ابن أبي عمير صحيحاً عن رجل ، عن أبي عبد الله قال : « كل غسل قبله وضوء ،إلا غسل الجنابة» (٥٥) ، وما روي في الصحيح ، عن ابن أبي عمير عن حماد أو غيره عن أبي عبد الله(عليه السلام) قال : « في كل غسل وضوء إلا الجنابة» (٥٦)،والروايتان مرسلتان مع الاشتراك في محمد بن أحمد ، ومحمد بن يحيى في الأولى وإن قيل بالصحة لكونه هو محمد بن أحمد بن يحيى الأشعري(٥٧) ، ومحمد بن يحيى هو العطار(٥٨) ،وإنهما ثقتان ولكن غيرهما من الأخبار التي ليست في طريقها الاشتراك أولى منهما» ، «وأيضاً في، قبول المرسل كلام ،كما ذكر في محله ، نعم ،لو علم أنه، لم يرسل ،إلا عن عدل وعلم ذلك ،العدل فهو مقبول، واعترض عليه، بأنه خارج ،عن الإرسال ، ولا يضر ذلك لأن الكلام فيما ،هو مرسل بحسب، الظاهر، ولو علم ،أنه عدل لا بعينه ،ففي قبول مثله، بحث في كتب أصول الحديث ،فإنهم قالوا لم يقبل قوله، لو صرح ،وقال : أروي : عن عدل ، ولم يسمه ، لأنه قد ،يكون عدلاً عنده، فاسقاً عندنا ، فلو أظهر، اسمه لجرحناه، وهذا مذكور في الكتب من غير رد ، فحينئذ ،لا يزيد حال، مرسلة ابن أبي عمير عن قوله : « أروي هذا الخبر عن عدل « مع أن الظاهر، أنه ليس كذلك ، بل الذي، يفهم أنهم، أخذوا بالتتبع ، وببعض القرائن ، لهذا أرى أنهم ،يقولون : أظنه حماداً ،أو غيره ويقولون : «إن كتب ابن أبي عمير حرقت فكان يروي عن حفظه ،وكان يعرف أن المروى عنه، عدل ،ولكن نسي اسمه، على أن قوله : عن رجل مرة ، و « عن حماد أو غيره « أخرى يدل على، اضطراب ،بزعم الشيخ ، وأيضاً في نقله تارة « قبله « ،وتارة «في كل غسل « اضطراب ، وبالجملة أن ليس، هنا دليل يصلح، إلا رواية ،واحدة عن ابن أبي عمير ،إلا أن الطريق إليه اثنان ، وكون الإرسال أيضاً عنه غير ظاهر ، بل يحتمل أنه أسنده، وأرسل الراوي ،عنه لنسيانه السند إليه ، وعلى تقدير التسليم، فمقبولية مرسلة ،وإن قاله الأصحاب غير ظاهر ، لما علمت من الاحتمال ،وإن كان مقبولا عندهم لعلمهم بذلك من غير اشتباه فليس لنا العمل به مع الاشتباه في مثل هذه المسألة « (٥٩) ، ومن هنا يتبين لنا من خلال سلوك ،هذا المبنى « آثار مسلك الوثاقة ،والتشدد في السند واضحة في آرائه الفقهية ، فقد تفرد بفتاوى كثيرة ،كنتيجة طبيعية ،ولازم واضح لمسلكه ، فقد طرح الشهرة ،ومنع من تأثيرها في الروايات كسراً وجبراً

« (٦٠) .

«وهذا الاتجاه، قهري عنده ، بمعنى أنّ مبانيه، في أصول الفقه ،لها اثرا في اهتمامه هذا، نتيجة تبنّيه حجية ، خبر الثقة، لا الخبر الموثوق، فالمعيار عنده في الرواية، في رجال السند من حيث وثاقتهم، وقد أيد نظريته ،هذه بذهابه إلى نظرية ،عدم وهن الخبر، الصحيح ،بإعراض المشهور عنه، وعدم جبره ،بعملهم به، ممّا أنقص فرص تصحيح الروايات، أو تضعيفها ،على أساس معايير مخارجة للسند ورجاله. وهذه النظريات الخمس، وهي: نظرية الوهن، ونظرية الجبر، ونظرية الإجماع، المنقول، ونظرية «الإجماع المحصّل»(٦١)، ونظرية «الشهرة الفتوائية»(٦٢)، تمثّل عند العلماء المساعد، الرئيس لتخطّي ،معضلات الأسانيد، أو الجمود عندها، بلوغاً إلى آليات أخرى في ،توثيق النصوص، والتعامل معها، أو في الوصول ،إلى نتائج فقهية ،اجتهادية مباشرة، كالشهرة الفتوائية، ولم يقف الحال عند هذه النظريات، التي فتحت أمام السيد الخوئي» قده» باب علم الرجال ،والجرح، والتعديل على مصراعيه، بل ذهب في اتجاهه ،النقدي أبعد من ذلك، اذ لوحظ عليه ،التشدُّد في قبول الروايات؛ انطلاقاً من تحفّظه على العديد من النظريات الرجالية التي توثّق ،الرواة، فقد رفض» نظرية أصحاب الإجماع»، التي تعني تجاهل البحث، في السند الواقع ،بين واحدٍ منهم، مثل: زرارة(٦٣)، وبين الإمام»ع»، وبهذا ألزم نفسه ،بالبحث السندي، في هذه الدائرة، وكذلك رفض» نظرية مراسيل الثلاثة»، وهم: ابن أبي عمير، وأحمد بن محمد بن أبي نصر البزنطي(٦٤)، وصفوان(٦٥)»، «وهي تعني تصحيح كلّ مراسيل هؤلاء الثلاثة، دون حاجة إلى البحث ،السندي الواقع بينهم، وبين الإمام» (عليه السلام). كما رفض ،النظرية التي، ترى في توثيقات، أو تضعيفات ،العلماء المتأخّرين، مثل: ابن داوود(٦٦)، والعلامة الحلي(ت٧٢٦هـ)، اعتباراً، وبهذا زاد من التضييق، على نفسه، كما رفض ،نظرية توثيق تمام، أصحاب الصادق»ع»، اعتماداً على نصٍّ، للشيخ المفيد ،وغيره؛ ونظرية توثيق كلّ مَنْ كان، وكيلاً للإمام(عليه السلام).

«ومن النظريات الهامة، التي رفضها «نظرية وثاقة شيخوخة الإجازة»؛ إذ يخلق رفضها، ضيقاً في أمرِ الروايات، أيضاً؛ إلى جانب ،نظريات أخر، مثل: تأليف كتاب ،أو أصل، وكثرة الرواية، وذكر الطريق ،إلى شخص ،في كتب المشيخة، من هنا يظهر في اجتهاد السيد الخوئي»قده» اهتماماً ،بالغاً بعلم ،الرجال، تمثلت قمّته، بتأليف الموسوعة الرجالية القيّمة «معجم رجال الحديث»، وتطبيقاً واسعاً ،للموضوع السندي في الدراسات الفقهيّة»(٦٧).

المطلب الثاني : مدرسة الشهرة :

ويقصد بها هي: القول « بحجّية الخبر الذي تحفّه جملة من القرائن توجب الوثوق بمضمونه ، سواء كان رواته ثقات أم لا « (٦٨) ، وإن الجذر التاريخي ،والسبب في نشوء هذه المدرسة هو « ظهور الحاجة إلى تقييم أحوال الرجال والروايات وبناء ضوابط يعتمد عليها للتفريق بين المعتبر، وغير المعتبر منها ،كان نتيجة طبيعية ،لطرو جملة ،من الظروف ،والحوادث والمشاكل ،على الحديث ، مثل ظاهرة الوضع، وظاهرة المذاهب المنحرفة ،وظهور الرواة الكذابين ،وغير ذلك ، ومن هنا كانت انطلاقة علم الرجال ،والدراية كمنهج مقوم ،ومهذب «للحديث ، في مرحلة، ما قبل الاستناد إليه، لاسيماً أن الشيعة كانوا ،في عصر الأئمة (عليه السلام)

يعتمدون ،الفقه الحديثي، المعتمد كلياً ،على نقل الروايات الشاملة، لبيان الأحكام الشرعية، إلى عموم الناس ، ولم يظهر فقه المتون، إلا في زمن والد الصدوق(٦٩) سنة ٣٢٨هـ ،وهي سنة وفاة السفير الرابع(٧٠) ،وبداية الغيبة الكبرى(٧١) ،فدعت الحاجة ،إلى اعتماد متون فقهية، مبتكرة من قبل الفقهاء ،كتعبير عن ،الأحكام الشرعية ،والمسائل الابتلائية ، ومن هنا قسموا الروايات تقسيماً ثنائياً « معتبر وغير معتبر » وكان المناط في هذا ،التقسيم كون الصحيح « المعتبر»ما قامت القرائن ،على الوثوق بصدوره ،أعم من كونها نابعة ،من السند كالوثاقة ، في قبال الضعيف « غير المعتبر»(٧٢) ، فهذا المبنى ،هو ما عليه ،مشهور الفقهاء، من أن الوثوق ،بالصدور يكفي في اعتبار الرواية، وهو أن تجمع القرائن، من داخل الخبر، وخارجه تفيد الاطمئنان، بأن الخبر صدر عن المعصوم(عليه السلام)، وإن لم يكن كل رواته ،منصوصي الوثاقة» (٧٣).

فإذا كان» المبنى يعتمد على « الوثوق بالصدور »، فلابد من تحصيل القرائن» على وثاقة الراوي ،وتمييز الراوي باسمه ،ولقبه عن باقي الرجال، ومعرفة سيرته العلمية ،والعملية ، التي لها مدخلية ،بالتوثيق ، وعدمه ومن روى عنه، ومن روى عنهم ،وقدر رواياته ، ونوع رواياته من حيث كونها عقائدية، أو ماذا وتحقيق كبريات الرجال في التوثيق، والتضعيف، ومعرفة ألفاظ الرجال في التوثيق ، والتضعيف، وما المناط الذي على أساسه يوثقون، أو يضعفون، وهل هي حسية ،أو حدسية، والاطلاع على مبنى الكسر، والجبر في الإعراض، والعمل من قبل «الأصحاب ، فضلا عن معرفة ،مناهج الرجاليين في التوثيق، والتضعيف ،إلى غير ذلك من عشرات المباحث، الرجالية، وهذا التأثير، لعلم الرجال في الاستنباط ،لا يعني عدم تحقق الاجتهاد والاستنباط للفقيه ،بدون الاجتهاد في علم الرجال، أي مع تقليده يمكن، أن يستنبط ويستنتج، ويصدق عليه عنوان ،الفقيه ،إلا أنه لا ريب ،في تأثير ذلك، على قوة ، ودرجة اجتهاده « (٧٤) ، وأما العلامات ،التي ظهرت على مبنى الوثوق فهي (٧٥) :

١ - «تقسيمهم ،للحديث تقسيماً ،ثنائياً» الصحيح ،والضعيف «، أو» المعتبر، وغير المعتبر « .

٢- «إعطاء ،قرائن محورية، في تقييم الراوي، والرواية ، وبالتالي إمكانية العمل، على طبق مؤداها، وكسر احتكار، السند لمهمة ،إثبات الصدور».

٣- «فتح الباب، لإدخال، أعداد كبيرة ،من الروايات ،في دائرة الاعتبار، ومن الرواة ،في دائرة التوثيق» .

٤- «هناك جملة، من العوامل، التي لم يعدوها ،من الموانع ،عن الأخذ بالرواية، كالإضمار ،ونحوه ، في قبال مسلك، الوثاقة، الذي يعد الإضمار عامل، تضعيف في قبول، الرواية» .

٥-«ابتكارهم ،لطرق جديدة ،تنتهي إلى إدخال ،رواية جمع ممن ،اشتهر بالرواية، في دائرة الاعتبار كإبراهيم بن هاشم القمي»(٧٦) ، الذي روى أكثر، من ستة آلاف، رواية من خلال، تجميع قرائن تعين ،على إثبات ،إمكانية الاعتماد ،على مروياته ، مما كان له، الأثر الكبير، في توسيع دائرة المعتبر، من الروايات، والذي بدوره فتح آفاقاً ،أوسع وفضاءات، أرحب أمام الفقيه».

٦-«توسعتهم لدائرة إفادة دلالة ألفاظ التوثيق على الوثاقة لتشمل ألفاظاً أكثر ، وعدم قصر فهم الوثاقة منها على بعض الألفاظ الصريحة في الدلالة على ذلك كثقة

، عين ، ثبت ، ونحوه .

٧- عدهم لجملة من الأصول، والكتب، والمصنفات ،من خلال تصحيحهم ، لمن خدش فيه ، ممن وقع، في إسنادها، وهذه ظاهرة واضحة ،في مسلك الوثوق» (٧٧) .

تطبيق على، مبنى الوثوق : مسألة التسليم، في الصلاة :

« قد حرص العلامة الحلي (ت ٧٢٦هـ)، على جمع القرائن ،والشواهد ،والمؤيدات للاطمئنان، بصدور الخبر ، فعندئذٍ يعمل على، طبق مؤدى الرواية ، وإن كانت ضعيفة من ناحية السند»(٧٨) ، ومثاله: مسألة التسليم في الصلاة، إذ قال : « اختلف أصحابنا في وجوبه في الصلاة ، فقال علم الهدى(ت٤٣٦هـ)(٧٩)، وابن أبي عقيل(٨٠) وأبو الصلاح(٨١): « أنه واجب يبطل الصلاة بالإخلال به عمداً لا سهواً إلى أن قال : ومن طريق الخاصة ما رواه الشيخ، وابن بابويه ،وعلم الهدى عن أمير المؤمنين «ع «قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله :» مفتاح الصلاة الطهور، وتحريمها التكبير ، وتحليلها التسليم»(٨٢)، وقد مضى، وجه الاستدلال به، لا يقال هذا خبر مرسل، من طرقكم، فلا يعمل به لأنا، نقول لا نسلم أنه مرسل، فإن الأمة قطعته، «بالقبول «ونقله، الخاص، والعام، ومثل هذا الحديث ،البالغ في الشهرة، قد تحيف رواته اعتماد « قد يجبر روايته ،الاعتماد « على شهرته ،على أن الشيخ محمد، بن يعقوب الكليني(ت ٣٢٩هـ) (٨٣)، رواه مسنداً ،عن علي بن محمد بن عبد الله(٨٤)، عن سهل بن زياد(٨٥)، عن جعفر بن محمد الأشعري(٨٦) ،عن القداح ،عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله «الحديث» ، إلا أنه قال: مفتاح الصلاة الوضوء، ولو سلم، فهؤلاء الثلاثة ،هم العمدة في ضبط الأحاديث، ولولا علمهم بصحته، لما أرسلوه ، وحكموا بأنه من قوله: (عليه السلام) (٨٧) ،ومن هنا يظهر : « وصول أصحاب، مسلك الوثوق إلى الاطمئنان، بصدور رواية التسليم، بناءاً على تجميع الشواهد، والقرائن ،والمؤيدات ، والتغلب بذلك على الإرسال، الموجود فيها، المانع عن الاعتماد عليها ، فانتهوا إلى وجوب التسليم، في الصلاة بهذه الطريقة «(٨٨) ، وهي عبارة عن شهرة الرواية، بين الرواة ،وأصحاب الحديث بكثرة، نقلها ،وتكررها في الأصول، والكتب، وهذه الشهرة هي : التي عدّها المشهور ،من «المرجحات السندية في باب التعارض».

،«واستدل عليه برواية عمر بن حنظلة(٨٩) المعروفة بالمقبولة، وبمرفوعة زرارة الأتيتين، ولكن سنذكر إن شاء الله تعالى ، أنه ليس المراد من الشهرة المذكورة، في الروايتين هي الشهرة الاصطلاحية، بل المراد منها الشهرة ،بالمعنى اللغوي، أي ما كان واضحاً ، وظاهراً عند الجميع، بحيث لا يكون فيه شك وريب، فتخرجان عن محل النزاع فضلا عن ، ضعف الروايتين سنداً ، وأمّا الشهرة العملية، فهي عبارة عن: «اشتهار العمل بالرواية والاستناد إليها، في مقام الفتوى، وهذه الشهرة هي ،التي جابرة لضعف الرواية ،إذا كانت الشهرة من قدماء الأصحاب ،القريبين من عهد الحضور، أي قبل الشيخ الطوسي (ره)(٩٠)، إذ ان عملهم، يكشف عن وجود قرينة، يدل صدورها ،من المعصوم (عليه السلام) ، وقد خفيت علينا، ومن هنا ،لا عبرة بالشهرة العملية ،إذا كانت من المتأخرين لاسيما، إذا خالفت شهرة القدامى ، مثل مسألة نجاسة البئر، وعدمها، اذ ذهب مشهور المتقدمين ،إلى النجاسة ،إذا وقعت ،في البئر نجاسة،

وان لم توجب تغيّره، وذهب مشهور المتأخرين، إلى الطهارة ،وهو الصحيح، وبيانه في الفقه ،وأيضاً المشهور بين الفقهاء، أن هذه الشهرة كاسرة لصحّة الرواية أي أن إعراض مشهور المتقدمين عن رواية صحيحة يوجب وهنها ،بل عن صاحب الجواهر(قده)(٩١)، كلما كانت صحيحة ،وصريحة وكثرت ازدادت وهناً، بإعراض المشهور عنها ،وذلك لأن الإعراض، يكشف عن وجود خلل فيها، قد خفي علينا، والنسبة بين الشهرة الروائية، والشهرة العملية العموم من وجه، إذ ربما تكون، الرواية مشهورة بين الرواة ،ولكن لم يستندوا إليها، في مقام العمل، وربما ينعكس الأمر»، أي بأن تكون مشهورة، «بحسب العمل، دون النقل، وقد يتوافقان، أي مشهورة بحسب العمل، والنقل معاً، ثم إن الإنصاف ان عمل المشهور، برواية ضعيفة ،لا يكون جابراً لضعفها، لأن عملهم لا يوجب، إلا الظن، وضمّ غير الحجّة، وهو عمل المشهور، إلى اللاحجّة، وهو الخبر الضعيف، لا يوجب الحجّية فضلا عن، منع الصغرى، إذ لا سبيل، إلى إحراز استنادهم ،إلى الخبر الضعيف، في مقام الاستنباط، ومجّرد موافقة الفتوى، للرواية لا يلازم الاستناد إليها، فإن طريقة المتقدمين في استنباط الحكم، تختلف عن طريقة المتأخرين، فإن طريقة الأوائل، كانت عبارة عن ذكر الفتاوى ،والأدلة من دون ذكر « ان مستند هذه الفتوى هي هذه الرواية بالخصوص، بل يذكرون لها عدّة ،ويمكن أن يكون المستند ،غير الرواية الضعيفة، نعم تم بيان ذلك ، في مبحث الفقه أن عمل مشهور ،المتقدمين برواية ضعيفة، قد يوجب الاطمئنان، أحياناً بصدورها، إذا أحرزنا عملهم بها ، ولكن هذا لا ضابطة له، وهذا بالنسبة لعمل المشهور بالرواية الضعيفة، وأمّا أعراضهم عن الرواية الصحيحة، فأيضاً لا يوجب وهنها ،إذ بعد اجتماع شرائط الحجّية لها، ما المسوغ لعدم العمل، وطرحها ،وأمّا القول بإن ذلك يكشف، عن وجود خلل في الرواية، خفي علينا، ففي غير محله ،إذ لعلهم لم يعملوا بها، لعدم تمامية الدلالة بنظرهم، أو لإنها مثلاً متعارضة، مع غيرها والترجيح لغيرها ،وهذا غير اعراضهم عنها، نعم لو اعرض الكل عنها ،ولم يعمل بها أحد من الفقهاء المتقدمين ،فحينئذ نطمئن، أو نقطع بعدم صدورها لبيان الحكم الواقعي، ولكن هذا خارج عن محل النزاع ، فإن محل الكلام بين الأعلام، هو إعراض المشهور، لا الكل والله العالم ».

«وأمّا الشهرة الفتوائية(٩٢) فهي عبارة عن : مجرد اشتهار الفتوى في المسالة بلا استناد إلى رواية، سواء لم تكن، في المسألة رواية، أو كانت رواية ،على خلاف الفتوى، أو على وفقها ،ولكن لم يحرز الاستناد إليها ،وهذه الشهرة الفتوائية، لا تكون جابرة لضعف الرواية «على القول بالجبر»، إذ الجبر، انما يكون بالاستناد، إلى الرواية ،ولا أثر لمجرد مطابقة الفتوى، لمضمون الرواية، بلا إستناد إليها، ولكن يكون موجبة لوهن الرواية الصحيحة ،إذا كانت الشهرة من المتقدمين ،كما هو المفروض «بناءً على ان الأعراض يوجب الوهن »، لأن الوهن انما يتحقق، بالإعراض ،وعدم العمل بالرواية، وهذه «الشهرة الفتوائية» ،هي المبحوث في حجّيتها بالخصوص، وقد استدل لحجّيتها بالخصوص ببعض الأدلّة، منها ما ذكره صاحب الكفاية(٩٣)، اذ قال:» وتوهم دلالة أدلّة حجّية خبر الواحد عليه بالفحوى يكون الظن الذي تفيده أقوى ممّا يفيده الخبر. فيه ما لا

يخفى... ألخ»(٩٤) ، وهذا الدليل ذكره، الشيخ الأعظم(ت ١٢٨١هـ)(٩٥) ، أيضاً، اذ قال :» ثم ان منشأ توهم كونها من الظنون الخاصة يعني الشهرة في الفتوى أمران أحدهما ما يظهر من بعض ان أدلة حجّية ،خبر الواحد، تدل على حجّيتها بمفهوم الموافقة(٩٦)، لأنه ربما يحصل منه ،الظن الأقوى، من الحاصل من خبر العادل»(٩٧)، وحاصله ،ان أدلّة حجّية خبر الواحد ،تدلّ بالأولوية على اعتبار، الشهرة وجه الأولوية، أن مناط حجّية الخبر، وهو الظن أقوى في الشهرة، إذ الظن الحاصل من الشهرة، أقوى من الظن الحاصل، من الخبر فتكون ،هي أولى بالاعتبار منه، و يرد على هذا ، الاستدلال عدّة إشكالات»: منها

١- : انه لم يحرز أن الظن الحاصل من الشهرة أقوى من الظن الحاصل من خبر الواحد. كيف وقد ذكر في المعالم أن خبر العادل أقوى الظنون.

٢-: التعليل الوارد في مقبولة عمر ابن حنظلة بعد قوله : ويترك الشاذ النادر(فان المجمع عليه لا ريب فيه).

٣-: التعليل في ذيل آية النبأ ، وهو قوله سبحانه ان تصيبوا قوما بجهالة فتصبحوا على ما فعلتم نادمين) الحجرات : ٦ . (٩٨)

المبحث الثالث : حجية الظن المطلق

«وللفائدة ننقل جزء ، من تقريرات بحث السيد الخوئي، لابي القاسم الكوكبي، والتي ترتبط بمباني الاستنباط فيقول « ان الظن الذي، لم يقم دليل ،على حجيته هل يوجب انجبار ضعف الخبر سندا،، أو دلالة؟ بحيث لولا قيامه على وفاقه ، لما كان حجة ،أويوجب وهنه كذلك، بحيث لولا قيامه ،على خلافه لكان حجة، أو يوجب ترجيح ما يوافقه، من الخبرين المتعارضين، بحيث لولا على وفاقه،، لما يرجح عليه، أو كان الترجيح للآخر ،أو لا يوجب شيئا من ذلك؟»، فنقول: أما انجبار ضعف، الخبر بالظن الذي ،لم يقم دليل ،على اعتباره ،فالمعروف بينهم ،هو ذلك فانهم ذهبوا ،الى انجبار ضعف، سند الخبر بعمل، المشهور به |،مع ان الشهرة ،ليست حجة في نفسها ،واستدل عليه ، بعضهم ،كصاحب الكفاية ،بان عمل المشهور، بالخبر يوجب الوثوق بصدوره فيدخل بذلك تحت دليل الحجية».(٩٩)

«وفيه، انه ان اريد بالوثوق، الاطمئنان الشخصي، بان يكون ،عمل المشهور بالخبر، موجبا لحصول الاطمئنان، بالفعل بصدوره، فالكبرى، وان كانت ،صحيحة، اذ أن الاطمئنان، الشخصي حجة ببناء العقلاء، لكونه مصداقا، للعلم العادي، ولذا لا تشمله ،الادلة الناهية ،عن العمل بغير العلم «، «الا ان الصغرى في المقام ممنوعة ضرورة ان عمل المشهور بالخبر ربما لا يوجب حصول الاطمئنان الفعلي بصدوره». (١٠٠)، «وان اريد به، الاطمئنان النوعي، بان يكون عمل المشهور بالخبر ،موجبا لحصول الاطمئنان، النوعي بصدوره، وان لم يكن ،موجبا لحصوله بالفعل في مورد ،لشخص المكلف، فكل من الصغرى ،والكبرى ممنوعة، اما الصغرى ،فلعدم كون عمل المشهور، بخبر موجبا لحصول، الاطمئنان النوعي ،بصدوره، واما الكبرى، فلعدم الدليل على حجية ،الاطمئنان النوعي ،عند عدم حصوله ،بالفعل لشخص المكلف، لان ما دل على حجية ،الخبر الواحد، من الآيات ،والروايات ،والسيرة ،انما دل على حجية ،خبر الثقة بمعنى المتحرز ،عن الكذب دون الخبر، الضعيف الذي، يحصل الوثوق النوعي، بصدوره وعليه فلا دليل ،على اعتبار حجية الخبر الضعيف ،وان حصل الوثوق النوعي، بصدوره من عمل

المشهور به، بل لا دليل، على حجيته، وان حصل اليقين النوعي، بصدوره مع عدم، حصول الاطمئنان الفعلي ،بصدوره لشخص المكلف»، والحاصل ،انه لا بد في، جواز العمل بالخبر الواحد ،اما من وثاقة راويه في نفسه، أو حصول، الاطمئنان الشخصي بصدقه، ولو من جهة عمل المشهور به، فمع انتفاء كل من الامرين، لا يجوز العمل به، وان حصل ،من عمل المشهور به، يقين نوعي بصدوره، فضلا عن حصول الوثوق النوعي، بذلك لعدم الدليل، على حجيته حينئذ ،وعليه فانجبار الخبر الضعيف، بالظن الحاصل، من عمل المشهور، به كبرويا مما ،لا يمكن الالتزام به، مع أن احراز الصغرى ،باحراز استناد المشهور، الى الخبر الضعيف في مقام العمل، امر مشكل في نفسه، اذا المعلوم، انما هو موافقة فتوى المشهور له ،»»واما استنادهم اليه، فهو غير معلوم على ما تقدم بيانه، في اواخر مبحث حجية الخبر ،هذا من حيث السند»(١٠١)، وكذلك الكلام ،من حيث الدلالة، فان حمل المشهور الخبر على معنا ،مع عدم دلالته عليه في نفسه لا يوجب انجبار ضعف الدلالة، وان اوجب الظن بالمراد ،لان الحجة انما هي ظواهر الالفاظ، فما لم يكن اللفظ ظاهرا في معنى ،لا يكون حجة فيه، ومن الظاهر، ان الظن من امارة خارجية بالمراد لا يوجب ظهور اللفظ فيه، نعم لو كان حمل المشهور عليه، كاشفا عن ظهوره، فيه بنفسه، او بمعونة قرينة عرفية، قد خفيت علينا، فحينئذ يكون حجة فيه، لتحقق مناط الحجية، لكنه يعد فيه احراز ذلك ،وان حملهم عليه كان مستندا، الى ظهوره فيه بنفسه، أو بمعونة قرينة عرفية، واما اذا احتمل، انه كان مستندا، الى قرائن اجتهادية، فلا يكون ،حجة فيه لعدم حجية ،ما اجتهدوه من القرائن، فضلا عن، الينا فعمل المشهور بخبر ضعيف، بمجرده لا يوجب انجباره ،لا من حيث السند، ولا من حيث الدلالة، وان فرق المشهور بين السند، والدلالة، اذ ذهبوا الى كونه ،موجبا للانجبار، في الاول لكن الصحيح، انه لا يوجبه، في شيء منهما حسبما ،عرفت بيانه، واما وهن الخبر، بعدم عمل المشهور به، فالمعروف بينهم ،ان عدم عملهم بخبر يوجب، وهنه، فلا يجوز العمل به ،وان كان صحيحا في نفسه، بحيث لولا عدم عملهم به، لكان حجة، وليس محل الكلام ،في المقام ما يكون عدم عملهم به، لأجل عدم اطلاعهم عليه، اذ لا اشكال ،في جواز العمل، بالخبر المعتبر، وان لم يعمل المشهور به، لأجل عدم، اطلاعهم عليه ضرورة، ان مجرد عدم ،عمل المشهور، بخبر لا يوجب سقوطه، عن الحجية، بل محل الكلام ،ما يكون عدم ،عملهم به ،لأجل اعراضهم ،عنه بعد اطلاعهم، عليه، فانه هو ،الذي ذهبوا، الى عدم جواز العمل به، بل قالوا ابانه، كلما ازداد الخبر، حينئذ صحة ازداد وهنا».

،وفيه انه لا، وجه لرفع اليد ،عن الخبر،» باعراض المشهور عنه، وان اوجب ذلك الظن، بعدم صدوره ،لعدم اختصاص ادلة الحجية، بما لم يقم ظن ،على عدم صدوره ،لان مفاد الادلة ،هو «حجية مطلق ،خبر الثقة، دون خصوص، ما لم يقم ظن ،على عدم صدوره، اذا ،فأعراض المشهور ،عن خبر ،لا يوجب سقوطه ،عن الحجية، بعد شمول ادلتها له، في نفسه، هذا من حيث السند، وكذلك الكلام، من حيث الدلالة، فان اعراض المشهور، عن ظاهر خبر، لا يوجب سقوط ظهوره ،عن الحجية، وان اوجب الظن، بعدم ارادة ظهوره ،اذ الظن بعدم ارادة ،ظاهر اللفظ لا يضر

بحجية ظهوره .نعم ، لو كان اعراضهم ،عن ظاهر خبر كاشفا ،عن عدم ظهوره فيه بنفسه، او بمعونة قرينة عرفية، قد خفيت علينا، فأعراضهم عنه، حينئذ يوجب سقوطه، عن الحجية لكشفه ،عن عدم تحقق ،مناط الحجية، لكنه يعد، في ذلك احراز، ان اعراضهم عنه، كان مستندا ،الى عدم ظهوره، فيه بنفسه، أو بمعونة قرينة عرفية، واما اذا احتمل، ان ذلك كان مستندا الى قرائن ،اجتهادية، فأعراضهم، عنه ،حينئذ لا يوجب سقوطه، عن الحجية، بعد انعقاد الظهور له ، لعدم حجية ، ما اجتهدوه، من القرائن ،بالإضافة الينا، اذا فالظن الحاصل ،من اعراض المشهور، عن الخبر لا يوجب، سقوطه عن الحجية، لا من حيث السند، ولا من حيث الدلالة»(١٠٢)، واما ترجيح، احد المتعارضين، بالظن الذي، لم يقم دليل ،على حجيته فالحق ،عدم جواز الترجيح به ،وذلك ،اما في غير الخبرين المتعارضين، فلان مقتضى القاعدة فيه هو التساقط، فلا يبقى في مورده دليل ليرجح بالظن ،على غيره ،واما في الخبرين المتعارضين ،فلان مقتضى الادلة، الخاصة فيه، وان كان هو لزوم، الاخذ بذي المرجح، الا ان ما ثبت ،ان يكون مرجحا ،لاحد الخبرين المتعارضين، فيها ،انما هو موافقة الكتاب، والسنة ،ومخالفة العامة، واما غير ذلك، فلم يثبت، كونه مرجحا له، فلا يجوز التعدي منها ،الى غيرها، وان اختار العلامة الانصاري(ت١٢٨١هـ) جواز التعدي، منها الى كل مزية، يوجب اقربية، احد الخبرين ،الى الواقع من الاخر لكنه، مما لا يمكن الالتزام به»، على ما يجيء تفصيله في

باب التعارض، ان شاء الله هذا كله في الظن الذي لم يقم دليل ،لا على اعتباره ولا على عدم اعتباره» واما الظن ،الذي قام الدليل الخاص ،على عدم اعتباره بالخصوص، مثل الظن الحاصل من القياس، فعدم كونه ،موجبا لجبر ضعف، الخبر، أو وهنه، أو ترجيحه على غيره ،مما لا ينبغي الريب، فيه فأن اعماله، في واحد ،منها نحو استعمال له ،في الشرعيات، وقد منع الشارع عن استعماله فيها، اذ الغي اعتباره رأسا على الفرض».

الخاتمة والنتائج

الحمد لله على تمام النعمة ودوام الفضل والصلاة والسلام على أشرف الخلق محمد وآل بيته الطيبين الطاهرين ، بعد التوكل على الله سبحانه وتعالى والإستعانه به ، نلخص هذا الجهد المتواضع بالنتائج التي تم التوصل إليها بما يأتي :

١ـ بين البحث أهمية علم الرجال والمباني الرجالية ومدى الترابط بينه وبين علم الفقه ودوره في استنباط الأحكام الشرعية

٢ـ إن بذور هذه المنهجية وهذا المباني الرجالية تعود إلى زمن بعيد لعلمائنا المتقدمين وليست أمراً مستحدثاً أو جديداً .

٣ـ لقد برز مسلكين أو مبنيين رجاليين عند الإمامية وهما المسلك السندي ومسلك الشهرة ، أو ما يسمى بمسلك الوثاقة ومسلك الوثوق .

٤ـ لقد ظهر كل من المسلكين في مدة زمنية معينة وكذلك تبناهما العلماء من الإمامية كل حسب مسلكه الذي تبناه في الاستنباط بالإضافة إلى أن لكل مسلك ومبنى منهما سمات خاصة قد تميز بها كما بينها البحث

الهوامش:

(١) معجم مقاييس اللغة : احمد بن فارس ، تحقيق : عبد السلام محمد هارون ، بلا.ط ، ١٤٠٤هـ ، مكتبة الإعلام الإسلامي ـ إيران ، ١ / ٣٠٢ .

(٢) أساس البلاغة : الزمخشري ، بلا.ط ، ١٩٦٠م ، دار ومطابع الشعب – القاهرة ـ مصر ، ٦٦ .

(٣)المدخل إلى القواعد القرآنية : ليث عبد الحسين العتابي ، ط١ ، ١٤٣٧هـ ، دار الولاء ـ لبنان ، ١٧

(٤) نظرات إلى المرجعية للعاملي: ص ٤٠.

(٥) بحوث فقهية المباني الفقهية للمحدّثين في ضوء كتاب الكافي - صفحه ٤٦١
(٦) الجهد الأصولي عند العلامة الحلي دراسة تطبيقية في الفقه مباني المختلف أنموذجاً : بلاسم عزيز الزاملي ، بلا.ط ، ١٤٣٢هـ ، العتبة العلوية المقدسة ـ العراق ، ١٢ .
(٧) العين : الخليل بن احمد الفراهيدي ، تحقيق : مهدي المخزومي - إبراهيم السامرائي ، ط٢ ، ١٤١٠هـ ، مؤسسة دار الهجرة ، ٧ / ٤٣٩ .
(٨) معجم ألفاظ الفقه الجعفري : احمد فتح الله ، ط١ ، ١٩٩٥م ، مطابع المدوخل – الدمام ، ٥٠ .
(٩) معجم المصطلحات والألفاظ الفقهية : محمود عبد الرحمن ، بلا.ط ، بلا.ت ، دار الفضيلة القاهرة ـ مصر ، ١ / ١٦٣ .
(١٠) معجم مصطلحات الفقه وألفاظه : ضرغام كريم الموسوي ، ط١ ، ٢٠١٩م ، دار الفرات ـ بابل ، العراق ، ٧١ .
(١١) منهجية الاستنباط في المدرسة الفقهية الإمامية : السيد منذر الحكيم ، مجلة الاجتهاد والتجديد ، ١٤٣٣هـ ، العدد ٢٤ ، دار الثقلين ـ بيروت ـ لبنان ، ٣٣ .
(١٢) التذكرة بأصول الفقه : الشيخ المفيد ، تحقيق : الشيخ مهدي نجف ، ط٢ ، ١٩٩٣م ، دار المفيد - بيروت – لبنان ، ٢٨ .
(١٣) أبو القاسم جعفر بن الحسن بن يحيى بن سعيد الحلي (٦٠٢ ــ ٦٧٦ هـ)، الملقب بالمحقق الأول والمحقق الحلي، من علماء الفقه والأصول الشيعية في القرن السابع الهجري، وينصرف لقب المحقق له إذا ذكرهُ الفقهاء بدون قرينة، له مؤلفات كثيرة، منها: كتاب شرائع الإسلام في مسائل الحلال والحرام، المختصر النافع في فقه الإمامية والمعتبر في شرح المختصر النافع، من أشهر أساتذته: أبوه حسن بن يحيى الحلي، محمد بن جعفر ابن نما وتاج الدين حسن بن علي بن دربي، ومن أبرز تلامذته: العلامة الحلي ابن أخت المحقق، ابن داود الحلي وسيد عبد الكريم بن احمد الحلي. لأمين، أعيان الشيعة، ج ٤، ص ٩١.
(١٤) المحقق الحلي ، معارج الاصول ، ص٤٨
(١٥) الحسن بن يوسف بن مُطهّر الحلي (٦٤٨ ـ ٧٢٦ هـ)، المعروف بالعلامة الحلّي الفقيه والمتكلم الشيعي في القرن الثامن للهجرة. من أشهر مؤلفاته: كشف المراد، ونهج الحق وكشف الصدق، وباب الحادي عشر، وخلاصة الأقوال، والجوهر النضيد.
كان العلامة أول من لقب بآية الله؛ وذلك لفضله وعلمه الكثير، فمن جملة أساتذته السيد ابن طاووس، والخواجة نصير الدين الطوسي، وابن ميثم البحراني، ومن أشهر تلامذته: قطب الدين الرازي، وفخر المحققين. مناظرته الشهيرة أدت إلى تشيع السلطان محمد خدا بنده المغولي، وكان سبباً لنشر المذهب الشيعي في إيران. الأمين، أعيان الشيعة، ج ٥، ص ٣٩٦.
(١٦) المقداد بن عبد الله الحلي السّيوري، المعروف بالفاضل المقداد، وبالفاضل السيوري، (ت ٨٢٦ هـ) فقيه ومتكلم شيعي، ولد في قرية سيور التابعة لمدينة الحلة في العراق، وبعد طيّه لمقدمات العلوم الدينية والكمالات المعنوية، سكن في مدينة النجف الأشرف.
تتلمذ على الشهيد الأوّل محمد بن مكي العاملي، وفخر المحققين، وتلمذ على يديه محمد بن شجاع القطّان الحلي المعروف بابن القطّان، والحسن بن راشد الحلي، وترك الكثير من المؤلفات من أبرزها: كنز العرفان في فقه القرآن. الفاضل المقداد، كنز العرفان في فقه القرآن، المقدمة: ص ٤ - ٥.
(١٧) أبو عبد الله شمس الدين محمد بن مكي بن محمد الشامي العاملي الجزيني (٧٣٤ ــ ٧٨٦ هـ)، المعروف بالشهيد الأول من كبار فقهاء الشيعة في القرن الثامن الهجري، كما أنه مؤلّف كتاب اللمعة الدمشقية الكتاب الفقهي الشهير، وقُتل شهيداً على يد مخالفي المذهب الشيعي. الشهيد الأول، الألفية والنفلية، ص ٢٣.
(١٨) منهجية الاستنباط في المدرسة الفقهية الإمامية : السيد منذر الحكيم ،٣٤ .
(١٩) منهجية الاستنباط في المدرسة الفقهية الإمامية : السيد منذر الحكيم ، ٣١ ـ ٣٢ .
(٢٠) السيد محمد باقر الصدر، (١٣٥٣ - ١٤٠٠ هـ) فقيه ومفسّر، ومفكّر شيعي، وقائد عراقي. درس العلوم الدينية عند كبار علماء الحوزة العلمية في النجف الأشرف أمثال السيد الخوئي، والشيخ محمد رضا آل ياسين. واستطاع أن يصل إلى مرتبة الاجتهاد في سنين مبكرة، وبدأ بتدريس العلوم الدينية في حوزة النجف، كان مؤلّفاً في مجالات مختلفة، كالاقتصاد الإسلامي، والفلسفة الإسلامية، وتفسير القرآن، والفقه، وأصول الفقه، إضافة لكتابه في نظرية المعرفة وهو الأسس المنطقية للاستقراء.
لم يكن الصدر غائباً عن الحياة السياسية، فقد أسّس حزب الدعوة الإسلامية، وأصدر فتواه الشهيرة بحرمة الانتماء لحزب البعث العربي الاشتراكي، كما أنّه أول من دعى إلى إسقاط نظام البعث. السيد كاظم الحائري، حياة وأفكار الشهيد الصدر، ص ٣٥.
(٢١) المعالم الجديدة للأصول : السيد محمد باقر الصدر ، ط٢ ، ١٩٧٥م ، مكتبة النجاح – طهران ـ إيران ، ١٢.
(٢٢) منهجية الاستنباط في المدرسة الفقهية الإمامية : السيد منذر الحكيم ، ٣٢ .
(٢٣) فنقصد بها وثاقة نفس الراوي، الذي يكون هو الأساس والمحور في حجية وصحة الرواية . وبمعنى آخر : عندنا سند وطرق للروايات ؛ ولا بد للفقيه أو المحدّث أن يدرس هذا السند ليطمئن بصحة الرواية، فلو ترجم لهم واحداً واحدا ووجدهم كلهم ثقات . فهذا يعني وثاقة هؤلاء من خلال دراسة السند . إذن فالرواي هو الأساس الذي نحرز من خلاله صحة الرواية. ولعل السيد الخوئي رحمه الله تبنى هذه الرؤية، وانطلق في موسوعته الرائعة (معجم رجال الحديث) من مبنى الوثاقة ، ليُضعّف بعض الرواة الذين قد تسالم عليهم المشهور بكونهم ثقات؛ ولكن وفق مبنى الوثوق الذي ياتي بيانه .
(٢٤) نعني به وثوقنا بصدور الرواية عن المعصوم، وكلما حصلنا على قرينة تدلنا على صحتها أخذنا بها .
(٢٥) التصحيف في متن الحديث : حيدر المسجدي ، ط١ ، ١٤٣٢هـ ، دار الحديث ـ قم ـ إيران ، ٣٢ .
(٢٦) مختارات رجالية مسلك الوثاقة ومسلك الوثوق : الشيخ عادل هاشم ،بلا.ط ، بلا.ت ، النجف الأشرف ، ٦ .
(٢٧) السيّد أبو الفضائل، جمال الدين أحمد ابن السيّد موسى ابن السيّد جعفر... ابن السيّد محمّد الطاووس، وينتهي نسبه إلى الحسن المثنّى ابن الإمام الحسن المجتبى(عليه السلام). أعيان الشيعة ٣/ ١٨٩
(٢٨) الشهيد الثاني هو زين الدين بن نور الدين العاملي (٩١١ ــ ٩٦٥ هـ) من أحفاد العلامة الحلي ومن أبرز علماء وفقهاء الإمامية في القرن العاشر الهجري وله مصنفات كثيرة أشهرها شرح اللمعة الدمشقية في الفقه

الإسلامي. ذاع صيت الشهيد الثاني في الأوساط العلمية بعد استقراره في بعلبك وتصدّيه لإدارة المدرسة البعلبكية حيث شدّ الرحال إليه الكثير من الفضلاء والعلماء، وأخيرا استشهد سنة ٩٦٥ للهجرة في بلاد الروم. أعيان الشيعة، ج ٧، ص ١٤٣؛ الأعلام، ج ٣، ص ٦٤.

(٢٩) مختارات رجالية مسلك الوثاقة ومسلك الوثوق : الشيخ عادل هاشم ، ٢٠ ـ ٢٢ .

(٣٠) ينظر: مصباح الأصول، تقرير بحث السيد الخوئي، السيد محمد سرور، ٢ / ٢١٤.

(٣١) السيد أبو القاسم الخوئي، (١٥ رجب ١٣١٧ - ٨ صفر ١٤١٣ هـ) من مراجع تقليد الشيعة في القرن الرابع عشر الهجري، وصاحب مؤلفات كثيرة من أشهرها معجم رجال الحديث (٢٣ مجلداً) وتفسير البيان. سيماي خوي، ص ١٦٩؛ آية الله العظمى سيد أبو القاسم خويي، قرآن شناس بزرگ معاصر، ص ٣٠.

(٣٢) الشيخ أبو جعفر أحمد بن محمد بن خالد البرقي، من رواة الحديث و من كبار فقهاء الشيعة و من أصحاب الأئمة عليهم‌السلام. أعيان الشيعة للسيد محسن الأمين العاملي والخلاصة للعلامة الحلي

(٣٣) الشيخ الطوسي هو محمد بن الحسن بن علي بن الحسن (٣٨٥ ــ ٤٦٠ هـ) المعروف بـشيخ الطائفة والشيخ الطوسي. مؤلف كتابين من الكتب الأربعة ومن كبار المتكلمين والمحدثين والمفسّرين والفقهاء الشيعة. قدم إلى العراق من خراسان وتتلمذ على يد العلماء هناك كالشيخ المفيد والسيد المرتضى. أسند إليه الخليفة العباسي كرسي الكلام في بغداد. وعندما احترقت مكتبة شابور إثر هجوم طغرل بيك السلجوقي اضطر للهجرة إلى النجف فأسس الحوزة العلمية هناك. البحراني، لؤلؤة البحرين، ص ٢٨٠.

(٣٤) أحمد بن علي النجاشي، المعروف بـالنجاشي وابن الكوفي، (٣٧٢ -٤٥٠ أو ٤٦٣ هـ) من أبرز علماء الإمامية في علم الرجال. عاش في أواخر القرن الرابع والنصف الأوّل من القرن الخامس، صاحب كتاب فهرس أسماء مصنّفي الشيعة المعروف برجال النجاشي الذي يعدّ في طليعة الكتب الرجالية الشيعية. العلامة الحلي، خلاصة الأقوال، ص ٧٣.

(٣٥) الشيخ أبو عمرو محمّد بن عمر الكشي صاحب كتاب (الرجال). قال النجاشي: «كان ثقة عيناً وروى عن الضعفاء كثيراً، وصحب العياشي، وأخذ عنه وتخرّج عليه وفي داره التي كانت مرتعاً للشيعة وأهل العلم، له كتاب الرجال كثير العلم وفيه أغلاط كثيرة، رجال النجاشي، باب الميم ٣٧٢، الترجمة ١٠١٨.

(٣٦) الشيخ الصدوق، هو محمد بن علي بن الحسين بن موسى بن بابويه القمي، من أعاظم علماء القرن الرابع الهجري. ولد سنة ٣٠٥ هـ وتوفي ٣٨١ هـ ودفن في مدينة الرّي. ترك الصدوق ٣٠٠ أثر علمي، لكن الكثير من هذه المؤلفات فقدت، ولم يعثر عليها. من أهم مؤلفاته كتاب من لا يحضره الفقيه وهو من الكتب الأربعة المعتمدة لدى الشيعة، وأيضاً الخصال وعلل الشرائع ومعاني الأخبار وعيون أخبار الرضا. ومن أبرز تلامذته السيد المرتضى والشيخ المفيد. الشيخ الصدوق، من لا يحضره الفقيه، ص ٨.

(٣٧) محمّد بن محمد بن النعمان المشهور بـالشيخ المفيد، (٣٣٦ أو ٣٣٨ - ٤١٣ هـ) من متكلمي وفقهاء الإمامية، في القرن الرابع والقرن الخامس الهجري. قام بتدوين أصول الفقه وتأسيس منهج فقهي جديد، حيث اختار الطريقة الوسطى بين الرؤية العقلانية المتطرفة، والاكتفاء بالروايات دون الاعتماد على العقل. النجاشي، رجال النجاشي، ص ٣٩٩.

(٣٨) محمد بن علي بن شهر آشوب السَروي المازندراني (٤٨٨ - ٥٨٨ هـ) المعروف بابن شهر آشوب من فقهاء الشيعة ومحدثيهم في أواخر القرن الخامس وأوائل القرن السادس للهجرة. له مصنفات كثيرة، منها: مناقب آل أبي طالب ومعالم العلماء. البحراني، لؤلؤة البحرين، ص ٣٤٠؛ المدرس التبريزي، ريحانة الأدب، ج ٨، ص ٥٨.

(٣٩) الشيخ محمد أمين بن محمد شريف الأسترآبادي (ت. ١٠٢٣ هـ). هو فقيه شيعي من فقهاء الشيعة الإثني عشريّة مشهور بكونه رأس المدرسة الأخباريّة في القرن الحادي عشر الهجري، وأوّل من شنّ الطعون على الأصوليين، وانبرى للرد عليهم بلهجة شديدة مدعياً أن أتباع العقل والإجماع وأن اجتهاد المجتهد وتقليد العامي بدع ومستحدثات إلى غير ذلك من آراء الأخباريين المتأخرين. الأمين، محسن. أعيان الشيعة - ج٩. صفحة ١٣٧.

(٤٠) السيّد مصطفى ابن السيّد الحسين الحسيني التفرشي. لم تُحدّد لنا المصادر تاريخ ولادته ومكانها، إلّا أنه ولد في القرن العاشر الهجري. من أساتذته الشيخ عبد العالي الكركي ابن المحقّق الكركي، الشيخ عبد الله بن الحسين التستري. نقد الرجال ١/ ٧.

(٤١) المقدس الأردبيلي، أو المحقق الأردبيلي، هو أحمد بن محمد الأردبيلي (المتوفى: ٩٩٣ هـ)، يُعدّ من فقهاء الشيعة الإمامية في القرن العاشر الهجري ومن معاصري الشيخ البهائي. كان من البارزين في العلوم العقلية والنقلية. وازدهرت الحوزة العلمية في النجف في زمن رئاسته. من أهم آثاره: زبدة البيان في آيات الأحكام، ومجمع الفائدة والبرهان. اكتفى في نهايات عمره بتدريس العلوم النقلية فحسب. واستفاد المقدس الأردبيلي من الحكم الصفوي لنشر التشيع. وكان يشار إليه بالبنان في زهده وتقواه. الأفندي، رياض العلماء، ج ١ ، ص ٩٠.

(٤٢) عناية الله القُهْبائي (وفاة بعد ١٠٢٦ هـ)، من علماء الرجال الشيعة في القرن الحادي عشر، ومؤلّف كتاب مجمع الرجال، من المصادر الرجالية الشيعية الخوانساري، روضات الجنات، ١٣٩٠هـ ج ٤، ص ٤١٠.

(٤٣) محمد باقر بن محمد تقي المجلسي المعروف بالعلامة المجلسي أو المجلسي الثاني، (١٠٣٧ ــ ١١١٠ هـ) من محدثي الشيعة وفقهائهم المعروفين، صاحب المصنفات الكثيرة منها موسوعة «بحار الأنوار» والتي تعدّ أكبر دائرة معارف حديثية شيعية، كما كان له منزلة ونفوذ في البلاط الصفوي. الأمين، أعيان الشيعة، ج ٩، ص ١٨٣؛ المدرس التبريزي، ريحانة الأدب، ج ٥، ص ١٩٦. العلياري، بهجة الآمال، ج ٦، ص ٥٧٣.

(٤٤) محمد باقر البهبهاني (١١١٨ - ١٢٠٥ هـ)، المشهور بـالوحيد البهبهاني، فقيه وأصولي إمامي في القرن ١٢ الهجري. تصدى البهبهاني للمنهج الأخباري وأسّس المنهج الأصولي أو الاجتهادي. توفي البهبهاني في كربلاء ودفن في حرم الإمام الحسين (عليه السلام) . اشتهر البهبهاني بألقاب كأستاذ الكل والعلامة الثانية والمحقق الثالث.

(٤٥) أصحاب الإجماع، هو مصطلح في علم الرجال يطلق على مجموعات ثلاث من أصحاب الأئمة عليهم السلام، عاصروا الفترة الممتدة من أواخر المئوية الهجريّة الأولى إلى أوائل المئويّة الثالثة، وهم ثمانية عشر رجلاً، اشتهروا

بالفقه والحديث. وقد تناولت أبحاث علماء الرجال إمكانية تصحيح كل رواية تُنقل عن أحدهم بطريق صحيح، فتعتبر بذلك الرواية بأكملها صحيحة ويُعمل بمضمونها، بغض النظر عن أحوال باقي رجال السند بدءاً من أصحاب الإجماع، وصولاً للإمام المعصوم(عليهم السلام) . الطوسي، اختيار معرفة الرجال (للشيخ الكشّي)، ج ٢، ص ٥٠٧.

(٤٦) ينظر: كليات في علم الرجال، الشيخ السبحاني، ط٥ ، ١٤٣٤هـ ، مؤسسة الإمام الصادق (عليه السلام)، قم ـ إيران، ، ١٥٧ ـ ١٥٨ ـ ١٥٩ ـ ١٦٠ ـ ١٦٣ ـ ١٧٢.

(٤٧)مختارات رجالية مسلك الوثاقة ومسلك الوثوق : الشيخ عادل هاشم ، ٢٨ ـ ٢٩ .

(٤٨)١- الحديث الصحيح، هو الحديث الذي اتصلت سلسلة السند فيه إلى المعصوم، وكان كل رواته ثقاتاً إمامية إثني عشرية. فهو أحد أقسام الحديث الأربعة من جهة قبول الحديث وردّه، والثلاثة الأخرى هي: الحسن، والموثق، والضعيف. السبحاني، اصول الحديث، ص ٥٠.

٢- الحديث الحسن :"هو ما اتصل سنده بإمامي ممدوح، من غير نصّ على عدالته، في جميع مراتبه، أو في بعضها، مع كون الباقي من رجال الصحيح،،الشهيد الثاني، البداية في علم الدراية، ص ٢٣.

٣- الحديث الموثق : "ما دخل في طريقه مَن نصَّ الأصحاب على تَوْثِيقِهِ، مع فساد عقيدته، ولم يشتمل باقيه على ضعيف،،الشهيد الثاني، البداية في علم الدراية، ص ٢٣ - ٢٤.

٤- الحديث الضعيف: عرّفه المامقاني فقال: " ما لم تجتمع فيه شروط الأقسام الثلاثة [الصحيح، و الحسن، و الموثق ، بأن اشتمل طريقه على مجروح بالفسق...ونحوه، أو على مجهول الحال، أو ما دون ذلك كالوضّاع،،المامقاني، مقباس الهداية، ج ١، ص ١٤٦؛ الشهيد الثاني، البداية في علم الدراية، ص ٢٤.

(٤٩) وهي رجوع التوثيق إلى جماعة ما ضمن ضابطة، وهي غير منحصرة مثالها:

أ – ما ورد في اسانيد تفسير علي بن إبراهيم الذي يقول في مقدمة التفسير: « ونحن ذاكرون ومخبرون بما ينتهي الينا من مشايخنا وثقاتنا عن الذين فرض الله طاعتهم ...» « ونحن ذاكرون ومخبرون « هذه العبارة هي التي جعلت علماء يقفون عندها. هل كل من روى عنه علي بن إبراهيم ثقة؟ في عبارته كانه يشهد بالوثاقة. كليات في علم الرجال، الشيخ السبحاني، ص١٦٥.

(٥٠) مختارات رجالية مسلك الوثاقة ومسلك الوثوق : الشيخ عادل هاشم ، ٢٨ ـ ٢٩ .

(٥١) ستثناء متصلا لا منقطعا في النحو لها معنى وفي الاصول لها معنى آخر. في النحو الاستثناء المتصل مقابل المنقطع، حيث يكون المستثنى فردا أو جزءا من المستثنى منه، مثل: «جاء الناس إلا زيدا «. اما الاستثناء المنقطع فالمستثنى لا يكون من المستثنى منه كما في قولهم: « ما فيه من الناس أحدا إلا زيدا. اما في علم الاصول فالاستثناء المتصل فهو ما لم يتم له ظهور ويكون قبل نهاية الكلام ويقابله المنفصل.

(٥٢)عبد الكريم فضل الله : بحث في علم الرجال . مدرسة الفقاهة . https://www.eshia.ir/feqh/archive

(٥٣)هو محمد بن زياد بن عيسى ، أبو أحمد الأزدي ، روى عن الرضا – عليه السلام – توفي سنة ٢١٧ هـ ، ترجمه النجاشي في كتاب رجاله : ٣٢٦ وقال فيه : هو جليل القدر ، عظيم المنزلة فينا وعند المخالفين . وترجمه الشيخ الطوسي في رجاله : ٣٨٨ ضمن أصحاب الإمام الرضا – عليه السلام – ، ووصفه بالثقة . وترجمه العلاّمة الحلّي في رجاله : ١٤٠ .

(٥٤) المقدس الأردبيلي، أو المحقق الأردبيلي، هو أحمد بن محمد الأردبيلي (المتوفى: ٩٩٣ هـ)، يُعدّ من فقهاء الشيعة الإمامية في القرن العاشر الهجري ومن معاصري الشيخ البهائي. كان من البارزين في العلوم العقلية والنقلية. وازدهرت الحوزة العلمية في النجف في زمن رئاسته. من أهم آثاره: زبدة البيان في آيات الأحكام، ومجمع الفائدة والبرهان. اكتفى في نهايات عمره بتدريس العلوم النقلية فحسب. واستفاد المقدس الأردبيلي من الحكم الصفوي لنشر التشيع. وكان يشار إليه بالبنان في زهده وتقواه. (ظ): محمد شريف رازي، گنجينه دانشمندان، ج ٣ ، ص ٦٠. گلشن ابرار، ص ١٧٩. الأفندي، رياض العلماء، ج ١ ، ص ٩٠.

(٥٥)الاستبصار : الشيخ الطوسي ، تحقيق وتعليق : السيد حسن الموسوي الخرسان ، ط٤ ، ١٣٣٦ش، دار الكتب الإسلامية – طهران – إيران، ١/ ٢٠٩ .

(٥٦)الكافي : الشيخ الكليني ، تصحيح وتعليق : علي أكبر الغفاري ، ط٣ ، ١٣٦٧ش ، دار الكتب الإسلامية ـ طهران ـ إيران ، ٣ / ٤٥ .

(٥٧) هو محمد بن أحمد بن يحيى الأشعري أبو جعفر القمي ، شيخ جليل القدر ، كثير الرواية ، ثقة في الحديث ، له كتاب نوادر الحكمة ، وهو كتاب حسن كبير يعرفه القميون بدبّة شبيب ، وشبيب فامي كان بقم له دبّة ذات بيوت يعطي منها ما يطلب منه من دهن ، فشبّهوا هذا الكتاب بذلك ، لاشتماله على ما تشتهيه الأنفس ، وله كتب أخرى توفي سنة : ٢٨٠ . شرح مشيخة الفقيه : ٧٥ .

(٥٨) محمد بن يحيى العطار أبو جعفر القمي شيخ أصحابنا في زمانه ثقة عين ، كثير الحديث كما في رجال النجاشي : ٢٥٠ له كتب روى عنه الكليني المتوفى ٣٢٩ ، وروى هو عن محمد بن الحسين ابن أبي الخطاب المتوفى سنة ٢٦٢ ، فعلى ذلك يكون من أواخر القرن الثالث وأوائل الرابع .

(٥٩) مجمع الفائدة والبرهان : المحقق الأردبيلي ، تحقيق : الحاج آغا مجتبى العراقي ، الشيخ علي پناه الاشتهاردي ، الحاج آغا حسين اليزدي الأصفهاني ، بلا.ط ، بلا.ت ، مؤسسة النشر الإسلامي ـ قم ـ إيران ، ١ / ١٢٦ .

(٦٠) مختارات رجالية مسلك الوثاقة ومسلك الوثوق : الشيخ عادل هاشم ، ٢٣ .

(٦١) الإجماع المحصل: هو أن يتوصل الفقيه من خلال البحث بنفسه عن آراء العلماء إلى أنهم مجمعون على رأي واحد من الفقهاء القدماء وإلى الآن. مجموعة آثار الشهيد مطهري، ج ٢٠، ص ٥٢.

(٦٢) والشهرة الفتوائية عبارة عن: مجرّد اشتهار الفتوى في مسألة، سواء لم تكن في المسألة رواية، أو كانت على خلاف الفتوى، أو على وفقها ولكن لم يكن الإفتاء مستنداً إليها، ولا تكون مثلها جابرة لضعف سند الرواية إلاّ إذا علم الاستناد، ولا كاسرة إلاّ إذا علم الإعراض. ارشاد العقول الى مباحث الاصول محمد حسين العاملي ١٨٣.

(٦٣) زرارة بن أعين، من أصحاب الإمامين الباقر والصادقعليهما السلام و من أصحاب الإجماع ومن رواة الحديث في القرن الثاني الهجري، وثّقه كلّ من ترجم له،

وكان فقيهاً، متكلماً. وقد وردت روايات كثيرة عن أئمة أهل البيت في مدحه. ينسب زرارة إلى آل أعين وهي من العوائل الشيعية وكان أكثرهم من أصحاب الأئمة (ع) ومن الروات والفقهاء الشيعة. اسمه الأصلي عبد ربه بن أعْين بن سُنسُن الشيباني الكوفي، وأما زرارة فهو لقب له، وكنيته أبو علي، ولد سنة ٨٠ هـ أو ٧٠ هـ ومن المحتمل أن يكون ولد في الكوفة. البغدادي، الفهرست، ج ١، ص ٣٠٨ - ٣٠٩.

(٦٤) أحمد بن محمّد بن أبي نصر البزنطي ، كوفي ، لقي الإمامين الرضا والجواد وروى عنهما ، كان عظيم المنزلة عندهما ، جليل القدر ثقة ، مات سنة ٢٢١ بعد وفاة الحسن بن عليّ بن فضال بثمانية أشهر . شرح مشيخة الفقيه : ١٨ .

(٦٥) بو محمد ، صفوان بن يحيى البجلي ، بياع السابري ، كوفي ثقة ثقة ، عين ، روى عن الرضا عليه السلام وكانت له عنده منزلة شريفة . ذكره الكشي في رجال أبي الحسن موسى عليه السلام ، وتوكل للرضا وأبي جعفر عليهما السلام ، وسلم مذهبه من .
الوقف ، وكانت له منزلة من الزهد والعبادة . مات سنة عشر ومائتين ، قاله النجاشي في رجاله : ١٩٧ - ١٩٨ .

(٦٦) الشيخ أبو محمّد، تقي الدين الحسن بن علي بن داود الحلّي، المعروف بابن داود الحلّي. ولد في الخامس من جمادى الثانية ٦٤٧هـ ومن المحتمل أنه ولد في الحلّة باعتباره حلّياً،لم تُحدّد لنا المصادر تاريخ وفاته ومكانها، إلّا أنّ تاريخ تأليفه لكتاب الرجال كان سنة ٧٠٧هـ وبناء على ذلك فإنّه قد أدرك قسطاً من القرن الثامن الهجري. أنظر: رجال ابن داود: ٧٥ رقم٤٣٩، نقد الرجال ٢/ ٤٣ رقم١٣٢١.

(٦٧) الإمام الخوئي ومآلات النهضة في الاجتهاد وعلم النقد السندي حيدر حب الله نشرت هذه المقالة في العدد ٢٢، من مجلة الاجتهاد والتجديد، ربيع عام ٢٠١٢م.

(٦٨) الإمام الخوئي ومآلات النهضة في الاجتهاد وعلم النقد السندي حيدر حب الله نشرت هذه المقالة في العدد ٢٢، من مجلة الاجتهاد والتجديد، ربيع عام ٢٠١٢م.

(٦٩) علي بن بابويه هو أبوالحسن علي بن حسين بن موسى بن بابويه القمي (٣٢٩ ه / ٩٤١ م)، فقيه ومحدث شيعي ومرجع تقليد أهالي قم وضواحيها. وهو أب الشيخ الصدوق، وعادة يعبر عنهما بالصدوقين. (ظ): ابن بابويه، محمد، كمال الدين وتمام النعمة، ج ١، ص ٢٧٦ ؛ نجاشي، احمد، رجال، ج ١، ص ١٨٤، مامقاني، عبدالله، تنقيح المقال، ج ٢، ص ٢٨٣

(٧٠) علي بن محمد السمري (المتوفى سنة ٣٢٩ هـ) هو السفير الرابع والأخير للإمام المهديعجل الله تعالى فرجه.png والذي تولّى مهمة السفارة بعد الحسين بن روح مدّة ثلاث سنوات (٣٢٦-٣٢٩ هـ)، وبوفاته انتهت الغيبة الصغرى وبدأت الغيبة الكبرى للإمام.
وعُدّ من أصحاب الإمام العسكري (عليه السلام) الذي كاتبه في حياته، وفي زمن تولّيه النيابة الخاصة كان حلقة الوصل بين الناس والإمام حيث يستلم الحقوق الشرعية عنه، وكانت مدّة سفارته قصيرة مقارنة إلى باقي سفراء الإمام الخاصّون، ولا توجد لدينا معلومات تفصيلية عن حياته وسيرته الشخصية. الصدر، تاريخ الغيبة، ج ١، ص٤١٢.

(٧١) سنة : ٣٢٩هـ

(٧٢)مختارات رجالية مسلك الوثاقة ومسلك الوثوق : الشيخ عادل هاشم ،٩ ـ ١١ .

(٧٣) ينظر: مصباح الفقيه، الشيخ آقا رضا بن محمد هادي الهمداني، تحقيق : حمد الباقري - نور علي النوري - محمد الميرزائي، ، ط١ ، ١٤١٧هـ ، المؤسسة الجعفرية لإحياء التراث ـ قم ـ إيران ، ١ / ٣٣.

(٧٤) بحوث في الاجتهاد والتقليد الأصولي : الشيخ مشتاق الساعدي ، ط١ ، ١٣٩٤ش ، مؤسسة الصادق (ع) ـ طهران ـ إيران ، ٧٣ ـ ٧٤ .

(٧٥) مختارات رجالية مسلك الوثاقة ومسلك الوثوق : الشيخ عادل هاشم ،٢٥ ـ ٢٧ .

(٧٦) براهيم بن هاشم القمي ، أبو إسحاق . أصله كوفي ، انتقل إلى قم . وأصحابنا يقولون : إنه أول من نشر حديث الكوفيين بقم . قيل : تتلمذ على يونس بن عبد الرحمن عده الشيخ في رجاله من أصحاب الإمام الرضا عليه السلام . رجال النجاشي : ١٣ ، ورجال الطوسي : ٣٦٩ .

(٧٧) مختارات رجالية مسلك الوثاقة ومسلك الوثوق : الشيخ عادل هاشم ،٢٦ ـ ٢٧ .

(٧٨) مختارات رجالية مسلك الوثاقة ومسلك الوثوق : الشيخ عادل هاشم ،٧١ .

(٧٩) هو علي بن الحسين بن موسى بن محمد بن موسى بن ابراهيم بن الإمام موسى الكاظم عليه السلام المولود سنة ٣٥٥ هـ والمعروف بالسيد المرتضى والشريف المرتضى وعلم الهدى والمكنى بأبي القاسم وهو الأخ الأصغر للسيد الرضيآغا بزرك، طبقات أعلام الشيعة، ص ١٢٠-١٢١.

(٨٠) ابن أبي عقيل، أبو محمد الحسن بن علي الحذاء العُماني، أو العُماني، المحدث والفقيه والمتكلم الإمامي من علماء القرن ٤ هـ يعتبر كتابه «المتمسك بحبل آل الرسول» أحد أهم مؤلفاته. اسم جده أبي عقيل واسم عشيرته يحتمل أن يكون أزد عمان، لأن أوساطا كثيرة من أزد اليمن وأزد عمان كانت معروفة بالولاء لأهل البيت (عليهم السلام) في صدر الإسلام. يعبّر عنه وعن ابن الجنيد الإسكافي بـالقديمَين. النجاشي، رجال النجاشي، ص ٣٦

(٨١) أبو الصلاح الحلبي، هو تقي الدين بن نجم الدين بن عبيد الله الحلبي (٣٧٤ ـ ٤٤٧ هـ)، فقيه ومتكلم إمامي، عاش في القرن الرابع والخامس الهجري، ومن تلامذة الشريف المرتضى، والشيخ الطوسي، وسلار، عده غير واحد من علمائنا الرجاليين خليفة المرتضى في البلاد الحلبية، ومن أبرز تلامذته ابن البراج، ومحمد بن علي الكراجكي، وأما آراؤه الفقهية فهي متقاربة إلى حد كبير من مدرسة بغداد الفقهية، وعميدها الشريف المرتضى. ابن حجر العسقلاني، لسان الميزان، ج ٢، ص ٧١، الأمين، أعيان الشيعة، ج ٣، ص ٦٣٤؛ المدرس التبريزي، ريحانة الادب، ج ٧، ص ١٦١.

(٨٢) نن أبي داود : ج ١ / ١٦ سنن ابن ماجة : ج ١ / ١٠١ سنن الدارمي : ج ١ / ١٧٥ مسند أحمد بن حنبل : ج ١ / ١٢٣ و ١٢٩ سنن الترمذي : ج ١ / ٨ و ج ٢ / ٣ ، سنن البيهقي : ج ٢ / ١٥ ، سنن الدارقطني : ج ١ / ٣٥٩ - ٣٦١ من لا يحضره الفقيه : ج ١ / ٢٣ الكافي : ج ٣ / ٦٩ .

(٨٣) محمد بن يعقوب الكُلَيني الرازي، المعروف بثقة الإسلام الكليني، من كبار محدثي الشيعة الإمامية ومؤلّف كتاب الكافي الذي يعدّ من أهم المصادر الحديثية الأربعة عند الشيعة. ولد في عصر الغيبة الصغرى ولقى بعض المحدثين الذين سمعوا الحديث مباشرة من الإمام

الهادي أوالإمام العسكري عليهما السلام. وصفه الرجاليون بالدقة والضبط في نقل الحديث.(ظ): بحر العلوم، الفوائد الرجالية، ج ٣، ص ٣٣٦. الخوئي، معجم رجال الحديث، ج ١٩، ص ٥٨.

(٨٤) رجال النجاشي ٢ - ٩٨ برقم ٦٩١ ، تاريخ بغداد ١٢ - ٨٥ برقم ٦٤٩٩ ،

(٨٤) أبو سعيد ، سهل بن زياد الآدمي الرازي ، من أصحاب أبي الحسن الثالث عليه السلام ، قال الشيخ النجاشي في رجاله : ١٣٢ (كان ضعيفا في الحديث ، غير معتمد فيه ، وكان أحمد بن محمد بن عيسى يشهد عليه بالغلو والكذب وقد اختلف قول الشيخ الطوسي فيه ، فقال في الفهرست : ١٠٦ ضعيف ، وقال في رجاله : ٤١٦ : ثقة ، وعده من أصحاب الإمام الجواد والهادي والعسكري عليهم السلام .

(٨٥)جعفر بن محمّد الأشعريّ أبو جعفر ، قيل : هو جعفر بن محمّد بن عبيد الله أو جعفر بن محمّد بن عيسى الأشعريّ ، قال المحقّق الخوئيّ : إنّ كلّا منهما وإن كان محتملا في نفس الأمر لكنّه لا دليل عليه ، حيث إنّ جعفر بن محمّد بن عبيد الله لم يثبت أنّه كان أشعريّا ، ومجرّد رواية كلّ منهما عن ابن القدّاح لا يثبت الاتّحاد ، كما أنّ أحمد بن محمّد بن عيسى لم يثبت أنّه كان له أخ سمّي بجعفر ، هذا ومن المطمئنّ به أنّ جعفر بن محمّد الأشعريّ قد روى عن ابن القدّاح كثيرا ، وأمّا الرّواية عن ابن القدّاح بواسطة جعفر بن محمّد بن عبيد الله لا تزيد على أربع روايات ، وبما أنّ راوي كتاب عبد الله بن ميمون القدّاح هو جعفر بن محمّد بن عبيد الله على ما ذكره النّجاشيّ في رجاله : ٢١٤ ، والشيخ في فهرسته : ١٠٣ ، فبعيد جدّا أن تكون رواية راوي كتابه عنه أربعة . تنقيح المقال ١ : ٢٢٢ باب : جعفر ، معجم رجال الحديث ٤ : ١٠٢ .

(٨٦) منتهى المطلب في تحقيق المذهب : العلامة الحلي ، بلا.ط ، بلا.ت ، بلا.ب ، ١ / ٢٩٥ .

(٦) مختارات رجالية مسلك الوثاقة ومسلك الوثوق : الشيخ عادل هاشم ،٧٣ .

(٨٧) عمر بن حنظلة العجلي ، أبو صخر ، عده الشيخ في رجاله من أصحاب الإمام الباقر والإمام الصادق ، وقد استظهر البعض توثيقه من رواية الكافي في قوله عليه السلام « إذا لا يكذب علينا » ومن التهذيب في قوله عليه السلام « أنت رسولي إليهم في هذا إذا صليت » وغيره ، رجال الشيخ الطوسي ١٣١ و٢٦٨ ، وتنقيح المقال ٢ : ٣٤٢ .

(٨٨) الشيخ الطوسي هو محمد بن الحسن بن علي بن الحسن (٣٨٥ ــ ٤٦٠ هـ) المعروف بشيخ الطائفة والشيخ الطوسي. مؤلف كتابين من الكتب الأربعة ومن كبار المتكلمين والمحدثين والمفسّرين والفقهاء الشيعة. قدم إلى العراق من خراسان وتتلمذ على يد العلماء هناك كالشيخ المفيد والسيد المرتضى. أسند إليه الخليفة العباسي كرسي الكلام في بغداد. وعندما احترقت مكتبة شابور إثر هجوم طغرل بيك السلجوقي اضطر للهجرة إلى النجف فأسس الحوزة العلمية هناك.(ظ): لبحراني، لؤلؤة البحرين، ص ٢٨٠. جعفر، الشيخ الطوسي مفسراً، ص ١٣.

(٨٩) محمد حسن النجفي، المعروف بصاحب الجواهر، (١٢٠٢ ــ ١٢٦٦ هـ) من الفقهاء الأصوليين، الشيعة في القرن الثالث عشر، ولد في النجف واشتهر بها، وأهم أعماله هو كتاب جواهر الكلام؛ فعليه عرف بين أعلام الطائفة الشيعية بصاحب الجواهر.(ظ): النجفي، جواهر الكلام، ج ١، ص ٣؛ آل محبوبة، ماضي النجف وحاضرها، ج ٢، ص ١٣٤.

(٩٠) عبارة عن: مجرّد اشتهار الفتوى في مسألة، سواء لم تكن في المسألة رواية، أو كانت على خلاف الفتوى، أو على وفقها ولكن لم يكن الإفتاء مستنداً إليها، ولا تكون مثلها جابرة لضعف سند الرواية إلاّ إذا علم الاستناد، ولا كاسرة إلاّ إذا علم الإعراض. ارشاد العقول : محمد حسي العاملي ١/ ١٨٣.

(٩١) الآخوند الخراساني، هو الملّا محمد كاظم (١٢٥٥ ــ ١٣٢٩ هـ / ١٨٣٩ ــ ١٩١١ م)، فقيه أصولي ومرجع تقليد للشيعة وزعيم ديني سياسي الأمين، أعيان الشيعة، ج ٩، ص ٥.

(٩٢) كفاية الاصول، الآخوند الخراساني، ص٢٩٢.

(٩٣) الشيخ مرتضى الأنصاري، (١٢١٤ ــ ١٢٨١ هـ) هو أحد كبار فقهاء الشيعة في القرن الثالث عشر، وقد تصدى للمرجعية بعد صاحب الجواهر. واشتهر بالشيخ الأنصاري والشيخ الأعظم ولُقب بخاتم الفقهاء والمجتهدين، وأدّى تجديده لبعض نواحي التفريعات في علم الأصول إلى تطورٍ في علم الفقه، ويُعتبر كتاباه الرسائل والمكاسب من الكتب الأساسية في الدراسة الحوزوية، والفقهاء الذين أتوا بعده من تلامذته قاموا بتطوير منهجه وآثاره عبر إضافة شروح وتعليقات عليها. توفي سنة ١٢٨١ هـ في النجف الأشرف، ودفن في الحرم العلوي. الأمين، أعيان الشيعة، ج ١٠، ص ١١٧؛ معجم المؤلفين، ج ١٢، ص ٢١٦.

(٩٥) دلالة اللفظ على ثبوت حكم المنطوق للمسكوت عنه ، سواء أكان المسكوت عنه أولى بالحكم من المنطوق به أم كان مساوياً في ذلك ويعني دلالة الأولوية والمسمّى ب « مفهوم الموافقة » و « فحوى الخطاب » و « قياس الأولوية » . وللمزيد راجع « أصول الفقه » ج ١ ، ص ١٠٩ - ١١٠ و ج ٣ ، ص ٢٠٢ - ٢٠٤ .

(٩٦) فرائد الأصول، الشيخ مرتضى الأنصاري، ج١، ص٢٣١.

(٩٧)و سائل الشيعة : ١٨ - باب ٩ من أبواب صفات القاضي ، ح ١ ، عوالي اللئالي : ٤ - ١٣٣ ، ح ٢٢٩ .، فرائد الأصول : ١ - ١٥٥ (ط . جامعة المدرسين) .

(٩٨) مباني الاستنباط من تقريرات بحث سماحة الحجة آية الله العظمى السيد ابوالقاسم الموسوي الخوئي، ابو القاسم الكوكبي ص٤١٢. حجية الظن المطلق ومابعدها .

(٩٩) مباني الاستنباط من تقريرات بحث سماحة الحجة آية الله العظمى السيد ابوالقاسم الموسوي الخوئي، ابو القاسم الكوكبي ص٤١٢. حجية الظن

المطلق ومابعدها .

(١٠٠) مباني الاستنباط من تقريرات بحث سماحة الحجة آية الله العظمى السيد ابوالقاسم الموسوي الخوئي، ابو القاسم الكوكبي ص٤١٢. حجية الظن المطلق ومابعدها .

(١٠١) مباني الاستنباط من تقريرات بحث سماحة الحجة آية الله العظمى السيد ابوالقاسم الموسوي الخوئي، ابو القاسم الكوكبي ص٤١٢. حجية الظن المطلق ومابعدها .

(١٠٢) مباني الاستنباط من تقريرات بحث سماحة الحجة آية الله العظمى السيد ابوالقاسم الموسوي الخوئي، ابو القاسم الكوكبي ص٤١٢. حجية الظن المطلق ومابعدها .

المصادر والمراجع:

١.أساس البلاغة : الزمخشري ، بلا.ط ، ١٩٦٠م ، دار ومطابع الشعب – القاهرة ـ مصر .

٢.الاستبصار : الشيخ الطوسي ، تحقيق وتعليق : السيد حسن الموسوي الخرسان ، ط٤ ، ١٣٣٦ش، دار الكتب الإسلامية – طهران ـ إيران .

٣.بحوث في الاجتهاد والتقليد الأصولي : الشيخ مشتاق الساعدي ، ط١ ، ١٣٩٤ش ، مؤسسة الصادق (ع) ـ طهران ـ إيران .

٤.التذكرة بأصول الفقه : الشيخ المفيد ، تحقيق : الشيخ مهدي نجف ، ط٢ ، ١٩٩٣م ، دار المفيد – بيروت – لبنان .

٥. التصحيف في متن الحديث : حيدر المسجدي ، ط١ ، ١٤٣٢هـ ، دار الحديث ـ قم ـ إيران .

٦. الجهد الأصولي عند العلامة الحلي دراسة تطبيقية في الفقه مباني المختلف أنموذجاً : بلاسم عزيز الزاملي ، بلا.ط ، ١٤٣٢هـ ، العتبة العلوية المقدسة ـ العراق .

٧. العين : الخليل بن احمد الفراهيدي ، تحقيق : مهدي المخزومي - إبراهيم السامرائي ، ط٢ ، ١٤١٠هـ ، مؤسسة دار الهجرة.

٨. الكافي : الشيخ الكليني ، تصحيح وتعليق : علي أكبر الغفاري ، ط٣ ، ١٣٦٧ش ، دار الكتب الإسلامية ـ طهران ـ إيران.

٩. كليات في علم الرجال، الشيخ السبحاني، ط٥ ، ١٤٣٤هـ ، مؤسسة الإمام الصادق (عليه السلام)، قم ـ إيران .

١٠. مجمع الفائدة والبرهان : المحقق الأردبيلي ، تحقيق : الحاج آغا مجتبى العراقي ، الشيخ علي پناه الاشتهاردي ، الحاج آغا حسين اليزدي الأصفهاني ، بلا.ط ، بلا.ت ، مؤسسة النشر الإسلامي ـ قم ـ إيران.

١١. المحصول في علم الأصول : محمد بن الحسن الرازي ،، تحقيق : محمد عبد القادر عطا ، ط١ ، ١٩٩٩م ، دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ لبنان.

١٢. مختارات رجالية مسلك الوثاقة ومسلك الوثوق : الشيخ عادل هاشم ،بلا.ط ، بلا.ت ، النجف الأشرف ١٣. المدخل إلى القواعد القرآنية : ليث عبد الحسين العتابي ، ط١ ، ١٤٣٧هـ ، دار الولاء ـ لبنان .

١٤. مصباح الأصول، تقرير بحث السيد الخوئي، السيد محمد سرور،ط٥ ، ١٤١٧هـ ، المطبعة العلمية ـ قم ـ إيران.

١٥. مصباح الفقيه، الشيخ آقا رضا بن محمد هادي الهمداني، تحقيق : حمد الباقري – نور علي النوري – محمد الميرزائي، ، ط١ ، ١٤١٧هـ ، المؤسسة الجعفرية لإحياء التراث ـ قم ـ إيران .

١٦.معارج الأصول : المحقق الحلي ، تحقيق : محمد حسين الرضوي ، ط١ ، ١٤٠٣هـ ، مؤسسة آل البيت (ع) للطباعة والنشر ـ قم ـ إيران .

١٧.المعالم الجديدة للأصول : السيد محمد باقر الصدر ، ط٢ ، ١٩٧٥م ، مكتبة النجاح – طهران ـ إيران.

١٨.معجم ألفاظ الفقه الجعفري : احمد فتح الله ، ط١ ، ١٩٩٥م ، مطابع المدوخل – الدمام .

١٩.معجم المصطلحات والألفاظ الفقهية : محمود عبد الرحمن ، بلا.ط ، بلا.ت ، دار الفضيلة القاهرة ـ مصر .

٢٠.معجم مصطلحات الفقه وألفاظه : ضرغام كريم الموسوي ، ط١ ، ٢٠١٩م ، دار الفرات ـ بابل ، العراق .

٢١.معجم مقاييس اللغة : احمد بن فارس ، تحقيق : عبد السلام محمد هارون ، بلا.ط ، ١٤٠٤هـ ، مكتبة الإعلام الإسلامي ـ إيران.

٢٢. منتهى المطلب في تحقيق المذهب : العلامة الحلي ، بلا.ط ، بلا.ت ، بلا.ب .

٢٣. منهجية الاستنباط في المدرسة الفقهية الإمامية : السيد منذر الحكيم ، مجلة الاجتهاد والتجديد ، ١٤٣٣هـ ، العدد ٢٤ ، دار الثقلين ـ بيروت ـ لبنان .

٢٤- معجم مقاييس اللغة : احمد بن فارس ، تحقيق : عبد السلام محمد هارون ، بلا.ط ، ١٤٠٤هـ ، مكتبة الإعلام الإسلامي ـ إيران ، ١ / ٣٠٢ .

٢٥- أساس البلاغة : الزمخشري ، بلا.ط ، ١٩٦٠م ، دار ومطابع الشعب – القاهرة ـ مصر ،

٢٦- المدخل إلى القواعد القرآنية : ليث عبد الحسين العتابي ، ط١ ، ١٤٣٧هـ ، دار الولاء ـ لبنان ، ١٧ .

فصلية مُحَكَمة تُعنى بالبحوث والدراسات العلمية والإنسانية والفكرية
العدد (٣) السنة الثانية ذو القعدة ١٤٤٣ هـ حزيران ٢٠٢٢ م

السمات الفقهية لمدرسة المتقدمين الامامية

م. ظاهر محسن عبد الله
كلية الامام الكاظم (عليه السلام)
للعلوم الإسلامية الجامعة

الملخص :
يُعد المذهب الإمامي من المذاهب الفقهية التي تعتمد على الفقه الاستنباطي ، لأنها تنتمي إلى مدرسة أهل البيت عليهم السلام. كما أن الفقه ، وكذلك هذه المنهجية ، اعتمدها الشيخان ابن الجنيد وابن عقيل والشيخ الصدوق رضي الله عنهما ، وأثمرت جهود هؤلاء العلماء في التفرع والتخرج في النهوض بفقه الدين. أهل البيت (عليهم السلام) والاستعداد لنشأة المدارس الفقهية الحديثة ، بتأمين الظروف اللازمة لها ، وانطلاق البحث الفقهي من النطاق الفردي إلى المجال الاجتماعي.

Abstract :
The Imami school of jurisprudence is considered one of the schools of jurisprudence that depends on deductive jurisprudence، because it belongs to the school of Ahl al-Bayt (peace be upon them). Jurisprudence، as well as this methodology was adopted by the two Sheikhs Ibn Al-Junayd and Ibn Aqeel and Sheikh Al-Saduq، may God be pleased with them، and the efforts of these scholars in branching and graduating were fruitful in advancing the jurisprudence of Ahl al-Bayt (peace be upon them) and preparing for the emergence of modern schools of jurisprudence، by securing the necessary conditions for them and launching jurisprudential research from the individual scope to the social sphere

أولاً : الشيخ الحسن بن أبي عقيل :
ولد الشيخ الحسن بن علي بن أبي عقيل في سلطنة عمان ، والمعروف بأبي محمد العماني ، ويقال له ابن أبي عقيل الحذّاء ، وصفه النجاشي : الحذّاء ، فقيه متكلم ثقة ، له كتب في الفقه والكلام ، منها (المتمسك بحبل آل الرسول)(٥)، وكان معاصراً للشيخ المحدث الكليني (ت ٥٣٢٩) (٦) ، صاحب كتاب(الكافي) ، لذا فهو من فقهاء الغيبة الصّغرى ومتواصلا مع فقهاء عصره في المدة ما بين النصف الثاني من القرن الثالث وبداية النصف الأول من القرن الرابع الهجري ، اما وفاته فلم تحدد المصادر التأريخية زمان ولادته ووفاته ، لكن في رواية انه توفي قبل سنة ٥٣٦٩ ، وصفه العلامة الحّلي بانه فقيه ثقة متكلم ، ، وهو من جملة المتكلمين وفضلاء الامامية(٧)،ويبدو ان سيرة ابن ابي عقيل فيها الكثير من الغموض ، فالمصادر الرجالية لم تعطينا صورة مفصلة عن حياته ، مما جعل ان تكون الصلة بينه وبين الحواضر العلمية ضعيفة جدا ، فهناك معلومات وجدناها في اسطر بعض المواقع تذكر ان الشيخ ابن عقيل له مؤلف اخر هو(الكر والفر) ، مما ان اصله قد يعود لعشيرة الازديين الموالين لعلي بن ابي طالب (عليه السلام) ، وانه حاول ترشيد حركة الفقه وإرساء منهجية تأسيسية لطريقة بحثه (٨).
لعب الشيخ ابن أبي عقيل دورا كبيرا في تغيير مسار الفقه الامامي ، فقال بالاجتهاد والنظر في احكام الله وفق العقول القاصرة ، اذ ينسب اليه هذا التغيير بعد الغيبة الكبرى(٩)، فقال الشهيد الأول في قواعده :» هو أبو محمد الحسن بن علي بن ابي عقيل العماني الحذاء من اكابر علماء الامامية وفقهائهم في القرن الرابع الهجري وهو اول من هذب الفقه واستعمل النظر في الأدلة وطريقة جمع بين مدارك الاحكام بالاجتهاد الصحيح في ابتداء الغيبة الكبرى»، وقال اخرون(أول

من هذب الفقه واستعمل النظر(١٠)، وأيضا قالوا فيه « وهو اول من هذب الفقه واستعمل الفقه واستعمل النظر وفتق البحث عن الأصول والفروع في ابتداء الغيبة الكبرى» (١١)، وقال الشيخ محمد الفاضل اللنكراني (١٩٣٠م/١٣١٣ه-٢٠٠٨م/١٤٠٢ه) عن الشيخ ابن ابي عقيل في مقدمة كتاب (مناهج الوصول الى علم الأصول) للسيد الخميني (قدس): «ان اول من اعتمد على علم الأصول في مقام الاستنباط واستند اليه الشيخ الجليل حسن بن علي بن ابي عقيل ...وهو اول من هذب الفقه ، واستعمل النظر ، وفتق البحث عن الأصول والفروع في ابتداء الغيبة الكبرى ... ثم اقتفى أثره ونهج منهجه ابن الجنيد المعروف بالاسكافي» (١٢) .

كما اثنى عليه الكثير من الفقهاء كالشيخ الطوسي و السيد البروجردي(ت ١٣٨٠ه) ، وقد ابدى اسفه لعدم وصول كتاب العماني اليه(١٣)، ولكن نقل أصحاب المصنفات انه كان له فتاوى قد خالف فيها ما سبقه وهي مخالفة (للمشهور) ، حيث يذكر الشيخ السبحاني انه نقل عنه فتوتان (شاذتان) ما افتى بها غيره الا قليل كعدم انفعال الماء القليل بمجرد الملاقاة ، ومن قرأ في صلاة السنن في الركعة الأولى ببعض السور وقام في الركعة الأخرى ابتدأ من حيث قرأ ولم يقرأ بالفاتحة ، كما انه افتى بعد وجوب طواف النساء ، وعدم اشتراط رضى المرأة في نكاح بنت اختها وبنت أخيها عليها ، كذلك قال بطهارة اهل الكتاب ، وجواز التيمم بغير التراب (الأرض) كالكحل والزرنيخ ، وطهارة العصير العنبي اذا على واشتد(١٤).

ثانيا : الشيخ محمد بن أحمد بن الجنيد الاسكافي :

ولد الشيخ محمد بن احمد بن الجنيد بمدينة(الاسكاف) وهي احدى نواحي مدينة بغداد ، بالقرب من منطقة النهروان ، وتنحدر اسرة (الاسكاف) من جدها الأعلى وهو (الجنيد) القريب عهدا من عصر كسرى الفارسي ، وهذا الجد هو من بنى الشاذوران في أيام كسرى ، ولهذا فهو اشتهر نتيجة لذلك حتى ارتبطت تسمية المدينة بهم وسميت (اسكاف بني الجنيد) وقد اقرهم الخليفة الثاني عمر بن الخطاب على تلك المدينة وقربهم منه(١٥)، ولم تذكر كتب التأريخ سنة ولادته ، ولكن كتب الرجال قد ذكرت الشيخ بن الجنيد وانه توفي في سنة ٣٨١ه في بغداد .

كان ابن الجنيد من اعيان الشيعة ، واكثرهم علما وفقها وادبا ، واكثرهم تصنيفا واحسنهم تحريرا ، وادقهم نظرا ، متكلم فقيه ، محدث أديب ، واسع العلم(١٦)، صنّف في الفقه والكلام والأصول والادب والكتابة وغيرها ، بلغت مصنفاته نحو خمسين كتابا ، منها كتاب (تهذيب الشيعة لاحكام الشريعة) .

لقد سار الشيخ ابن الجنيد على الطريقة والمنهجية التي سبقه فيها ابن ابي عقيل ، فكان لهما دورا كبيرا في تغيير مسار العلم ، حيث احدث الشيخ ابن الجنيد نقلة نوعية في التعامل مع الاحكام الشرعية ، فقد سلك مسلكا غريبا في توجيه اختلاف الاخبار ، ونقل الشيخ المفيد (قدس) في مسائله السرورية (ان السبب في ذلك هو اجتهاد الائمة (عليهم السلام) مع اعتقاده بانهم يمثلون المرتبة العليا في وجوب الاطاعة واعترافه بامامتهم ، ويردف قائلا بانه في الجواب عن المسائل التي وردت اليه من ايران لعلها مدينة (ساري) مما يؤكد ان هناك جدلا في ذلك الوقت حول المسألة ، واجبت عن المسائل التي كان ابن الجنيد جمعها وكتبها الى اهل مصر ، ولقّبها

بالمسائل المصرية ، وجعل الاخبار فيها ابوابا ، وظن انها مختلفة في معانيها ، ونسب ذلك الى قول الائمة(عليهم السلام) فيها بالرأي)(١٧)، هذا الاتهام الذي وجه للشيخ المفيد كان بسبب ما نسب الى ابن الجنيد من كتب ، ككتاب (كشف التمويه والالباس على اغمار الشيعة في امر القياس) وكتاب (اظهار ما ستره اهل العناد من الرواية عن العترة أمر الاجتهاد)(١٨)، في حين ان هناك بعض اقطاب الشيعة قد اتهموا بالقياس كيونس بن عبدالرحمن والفضل بن شاذان(١٩)، فقد كان الفقه الامامي مقتصرا على روايات اهل البيت (عليهم السلام)،ولم تحدد الكتب الرجالية أي شخصية واحدة قد سبقت الشيخ ابن الجنيد في زج العديد من اراء المذاهب الأخرى في مدرسة اهل البيت (عليهم السلام) ، ولذا فقد اتهم بتبنيه القول بالاجتهاد مستعينا بالقياس والرأي معتمدا على الاستنتاجات الظنية عند المذاهب الأخرى(٢٠).

لقد كان الشيخ المفيد (قدس) احدى طلاب الشيخ ابن الجنيد المقربين ، مما دفعه للتصدي لقياس استاذه ابن الجنيد واثره في الرد على استعمال استاذه للقياس والظن وسلوكه طريق المخالفين ، لانه قريبا من معرفة ارائه ومبانيه الاستدلالية(٢٢)، فقال بخصوص ما ذهبت اليه اراءه :

« فاما كتب أبي علي بن الجنيد ، فقد حشاها بأحكام عمل فيها على الظن ، واستعمل فيها مذهب المخالفين في القياس الرذل ، فخلط بين المنقول عن الائمة (عليهم السلام) وبين ما قال برأيه ، ولم يفرد احد الصنفين عن الاخر» (٢٢)، وقال اخرون بما قاله المفيد ، فقال الشيخ الطوسي :

«محمد بن احمد بن الجنيد ، أبو علي الكاتب الاسكافي وجه في اصحابنا ثقة جليل القدر ، صّنف فأكثر – ثم يذكر له كتبا عديدة ومسائل كثيرة ثم يقول عنه بعد ذلك : – وسمعت شيوخنا الثقات يقولون عنه : انه كان يقول بالقياس ، واخبرونا جميعا بالاجازة لهم بجميع كتبه ومصنفاته» (٢٣).

لقد قال الفقهاء كلمتهم ولكن قد يتبادر الى افهامنا تساؤلات ، على الرغم من وثاقة الشيخ ابن الجنيد وجلالة قدره ، هل ان المنع من القياس من ضروريات المذهب الامامي ، وهنا إجابة للسيد بحر العلوم قائلا :«ويتجه – هنا – سؤال ، وهو : ان المنع من القياس من ضروريات مذهب الامامية ومما تواترت به الروايات عن الائمة (عليهم السلام) فيكون المخالف في ذلك خارجا عن المذهب فلا يعتد بقوله ، بل لا يصح توثيقه ، الا ان يراد : انه ثقة في مذهبه – كما يقال ذلك في مثل الفطحية والواقفية والمخالفين من العامة – واعظم من ذلك : ما حكاه المفيد – عنه من نسبة الائمة (عليهم السلام) الى القول بالرأي ، فانه رأي سيء وقول شنيع ، وكيف يجتمع ذلك مع القول بعصمة الائمة (عليهم السلام) وعدم تجويز الخطأ عليهم – على ما هو المعلوم من المذهب – وهذا القول _ وان لم يشتهر عنه الا ان قوله بالقياس معروف مشهور قد حكاه المفيد والشيخ السروي في ((معالمه)) ونقله النجاشي عن شيوخه الثقات وقد يلوح ذلك _ايضا_ من كلام السيد المرتضى عند نقل أقواله»(٢٤).

لقد كان للشيخ ابن الجنيد جملة من المسائل التي خالف فيها المشهور من اراء الامامية ، منها انه قال بجواز المسح بالماء المستأنف بغير بلة الوضوء ، وقال أيضا بطهارة القليل من الدم ، وان الغسل مطلقا يجزئ عن الوضوء ، وقال بجواز قول (الصلاة خير من النوم) في آذان الفجر

، وقال أيضا بعدم وجوب تقدم الجانب الأيمن على الجانب الايسر في الغسل ، وقال بطهارة جلد الميتة بالدباغ ، وقال بجواز إزالة الدم بالبصاق(٢٥).

لقد كان من اللازم ان اذكر تعليق السيد الخوئي بشأن كتاب (المسائل السروية) ونسبته للشيخ المفيد والشك فيها اذ يقول :

« ان نسبة هذا الكتاب الى الشيخ المفيد (قدس) _ لم تثبت ، ولم يذكر النجاشي والشيخ له كتابا بسمى بالمسائل السروية نعم ذكر النجاشي له كتابا وهو النقض على ابن الجنيد في اجتهاد الرأي ، ولكن لم يعلم ان المراد به ماذا ، فلعل المراد النقض على قول ابن الجنيد بالاجتهاد بالرأي ، أي بجواز العمل بالظن ، ومما يؤكد عدم صحة هذه النسبة انها لو صحت لذكرها النجاشي والشيخ ، فان ما نسب اليه اعظم من قوله بالقياس ، فكيف لم يطلع على ذلك النجاشي والشيخ وهما تلميذان للمفيد (قدس)»(٢٦).

ثالثا : الشيخ المفيد :

محمد بن محمد بن النعمان المفيد ، ولقب بالمفيد لغزارة علمه وكثرة افاداته ، وعرف أيضا بابن المعلّم لمهنة ابيه في التعليم(٢٧)، ويلقب أيضا بالبغدادي والعكُبري نسبة الى مسقط رأسه في (عُكبرا) والبحارثي نسبة الى الحارث بن كعب ، وكانت ولادته في الحادي عشر من شهر ذي القعدة سنة ٣٣٦ او سنة ٣٣٨ في سويقة ابن البصري بعكبراء – على عشرة فراسخ من بغداد في ناحية الدجيل (٢٨) ،ترعرع في في كنف ابيه وتعلم القرآن ، ثم انحدر مع ابيه الى بغداد ، وادرك في عصره عصر النهضة العلمية كثيرا من اعاظم الشيوخ من المحدثين والمتكلمين من الفريقين منهم :

١ : أبو علي محمد بن الجنيد الاسكافي (ت٣٨١ هـ) .

٢ : أبو القاسم جعفر بن محمد بن قولويه (ت ٣٦٩ هـ).

٣ : أبو غالب احمد بن محمد بن سليمان الزراري (ت٣٦٨ هـ) .

٤ : أبو بكر محمد بن عمر بن محمد بن سالم الجعابي (ت٣٥٥ هـ) .

٥ : أبو عبدالله الحسين بن علي بن إبراهيم الجعُل البصري (ت٣٦٩ هـ) .

٦: علي بن عيسى الرمّاني (ت٣٨٤ هـ) (٢٩)، واشتغل فيها بالقراءة على ابي عبدالله الحسين بن علي البصري المعتزلي المعروف بالجعُل، ثم قرأ على ابي ياسر غلام ابي الجيش ، وبعد مضي عدة سنوات في الدرس والتحصيل اصبح عالما بصيرا وفقيها عظيما ومتكلما كبيرا ، ولُقب بالمفيد وانتهت اليه رئاسة الامامية ، وأصبحت له مكانة في بلدته حيث كان يزوره السلطان عضد الدولة الديلمي البويهي في بيته على الرغم من صغر سنه (٣٠)، توفي في بغداد ، في العقد الثامن من عمره المملوء بالكفاح سنة ٤١٣ هـ ودفن عند رجلي الامام محمد بن علي الجواد (عليه السلام) ، بجنب استاذه الشيخ ابي القاسم جعفر بن محمد بن قولويه(٣١).

لقد كان الشيخ المفيد انتقائيا في تكوين مدرسته ، وكان كما تصفه عبارة البعض ، من احرص الناس على التعليم ، وانه كان يدور على المكاتب وحوانيت الحاكة فيلمح الصبي الفطن فيذهب الى ابويه لأستئجاره منهم وتعليمه وبذلك كثر تلامذته ، كما كان يقوم لتلامذته بكل ما يحتاجون اليه(٣٢)، ومن ابرز تلامذته :

١ : السيد المرتضى ، علم الهدى ، علي بن الحسين بن الموسو ي (ت٤٣٦ هـ).

٢: الشريف الرضي محمد بن الحسين الموسوي (٥٤٠٦) .
٣ : أبو جعفر محمد بن الحسن الطوسي (ت٥٤٦٠) .
٤ : سلار بن عبد العزيز الديلمي (ت٥٤٦٣) .
٥ :أبو الفتح محمد بن علي الكراكجي (ت٥٤٤٩).
٦ : أبو يعلى محمد بن الحسن بن حمزة الجعفري (ت٤٦٣) .

اما مصنفاته فكانت كثيرة ، على الرغم من انشغاله بالتعليم والتدريس ، وترك ثروة علمية كبيرة اما مكانة الشيخ المفيد (قدس) عند اساطين العلماء فنوجزها بما يأتي :

قال الذهبي :

« عالم الرافضة ، صاحب التصانيف ، الشيخ المفيد واسمه محمد بن النعمان البغدادي الشيعي ، ويعرف بابن المعلم ، كان صاحب فنون وبحوث وكلام واعتزال وأدب ، ذكره ابن ابي طي في تاريخ الامامية فاطنب واسهب وقال :

كان أوحد في جميع فنون العلم ، الأصلين و الفقه والاخبار ومعرفة الرجال والتفسير والنحو والشعر ، وكان يناظر اهل كل عقيدة مع العظمة في الدولة البويهية والرتبة الجسيمة عند الخلفاء ، وكان قوي النفس ، كثير البر ، عظيم الخشوع ، كثير الصلاة والصوم ، يلبس الخشن من الثياب ، وكان مُديما للمطالعة والتعليم ، ومن احفظ الناس ، قيل : ما ترك للمخالفين كتابا الا وحفظه ، وبهذا قدر على حل شُبَه القوم ، وكان من احرص الناس على التعليم ، يدور على المكاتب وحوانيت الحاكة .... وقيل : ربما زاره عضد الدولة ويقول له : اشفَعْ تُشفَعْ (٣٣) ، وقال ابن حجر العسقلاني فيه :

« بن محمد بن النعمان الشيخ المفيد عالم الرافضة ، أبو عبدالله ابن المعلم صاحب التصانيف البديعة وهي : مائتا تصنيف طعن فيها على السلف ، له صولة عظيمة بسبب عضد الدولة ...وكان كثير التقشف والتخشع والاكباب على العلم ، تخرج به جماعة ، وبرع في مقالة الامامية حتى كان يقال له :

على كل امامي منّة ، وكان ابوه معلما بواسط وولد بها وقتل بعُكبراء ، ويقال :

ان عضد الدولة كان يزوره في داره ويعوده اذا مرض ، وقال الشريف أبو يعلى الجعفري ، وكان تزوج بنت المفيد :

ما كان المفيد ينام في الليل الا هجعة ثم يقوم يصلي أو يطالع او يدرس او يتلو القرآن(٣٤)، اما ابن كثير فاثنى عليه وقال :

«ابن النعمان شيخ الإمامية الروافض والمصنف لهم والمحامي عن حوزتهم ، كانت له وجاهة عند ملوك الأطراف لميل الكثير من اهل الزمان الى التشيع ، وكان مجلسه يحضره خلق كثير من العلماء من سائر الطوائف ، وكان من جملة تلاميذه الشريف الرضي والمرتضى (٣٥)«اما النجاشي فذكره في رجاله فقال» :

محمد بن محمد بن النعمان .. شيخنا واستاذنا رضي الله عنه ، فضله اشهر من ان يوصف في الفقه والكلام والرواية والثقة والعلم (٣٦) ، وقال تلميذه الشيخ الطوسي في الفهرست :

«محمد بن محمد بن النعمان ، يكنى أبا عبدالله ، المعروف بابن المعلم ، من جملة متكلمي الامامية ، انتهت اليه رئاسة الامامية في وقته وكان فقيها متقدما فيه ، حسن الخاطر ، دقيق الفطنة ، حاضر الجواب ، وله قريب من مائتي مصنف كبار وصغار ، وفهرست كتبه معروف

(٣٧)، اما أبن الجوزي فقال في الشيخ المفيد (قدس) :
« محمد بن محمد بن النعمان ، أبو عبدالله المعروف بابن المعلم ، شيخ الامامية وعالمها ، صَنف على مذهبهم ، ومن أصحابه المرتضى ، وكان لابن المعلم مجلس نظر بداره بدرب بحضرة كافة العلماء ، وكانت له منزلة عند امراء الأطراف يميلهم الى مذهبه (٣٨)، اما العلامة الحلي فقال فيه : «محمد بن محمد بن النعمان ، يكنى أبا عبدالله بلقب بالمفيد وله حكاية في سبب تسميته بالمفيد ، ذكرناها في كتابنا الكبير ويعرف بابن المعلم ، من اجل مشايخ الشيعة ورئيسهم واستاذهم ، وكل من تأخر غنه استفاد منه ، وفضله اشهر من ان يوصف في الفقه والكلام والرواية ، أوثق اهل زمانه واعلمهم ، انتهت رئاسة الامامية اليه في وقته ؛ وكان حسن الخاطر ، دقيق الفطنة ، حاضر الجواب ؛ له قريب من مائتي مصنف كبار وصغار(٣٩).

المنهجية الأصولية عند الشيخ المفيد (قدس) :
لقد كانت من ابرز صفات الشيخ المفيد انه كان حر الفكر وطريقته في العلوم عقلانية ، ولأن القرن الثالث والرابع الهجري زمن انفتاح علم الحديث ورواجه الى حد التكامل ، فقد اخذ المحدثون بالاهتمام بظواهر الحديث والبحث فيه سندا ونقلا ، ولا يعيرون المضمون والمحتوى اهتماما ، فأستطاع الشيخ المفيد ان يتبع طريقة مميزة في التعامل مع العلوم لينقلها من مرحلة الجمود الى مرحلة المرونة والتحرك ضمن الاطار المرسوم لها(٤٠).
لقد طور الشيخ المفيد طريقة التصنيف الاصولي في مذهب الامامية ، اذ وضع اول دورة أصولية رغم اختصارها ، تبدأ بمباحث الالفاظ وتنتهي بمبحث التعارض بين الاخبار ، واستمرت هذه المنهجية في علم الأصول الى عصرنا الحاضر ، وأشار الشيخ الطوسي الى ابداع استاذه المفيد عندما قال في مقدمة كتابه (العدة) :
ولم يعهد لاحد من اصحابنا في هذا المعنى ، التأليف في علم الأصول الا ما ذكره شيخنا المفيد (قدس) في المختصر الذي في أصول الفقه (٤١).
لقد اخذ الشيخ المفيد منهجا وسطا في مجال الفقه ، اذ التزم بالنصوص والتوسع في التفريعات مستمدة من القياس والاستحسان ، وكتابه (المقنعة)
قد شمل أبواب الفقه ، واضفى المفيد في هذا الكتاب ثوبا جديدا على الفقه الامامي وحدده بقواعد مستمدة من الكتاب والسنة الشريفة ، وهو ليس كتابا تفريعيا تخريجيا كالمبسوط الذي الفه الطوسي (٤٢). ويقول الشيخ السبحاني (بعد ان انكر على ابن الجنيد الاجتهاد وعمله بالقياس والاستحسان وسلوكه طرق المخالفين راح يبين طريقته لمعرفة الاحكام الشرعية ، وقد حصر الشيخ المفيد الاحكام الشرعية في منابع ثلاثة)(٤٣)، قائلا :
« اعلم ان أصول الاحكام الشرعية ثلاثة أشياء :
كتاب الله سبحانه،وسنة نبيه(صلى الله عليهوآله)، واقوال الائمة الطاهرين من بعده ((صلوات الله عليهم وسلامه (٤٤)، ثم أضاف قائلا :
والطرق الموصلة الى علم المشروع في هذه الأصول ثلاثة : أحدها ، العقل ، وهو السبيل الى معرفة حجية القرآن ودلائل الاخبار .
ثانيها : اللسان ، وهو السبيل الى معرفة بمعاني الكلام .
وثالثها : الاخبار ، وهي السبيل الى اثبات أعيان الأصول من الكتاب والسُنة ، واقوال

الائمة (عليهم السلام) (٤٥) ، والملاحظ ان الشيخ المفيد لم يجعل العقل اصل من أصول التشريع ، اذ العقل عنده سبيلا لمعرفة حجية القرآن ودلالة الروايات ، وقد علق الشيخ محمد رضا المظفر على ذلك بقوله : « لم يظهر لي بالضبط ما كان يقصد المتقدمون من علمائنا بالدليل العقلي ، حتى ان الكثير منهم لم يذكره من الأدلة ، او لم يفسره ، أو فسره بما لا يصلح ان يكون دليلا في قبال الكتاب والسُنة (٤٦) ، ثم اردف معقبا على ما ذكره الشيخ المفيد في كتابه أصول الفقه قائلا :

« وأقدم نص وجدته ما ذكره الشيخ المفيد _ المتوفى (سنة ٤١٣ ه) _ في رسالته الأصولية التي لخّصها الشيخ الكراجكي فانه لم يذكر الدليل العقلي من جملة ادلة الاحكام ، وانما ذكر ان أصول الاحكام ثلاثة :

الكتاب والسنة النبوية وأقوال الائمة (عليهم السلام) . ثم ذكر أن الطرق الموصلة الى ما في هذه الأصول ثلاثة : اللسان ، والاخبار ، وأولها العقل (٤٧). من ابتكارات الشيخ المفيد الأخرى انه استعرض اراءه الشخصية وآراء امامه مع ذكر آراء فقهاء سائر المذاهب الأخرى مع ذكر استدلالاتهم ، ففي كتابه (الاعلام فيما اتفقت عليه الامامية من الاعلام) ذكر فيه ما اتفقت عليه الامامية من الأصول ، وتطرقه لاراء المخالفين ، وقد تبعه تلميذاه السيد المرتضى والسيد الطوسي ، فألف الأول كتاب (الانتصار)والأخر كتاب (الخلاف) ، حيث ذكُرت فيهما اراء الفقهاء المسلمين ومناقشتها وترجيح الرأي المختار ، وهذا ما عُرف بالفقه المقارن (٤٨).

رابعا : السيد المرتضى :

وهو السيد علي بن الحسين بن محمد ، المعروف بالمرتضى وينتهي نسبه الى الامام موسى ابن جعفر (عليه السلام) ، كان من المتكلمين وشاعرا اديبا ، عظيم المنزلة في العلم والدين والدنيا ،ولد السيد المرتضى في بغداد سنة ٣٥٥ ه ، وانه مات في خمس بقين من شهر ربيع الأول سنة ٤٣٦ ه وصلّى عليه ابنه في داره(٤٩)،وقال تلميذه الشيخ الطوسي : كنيته أبو القاسم ، لقبه علم الهدى ، الاجل المرتضى ، متوحد في علوم كثيرة ، مجمع على فضله ، متقدم في العلوم ، مثل علم الكلام والفقه وأصول الفقه والادب والنحو والشعر ومعاني الشعر واللغة وغير ذلك ؛ له ديوان شعر يزيد على عشرين ألف بيت ، ثم ذكر تصانيفه، ان اسرة السيد كانت من ذي قبل ، ذات اعتبار ومكانة لدى الخلفاء العباسيين(٥٠)، وقال صاحب كتاب (الغدير) فيه (فهو امام الفقه ، ومؤسس اصوله واستاذ الكلام ، ونابغة الشعر وراوية الحديث وبطل المناظرة ، والقدوة في اللغة ، والأسوة في العلوم العربية كلّها ، وهو المرجع في تفسير كتاب الله العزيز ، وجماع القول انك لا تجد فضيلة الا وهو ابن بجدتها) (٥١) ، تزعم الشريف المرتضى زمام الأمور بعد وفاة استاذه الشيخ المفيد ،حيث كان نقيبا للنقابة الشيعية في محلة الكرخ التي شهدت تحركات وحروبا طائفية آنذاك ، فيما كانت اسرة الشريف المرتضى من اكبر العائلات الشيعية ظهورا وشهرة ، كما ان منصب امارة الحج والنظر في المظالم في بعض ضواحي العراق كانت مفوضة اليهم من الخليفة العباسي شخصيا(٥٢) .

لقد تتلمذ السيد المرتضى على مشايخ اجلاء وابرزهم :

١ : الشيخ المفيد (ت٤١٣ هـ) .

٢ : أبو محمد هارون بن موسى التلعكبري (ت٣٨٥ هـ)

٣:الشيخ الصدوق محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي (ت ٣٨١ ه)
٤:أبو يحيى بن نباتة عبدالرحيم بن الفاراقي (ت ٣٧٤ هـ) ، واخرون (٥٣).
اما ابرز تلاميذه فهم :
١ : شيخ الطائفة أبو جعفر الطوسي (ت ٤٦٠ ه).
٢ : أبو يعلى سلاّر بن عبدالعزيز الديلمي (ت ٤٤٨ ه)
٣ : أبو الصلاح تقي الدين بن نجم الحلبي (ت٤٤٧ ه)
٤ : القاضي عبد العزيز بن البراج الطرابلسي (ت٤٨١ ه)
٥ : محمد بن الحسن بن حمزة الجعفري (ت٤٦٣ ه)
٦ : أبو الفتح محمد بن علي الكراجكي (ت٤٤٩ ه) ، واخرون(٥٤)

منهجية السيد المرتضى الفقهية :

لقد احدث السيد المرتضى الانقلاب الثاني بعد ثورة ابن الجنيد والعُماني ، فقد زج فتاوى ابن الجنيد وجعلها معتبرة في جملة الاجماع والخلاف ، وكان يعتذر عن مخالفته في بعض المسائل الخلافية(٥٥)، فقد ذكر السيد بحر العلوم بان السيد مرتضى اول من جعل آراء ابن الجنيد في جملة الاجماع من القدماء قائلا :

« وممن يحكي قول ابن الجنيد ، ويعتبر ما في الاجماع والنزاع من القدماء للسيد الأجل المرتضى ، فانه قد اكثر النقل عنه والاعتذار عن مخالفته في بعض المسائل(٥٦)، وهذا إشارة الى النقلة النوعية في التعامل مع مسائل الفقه بعد وفاة الشيخ المفيد ، ولذا فان السيد المرتضى في انقلابه يوحي بانه سار على طريق ابن الجنيد من تبني القياس ، ولو ان هناك إشارات الى تبرئه منه شرعا وعقلا اذ قال :«ان القياس محظور في الشريعة استعماله ، لأن العبادة لم ترد به ، وان كان العقل مجوزا ورود العبادة باستعماله (٥٧)، ثم عمل بعد ذلك على تبنيه وجعله طريقا الى معرفة الاحكام الشرعية من خلال قوله :

« اعلم انا اذا بينا ان القياس الشرعي يمكن ان يكون طريقا الى معرفة الاحكام الشرعية ، فقد جرى القياس مجرى الأدلة الشرعية كلها من نص وغيره ، فمن منع – مع ثبوت ذلك – من ان يدل الله تعالى به ، كما يدل بالنص على الاحكام ، فهو مقترح لا يلتفت الى خلافه(٥٨)، ولنا وفقة مع هذا القول ، فهل من اليسر تقديم اقتراحا على شريعة الله تعالى ، لان الأنبياء والائمة (عليهم السلام) لم يفعلوا ذلك ، بل نهوا عن ذلك واقوالهم معروفة ومتواترة ، وقالوا بلسان صريح بان دين الله لا يصاب بالعقول ، وان القرآن والسنة لا يفسران بالعقل والرأي ، وما يهمنا هو الامتثال والطاعة لآل البيت (عليهم السلام) والالتزام بما قالوه وليس التقدم عليهم ومخالفتهم ، فكيف يتسنى لنا القول بخلاف ذلك ، ولكن مع ذلك نجد السيد المرتضى يقرّب ما يؤيد رايه من خلال تقريب صحة القياس الى اذهان المتلقين ، فيقول :

« والذي يدل على صحة معرفة الاحكام به _ أي القياس _ انه لا فرق في صحة معرفتنا بتحريم النبيذ المسكر بيّن ان ينص الله تعالى على تحريم كل مسكر ، وبين ان ينص على تحريم الخمر بعينها ، ثم ينص على ان العلة في تحريمها شدتها ، ولا فرق بيّن ان ينص على العلة ، وبين ان يدلنا بدليل غير النص على انه حرّم الخمر لشدتها ، او ينصب لنا أمارة يغلب عندها في ظنوننا أن تحريم الخمر لهذه العلة ، مع ايجابه القياس علينا في هذه الوجوه كلها (٥٩) .

لقد اخذ السيد المرتضى بقاعدة الاجماع، ويعد تصريحه بها من اقدم تصاريح الفقهاء ، فقال :

« اختلف الناس في هذه المسألة : فقال اكثر المتكلمين وجميع الفقهاء : ان اجماع أمة النبي (صلى الله عليه وآله) حجة ، وانهم لا يجوز ان يجمعوا على باطل . (٦٠)، واذا امعنا النظر في استدلالاته بالاجماع من باب دخول الامام المعصوم في المجمعين ، اما كيفية استحصال العلم بدخول المعصوم (عليه السلام) في الاجماع فهو موكول الى بحث اخر ، ولأن وجود الامام المعصوم في المجمعين له قيمة علمية ، لكونه كاشفا عن وجود الحجّة الشرعية بين المجمعين ، وقال بتقدم الاجماع على ابن الجنيد وابن بابويه وعدم العبرة بخلافهما لمعلومية نسبهما ، وضرب امثلة على ذلك منها ان الزكاة واجبة في جميع الحبوب التي تخرجها الأرض وان زادت على التسعة أصناف التي ذكرها الفقهاء(٦١) ، ويؤكد السيد المرتضى في نص اخر فيقول :«والصحيح الذي نذهب اليه ان قولنا _ اجماع _ اما ان يكون واقعا على جميع الامة ، او على المؤمنين منهم ، او على العلماء فيما يراعي فيه اجماعهم ، وعلى كل الأقسام لابد من ان يكون قول الامام المعصوم داخلا فيه ، لانه من الامة ، ومن اجل المؤمنين ، وأفضل العلماء ، فالاسم مشتمل عليه ، وما يقول به المعصوم لا يكون الا حجة وحقا (٦٢) ، وللسيد اراء في الأصول والفقه قد انفرد بها في عصره كقوله بان الكفار مكلفون بالفروع كما هم مكلفون بالاصول ، وان الاستصحاب لم تثبت حجيته عنده ، وقوله بجواز استعمال اللفظ الواحد في اكثرمن معنى وان الاستعمال يعد علامة للحقيقة وغيرها من الآراء الفقهية والاصولية(٦٣) .

خامسا : الشيخ أبو جعفر الطوسي :

ولد الشيخ أبو جعفر ، محمد بن علي بن الحسن الطوسي في مدينة طوس في شهر رمضان عام ٣٨٥ه (٦٤)،دخل الشيخ الطوسي بغداد سنة ٤٠٨ه وتوفي في عام ٤٦٠ه في النجف الاشرف ودفن بجوار مرقد الامام علي بن ابي طالب (عليه السلام) ، أي انه قضى الفترة السابقة في طوس وسائر مدن خراسان ، وبعد تلقيه العلم في نيسابور هاجر الى بغداد ، وكان متمكنا في العلوم الإسلامية ، وشيخ عصره ، بحيث اصبح متمكنا من حضور مجالس المشايخ الثلاث وهم :

١: أبو حازم النيسابوري (ت ٤١٧ه)

٢: المقرئ أبو محمد عبد الحميد المقري النيسابوري (ولادته ٤٢٧ه)

٣: أبو زكريا محمد بن سليمان الحمراني(٦٥) .

ثم اخذ العلم من اساتذته الشيخ المفيد والسيد المرتضى، ونُسب الشيخ الطوسي الى المذهب الشافعي ، حيث قال السبكي فيه :

« محمد بن الحسن بن علي ، أبو جعفر الطوسي ، فقيه الشيعة ومصنفهم ، كان ينتمي الى المذهب الشافعي ..قدم بغداد وتفقه على المذهب الشافعي ...اقول : انهما اخطأ في هذه النسبة فان شهادتهما باطلة من جهات عديدة (٦٦)، وقال العلامة السيوطي فيه :

« محمد بن الحسن بن علي أبو جعفر شيخ الشيعة وعالمهم ...ورد بغداد ، وتفقه في فنون الفقه على مذهب الشافعي ، فلازم الشيخ المفيد فصار على اثره رافضيا (٦٧)، ووصفه النجاشي بقوله :

« محمد بن علي الطوسي أبو جعفر جليل من اصحابنا ، ثقة عين من تلامذة شيخنا ابي عبدالله ..» (٦٨)، وقال العلامة الحلي في الشيخ الطوسي :

« شيخ الامامية ، ورئيس الطائفة ، جليل القدر ، عظيم المنزلة ، ثقة ، عين ، صدوق ، عارف بالاخبار والرجال والفقه والأصول والكلام والادب، وجميع الفضائل تنسب اليه ، صنف في كل فنون الإسلام ، وهو المهذب للعقائد في الأصول والفروع ، والجامع لكمالات النفس في العلم والعمل(٦٩) ،

لقد تعززت مكانة الشيخ الطوسي بين علماء عصره بعد ان ثنيت له وسادة زعامة العلم بعد وفاة السيد المرتضى ، ووفد إليه الفقهاء من كل حدب وصوب ، حتى بلغ عدد تلاميذه اكثر من ثلاثمئة ممن حاز على درجة الاجتهاد ، وفيهم الكثير من المذاهب الأخرى ، فقد ذكر الشيخ آغا بزرك الطهراني في مقدمة كتابه (التبيان) ما يأتي :

« فقد كان يحضر درس الشيخ الطوسي حوالي ثلاثمئة مجتهد من الشيعة ، ومن العامة مالا يحصى (٧٠)، وعندما بدأ آل بويه بالسيطرة على بغداد ازدهر النشاط العلمي للشيعة الامامية شيئا فشيئا على يد النوابغ الثلاث الشيخ المفيد والسيد المرتضى والشيخ الطوسي ، ولكن بعد وفاة السيد المرتضى بدأت سلطة البويهيين بالاضمحلال ، وعلى أثر ذلك دخل الترك بقيادة قائدهم طغرل بك بغداد وانتهك حرمتها واثار رياح الفتنة فيها ، واحرق الكثير من الدور ، وكان دار الطوسي من بينها ، ولم يكتفِ طغرل بك بذلك بل احرق مكتبات بغداد ودور العلم واحرق كرسي بغداد الذي كان يتربع عليه شيخنا الطوسي ، ثم حدثت خلافات سياسية بعدها ، مما اضطر الشيخ الطوسي الى مغادرة بغداد مهاجرا نحو مدينة النجف الاشرف ، قرب مرقد الامام علي بن ابي طالب (عليه السلام) إذ استقر هناك مما دفع الطلاب للتوجه اليه ونيل الاجتهاد على يديه ، ليضع اللبنة الأولى والاساس لمدينة علمية تدّرس العلوم الإسلامية والإنسانية بنواحيها كافة ، ويظهر من كلام بعض العلماء إن الشيخ عندما ورد إليها وهي لا تخلو من نشاط علمي ، إذ ورد في استجازة الشيخ النجاشي لأبي عبدالله الخمري في كتابه المطبوع: له كتاب _ عمل السلطان _ ، أجازنا بروايته أبو عبدالله بن الخمري الشيخ صالح في مشهد مولانا أمير المؤمنين سنة اربعمائة(٧١).

بعد ان استقر الشيخ الطوسي في مدينة النجف الاشرف بدأت مرحلة جديدة من تاريخ الفقه الامامي ، وهي مرحلة الاجتهاد ، ولكن هل ما اشاعه من اجتهاد بين الامامية على نحو الاجتهاد المعمول به عند المذاهب الأخرى ، لكونه قد تأثر بالفقه الشافعي من خلال اقتباسه عبارات من كتب الشافعي ، لما ذكره الكثير ممن كتبوا عن حياة الشيخ الطوسي كمحمد الخراساني الذي كتب في مقدمة كتاب (الرسائل العشرة) للشيخ الطوسي ، عندما قال :

« ترويجه للفقه التفريعي واشاعته طريقة _الاجتهاد _ بين الشيعة على النحو المعمول بها عند أهل السنة ... واقتباسه عباراتهم وخصوصا من كتب الامام الشافعي ولا سيما في كتابه _ المبسوط _ ، وايراده للروايات من طرقهم ، وتصميمه على جميع روايات الفريقين في كتابه – تهذيب الاحكام – في بدء العمل _ وان انصرف عنه فيما بعد _ وامثال هذه الأمور(٧٢) .

المنهجية الفقهية للشيخ الطوسي :

لقد اهتم الشيخ الطوسي بجانبين الأول الاخبار والروايات الشريفة الواردة في كتابه (تهذيب الاحكام) الذي يشرح فيه كتاب (المقنعة) لاستاذه الشيخ المفيد ، وباشارة

من الشيخ المفيد نفسه(٧٣)، الذي يعد من الكتب الأربعة الحديثية المعروفة ، وكذلك استخرج الشيخ الطوسي الاخبار من كتابه (الاستبصار) فيما اختلف من الاخبار(٧٤)، في حين نجد ان الجانب الاخر الذي اهتم به هو اصول الفقه ، فقد استفاد من طريقة السيد المرتضى الاخرى في الاصول والفقه ، ولذا فهناك العديد من اراء السيد المرتضى الاصولية في كتابه (عدة الاصول) وفي كتبه الكلامية (٧٥) .

ان اقتباسات الشيخ الطوسي للعبارات والامثلة التي تبناها استاذه السيد المرتضى ، دفعت بعض الباحثين الى القول ان الشيخ الطوسي قد ذهب الى القول بالقياس والظنّ وذلك خلال استدلاله في صحة معرفة بعض الاحكام ، حيث قال في كتابه (عدة الأصول) :

والذي يدل على صحة معرفة الاحكام به : انه لا فرق في صحة معرفتنا بتحريم النبيذ المسكر بيّن ان ينص الله على تحريم المسكر من الانبذة ، وبين ان ينص على تحريم الخمر وينص على ان العلة في تحريمها شدتها ، أو يدلنا بدليل غير النص على انه حرم الخمر لهذه العلة ، او ينصب لنا امارة تغلب عند نظرنا فيها ظننا ان تحريمها لهذه العلة ، مع ايجاب القياس علينا في الوجوه كلها(٧٦) والملاحظ هنا ان الشيخ الطوسي قد ذكر العبارات نفسها التي استدل بها السيد المرتضى عندما ذهب الى صحة العمل بالقياس عندما استعرضنا ذلك في المباحث السابقة في منهجية السيد المرتضى ، وقد أشار الشيخ يوسف البحراني في كتابه (لؤلؤة البحرين) الى المسائل التي وقع الشيخ الطوسي فيها(٧٧) .

ان من الانصاف لهذا الشيخ ، يلزمنا ان نثني على شجاعته وذلك لاقدامه وشجاعته في فتح باب الاجتهاد ودعوته الى الاستدلال وفق المناهج الجديدة وهذا بلا شك يحتاج الى شجاعة وجرأة ، وهذا ما أوضحه محقق مقدمة كتاب الشيخ الطوسي (الرسائل العشر) عندما قال :

وكيف كان الامر فيعلم مما ذكرنا شجاعة الشيخ الطوسي ودرايته في فتح باب الاجتهاد بمصراعيه على الشيعة في حزم بالغ مراعيا جانب الاحتياط والتدريج حتى يستوحشوا ، ولا يتهموه بمتابعة أهل السنة (٧٨)في حين ان المعلوم لدينا ان الشيخين ابن ابي عقيل وابن الجنيد قد نقلا عنهما الفتاوى المنقولة عنهما ، ولكنها لم يستقبلها الناس في عصرهما ، بل اتهموا ابن الجنيد بأنه كان يعمل بالقياس ويفتي به ، حتى جاء العلامة الحلي بعده ونفى التهمة عنه(٧٩).

ويمكننا ان نلحص السمات الفقهية للشيخ الطوسي ، ابتعاده عن التعقيدات اللفظية واستخدامه عبارات واضحة ، قيامه بمحاولات كثيرة لكسر حالة الجمود التي كانت سائدة في البحوث الفقهية من خلال وضعه ضوابط وموازين استنباطية جديدة تلائم مصادر التشريع وبناء الفروع الفقهية على الأصول فيما اذا لم يجد في الموارد نصا او لم يسلم بسلامة النص من حيث السند او من حيث الدلالة(٨٠) ، كما أسس الشيخ الطوسي الفقه الخلافي المقارن وابتكار طريقة تعتمد التفريع المفصل في المسائل الفقهية ، وقد ارسى قواعد هذا الاتجاه في كتابه المبسوط ، كذلك انه قام بجهود في تنظيم أبواب الفصول في كتبه الفقهية والاصولية والكلامية وغيرها ، نستخلص من جهوده العلمية ان الفقه في عهده دخل مرحلة جديدة بفضل التجديد في منهجيته ، خلال انطلاقه من النصوص الروائية الى صناعة الفتوى ، وهذا ما كشفت عنه كتاباته الفقهية(٨١).

الخاتمة :

لقد تعرّفنا على ملامح المدرسة الفقهية الإمامية،خلال تعرضنا لسيرة حياة ومنهجية بعض اعلام مدرسة المتقدمين ، وبذلك يمكننا ان نبين ما توصلنا إليه مع نتائج خلال عرضنا لسمات تلك المدرسة :

١ : ان الفقه الامامي فقها استدلاليا كونه متعلقا بفقه اهل البيت(عليه السلام) ، فقد كان من رواد هذا المنهج زرارة بن أعين ، ومحمد بن مسلم ، ويونس بن عبد الرحمن ، وفضل بن شاذان ، واسلوبهم الرائج هو أسلوب تجريد المتون عن الاسانيد ، او الخروج عن هذا الاطار ، وكان ذلك بزعامة الشيخ المفيد ، فقام بحملة واثار ضجة في الفقه الإسلامي بعد ابن الجنيد والشيخ الصدوق ، لأنه اتبع منهجية موضوعية بعيدة عن الجمود الذي كان عليه المحدثون وبعيدا عن الأسلوب البعيد والمخالف لاصول اهل البيت (عليهم السلام)كالقياس والاستحسان .

٢ : قدّم إعلام هذه المدرسة الكثير من الجهود للارتقاء بعلم الأصول ، لا سيما السيد المرتضى والشيخ الطوسي ، اذ الف المرتضى كتاب الذريعة في أصول الفقه ، وأيضا له مسائل مفردات في الأصول وأخرى في الخلاف ، في حين ان الشيخ الطوسي ابدع في هذا المجال ، فكتب(عدة الأصول) الذي اشتمل على كثير من علم الأصول ، وكتاب (الخلاف) الذي يعد من بذور بدء عهد جديد للفقه المقارن .

٣: لقد اثمرت جهود رواد مدرسة المتقدمين الإمامية عن اعمال الفكر في التفريع والتخريج للنصوص والقواعد الفقهية المتوارثة عن أئمة اهل البيت (عليهم السلام) ، فقد قام الشيخ الطوسي بجهود كبيرة بالبسط والتفصيل ، وهذا الأثر العلمي قد أثر في تلاميذه ومعاصريه حتى وجدنا انه استطاع ان يحتل مكانة مرموقة في قلوبهم ، بحيث ان من يناقش ارائه يتهم باهانته للشيخ الطوسي ، فقد قال الشيخ سديد الدين محمود الحمصي (من علماء القرن السادس الهجري) في ذلك :

- إنه لم يبق من الإمامية مفت على التحقيق ، بل كلهم حاك ، وقال الشهيد الثاني *: ان اكثر الفقهاء الذين نشأوا بعد الشيخ كانوا يتبعونه في الفتوى تقليدا له ، لكثرة اعتقادهم فيه ، وحسن ظنهم به ، فلما جاء المتأخرون وجدوا احكاما مشهورة قد عمل بها الشيخ ومتابعوه ، فحسبوها شهرة بين العلماء ، وما دروا ان مرجعها الى الشيخ ، وان الشهرة انما حصلت بمتابعته

٤ : ظهور موسوعات وجوامع فقهية ، لعرض بيان الصحيح من السقيم .

٥ : اصالة الهوية الفكرية الشيعية،إذ قام الفقهاء والعلماء بتخليص العقائد من الرواسب الموهونة والضعيفة ، وابتكار قوالب جديدة بعيدة عن الغلو ، بحيث إنهم تصدوا لكثير من أصحاب المقالات كالزيدية والاسماعيلية والواقفة الذين افترقوا عن الشيعة في بعض المسائل الفكرية وان كانوا متفقين معهم في مسألة الامامة ، كل ذلك لرسم صورة نقية للمذهب .

٦: العمل على إقامة الصلات القوية مع الحوزات الشيعية في بغداد والحلة وقم وخراسان .

٧: قيام رواد هذه المدرسة من أمثال الصدوق والمفيد والمرتضى والطوسي بالتصدي لكل من يبث الشبهات عن الإمامية .

الهوامش :

١-تاريخ الفقه الإسلامي وادواره : جعفر السبحاني، مؤسسة الامام الصادق (عليه السلام) – مكتبة التوحيد –قم- ايران – ط١-١٤٢٩ه : ص٢١٩

٢: المصدر نفسه ص٢٣٨

٣: المعتبر : المحقق الحلي : ١/ ٣٣
٤: تدوين الحديث وتاريخ الفقه : حسين الشاكري – ط٥١١٤١٨ : ص١
٥: رجال النجاشي : ١/ ١٥٤ رقم ٩٩
٦: موقع بينات – ٢٠آب / ٢٠٢١م محرم ١٤٤٣ه
٧ : خلاصة الاقوال : العلامة الحلي ص٤٠
٨: موقع بينات : موقع سابق
٩ : القواعد والفوائد : الشهيد الأول : ١/ هامش ص٢٨٠
١٠: نزهة الناظر في الجمع بين الاشباه والناظر : يحيى بن سعيد هامش ص١٨
١١: منتهى الطلب : العلامة الحلي : ١/ هامش ٤٤
١٢: مناهج الوصول الى علم الأصول : السيد الخميني : ١/ ١٣
١٣: الاجتهاد عند الشيعة الامامية : عدنان فرحان ال قاسم ص٩٧
١٤: أدوار الفقه الامامي : السبحاني : دار الولاء ص٩٥
١٥: سقيفة الغيبة : ناطق سعيد ، دار المحجة البيضاء / ١٤٣٣ه / ٢٠١٢م الطبعة الأولى ص٢٢٩
١٦ : الفوائد الرجالية : بحر العلوم – منشورات مكتبة الصادق (ع) ١٤٠٥ه : ٣/ ٢٠٥
١٧ : المسائل السروية : المفيد: ٧/ ٧٥
١٨ : الفوائد الرجالية : ٣/ ٢٠٧
١٩ : حركية العقل الاجتهادي لدى فقهاء الشيعة الامامية : جعفر الشاخوري البحراني :٥٢
٢٠ : سقيفة الغيبة : ٢٣٠
٢١: المصدر نفسه : ٢٣١
٢٢: المسائل السروية : ٧٣
٢٣: الفهرست : الطوسي – تحقيق جواد القيومي –نشر مؤسسة الثقافة ط١/ ١٤١٧ه : ٢٨٨
٢٤: الفوائد الرجالية : ٢١٤
٢٥: مفاتيح الشرائع : الفيض الكاشاني – مطبعة الخيام –قم- ايران –١٤٠١ه : ١/ ٤٠-١١٩
٢٦ : معجم رجال الحديث : الخوئي : ٥/ ٣٣٧
٢٧ : لسان الميزان : ابن حجر(ت٨٥٢ه) –مؤسسة الاعلمي للمطبوعات –بيروت –لبنان –ط٢-١٣٩٠ه : ٥/ ٣٦٨
٢٨ : رجال النجاشي : ١/ ٤٠٢
٢٩ : الجمل والنصرة لسيد العترة في حرب البصرة : المفيد –تحقيق : علي مير شريفي –قم –مؤسسة بوستان : ١٠
٣٠: رجال النجاشي : ٤٠٢
٣١: المصدر نفسه :
٣٢ : الامالي : المفيد : تحقيق : حسين الاستاد ، علي اكبر الغفاري – دار المفيد للطباعة والنشر –ط٢: ٢٣٨
٣٣: سير اعلام النبلاء : الذهبي : ١٧/ ٣٤٤
٣٤: لسان الميزان : ٥/ ٣٦٨
٣٥ – البداية والنهاية : ابن كثير : ١٢/ ١٥
٣٦ – رجال النجاشي : ٣٩٩
٣٧- الفهرست : الطوسي : ١٥٧
٣٨ – المنتظم :١٨/ ١١
٣٩-رجال العلامة : ١٤٧
٤٠-الجمل والنصرة : ١٤
٤١- العدة في الأصول : ١/ ٣
٤٢-تاريخ الفقه الإسلامي وادواره : ٢٦
٤٣-المصدر نفسه ٣٥١
٤٤-التذكرة باصول الفقه : المفيد ٢٨
٤٥-المصدرنفسه ٢٩
٤٦-أصول الفقه : المظفر : ٣/ ١٢٩
٤٧- المصدر نفسه ٣/ ١٢٩
٤٨- تاريخ الفقه الإسلامي : ٢٦٣
٤٩-رجال النجاشي : ١/ رقم ٧٠٦
٥٠ – الرسائل العشرة : الطوسي : ٥٧
٥١- الغدير: الاميني ، المجلسي : ٤/ ٢٦٤-٢٦٥
٥٢- روضات الجنان في أحوال العلماء والسادات : الميرزا محمد باقر الموسوي الخونساري الاصبهاني ، دار الكتب الإسلامية -١٣٨٢ه/ ١٩٦٢م طهران – ايران : ٣٨٣
٥٣- تاريخ الفقه الإسلامي : ٢٧٠
٥٤-المصدر نفسه ٢٧١
٥٥-سقيفة الغيبة : ٢٥٤
٥٦-الفوائد الرجالية : ٢١١
٥٧-الذريعة في أصول الفقه : السيد مرتضى : ٢/ ٦٧٥
٥٨- المصدرنفسه : ٢/ ٦٧٧
٥٩_ المصدرنفسه
٦٠- المصدرنفسه
٦١-الانتصار : السيد المرتضى ، علم الهدى – منشورات المطبعة الحيدرية ١٣٩١ه/ ١٩٧١م : ٨٠و٨٣و٢١٦
٦٢-الذريعة في أصول الفقه : السيد المرتضى :٢/ ٦٠٥
٦٣- المصدرنفسه : ٢/ ١٧و١١٦
٦٤- رجال النجاشي : ١/ رقم ٤٠٢
٦٥-العدة في الأصول : الطوسي : مقدمة الكتاب : ١/ ١٣
٦٦- سير اعلام النبلاء : السبكي : ١٨/ ٣٣٤
٦٧- طبقات المفسرين : السيوطي: ٢٩
٦٨-رجال النجاشي : ٢٨٧
٦٩- خلاصة الاقوال : الحلي : ١٤٨

٧٠ _ البيان في تفسير القرآن : الطوسي : مقدمة الشيخ اغا برزك الطهراني – ت : احمد حبيب قصير العاملي – مكتبة الأمين – النجف – بلا سنة طبع : ١/ ١١
٧١-رجال النجاشي : ١/ ١٩ برقم ١٦٣
٧٢- الرسائل العشرة : الطوسي : ١١
٧٣- المصدر نفسه: ٤١
٧٤- المصدر نفسه ٤١
٧٥- سقيفة الغيبة : ٢٧٨
٧٦-عدة الأصول : ٢/ ٦٥٣
٧٧- لؤلؤة البحرين : ٢٩٣-٢٩٨
٧٨- الرسائل العشرة : مقدمة الكتاب : ١٤٩
٧٩- روضات الجنان : ١/ ٥٣٧خلاصة الاقوال : ١٥
٨٠- مقدمة الشيخ الاصفي في كتاب « اللمعة الدمشقية : ١/ ٦٤
٨١- مجلة المنهاج : عدد ٢٠ -١٤٢١هـ/٢٠٠٠م: ٨٦
٨٢- دروس في تاريخ الفقه وادواره : ٤٦
٨٣-مقدمة في كتاب « البيان في تفسير القرآن : الطوسي : ١/ ٤٨
٨٤-دروس في تاريخ الفقه : ٤٨
٨٥-روضات الجنان : ٧/ ١٦١
٨٦-تاريخ الفقه الإسلامي وادواره : ٢٨٧

مصادر البحث :

١.تاريخ الفقه الإسلامي وادواره ، السبحاني ، مؤسسة الامام الصادق (ع) ، مكتبة التوحيد – قم –ايران –ط١-١٤٢٩هـ
٢.تدوين الحديث وتاريخ الفقه ، حسين الشاكري ، ط١_١٤١٨هـ النجف
٣.البيان في تفسير القرآن ، الطوسي ، مكتبة الأمين ، النجف ، بلا سنة طبع ، ت احمد حبيب قصير العاملي
٤.القواعد والفوائد ، الشهيد الأول ، محمد بن علي ت٧٨٦هـ ، مكتبة الداوري ١٣٩٦هـ/١٩٧٧م –مشهد –ايران
٥.المعتبر في شرح المختصر ، المحقق الحلي ت٦٧٦هـ ، مؤسسة الشهداء –قم – ايران ١٣٦٤هـ/١٩٨٥م
٦.منهى الطلب ، العلامة الحلي ، مجمع البحوث الإسلامية ط١٤١٤هـ
٧.رجال العلامة ، الحسن بن يوسف بن علي المطهر الحلي المعروف بالعلامة ت٧٢٦هـ
٨.خلاصة الاقوال في معرفة الرجال ، العلامة الحلي ، ت جواد القيومي
٩.رجال النجاشي ، احمد بن علي النجاشي ت١٠٨٥هـ سامراء ، دار الأضواء – بيروت –لبنان
•الفوائد الرجالية ، مهدي بحر العلوم – منشورات مكتبة الصادق ع ١٤٠٥هـ/ط٢
•المسائل السروية ، المفيد ت ٤١٣هـ ، ط٢، ١٤١٤هـ
•الفهرست : الطوسي ط١- ١٤١٧هـ نشرمؤسسة الثقافة ، ت جواد القيومي
•الاجتهاد عند الشيعة الامامية : عدنان فرحان ال قاسم
•لؤلوة البحرين في الاجازات وتراجم رجال الحديث : يوسف البحراني –صاحب الحدائق – ت١١٨٦هـ
•معجم رجال الحديث وتفصيل طبقات الرواة ، أبو القاسم الموسوي الخوئي ، ط٥ -١٤١٣هـ/١٩٩٢م
•مفاتيح الشرائع : الفيض الكاشاني –مطبعة الخيام –قم –ايران-١٤٠١هـ
•لسان الميزان ، ابن حجر ت٨٥٢هـ مؤسسة الاعلمي للمطبوعات ، بيروت –لبنان ط٢
•الامالي : المفيد ، مؤسسة الغفاري –دار المفيد للطباعة والنشر
•الجمل والنصرة لسيد العترة في حرب البصرة ، ت علي مير شريفي –قم-مؤسسة بوستان – ايران – قم ة
•التذكرة باصول الفقه ، المفيد ، المؤتمر العلمي لالفية الشيخ المفيد
•العدة في الأصول ، الطوسي ، مؤسسة ال البيت ، ١٩٨٣ – المطبعة الحيدرية – النجف
•الغدير ، عبد الحسين الاميني ، المجلسي – مركز الأمير لاحياء التراث الإسلامي
•روضات الجنان في أحوال العلماء والسادات ، الميرزا محمد باقر الموسوي الخونساري ، الاصبهاني ، دار الكتب الإسلامية – ١٣٨٢هـ/١٩٦٢م –طهران
•الذريعة في أصول الفقه ، شريف مرتضى علي الموسوي المرتضى ت٤٣٦هـ – طهران ١٣٦٣هـ/١٩٨٥م
•طبقات المفسرين ، عبد الرحمن بن ابي بكر جلال الدين ت ٩١١هـ ، ط١١٣٩٦هـ
•سقيفة الغيبة ، ناطق سعيد ، دار المحجة البيضاء ط١ ١٤٣٣هـ/٢٠١٢م
•نزهة الناظر في الجمع بين الاشباه والنظائر ، يحيى بن سعيد
•أصول الفقه، محمد رضا المظفر ، ت١٣٨٨هـ
•مجلة المنهاج ،عدد ٢٠-١٤٢١هـ/٢٠٠٠م

قل هو الله أحد
الله الصمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا

فصلية مُحَكَمة تُعنى بالبحوث والدراسات العلمية والإنسانية والفكرية
العدد (٣) السنة الثانية ذو القعدة ١٤٤٣ هـ حزيران ٢٠٢٢ م
الذكر البيض

العلاقات الاجتماعية في مواقع التواصل الصداقة أنموذجاً
« دراسة فقهية »

م .م نصير صالح مهدي الموسوي
مديرية تربية النجف الأشرف

الملخص :
يشير البحث إلى مسألة معاصرة ومهمة في نفس الوقت، ألا وهي الصداقة عبر مواقع التواصل، وهي من المسائل التي تُعد محط ابتلاء؛ لأن فيها من المحرمات، ولأن الإسلام أجاز الصداقات الحقيقية على وفق ضوابطٍ وأحكام؛ لذلك وقع البحث عن الصداقات الافتراضية، إذ سلط الضوء على هكذا أنواع من الصداقات، والتمييز بينها وبين الصداقة الواقعية، عبر الإجابة عن بعض التساؤلات حول الصداقات الافتراضية منها، هل الصديق الافتراضي هو نفسه في الواقع ؟ وهل لهذا الصديق أن ينزل منزلة الصديق الحقيقي؟ وهل لهذه الصداقات أن تدوم؟ وهل لهذه الصداقات موازين وضوابط تحكمها ؟وقد أثبت البحث أن مواقع التواصل أصبحت من الضروريات في عصرنا الحاضر؛ لما تمر به المجتمعات من تطور في عالم التكنولوجيا والسرعة وغيرها من الظروف التي تُعيق التواصل الواقعي والاستعاضة عنه بهذه المواقع رغم ما تحمله هذه المواقع من سلبيات وايجابيات ، وكان لعلمائنا الأجلاء كلمة الفصل في هذه المسألة.

Abstract
The research refers to a contemporary and important issue at the same time، which is friendship through social networking sites، and it is one of the issues that are the subject of a trial; Because there are taboos in it، and because Islam permits true friendships according to rules and regulations. Therefore، the search for virtual friendships took place، as it shed light on such types of friendships، and distinguish between them and real friendship، by answering some questions about virtual friendships، is the virtual friend the same in reality? Does this friend have the status of a true friend? Will these friendships last? Do these friendships have scales and controls that govern them? ، The research has proven that social networking sites have become one of the necessities in our time; Due to the development that societies are going through in the world of technology، speed and other conditions that impede realistic communication and its replacement by these sites، despite the negatives and positives that these sites carry، and our distinguished scholars had the final word on this issue. key words (Social relationships، networking sites، virtual world، friendship).

المقدمة:
الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين محمد وآل بيته الطيبين الطاهرين .
تعد الشريعة الإسلامية خاتمة وشاملة لكل زمان ومكان لكل الأحداث والتطورات وفيها مختلف الأحكام مهما بلغت درجة تطور المسائل والمستحدثات، ومن فضل الله سبحانه وتعالى على العباد بأن جعل التواصل فيما بينهم؛ لأنه أعلم باحتياجهم للتواصل وتكوين العلاقات لأن الإنسان بطبعه مدني ويكره الوحدة ومن نتائج هذا التواصل بأن تتكون صداقات بين الناس بمرور الوقت وتتوثق فيما بين الأفراد لكن هذا المصطلح (الصداقة) تطوّر فيما بعد، فبعد إن كان الصديق يمثل أقرب شخص لصديقه الأخر ويزوره ويراه وهو واثق منه ويعرفه معرفه جيدة أصبح في وقتنا الحاضر ربما صديقان ولكن لم يرَ أحدهما الآخر ولم يتأكد من شخصيته ولا طبعه ، وربما يطرح إشكال وهل توجد هكذا صداقة ؟ يجاب عن ذلك بنعم توجد صداقات إفتراضية في وقتنا الحاضر بسبب تطور الأنترنت وسهولة

المراسلة عبر وسائل التواصل الاجتماعي المختلفة ومنها تتكون صداقات وغيرها من العلاقات الاجتماعية التي لا حصر لها، ولأن وجود مثل هكذا صداقات أمر يدعونا للتأمل لأنها ليست صداقات ملموسة وإنما هي صداقات افتراضية ، وعليه وقع البحث ليجيب على بعض التساؤلات منها هل الصديق الافتراضي هو نفسه الصديق في الواقع ؟

وهل الصديق الافتراضي يمكن أن يتحول إلى صديق على أرض الواقع ؟ وهل تدوم الصداقات؟وهل الصداقة لها موازين وضوابط تحكمها ؟

ولأن الصداقات في مثل هكذا مواقع لا تخلو من المحرمات ، فقد كان لعلمائنا الأجلاء آراءٌ حول الصداقات بين الجنسين في هذه المواقع ، فقد وقع البحث في العلاقات الاجتماعية في مواقع التواصل الصداقة أنموذجاً .

إذ كان البحث على ثلاثة مباحث :

المبحث الأول: التعريف بمفردات العنوان، وكان على أربعة مطالب.

والمبحث الثاني: العلاقات الاجتماعية في الإسلام، ويتكون من مطلبين :

المطلب الأول: أهمية العلاقات الاجتماعية في الإسلام، والمطلب الثاني: أثر مواقع التواصل في العلاقات الاجتماعية .

أما المبحث الثالث والأخير: الصداقة في مواقع التواصل، وكان على ثلاثة مطالب :

الأول: أهمية الصداقة في الإسلام، والثاني: الصداقة في العالم الافتراضي، أما الثالث والأخير: آراء العلماء حول صداقات الرجل والمرأة في مواقع التواصل.

المبحث الأول

التعريف بمفردات العنوان

المطلب الأول

مفهوم العلاقات الاجتماعية لغةً واصطلاحاً

أولاً: مفهوم العلاقات لغةً واصطلاحاً: جاءت كلمة العلاقات من الفعل علق ومعناه في اللغة التمسك بالشيء (١).

ثانياً: مفهوم العلاقات اصطلاحاً: يمكن تعريف العلاقة بأنها:« ربط شيء بشيء آخر، وعلى الصعيد الإنساني نجد أن كل فرد مرتبط بالأخر تحت مسميات مختلفة (آباء، أخوة، أصدقاء، زملاء، جماعات، مؤسسات... الخ)، فهو مندمج في نسيج وفضاء اجتماعي يقوم على شبكة من التبادلات المعقدة»(٢) .

وتعرف العلاقات الاجتماعية بأنها: « الروابط والآثار المتبادلة التي تنشأ بين الأفراد في المجتمع وهي تنشأ من طبيعة اجتماعهم وتبادل مشاعرهم واحتكاكهم ببعضهم البعض ومن تفاعلهم في بوتقة المجتمع» (٣).

المطلب الثاني

مفهوم مواقع التواصل

تعرف مواقع التواصل بأنها: « مجموعة من المواقع الالكترونية يتم من خلالها التواصل بين مجموعة من الأفراد الذين تجمعهم ميول واهتمامات مشتركة»(٤)، يتبين مما تقدم بأن مواقع التواصل هي مجموعة من المواقع الالكترونية التي تربط مجموعة أشخاص.

المطلب الثالث

مفهوم الصداقة لغةً واصطلاحاً

أولاً : مفهوم الصداقة لغةً: قال ابن فارس (ت ٣٩٥ هـ) في معنى الصداقة: « الصداقة مشتقة من الصدق في المودة، ويقال صديق للواحد والاثنين والجماعة، وللمرأة، وربما قالوا أصدقاء وأصادق» (٥).

ثانياً: مفهوم الصداقة اصطلاحاً: الصداقة هي:« مفهوم واسع وكبير ومهم في الوقت نفسه، صغير من حيث اللفظ عميق من

جهة المعنى، عُرف منذ القدم وأول ما وطئ الإنسان برجله الأرض، وبعد أن انتشر أفراد البشر في المعمورة وأزداد عددهم أصبحت هنالك علاقات وروابط تربط الإنسان مع ابن جنسه»(٦)،وهذه الروابط هي التي يطلق عليها مصطلح الصداقة، ومن هنا يعرف الصديق بأنه: «هو الذي لم يدع مما أظهره باللسان إلا حققه بقلبه وعمله (٧).

ويبدو للباحث من خلال التعاريف أن الصداقة هي مشاعر فطرية تتولد لدى الإنسان عندما يطمئن لشخصٍ ما أو لأشخاص معينين يبادلونه نفس المشاعر فتنشأ بينهم روابط قوية تجمعهم المحبة والألفة.

المبحث الثاني

العلاقات الاجتماعية في الإسلام

المطلب الأول

أهمية العلاقات الاجتماعية في الإسلام

إن الإنسان ومذ أن خُلق يحاول العيش بمجموعات مختلفة ويتواصل مع أفراد جنسه، فهو بمقتضى طبيعته وسلوكه يميل إلى المجموعة وتكوين العلاقات المختلفة وأهمها العلاقات الاجتماعية التي تربطه بباقي الناس، فقد جاء القرآن الكريم مؤكداً على أهمية هذه العلاقات وحث عليها كما في قوله تعالى: « يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ» (٨)، جاء في تفسيرها:

« الاختلاف بين الناس في الانتماء والشكل وما شابه من أشكال الاختلاف، من الأفعال الحكيمة لله تعالى، والتي تهدف إلى غاية عظيمة هي التعارف» (٩).وإن الله سبحانه وتعالى حينما خلق الناس جعلهم متفاوتين في المعيشة وجعلهم طبقات لكي يكون ذلك سبباً للتواصل والارتباط فيما بينهم كما في قوله تعالى: «..... نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَتَّخِذَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا سُخْرِيًّا وَرَحْمَةُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ»(١٠)،إذ جاء في تفسير هذه الآية

« الاختلاف الموجود بين الناس ينبغي أن يكون سبباً للارتباط والتعاون واستخدام بعضهم بعضهم الآخر، ولا ينبغي أن يكون سبباً للاستغلال، والتفاخر، واحتقار الأخرين « سخرياً « تعني أن يكون بعضهم في خدمة بعض بنحو متبادل، فالله الحكيم هو الذي جعل هذا الاختلاف بين الناس حتى يشعر الناس بحاجة بعضهم إلى بعض، وينمو المجتمع في ظل معونة بعضهم البعض»(١١)، كما أكدت السنة الشريفة على أهمية العلاقات الاجتماعية بين الناس ، فقد ورد عن أمير المؤمنين (عليه السلام) أنه قال: « أعجز الناس من عجز عن اكتساب الإخوان ، وأعجز منه من ضيع من ظفر به منهم»(١٢).

وعن أبي عبد الله (عليه السلام) قال: قال أمير المؤمنين (عليه السلام):

« المؤمن مألوف ولا خير فيمن لا يألف ولا يؤلف» (١٣).

وغيرها كثير من الروايات التي وردت عن آل البيت(عليهم السلام) التي تؤكد وتحث على أهمية العلاقات الاجتماعية في حياة الإنسان، فالإسلام أهتم بهذه العلاقات « كما أنه وضع لكل علاقة اجتماعية قانوناً أطره بإطار أخلاقي وإنساني بدءاً بالعائلة، فنظّم العلاقة بين الزوجين، وحدّد لكلّ منهما ما له من الحقوق، وما عليه من الواجبات، وحدّد مسؤولية الأب عن أبنائه، وواجبات الأبناء إزاء أبائهم، ومروراً بعلاقة الجوار، والصداقة، والأخوّة

... وإنتهاءً بالعلاقات العامّة في المجتمع ... وهكذا لم يترك جانباً من الجوانب الاجتماعية إلا ووضع له دستوراً ونظاماً حدّد فيه الحقوق والواجبات»(١٤)،وإن هذه العلاقات الاجتماعية «التي تتبلور بين الأفراد في مجتمع ما بناء على تفاعلهم مع بعضهم البعض بغض النظر عن كونها علاقات إيجابية أو سلبية من أهم ضرورات الحياة الاجتماعية «(١٥) .

المطلب الثاني

أثر مواقع التواصل في العلاقات الاجتماعية

إن التطور السريع في العلم ولاسيّما علوم التكنولوجيا مثل ظهور أو إنشاء مواقع الكترونية كان له الأثر الكبير في تطور العلاقات الاجتماعية ، فهي تعد وسيلة اتصال سريعة التجأ إليها الناس في كل النواحي، فقد اجتاح هذا العالم ـ مواقع التواصل ـ حياة الناس في كل المجالات وخاصة العلاقات الاجتماعية ، فبات هذا العالم جزأ لا يتجزأ من حياتهم تبعاً لضرورات العصر من تطور سريع وغيرها. فأصبحت هذه المواقع وسيلة سريعة لإنشاء الكثير من المعاملات، فمثلاً إنشاء العقود والإيقاعات، مثل عقد البيع والشراء والزواج وغيرها من المعاملات التي قد يضطر الفرد إلى إنشائها لظروف قد تجبره إلى اللجوء لهذه المواقع، كما لو كان المسافر لا يستطيع الوصول إلى المكان المقصود في الوقت المناسب فيلجأ إلى التعامل في مثل هذه المواقع، ولمثل هذه الأسباب وغيرها أجاز العلماء إجراء المعاملات والعقود في هذه المواقع وفق ضوابط محددة (١٦).

ولهذه المواقع آثار ايجابية كما لها آثاراً سلبية، ومن ايجابياتها أنها شكلت مخرجاً للكثير من أبناء الطبقة الوسطى والفقيرة للتواصل من دون تكلفة أو الحاجة إلى السفر، كما تعد هذه المواقع انفتاحاً يقضي على الكثير من الفوارق الطبقية والاجتماعية وغيرها من الفوارق، وهذا الانفتاح كفيل بأن يسد فوهة الاختلاف الطائفي، ومن ايجابياتها أيضاً أنها تقوي وتعضد العلاقات العائلية مما يسهل على العائلات التواصل فيما بين أفرادها عبر هذه المواقع (١٧).

ومن سلبياتها « إن هذه المواقع لا توجد لها ضوابط تضبط الأمور، ولا توجد وسائل أو طرق محددة يتقي منها المستخدم الشرور التي قد تصل إليه عنوة أو حتى لا يوجد منهج محدد لإفادة الغير في الاتقاء من هذه الشرور» (١٨).

ومن أثارها السلبية تفويت بعض الواجبات الشرعية مثل الصلاة ، إذ إن الإدمان على مثل هذه المواقع يؤدي إلى استهلاك الوقت دون شعور وهذا بدوره يؤدي إلى تفويت الفرائض عن وقتها، كما أن استخدام مثل هكذا مواقع بشكل مفرط يؤدي إلى ظهور مشاكل عائلية واجتماعية (١٩)،وكذلك « نلاحظ اليوم أثر هذه الشبكات على واقع الكثير من الناس، إن إقامة علاقات بهذه الكثرة تجعلك تصرف وقتاً طويلاً دون أن يعود عليك بالنفع والفائدة»

(٢٠)، يتبين من كل ما تقدم بأن الإنسان مدني بطبعة ويعيش ضمن جماعات مختلفة وتتعدد علاقاته ومنها الاجتماعية لتواصله مع غيره وارتباطه بهم ومن أبرز الوسائل التي ظهرت للتواصل وتكوين العلاقات هي مواقع التواصل المستحدثة لذلك فيجب على كل فرد الحذر ويجب أن يستخدمها الاستخدام الصحيح لأنها سلاح ذو حدين في نفس الوقت.

المبحث الثالث

الصداقة في مواقع التواصل

المطلب الأول

أهمية الصداقة في الإسلام

الصداقة علاقة بين البشر تبدأ من مرحلة الطفولة وحتى مرحلة الشيخوخة، وهي أمر فطري من الله عز وجل وعندما جاء الدين الإسلامي أقر الصداقة واهتم بها كثيراً فللصداقة أهمية كبيرة في حياة الأفراد» فالصداقة والعلاقة هي بحق نافعة جداً فلولاها لانعدم التواصل بين الأفراد بشكل كبير وهي مطلوبة إلى حد ما، فالإنسان الذي يعيش في بيئة لا يعرف أحداً وليس له علاقة مع أحد تراه يكون غريباً ويشعر بالوحشة، لأن غريزة الانتماء والتعايش تعمل وتحفز الإنسان على مثل هذه الأمور، فاحتياج الإنسان إلى العلاقات والأصدقاء كاحتياجه إلى أعضاء بدنه، فخلقتنا تقتضي أن نكون أمة واحدة مجتمعة غير مفرقة فأحدنا يحتاج إلى الآخر(٢١)، ولما كانت الصداقة لها أثر مهم وأساسي في حياة الإنسان فقد ركز الإسلام وحث على اختيار الصديق المناسب؛ لما له من أثر مهم وواضح، كما أن القرآن الكريم اهتم بالصداقة، فقد ورد ذكر الصديق بصورة صريحة في آيتين هما: قال تعالى: «لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَى حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْمَرِيضِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى أَنْفُسِكُمْ أَنْ تَأْكُلُوا مِنْ بُيُوتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ آبَائِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أُمَّهَاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ إِخْوَانِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخَوَاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَعْمَامِكُمْ أَوْ بُيُوتِ عَمَّاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخْوَالِكُمْ أَوْ بُيُوتِ خَالَاتِكُمْ أَوْ مَا مَلَكْتُمْ مَفَاتِحَهُ أَوْ صَدِيقِكُمْ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَأْكُلُوا جَمِيعًا أَوْ أَشْتَاتًا»(٢٢)، وقد أورد البحراني عقب هذه الآية عدة روايات، نذكر منها ما هو موضع اهتمام البحث: عن صفوان بن يحيى، عن عبد الله بن مسكان، عن محمد الحلبي، قال: سألت أبا عبد الله (عليه السلام) عن هذه الآية:

(ولا عَلى أَنْفُسِكُمْ أَنْ تَأْكُلُوا مِنْ بُيُوتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ آبائِكُمْ) إلى آخر الآية، قلت: ما يعني بقوله:

(أَوْ صَدِيقِكُمْ) ؟ قال: « هو والله الرجل يدخل بيت صديقه، فيأكل بغير إذنه» (٢٣)، ومن هذه الآية وتفسيرها يتبين لنا مدى أهمية الصديق في حياة الفرد إذ إنه قد أنزل الصديق منزلة القريب، كذلك قال تعالى: « فَمَا لَنَا مِنْ شَافِعِينَ . وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ»(٢٤).فقد فسّرها الشيخ الطوسي بقوله:« أي لو كان لنا شفيع لسأل في أمرنا أو صديق لدفع عنا، فقد آيس الكفار من شافع، وإنما يقولون ذلك إذا رأوا جماعة من فساق أهل الملة يشفع فيهم، ويسقط عنهم العقاب ويخرجون من النار، يتلهفون على مثل ذلك، ويتحسرون عليه، والصديق هو الصاحب الذي يصدق المودة وصدق المودة إخلاصها من شائب الفساد»(٢٥) وإلى جانب الآيات القرآنية نرى تركيز أئمة أهل البيت(عليهم السلام) من خلال رواياتهم على أهمية الصديق واختياره ومنها: في وصية أمير المؤمنين (عليه السلام) لولده الإمام الحسن (عليه السلام):

« لا خير في معين مهين ولا في صديق ظنين» (٢٦)، فمن هذه الرواية يظهر معنى الصداقة بلفظ صريح وهو « صديق»وفيه تحذير من اختيار الصديق، فالصديق الكثير الظن بصديقه والمتهم لا يرتجى منه الخير.

وعنه (عليه السلام) أنه قال: «لا يكون الصديق صديقاً حتى يحفظ أخاه في ثلاث: في نكبته، وغيبته ووفاته»(٢٧) ، وفي هذه الرواية يظهر معنى الصديق الحقيقي الذي يحفظ صديقه في أي مكان وزمان.

عن الصادق (عليه السلام) قال: « لا تصحب الفاجر فيعلمك من فجوره، ثم قال (عليه السلام): أمرني والدي بثلاث ونهاني عن ثلاث، فكان فيما قال لي: يا

بني من يصحب صاحب السوء لا يسلم، ومن يدخل مداخل السوء يتهم ومن لا يملك لسانه يندم الخبر» (٢٨) من خلال ما تقدم يتبين لنا أهمية الصداقة ومدى تأثرها الواضح على الفرد وأيضاً مدى احتياج وضرورة وجود الصديق في الحياة؛ لأنه كما تبين لنا سابقاً أن الإنسان بطبعه يكون علاقات وصداقات مختلفة لذلك فإنها تترك أثراً مهماً عليه.

المطلب الثاني

الصداقة في العالم الافتراضي قد نسمع أو نرى الكثير ممن يستخدمون مواقع التواصل وخاصة موقع (فيسبوك) إذ يطلقون على الأشخاص الذين ينتمون إلى مثل هذه المواقع بالأصدقاء، غير أن هذا الأمر يدعو إلى التأمل والوقوف عليه من خلال طرح التساؤلات الآتية:

هل الصديق الافتراضي هو نفسه الصديق بالواقع ؟

وهل الصديق الافتراضي يمكن أن يتحول إلى صديق على أرض الواقع ؟

وهل تدوم هذهِ الصداقات ؟

وهل الصداقة لها موازين وضوابط تحكمها ؟

أمّا فيما يخص التساؤل الأول فالجواب عليه بكل بساطة، كلا لا يمكن لهذا الصديق الافتراضي أن يكون هو نفسه الصديق في الواقع لما تتطلبه الصداقة على أرض الواقع من جهد وعناء في البحث والتنقيب عن الصديق الجيد الذي يدوم طويلاً وإلى الأبد « إن صداقات الفيسبوك في معظم حالاتها هي صداقات وهمية وهذه الشخصيات التي نراها غالباً لا نرى منها إلا الوجه الذي تريد أن ترينا إياه منها، فلا يوجد ما يثبت بأن هذا الإنسان الذي تصادقه من خلف شاشة الكمبيوتر أو الجوال هو الصديق الصدوق الذي يعتمد عليه، فالصداقة تدعمها المواقف الجيدة والقوية والتي تثبت حسن نوايا الشخص المقابل، فلا يمكن لزر الإعجاب أو مشاركة المنشور أو حتى التعليقات المنمقة والجميلة والتي في كثير منها نرى النفاق والمجاملات تسود الكلام أن تكون خير دليل على صداقة هذا الشخص»(٢٩) فدائما «ما يغيب عامل الثقة في صداقة الفيسبوك ففي النهاية مواقع التواصل الاجتماعي ما هي إلا عالم افتراضي يمكن لأي شخص فيه أن يتقمص شخصية غير شخصيته أو أن يكذب أو يخدع وهذا الأمر يجعل صداقة الفيسبوك صداقة هشة مبنية على أسس غير قوية على عكس الصداقة الحقيقة الفعلية التي يتقابل فيها الأصدقاء ويعرفون بعضهم البعض ويسهل كشف خداع أو غدر الأصدقاء فيهم فعنصر الثقة دائما موجود في الصداقة الحقيقة وهذا ما يجعلها أقوى وأجمل»(٣٠).

والجواب عن التساؤل الثاني، هو ممكن لكنه بعيد التحقق لما للصداقات الحقيقية من أهمية بالغة في حياة الإنسان « وقد تتطور العلاقات المكتسبة عبر منصات التواصل الاجتماعي لتصبح عميقة في الواقع ولكن بشكل محدود جداً، حيث يعتمد ذلك على مدى واقعية الشخصين في عرض الأفكار وإبداء الآراء وإن توافقت اشتد حبل الصلة، وقد تتطور العلاقة إن اعتقدوا إن بإمكانهم أن يكونوا أصدقاء، ولكن لا يمكن الوثوق بالجميع، فالعبرة إذن في عفوية المرء عند طرح أفكاره وعدم التصنع على مواقع التواصل الاجتماعي ذلك كي تتقارب النفوس بواقعية لا لمجرد ملئ الفراغات اجتماعية وعاطفية»(٣١).

بعد إن عرفنا أنه من الممكن أن يتحول هذا الصديق الافتراضي إلى صديق في الواقع

لكن بحدود معينة ومحدودة، يمكن لنا الإجابة على التساؤل الثالث وهو: بما أنه كان من الممكن للصداقة الافتراضية أن تتحول إلى واقعية، فدوام هذه الصداقة واستمراريتها يخضع لنفس شروط دوام واستمرارية الصداقة الواقعية ومن هذه الشروط مثلاً الزيارات المتبادلة بين الأصدقاء « إن الصداقة عبر تلك المواقع قد تكون صداقة حقيقية وقد تستمر وتتطور ولكن بعد تحولها من صداقة انترنت إلى صداقة واقعية من خلال تبادل الزيارات المنزلية فبذلك أصبح كل شيء أمامك على المكشوف ولكن نسبة نجاحها ضئيل جداً وأحرص دائماً على ضرورة أخذ الحيطة والحذر من العلاقات التي تتكون عبر الانترنت»(٣٢)،و بعد أن توصل البحث إلى أنه من الممكن لهذه العلاقات أن تتحول إلى واقعية ولها استمرارية ودوام ولو بشكل محدود، يكون التساؤل هنا هل لهذه الصداقات موازين وضوابط تحكمها ؟ إن صداقات العالم الافتراضي لا يمكن أن تحكمها ضوابط وموازين بشكل دقيق لأن؛ « الصداقات مفتوحة وسريعة وقد لا تخضع للموازين الدقيقة في الاختيار، يتعذر في كثير من الحالات التعرف الحقيقي على شخصية الصديق لما يلم بهذا العالم من كتمان وعدم إبراز الشخصية الحقيقية وغير ذلك من الفوارق التي يلاحظها اللبيب»(٣٣)،ولكن بعد أن تتحول هذه الصداقة من افتراضية إلى واقعية، كان من الممكن أن تحكمها ضوابط وموازين الصداقة الحقيقية، « للصداقة أدبيات سواء كانت واقعية أو افتراضية وللأسف إن البعض يجهل واجبات وحقوق الصداقة، الصداقة هي مشاركة الآراء والمناسبات وتبادل الاحترام والمعاملة بالطيب والإحسان والثقة المتبادلة والنصح والمشورة والاهتمام والأهم حب الصداقة ذاتها وأن لا تكون لغرض ما أو للحصول على شهرة أو لمصالح مادية واستغلال، وإذا لم يكن الصديق على قدر من المسؤولية لهذه الصداقة فالأفضل أن لا يخوض في صداقات وأن يبقى بعيداً عن الناس الأسوياء الذين يقدرون الصداقة ويهتمون بأصدقائهم»(٣٤)، إن الصداقة في مواقع التواصل مع أهميتها إلا أن لها سلبيات كثيرة وعليه « فمن يراعي شروط الصداقة الناجحة لا يقدم على إقامة أي صداقة عن طريق هذه النوافذ الواسعة، وصراحة إن هذه المواقع غريبة ولها أهداف كبيرة جداً وقد لمس الكثير ذلك، هذا لا يعني إننا نلغي أي تواصل مع الناس أو نقطع تقدم العلم والتكنولوجيا، لكن كل شيء يظهر في هذه المجتمعات المنفتحة لا بد وأن يكون قائماً على غرض ومصالح قد يعرفها البعض وتخفى عن الكثير»(٣٥).

المطلب الثالث:

آراء العلماء حول صداقات الرجل والمرأة في مواقع التواصل

تُعدّ العلاقات الاجتماعية في مواقع التواصل ظاهرة مستحدثة، ومع هذا الدين الإسلامي لا يتقاطع مع العلم والتطور في شتى المجالات، فهو يتسع لكل المسائل حتى المستحدثة منها، وذلك لأن « من أهم سمات دين الإسلام هو تأقلمه مع واقعه المعاصر، فهو دين ينفع لكل زمان ومكان من حيث إن أركانه العقائدية ثابتة فهي وحي من السماء ولذلك لا تتغير عبر الزمن مما يعطيه خاصية الثبات والاستقرار، ولكن في الوقت نفسه فإن من رحمة الله عز وجل أن جعل منافذ فقهية ومرونة في الأحكام العامة وخاصة في إطلاق الأحكام على مستجدات الأمور والأحداث الطارئة عبر الزمن والتي تواجه المجتمع الإسلامي

فخلق آليات لعلماء الأمة لكي يستخرج ويستنتج الحكم الشرعي .....، وغيرها من آليات وجدت رأفة بالعباد ولكي تضمن تأقلم واستمرار هذا الدين الحنيف»(٣٦).

فقد قال السيد الخميني بخصوص هذه التطورات والأحداث: « على الحوزات الدينية والعلماء أن يمسكوا دائماً بأيديهم بزمام حركة الفكر،ويحيطوا باحتياجات المجتمع المستقبلية، وأن يكونوا دائماً متقدمين عدة خطوات على الحوادث ليكونوا قادرين على اتخاذ ردود الفعل الصحيحة تجاهها، فربما تتغير في السنين القادمة الأساليب المألوفة حالياً في إدارة الجماهير وتحتاج المجتمعات الإنسانية إلى الإسلام وأحكامه الجديدة ليحل مشاكلها، لذا يجب أن يفكر علماء الإسلام العظام من الآن بهذا الأمر»(٣٧)، من هنا يتضح أن هذا الدين شامل لكل حادثة وواقعة مستحدثة ولا يعقل أن يقف العلماء مكتوفي الأيدي أمام هذه التطورات لذلك فلكل شيء حكم خاص به، ومن لطف الله سبحانه وتعالى بالناس بأن جاءت الشريعة الإسلامية سمحة ومرنة وشاملة تصلح لكل زمان و مكان لذلك فقد أصبح باب الاجتهاد وبذل الوسع في استنباط الأحكام الشرعية مفتوحاً لمختلف المسائل والمستجدات في هذا العصر ومنها مسألة التواصل الاجتماعي وتكوين الصداقات عبر مواقع الانترنت المختلفة لذلك فقد كان الدور الأساس للعلماء في بذل الجهد لبيان الحكم واضحاً، وهنا نذكر بعض هذه الآراء:

١ـ رأي السيد علي السيستاني

س / « هل يجوز للفتاة التحدث مع شاب عبر المسنجر وقد يكون بنية الزواج منه أو لا ؟ وهل يجوز للشخص إيجاد علاقة بينه وبين بعض الفتيات بالمراسلة لغرض الزواج من إحداهن، أو لغرض الصداقة التي لا يترتب عليها محرماً» (٣٨).

ج / « لا يجوز لعدم الأمن من الوقوع في الحرام، والله العالم «(٣٩).

س / «ما رأيكم في تكوين علاقات أو صداقات أو حب بين الرجل والمرأة عبر الانترنت»(٤٠).

ج / « لا يجوز لعدم الأمن من الوقوع في الحرام ولو بالانجرار إليه شيئاً فشيئاً، والله العالم»(٤١).

من هنا يتبين بأن السيد السيستاني يرفض ويحرم العلاقات والصداقات بين الرجل والمرأة على مواقع التواصل.

٢ـ رأي السيد محمد سعيد الحكيم

س/ « هل يجوز للمرأة المتزوجة أن تصادق رجلاً فقط في حدود الصداقة، من دون علم زوجها؟ »(٤٢).

ج / « يلزم اجتناب ذلك والحذر جداً من مخاطره وعواقبه السيئة دينياً واجتماعياً، والله العالم»(٤٣)، يُفهم من كلام السيد الحكيم أنه شبه محرم لهكذا علاقات وصداقات.

٣-رأي السيد محمد تقي المدرسي

س / « في عصر العولمة انتشرت الايميلات وانتشرت خدمة الانترنت ولا نجد بيتاً يخلو منها: سؤالي هو: ما حكم أن تتكلم الفتاة إلى شاب عبر خدمة المسنجر، سواء كان الكلام عادياً أو غيره، مع العلم أن لا أحد من الطرفين يعرف الآخر؟»(٤٤).

ج / « لا يخلو من إشكال وخاصة إذا كان كلاماً غير عادي، وعلينا الاستفادة من منجزات العصر في إطار الالتزام بأحكام ديننا والتمسك بأخلاقياتنا الفاضلة، فالعولمة والتقدم الصناعي لا يبرران الانفلات من الالتزامات الفاضلة»(٤٥).

س / « هل يجوز أن أتخذ من فتاة صديقة لي مع مراعاة عدم الخلوة بها والتحدث في

الأشياء العامة والخاصة دون التطرق إلى مواضيع غير شرعية ومخلة بالآداب، وما حكم الصداقة بين الرجل والمرأة بحيث تتطور العلاقة إلى علاقة حب وبعدها تتوثق بعقد الزواج بحيث يتم الخروج والتنزه والعشاء في فترة الصداقة وفترة الحب ، ولكن لا توجد أمور محرمة بين الطرفين ؟»(٤٦).

ج / « نهت الشريعة عن اتخاذ الصداقة بين الرجل والمرأة الأجنبية وكذا العكس، والصداقة بين الرجل والمرأة الأجنبيين منهي عنها في الشريعة الإسلامية، ولعل السبب هو أن علاقات الصداقة هذه قد تكون من مزالق الشيطان، وما أكثر الانحرافات والمفاسد التي نلاحظها في المجتمعات غير الملتزمة بسبب الصداقات بين الجنسين والزواج لا يتوقف على هذه المقدمات التي وردت إلى مجتمعاتنا من الثقافات البعيدة عن حدود الله»(٤٧)،من هنا يتبين بأن السيد المدرسي وبحسب هذه الأسئلة التي وجهت إليه يرفض الصداقة بين الجنسين بسبب المفاسد التي تتركها وتبعدها عن الطريق الصحيح.

٤ ـ رأي السيد علي الخامنائي

س/« هل التواصل مع الأجنبية على الإنترنت حكمه حكم الخلوة المحرّمة خاصّة وأنّهما مأمونان من دخول الآخرين؟ وما حكم التواصل بين الجنسين عبر الإنترنت، سواء أكان تواصلاً مباشراً كما في مواقع الحوار، والاتّصال المباشر، أم كان تواصلاً غير مباشر كما في المنتديات، أو عبر البريد الالكتروني، وهو أهمها؟ وهل هناك ضوابط لهذا التواصل؟ وما حكم بناء علاقات الصداقة مع الجنس الآخر عبر مواقع التواصل الاجتماعي من دون المقابلة المباشرة؟ «(٤٨).

ج / «لا تجوز المحادثة بين المرأة والرجل الأجنبيّ، سواء أكانت مباشرة أو عبر الهاتف أو عبر الإنترنت أو بالمراسلة وما شابه ذلك فيما إذا كانت مثيرة للشهوة أو كانت بقصد التلذّذ والريبة، أو مع خوف الافتتان، أو استلزمت الوقوع في الحرام أو المفسدة ، أما الصداقة تجوز مع مراعاة الحدود الشرعيّة وعدم خوف الوقوع في الحرام أو ترتّب المفسدة وإلّا فلا يجوز»(٤٩).

من هنا نتوصل إلى أن السيد الخامنائي يحرم التواصل بين المرأة والرجل الأجنبيان لكنه يجوّز الصداقة إذا كانت هناك مراعاة لحدود الشرع وعدم ترتب المفسدة

٥ـ رأي الشيخ ناصر مكارم شيرازي

س / « ما هو رأي سماحتكم في موضوع الاختلاط بالانترنت بين الشباب والبنات» (٥٠) .

ج / « لا يجوز»(٥١) ،من هنا يتبين لنا بأن الشيخ ناصر مكارم الشيرازي لا يجوّز الاختلاط وتكوين صداقات على مواقع التواصل الاجتماعي.

٦ ـ رأي السيد صادق الشيرازي

س / «هل يجوز إقامة علاقة مع الجنس الآخر عبر الانترنت؟ وهل مكالمة الجنس الآخر الأجنبي عبر الانترنيت (الحديث بالكتابة أو بالصوت) جائز؟ ولو بالتحية أو بالسؤال عن الحال؟»(٥٢).

ج / « إن محادثة النساء من مصائد الشيطان ولذلك ينبغي للمؤمن والمؤمنة الاجتناب أو الاقتصار على قدر الضرورة ، أصل التحدّث إذا لم يشتمل على محرّم أو يستلزم محرماً - كما إذا كان لغرض مشروع - جائز، علماً بأنه لا تجوز الصداقة بين الأجنبيين من الجنس المخالف»(٥٣).

من هنا يتبين بأن السيد صادق الشيرازي لا يجوّز تكوين صداقة بين الرجل والمرأة الأجنبيان عن بعضهما في مواقع التواصل.

٧ـ رأي السيد محمد حسين فضل الله
س / « ما حكم محادثة الطرفين أي الشاب والفتاة عن طريق الانترنت مع وجود الحب؟ وهل تجوز صداقة الشاب والفتاة والالتقاء في أماكن عامة مع التأكيد على النية الصافية وعدم إثارة الشهوات من كلا الطرفين ؟»(٥٤).
ج / « جائزة إذا كانت ضمن الضوابط الشرعية وضمن حدود الآداب ولا ننصح بها حذراً من الوقوع في المحظورات، الأجدر بالمؤمنين والمؤمنات تجنب التلاقي لغير ضرورة الدراسة أو العمل رغم النية الصافية»(٥٥).
يتبين لنا من هذا الكلام بأن السيد فضل الله ليس مانعاً لهذه الصداقة والتواصل بين الطرفين ويقول الأفضل تجنبها.
٨-رأي السيد محمد صادق الروحاني
س / « ما رأيكم في ما يسمى بالشات (غرف المحادثة بالأنترنت) التي يتحدثان بها مجموعة من الأشخاص و بعض الأحيان فقط شاب وشابة ؟ و ما حكم الصداقة بين الرجل والفتاة إذا كانت علاقة شرعية وهل يجوز المصادقة للتعارف من ثم العقد المؤقت ؟» (٥٦).
ج / « لا إشكال في نفس المحادثة شرط أن لا يصاحبها حديث محرم أو لا تؤدي إلى فعل محرم، لا بد من مراعاة الموازين الشرعية في أية علاقة لناحية عدم ارتكاب المحرم أو ما يعتبر مقدمة للوقوع في الحرام، كالخلوة والأحاديث المثيرة وغير ذلك، ومع مراعاة هذه الموازين والضوابط الشرعية فلا إشكال في ذلك» (٥٧).
يتبين من كل ما تقدم بأن السيد الروحاني لا يمنع التواصل وتكوين العلاقات لكن يجب مراعاة الموازين والضوابط الشرعية في ذلك.
الخاتمة :
تحمل خاتمة هذا البحث البسيط والمتواضع ثماراً قُطفت من الصداقة وهي :
١ ـ تبين لنا من خلال البحث أن الصداقة علاقة فطرية بين البشر وأنها مفهوم مشتق من الصدق.
٢ ـ إن مواقع التواصل أصبحت جزء لا يتجزأ من الواقع المعاصر، ولها أثارها الواضحة على المجتمعات الإنسانية ونشرها للتطورات والأحداث المختلفة بسرعة فائقة وسهولة في الاستخدام وتوفير للوقت والجهد.
٣ـ إن إنشاء العلاقات الاجتماعية المختلفة وكذلك التواصل بين أفراد المجتمع ليس شيئاً مستحدثاً وإنما هو موجود منذ القدم لكن طريقة التواصل أصبحت مختلفة وأكثر تطوراً من قبل بفضل هذه الوسائل والمواقع المستحدثة.
٤ـ إن لمواقع التواصل الاجتماعي أثاراً ايجابية في تقوية العلاقات الاجتماعية، كما أن لها أثارها السلبية ما لم يتم استخدامها بشكل صحيح.
٥ـ حث الإسلام على أهمية الصداقة، فقد جاء في القرآن الكريم ذكر الصديق بشكل صريح في آيتين سورة النور الآية: ٦١ ، وسورة الشعراء الآية: ١٠١، كما اهتمت السنة الشريفة بالصداقة فقد ورد مفهوم الصداقة في الكثير من الروايات.
٦ ـ تبين من خلال البحث إن الصديق في مواقع التواصل لا يُغني عن الصديق الحقيقي في الواقع، كما تبين إنه من الممكن أن تدوم صداقة المواقع إذا تحولت إلى صداقة حقيقية على أرض الواقع.
٧ ـ كما تبين من خلال البحث إنه لا يمكن ضبط الصداقة في مواقع التواصل فهي لا تخضع للرقابة بشكل دقيق لكونها مفتوحة وواسعة بعكس الصداقة الحقيقية على أرض الواقع.

٨ ـ إن الدين الإسلامي لا يتقاطع مع العلم وتطوره، فهو أجاز التواصل في هذه المواقع ولكن وضع لها ضوابط وأحكاماً شرعية تحكمها.

٩ـ وقد تبين من خلال البحث إن لعلمائنا الأجلاء دوراً واضحاً في هذا المستحدث الذي دخل على مجتمعنا فمنه نعرف حكمنا الشرعي وتكليفنا تجاه الصداقة عبر هذه المواقع.

١٠ـ لقد ذهب بعض الفقهاء إلى عدم جواز الصداقة في هذه المواقع بين الرجل والمرأة والشاب والفتاة إذا كانا أجنبيان عن بعضها لأن هذا الشيء محرم شرعاً وبالتالي يجر إلى المفاسد.

الهوامش :

(١) ينظر : المصباح المنير : أحمد بن محمد الفيومي ،تحقيق : عبد العظيم الشناوي ، ط٢ ١٩٧٧م ، دار المعارف ـ القاهرة ـ مصر ، ٢ / ٤٢٥ .

(٢) العلاقات الاجتماعية : حسام الدين فياض ، ، بلا .ط ، ٢٠١٦م ، بلا .ب ، ٢ .

(٣) علاقات الجيرة في المناطق السكنية الحضرية الجديدة : لعناني فتحي ، رسالة ماجستير ، ٢٠٠٦م ،جامعة مناوري ـ كلية العلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعية ـ قسنطينة ، ١٢

(٤) دور مواقع التواصل الاجتماعي في حل المشكلات التي تواجه طلاب التربية العملية واتجاهاتهم نحوها : محسن بن جابر الزهراني ، متطلب تكميلي للدكتوراه ، ٢٠١٣ م ، جامعة أم القرى ـ كلية التربية ـ السعودية ، ٩.

(٥) معجم مقاييس اللغة، أحمد بن فارس ، ط١ ، ٢٠٠١م، دار إحياء التراث العربي ـ بيروت ـ لبنان، ٥٦٥ .

(٦) الصداقة في عالمها الواسع : حسن علي الجوادي ، ط١ ، ٢٠١٥م،دار الكفيل للطباعة والنشر ـكربلاء المقدسة ـالعراق ، ١٧ .

(٧) معجم التعريفات : علي بن محمد الجرجاني ، تحقيق : محمد المنشاوي،طبعة٢٠٠٤م، دار الفضيلة ـالقاهرة ـمصر ، ١١٣ .

(٨) سورة الحجرات ، الآية : ١٣ .

(٩) تفسير النور : الشيخ محسن قرائتي ، ترجمة : حسين صافي ، ط١ ، ٢٠١٤م ، دار المؤرخ العربي ـ بيروت ـ لبنان ، ٩ / ١٨٧ .

(١٠) سورة الزخرف ، الآية : ٣٢ .

(١١) تفسير النور : الشيخ محسن قرائتي ، ٨ / ٣٨٦

(١٢) وسائل الشيعة : الحر العاملي ، تحقيق : مؤسسة آل البيت (عليهم السلام) لإحياء التراث ، ط٢ ، ١٤١٤هـ مؤسسة آل البيت (عليهم السلام) لإحياء التراث ـ قم ـ إيران ، ١٢ / ١٨

(١٣) الكافي : الشيخ الكليني ، تحقيق : تصحيح وتعليق : علي أكبر الغفاري ، ط٤ ، ١٣٦٥ش ، دار الكتب الإسلامية ـ طهران ـ إيران ، ٢ / ١٠٢ .

(١٤) مدخل إلى أصول العلاقات الاجتماعية ، في الإسلام ، الشيخ جميل الربيعي ، د ط ، ٢٠١٦م ، المركز الثقافي الإسلامي ـ مجمع الإمامين الحسنين ، ٥٦ .

(١٥) العلاقات الاجتماعية : حسام الدين فياض،٣ .

(١٦) ينظر : موقع مكتب السيد محمد سعيد الحكيم ـ الاستفتاءات ـ عقد النكاح .

(١٧) ينظر : ثورة الشبكات الاجتماعية : خالد يوسف غسان ، ط١ ، ٢٠١٣م ، دار النفائس ـ الأردن ، ٦٨ ، ٦٩ ، ٧٠ ، ٧١ .

(١٨) وسائل التواصل الاجتماعي وأثرها على الأسرة دراسة فقهية : دعاء عمر محمد ، رسالة ماجستير ، ٢٠١٥م ، جامعة النجاح الوطنية ـ كلية الدراسات العليا ـ نابلس ـ فلسطين ، ٢٩ .

(١٩) ينظر : مواقع التواصل الاجتماعي نظرة فقهية أخلاقية تربوية : الشيخ ميثم الفريجي ، ط١ ، ٢٠١٤م ، دار المحجة البيضاء ـ بيروت ـ لبنان ، ٣٢ ، ٨٤ .

(٢٠) الصداقة في عالمها الواسع : حسن علي الجوادي ، ط١ ، ٢٠١٥م ، دار الكفيل للطباعة والنشر ـ كربلاء المقدسة ـ العراق ، ١٠٦ .

(٢١) الصداقة في عالمها الواسع : حسن الجوادي ، ١٨ .

(٢٢) سورة النور ، الآية : ٦١ .

(٢٣) البرهان في تفسير القرآن : السيد هاشم الحسيني البحراني ، ط٢ ، ٢٠٠٦م ، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات ـ بيروت ـ لبنان ، ٥ / ٤٢٦ .

(٢٤) سورة الشعراء ، الآيتان : ١٠٠ ، ١٠١ .

(٢٥) التبيان في تفسير القرآن : الشيخ الطوسي ، ط١ ، ١٤٠٩هـ مكتب الإعلام الإسلامي ـ قم ـ إيران ، ٨ / ٣٧

(٢٦) نهج البلاغة : الإمام أمير المؤمنين ، شرح الشيخ محمد عبده ، ط١ ، ١٤١٢هـ دار الذخائر ـ قم ـ إيران ، ٣ / ٥٣ .

(٢٧) وسائل الشيعة : الحر العاملي، ١٢ / ٢٦

.
(٢٨) بحار الأنوار : العلامة المجلسي ، تحقيق : السيد إبراهيم الميانجي ، محمد الباقر البهبودي ، ط٢ ، ١٩٨٣م ، مؤسسة الوفاء - بيروت - لبنان ، ٧١ / ١٩١
.
(٢٩) alrai. Com/ article/ ، هل منحنا فيس بوك أصدقاء حقيقين ، تاريخ النشر : ٨/٨/ ٢٠١٧
.
(٣٠) http://www.altahrironline.com/ara/articles/٢١٠٤٦٢ .
(٣١) alrai. Com/ article/ ، هل منحنا فيس بوك أصدقاء حقيقين ، تاريخ النشر : ٨/٨/ ٢٠١٧
(٣٢) https://www.alwatanvoice.com/arabic/news/٢٠١٤/٠٣/٢٣/٥١١٦٤٦html. .
(٣٣) مواقع التواصل الاجتماعي نظرة فقهية أخلاقية تربوية : الشيخ ميثم الفريجي ، ط١ ، ٢٠١٤ م ، دار المحجة البيضاء ـ بيروت ـ لبنان ، ٥٥ .
(٣٤) www.raya.com/writers/ ١٦/٣/٢٠١٣ ، ايقاعات الصداقة الافتراضية .
(٣٥) الصداقة في عالمها الواسع : حسن علي الجوادي ، ١٠٦ .
(٣٦) ثورة الشبكات الاجتماعية : خالد غسان يوسف ١٩٩ـ ٢٠٠ .
(٣٧) ريادة الفقه الإسلامي ومتطلبات العصر : السيد الخميني ، ط١ ، ١٩٩٢م ، دار الهادي ـ بيروت ـ لبنان ، ٥٦
(٣٨) فقه العلاقات الاجتماعية بين الرجل والمرأة الأجنبية : فتاوى السيد علي السيستاني ، جمع وإعداد : الشيخ محمد جواد الشهابي ،١٤٢٦هـ مكتبة مؤمن قريش ، ٦٠، ٧٧ .
(٣٩) المصدر نفسه ، ٦٠، ٧٧ .
(٤٠) المصدر نفسه ، ٨٢ .
(٤١) المصدر نفسه ، ٨٢ .
(٤٢) فقه العلاقات الاجتماعية : فتاوى السيد محمد سعيد الحكيم ، إعداد : الشيخ محمد جواد الشهابي ، ط١ ، ٢٠٠٨م ، دار الهلال ـ قم ـ إيران ، ١١٩ .
(٤٣) المصدر نفسه ، ١١٩ ـ ١٢٠ .
(٤٤) كتاب الاستفتاءات : السيد محمد تقي المدرسي ،ط١ ، ٢٠١٢م ، مركز العصر للثقافة والنشر ـ بيروت ، لبنان ، ٢ / ٢٨٦
(٤٥) المصدر نفسه ، ٢ / ٢٨٦ .
(٤٦) المصدر نفسه ، ٢ / ٢٨٧ .
(٤٧) كتاب الاستفتاءات : السيد محمد تقي المدرسي، ٢ / ٢٨٧ .
(٤٨) الأحكام الشرعية لوسائل التواصل الاجتماعي موافقاً لرأي سماحة السيد علي الخامنائي ، موقع الاجتهاد
(٤٩) المصدر نفسه .
(٥٠) موقع الشيخ ناصر مكارم شيرازي ، الأحكام الشرعية ـ الاستفتاءات .
(٥١) المصدر نفسه .
(٥٢) الاستفتاءات : موقع سماحة السيد صادق الشيرازي ، مسائل مستحدثة ـ أحكام الانترنت والحاسوب
(٥٣) الاستفتاءات : موقع سماحة السيد صادق الشيرازي ، مسائل مستحدثة ـ أحكام الانترنت والحاسوب
(٥٤) موقع بينات ، الموقع الرسمي لمؤسسة العلامة المرجع السيد محمد حسين فضل الله ، استفتاءات قضايا الشباب
(٥٥) موقع بينات ، الموقع الرسمي لمؤسسة العلامة المرجع السيد محمد حسين فضل الله ، استفتاءات قضايا الشباب
(٥٦) موقع مكتب سماحة آية الله العظمى السيد محمد صادق الروحاني ، الاستفتاءات الشرعية ـ المسائل المستحدثة ، علاقة الرجل والمرأة ـ المحادثة عبر الانترنت ، عن الصداقة مع الضوابط الشرعية .
(٥٧) المصدر نفسه .

قائمة المصادر والمراجع

القرآن الكريم .
١.بحار الأنوار : العلامة المجلسي ، تحقيق : السيد إبراهيم الميانجي ، محمد الباقر البهبودي ، ط٢ ، ١٩٨٣م ، مؤسسة الوفاء - بيروت - لبنان .
٢.البرهان في تفسير القرآن : السيد هاشم الحسيني البحراني ، ط٢ ، ٢٠٠٦م ، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات ـ بيروت ـ لبنان .
٣.التبيان في تفسير القرآن : الشيخ الطوسي ، ط١ ، ١٤٠٩هـ مكتب الإعلام الإسلامي ـ قم ـ إيران .
٤.تفسير النور : الشيخ محسن قرائتي ، ترجمة : حسين صافي ، ط١ ، ٢٠١٤م ، دار المؤرخ العربي ـ بيروت ـ لبنان.
٥.ثورة الشبكات الاجتماعية : خالد يوسف غسان ، ط١ ، ٢٠١٣م ، دار النفائس ـ الأردن.
٦.دور مواقع التواصل الاجتماعي في حل المشكلات التي تواجه طلاب التربية العملية واتجاهاتهم نحوها : محسن بن جابر الزهراني ، متطلب تكميلي للدكتوراه ، ٢٠١٣ م ، جامعة أم القرى ـ كلية التربية ـ السعودية.
٧.ريادة الفقه الإسلامي ومتطلبات العصر : السيد الخميني ، ط١ ، ١٩٩٢م ، دار الهادي ـ بيروت ـ

لبنان.
٨.الصداقة في عالمها الواسع : حسن علي الجوادي ، ط١ ، ٢٠١٥م ، دار الكفيل للطباعة والنشر ـ كربلاء المقدسة ـ العراق .
٩.الصداقة في عالمها الواسع : حسن علي الجوادي ، ط١ ، ٢٠١٥م ، دار الكفيل للطباعة والنشر ـ كربلاء المقدسة ـ العراق
١٠.العلاقات الاجتماعية : حسام الدين فياض ، ، بلا ط ، ٢٠١٦م ، بلا ب
١١.علاقات الجيرة في المناطق السكنية الحضرية الجديدة : لعناني فتحي ، رسالة ماجستير ، ٢٠٠٦م ،جامعة مناوري ـ كلية العلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعية ـ قسنطينة .
١٢.فقه العلاقات الاجتماعية بين الرجل والمرأة الأجنبية : فتاوى السيد علي السيستاني ، جمع وإعداد : الشيخ محمد جواد الشهابي ،١٤٢٦هـ مكتبة مؤمن قريش .
١٣.فقه العلاقات الاجتماعية : فتاوى السيد محمد سعيد الحكيم ، إعداد : الشيخ محمد جواد الشهابي ، ط١ ، ٢٠٠٨م ، دار الهلال ـ قم ـ إيران .
١٤. الكافي : الشيخ الكليني ، تحقيق : تصحيح وتعليق : علي أكبر الغفاري ، ط٤ ، ١٣٦٥ش ، دار الكتب الإسلامية – طهران ـ إيران.
١٥. كتاب الاستفتاءات : السيد محمد تقي المدرسي ،ط١ ، ٢٠١٢م ، مركز العصر للثقافة والنشر ـ بيروت ، لبنان.
١٦.مدخل إلى أصول العلاقات الاجتماعية ، في الإسلام ، الشيخ جميل الربيعي ، د ط ، ٢٠١٦م ، المركز الثقافي الإسلامي ـ مجمع الإمامين الحسنين .
١٧. المصباح المنير : أحمد بن محمد الفيومي ،تحقيق : عبد العظيم الشناوي ، ط٢ ١٩٧٧م ، دار المعارف ـ القاهرة ـ مصر ١٨..معجم التعريفات : علي بن محمد الجرجاني ، تحقيق : محمد المنشاوي ،طبعة ٢٠٠٤م ، دار الفضيلة ـ القاهرة ـ مصر .
١٩.معجم مقاييس اللغة، أحمد بن فارس ، ط١ ، ٢٠٠١م، دار إحياء التراث العربي ـ بيروت ـ لبنان .
٢٠.مواقع التواصل الاجتماعي نظرة فقهية أخلاقية تربوية : الشيخ ميثم الفريجي ، ط١ ، ٢٠١٤م ، دار المحجة البيضاء ـ بيروت ـ لبنان.
٢١. مواقع التواصل الاجتماعي نظرة فقهية أخلاقية تربوية : الشيخ ميثم الفريجي ، ط١ ، ٢٠١٤ م ، دار المحجة البيضاء ـ بيروت ـ لبنان .
٢٢. نهج البلاغة : الإمام أمير المؤمنين ، شرح الشيخ محمد عبده ، ط١ ، ١٤١٢هـ دار الذخائر - قم - إيران.
٢٣. وسائل التواصل الاجتماعي وأثرها على الأسرة دراسة فقهية : دعاء عمر محمد ، رسالة ماجستير ، ٢٠١٥م ، جامعة النجاح الوطنية ـ كلية الدراسات العليا ـ نابلس ـ فلسطين
٢٤.وسائل الشيعة : الحر العاملي ، تحقيق : مؤسسة آل البيت (ع) لإحياء التراث ، ط٢ ، ١٤١٤هـ مؤسسة آل البيت (ع) لإحياء التراث ـ قم ـ إيران .

المواقع الالكترونية :
١.موقع مكتب السيد محمد سعيد الحكيم ـ الاستفتاءات ـ عقد النكاح .
٢.الأحكام الشرعية لوسائل التواصل الاجتماعي موافقاً لرأي سماحة السيد علي الخامنائي ، موقع الاجتهاد .
٣.موقع الشيخ ناصر مكارم شيرازي ، الأحكام الشرعية ـ الاستفتاءات .
٤.الاستفتاءات : موقع سماحة السيد صادق الشيرازي ، مسائل مستحدثة ـ أحكام الانترنت والحاسوب .
٥.موقع بينات ، الموقع الرسمي لمؤسسة العلامة المرجع السيد محمد حسين فضل الله ، استفتاءات قضايا الشباب
٦.موقع مكتب سماحة آية الله العظمى السيد محمد صادق الروحاني ، الاستفتاءات الشرعية ـ المسائل المستحدثة .
٧. علاقة الرجل والمرأة ـ المحادثة عبر الانترنت ، عن الصداقة مع الضوابط الشرعية
٨. alrai. Com/ article/ ، هل منحنا فيس بوك أصدقاء حقيقين ، تاريخ النشر : ٨/٨/ ٢٠١٧ .
٩. http://www.altahironline.com/ara/articles/٢١٠٤٦٢ .
١٠. alrai. Com/ article ، هل منحنا فيس بوك أصدقاء حقيقين ، تاريخ النشر : ٨/٨/ ٢٠١٧ .
١١. https://www.alwatanvoice.com/arabic/news/٢٠١٤/٠٣/٢٣/٥١١٦٤٦.html .
١٢. www.raya.com/writers/ ١٦/٣/٢٠١٣ ، ايقاعات الصداقة الافتراضية .

فصلية مُحَكَمة تُعنى بالبحوث والدراسات العلمية والإنسانية والفكرية
العدد (٣) السنة الثانية ذو القعدة ١٤٤٣ هـ حزيران ٢٠٢٢ م

مفهوم الالحاد المعاصروسبل معالجته

م.م.أسيل ابراهيم شهاب
كلية الحكمة الجامعة

الملخص:
لقد عني أهل العلم في دراسة ومواجهة الإلحاد في كل السبل الممكنة، وقد أقتضت طبيعة البحث أن ابين به مدى توجيه علماء الدين في خطبهم وكتبهم وبحوثهم التي ترشد إلى مواجه الإلحاد وتوعية أبناءنا من الحذر من هذا التوجه وهذه الموجة الخطيرة التي تؤدي إلى هدم الدين الإسلامي ،وجعلتها موضوع بحث ودراسة، ودراستها دراسة دقيقة ومتعمقة لابين فيه مدى خطورة الإلحاد في عصرنا على ديننا وابناءنا، وكان هذا سبب مهم في اختياري للموضوع كي اخوض في تفاصيل الالحاد المعاصر وابين الطرق وسبل معالجة الإلحاد المعاصر، وابينها للقارئ كي تنجلي أمام سعة خطورة هذا التوجه، وجاءت الخاتمة لتضمن ابرز واهم النتائج

Abstract:
The people of knowledge have been concerned with studying and confronting atheism in all possible ways، and the nature of the research necessitated that I show through it the extent to which religious scholars directed their sermons، books and research that guide to confronting atheism and educating our children to beware of this trend and this dangerous wave that leads to the destruction of the Islamic religion، and made it A topic of research and study، and its study is a careful and in-depth study in it to show the extent of the danger of atheism in our time to our religion and our children. The conclusion came to include the most important and most important results of the research.

المقدمة:
الحمد لله خالق السموات والأرض، جاعل الظلمات والنور، أحمده حمداً كما ينبغي لكرم وجهه وعز جلاله.

تتعرض مجتمعات المسلمين اليوم لحملات متتابعة للطعن في ثوابتها ومحاولة شغلها عن بناء مستقبلها وإغراقها في مشاكل الهوية والفكر والصدامات الفلسفية استمرارا لنظرية هدم الإسلام من الداخل بأيدي أبناءه. وما ينتشر اليوم من نشر للشبهات الفكرية والشهوات الفطرية بين شباب المسلمين أبرزها ما يسمى بالإلحاد- ليس جديدا ولا مستغرباً من أعداء الإسلام فتلك سنة من السنن الإلهية في الصراع بين الحق والباطل؛ لكن الجديد هو ما ألبسته تلك الحملة الإلحادية من لبوس العصرية والاستفادة من التقنية والمال ووسائل الإعلام. يقول عبد الرحمن عبد الخالق: «وبالرغم من كثرة هذه المشكلات وتعددها، فإن أعظم هذه المشكلات وأكبرها أثرا في ظهور الاضطراب والفساد والقلق هي مشكلة الإلحاد، فهذه المشكلة في الحقيقة هي أم المشكلات وسببها جميعا» لذا كان من الواجب على أفراد الصحوة وحملة العلم في الأمة أن يتصدوا لهذه الشبهات، ويكشفوا عوارها للعامة وغيرهم من ينسبون أنفسهم للثقافة والفكر المتحضر، مع ما يتناسب مع الزمان والمكان والأحوال. وساهتم بمسألة الالحاد المعاصر في العالم الاسلامي وكيفية مواجهته وعلاجه.

تضمن البحث موضوع مفهوم الالحاد والوسائل المساعدة في علاجه وفيه مطلبين الاول تضمن مفهوم الإلحاد إذ بينت فيه معنى الإلحاد لغة واصلاحاً،أمّا المطلب الثاني بيّنت فيه الوسائل المساعدة في علاج الإلحاد، وهي الوسائل والطرق المتبعة في معالجة الالحاد المعاصر .

مفهوم الالحاد والوسائل المساعدة في علاجه

المطلب الاول:

أولا: مفهوم الإلحاد

تعريف الإلحاد لغةً واصطلاحاً

تحرير المعنى نصف الفهم، لذا من المهم تحديد مفهوم اللفظ لغة واصطلاحا، وكلمة الإلحاد كلمة عربية فصيحة، قال ابن فارس: اللام والحاء والدال أصل يدل على ميل عن استقامة. يقال: ألحد الرجل، إذ مال عن طريقة الحق والإيمان. وشمي الأحد لأنه مائل في أحد جانبي الجدث. يقال: خذت المبيت وألحدت. والملحد: الملجأ، سمي بذلك لأن اللاجئ يميل إليه(١)

فالإلحاد لغةً: هو الميل والعدول عن الاستقامة والظلم والجور والجدال والمراء يقال:لحد في الدين لحداً والحد إلحاداً لمن مال وعدل ومارى وجادل(٢)

وألحدت: ماريت وجادلت، قوله تعالى: (وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ بِظُلْمٍ نُّذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ) (٣) ، أي انحرافاً بظلم، وقد ألحد في الحرم: ترك القصد فيما أمر به ومال إلى الظلم، وألحد في الحرم: أشرك بالله تعالى، وقيل: الإلحاد فيه: الشك في الله، وأصل الإلحاد الميل والعدول عن الشيء، ولاحد فلان فلانا: اعوج كل منهما على صاحبه ومالا عن القصد. والملتحد: الملتجأ و الملجأ، أي لأن اللاجئ يميل إليه، قال تعالى: (ولن أجد من دونه متحدا) (٤)(٥).

الإلحاد في الاصطلاح: هو المراد في هذا البحث، وهو ما تعارف عليه في هذا العصر اعتقاد يقوم على فكرة إنكار وجود الله الخالق ، والقول بأن الكون وجد بلا خالق، وأن المادة أزلية أبدية، واعتبار تغيرات الكون قد تمت بالمصادفة، أو بمقتضى طبيعة المادة وقوانينها، واعتبار ظاهرة الحياة، وما تستتبع من شعور وفكر عند الإنسان، من أثر التطور الذاتي في المادة(٦).

المطلب الثاني

الوسائل المساعدة في علاج الإلحاد.

الإسلام دين جاء لخير البشرية على هذه الأرض وإسعادها فيها، وتهيئة الموحدين منها لسكني الجنة دار السعادة الأبدية، فالله لا ينفعه إيمان العباد، ولا يضره كفرهم، ولا في حاجة له في تعذيبهم وعقابهم، فهو الغني الحميد سبحانه، قال تعالى: (مَّا يَفْعَلُ ٱللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِن شَكَرْتُمْ وَءَامَنتُمْ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمًا)(٧) لكننا حينما نحاول وضع علاج لهذا الداء العضال فإننا نطمع لخلاص المجتمعات وتنقيتها مما يجعلها تستحق عقاب الله وعذابه، وهذه بعض الوسائل التي تساعد في علاج هذا المرض:

أولا: على مستوى الأفراد والأسر:

وذلك بالتحصين الفكري والعلمي، والتمسك بالاعتدال والوسطية، وانتهاج التفكير الإيجابي، وتعزيز روح الحوار في الأسرة، ومعالجة المشكلات التي تمس هذه القضية، وأخذ العلم من مصادره الصحيحة.

وننوه هنا إلى قضية مهمة، وهي أن الإسلام حينما عالج هذه القضية راعى الفرق بين نوعين مختلفين مما يرد على الأذهان(٨)

النوع الأول: الوساوس والخواطر العارضة، فعالجها بالإعراض عنها والاستعاذة منها.

والنوع الثاني: التساؤلات النابعة من شبهات ومقدمات، فأمر بمعالجتها بالعلم والحجة والبرهان، فجعل لكل نوع ما يناسبه، فعالجها كما يلي:

اولاً: الدعوة الى توحيد الله تعالى:

جعل الإسلام دعوته تبدأ من توحيد الله

سبحانه وتعالى والإيمان به والإقرار أنه إله الكون وخالق الوجود وجعل الهدف الأول بل والأخير للرسالات السماوية جميعا هو إقرار هذه القضية العظيمة من قضايات الدين قال تعالى: {وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ } وقال تعالى: {وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَٰلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ}

و جعل الله سبحانه وتعالى الهدف الأول من وجود الإنسان على هذه الأرض هو أن يعبد الله سبحانه وتعالى قال تعالى: {وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ} وبهذا جعل الدين الإسلامي هدف الإنسان على الأرض أن يعرف ربه سبحانه وتعالى ويوحده، ويعبده وحده لا شريك له، وقد أبان الله هذه القضية و أظهرها ودلل عليها بكل دليل حتى لا يترك فيها شكا ولا ريبا لأحد فأقام سبحانه وتعالى من آياته العظيمة في خلق السموات والأرض والناس ما يرشد العباد إلى خالقهم العظيم، ويدلهم على ربهم القدير سبحانه الذي أحسن كل شيء خلقه و أمرهم أن يتفكروا في خلق السموات والأرض، وفي خلق أنفسهم، وتعهد سبحانه أن يرى العباد من آياته في الآفاق ما يحملهم حملا على هذه القضية كما قال سبحانه وتعالى: {سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ}. والأدلة الكونية المشاهدة ليست هي الأدلة الوحيدة التي نصبها الله للدلالة عليه، بل إن الله سبحانه وتعالى أرسل الرسل مبشرين ومنذرين ومؤيدين من قبله سبحانه وتعالى بالأدلة والبراهين العظيمة على وحدانية الله سبحانه وتعالى، وأنه خالق الكون، رب العالمين المستحق وحده للعبادة. ولقد أتى الرسل صلوات الله وسلامه عليهم بوصف تفصيلي بليغ لأسماء الله صفانه حتى يعظم الرب سبحانه أكمل تعظيم و يعبءد على الوجه الأمثل. وهكذا أصبحت الأدلة السمعية التي حامت بها الرسل مكملة ومتممة للأدلة البصرية العقلية(٩).

ثانياً: علاجاً إيمانياً واقعياً ميسوراً، لأنه لا يكاد يسلم أحد من الوساوس في حين من الأحيان، وهي إذا وردت وعولجت هذا العلاج لم تستقر في القلوب، وعالج النوع الثاني علاجا علميا مبنيا على إزالة الشبهة بالدليل والبرهان، ومن خلط بين النوعين جاءه الإشكال، فقد يظن أن الإسلام ينهى عن معالجة الشبهات حول التساؤلات الكبرى، ويقتصر على الاستعاذة والانتهاء، أو قد يظن في المقابل أن الأسلوب الأمثل هو الاسترسال مع كل ما يخطر في الذهن من وساوس حول مسائل الدين أو غيرها، حتى يقع في الوساوس القهرية والاضطرابات النفسية وما هو أبعد من ذلك(١٠).

ثالثاً: على مستوى حملة الخطاب الديني: وذلك بالتزام الخطاب المعتدل، وتعزيز ركائز الإيمان والعقيدة السليمة، وإبراز محاسن الإسلام وكاله، والتصدي لمظاهر تشويهه من قبل المتطرفين والإرهابيين، وفك أي ارتباط يرمي إلى ربط الدين بأي ممارسة خاطئة، وتصحيح المفاهيم المغلوطة حول العلاقة بين الدين والعلوم الطبيعية وغيرها، والتصدي للشبهات بالحجة والتصور السليم، وبناء الجسور مع الأجيال الناشئة، وتجديد لغة الخطاب، وتقديم المادة العلمية والوعظية بأسلوب متميز ووفق معايير تراعي المعاصرة وتواكب التحديات (١١).

رابعاً: على مستوى المؤسسات الدينية الرسمية: وذلك بالتحصين من هذه المشكلة بالطرق المثلى عبر المحاضرات والندوات وخطب الجمعة وغيرها، والاستفادة من الإعلام التقليدي والحديث، وتأهيل الدعاة لحسن خوض هذا المضمار، وعمل الدراسات والبحوث والمؤلفات التي تخدم هذا الباب، ووضع الاستراتيجيات المثلى لمواجهة الإلحاد. والتواصل مع الشباب الذين ابتلوا بمثل هذه الشكوك ودلالتهم على الحق، والرد على كل الشبهات التي تعترضهم، فالعلماء هم أقدر الناس على الرد عليها، وعليهم أن يقوموا بها أوجب الله عليهم من نشر هذا العلم، بكل ما يستطيعون عبر الوسائل الحديثة، وفتح أبواب مجالسهم لهم.

خامساً: على مستوى الجامعات الشرعية: وذلك بتأهيل طلبة العلم الشرعي لمواجهة هذه المشكلة بالطرق السديدة، ووضع برامج لأطروحات الماجستير والدكتوراة تعنى بجوانب هذا الموضوع من كافة أبعاده، وتواكب ما يستجد حوله؛ لإثراء المكتبة العربية والإسلامية وتزيد القراء بالتصانيف المميزة (١٢)سادساً: على مستوى المثقفين والإعلاميين، وذلك من خلال التوعية بخطورة هذه المشكلة، وبيان مفاسدها، وعمل البرامج والمبادرات التي تعنى بهذا الأمر، والاستعانة بالمتخصصين فيه، والتزام الثقافة الإيجابية، والإعلام الهادف.

سابعاً: على مستوى الدول والقيادات: وذلك عبر مسارات عدة، منها نشر التنمية والازدهار ومكافحة الفقر والتخلف، وسن وتطبيق القوانين التي تكافح الإلحاد، ودعم الخطاب الديني المعتدل. أن يقوم حكام المسلمين بواجبهم، وذلك بمنع أسباب الإلحاد وعدم السماح بنشرها بين المسلمين، سواء كان كتبا، أم مواقع، أم قنوات، أم برامج إذاعية، أم فضائية،أم مقالات، أم تجمعات.

ثامناً: تضافر الجهود على مستوى المجامع الإسلامية الكبرى: مثل منظمة التعاون الإسلامي، وإنشاء مجمع إسلامي دولي يعني بهذه المشكلة وغيرها، يجمع بين علماء الشريعة وعلماء التخصصات الأخرى، فهناك جهود فردية مبعثرة لعلماء مسلمين متخصصين في بعض المجالات الطبيعية للرد على شبهات الملحدين في هذه المجالات، يتخلل ذلك أحيانا استراتيجيات تضر أكثر مما تنفع، نتيجة عدم وجود رؤية صحيحة متكاملة (١٣).

تاسعاً: العناية بالتربية الأخلاقية: على جميع المستويات المجتمعية والأسرية والتعليمية، فمسؤولية التربية الصالحة والتوجيه الأخلاقي تقع على كاهل المؤسسات التعليمية والاجتماعية والأسرة، أن يقوموا بواجبهم في تربية الجيل على الإيمان، والخير والهدى، وتحذيرهم من الكفر، والفسوق والعصيان، والمسؤولية في ذلك كبيرة(١٤). وفي الحديث: «لكم داع، وكلكم مسؤول عن رعيته «(١٥).

الهوامش:

(١) معجم مقاييس اللغة، المؤلف: أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين، المحقق: عبد السلام محمد هارون، الناشر: دار الفكر، عام النشر: ١٣٩٩ هـ- ١٩٧٩م. (٥/ ٢٣٦) .

(٢) تهذيب اللغة، الازهري ،ط١،احياء التراث العربي- بيروت ٤/ ٢٢٤، لسان العرب ،لابن منظور-دار صادر- بيروت٣/ ٣٨٩.

(٣) سورة الحج :آية ٢٥.

(٤) سورة الجن : آية ٢٢

(٥) انظر: تاج العروس من جواهر القاموس، المؤلف: محمد بن محمد بن عبد الرزاق الحسيني، أبو الفيض، الملقب بمرتضى، الزبيدي، المحقق: مجموعة من المحققين، الناشر: دار الهداية (٩/١٣٠)؛ والمخصص، المؤلف: أبو الحسن علي بن إسماعيل بن، سيده المرسي، المحقق: خليل إبراهم جفال،الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت، الطبعة: الأولى، ٥١٤١٧ ١٩٩٦م،(٢/ ٧٨).

(٦) كواشف زيوف ، عبد الرحمن الميداني، ط ٢/ دار القلم - دمشق (ص٤٦٤)، محمد قطب، مذاهب فكرية معاصرة، ط١/ دار الشروق - القاهرة (ص٦٠٥).

(٧) سورة النساء: آية ١٤٧.

(٨) الالحاد اسباب هذه الظاهرة وطرق علاجها، عبد الرحمن عبد الخالق ، الكويت، ١٤٠٣هـ-١٩٨٣،ص:١٣

(٩) الالحاد اسباب هذه الظاهرة وطرق علاجها، عبد الرحمن عبد الخالق ، الكويت، ١٤٠٣هـ-١٩٨٣،ص:١٣

(١٠) شرح رياض الصالحين، محمد بن صالح العثيمين،مدار الوطن للنشر،٢٠١٠ ،١/ ٧٦٢.

(١١) الخطاب الديني - سلاح الداعية المعاصر في ظل التيارات الثقافية المعاصرة، لـ أمين إبراهيم المسلمي، تاريخ النشر ٢٠٠٥، دار الصابوني،ص٣٤٢.

(١٢) الالحاد الاسباب والعلاج، خالد عبد الله المصلح، المجمع الفقهي الاسلامي، ص١٠.

(١٣) مشكلة الإلحاد أسبابها وعلاجها: أحمد بن محمد الشحي، http://www.ahmadalshehi.net/.

(١٤) الالحاد الاسباب والعلاج، خالد عبد الله المصلح، المجمع الفقهي الاسلامي، ص١١.

(١٥) صحيح البخاري برقم ٢٠٠٨، وصحيح مسلم برقم ١٨٢٩.

ثبت المصادر المراجع

القرآن الكريم

١-معجم مقاييس اللغة، المؤلف: أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين، المحقق: عبد السلام محمد هارون، الناشر: دار الفكر، عام النشر: ١٣٩٩ هـ- ١٩٧٩م.

٢-تاج العروس من جواهر القاموس، المؤلف: محمد بن محمد بن عبد الرزاق الحسيني، أبو الفيض، الملقب بمرتضى، التزبيدي، المحقق: مجموعة من المحققين، الناشر: دار الهداية.

٣-صحيح البخاري، محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي، المحقق: محمد زهير بن ناصر الناصر، الناشر: دار طوق النجاة (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي)، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ.

٤- صحيح مسلم، مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (المتوفى: ٢٦١هـ)، المحقق: محمد فؤاد عبد الباقي، الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت

٥-المخصص، المؤلف: أبو الحسن علي بن إسماعيل بن، سيده المرسي، المحقق: خليل إبراهم جفال،الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت، الطبعة: الأولى، ٥١٤١٧ ١٩٩٦م.

٦- الالحاد المعاصر(سماته واثاره واسبابه وعلاجه) ، بحث سوزان بنت رفيق بن ابراهيم المشهراوي، اشراف احلام بنت محمد سعيد ، ١٤٤٠هـ.

٧- بحث بعنوان: مشكلة الإلحاد أسبابها وعلاجها المؤلف: أحمد بن محمد الشحي، http://www.ahmadalshehi.net/?p=٣٥٣.

٨- الالحاد الاسباب والعلاج، خالد عبد الله المصلح، المجمع الفقهي الاسلامي.

٩-شرح رياض الصالحين، محمد بن صالح العثيمين، (المتوفى: ١٤٢١هـ)، مدار الوطن للنشر، الرياض، الطبعة: ١٤٢٦ هـ-٢٠١٠ .

١٠-الالحاد اسباب هذه الظاهرة وطرق علاجها، عبد الرحمن عبد الخالق ، الكويت، ١٤٠٣هـ-١٩٨٣.

فصلية مُحَكَمة تُعنى بالبحوث والدراسات العلمية والإنسانية والفكرية
العدد (٣) السنة الثانية ذو القعدة ١٤٤٣ هـ حزيران ٢٠٢٢ م
الذكر البيض

الألفاظ المُعبِّرة عن الصلاةِ في التعبير القرآني
دراسة إحصائية دلالية

م. م. كاظم محمد عبد الحسن
المديرية العامة للتربية في محافظة بغداد
الرصافة / الثالثة

الملخص:
تناول البحث دراسة الألفاظ القرآنيَّة (دراسة إحصائيَّة دلاليَّة)، وذلك من خلال جمع الآيات التي ورد فيها لفظ الصلاة وما بمعناها. وانصبَّ البحث؛ للوقوف على معاني الألفاظ التي وردت بديلاً من لفظ الصلاة، مُبيّناً أثرَ السياق القرآنيِّ في تغيُّر دلالة تلك الألفاظ.

وقد وردت بعض الألفاظ والكلمات التي عبَّر بها القرآن عن الصلاة التي كان لها الأثر الواضح في تبدُّل دلالة تلك الألفاظ ومعانيها. وقد أوضحت الدراسة أثر السياق في تغيُّر دلالة تلك الألفاظ المُعبِّرة عن الصلاة في التنزيل الحكيم، إذ تغيَّرت دلالتها في السياق القرآني، ضمن التعبير القرآنيِّ لتلك الألفاظ، وقد نوَّهت بهذا التغيُّر لمعانيها من خلال بيان دلالة تلك الألفاظ التي وردت فيها ألفاظ الصلاة.

Abstract

The research dealt with the study of Quranic words (a statistical semantic study)، by collecting the verses in which the word prayer and its meaning is mentioned. The search was focused on; To find out the meanings of the words that came as an alternative to the word prayer، indicating the impact of the Qur'anic context on changing the significance of those words.

Some of the words and words that the Qur'an expresses about prayer، which had a clear impact on changing the significance of those words and their meanings، were received. The study clarified the effect of the context on changing the significance of those words expressing prayer in the wise revelation، as their significance changed in the Quranic context، within the Quranic expression of those words.

المقدمة:

تُعَدُّ الصلاة ركناً مُهماً من أركان الإسلام، وهي ركنُهُ الثاني بعد الشهادتين، وتُمثلُ اللفظ العقديَّ المحوريَّ الذي يُحيط به عدَّة مُصطلحاتٍ، ولعلَّ منها الركوع والسجود والقراءة وغيرها من الألفاظ التي عبَّر عنها القرآن بديلاً عن الصلاة، وكان للصلاة وشأنها من التعظيم في القرآن الكريم، ومن عظيم فضلها أنَّها ذُكِرَت في أكثر من مئة موضع، إضافةً إلى ذكرها بغير لفظها في أكثر من عشر آياتٍ. وتحدَّث القرآن الكريم عنها بكلام شاملٍ ووافٍ، مُبيِّناً مقاصدها وآثارها على النفس ومنزلتها ومكانتها في كتابه العزيز، وذاكراً أنواعها.

وتُعَدُّ هذه الشعيرة العظيمة أولَ ما يُسألُ عنه العبد ويحاسَبُ عليه، وقد فرض الله تعالى هذه الشعيرة وأوجبها على جميع الأنبياء والرسل، وأمرهم بها والدعوة إلى إقامتها، وكان الحديث في هذا البحث مُقتصراً على ألفاظ الصلاة ومعانيها في التعبير القرآنيِّ؛ إذ يُمثِّلُ الأمر الجليل في كتاب الله المُنزَّل على نبينا (صلى الله عليه وآله وسلَّم)؛ واختصاراً للبحث جاء بهذا الشكل، وقد كان عملي في هذا البحث جمع وحصر الآيات الوارد فيها ألفاظ الصلاة وبيان دلالتها.

ومن الجدير بالذكر أنَّ الألفاظ الشرعيَّة التي جاء بها الإسلام وردت بمدلولاتٍ جديدةٍ لبعض الألفاظ وألفاظٍ أخرى بمدلولاتٍ أخرى، وبهذا الصنيع فقد أُبطِلَت ألفاظ ونُقِلَت أخرى، ووُضِعَت ألفاظ ومعانٍ مكانها.

دلالة الصلاة في التنزيل الحكيم :

إنَّ لفظ الصلاة الوارد في القرآن الكريم في أكثر من مئة موضع لم يُطلق على الصلوات الخمس التي فرضها الله تعالى على المسلمين فقط؛ بل أُطلِق عليها وعلى

غيرها، وهذا من معجزات القرآن الكريم، إذ لا يُتصوَر ذلك من كلام البشر؛ فتكون للكلمة الواحدة أكثر من وجه واحدٍ، فقد ورد لفظ الصلاة في القرآن الكريم على تسعة عشر وجهًا، نورد بعضها على النحو الآتي:

١-بمعنى الدعاء(١): ومنه قوله تعالى: ((خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ)) [التوبة ١٠٣]. فقوله تعالى (وَصَلِّ عَلَيْهِمْ) أي ادعو لهم(٢) .

٢-بمعنى الإسلام(٣):والشاهد على ذلك قوله تعالى: ((فَلَا صَدَّقَ وَلَا صَلَّى} [القيامة: ٣١]، فمعنى قوله تعالى: (وَلَا صَلَّى) أي لم يؤمن ولم يُسلِم(٤)، وفي هذا دلالة على التلازم بين الصلاة والإسلام.

٣-بمعنى الاستغفار(٥): ونجدُ ذلك ظاهرًا في قوله تعالى: ((وَيَتَّخِذُ مَا يُنْفِقُ قُرُبَاتٍ عِنْدَ اللَّهِ وَصَلَوَاتِ الرَّسُولِ)) [التوبة: ٩٩]. وقوله تعالى: (وَصَلَوَاتِ الرَّسُولِ) يعني استغفار الرسول(٦).

٤-بمعنى الدين(٧): ومنه قوله تعالى: ((قَالُوا يَا شُعَيْبُ أَصَلَاتُكَ تَأْمُرُكَ أَنْ نَتْرُكَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا))[هود: ٨٧]، أي: «دينك الذي تدين به وأمرت باتباعه لأن أصل الصلاة الاتباع» (٨) .

٥-بمعنى الرحمة(٩): ويظهر ذلك جليًا في قوله تعالى ((أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ)) [البقرة: ١٥٧]، فمعنى « صلوات « أي: رحمة؛ لأنَّها من الله جلَّ جلالُه، ووردت بصيغة الجمع أي: «رحمة بعد رحمة... وقالوا الصلاة: في اللغة المشتركة بين الدعاء والتعظيم والرحمة والبركة ومنه – اللهمَّ صلِّ على آل أبي أوفى – أي بارك عليهم وارحمهم»(١٠).

٦-بمعنى العبادة(١١): ويُستدل على هذا المعنى من قوله تعالى: ((وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِنْدَ الْبَيْتِ إِلَّا مُكَاءً وَتَصْدِيَةً فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ)) [الأنفال: ٣٥].

وذكر السيوطي في تفسيره الآية مرض النظر، بقوله: «أي جعلوا ذلك موضع صلاتهم التي أُمروا بها»(١٢).

٧-بمعنى صلاة الجمعة(١٣): ويشهد على ذلك قوله تعالى: ((يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ)) [الجمعة: ٩]. فظاهر الآية الكريمة إنَّ المقصود بالصلاة هنا هي صلاة الجمعة.

الألفاظ المستعملة في التنزيل الحكيم بمعنى الصلاة:

المُتمعِّن في القرآن يجدُ مجموعةً من الألفاظ قد قامت مقام الصلاة، لتدلَّ على هذه الفريضة بأنواعها، وسأذكرُ ما تحقَّق لي من هذه الألفاظ من خلال التمعُّن في الآيات الكريمة الواردة بخصوص لفظ الصلاة، وتدبُّر معاني تلك الآيات الكريمة، وسأحاولُ تقسيم تلك الألفاظ إلى ثلاثة أقسام، هي: أقوال الصلاة، وأفعال الصلاة، وقسمٌ آخر يحملُ عنوان (ألفاظ أخرى)، وهذا التقسيم ناشئٌ من تعريف الفقهاء بقولهم : « هي أقوال وأفعال مُفتتِحة بالتكبير، مُختتمة بالتسليم».

والألفاظ التي عبَّر بها القرآن الكريم عن الصلاة هي: (الإيمان، الاستغفار، الذكر، الحسنات، الركوع، السجود، القراءة، القنوت، القيام، التسبيح، الحمد، الدعاء). وغيرها من الألفاظ ولكن سيقتصرُ الحديث على هذه الألفاظ؛ لكونها ذُكِرَتْ بكثرةٍ في التنزيل الحكيم.

أولاً: أفعال الصلاة وتمثلها الألفاظ الآتية:

أ-(ر ك ع): الراء والكاف والعين أصلٌ واحدٌ يدلُّ على انحناءٍ في الإنسان وغيره، يُقالُ: ركع الرجل إذا انحنى(١٤). والركوع هو

هيئة من هيئات الصلاة، الهيئة الثانية للصلاة، فالركوع هو الانحناء وبابه خضع، ومنه ركوع الصلاة، وركع الشيخ انحنى من الكبر (١٥) .

وقد ذكر الركوع في ثلاث عشرة مرَّة في الذكر الحكيم، وجاء بمعنى الخضوع والتواضع والخضوع، بين يدي الله، وأُطْلِقَ الركوع في القرآن وأُرِيْدَ به معنى الصلاة (١٦) . والآيات التي ورد فيها الركوع بمعنى الصلاة هي قوله تعالى: «السائحون الراكعون» [التوبة:١١٢]، أي المُصلِّين، وبالمعنى نفسه ورد الركوع بمعنى الصلاة في قوله تعالى: «تراهم رُكَّعاً سُجَّداً»، أي مصلين (١٧).

ويبدو أنَّ تسمية الصلاة بالركوع؛ كونه فعلاً لازماً من أفعال الصلاة، والركوع مصطلحٌ إسلاميٌّ وبمعناه اللغويِّ شديد الإيحاء بالمعنى الإسلاميِّ، وقد سُمِّيَتْ أجزاء الصلاة بالركعات، فقيل: صلاة الصبح ركعتان، وصلاة الظهر أربع ركعاتٍ .. وهكذا. والركوع هو الحدُّ الفاصل بين كلِّ قيامين أو وقفتين في الصلاة (١٨).

وعلى هذا يكون الركوع قد تطوَّر معناه من الانحناء الماديِّ أي الخضوع والانكسار ثمَّ تطوَّر إلى معنى القيام بهيئة الصلاة وهو المعنى الشائع الذي خصَّص القرآن الكريم دلالته بعد أن كانت عامَّة في معنى الخشوع والانكسار أمام ظروف الحياة المُختلفة (١٩) .

ب- (س ج د): السجود مصدر سجد، السين والجيم والدال أصلٌ واحدٌ مُطَّرِدٌ يدلُّ على تطأمن وذلٍّ، يُقال: سجد إذا تطأمن وكلُّ ما ذلَّ فقد سجد (٢٠)، والسجود لله تعالى في الشرع عبارةٌ عن هيئةٍ مخصوصةٍ، والمسجِد بكسر الجيم بيت الصلاة، والمسجَد بفتح الجيم موضع السجود والجمع مساجد (٢١) .

.والسجود هو الخضوع الكامل لله تعالى، وهو الهيئة الثالثة من هيئات الصلاة ويأتي بعد القيام والركوع، وقد ورد لفظ السجود وما اشْتُقَّ منه في أربعٍ وستين مرَّةً في القرآن الكريم، وعبَّر عنها للصلاة بلفظ السجود، ويُستدَلُّ بذلك بقوله تعالى: « ... والعاكفين والرُّكَّع السُّجُود « [البقرة:١٢٥].

وقوله تعالى: «فإذا سجدوا فليكونوا من ورائكم» [النساء:١٠٢]، فقد بيَّن الله تعالى في الآية الكريمة طبيعة صلاة الخوف وهيئتها، فقد جاء بلفظ السجود وقصد به الصلاة كلها، فخرج بلفظ السجود من معناه إلى معنىً أعمّ وأشمل وهو الصلاة، وقد ساغ هذا الأمر من جهة أنَّ السجود جزءٌ من الصلاة، ويشيع في اللغة أن يستعمل الجزء ويُرادُ به الكل (٢٢) .

وبالمعنى نفسه ورد السجود بمعنى الصلاة في قوله تعالى: « يتلون آيات الله آناء ... وهم يسجدون» [آل عمران:١١٣]، ونظير ذلك قوله تعالى: « وتقلبك في الساجدين» [الشعراء: ٢١٩] أي المصلين، وفي ذلك إشارة إلى صلاة الجماعة، والسجود يُعَدُّ أولَ تحيةٍ تلقَّاها البشر عند خلق العالم.

وتختلف هيئة سجود الصلاة باختلاف الأديان، وقد يبدو أنَّ السجود والركوع مُترادفان، غير أنَّ السجود يزيد على الركوع في درجة الانحناء حتَّى يصلَ إلى الأرض؛ ولذلك قالوا سجد البعير إذا برك (٢٣).

وقد خصَّص القرآن الكريم السجود بالمعنى الحقيقيِّ، وهو السجود لله تعالى بعد أن كان عاماً بمعنى التحية المُتضمِّنة مشاعر الطاعة والولاء والسجود للأحبار، وبهذا يصبح السجود من المصطلحات التي صنعها القرآن الكريم وخصَّص معناها بعد أن كان عاماً، وإذا ذُكِرَ السجود اليوم فهو سجود الصلاة (٢٤) .

ت-(ق و م): القيام نقيضُ الجلوس، قام يقوم قوماً وقياماً وقَوْمَة، والقومة للمرَّة الواحدة إذا انتصب(٢٥). وقام بالأمر يقوم به قياماً فهو قوَّام وقائم، (٢٦). والقيام هو الهيئة الأولى من هيئات الصلاة، وهو بمعنى النهوض، فالذي يعملُ عملاً فلزاماً له أن ينهض.

ويُحدِّدُ السياق معانيَ مُتعدِّدة للفظ القيام، ومنها ما جاء بمعنى الصلاة، في قوله تعالى: « وقوموا لله قانتين» (البقرة: ٢٣٨)، أي صلُّوا لله قائمين (٢٧) ، فالآية بصدد الأمر بالقيام في الصلاة بخضوع وخشوع، فالقيام هو الوقوف ويُعَدُّ ركناً مُهماً من أركان الصلاة، فلا يجوز أن يُترَكَ إلا لعذرٍ.

وجاء القيام بمعنى الصلاة، ويشهد على ذلك قوله تعالى: « والذين يبيتون لربهم سُجَّداً وقياماً» (الفرقان: ٦٤). وبالمعنى نفسه ورد في قوله تعالى: « إنَّ ربَّك يعلم أنَّك تقومُ أدنى من ثلثي الليل نصفه» (المزمل: ٢٠) يعني أنَّك تصلي، وأكثر المعاني وروداً للقيام هو بمعنى الصلاة في الليل، أو ما يُعرَفُ بقيام الليل.

وإنَّ كلمة القيام جُعِلَت في الاصطلاح اللغويِّ منذ صدر الإسلام مُرداً بها الصلاة حيثما أُدِّيَت، والجذر اللغويُّ والفقهيُّ لهذا الحرف يرجع إلى الصلاة حين شُرِّعَتْ ودُعِيَ المؤمنون لأدائها، سواءٌ كانت قياماً محضاً، فيكون القيام فيها أطول ركنٍ من أركانها (٢٨) .

ثانياً: أقوال الصلاة، وتمثلها الألفاظ الآتية:

أ.(د ع و): دعوتُ اللهَ أدعوه دعاءً ابتهلت إليه بالسؤال، ودعا المُؤذِّنُ الناسَ إلى الصلاة فهو داعي الله، والجمع دعاةٌ داعون(٢٩)، والدعاءُ هو النداء، وقد يُستعمَلُ كلٌّ منهما في موضع الآخر، ومادَّة (د ع و) كثر استعمالها في القرآن الكريم، ويختلف الدعاء عن السؤال في أنَّ الأخير بمنزلة الغاية للأول (٣٠) .

ومن أشهر معاني الصلاة هو الدعاء، وقد ورد في التنزيل الحكيم بهذا المعنى، ويشهدُ على ذلك قوله تعالى: « ولا تطرد الذين يدعون ربَّهم في الغداة والعشيِّ يُريدون وجهه .. « (الأنعام: ٥٢)، فقد ورد عن ابن عباس في معنى الآية الكريمة «يدعون ربَّهم» أي الصلاة المكتوبة، وقيل: هي الصلوات الخمس. وبالمعنى نفسه وردت في قوله تعالى: «واصبرْ نفسَك مع الذين يدعون ربَّهم في الغداة والعشيِّ يُريدون وجهَهُ» [الكهف:٢٨]، فالآيةُ واضحةُ الدلالة على أنَّ المُراد هنا هو صلاة الصبح والعصر، ومن الجدير بالذكر أنَّ المعنى الأصليَّ للصلاة هو الدعاء.

ب.(س ب ح) التسبيح مصدرُ سبح، كلمة تدلُّ على معنيين، أحدهما جنسٌ من العبادة، والآخر جنسٌ من السعي، فالأولُ السبحة وهي الصلاة ويختصُّ بذلك ما كان نفلاً غير فرضٍ، ومنه قول الفقهاء: «يجمع المسافر الصلاتين ولا يسبح بينهما» أي لا ينفل بينهما بصلاةٍ (٣١) .

ويكون التسبيح بمعنى الذكر في الصلاة وهو يسبح أي يُصلِّي، السبحة فريضة كانت أو نافلة، ويسبح على راحلته، أي يصلي النافلة، ومنه : «فلولا أنَّه كان من المُسبِّحين» أي من المُصلِّين، وسُمِّيَت الصلاة ذكراً؛ لاشتمالها عليه، ومنه قوله تعالى: « فسبحان الله حسن تُمسون وحين تُصبحون» [الروم:١٧].

فجاءت الآية مُعبِّرَةً عن الصلوات الخمس، فعبَّر هنا القرآن الكريم عن الصلاة بلفظ التسبيح، فقوله: (حين تمسون) أي صلاة المغرب، وحين تصبحون صلاة الصبح (٣٢)، وفي الآية إشارة إلى أنَّ هذا التسبيح لله في الصلاة فعلينا أن نحمدَ اللهَ حمداً يُوازي

نعماءَهُ وهدايتَهُ، فالمرادُ بالتسبيح في الآية الكريمة ما يعمُّ الصلاة والتنزيه لله عن صفات النقص(٣٣). ويُطلَقُ على الصلاة تسبيحاً؛ بعدِّ التسبيح تعظيماً وتنزيهاً لله من كلِّ سوءٍ، وورد التسبيحُ بمعنى الصلاة، ويُستدَلُّ على ذلك بقوله تعالى: « يُسبِّحِنَ بالعشيِّ والإشراق» [الأنبياء: ٧٩]. فـ(يسبحن) أي يصلين، و(بالعشي) وقت صلاة العشاء، و (الإشراق) وقت صلاة الضحى(٣٤).

ت.(ق ن ت) القنوت مصدرٌ من باب قعد، ويُطلَقُ على القيام للصلاة، كقولهم: أفضلُ الصلاة طولُ القنوت، ويُسمَّى السكوت في الصلاة قنوتاً(٣٥). والقنوت هو الطاعة لقوله تعالى: «والقانتين والقانتات» (٣٦) وقنتت المرأةُ لزوجها مبالغة في الطاعة (٣٧)، وقد ورد ذكر القنوت وما اشْتُقَّ منه في ثلاثة عشر موضعاً من القرآن الكريم، وعبَّر القرآن عن الصلاة بلفظ القنوت، ويشهدُ على ذلك قوله تعالى: «أم من هو قانتٌ آناء الليل ساجداً وقائماً» [الزمر:٩].

ذكر ابن قتيبة في بيانه للآية الكريمة (قانت) أي مصلٍّ، والأصلُ في القنوت هو الطاعة (٣٨)، وحكمةُ إطلاق لفظ القنوت على الصلاة هو لغرض التأكيد على وجوب الخشوع في حالي القيام والسجود، والقنوت من أفضل مقامات العبوديَّة، وله مراتبُ كثيرةٌ شدَّةً وضعفاً.

وقد وردت مادَّة (قنت) في القرآن الكريم بهيئاتٍ مُختلفةٍ مُنتسبةٍ إلى الرجال مرَّةً، وإلى النساء ثانيةً، وإلى مخلوقاته وموجوداته ثالثةً، وكلُّها مقرونةٌ بالمدح والتمجيد (٣٩)، ومن ذلك قولُهُ تعالى : «كلٌّ له قانتون» [البقرة:١١٦].

ويعدُّ بعض اللغويين أنَّ القنوت والتضرُّع واحداً، وقد فرَّق بعضهم بينهما، فالقنوت هو الطاعة والاستقامة، أما التضرُّع فهو التذلُّل في وقت الشدَّة (٤٠) . والقنوتُ من المُصطلحات التي صنعها القرآن وخصَّصها في معنىً مُحدَّدٍ وهو انقيادُ العبد لأوامر ربِّهِ وخضوعه له، والإحساس بتمام عبوديته أمام عظمة خالقه، والقنوت بهذا المعنى العام ليس مقصوراً على الإنسان فقط، بل هو صفةُ كلِّ مخلوقٍ لله (٤١) .

ثالثاً: ألفاظ تحمل دلالاتٍ مُختلفة، وتُمثِّلُها الألفاظ الآتية:

أ-(أ م ن): الإيمان هو التصديق، والله هو المؤمن؛ لأنَّه آمن عباده من أن يظلمهم، والأمن ضدُّ الخوف(٤٢)، والأمن الطمأنينة وزوال الخوف وسكون النفس، والأمن والأمان والأمانة تستعمل مصدراً واسماً، ويفرق بينهما بالقرائن (٤٣) .

وقد وردت هذه المادة وجميع مشتقاتها في مواضع كثيرة من القرآن الكريم؛ ممَّا يكشف عن أهميَّة الإيمان وأنَّه الأصل في الكمالات الإنسانية مطلقاً، وقد عبَّر القرآن الكريم بلفظ الإيمان بديلاً عن الصلاة(٤٤)، ويظهر ذلك في قوله تعالى : «وما كان الله ليضيع إيمانكم» [البقرة: ١٤٢] .

ويشتمل الإيمان على صفاتٍ عدَّةٍ تكون في المؤمن ولعلَّ أبرزها إقامة الصلاة، ولم يفرق اللغويون بين الإيمان والتصديق وجعلوهما مُترادفين ترادفاً تاماً غير أنَّ الإيمان أخصُّ من التصديق؛ لأنَّ الإيمان يُستعمَلُ على نحوٍ مخصوصٍ على عكس التصديق، وإنَّه يتضمَّن مع التصديق الموافقة والانقياد(٤٥). والإيمان من لوازم الصلاة والإسلام.

ب-(ح س ن) تكرَّرت هذه اللفظة مرَّاتٍ عديدة في القرآن الكريم، وقد أطلق القرآن الكريم لفظ الحسنات على الصلاة (الصلوات الخمس)(٤٦)، وقد ورد ذلك المعنى في قوله تعالى : «إنَّ الحسنات يذهب

السيِّئات» [هود:١١٤]، ويبدو أنَّ إطلاق لفظ الحسنات على الصلاة والصلوات الخمس؛ لأنَّها أفضلُ وأعظمُ العبادات والأعمال الصالحة، فالحسنة «يُعبَّرُ بها عن كلِّ ما يسرُّ من نعمةٍ تنال الإنسان في نفسه وبدنه وأحواله»(٤٧).

والحسنة: ما يحسن عند صاحبه من الصحَّة والغنى والرخاء والخصب ونحوها، سواءٌ كانت ماديَّةً ظاهريَّةً أو باطنيَّةً تقابلها السيِّئة، وهي: ما يصيبُ الإنسان من مكروهٍ وسوءٍ، نحو: المرض والفقر والجدب (٤٨). قال تعالى: «ما أصابك من حسنةٍ فمن الله وما أصابك من سيِّئةٍ فمن نفسك .. « (النساء: ٧٩).

ث.(ح م د): الحمد ضدُّ الذم، والتحميد أبلغ من الحمد، والحمدُ أعمُّ من الشكر(٤٩). فقد أطلق لفظ الحمد على الصلاة، ويستدلُّ على ذلك بقوله تعالى: « وله الحمدُ في السموات والأرض وعشياً وحين تظهرون» [الروم: ١٨]، إذ فسَّرها ابن عباس حين سُئلَ بالصلوات الخمس، قائلاً: الصلوات الخمس في القرآن، قيل له أين؟ فقال: حين تمسون صلاة المغرب والعشاء، وحين تُصبحون صلاة الفجر، وعشياً صلاة العصر، وحين تُظهرون صلاة الظهر. ولعلَّ تخصيص هذه الصلوات للعبادة إشارة إلى ما يجبُ عمله في تحصيل المعاش وجلب الرزق، فالإسلام دينُ الجد والعمل لا دين الرهبانية والكسل(٥٠).

ويُفرَّقُ بين الحمد والمدح، فالحمدُ الثناءُ باللسان على الجميل الاختياريِّ، والمدح: الثناء باللسان على الجميل ولو لم يكن اختيارياً نحو قولك: مدحت اللؤلؤة على صفائها والنجوم اللامعة على جلائها وبهائها، فيكون الفرق بينهما بالعموم والخصوص (٥١).

ج.(ق ر أ): قرأ الكتاب قراءةً وقُرآناً بالضم، وقرأ الشيء قُراناً بالضم، أيضاً جمعه وضمَّه، ومنه سُمِّيَ القرآن؛ لأنَّه يجمع السور ويضمُّها، ومنه قوله تعالى: « إنَّ علينا جمعه وقرآنه» أي قراءته(٥٢).

والقارئ المُتنسِّك، والقرآن: كلام الله، والقرآن يأتي بمعنى الجمع، وسُمِّيَ كتاب الله به؛ لأنَّه جمع فيه المعارف والأحكام والعلوم(٥٣). وقد ورد هذا اللفظ في الذكر الحكيم في ما يزيدُ على خمسين مورداً من آياته، وكلها مقرونة بالتجليل والتعظيم. وعبَّر القرآن الكريم عن الصلاة بلفظ القرآن(٥٤)، ويشهدُ على ذلك قوله تعالى: « وقرآن الفجر إنَّ قرآن الفجر كان مشهوداً» [الإسراء:٧٨].

ويُؤيِّدُ ذلك السيوطيُّ في تفسيره (تفسير الجلالين) في تفسير الآية (وقرآن الفجر) أي صلاة الصبح (٥٥) ، وبالمعنى نفسه فسَّرها الحُجَّة القاسم بن الحسن في (بيان شرح غريب القرآن)، إذ قال: (قرآن الفجر) هو صلاة الصبح، وتشهدها ملائكة الليل وملائكة النهار (٥٦) .

ويعدُّ بعض اللغويّين أنَّ القراءة والتلاوة مُترادفان، إلا أنَّ بعضهم يُفرِّقُ بينهما، فالقراءةُ أعمُّ من التلاوة؛ لأنَّ التلاوة فيها ملمحٌ دلاليٌّ زائدٌ هو ملمحُ الإتباع، فالتلاوة قراءة على نحوٍ مخصوصٍ، وقد راعى الاستعمال القرآني هذا الفارق الدلالي بين القراءة والتلاوة؛ لأنَّ للقراءة معنىً عاماً هو مجرد التلفُّظ بكلام مجموع بعضه إلى بعضٍ، أمَّا التلاوة فلها معنىً خاصٌّ، إذ هي قراءة وإتباع معاً (٥٧).

ح.(ذ ك ر): الذكر والذكرى ضدُّ النسيان، والذكر الصيت والثناء، وذكره بعد نسيانٍ (٥٨)، والذكر في اللغة هو الحفظ للشيءِ وعدم نسيانه، وبه وُصِفَ كتاب الله؛ لكونه محفوظاً، وقد ورد الذكر في التنزيل الحكيم مائتين وخمس وثمانين مرَّةً وبعدَّة

معانٍ، وقد سُمِّيَت به الصلاة، ويشهدُ على ذلك قوله تعالى: « فإذا أمنتم فاذكروا الله» [البقرة: ٢٣٩]، والمعنى صلُّوا لله الصلوات الخمس.

وقد يخصُّ به صلاةً مُعيَّنةً، كما ورد في قوله تعالى: «... فاسعوا إلى ذكر الله» [الجمعة:٩]، ففي هذه الآية خُصِّصَ لفظ الصلاة (ذكر الله) فكان المراد (من ذكر الله) هو صلاة الجمعة (٥٩). وجاء (الذكر) بمعنى الصلوات الخمس في قوله تعالى: «رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله» [النور: ٣٧]، وقُصِدَ بـ(الذكر) صلاة العصر (٦٠) .

كما جاء في قوله تعالى على لسان النبيِّ سليمان (عليه الصلاة والسلام): «إني أحببت حبَّ الخير عن ذكر ربِّي» [ص: ٣٢]، وجاء الذكر بمعنى (القرآن) و (صفة القرآن) وبمعنى (الشرف والرفعة)، ومن هذا كله يمكننا القول إنَّ كلمة (الذكر) أصبحت من قبيل المشترك اللفظي الذي تُؤدِّي فيه الكلمة الواحدة عدَّة معانٍ، بيدَ أنَّ القرآن جعل (الذكر) من ضمن المعاني التي خصَّصها بعد أن كان الذكر عاماً يُقصَدُ به الذكر لأي شيءٍ وفي أيِّ حالٍ(٦١).

نتائج البحث:

بعد اكتمال البحث توصَّل الباحث إلى نتائج عدَّةٍ، كان أبرزها الآتي:

١-ورد لفظ الصلاة وما اشتُقَّ منه في أكثر من مئة موضعٍ، كان أغلبها في السور المدنيَّة.

٢-لم يقتصر التعبير القرآنيُّ إطلاقه لفظ الصلاة على الصلوات الخمس فقط، بل أطلقه عليها وعلى غيرها من الألفاظ.

٣-عبَّر القرآن الكريم عن الصلاة بألفاظٍ أخرى، ولم يقتصر على لفظ الصلاة فقط، ومن تلك الألفاظ الذكر والقيام والركوع والسجود والقنوت والحسنات وغيرها من الألفاظ.

٤-كشف البحث عن ألفاظ ومعاني الصلاة عن طريق متابعتها دلالياً في أغلب سياقاتها المُتعدِّدة.

٥-توصَّل البحث بوجود صلةٍ وثيقةٍ بين الصلاة والإيمان والإسلام والدعاء، بل تعدُّ تلك الألفاظ من لوازم الصلاة ولا تنفكُّ عنها.

٦-تبيَّنت معاني الألفاظ القرآنيَّة ودلالاتها المُختلفة من خلال السياق، فقد تغيَّرت دلالتها من خلال مجيئها في سياقاتٍ مختلفةٍ، إذ كانت لكل لفظة من ألفاظها دلالتها الخاصَّة بها، وهذا من أسرار وأعجاز القرآن الكريم.

الهوامش:

(١)ينظر وجوه القرآن الكريم: ١٩٥
(٢)ينظر: تفسير الجلالين: ٢٠٣
(٣)ينظر وجوه القرآن الكريم: ١٩٦
(٤)ينظر: التحرير والتنوير: ٢٩/ ٣٤٩
(٥)ينظر: منتخب قرة العيون والنواظر: ١٦١
(٦)الوجوه والنظائر: ٢٩٨
(٧)ينظر: منتخب قرة العيون والنواظر: ١٥٩
(٨)النكت والعيون: ٢/ ٤٩٦
(٩)ينظر وجوه القرآن الكريم: ١٩٦
(١٠)التحقق في كلمات القرآن: ٩/ ٣٢٩
(١١)ينظر وجوه القرآن الكريم: ١٩٥
(١٢)تفسير الجلالين: ١٨١
(١٣)ينظر: الأعين النواظر: ٣٩٤
(١٤)لسان العرب، مادة ركع.
(١٥)مختار الصحاح مادة ركع.
(١٦)إصلاح الوجوه والنظائر: ٣٤١.
(١٧)الأنباء بما في كلمات القرآن من أضواء .
(١٨)التطور الدلالي، ص١٩٠.
(١٩)التطور الدلالي، ص١٩٢.
(٢٠)المقاييس مادة (س ج د).
(٢١)المصباح المنير، مادة (س ج د).
(٢٢)النظير ودوره في القراءات القرآنية، ٢٠١.
(٢٣التطور الدلالي، ١٩٢.
(٢٤)المصدر نفسه، ١٩٤.
(٢٥)لسان العرب، مادة قوم.
(٢٦)المصباح المنير، مادة (قوم).
(٢٧)الوجوه والنظائر، ص٣٧٩.
(٢٨)رمضانيات شهر رمضان، ص١٤.
(٢٩)المصباح المنير، مادة (د ع و).
(٣٠)المواهب، ١٨٤.

(٣١)مقاييس اللغة، مادة (سبح).
(٣٢) التفسير الواضح، ج٢٨، ١٨.
(٣٣)المصدر نفسه، ١٩.
(٣٤)تفسير الجلالين، ٤٥٥.
(٣٥) المصباح المنير ، مادة (قنت).
(٣٦ مختار الصحاح، مادة (قنت).
(٣٧)المعجم الوسيط، مادة (قنت).
(٣٨)تفسير غريب القرآن، ٢٨٢.
(٣٩)المواهب، ١٤٤.
(٤٠)معجم الفروق الدلالية، ٢٢٧.
(٤١)التطور الدلالي، ٢١١.
(٤٢مختار الصحاح، مادة (أمن).
(٤٣)المواهب، ٣٧.
(٤٤)كشف السرائر، ١٠٥.
(٤٥)معجم الفروق الدلالية، ٨٧.
(٤٦)كشف السرائر، ١٠٥
(٤٧)المفردات، ٢٣٥.
(٤٨)المواهب، ١١٩.
(٤٩)مختار الصحاح، مادة (حمد).
(٥٠)التفسير الواضح، ج٢٨، ١٩.
(٥١)المواهب، ١٤٣.
(٥٢)مختار الصحاح، مادة (قرأ).
(٥٣)المواهب، ج٢، ١٢٨.
(٥٤)كشف السرائر، ١٠٥.
(٥٥)تفسير الجلالين، ٢٩٠.
(٥٦)البيان في شرح غريب القرآن، ٣٥.
(٥٧)معجم الفروق الدلالية، ١٥٩.
(٥٨)مختار الصحاح، مادة (ذكر).
(٥٩)تفسير القرآن بالقرآن، ٩٦.
(٦٠)الوجوه والنظائر، ١٢١.
(٦١)التطور الدلالي، ٢٠٤.

المصادر والمراجع

١- الانباء بما في كلمات القرآن من اضواء مطبعة الآداب – النجف- حي عدن ١٩٨٥م
٢- البيان في شرح غريب القرآن للحجة القاسم بن الحسن محيي الدين ، مطبعة النجف ١٣٧٦ه- ١٩٥٦م
٣-تحصيل نظائر القرآن الحكيم الترمدي تحقيق وضبط حسن النصر زيدان ، الطبعة الأولى ١٣٨٩ه- ١٩٦٩م
٤- التحقيق في كلمات القرآن الكريم ، حسن المصطفوي الشيخ ، الطبعة الأولى – الناشر : مركز آثار العلامة المصطفوي
٥- التطور الدلالي بين لغة الشعر الجاهلي ولغة القرآن الكريم ، عودة خليل ابو عودة مكتبة المنار ، الأردن – الزرقاء الطبعة الأولى ١٤٠٥ه- ١٩٨٥م
٦- تفسير التحرير والتنوير الطاهر محمد بن عاشور ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر ، ١٩٨٤م
٧- تفسير القرآن بالقرآن – دراسة دلالية – احمد رسن (دكتور) ، الناشر : دار السياب (لندن) الطبعة الأولى ٢٠١٠م
٨- التفسير الواضح: الحجازي، محمد محمود الناشر: دار الجيل الجديد – بيروت
٩-التفسير الواضح: الحجازي، محمد محمود الناشر: دار الجيل الجديد – بيروت الطبعة: العاشرة – ١٤١٣ هـ
١٠- جمهرة اللغة: أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدي (ت ٣٢١هـ)، المحقق: رمزي منير بعلبكي، دار العلم للملايين – بيروت، ط١، ١٩٨٧م .
١١-رمضانيات وشهر رمضان – دار الحرية للطباعة – بغداد – جلال الحنفي الشيخ ، ١٤٠٩ه -١٩٨٩م الطبعة: العاشرة – ١٤١٣ هـ
١٢-لسان العرب: محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الإفريقى (ت٧١١هـ)، دار صادر – بيروت، ط٣، – ١٤١٤ هـ .
١٣- مختار الصحاح: محمد بن أبي بكر بن عبدالقادر الرازي (ت ٧٢١) تحقيق محمود خاطر الناشر مكتبة لبنان ناشرون١٤١٥ – ١٩٩٥ بيروت.
١٤- مختار الصحاح: محمد بن أبي بكر بن عبدالقادر الرازي (ت ٧٢١) تحقيق محمود خاطر الناشر مكتبة لبنان ناشرون١٤١٥ – ١٩٩٥ بيروت.
١٥- المصباح المنير في غريب الشرح الكبير: أحمد بن محمد بن علي الفيومي ثم الحموي، أبو العباس(ت:نحو٧٧٠هـ) المكتبة العلمية-بيروت .
١٦- معجم الفروق الدلالية في القرآن الكريم ، محمد محمد داوود ، الناشر دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع ٢٠٠٨م
١٧- المعجم الوسيط قام بإخراجه إبراهيم مصطفى وأحمد حسن الزيات وآخرون ، دار الدعوة للطباعة والنشر والتوزيع ، ١٩٨٩ م – ١٤١٠ ه .
١٨-معجم مقاييس اللغة احمد بن فارس، تحقيق عبد السلام محمد هارون ، دار الفكر للطباعة والنشر ١٩٧٩م
١٩-المواهب (معجم لألفاظ قرآنية أياد محمد علي (دكتور) ، الناشر: مركز كربلاء للبحوث والدراسات ، الطبعة الأولى ١٤٣٧ه-٢٠١٦م
٢٠-مواهب الرحمن في تفسير القرآن ، عبد الكريم محمد المدرس ، عُني بنشره محمد علي القره داغي الطبعة الثانية ١٤١٠ه – ١٩٩٠م
٢١-نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر ، جمال الدين أبي الفرج عبد الرحمن بن الجوزي ، دراسة وتحقيق محمد عبد الكريم كاظم الراضي ، مؤسسة الرسالة
٢٢- نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر: جمال الدين أبي الفرج عبد الرحمن بن الجوزي (ت ٥٩٧ هـ) تحقيق محمد عبد الكريم كاظم الراضي الناشر مؤسسة الرسالة١٤٠٤هـ – ١٩٨٤م لبنان/ بيروت.
٢٣-نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر: جمال الدين أبي الفرج عبد الرحمن بن الجوزي (ت ٥٩٧ هـ) تحقيق محمد عبد الكريم كاظم الراضي الناشر مؤسسة الرسالة١٤٠٤هـ – ١٩٨٤م لبنان/ بيروت.
٢٤-نظرية السياق –دراسة اصولية الزنكي نجم الدين قادر كريم ، دار الكتب العلمية ، بيروت – لبنان الطبعة الأولى – ٢٠٠٦م .
٢٥-النظير ودوره في توجيه القراءات القرآنية في ضوء علم اللغة الحديث ، تأليف علاء الدين مصطفى محمود البحلوز – دار البصائر – ٢٠٠٦م
٢٦- الوجوه والنظائر في القرآن الكريم ، مقاتل بن

فصلية مُحَكَمة تُعنى بالبحوث والدراسات العلمية والإنسانية والفكرية
العدد (٣) السنة الثانية ذو القعدة ١٤٤٣ هـ حزيران ٢٠٢٢ م

الذكر البيض

فصلية مُحَكَمة تُعنى بالبحوث والدراسات العلمية والإنسانية والفكرية
العدد (٣) السنة الثانية ذو القعدة ١٤٤٣ هـ حزيران ٢٠٢٢ م

الدور السياسي للأمير العباسي عجيف بن عنبسة الكلبي(192-223هـ/807-838م)

م.د. حيدر علي كاظم حسين التميمي
جامعة الإمام جعفر الصادق (عليه السلام)

الملخص :
الأمير عجيف بن عنبسة الكلبي هو أحد قادة الجيش العباسي الذين كان لهم دور كبير في خدمة الخلافة العباسية من الناحية العسكرية وذلك بسبب الانتصارات العسكرية التي كان هو السبب الأول والمباشرفيها ، فكان الانتصار في المعارك حليفة لذلك فقد تم القضاء على كل من علي بن هشام الوالي المتمرد في أذربيجان على الخلافة العباسية المتمثلة بالمأمون العباسي، كما انتصر على بلال الشاري الخارجي في الموصل ، وعلى الزط في جنوب العراق ، اضف إلى ذلك إنّه تقدّم بحملة عسكرية إلى زبطرة لقتال الروم فكان النصر حليفة ، وأخيراً تم قتله من قبل الخليفة العباسي المعتصم بالله بسبب تآمره مع العباس بن المأمون وبعض القادة القتل المعتصم بالله وجعل العباس بن المأمون خليفة بدلاً عنه ، لكن المعتصم بالله العباسي علم بذلك فقتلهم جميعاً .

Abstract
In the name of God، the Most Gracious، the Most Merciful، and prayers and peace be upon the beloved Mustafa، may God's prayers and peace be upon him، his family and companions. In the name of God، the first and the last. As for what follows، the Abbasid Caliphate in Iraq had a great impact on the Islamic world in general and Iraq in particular. That country that ruled from China in the east to Morocco in the west had a strong army under a firm leadership with enormous military capabilities. Among them is the Arab leader، Ajif bin Anbasa Al-Kalbi، who was at the beginning of the matter with Rafi' bin Al-Layth bin Nasr bin Sayyar، who revolted in the city of Samarkand in the countries beyond the river against the Abbasid authority in the countries of the Islamic East represented by Ali bin Isa bin Mahan، we have touched on this The research led to Agif joining the Abbasid army and after that، Agif became one of the leaders of the Abbasid army relied upon in eliminating the revolutions and rebellions facing the Abbasid Caliphate in general، most notably that he led the Abbasid army in eliminating the rebellion of the city of Qom in the Islamic East، and he had a great role in the victory On Bilal al-Dhabi، the external buyer in northern Iraq، and whenever Agif succeeded militarily in the tasks entrusted to him، the Abbasid Caliphate relied on him. Therefore، Agif was assigned the leadership of the Abbasid army and went to Azalius and besieged him in the fortress of Sanaz، add to that the extension of the Abbasid Caliphate's control over Azerbaijan، after the rebellion And Ali bin Hisham is the ruler of the legitimate authority represented by the Abbasid Caliphate in Baghdad. We stopped at the influential military side of Ajif in the elimination of Al-Zat in southern Iraq، and then we reviewed the end of Ajif bin Anbasa Al-Kalbi.

المقدمة:
الحمد لله ، والصلاة والسلام على الحبيب المصطفى ، صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم ، بسم الله الأول والآخر ، بسم الله القادر القاهر ، بسم الله المنتقم المعطي.
أما بعدُ ،فإن للخلافة العباسية في العراق أثر كبير على العالم الإسلامي بصورة عامة والعراق بصورة خاصة ، فتلك الدولة التي حكمت ما بين الصين شرقا حتى المغرب غربا ، كان لها جيش جرار بقيادة حازمة ذي قدرات عسكرية هائلة. ومن هؤلاء القائد العربي عجيف بن عنبسة

الكلبي الذي كان في بداية الأمر مع رافع بن الليث بن نصر بن سيار ، الذي ثار في مدينة سمرقند في بلاد ماوراء النهر ضد السلطة العباسية في بلاد المشرق الإسلامي التي يمثلها علي بن عيسى بن ماهان ،لقد تطرقنا في هذا البحث إلى انضمام عجيف إلى الجيش العباسي وبعدها اصبح عجيف من قادة الجيش العباسي المعتمد عليهم في القضاء على الثورات والتمردات التي تواجه الخلافة العباسية بصورة عامة، وأبرزها أنه قاد الجيش العباسي في القضاء على تمرد مدينة قُم في بلاد المشرق الإسلامي ، وكان له دور كبير في الانتصار على بلال الضبابي الشاري الخارجي في شمال العراق ، وكلما نجح عجيف عسكرياً في المهمات التي وكلت اليه كلما اعتمدت الخلافة العباسية عليه، لذلك أسندت لعجيف قيادة الجيش العباسي والتوجه إلى عزاليوس ومحاصرته في حصن سناذ ، أضف إلى ذلك بسط سيطرة الخلافة العباسية على أذربيجان ، بعدما تمرد واليها علي بن هشام على السلطة الشرعية المتمثلة بالخلافة العباسية في بغداد. ووقفنا عند الجانب العسكري المؤثر لعجيف في القضاء على الزط في جنوب العراق ، وبعدها استعرضنا نهاية عجيف بن عنبسة الكلبي

أولاً : سيرته

هو عجيف بن عنبسة من بني جندع بن ليث بن بكر بن عبد مناة بن كنانة الكلبي(١) انضم عجيف بن عنبسة الكلبي إلى رافع بن الليث(٢) وذلك عندما قام الاخير بالثورة ضد الخلافة العباسية في بلاد المشرق الاسلامي التي يمثلها علي بن عيسى بن ماهان الذي عرفه عنه سيئ السمعة مع الناس، وأصبح أحد قواده المشهورين ، ولكنه فارقه عام (١٩٢هـ/٨٠٧م) وانضم إلى هرثمة بن أعين قائد جيش الخليفة المأمون العباسي(١٩٨-٢١٨هـ /٨١٤-٨٣٣م) في بلاد المشرق الإسلامي(٣)

ثانياً :- دوره السياسي :-

أ . دوره السياسي في عهد الخليفة العباسي المأمون :-

من أبرز محطات حياة هذا القائد العباسي أنه عاصر خليفتين من بني العباس في بادئ الأمر، عاصر المأمون وأبلى بلاء حسناً في صنع الانتصارات العسكرية. وبعدها انتقل في خدمة أخيه الخليفة العباسي المعتصم فقد أصبح محل ثقة لدى هذا البيت العباسي ، لذلك نجد الخليفة العباسي عبدالله المأمون يرسله إلى مدينة قُم(٤) من مدن اقليم خراسان(٥) لقمع التمرد الذي حدث هناك عام (٢١٠هـ/٨٢٥م). وكان سبب ذلك أن أهل المدينة خلعوا المأمون ومنعوا الخراج ، فكان سببه أن المأمون لما سار من خراسان إلى العراق أقام بالري(٦) أياما عدة وأسقط عنهم شيئاً من خراجهم ، وكان خراجهم ألفي ألف درهم فلم يجبهم المأمون إلى ما سألوا فامتنعوا من أدائه ، لذا وجّه إليهم الخليفة العباسي المأمون قادته علي بن هشام وعجيف بن عنبسة الكلبي ، فحاربهم فظفر بهم وقتل يحي بن عمران وهدم سور المدينة وجباها على سبعة الاف ألف درهم ، وانتهى ذلك التمرد من قبل أهالي قُم في بلاد المشرق الاسلامي(٧) ، وزادت ثقة الخلافة العباسية المتمثلة بالخليفة العباسي المأمون بعجيف بن عنبسة الكلبي لذلك نجده يرسله مع قادته وهم علي بن هشام(٨) وهارون بن محمد بن أبي خالد (٩) في عام (٢١٤هـ/٨٢٩م) إلى القضاء على بلال الضبابي الشاري(١٠) الذي خرج على الخليفة العباسي المأمون بأرض الجزيرة من مدينة سنجار ، فسار الناس إليه في جمع كثيف وجعل المأمون يرسل

عدة حملات عسكرية من أجل القضاء عليه حتى أنه خرج بنفسه لقتال بلال الشاري وعندما علم الأخير بذلك هرب وتخفّى بين البراري ، الأمر الذي دفع المأمون إلى الرجوع إلى بغداد وعندما علم بلال بذلك رجع إلى التمرد وصار يجمع الجموع حوله ، حتى صار جمعاً عظيماً وبلغ ذلك المأمون فدعا بنيه العباس وهارون وجهزهما بجيش وأمرهما بالمسير إلى بلال الشاري فتوجهوا لقتال الأخير حتى صارا في مدينة الموصل. ثم رحلا من مدينة الموصل إلى مدينة بلد(١١) فنزلاها وأعطوا للناس أرزاقاً ، ثم بعدها توجهوا إلى سنجار لقتال بلال الشاري والتقى الطرفان في قرية تل أعفر، فاقتتلوا قتالاً شديداً فوقعت الهزيمة بأصحاب المأمون فانهزموا حتى وصلت فلول المنهزمين مدينة بلد ، وبلغ ذلك الأمر المأمون العباسي فانزعج الأخير واشتد غضباً ، هنا أتى الدور العسكري لعجيف بن عنبسه الكلبي ، فاستدعى المأمون العباسي كلًا من عجيف بن عنبسة الكلبي وعلي بن هشام فضم إليهم عشرة الاف رجل ووجه بهما مؤونة لابنيه العباس وهارون ، فاجتمعت العساكر في مدينة بلد ، ثم ساروا نحو بلال الشاري والتقى القوم في بريه سنجار فاقتتلوا قتالاً شديداً ووقعت الهزيمة ببلال الشاري وقتل من عسكره ثلاثة الاف فارس وانهزم الباقون مشردين في البلاد واغتنم الجيش العباسي ما كان لدى جيش بلال الشاري ثم حمل رأس بلال وأصحابه إلى الخليفة العباسي المأمون وتم القضاء عليه وعلى تمرده (١٢). وعندما كان المأمون قد قصد غزو بلاد الروم في عام (٢١٥هـ/ ٨٣٠م) فقد وجه عجيف بن عنبسة الكلبي إلى عزاليوس صاحب حصن سناذ(١٣) فأقبل عجيف إلى ذلك الحصن وضرب الحصار حوله وعندما نظر عزاليوس إلى الخيل قد أحاطت بالحصن خرج إلى عجيف بالأمان وأعلمه أنه سامع مطيع فبعث عجيف بذلك إلى المأمون وأمره الأخير بالانصراف عنهم وتم ذلك(١٤)وكلما ظفر عجيف بعدو للخلافة العباسية زادت مهامه العسكرية المكلف بها من قبل الخليفة العباسي المأمون وعلى هذا فإن المأمون العباسي قد استعمل على أذربيجان(١٥) علي بن هشام عام (٢١٤هـ/ ٨٢٩م) ليمثل سلطة الخلافة العباسية هناك ، فقام علي بن هشام بظلم الناس وأخذ الأموال وقتل الرجال ، فبلغ ذلك الخليفة العباسي المأمون وأرسل اليه عجيف بن عنبسة الكلبي فثار به علي بن هشام وأراد قتله واللحاق ببابك الخرمي (١٦) ، لكن عجيف ظفر وقدم به على المأمون فقتله وقتل أخاه حبيباً في جُمادى الأولى ، وطيف برأس علي في العراق وخراسان والشام ومصر ثم ألقي في البحر(١٧).

ب: دوره السياسي في عهد الخليفة المعتصم بالله(٢١٨-٢٢٧هـ/ ٨٣٣-٨٤١م)

١.القضاء على فتنة الزط (٢١٩هـ/ ٨٤٠م) بعد وفاة الخليفة العباسي المأمون وتولي أخيه المعتصم الخلافة العباسية (٢١٨هـ-٨٣٣م) ، كان للقائد عجيف بن عنبسة الكلبي أثر واضح في قيادة الجيش العباسي ، لما له من مهام عسكرية نجح بها ، فحدثت فتنة الزط (١٨) الذين غلبوا على طريق مدينة البصرة جنوب العراق ، فكان عجيف أحد القادة المرشحين للقضاء على تلك الفتنة من قبل الخليفة العباسي المعتصم ، فوجّه الأخير عجيف بن عنبسة الكلبي للقضاء على تلك الفتنة في جُمادى الآخرة عام (٢١٩هـ/ ٨٤٠م) فكان الزط بعدما سيطروا على طريق البصر فقطعوا الطريق واحتملوا الغلات من البيادر بكَسكَر(١٩) وما يليها من البصرة

وأخافوا السبيل. وعندما تولى عجيف ذلك الأمر قام بعدة أمور وهي ، رتب الخيل في كل سكة من سكك البريد تركض بالأخبار ، فكان الخبر يخرج من عجيف بن عنبسة فيصل إلى الخليفة العباسي المعتصم بالله من يومه وكان الذي يتولى النفقة على عجيف من قبل المعتصم محمد بن منصور كاتب إبراهيم البختري فلما وصل عُجيف إلى مدينة واسط ،نزل عسكره بقرية أسفل مدينة واسط يقال لها نجيدا ، ووجه أحد قواده هارون بن نعيم بن الوضاح(٢٠) إلى موضع يقال له الصافية في خمسة آلاف رجل ومضى عجيف في خمسة الاف إلى بردودا فأقام عليه حتى سده وسد أنهاراً أخرى كانوا يدخلون منها ويخرجون فحصرهم من كل وجه وكان من الأنهار التي سدها عجيف نهر يقال له العروس ، فلما أخذ عليهم طرقهم حاربهم وأسر منهم خمسمائة رجل وقتل منهم في المعركة ثلاثمائة رجل ، فضرب أعناق الأسرى وبعث برؤوس جميعهم إلى باب المعتصم. ثم قام عجيف بإزاء الزط خمسة عشر يوماً فظفر منهم بخلق كثير. وكان رئيس الزط يقال له محمد بن عثمان (٢١). وبعدما ظفر عجيف بن عنبسة الكلبي بالزط ، أتى بهم إلى عاصمة الخلافة العباسية بغداد وقهره إياهم حتى طلبوا منه الأمان فآمنهم فخرجوا إليه في ذي الحجة سنة تسع عشرة ومائتين ، على أنهم آمنون على دمائهم وأموالهم وكانت عدتهم فيما ذُكر سبعة وعشرين ألفاً ، من ضمنهم اثنا عشر ألف مقاتل وأحصاهم عجيف سبعة وعشرين ألف إنسان بين رجل وامرأة وصبي ، ثم جعلهم في السفن وأقبل بهم حتى نزل الزعفرانية (٢٢)، فأعطى أصحابه دينارين دينارين جائزة وأقام بها يوماً ثم عبأهم في زوارقهم على هيئتهم في الحرب معهم البوقات ، حتى دخل بهم بغداد يوم عاشوراء سنة عشرين ومائتين ، والمعتصم بالشماسية(٢٣).

في سفينة يقال لها الزو حتى مر به الزط على تعبئتهم ينفخون بالبوقات فكان أولهم بالقفص وآخرهم بحذاء الشماسية وأقاموا في سفنهم ثلاثة أيام ثم عبر بهم إلى الجانب الشرقي فدفعوا إلى بشر بن السميدع فذهب بهم إلى خانقين، ثم نقلوا إلى الثغر إلى عين زربة(٢٤) فأغارت عليهم الروم فاجتاحوهم فلم يفلت منهم أحد(٢٥) فقال شاعرهم:

يا أهل بغداد موتوا دام غيظكمُ
شوقاً إلى تمرِ برني وشهريرِ
نحن الذين ضربناكم مجاهرةً
قسراً وسقناكمُ سوق المعاجيز
لم تشكروا الله نعماهُ التي سلفت
ولم تحوطوا أياديه بتعزيز
فاستنصروا العبدَ من أبناءِ دولتكم
من يازمان ومن بلج ومن تُوز
ومن شِناسَ وأفشين ومن فرجٍ
المعلمينَ بديباجٍ وإبريز
واللابسي كيمخارِ الصين قد خرطتْ
أردانه درزُ برواز الدخاريز
والحاملين الشُّكى نِيطت علائقها
إلى مناطقِ خاص غير مخروز
يفرى ببيض من الهنديّ هامهُمُ
بنو بهِلة في أبناءِ فيروز
فوارسٌ خيلُها دُهم مودَّعةٌ
على الخراطيمِ منها والفراريز
مسخَّرات لها في الماءِ أجنِحَةٌ
كالآبنوس إذا استحضِرنَ والَّشيز
متى ترومو لنا في غَمرِ لجَّتنا
حِذراً نَصيدُكُمُ صيدَ المعافيرِ (٢٦)

٢. ذهاب عجيف بن عنبسة الكلبي الى مدينة زبطرة(٢٢٣هـ/ ٨٣٨م)

كان عجيف بن عنبسة الكلبي من القادة

المميزين بالدولة العباسية فكان هذا واضح وذلك عندما أرسله الخليفة العباسي المعتصم بالله إلى مدينة زِبَطرة (٢٧) لذلك ذهب عجيف لإعانة أهلها فوجد ملك الروم قد انصرف إلى بلاده بعد ما فعل من خراب ودمار في بلاد المسلمين فمكث لفترة حتى رجع الناس إلى قراهم واطمأنوا(٢٨) وكان سبب ذلك هو عندما كتب بابك الخرمي الى إمبراطور البيزنطيني تيوفل بن ميخائيل بن جورجيس عندما ضيقت عليه جيوش الخلافة العباسية الحصار فكتب إلى تيوفل قائلاً» إن ملك العرب المعتصم قد جهز إلى جمهور ، ولم يبق في أطراف بلاده من يحفظها فإن كنت تريد فانهض سريعاً إلى ما حولك من بلاده فخذها فإنك لا تجد أحداً يمانعك عنها «. وكان السبب من تلك الرسالة هو أن يخفف حصار جيش المعتصم بالله عليه ، فاستجاب تيوفل لتلك الرسالة وقام بحملة عسكرية على مدينة زبطرة ، وارتكب جرائم ضد الناس العزل في تلك المدينة (٢٩)، فلما ظفرِ المعتصم ببابك وقال أي بلاد الروم أمنعَ وأحصن فقيل عُمورية(٣٠) لم يعرض لها أحد من المسلمين من كان الإسلام وهي عين النصرانية وبنكها وهي أشرف عندهم من القسطنطينية(٣١) ، فتقدم الخليفة العباسي المعتصم لفتح تلك المدينة ويذكر كل من الطبري وابن الأثير ذلك بقولهم» فسار المعتصم من سُر مَن رأى وقيل كان مسيره سنة اثنتين وعشرين وقيل سنة أربع وعشرين وتجهزّ جهازاً لم يتجهّزه خليفة قبلة قطّ من السلاح والعُدد والآلة وحياض الأُدُم والروايا والقرب وغير ذلك وجعل على مقدمته أشناس(٣٢) ويتلوه محمد بن إبراهيم بن مصعب(٣٣) وعلى ميمنته إيتاخ(٣٤) وعلى مسيرته جعفر بن دينار بن عبد الله بن الخياط(٣٥) وعلى القلب عجيف بن عنبسة فلما دخل بلاد الروم نزل على نهر السن وهو على سلوقية (٣٦) قريباً من البحر بينه وبين طرطوس(٣٧) مسيرة يوم وعليه يكون الفداء إذا فُودي بين المسلمين والروم (٣٨) وتم فتح عمورية(٢٢٣هـ/ ٨٣٨م)(٣٩)

ثالثاً: محاولة اغتيال الخليفة العباسي المعتصم بالله ونهاية عجيف بن عنبسة الكلبي(٢٢٣هـ/ ٨٣٨م)

عندما توجه المعتصم الى بلاد الروم لما كان ملك الروم بزبطرة مع عمر الفرغاني(٤٠) لم يطلق يد عجيف بن عنبسة الكلبي في النفقات كما أطلق يد الأفشين(٤١) واستقصى المعتصم أمر عجيف وأفعاله وظهر ذلك لُعجيف فوبخ الاخير العباس بن المأمون بن هارون الرشيد على ما تقدم من فعله وذلك عندما بايع عمه الخليفة المعتصم بالله عند وفاة أبية عبدالله المأمون ، ودس عجيف رجلاً يقال له الحارث السمرقندي(٤٢)جعلة العباس رسوله وسفره إلى القوّاد وكان يدور في العسكر حتى استمال له جماعة من القوّاد وبايعوه وجماعة من خواص المعتصم وقال لكل من بايعه إذا أظهرنا أمرنا فليثبت كل منكم بالقائد الذي هو معه فوكل من بايعه من خواص المعتصم بقتله ومن بايعه من خاصة الأفشين بقتلة ومن بايعه من خاصّة أشناس بقتله وكذلك غيرهم فضمنوا له ذلك ، فلما دخل الدرب، وهم يريدون أنقرة وعمورية دخل الأفشين من ناحية ملَطيَة(٤٣)فأشار عجيف بن عنبسة على العباس بن المأمون أن يثب بالمعتصم في الدرب وهو في قلة من النّاس فيقتله ويرجع إلى بغداد فإن الناس يفرحون بانصرافهم إلى بغداد من الغزو فأبىَ العباس بن المأمون ذلك بقولة لا فسد ذلك الفتح ، ومن هنا تبين أن العباس بن

المأمون كان هدفه الأول إحراز الفتح وليس السلطة ، حتى دخلوا بلاد الروم وافتتحوا عمورية فقال عجيف بن عنبسة للعباس بن المأمون يا نائم قد فُتحت عمورية والرجل ممكن ، تضع قوماً ينهبون بعض الغنائم فإذا بلغه ذلك ركب في سُرعة فتأمر بقتله هناك فأبى عليه وقال ، انتظر حتى يصير إلى الدروب ، ويخلو كما كان أول مرّة وهو أمكن من ها هنا ، وكان عجيف قد أمر من ينهب المتاع ففعلوا وركب المعتصم وجاء راكضاً وسكن النّاس ولم يطلق العباس بن المأمون أحداً من أولئك الذين واعدهم وكرهوا قتله بغير أمر العبّاس (٤٤) ، يتضح من ذلك أن العباس بن المأمون كره إفشال غزو عمورية وبنفس الوقت كره قتل عمه المعتصم ، والدليل على ذلك أنه تقاعس عن إعطاء أمر بنهب الغنائم على عكس عجيف بن عنبسة صاحب فكرة قتل المعتصم وتوليه الخلافة بدلاً عنه ابن أخيه العباس بن المأمون ، وكان سبب افشال الخطة او نقل خبرها الى الخلفية المعتصم العباسي هو أن الفرغاني قد بلغه الخبر ذلك اليوم وله قرابة غلام أمرد في خاصة المعتصم فجاء إلى ولد عمر الفرغاني وشرب عندهم تلك اللّيلة فأخبرهم خبر ركوب المعتصم وأنه كان معه وأمره أن يسل سيفه ويضرب كل من لقيه فسمع عمر ذلك الغلام فأشفق عليه من ان يُصاب فقال يا بني ، اقلل من المُقام عند أمير المؤمنين والزم خيمتك وإن سمعت صيحة وشغباً فلا تبرح فإنك غلام غر ، ولا تعرف العساكر فعرف مقالة عمر(٤٥) ، وارتحل المعتصم إلى الثغور ووجه الأفشينُ ابن الأقطع وأمره أن يغير على بعض المواضع ويوافيه في الطريق فمضى وأغار وعاد إلى العسكر في بعض المنازل ومعه الغنائم فنزل بعسكر الأفشين وكان كلّ عسكر على حدةً فتوجهَ عمر الفرغانيّ وأحمد بن الخليل من عسكر أشناس إلى عسكر الأفشين ليشتريا من السبي شيئاً ، فلقيهما الأفشين فترجلّا وسلّما عليه وتوجّها إلى الغنيمة فرآهما صاحب أشناس فأعلمه بهما ، فأرسل أشناس إليهما بعض أصحابه لينظر ما يصنعان فجاء فرآهما وهما ينتظران بيع السبي ، فرجع فاخبر أشناس الخبر فقال أشناس لحاجبه ، قل لهما يلزما العسكر وهو خير لهما ، واتفقا على أن يذهبا إلى صاحب خبر العسكر فيستفياه من أشناس فأتياه وقالا نحن عبيد أمير المؤمنين فضُمنّا إلى من شاء فإن هذا الرجل يستخف بنا قد شتمنا وتوعدنا ونحن نخاف أن يقدم علينا فليضمنا أمير المؤمنين إلى من أراد (٤٦) فأنهى صاحب الخبر ذلك إلى المعتصم من يومه واتفق الرّحيل صلاة الغداة وكان إذا ارتحل الناس سارت العساكر على حيالها وسار أشناس والأفشين وجميع القوّاد في عسكر أمير المؤمنين ووكلوا خلفاءهم بالعساكر فيسرون بها وكان الأفشين على الميسرة وأشناس على الميمنة فلما ذهب أشناس إلى المعتصم قال له أحسن أدب عمرو الفرغاني وأحمد بن خليل(٤٧) فإنهما قد حمقّا أنفسهما فجاء أشناس ركضاً إلى معسكره فسأل عن عمرو وابن خليل فأصاب عمرو الفرغاني وكان ابن خليل قد مضى في المسيرة يبادر الروم فجاءوه بعمرو الفرغاني وقال هاتوا سياطاً فمكث طويلاً مجرداً ليس يؤتي بالسياط فتقدم عمه إلى أشناس فكلمه في عمرو وكان عمه أعجميا وعمرو واقف فقال احملوا فأسلوه قباء طاق فحملوه على بغل في قبة وساروا به إلى العسكر وجاء أحمد بن الخليل وهو يركُض فقال احبسوا هذا معه فأنزل عن دابته وصُير

عديلهَ ودُفعا إلى محمد بن سعيد السعدي يحفظهما فكان يضرب لهما مضرباً في فازة وحجرة ومائدة ويفرش لهما فرشاً وطية وحوضاً من ماء واثقالهما وغلمانهما في العسكر لم يحرك منها شيء فلم يزالا كذلك حتى صارا إلى جبل الصَّفصاف(٤٨)وكان أشناس على الساقة وكان بغا على ساقة عسكر المعتصم فلما صار بالصفصاف وسمع الغلام الفرغاني قرابة عمرو بحبس عمرو ذكر الغلام للمعتصم ما دار بينه وبين عمرو من الكلام في تلك الليلة مما قال له عمرو إذا رأيت شغباً فالزم خيمتك فقال المعتصم لبغا لا ترحل غداً حتى تجيء أشناس فتأخذ منه عمراً وتلحقني به وكان هذا بالصفصاف، فوقف بُغا بأعلامه ينتظر أشناس وجاء محمد بن سعيد ومعه عمرو واحمد ابن الخليل فقال بغا لأشناس : امرني أمير المؤمنين أن أوافيه بعمرو الساعة فأنزل عمرو وجعل مع أحمد بن الخليل في القبة رجل يعادله ومضى بغا بعمرو إلى المعتصم فأرسل أحمد بن الخليل غلاماً من غلمانه إلى عمرو لينظر ما يصنع به فرجع الغلام فأخبره أنه أدخل على أمير المؤمنين فمكث ساعة ثم دفع إلى إيتاخ وكان أمير المؤمنين لما دخل ساءله عن الكلام الذي قاله للغلام قرابته فأنكر وقال هذا الغلام كان سكران ولم يفهم ولم أقل شيئاً مما ذكره فأمر به فدفع إلى إيتاخ وسار المعتصم حتى صار إلى باب البدندون(٤٩)، وأقام أشناس ثلاثة أيام على البدندون ينتظر أن تتخلص عساكر أمير المؤمنين لأنه كان على الساقة فكتب أحمد بن الخليل إلى أشناس رقعة يعلمه أن لأمير المؤمنين عنده نصيحة وأشناس مقيم على البدندون فبعث إليه أشناس بأحمد بن الخصيب وأبى سعيد محمد ابن يوسف يسألانه عن النصيحة فذكر أنه لا يخبر بها إلا أمير المؤمنين فرجعا فأخبرا أشناس بذلك فقال ارجعا فاحلفا له إني حلفت بحياة أمير المؤمنين إن هو لم يخبرني بهذه النصيحة ان أضربه بالسياط حتى يموت فرجعا فأخبرا أحمد بن الخليل بذلك(٥٠)فلما سمع الاخير ذلك حضر عند أشناس وأخبر العباس بن المأمون والقوّاد والحارث السمرقندي فأنفذ أشناس وأخذ الحارث وقيده وسيره إلى المعتصم وكان قد تقدم فلما دخل على المعتصم أخبره بالحال جميعه وبجميع من بايعهم من القوّاد وغيرهم فأطلقه المعتصم وخلع عليه ولم يصدق على أولئك القوّاد لكثرتهم(٥١).

اما العباس بن المأمون فقد تحير الخليفة العباسي المعتصم بأمره ، فدعا به حين خرج إلى الدرب فأطلقه ومناه وأوهمه أنه قد صفح عنه وتغدى معه وصرفه إلى مضربه ثم دعاه بالليل فنادمه على النبيذ وسقاه حتى أسكره واستحلفه ألا يكتمه من أمره شيئاً فشرح له قصته وسمي له جميع من كان دب في أمره وكيف كان السبب في ذلك في كل واحد منهم فكتبه المعتصم وحفظه ثم دعا الحارث السمرقندي بعد ذلك فسأله عن الأسباب فقص عليه مثل ما قص عليه العباس ثم أمر بعد ذلك بتقيد العباس ثم قال للحارث قد رضتك على أن تكذب فأجد السبيل إلى سفك دمك فلم تفعل فقد أفلت فقال له يا أمير المؤمنين لست بصاحب كذب ، ثم دفع العباس إلى الأفشين ثم تتبع المعتصم اولئك القواد فأخذوا جميعاً فأمر أن يحمل أحمد بن الخليل على بغل بإكاف بلا وطاء ويطرح في الشمس إذا نزل ويطعم في كل يوم رغيفاً واحداً وأخذ عجيف بن عنبسه فيمن أخذ من القواد فدفع من سائر القواد إلى إيتاخ ودفع ابن الخليل إلى أشناس فكان

عجيف وأصحابه ويحملون في الطريق على بغال بأكُف بلا وطاء وأخذ الشاه بن سهل وهو الرأس ابن الرأس من أهل قرية من خراسان ، فدعا به المعتصم والعباس بين يديه(٥٢) فقال له يابن الزانية أحسنتُ إليك فلم تشكر فقال له الشاه بن سهل ابن الزانية هذا الذي بين يديك يعني العباس لو تركني هذا كنت أنت الساعة لا تقدر أن تقعد في هذا المجلس وتقول لي يابن الفاعلة ؟ فأمر به المعتصم فضُربت عنقه وهو أول من قتل من القواد ومعه صحبه ودفع عجيف بن عنبسة الكلبي الى إيتاخ فكان الاخير قد امر بعض الحدادين القدوم اليه اليصنعوا له بعض القفال ، وعندما وصل اليه عجيف الكلبي أمر إيتاخ بعجيف وعلق عليه الكثير من الحديد وحملة على بغل في محمل بلا وطاء ، وأما العباس فكان في يدي الأفشين فلما نزل المعتصم منبج وكان العباس جائعاً سال الطعام فقدم إليه طعام كثير فأكل فلما طلب الماء مُنع وأدرج في مسح فمات بمنبج وصلى عليه بعض إخوته(٥٣) وأما عمرو الفرغاني فإنه لما نزل المعتصم بنصيبين في بستان دعا صاحب البستان فقال له أحفر بئراً في موضع ، فبداء صاحب البستان بحفر البئر ثم دعا بعمرو والمعتصم جالس في البستان قد شرب أقداحاً من نبيذ فلم يكلمه المعتصم ولم يتكلم عمرو وحتى مثل بين يديه فقال جردُوه فجرد وضرب بالسياط ضربة الأتراك والبئر تُحفر حتى إذا فُرغ من حفرها قال صاحب البستان قد حفرتها فأمر المعتصم عند ذلك فضُرب وجه عمرو وجسده بالخشب فلم يزل يُضرب حتى سقط ، ثم قال جروه إلى البئر فاطرحوه فيها فلم يتكلم عمرو ولم ينطق يومه ذلك حتى مات فطرح في البئر وطُمت عليه(٥٤)أما صاحب تلك الفكر وهي انقلاب العباس على عمه المعتصم ، عجيف بن عنبسة فلما صار بباعيناثا (٥٥)، فوق بلد قليلا مات في المحمل فطُرح عند صاحب المسلحة وأمر أن يُدفن فيها فجاء به إلى جانب حائط خرب فطرحه عليه فقبر هناك ،وذُكر عن علي بن حسن الريداني أنه قال كان عجيف في يد محمد ابن ابراهيم بم مصعب فسأله المعتصم عنه فقال له يامحمد لم يمت عجيف الكلبي ؟ قال ياسيدي اليوم يموت ثم أتى محمد مضربه فقال لعجيف ياأبا صالح أى شيء تشتهي ؟ قال أسفيدباج وحلوى فالوذج ، فأمر أن يعمل له من كل طعام فأكل وطلب الماء فمنع فلم يزل يطلب وهو يسُوق حتى مات فدفن بباعيناثا(٥٦).

الخاتمة:

من خلال بحثنا في القائد العباسي عجيف بن عنبسة الكلبي تبين لنا عدة أمور اساسية مهمة يجب أن يسلط الضوء عليها ومن تلك الأمور هي إن هذا القائد عجيف بن عنبسة الكلبي كان في بداية الامر مع رافع بن الليث بن نصر بن سيار الذي ثار في مدينة سمرقند في بلاد ماوراء النهر ضد علي بن عيسى بن ماهان الذي يمثل الخلافة العباسية في بلاد المشرق الاسلامي وبعد ان انضم هذا القائد الى هرثمة بن اعين قائد جيش المامون العباسي في بلاد المشرق الاسلامي وبسب ادارته وقدرته العسكرية في القضاء على الثورات والتمردات التي كانت تحدث ضد السلطة العباسية ، ومن تلك الثورات هي ثورة قم التي حدثت ضد الخليفة العباسي المأمون ، كما انتصر على بلال الضبابي الشاري الخارجي في شمال العراق ، كما احرز انتصارا معنويا عندما فرض حصارا مستحكما على عزاليوس صاحب حصن سناذ الامر الذي أجبره على الإذعان للخلافة العباسية ،

كما بسط سيطرته على اذربيجان في بلاد المشرق الاسلامي عندما تمرد واليها علي بن هشام ، وبرعت قدرته العسكرية في القضاء على الزط في جنوب العراق ومع كل هذه الانتصارات العسكرية التي كانت تحسب العجيف بن عنبسة الكلبي فقد كانت نهايته ماساوية على يد المعتصم بالله العباسي بسبب تحريضه لإبراهيم بن المامون القتل المعتصم بالله العباسي وتولي السلطة مكانه .

الهوامش:

(١)ياقوت الحموي، شهاب الدين ابي عبد الله بن عبد الله (ت٦٢٦هـ/١٢٢٨م)معجم البلدان، دار الصادر، بيروت، بلات.، مج١، ص٥٤٠

(٢) رافع بن الليث : هو رافع بن الليث بن نصر بن سيار، ثائر من بيت إمارة ورئاسة كان مقيماً فيما وراء النهر بمدينة سمرقند وناب فيها أيام الرشيد العباسي وعزل وحبس بسبب امرأة، وهرب من الحبس فقتل العامل على سمرقند واستولى عليها عام (١٩٠هـ/٨٠٥م) وخلع طاعة الرشيد ودعا إلى نفسه وسار إليه نائب خراسان علي بن عيسى بن ماهان فظفر رافع بن ماهان ، مما جعل الرشيد يتوجه بنفسه إليه عام (١٩٢هـ/٨٠٧م) وانتدب لقتاله هرثمة بن أعين فهزم رافع عام (١٩٣ه/٨٠٨م). المسعودي، ابو الحسن علي بن الحسين، (ت٣٤٦هـ/٩٥٧م) ١٣٤. مروج الذهب ومعادن الجوهر، دار الكتاب العربي، ط الثانية، (بيروت- ٢٠٠٧م) ج٣- ص ٤١٣؛ ابن الاثير، عز الدين أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم (ت٦٣٠هـ/١٢٥٣م) الكامل في التاريخ، دار الصادر بيروت، بلات، ج٦-ص ٢٠٢-٢١٠.

(٣)الطبري، محمد بن جرير (ت٣١٠/٩٢٢م) تاريخ الرسل والملوك، تح، محمد أبو الفضل، دار المعارف بمصر، ط الثانية، ١٩١٩م ، ج٨ – ص٣٤٠؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٦ – ص٢٠٨.

(٤) قُم : هي كلمة فارسية مدينة تذكر مع قاشان طولها أربع وستون درجة ، وعرضها أربع وثلاثون درجة وثلثان وهي مدينة مستحدثة إسلامية لا أثر للأعاجم فيها ، وأول من مصرها طلحة بن الأحوص الأشعري وبها آبار ليس في الأرض مثلها عذوبة وبرداً ، فيها فواكه وأشجار وفستق وبندق ، وابنيتها من الآجر وفيها سراديب ، ومنها إلى الري مفازة سبخة فيها رباطات ومناظر ومسالح وفي وسط هذه المفازة حصن عظيم عادي يقال له دير كردشير ، وليس لها سور ، فتحها الأحنف بن قيس التميمي عام (٢٣هـ/٦٠٠م) .ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، مج٤- ص٣٩٧.

(٥) خراسان : بلاد واسعة اول حدودها مما يلي العراق وآخر حدودها مما يلي الهند طخارستان وغزنة وسجستان وكرمان وتشمل على أمهات البلاد منها نيسابور وهراة وبلخ ونسا وأبيورد وسرخس . ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، مج٢- ص٣٥٠

(٦) الري : مدينة مشهورة في بلاد المشرق الاسلامي من أمهات البلاد وأعلام المدن كثيرة الفواكه والخيرات بينها وبين نيسابور مائة وستون فرسخاً والى قزوين سبعة وعشرون فرسخاً. ياقوت الحموي ، معجم البلدان، مج٣، ص١١٦.

(٧)الطبري، تاريخ الرسل والملوك ، ج٨-٢١٠ .

(٨) علي بن هشام: هو احد قواد الخليفة العباسي عبدالله المأمون قد استعمله الاخير والياً على أقليم اذربيجان عام (٢١٧هـ/ ٨٣٢م) لكن هذا الولي استغل منصبة وقام بظلم الناس هناك واخذ اموالهم وقتله للرجال ، مما دفع الخليفة المأمون بأرسال حملة عسكرية عليه بقيادة عجيف بن عنبسة الكلبي فأراد أن يقتل عجيفاً ويلحق ببابك الخرمي فظفر بع عجيف فقدم به على المأمون فقتله وأخاه وبعث برأس علي بن هشام إلى بغداد وخراسان فطيف به ثم رد إلى الشام والجزيرة فطيف به كورة كورة وقدم به دمشق في ذي الحجة ثم ذهب به الى مصر ثم ألقي في البحر. الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٨- ص ٦٢٧ ؛ ابن الجوزي ، المنتظم ، ج١١-ص ٣.

(٩) هارون بن محمد بن ابي خالد : هو احد القواد الخلافة العباسية في بغداد ارسله الخليفة العباسي

عبدالله المأمون مع ابنه العباس القتال بلال الضبابي الشاري في عام(٢١٤هـ/٨٢٩م) ، وانتهت حركة الاخير بقتلة . الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٨- ص ٦٢٢.

(١٠) بلال الضبابي الشاري : هو احد الخوارج الذي سار اليه خلق كثير في شمال العراق وقوت شوكته عام(٢١٤هـ/٨٢٩م) وانتهت حركته بقتله. الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٨-ص ٦٢٢

(١١) بلد : وهي مدينة قديمة على دجلة فوق الموصل بينهما سبع فراسخ وبينها وبين نصيبين ثلاثة وعشرون فرسخاً .ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، مج١- ص٤٨١.

(١٢) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٨ – ص٦٢٢ ؛ ابن أعثم الكوفي ، أحمد بن محمد بن علي (٣١٤هـ/٩٢٦م)الفتوح ، ت. علي شيري ، دار الاضواء الطباعة والنشر والتوزيع ،لبنان (بيروت-١٩٩١م) ج٨-ص ٤٢٧-٤٢٨

(١٣) حصن سناذ : هو احد حصون الدولة البيزنطينية كان تحت حكم عزاليوس عندما تقدم عجيف بن عنبسة الكلبي عليه. ابن الاثير ، الكامل في التاريخ ، ج٥-ص ٥٦٤.

(١٤) ابن أعثم الكوفي ، ج٨-ص ٤٣١ ؛ الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٨ – ص ٦٢٣-٦٢٤ ؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ ، ج٦ – ص٤١٧.

(١٥) أذربيجان: اقليم في بلاد المشرق الإسلامي وهو إقليم واسع وأشهر مدنه تبريز ومراغة وخوي واردبيل وأرمية وسلماس ، والغالب عليه الجبال وفيه قلاع كثيرة وخيرات واسعة وفواكه جمة. ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، مج١- ص ١٢٨.

(١٦)بابك الخرمي: وهي إحدى الحركات المناهضة الدولة العباسية في بغداد ظهرت في إقليم أذربيجان وتحصن بابك في حصن البذ وسيطر على عدة مدن هناك ومنها اصفهان وهمذان وجرجان وبلاد الديلم وطبرستان وفي عام(٢٢٢/٥/٨٤٢م) كتب الخليفة العباسي المعتصم بالله الى الأفشين حيدر بن كيكاوس لحرب بابك الخرمي وأتخذ الأفشين حرب إستراتيجية لقتال بابك الخرمي جاءت بنتائج ايجابية حتى استطاع الانتصار على بابك الخرمي ودخول حصنة في البذ ، وإرساله أسيراً هو وأصحابه إلى سامراء عاصمة الخلافة العباسية في شهر صفر عام (٢٢٢/٥/٨٤٣م). الطبري، تاريخ الرسل والملوك،ج٨، ص٥٥٦ ؛ الكرديزي، أبو سعيد عبد الحي (ت ٤٧٠هـ/ ١٠٨٠م) ١٢٣. زين الأخبار، تعريب، محمد بن تاويت، مطبعة محمد الخامس الجامعية والثقافية، ١٩١٢م) ص١٣٠؛ ابن الاثير، الكامل في التاريخ،ج٦، ص٣٢٨.

(١٧)الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٨ – ص -٦٢٦؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ ، ج٦ – ص٤٢١ ؛ ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد (ت٨٠٨هـ/١٤٠٥م) تاريخ ابن خلدون ، ج٣- ص ٣١٩ ، ابن تغري بردي ، جمال الدين ابي المحاسن يوسف (ت٨٧٤هـ/١٢٦٩م) النجوم الزاهرة في أخبار مصر والقاهرة، دار الكتب المصرية (القاهرة-١٩٢٩م) ج٢- ٢٥٦.

(١٨) الزط : هم بعض القبائل الهندية عرفوا بالزط هاجروا موطنهم الأصلي واتجهوا نحو الغرب فانتقلوا من الهند إلى كرمان وبعدها إلى الأحواز حتى وصلوا البطائح في جنوب العراق والتجأ إليهم عدد من اللصوص وقطاع الطرق والعبيد الفارين ، ويذكر البلاذري بأن الحجاج بن يوسف الثقفي والي العراق من قبل الخلافة الأموية أتى بهم إلى العراق من زط السند، وأصناف ممن بهما من الأمم ومعهم أهلهم وأولادهم وجواميسهم وأسكنهم بأسفل كسكر فغلبوا على البطيحة وتناسلوا بها ورأي آخر ، يقول أنهم أتى بهم محمد بن القاسم الثقفي إذ حملهم من السند إلى العراق ، عاش الزط في منطقة البطائح بعزله عن بقية السكان واحتفظوا بعاداتهم الغريبة وبطراز معيشهم ولباسهم وعلى الرغم من حسن معاملة العرب لهم وخاصة بعد الفتح العربي الإسلامي لم يلبثوا أن أصبحوا عنصر فتنة وفساد فالتجأ إليهم باقي العبيد والهاربين من وجه السلطة وأخذوا ينهبون الغلات الزراعية من البيادر. وعندما حدثت الحرب الأهلية بين أولاد الرشيد (الأمين – المأمون) اغتنموا انشغال السلطة المركزية وأخذوا

يقطعون طريق البصرة بالسلب والنهب والاعتداء ، وانقطع الطريق بين بغداد والبصرة ، فلما استقر الأمر للخليفة العباسي المأمون في بغداد حاول تأديبهم وأرسل إليهم حملة عسكرية بقيادة عيسى بن يزيد الجلودي لكن بدون جدوى. وعاود الخليفة العباسي المأمون إرسال حملة أخرى بقيادة داوود بن ماسجور لأنه فشل أيضاً لصعوبة تعقبهم في أهوار البطائح ، وعندما تولى المعتصم بالله الخلافة العباسية أرسل إليهم جيشاً بقيادة أحمد بن سعيد الباهلي لكنه فشل في القضاء عليهم ، لذلك أرسل الخليفة العباسي المعتصم قائده عجيف بن عنبسه الكلبي للقضاء عليهم نهائياً . اليعقوبي ، تاريخ اليعقوبي ، ج٢-ص ٤٧٢ ؛ البلاذري ، فتوح البلدان ، ص ٣٦٨؛ الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٨- ص ٦٨١ ؛ المسعودي ، التنبيه والاشراف ، ص ٣٠٧ ؛ ابن الاثير ، الكامل في التاريخ ، ج٦-ص ٣٦-٣٧.

(١٩) كسكر : مدينة بالعراق قصبتها اليوم واسط القصبة التي بين الكوفة والبصرة. ياقوت الحموي ، معجم البلدان ،مج٤- ص٤٦١.

(٢٠)هارون بن نعيم : هو هارون بن نعيم بن الوضاح الخراساني احد قادة الجيش العباسي الذي كان مساعد القائد عجيف وله دور كبير في القضاء على الزط . الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٩-٨

(٢١)الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٩-٨؛ ابن الاثير ، الكامل في التاريخ ، ج٦-ص ٤٤٣-٤٤٤.

(٢٢)الزعفرانية : قرية قرب بغداد تحت كلواذي منها الحسن بن محمد بن الصباح الزعفراني. ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، مج ٣- ص١٤١

(٢٣)الشماسية : مدينة في العراق في أعلى مدينة بغداد وإليها ينسب باب الشماسة وفيها كانت دار معز الدولة أبي الحسين أحمد بن بويه ، وبلغت النفقة عليها ثلاثة ألف ألف درهم ، وهي أعلى من الرصافة ومحلة أبي حنيفة. ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، مج٣- ص ٣٦١.

(٢٤)عين زربة : وهي مدينة قديمة من نواحي المصيصة في بلاد الأناضول . اليعقوبي، احمد بن يعقوب بن واضح، (ت٢٩٢هـ/٩٠٤م)البلدان، مطبعة ابريل، (ليدن-٨٩١م)ج١- ص ٢٠٥

(٢٥)الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٩-ص١٠ ؛ ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ، ج٦- ص ٤٤٦

(٢٦)الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٩ – ص ١٠-١١

(٢٧)زبطرة :مدينة بين ملطية وسمسياط والحدث في طرف بلد الروم سميت بزبطرة بنت الروم بن اليفز بن سام بن نوح عليه السلام . ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، مج٣- ١٣١.

(٢٨) ابن الجوزي ، المنتظم ، ج١١- ص ٧٨

(٢٩)الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٩ – ص ١٠-١١ ؛ ابن كثير، عماد الدين ابي الفداء، اسماعيل بن عمر (ت٧٧٤هـ/ ١٤٩٤م) البداية والنهاية، تح، عبد الله بن عبد المحسن التركي، هجر الطباعة، والنشر والتوزيع (الجيزة-١٩٩٩م)،. ج١٠-ص ٢٨٥؛ محاسيس ، نجاة سليم ، معجم المعارك التاريخية ، ص ٢٦٩.

(٣٠) عمورية : وهي مدينة في بلاد الروم من ناحية بلاد باطوس وتفسيره المشرق وهي مدينة كبيرة مشهورة في بلاد الروم وبلاد المسلمين أزلية ، ولها سور حصين وهي على نهر كبير يصب في الفرات وعمورية رصيف إلى سائر البلاد المجاورة لها والمتباعدة عنها ومنها الطريق إلى طرطوس وبين عمورية والخليج مائة وخمسة وسبعون ميلاً وكانت منزلاً لبعض ملوك الروم. الحميري ، ابو عبدالله محمد بن عبدالله بن منعم الحميري (ت٩٠٠هـ/ ١٦٢١م)الروض المعطار في أخبار الأقطار ، تح.أحسان عباس ، مؤسسة ناصر للثقافة ، لبنان (بيروت – ١٩٨٠م) ص٤١٣

(٣١)الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٩ – ص٥٧؛ ابن خلدون ، تاريخ ابن خلدون ، ج٣- ص ٣٢٧.

(٣٢) أشناس : احد قادة الجيش العباسي الشجعان حل محل الأفشين في قيادة الجيش العباسي في عهد الخليفة المعتصم بالله(٢٢٥هـ/٨٤٢م) أشترك بفتح عمورية (٢٢٣هـ/ ٨٤٠م) فكان أول الداخلين إليها من العساكر الثلاثة (جيش المعتصم ، وجيشه، وجيش الأفشين) كما عهد الخليفة المعتصم

بالله ببناء مدينة سامراء(٢٢١هـ/٨٣٥م) . ابن الجوزي ، المنتظم ، ج١١ – ص٧٩ ؛ ابن عساكر ،ابي القاسم علي بن الحسن بن هبة الله بن عبدالله الشافعي(ت٥٧١هـ/ ١٢٠٩م) تاريخ مدينة دمشق ، تح .محب الدين ابي سعيد عمر العمروي ، دار الفكر العربي للطباعة والنشر ، لبنان (بيروت – ١٩٩٥) ج٩-ص ١٦٣؛ الصفدي، صلاح الدين بن ايبك (ت٧٦٤هـ/١٣٦٢م) الوافي بالوفيات، عنيه به، هلموت ريتروس (فيسبادن- ١٩٦١م)،، ج٩- ٢٧٨

(٣٣) محمد بن ابراهيم بن مصعب : احد قادة الجيش العباسي في عهد المعتصم ، وبعدها اصبح قائد شرطة الخليفة المعتصم خلافة لأخية إسحاق بن إبراهيم . الذهبي، شمس الدين محمد بن احمد بن عثمان (ت٧٤٨هـ/١٣٤٧م) سير اعلام النبلاء، تح، شعيب لارنوط ، (بيروت، ١٩٨٣م) ج١١- ٢٤٠.

(٣٤) إيتاخ : هو تركي احد قادة الجيش العباسي في عهد المعتصم ، وكان ايتاخ غلاماً خزرياً لسلام الأبرش فاشتراه المعتصم بالله فرفعه واوكل اليه المعتصم بتربية ابنة المتوكل ، وبعدما تولى الواثق الخلافة العباسية(٢٢٧ه/ ٨٤٤٤م)ضم اليه من أعمال السلطان أعمالاً كثيرة . الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٧- ص٣٥٠ ؛ ابن كثير، عماد الدين ابي الفداء، اسماعيل بن عمر (ت٧٧٤هـ/ ١٤٩٤م) البداية والنهاية، تح، عبد الله بن عبد المحسن التركي، هجر الطباعة، والنشر والتوزيع (الجيزة- ١٩٩٩م)ج١٠ – ص ٣٤٣.

(٣٥) جعفر بن دينار : هو جعفر بن دينار بن عبدالله بن الخياط من قواد العباسيين وولاتهم اصطنعه المأمون فقاد الجيوش وولي الولايات . الجاحظ ابو عثمان عمر بن بحر (ت٢٥٥هـ/٨٦٩م)
كتاب البرصان والعرجان والعميان والحولان ،دار الجيل بيروت للنشر ، لبنان (بيروت – ١٤١٠هـ) ص١٦٨

(٣٦)سلوقية : مدينة بأرض انطاكية قطعها الخليفة الاموي الوليد بن عبد الملك الى بعض جنده عنده الساحل فعمروها وزرعوها وبني سور لها . ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، مج٣- ص٤٢٤ .

(٣٧)طرطوس : وهي مدينة بثغور الشام وأنطاكية وحلب وبلاد الروم ، سميت بطرطوس نسبة إلى طرطوس بن اليفز بن سام بن نوح عليه السلام، وقيل إن مدينة طرطوس أحدثها سليمان كان خادماً للرشيد، توفي فيها الخليفة العباسي المأمون (١٩٨هـ/٨١٣م) عندما خرج غازياً بلاد الروم. ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، مج٤- ص٢٨.

(٣٨) البلاذري ، فتوح البلدان ، ص٢٨٨ ، الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٩- ص٥٧؛ المسعودي ، ١٣٣. التنبيه والاشراف، دار الصادر بيروت، بلا ت ، ص ١٤٤ ؛ المقدسي، مطهر بن طاهر، (ت٣٠٦هـ/٩٦٦م) البدء والتاريخ، (باريس-١٩١٩م) ج٦-ص ١١٨، ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ، ج٦- ص ٤٨٠-٤٨١ ، ابن كثير ، البداية والنهاية ، ج١٠- ص ٣١٤ ، ابن خلدون ، تاريخ ابن خلدون ، ج٣- ص ٣٢٩ .

(٣٩) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٩- ص٦٥ ، ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ، ج٦- ص ٤٨٠-٤٨٤.

(٤٠) عمر الفرغاني :هو احد قادته جيش الخلافة العباسية في عهد المعتصم بالله فقد كان له دور كبير في قضية اغتيال الخليفة العباسي المعتصم بالله . مسكويه، ابو علي احمد بن محمد (ت٤٢١هـ/١٠٣٠م) تجارب الامم وتعاقب الهمم ، تح. أبو القاسم إمامي ، ايران(طهران – ٢٠٠٠م) ج٤- ٢٤٢.

(٤١)الأفشين : هو حيدر بن كيكاوس من أشهر قادة الأتراك في خلافة المعتصم بالله العباسي والأفشين لقب يطلق على ملوك أشروسنة احدى مدن بلاد ماوراء النهر، كان ابيه حاكماً على أشروسنة ووقع خلاف بين الاب وابنه وترك الأفشين أشروسنة ورحل الى بغداد وتقرب من الخليفة العباسي عبدالله المأمون وشجعه على غزو أشروسنة وسهل له ذلك ولما تم للمأمون فتحها ولاه عليها اكماً بعد أبيه وبعد موت الخليفة عبدالله المأمون وتولي المعتصم الحكم قرب منه الأفشين واستعان به في كثير من حروبه وجعله من كبار قواده حتى إنه ولاه على جيش للقضاء على ثورة بابك الخرمي التي استعصت على جيش الخلافة منذ عهد المأمون ونجح الأفشين في القضاء على تلك

الحركة وأسر بابك الخرمي نفسه ، الامر الذي اعجب المعتصم به وخلع عليه وشاحين مطرزين بالجواهر ومنحه وجنده عشرون مليون درهم وكان الأفشين أحد قواد الفرق الثلاثة فيؤ جيش المعتصم في فتح عمورية ببلاد الروم، وبعد ذلك أتهم الأفشين بالتآمر ضد الخلافة فعزل من منصبة وسجن وتوفى عام (٢٢٦هـ/٨٤١م). الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٩- ص ٥١؛ مسكوية ، تجارب الامم ، ج٤-ص ٢١٦؛ ابن الاثير ، الكامل في التاريخ ، ج٦-ص ٦٣ ؛ بيطار، امينة، تاريخ العصر العباسي، منشورات جامعة دمشق، الطبع والنشر، ط الرابعة، (دمشق-١٩٩٩٧م) ص ١٦٩-١٧٠؛ أيوب ، أبراهيم ، التاريخ العباسي السياسي والحضاري ، دار الكتاب العربي ، لبنان (بيروت – ١٩٨٩م) ص ٩٤.

(٤٢)الحارث السمرقندي : هو احد الاتراك كان نديماً للعباس بن المأمون والأخير يأنس به وكان الحارث السمرقندي أديباً له عقل ودراية واسعة ، وكان له دور كبير في محاولة اغتيال الخليفة العباسي المعتصم بالله . ابن كثير ، البداية والنهاية ، ج١٠-ص ٣١٧

(٤٣)ملطية : هي من بناء الاسكندر وجامعها من بناء الصحابة ، بلدة من بلاد الروم مشهورة مذكورة تتاخم الشام وهي للمسلمين ، وجه أبو جعفر المنصور عبدالوهاب بن ابراهيم الإمام بن محمد بن علي بن عبدالله بن عباس لبناء ملطية فأقام عليها سنة حتى بناها وأسكنها الناس وغزا الصائفة. ياقوت الحموي، معجم البلدان ، مج٥- ص ١٩٢-١٩٣.

(٤٤) ابن الاثير ، الكامل في التاريخ ، ج٦- ص ٤٨٩-٤٩٠ ؛ ابن الجوزي، ابو عبد الرحمن علي بن محمد (ت٥٩٧هـ/١٢٠٠م) ٣٤. المنتظم في تاريخ الملوك والامم، اعداد. ابراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، (لبنان-١٩٩٢م) ج١١- ص ٨٣-٨٤ ؛ ابن كثير ، البداية والنهاية ، ج١٠- ص ٣١٦ .

(٤٥) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٩- ٧٣ ؛ ابن الاثير ، الكامل في التاريخ ، ج٦- ص ٤٩٠ ؛ ابن كثير ، البداية والنهاية ، ج١٠- ص ٣١٧ .

(٤٦) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٩- ص٧٤؛ ابن الاثير ، الكامل في التاريخ ، ج٦- ص ٤٩١.

(٤٧) احمد بن خليل : هو احد افراد جيش المعتصم بالله العباسي الذي كان له دور في في محاولة اغتيال الخليفة المعتصم بالله . ابن خلدون ، ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد (ت٨٠٨هـ/١٤٠٥م) تاريخ ابن خلدون ، دار الكتب العلمية بيروت ، ج٣- ص ٢٦٥.

(٤٨) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٩- ص٧٣؛ ابن الاثير ، الكامل في التاريخ ، ج٦- ص ٤٩١.

(٤٩)البدندون : قرية بينها وبين طرطوس يوم من بلاد الثغر مات بها الخليفة العباسي المأمون ، ولطرطوس باب يقال لها بدندون . ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، مج١ -ص ٣٦١-٣٦٢ .

(٥٠) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٩- ص٧٥؛ ابن الاثير ، الكامل في التاريخ ، ج٦- ص ٤٩١.

(٥١) المنتظم ، الامم والملوك ، ج١١- ص ٨٤ ؛ ابن الاثير ، الكامل في التاريخ ، ج٦- ص ٤٩١ ؛ ابن كثير ، البداية والنهاية ، ج١٠-ص ٢٨٩ ؛ ابن خلدون ، تاريخ ابن خلدون ، ج٣- ص٣٣١.

(٥٢) ابن الاثير ، الكامل في التاريخ ، ج٦- ص ٤٩١ ؛ ابن خلدون ،تاريخ ابن خلدون ، ج٣- ص٣٣١.

(٥٣) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٩- ص٧٧؛ ابن الاثير ، الكامل في التاريخ ، ج٦- ص ٤٩١.

(٥٤) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٩ – ص ٧٧.

(٥٥)باعيناثا : قرية كبيرة فوق الجزيرة ابن عمر لها نهر كبير يصب في دجلة وفيها بساتين كثيرة . ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، مج ١- ص ٣٢٥.

(٥٦) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٩ – ص ٧٧ ؛ المنتظم ، الامم والملوك ، ج١١- ص ٨٤ ؛ ابن الاثير ، الكامل في التاريخ ، ج٦- ص ٥٩٢ ؛ ابن كثير ، البداية والنهاية ، ج١٠ – ص ٢٩٠ ؛ ابن خلدون ، تاريخ ابن خلدون ، ج٣- ص ٣٣٢

فصلية مُحَكَمة تُعنى بالبحوث والدراسات العلمية والإنسانية والفكرية
العدد (٣) السنة الثانية ذو القعدة ١٤٤٣ هـ حزيران ٢٠٢٢ م
الذكر البيض

تهذيب الأخلاق في القرآن الكريم
دراسة موضوعيّة

م. د. قيس عبد الله أحمد
الجامعة المستنصرية / كلية التربية الأساسية

الملخص:
الخلق في اللغة: العادة والطبيعة والدين والمروءة، والجمع الأخلاق، وفي عرف العلماء: ملكة تصدر بها عن النفس الأفعال بسهولة من غير تقدم فكر وروية وتكلف، والاخلاق علمٌ يُبحَث فيه عن اسس إكتساب هذهِ الصفات الحسنة، وطُرق محاربة الصّفات السّيئة، وآثارها على الفرد والمجتمع، ولقد اهتم القرآن الكريم بالمسائل الأخلاقيّة وتهذيب النفوس اهتماماً كبيراً، بإعتبارها مسألةً أساسيّةً، تنشأ منها وتبتني عليها جميع الأحكام والقوانين الإسلاميّة.إنّ التّكامل الأخلاقي للفرد والمجتمع، هو أهم الأهداف التي تعتمد عليه جميع الأديان السّماوية، إذ هو أساس كلّ صلاحٍ في المجتمع، ووسيلةٍ رادعةٍ لمحاربة كلّ أنواع الفساد والإنحراف، في واقع الإنسان والمجتمع البشري في حركة الحياة وهناك بعض الوسائل التي ذكرها القرآن الكريم في تهذيب الاخلاق والتي منها العلم، ووصل الاخلاق بالله، والمباشرة للأعمال الصالحة، والتدريب العملي والرياضة النفسية، والانغماس في البيئات الصالحة والابتعاد عن البيئات الفاسدة، والقدوة الحسنة وعلاقة ذكر الله بتهذيب النفوس.ونستوحي من الآيات التي ذكرت في البحث إنّ التزكية هي الهدف الأهم للإنسان وتكمن فيها كل القيم الإنسانية ونجاته بها، فتزكية النفوس وتربية الإنسان والإرشاد الى الأخلاق الحسنة هي من أهداف بعثة النبي الأكرم، ولقد أشار القرآن الكريم ابتداءً الى القدوة التي ينبغي أن يقتدى بها وهي شخصية الرسول الأعظم ووصفها بوصف عظيم.
وهذا البحث لا يتكفل ببيان ودراسة المسائل الاخلاقية الكلية وبيان تفاصيل هذه المسائل وجزئيّاتها ومصاديقها، بل كان مستوحى من أجواء القرآن الكريم، وتناول بعض الوسائل في تهذيب الأخلاق التي لها علاقة في حلّ المشاكل الأخلاقيّة والثقافيّة للإنسان، في حركة الحياة والواقع الإجتماعي والحمد لله أولاً وآخراً.

Abstract
The moral in language is a habit، nature، religion، chivalry، plural morals، but in the prospect of scholars is a faculty by which the soul produces actions easily without thought، deliberation and pretension. Moral is a science searching for acquiring these good properties and methods of encountering the bad properties along with their effect upon the individual and the society. The Holy Qur'an has paid great attention to moral issues and self-discipline، as it is a fundamental issue on which all Islamic rulings and laws are based.
The moral integrity and completion of the individual and society is considered most important goal upon which all the heavenly religions depend، as it is the basis of every goodness in society، and as a deterrent means to combat all kinds of corruption and deviation، in the reality of man and human society in the movement of life. There are many things that moralize morals ، linking morals to God، directing good deeds، practical training، psychological sports، immersion in good environments and staying away from corrupt environments، good example، and the relationship of remembrance of God with the cultivation of the souls .
We derive from the verses of Holy Quran ، integrity and purification that are considered the most important goal for man، and all human values lie therein and his salvation . The purification of the souls and human education and the guide to

the morals are the goals of the prophet . Holy Quran indicates about morals ، purification and the guide.

This research does not undertake to explain and study the total ethical issues and to clarify details of these issues، their parts and their endorsements. Rather، it was inspired by the atmosphere of the Holy Qur'an، and it dealt with some means in morals purification as to solve the moral and cultural problems of man، in the movement of life and social reality، and praise be to God first and last.

المُقدِّمة:

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على حبيب إله العالمين وسيّد المرسلين وشفيع المذنبين وسيد الخلق أجمعين أبي القاسم محمد المصطفى، وعلى أهل بيته الطيبين الطاهرين، وأصحابه المنتجبين وبعد :

لا يخفى أنّ المسائل الأخلاقيّة، تحظى بأهميّةٍ كبيرةٍ في كلّ زمانٍ، ولكنّ في عصرنا الحاضر، إكتسبت أهميّة خاصة، وذلك بسبب امور منها:

١. إنّ قوى الإنحراف وعناصر الشرّ والفساد، قد إزدادت في هذا العصر، أكثر من جميع العصور السّالفة ففي هذا الزّمان و بسبب التّقدم العلمي و التّطور الحضاري، أصبحت أدوات الفساد في متناول الجميع (١).

٢.إنّنا نعيش في هذا العصر ضخامة المقاييس، فبينما كانت المقاييس والموازين محدودةً في الماضي، وبتبع ذلك نرى محدوديّة المفاسد الإجتماعية والأخلاقيّة، فإنّ القتل في هذا الزّمان بسبب أسلحة الدّمار الشّامل او انتشار الأوبئة والأمراض، والفساد الأخلاقي بسبب انتشار المخدرات وأشرطة الفيديو والسّينما الخليعة، وكذلك مايبث على مواقع (الأنترنيت) من معلوماتٍ فاسدةٍ، و يضعها امام الجميع، كلّ ذلك يحكي عن إنفجار في دائرة الفساد والإنحراف، وكسر القوالب الضّيقة الّتي كانت تحدد قوى الباطل في الماضي، ليسري إلى خارج الحدود، و يصل إلى أقصى بقعةٍ في العالم.

٣. كان إنتاج المواد المخدّرة في السّابق، ينحصر بقريةٍ أو منطقةٍ محدودةٍ، ولا يتجاوز ضرره سوى المناطق المجاورة، ولكن اصبح الابتلاء بمرض الإدمان، من خلال عمليّة التّهريب الواسعة لعصابات المخدرات، قد غطى أجواء العالم أجمع.

ومن جهةٍ أخرى، أنّنا نشاهد توسّعاً هائلًا في العلوم النّافعة للبشر، في مختلف جوانب الحياة في علوم الطّب والفضاء، والإتصالات والمواصلات وأمثال ذلك، وكذلك الحال في العلوم الغير نافعة ووسائل الفساد والإنحراف، حيث تطورت بشكل مذهل، الى حدٍ إنّ القوى الشيطانيّة التي تقفُ وراء إنتاج أدوات الإفساد الإجتماعي(٢)، يتوصلون إلى تحقيق أهدافهم بطرق ملتويةٍ كثيرةٍ ويسيرةٍ، ومثل هذه الظّروف والأجواء تحتم علينا الإهتمام بالمسائل الأخلاقية أكثر من أيّ وقت مضى، وإلّا فعلينا أن نتوقّع الكارثة، أو الكوارث التي تشلّ في الناس إرادة المواجهة، وتحولهم إلى كياناتٍ مهزوزةٍ أمام حالات الخطر.

ويجب على العلماء الواعين والمفكّرين المخلصين، أن يتحركوا من موقع التّكاتف فيما بينهم، لتعميق الأخلاق في قلوب الناس، و تفعيل عناصر الخير في وجدانهم، والانتباه إلى الخطر المحيط بالأخلاق، بحيث إنّ بعضهم أنكر فائدتها من الأساس، أو ذهب إلى أنّها غير ضروريّةٍ، و بعضهم تعامل معها من موقع المصلحة والحرية، للوصول إلى مطامعه السّياسية.

ولحسن الحظ فإنّنا كمسلمين، نمتلك مصدراً عظيماً للمعارف الأخلاقيّة، وهو

القرآن الكريم، الذي لا يُدانيه أيّ مصدر ديني آخر في العالم. ورغم أنّ العلماء والمفسّرين، قد تناولوا البحوث القرآنية في دائرة الأخلاق، بالبحث والدّراسة بما توحي الايات القرآنية وبما اشتملت كتب الدراسات في التّفسير الموضوعي للقرآن الكريم من المعارف والعقائد الإسلاميّة.

واشتمل البحث على مقدمة ومبحثين وخاتمة، فالمبحث الاول كان بعنوان (تهذيب الاخلاق في اللغة والاصطلاح واهمية الابحاث الاخلاقية) والمبحث الثاني هو (بعض الوسائل التي ذكرها القرآن الكريم في تهذيب الاخلاق التي هي:

١. العلم.
٢. وصل الاخلاق بالله.
٣. المباشرة للأعمال الصالحة.
٤. التدريب العملي والرياضة النفسية.
٥. الانغماس في البيئات الصالحة والابتعاد عن البيئات الفاسدة.
٦. القدوة الحسنة وعلاقة ذكر الله بتهذيب النفوس.

ثمّ بينت في الخاتمة النتيجة التي توصلت إليها في البحث.وهذا البحث الاخلاقي لا يتكفل ببيان ودراسة المسائل الاخلاقية الكلية وبيان تفاصيل هذه المسائل وجزئيّاتها ومصاديقها، بل كان مستوحى من أجواء القرآن الكريم، وتناول بعض الوسائل في تهذيب الاخلاق التي لها علاقة في حلّ المشاكل الأخلاقيّة والثقافيّة للإنسان، في حركة الحياة والواقع الإجتماعي.

وبهذا الجهد المتواضع، حاولتُ الكشف عن بعض الوسائل التي ذكرها القرآن الكريم في تهذيب الاخلاق، آملاً أن يوفقني الله تعالى لبلوغ الصواب، ويجنبني الزلل، ولا ادعي الكمال، فالكمال الله وحده، ومنه تعالى استمدُّ العون والسداد { وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ } (٣).

المبحث الأول
تهذيب الاخلاق في اللغة والاصطلاح واهميتها

التهذيب في اللغة:

بمعنى التنقية، قالوا هذب النخلة، بمعنى نقّى عنها اللِّيف، مأخوذ من هذب يهذبه هذباً، أي قطعه ونقاه وأخلصه وأصلحه، والهذب، بمعنى الصفاء والخلوص، والمُهَذَّبُ مِنَ الرِّجَالِ: المُخَلَّصُ النَّقِيُّ مِنَ العُيوب ومنه رجل مهذّب (٤) ، أي مطهر الاخلاق (٥).

الاخلاق في اللغة:

اخلاق جمع خلق،والخَليقةُ:الخُلُق، والطبيعة (٦) .الخاء واللام والقاف أصلان: أحدهما تقدير الشيء، والآخر مَلاسَة الشيء. ومن ذلك الخُلُق، وهي السجيَّة، لأنّ صاحبَه قد قُدِّر عليه.

وفلانٌ خَليق بكذا، وأَخْلِقْ به، أي ما أَخْلَقَهُ، أي هو ممَّن يقدَّر فيه ذلك (٧).

وجاء في المعجم الوسيط أن الأخلاق « حال للنفس راسخة تصدر عنها الأفعال من خير أو شر من غير فكر وروية»(٨).

ويميز التهانوي في كشاف اصطلاحات العلوم والفنون بين المعنى اللغوي والاصطلاحي لكلمة (خُلُق) فيقول:

« الخلق، في اللغة، العادة والطبيعة والدين والمروءة، والجمع الأخلاق، وفي عرف العلماء: ملكة تصدر بها عن النفس الأفعال بسهولة من غير تقدم فكر وروية وتكلف»(٩).

الاخلاق في الاصطلاح:

عرّفه الراغب في كتابه المفردات الاخلاق من « الخَلْقُ والخُلُقُ في الأصل واحد لكن خصّ الخَلْقُ بالهيئات والأشكال والصّور المدركة بالبصر، وخصّ الخُلُقُ بالقوى والسّجايا المدركة بالبصيرة»(١٠).وقال ابن مسكويه « الخلق حال للنفس داعية

لها إلى أفعالها من غير فكر ولا روية »(١١).

وسار الغزالي على المنهج ذاته في تعريفه للأخلاق حيث يعرف الخلق بقوله « الخلق عبارةٌ عن هيئةٍ في النَّفس راسخةٌ، عنها تصدر الأفعال بسهولةٍ ويسرٍ من غير حاجةٍ إلى فكرٍ ورويَّة... وإنَّما اشترطنا أن تصدر الأفعال بسهولة من غير رويَّة لأنَّ من تكلَّف بذل المال أو السُّكوت عند الغضب بجهد ورويَّة لا يقال خُلُقُهُ السَّخاء والحلم»(١٢).

وذهب الجرجاني في كتابه التعريفات الى ماذهب اليه ابن مسكويه والغزالي فقال: الخُلق: «عبارة عن هيئة للنفس راسخة تصدر عنها الأفعال بسهولة ويسر من غير حاجة إلى فكر وروية» (١٣) .

وهو نفس ما إشار إليه الفيض الكاشاني في كتاب الحقائق، حيث يقول: « إعلم أنّ الخُلق هو عبارة عن هيئة قائمة في النفس، تصدر منها الأفعال بسهولة من دون الحاجة إلى تدبّر و تفكّر» (١٤) .

وعرفه الشيخ مكارم الشيرازي: «علمٌ يُبحَث فيه عن المَلكات و الصّفات الحسنة والسيئة وآثارها و جذورها» (١٥) .

وبعبارة اخرَى: « علمٌ يُبحَث فيه عن اسس إكتساب هذهِ الصفات الحسنة، و طُرق محاربة الصّفات السّيئة، و آثارها على الفرد و المجتمع»(١٦) .

وعليه تنقسم الاخلاق إلى قسمين: منها ما يكون طبيعياً من أصل المزاج والسجية والطبع، كالإنسان الذي يحركه أدنى شيء نحو غضب ويهيج من أقل سبب، وحاله كحال الذي يجن من أيسر شيء أو يفزع من أدنى صوت يطرق سمعة أو يرتاع من خبر يسمعه. ومنها ما يكون مستفاداً بالعادة والتدريب، وربما كان مبدؤه الفكر، ثم يستمر عليه أولاً فأولاً حتى يصير ملكة وخلقاً (١٧). وبناءً على ما تقدم من التعريفات اللغوية وفي الاصطلاح للأخلاق نجد بأن معنى الأخلاق يتحدد بأمرين، يتمثل الأول في مبدأ الرسوخ والثبات والدوام والطبع، في حين يتمثل الثاني في مبدأ التلقائية حيث يجري السلوك من غير تكلف وانفعال وافتعال. وهذا يعني أن الأخلاق تمثل منبع السلوك التلقائي بما يصدر عنه من أفعال الخير والشر.

وعلى اساس ذلك يمكن لنا التأسيس لأربع أفكار أساسية تؤكدها أغلب التعريفات التي وردت في اللغة والاصطلاح.

أولاً: ترتسم الأخلاق في النفس على صورة السجية والفطرة والطبع في الإنسان ولذا فإنها تتسم بطابع الاستمرار.

ثانياً: يمكن اكتساب الأخلاق عن طريق الاكتساب فتتحول الأخلاق المكتسبة عبر الزمن إلى سجية وطبيعة وطبع.

ثالثاً: تشكل الأخلاق منبع السلوك الإنساني ومصدره الأساسي.

رابعاً: تدور الأخلاق حول معاني الخير وكل الفضائل السامية التي عرفت بها المجتمعات الإنسانية (١٨).

أهمية الابحاث الاخلاقية:

اشار القرآن الكريم في بعض آياته الكريمة إلى أهمية الاخلاق إذ لولا الاخلاق، لما فهم الناس الدّين و لَما إستقامت دنياهم: و كما قال الشّاعر آحمد شوقى:

إنّما الأمَمُ الأخْلاقُ مَا بَقِيَتْ
فَإنْ هُمُ ذَهبتْ أخْلاقَهُم ذَهبُوا(١٩)

فلا يُعتبر الإنسان إنساناً إلّا باخلاقه، وإلّا سوف يصبح حيواناً، يحطّم ويتخطى كلّ شيء، ومع ومع هذا هو يتمتّع بالذّكاء الخارق، فنراه يثير الحروب الطّاحنة، لغرض الوصول لأهدافه الماديّة غير المشروعة، ولأجل أن يبيع سلاحه الفتّاك، يزرع بذور الفُرقة والنّفاق ويقتل الأبرياء

نعم، يمكن أن يكون متمدّناً في الظّاهر، إلّا أنّه لا يقوم له شيء، ولا يميّز الحلال من الحرام، ولا يفرّق بين الظّلم والعدل، ولا الظّالم والمظلوم(٢٠).

إنّ إحدى الأهداف المهمّة، لبعثة النّبي الأكرم (صلى الله عليه وآله وسلم)، هو تزكية النّفوس وتربيّة الإنسان، وبلورة الأخلاق الحسنة، في واقعه الوجداني قال تعالى: { الَّذِي بَعَثَ فِي الأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ}(٢١) .

فتلاوة الآيات وتعليم الكتاب والحكمة التي أشارت إليها الآية المباركة الاولى، يعُد مقدمة لمسألة تزكية النّفوس وتربية الإنسان، والذي بدوره يشكّل الغاية الأساسيّة لعلم الأخلاق.و لأجل ذلك يمكن تعليل تقدم كلمة: (التزكية)،على:(التعليم)»،في الآية باعتبارها، هي الهدف والغاية النهائيّة، وإن كان (التّعليم) من الناحية العمليّة مقدم عليها (٢٢). فالآية المباركة تبين مدى إهتمام القرآن الكريم بالسلوك الأخلاقي للإنسان في حركة الحياة، وتشير إلى أنّ بعث رسول يُعلّم الأخلاق، هي من علامات حضور الباري تعالى في واقع الإنسان لتفعيل عناصر الخير في وجدانه، و أنَّ النقطة المعاكسة (للتربية و التعليم) هي الضّلال المبين.

وقوله تبارك وتعالى:{قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا*وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا}(٢٣) .

وقوله تعالى:{قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى* وَ ذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى }(٢٤) .

فالآيتين من سورة الشمس، وبعد ذكر أحدَ عشرَ قَسَماً مهماً، قسماً بالشّمس والقمر والنّجوم والنفس الإنسانية وهي من أطول الأقسام في القرآن الكريم ، وبعد ذلك قال: {قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا* وَ قَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا}(٢٥).

«وهذا التأكيد المتكرّر والشّديد في هذه الآيات، يدلّ على أنّ القرآن الكريم، يولي أهميّةً بالغةً لمسألة الأخلاق، وأنّ التّزكية هي الهدف الأهم للإنسان، وتكمن فيها كلّ القيم الإنسانيّة، بحيث تكون نجاة الإنسان بها.ونفس المعنى أعلاه ورد في الآيتين من سورة الأعلى، واللّطيف فيها أنّ ذكر التّزكية جاء قبل الصلاة، وذكر الله تعالى، إذ لولا التّزكية وصفاء الرّوح لا يكون للصّلاة معنى، ولا لذكر الله» (٢٦).

نستوحي من هذهِ الآيات، الإهتمام الكبير للقرآن الكريم بالمسائل الأخلاقيّة وتهذيب النفوس، بإعتبارها مسألةً أساسيّةً، تنشأ منها وتبتني عليها جميع الأحكام والقوانين الإسلاميّة، فهي بمثابة القاعدة الرّصينة والبناء التحتي، الذي يقوم عليه صرح الشّريعة الإسلاميّة.

نعم إنّ التّكامل الأخلاقي للفرد والمجتمع، هو أهم الأهداف التي تعتمد عليه جميع الأديان السّماوية، إذ هو أساس كلّ صلاح في المجتمع، ووسيلةٍ رادعةٍ لمحاربة كلّ أنواع الفساد والإنحراف، في واقع الإنسان والمجتمع البشري في حركة الحياة (٢٧).

المبحث الثاني

وسائل تهذيب الاخلاق

إنّ القرآن الكريم لم يكتف بأن يعرض الأخلاق الحسنة ويحث عليها ويبين الأخلاق السيئة ويحذر منها ولكنه ذهب ليبين وسائل الأخلاق (٢٨) ومنها:

أولاً: العلم:

إنّ القرآن حينما ذكر الكثير من آيات الأخلاق في سورة الإسراء بيّن ان هذه الآيات انما تأتي لك عن علم من الله يجب أن نتعلمها من القرآن الكريم ومن خلال تبيين رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) لها فقال تعالى: {وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ

السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا * وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّكَ لَنْ تَخْرِقَ الْأَرْضَ وَلَنْ تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولًا * كُلُّ ذَلِكَ كَانَ سَيِّئُهُ عِنْدَ رَبِّكَ مَكْرُوهًا }(٢٩).

« وهذا أدب خلقي عظيم، وهو أيضا إصلاح عقلي جليل يعلّم الفرد التفرقة بين مراتب الخواطر العقلية بحيث لا يختلط عنده المعلوم والمظنون والموهوم. ثم هو أيضا إصلاح اجتماعي جليل يجنب الفرد من الوقوع والايقاع في الاضرار والمهالك من جراء الاستناد الى أدلة موهومة»(٣٠) .

ثانياً: وصل الأخلاق بالله: هذه الصلة تشتد كلما قوي الإيمان في النفس، ورسخت العقيدة فيها، مما يجع أخلاق المسلم الطيبة ثابتة راسخة لا تزول ولا تضعف، لأنها موصولة بالله القوي العزيز، وتجد مادة بقاءها واستمرارها وصلاحها من هذا الفيض الذي لا ينضب(٣١)، قال تعالى: {وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ} (٣٢). فالآية الشريفة لها علاقة بالأخلاق الاجتماعية وهي تحذر من احتقار الناس وعدم انسجام هذه الصفات بالإنسان المسلم.

ثالثاً: المباشرة بالأعمال الصالحة:

قال تعالى: {قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا}(٣٣) ولم يقل قد أفلح من تعلّم زكاتها فالعلم وحده لا يكفي لابد من العمل الذي يحقق زكاة النفس ويخلّصها من الامراض الرذيلة سواء أكانت من العبادات أم من الطاعات المفروضة أو المندوبة، لأنها تزكي النفس وتسهّل عليها اكتساب الأخلاق الطيبة والتخلص من الخبيثة، فالأمر إذن أمر اختيار حر دنيوي، لا علوي، وهو يرجع إلى استخدامنا الحسن أو السيئ لملكاتنا العليا، وهي ملكات يزكي تثقيفها النفسَ، كما يدسيها ويطمسها إهمالها (٣٤) ، ولهذا أشار القرآن الكريم ففي مجال الصلاة قال تعالى: {وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ}(٣٥)، وفي الزكاة

(٣٦) قال تعالى: {خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا}(٣٧)، فالصدقة: لها أيضًا أثر مزدوج الفائدة: فهي (تُطهر) النفس، حين تصرفها عن حرصها الزائد على الكسب، وهي (تُزكّي) نضارتها والآية الشريفة فيها توجيه الى السخاء (٣٨).

رابعاً: التدريب العملي والرياضة النفسية:

وهي قسر النفس على غير ما تهوى، من الأمور التي تكسب النفس الانسانية الخلق الطيب، طال الزمن أو قصر، فإذا صبر الانسان وداوم انقادت له النفس وألفت الفعل ثم يصبح الفعل لها سجية، ففي سورة لقمان وهو يرشد ولده الى فضائل الأخلاق يأمره معها بالصبر الذي يعينه على التجلي بهذه الأخلاق(٣٩) قال تعالى: {يَا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلَاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَاصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ}(٤٠) .

ومنه قوله (صلى الله عليه وآله وسلم): « وَمَنْ يَسْتَعْفِفْ يُعِفَّهُ اللَّهُ، وَمَنْ يَسْتَغْنِ يُغْنِهِ اللَّهُ وَمَنْ يَتَصَبَّرْ يُصَبِّرْهُ اللَّهُ»(٤١) .

خامساً: الانغماس في البيئات الصالحة والابتعاد عن البيئات الفاسدة:

وذلك بمخالطة المؤمنين ذوي الأخلاق الحسنة، قال تعالى:{وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا}(٤٢).

لأن من طبيعة الانسان أن يكتسب من البيئة التي ينغمس فيها ويتعايش معها ما لديها من أخلاق وعادات وتقاليد، قال تعالى: {لَمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَى مِنْ أَوَّلِ

يَوْم أَحَقُّ أَنْ تَقُومَ فِيهِ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَنْ يَتَطَهَّرُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَّهِّرِينَ}(٤٣).
لذلك قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): « لاَ تُصَاحِبْ إِلاَّ مُؤْمِنًا وَلاَ يَأْكُلْ طَعَامَكَ إِلاَّ تَقِيٌّ»(٤٤)، وهجر البيئة الفاسدة والفرار منها كما يفر المرء من المكان الموبوء، قال تعالى:{وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ وَإِمَّا يُنْسِيَنَّكَ الشَّيْطَانُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرَى مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ}(٤٥).
وقال تعالى: {وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا}(٤٦)، وما حديث الرجل الذي قتل مئة نفس ثم جاء الى العالم فأمره أن ينطلق الى أرض كذا وكذا لأن بها ناساً يعبدون الله، وأمره أن يعبد الله معهم، ولا يرجع الى أرضه لأنها ارض سوء... الخ الحديث(٤٧)،
« فهذا الحديث يدل على ضرورة التحول من المجتمعات الفاسدة الى المجتمعات الطيبة، فإن العيش معها ادعى الى سلامة الشخص واستقامته وابتعاده عن السوء»(٤٨).
سادساً: القدوة الحسنة، وعلاقة ذكر الله بتهذيب النفوس:
لقد أشار القرآن الكريم ابتداءً الى القدوة التي ينبغي أن يقتدى بها وهي شخصية الرسول الأعظم ووصفها بوصف عظيم في قوله تعالى: {وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ}(٤٩)، وفيه لمستين بيانيتين عظيمتين:
الاولى: ان الله وصف خلق النبي الأعظم بأنه عظيم.
والثانية: ان هذا الوصف من قبل الله، فهو عظيم نسبة الى الله لا الى الخلق فالله عظيم عظمة لا يمكن تخيلها ومحمد (صلى الله عليه وآله وسلم) ذو خلق عظيم لا يمكن تخيله، فأي خلق عظيم يمتلكه سيد المرسلين بعد هذا الوصف العظيم.

ثم أمر جميع المسلمين الاقتداء بهذه القدوة الفذة فقال تعالى: {لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا}(٥٠).
فسألوا عائشة عن ذلك فقالت: «كان خُلُقُه القُرآنَ»(٥١)، وإذا كان خلقه هو القرآن، فالقرآن يهدي للتي هي أقوم والمتأمل للقرآن في هدايته يجد مبدأ الأخلاق في كل تشريع فيه حتى العبادات(٥٢).«والقدوة الحسنة هي المثال الواقعي للسلوك الخلقي الأمثل، والقدوة الحسنة المتحلية بالفضائل الممتازة تعطي الآخرين قناعة بأن بلوغ هذه الفضائل من الأمور الممكنة، التي هي في متناول القدرات الإنسانية»(٥٣).
فالرّسول الأكرم (صلى الله عليه و آله وسلم)، لا يُتأسّى به فقط في ميادين الجهاد الأصغر، بل وكذلك في ميادين الجِهاد الأكبر، ألا وهو جهاد النّفس والتّصدي لِلأهواء المُضلّة، من موقع المحاربة، فَمن يتّخذِه اسوةً حسنةً في هذا المضمار، فإنّه سيصل من أقرب الطّرق وأسرعها، إلى غايته و هدفِه المَنشود.
ومن الجدير بالذّكر، أنّ قوله تعالى:{لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا}(٥٤)، فهذه الآية، اضافةٌ على ذكرها لِمسألة الإيمان باللّه واليوم الآخر، أكّدت على ذِكر اللّه تعالى بجملة:{وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا}(٥٥)، فهم يقتدون بقائدهم الربّاني ويستلهمون منه الإيمان، وذِكر اللّه كثيراً، لأن ذكر اللّه تعالى يورث الإنسان إطمئنان القَلب، ويَنهى عن الفحشاء والمنكر، ويزّود النّفس بالقُدرة والقُوّة اللّازمة، في مقابل التّحديات الصّعبة لِلعدو الدّاخلي والخارجي، ويميت الرّذائل الأخلاقيّة في قلب الإنسان، كالحِرص والبُخل وحبّ الدنيا، الذي هو رأس كلّ خطيئةٍ.

فلا ينبغي للسّائر في خطّ التّقوى والإيمان، أن يغفل عن هذا السّلاح الفعّال، فهو الدّرع الحصين لكلّ من يريد أن يتحرّك، على مستوى تهذيب النّفس وتربية عناصر الفضيلة فيها، وهو السدّ المنيع للمؤمنين، مقابل قوى الشّر والانحراف، وسلاحهم الذي يمدّهم بالقوّة والعزيمة، في مقابل الأعداء، والأخطار التي تحدق بهم في هذه الدنيا، و ليكن ذِكرُهم للّهِ كَذِكرهم لأنفسهم، بل أشدّ وأقوى (٥٦).

وعن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): « قال الله تعالى: لا يذكرني عبد في نفسه إلا ذكرته في ملاء من ملائكتي، ولا يذكرني في ملاء إلا ذكرته في الرفيق الأعلى»(٥٧).

وعن الإمام علي (عليه السلام) قال فيما أوصى به ابنه الحسن (عليه السلام): « أوصيك بتقوى الله اي بني، ولزوم أمره، وعمارة قلبك بذكره..»

(٥٨).وعنه (عليه السلام):«من عمر قلبه بدوام الذكر حسنت أفعاله في السر والجهر»

(٥٩).وعن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): « بذكر الله تحيا القلوب، وبنسيانه موتها»

(٦٠).الى غير ذلك من الروايات الكثيرة في هذا المجال وإنّ إستعراض الكلام، عن أهميّة ذِكر اللّه في الأحاديث الإسلاميّة، لا يتّسع له هذا المُختصر وما نَبتغيه، هو أنّ ذكرَ اللّه، يعدّ من العوامِلَ المهمّة في تهذيب النّفوس و تشذيب الأخلاق و بناء الرّوح.

الخاتِمة:

بعد أن استكملت البحث عن تهذيب الاخلاق ، وبتوفيق من الله سبحانه وتعالى الذي مَنَّ عليَّ بنعمته، لابد لي أن أذكر أهم النتائج التي توصلت اليها وهي:

١.نستوحي من الآيات التي ذكرت في البحث الاهتمام الكبير للقرآن الكريم بالمسائل الأخلاقية وتهذيب النفوس.

٢. إنَّ التزكية هي الهدف الأهم للإنسان وتكمن فيها كل القيم الإنسانية ونجاته بها.

٣.من أهداف بعثة النبي الأكرم(صلى الله عليه وآله وسلم) هي تزكية النفوس وتربية الإنسان والإرشاد الى الأخلاق الحسنة.

٤. التكامل الاخلاقي للفرد والمجتمع، هو اساس كل صلاح ووسيلة لمحاربة كل أنواع الفساد والإنحراف في واقع الإنسان وحركته في الحياة.

الهوامش

(١) ينظر: الأخلاق في القرآن، لآية الله العظمى الشيخ ناصر مكارم شيرازي، مدرسة الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام)، قم المقدسة، ط٣، ١٤٢٨ هـ ق:١/٤.

(٢) ينظر: الأخلاق في القرآن:١/٦.

(٣) هود: ٨٨.

(٤) ينظر: لسان العرب، لمحمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعى الإفريقى (ت: ٧١١هـ)، دار صادر - بيروت ، ط٣ ، ١٤١٤ هـ: ١/ ٧٨٢.

(٥) ينظر: الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، لأبي نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي (ت:٣٩٣هـ)، تح: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين - بيروت، ط٤، ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م: ١/ ٢٣٧، ومختار الصحاح، لزين الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الحنفي الرازي (ت:٦٦٦هـ)، تح: يوسف الشيخ محمد، المكتبة العصرية - الدار النموذجية، بيروت - صيدا، ط٥، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م : ٣٢٥ ، والقاموس المحيط، لمجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروز آبادى (ت: ٨١٧هـ)، تح: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، بإشراف: محمد نعيم العرقسُوسي، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت - لبنان، ط٨، ١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥ م : ١٤٤.

(٦) ينظر: كتاب العين، لأبي عبد الرحمن الخليل بن أحمد

بن عمرو بن تميم الفراهيدي البصري (ت:١٧٠هـ)، تح: د مهدي المخزومي، د إبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال:٤/ ١٥١.

(٧) ينظر: معجم مقاييس اللغة، لأبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، تح : عبد السلام محمد هارون، الناشر : دار الفكر، ط ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م: ٢/ ٢١٣-٢١٤.

(٨) المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية بالقاهرة، (إبراهيم مصطفى / أحمد الزيات / حامد عبد القادر / محمد النجار)، دار الدعوة: ١/ ٢٥٢.

(٩)موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، لمحمد بن علي ابن القاضي محمد حامد بن محمّد صابر الفاروقي الحنفي التهانوي (ت: بعد ١١٥٨هـ)، تقديم وإشراف ومراجعة: د. رفيق العجم، تح: د. علي دحروج، نقل النص الفارسي إلى العربية: د. عبد الله الخالدي، الترجمة الأجنبية: د. جورج زيناني، مكتبة لبنان ناشرون - بيروت، ط١ - ١٩٩٦م: ١/ ٧٦٢.

(١٠) المفردات في غريب القرآن، لأبي القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني (ت: ٥٠٢هـ) تح: صفوان عدنان الداودي، دار القلم، الدار الشامية - دمشق بيروت، ط١، ١٤١٢ هـ: ٢٩٧.

(١١) تهذيب الأخلاق وتطهير الأعراق، لأبي علي أحمد بن محمد بن يعقوب مسكويه (ت: ٤٢١هـ)، حققه وشرح غريبه: ابن الخطيب، مكتبة الثقافة الدينية، ط١: ٤١.

(١٢) إحياء علوم الدين، لأبي حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي (ت ٥٠٥هـ)، دار المعرفة - بيروت: ٣/ ٥٣.

(١٣) كتاب التعريفات، لعلي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني (ت: ٨١٦هـ)، تح: ضبطه وصححه جماعة من العلماء، دار الكتب العلمية بيروت -لبنان، ط١، ١٤٠٣هـ-١٩٨٣م: ١٠١.

(١٤)الحقايق في محاسن الاخلاق قرة العيون في المعارف والحكم، لمحمد بن مرتضى بن محمود الكاشاني المعروف بالفيض الكاشاني (ت:١٠٩١هـ)، تح: الحاج محسن عقيل، دار الكتاب الاسلامي، ط١، ١٤٠٩هـ-١٩٨٩م:٥٩.

(١٥) الأخلاق في القرآن: ١/ ١٦.

(١٦) المصدر نفسه: ١/ ١٦.

(١٧)ينظر: تهذيب الأخلاق وتطهير الأعراق: ٤١.

(١٨) ينظر: في مفهوم الأخلاق: قراءة فلسفية معاصرة، لعلي اسعد وطفة، مجلة نقد وتنوير، https://tanwair.com/archives/٦٦٠٩.

(١٩) ينظر: الشوقيات، لأحمد شوقي، الناشر مؤسسة هنداوي، ٢٠٢٠م: ٢١.

(٢٠) ينظر: الأخلاق في القرآن: ١/ ١٠.

(٢١) الجمعة: ٢.

(٢٢) ينظر: الأخلاق في القرآن: ١/ ١١.

(٢٣) الشمس: الآيات ٩ و١٠.

(٢٤) الاعلى: الآيات ١٤ و ١٥.

(٢٥) الشمس: الآيات ٩ و١٠.

(٢٦) الأخلاق في القرآن: ١/ ١٣.

(٢٧) المصدر نفسه: ١/ ١٤.

(٢٨) ينظر: منهج القرآن الكريم في إصلاح المجتمع، للدكتور محمد السيد يوسف، دار السلام، القاهرة، ط٣، ١٤٢٨هـ-٢٠٠٧م: ٢٠٥.

(٢٩) الاسراء: الآيات ٣٦و٣٨.

(٣٠) التحرير والتنوير- الطبعة التونسية، لمحمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي(ت: ١٣٩٣هـ) ، دار سحنون للنشر والتوزيع - تونس - ١٩٩٧م: ١٥/ ١٠١.

(٣١) ينظر: اصول الدعوة، لعبد الكريم زيدان(ت: ١٤٣٥هـ)، مؤسسة الرسالة، بيروت- لبنان، ١٩٦٨: ٩١، وينظر: المنهج القرآني لنهضة الفرد المسلم (دراسة موضوعية) رسالة ماجستير لمحمد عبد القادر عياش، ١٤٣٥هـ-٢٠١٤م، كلية العلوم الاسلامية، قسم اصول الدين، اشراف: أ. م. د. علي جمال علي: ١٢٦.

(٣٢) لقمان: ١٨.

(٣٣) الشمس: ٩.

(٣٤) ينظر: دستور الأخلاق في القرآن، لمحمد بن عبد الله دراز (ت:١٣٧٧هـ)، مؤسسة الرسالة، ط١٠ ١٤١٨هـ / ١٩٩٨م: ٢٩.

(٣٥)العنكبوت: ٤٥.

(٣٦)ينظر: أصول الدعوة:٩٢.

(٣٧)التوبة: ١٠٣.

(٣٨) ينظر: دستور الأخلاق في القرآن: ٢٥٨ و ٧٤١.

(٣٩)ينظر: المنهج القرآني في إصلاح المجتمع: ٢٠٦.

(٤٠)لقمان: ١٧.

(٤١)صحيح البخاري، لأبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري الجعفي (ت: ٢٥٦هـ)، تحـ: محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي)، ط١، ١٤٢٢هـ مع الكتاب: شرح وتعليق د. مصطفى ديب البغا أستاذ الحديث وعلومه في كلية الشريعة - جامعة دمشق: ٢/ ١٢٢، كِتَابُ الزكاة، بَابُ الِاسْتِعْفَافِ عَنِ المَسْأَلَةِ، رقم (١٤٦٩) لفظ الحديث: «عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: إِنَّ نَاسًا مِنَ الأَنْصَارِ سَأَلُوا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَأَعْطَاهُمْ، ثُمَّ سَأَلُوهُ، فَأَعْطَاهُمْ، ثُمَّ سَأَلُوهُ، فَأَعْطَاهُمْ حَتَّى نَفِدَ مَا عِنْدَهُ، فَقَالَ: « مَا يَكُونُ عِنْدِي مِنْ خَيْرٍ فَلَنْ أَدَّخِرَهُ عَنْكُمْ، وَمَنْ يَسْتَعْفِفْ يُعِفَّهُ اللَّهُ، وَمَنْ يَسْتَغْنِ يُغْنِهِ اللَّهُ وَمَنْ يَتَصَبَّرْ يُصَبِّرْهُ اللَّهُ، وَمَا أُعْطِيَ أَحَدٌ عَطَاءً خَيْرًا وَأَوْسَعَ مِنَ الصَّبْرِ ».

(٤٢)الكهف: ٢٨.

(٤٣)التوبة: ١٠٨

(٤٤) سنن أبي داود، لأبي داود سليمان بن الأشعث السجستاني (ت: ٢٥٧٦هـ)، تح: محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، صيدا - بيروت: ٤/ ٢٥٩، كِتَاب الْأَدَبِ، بَابُ مَنْ يُؤْمَرُ أَنْ يُجَالِسَ، رقم (٤٨٢٣)، وسنن الترمذي، لمحمد بن عيسى بن سَوْرة بن موسى بن الضحاك، الترمذي، أبو عيسى (ت: ٢٧٩هـ)، تح: بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي – بيروت، سنة النشر: ١٩٩٨ م: ٤/ ١٧٨، كتاب الزهد، بَابُ مَا جَاءَ فِي صُحْبَةِ الْمُؤْمِنِ، رقم (٢٣٩٥) وقال الترمذي: هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ إِنَّمَا نَعْرِفُهُ مِنْ هَذَا الْوَجْهِ، ومسند أبي يعلى، لأحمد بن علي بن المثنى ابو يعلى، الموصلي (ت: ٣٠٧هـ)، تح: حسين سليم أسد دار المأمون للتراث– دمشق، ط١، ١٤٠٤-١٩٨٤: ٢/٤٨٤، مِنْ مُسْنَدِ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ، رقم(١٣١٥). والحديث صحيح واسناده حسن، ينظر: الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان، لمحمد بن حبان بن أحمد بن حبان بن معاذ بن مَعْبدَ، التميمي، أبو حاتم، الدارمي، البُستي (ت: ٣٥٤هـ)، ترتيب: الأمير علاء الدين علي بن بلبان الفارسي (ت: ٧٣٩ هـ)، تح: وخرج أحاديثه وعلق عليه: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١، ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م: ٢/ ٣١٤، كِتَابُ الْبِرِّ وَالْإِحْسَانِ، بَابُ الصُّحْبَةِ وَالْمُجَالَسَةِ، رقم(٥٥٤).

(٤٥)الانعام: ٦٨.

(٤٦)الكهف: ٢٨.

(٤٧)صحيح مسلم ، لمسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (ت: ٢٦١هـ)، تح: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي – بيروت: ٤/ ٢١١٨، كتاب التوبة، باب قبول توبة القاتل وإن كثر قتله، رقم (٢٧٦٦).

(٤٨)اصول الدعوة: ٩٤.

(٤٩)القلم: ٤.

(٥٠)الأحزاب: ٢٢.

(٥١)مسند الإمام أحمد بن حنبل، لأبي عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (ت:٢٤١هـ)، تح: شعيب الأرنؤوط - عادل مرشد، وآخرون، إشراف: د عبد الله بن عبد المحسن التركي، مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠١ م: ٤٣/١٥، مسند النساء، رقم(٢٥٨١٣). و مسند أبي يعلى، لأحمد بن علي بن المثنى أبو يعلى الموصلي(ت: ٣٠٧ هـ)، تح: حسين سليم أسد، دار المأمون للتراث – جدة، ط٢، ١٤١٠ هـ - ١٩٨٩ م: ٨/ ٢٧٥، رقم(٤٨٦٢). قال المحدث الألباني: الحديث صحيح، ينظر: صحيح الجامع الصغير وزياداته، لأبي عبد الرحمن محمد ناصر الدين، بن الحاج نوح بن نجاتي بن آدم، الأشقودري الألباني (ت: ١٤٢٠هـ)، المكتب الإسلامي: ٢/ ٨٧٢، رقم(٤٨١١).

(٥٢) ينظر: الكشف والبيان عن تفسير القرآن، أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي، أبو إسحاق (ت: ٤٢٧هـ) تح: الإمام أبي محمد بن عاشور، مراجعة وتدقيق: الأستاذ نظير الساعدي، دار إحياء التراث العربي، بيروت – لبنان، ط١، ١٤٢٢، هـ - ٢٠٠٢ م: ١٠/ ٩، و أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، لمحمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني الشنقيطي (ت: ١٣٩٣هـ)، دار الفكر للطباعة والنشر و التوزيع بيروت – لبنان، ١٤١٥ هـ - ١٩٩٥م: ٨/ ٥٦٠.

(٥٣) الاخلاق الاسلامية واسسها، لعبد الرحمن حسن حنبكة الميداني، طبعة دار دمشق، ط٤، ١٤١٧-١٩٩٦م: ١/ ٢١٥.

(٥٤) الأحزاب: ٢٢.

(٥٥) الأحزاب: ٢٢.

(٥٦) ينظر: الاخلاق في القرآن:١/ ٣٠٦

(٥٧) كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال، المؤلف: علاء الدين علي بن حسام الدين ابن قاضي خان القادري الشاذلي الهندي البرهانفوري ثم المدني فالمكي الشهير بالمتقي الهندي (ت: ٩٧٥هـ)، تح: بكري حياني - صفوة السقا، مؤسسة الرسالة، ط٥، ١٤٠١هـ-١٩٨١م: ١/ ٤٢٠، كتاب حرف الهمزة، باب في الذكر وفضيلته، رقم(١٧٦٩).

(٥٨) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد، لابن أبي الحديد، عبد الحميد بن هبة الله (ت: ٦٥٦هـ)، تح: إبراهيم، محمد أبو الفضل، مكتبة آية الله المرعشي النجفي، قم، ط١، ١٤٠٤هـ: ١٦/ ٦٢.

(٥٩)غرر الحكم ودرر الكلم(مجموعة من كلمات وحكم الإمام علي عليه السلام)، لعبد الواحد بن محمد التميمي الآمدي (ت: ٥٠٥هـ)، تح: السيد مهدي رجائي، دار الكتاب الإسلامي، قم:٦٤٤، رقم (١٢١٩).

(٦٠)تنبيه الخواطر ونزهة النواظر المعروف بمجموعة ورّام، لورام بن أبي فراس، مسعود بن عيسى (ت:٦٠٥هـ)، مكتبة الفقيه، قم، ط١، ١٤١٠ هـ:٢/ ١٢٠.

المصادر

القرآن الكريم.

١. الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان، لمحمد بن حبان بن أحمد بن حبان بن معاذ بن مَعْبدَ، التميمي، أبو حاتم، الدارمي، البُستي (ت: ٣٥٤هـ)، ترتيب: الأمير علاء الدين علي بن بلبان الفارسي (ت:٧٣٩هـ)، تح: وخرج أحاديثه وعلق عليه: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١، ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م.

٢. إحياء علوم الدين، لأبي حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي(ت ٥٠٥هـ)، دار المعرفة - بيروت.

٣. الاخلاق الاسلامية واسسها، لعبد الرحمن حسن حنبكة الميداني، طبعة دار دمشق، ط٤، ١٤١٧هـ-١٩٩٦م.

٤.الأخلاق في القرآن، لآية الله العظمى الشيخ ناصر مكارم شيرازي، مدرسة الإمام علي بن أبي طالب (ع)، قم المقدسة، ط٣، ١٤٢٨ هـ ق.

٥. اصول الدعوة، لعبد الكريم زيدان(ت: ١٤٣٥هـ)، مؤسسة الرسالة، بيروت - لبنان، ١٩٦٨.

٦.أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، لمحمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني الشنقيطي (ت: ١٣٩٣هـ)، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت - لبنان، ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م. تح: الإمام أبي محمد بن عاشور، مراجعة وتدقيق: الأستاذ نظير الساعدي، دار إحياء التراث العربي، بيروت - لبنان، ط١، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠٢ م.

٧. التحرير والتنوير الطبعة التونسية، لمحمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي(ت: ١٣٩٣هـ) ، دار سحنون للنشر والتوزيع - تونس - ١٩٩٧ م.

٨. تنبيه الخواطر ونزهة النواظر المعروف بمجموعة ورّام، لورام بن أبي فراس، مسعود بن عيسى، (ت:٦٠٥هـ)، مكتبة الفقيه، قم، ط١، ١٤١٠هـ.

٩. تهذيب الأخلاق وتطهير الأعراق، لأبي علي أحمد بن محمد بن يعقوب مسكويه (ت: ٤٢١هـ)، حققه وشرح غريبه: ابن الخطيب، مكتبة الثقافة الدينية، ط١.

١٠.الحقايق في محاسن الاخلاق قرة العيون في المعارف والحكم، لمحمد بن مرتضى بن محمود الكاشاني المعروف بالفيض الكاشاني(ت:١٠٩١هـ)، تح: الحاج محسن عقيل، دار الكتاب الاسلامي، ط١، ١٤٠٩هـ- ١٩٨٩م.

١١. دستور الأخلاق في القرآن، لمحمد بن عبد الله دراز (ت:١٣٧٧هـ)، مؤسسة الرسالة، ط١٠ ١٤١٨هـ/ ١٩٩٨م.

١٢. سنن أبي داود، لأبي داود سليمان بن الأشعث السجستاني (ت: ٢٥٧٦هـ)، تح: محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، صيدا - بيروت.

١٣. سنن الترمذي، لمحمد بن عيسى بن سَوْرة بن موسى بن الضحاك الترمذي، أبو عيسى (ت: ٢٧٩هـ)، تح: بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي - بيروت، ١٩٩٨ م.

١٤. شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد، لابن أبي الحديد، عبد الحميد بن هبة الله (ت: ٦٥٦هـ)، تح: إبراهيم، محمد أبو الفضل، مكتبة آية الله المرعشي النجفي، قم، ط١، ١٤٠٤هـ.

١٥. الشوقيات، لأحمد شوقي، الناشر مؤسسة هنداوي، ٢٠٢٠م.

١٦.الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، لأبي نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي (ت: ٣٩٣هـ)، تح: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين - بيروت، ط٤، ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧م.

١٧. صحيح البخاري، لأبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري الجعفي (ت: ٢٥٦هـ)، تح: محمد زهير بن

ناصر الناصر، دار طوق النجاة (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي)، ط١، ١٤٢٢هـ مع الكتاب: شرح وتعليق د. مصطفى ديب البغا أستاذ الحديث وعلومه في كلية الشريعة - جامعة دمشق.

١٨.صحيح الجامع الصغير وزياداته، لأبي عبد الرحمن محمد ناصر الدين، بن الحاج نوح بن نجاتي بن آدم، الأشقودري الألباني (ت: ١٤٢٠هـ)، المكتب الإسلامي.

١٩. صحيح مسلم ، لمسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (ت: ٢٦١هـ)، تح: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي – بيروت.

٢٠.غرر الحكم ودرر الكلم(مجموعة من كلمات وحكم الإمام علي عليه السلام)، لعبد الواحد بن محمد التميمي الآمدي (ت: ٥٠٥هـ) ، تح: السيد مهدي رجائي، دار الكتاب الإسلامي، قم.

٢١. في مفهوم الأخلاق: قراءة فلسفية معاصرة، لعلي اسعد وطفة، مجلة نقد وتنوير، https://tanwair.com/archives/٦٦٠٩.

٢٢.القاموس المحيط، لمجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروز آبادى (ت: ٨١٧هـ)، تح: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، بإشراف: محمد نعيم العرقسُوسي، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان، ط٨، ١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥ م.

٢٣. كتاب التعريفات، لعلي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني (ت: ٨١٦هـ)، تح: ضبطه جماعة من العلماء بإشراف الناشر، دار الكتب العلمية بيروت –لبنان، ط١، ١٤٠٣هـ -١٩٨٣م.

٢٤.كتاب العين، لأبي عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي البصري (ت: ١٧٠هـ) تح: د مهدي المخزومي، د إبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال.

٢٥. الكشف والبيان عن تفسير القرآن، أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي، أبو إسحاق (ت: ٤٢٧هـ)

٢٦.كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال، المؤلف: علاء الدين علي بن حسام الدين ابن قاضي خان القادري الشاذلي الهندي البرهانفوري ثم المدني فالمكي الشهير بالمتقي الهندي (ت: ٩٧٥ه)، تح: بكري حياني - صفوة السقا، مؤسسة الرسالة، ط٥، ١٤٠١هـ-١٩٨١م.

٢٧. لسان العرب، لمحمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعى الإفريقى (ت: ٧١١هـ)، دار صادر – بيروت ، ط٣ ، ١٤١٤هـ

٢٨. مختار الصحاح، لزين الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الحنفي الرازي (ت:٦٦٦هـ)، تح: يوسف الشيخ محمد، المكتبة العصرية - الدار النموذجية، بيروت – صيدا، ط٥، ١٤٢٠هـ- ١٩٩٩م.

٢٩.مسند أبي يعلى، لأحمد بن علي بن المثنى أبو يعلى الموصلي(ت: ٣٠٧ ه)، تح: حسين سليم أسد، دار المأمون للتراث – جدة، ط٢، ١٤١٠ ه - ١٩٨٩ م.

٣٠.مسند أبي يعلى، لأحمد بن علي بن المثُنى ابو يعلي، الموصلي (ت: ٣٠٧هـ)، تح: حسين سليم أسد دار المأمون للتراث – دمشق، ط١، ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤.

٣١.مسند الإمام أحمد بن حنبل، لأبي عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (ت:٢٤١هـ)، تح: شعيب الأرنؤوط - عادل مرشد، وآخرون، إشراف: د عبد الله بن عبد المحسن التركي، مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٢١هـ - ٢٠٠١ م.

٣٢.المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية بالقاهرة، (إبراهيم مصطفى / أحمد الزيات / حامد عبد القادر / محمد النجار)، دار الدعوة.

٣٣.المفردات في غريب القرآن، لأبي القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني (ت: ٥٠٢هـ) تح: صفوان عدنان الداودي، دار القلم، الدار الشامية - دمشق بيروت، ط١، ١٤١٢ هـ

٣٤. منهج القرآن الكريم في إصلاح المجتمع، للدكتور محمد السيد يوسف، دار السلام، القاهرة، ط٣، ١٤٢٨هـ- ٢٠٠٧م.

٣٥. المنهج القرآني لنهضة الفرد المسلم (دراسة موضوعية) رسالة ماجستير لمحمد عبد القادر عياش، ١٤٣٥هـ - ٢٠١٤م، كلية العلوم الاسلامية، قسم اصول الدين، اشراف: أ. م. د. علي جمال علي.

٣٦.موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، لمحمد بن علي ابن القاضي محمد حامد بن محمّد صابر الفاروقي الحنفي التهانوي (ت: بعد ١١٥٨هـ)، تقديم وإشراف ومراجعة: د. رفيق العجم، تح: د. علي دحروج، نقل النص الفارسي إلى العربية: د. عبد الله الخالدي، الترجمة الأجنبية: د. جورج زيناني، مكتبة لبنان ناشرون – بيروت، ط١ - ١٩٩٦م.

عالم سبيط النيلي دراسة في تراثه العلمي

م.م. عباس كاظم عباس
جامعة بغداد /مركز إحياء التراث العلمي العربي

الملخص
إنّ عالم سبيط النيلي (ت/١٧/٨/٢٠٠٠) هو أحد العلامات البارزة في العقدين الاخيرين وما تركه في حياته القصيرة من دراسات وأبحاث تختلف كلياً عن السائد الثقافي والمعرفي ولا يحتاج منا جميعاً افرادا وجماعات ومؤسسات إلا أن نفيه بما يليق من اهتمام ونشر وتوزيع، ليسطع هذا النور العراقي في أرجاء الظلمة وخفايا الجهل وليثبت قدرة العراقيين على مقارعة الظلام برغم شدة القهر المسلط عليهم، وهذا العالم المتنور يجعلنا أكثر برا وقدرة على نفض الغبار عن مؤلفاته وبحوثه لتاخذ حظها في الانتشار وفك أسرار المعرفة بصورة جديدة.

Abstract:
AalimSubaitAl-Neeli(1956-17/8/2000) is one of the prominent signs in the last two decades and what he has left in his short life of studies and researches totally differ from the cultural and cognitive prevailing. He does not need from us all as individuals، groups and institutions but to give him the attention that he deserves as well as publication and distribution so as for this Iraqi light to shine in all the sides of darkness and ignorance ambiguities and to prove the Iraqis، capabilities to fight darkness in spite of the severe injustice they suffer from. And this enlightened world make us more faithful and capacity to remove the dust from his books and researches so as to take their luck and opportunity in circulation and open the codes of knowledge and cognition in a new way.

Keywords: Aalim، intentional meaning، Qur،an، scientific efforts.

المقدمة:

عالم سُبيّطَ النيلي هو أحد علماء النهضة العراقية الحديثة، عُرفَ نهاية حقبة التسعينات من القرن الماضي في الأوساط الثقافية والعلمية واللغوية والمحافل الأدبية والفكرية، فهو مفكر باحث أحاطَ بنتاجاته بجميع جوانب علم الفقه واللغة والتراث والتاريخ، وُلدَ في أسرة ريفية حلية ذات مكانة اجتماعية عام ١٩٥٦م، فوالدهُ سُبَيِّط شاعراً شعبياً مرموقاً، وشقيقهُ رمزاً ثقافياً في ناحية النيل التابعة لمحافظة بابل، ولقب بالنيلي نسبةً إلى ناحية النيل الواقعة شمال الحلة، أكمل دراسته الثانوية في مدينة الحلة، والماجستير حصل عليها في بعثة عسكرية إلى روسيا (الإتحاد السوفيتي سابقاً) في الهندسة الألكترونية عام ١٩٧٩م من جامعة اوديسا / أوكرانيا، وحصل على شهادة دبلوم عالٍ في الترجمة من روسيا. رحل عن الحياة وهو بعمر الشباب (٤٤ عاماً) نتيجة مرض ألمّ به يوم ١٨/٨/٢٠٠٠م، تاركاً نتاجاً معرفياً زاخراً تجاوز (١٤) مؤلف وبحث في الأدب واللغة والثقافة.

عالم سبيط ظاهرة ثقافية متنوعة، حركت الذهن الثقافي التي تشيد بعبقريته الفذة، وكان نتاجه المعرفي كل ما هو جديد في ميدان الفكر والإبداع، وقد وصفه الراحل شيخ المفهرسين د. صباح نوري المرزوك قال: (اعتبر عالم سُبَيِّط في البحث والتأليف واحداً من تلك الظواهر الكونية المتعددة والمتنوعة).تنوعت معارف السيد النيلي الثقافية واتسعت لتشمل علوم اللغة والفقه والأصول والتفسير والفلسفة والتاريخ والفيزياء والرياضيات، وساعده سفره إلى روسيا على الإطلاع على مدارس الأدب والأجناس الأدبية ومناهج البحث اللغوي والتعرف على الفلسفة الأدبية

وأعلام الفكر والأدب الغربي، وكان من المعجبين بشخصية (بوشكين) الشاعر الروسي مما جعله يترجم ديوانه.

أثارت أفكاره زوبعة من الاعتراضات والاتهامات من قبل المؤسسة الدينية، وكذلك بعض أطراف المؤسسة الثقافية، حتى وصل الأمر إلى اتهامه والكفر، لكن بالمقابل حصل النيلي على تأييد ودعم الكثير من الأكاديميين وأساتذة الجامعات في العراق، خصوصا بعد بروز نجمه بعد وفاته، وبعد انتهاء حكم صدام حسين الذي كان يمثل مانعاً رئيسياً من ظهور الفكر النيلي (القصدي) إلى العلن، فعقدت بعض الندوات والأمسيات التي تتناول فكره فأهمت إلى حد ما في ،إنتشار أفكاره واجتيازها حاجر الحدود شيئاً فشيئاً لتصل إلى العديد من الدول العربية و الأقليمية.

الفصل الأول:

السيرة الفكرية والآثار العلمية

-النشأة والوفاة:

هو أبو أحمد عالم بن سُبيِّط بن مجبل المعموري الذي ينتمي الى عشيرة السادة المعماريين في الموصل، ولقب بالنيلي نسبة الى مولده في ناحية النيل الواقعة شمال مدينة الحلة الحالية بمسافة قليلة.

ولد في عام ١٩٥٦م لاسرة ريفية ذات مكانة اجتماعية، واكمل دراسته الابتدائية في مدرسة الصياحية الابتدائية، ودراسته الجامعية في جامعة بابل واكمل الماجستير في روسيا في الهندسة الالكترونية عام ١٩٧٩م، كما حصل على شهادة دبلوم عال في الترجمة(١).

ألقت دراسته الهندسية بظلالها على نظرته للقرآن الكريم ككتاب إلهي يحتوي نظاماً هندسياً يليق بالمتحدث العظيم الذي خلق كل شيء بقدر، فحري بكلامه أن يكون دقيقا ومحتوياً لنظامٍ هندسيٍ متكاملٍ بدءاً من الحروف وصولاً إلى المفاهيم.

وهذا ما دفعه إلى رفض تبني نفس الطرائق الموروثة لدى المفسرين واللغويين في فهم القران الكريم. وقد وضع في كتابه النظام القرآني جملة من المبادئ لقراءة كتاب الله ومعاملته بطريقة تختلف عن طريقة التعامل مع كلام خلقه ايمانا منه بان كلام الخالق قصدي الدلالة وكلام خلقه قد يتخلله الاعتباط والعشوائية في توظيف الدلالات كالمجاز. والترادف والمشترك اللفظي وغيرها، لكن بالمقابل حصل النيلي على تأييد ودعم الكثير من الأكاديميين واساتذة الجامعات في العراق، لاسيّما بعد بروز نجمه بعد وفاته وبعد انتهاء حكم النظام السابق في عام ٢٠٠٣ الذي كان يمثل مانعا رئيسيا من ظهور الفكر النيلي القصدي إلى العلن، فعقدت بعض الندوات والامسيات التي تتناول فكره فأسهمت إلى حد ما في انتشار أفكاره واجتيازها حاجر الحدود شيئا فشيئا لتصل إلى العديد من الدول العربية والاقليمية(٢).

تأثر الكثير من الأكاديميين والمثقفين بافكاره ونظرياته فاخذ بعضهم على عاتقهم اكمال ما ابتدأه النيلي ببحوث تعتمد المنهج القصدي الذي اسسه سواء على الصعيد القراني او على الصعيد الفكري بشكل عام كالتأريخ واللغة والفلسفة. ولقد انشأ أكثر من موقع مستقل في صفحات الانترنيت وأكثر من صفحة ومجموعة على الفيسبك تتناول الفكر النيلي. وترك العديد من الاثار والمؤلفات حول نظريته القصدية في القران الكريم، وقد كان لوفاته صدى كبير في الاوساط العلمية(٣).وقد ألقت دراسته الهندسية بظلالها على نظرته للقرآن الكريم ككتاب إلهي يحتوي نظاماً هندسياً يليق بالمتحدث العظيم الذي خلق كل شيء بقدر، فحري

بكلامه أن يكون دقيقاً ومحتوياً لنظام هندسي متكامل بدءاً من الحروف وصولاً إلى المفاهيم. وهذا ما دفعه إلى رفض تبني نفس الطرائق الموروثة لدى المفسرين واللغويين في فهم القرآن الكريم. وقد وضع في كتابه النظام القرآني جملة من المبادئ لقراءة كتاب الله ومعاملته بطريقة تختلف عن طريقة التعامل مع كلام خلقه إيمانا منه بان كلام الخالق قصدي الدلالة وكلام خلقه قد يتخلله الاعتباط والعشوائية في توظيف الدلالات كالمجاز والترادف والمشترك اللفظي وغيرها(٤).

ليس القرآن الكريم هو الوحيد قصدي الدلالة في نظر عالم سبيط وإنما حديث النبي (صلى الله عليه وآله) وأهل البيت (عليهم السلام) أيضا، بل إنه يرى أن اللغة في الأصل وبشكلها العام قصدية الدلالة أيضا لكن تغير الظروف الزمكانية والاجتماعية هي التي تتحكم بمدى ثبات قصدية لغة مجتمع ما من عدمه. لقد استطاع إلى حد ما من إيجاد روابط عميقة بين قصدية كلام النبي (صلى الله عليه وآله) وأهل بيته (عليهم السلام) وبين كلام الله تعالى(٥).

أثارت أفكاره زوبعة من الاعتراضات والإتهامات من قبل المؤسسة الدينية، وكذلك بعض أطراف المؤسسة الثقافية حتى وصل الأمر إلى إتهامه بالعمالة والكفر ولم يسعفه الوقت للرد على تلك الإتهامات لأنه قد وافاه الأجل مسموماً في ليلة الجمعة في اليوم السابع عشر من شهر آب لسنة ٢٠٠٠ عن عمر الرابعة والأربعين(٦).

لكن بالمقابل حصل النيلي على تأييد ودعم الكثير من الأكاديميين وأساتذة الجامعات في العراق، خصوصا بعد بروز نجمه بعد وفاته، وبعد سقوط النظام السابق في عام ٢٠٠٣ الذي كان يمثل مانعاً رئيسياً من ظهور الفكر النيلي القصدي إلى العلن، فعُقدت بعض الندوات والأمسيات التي تناولت فكره فساهمت إلى حد ما في نشر أفكاره واجتيازها حاجز الحدود شيئاً فشيئاً لتصل إلى العديد من الدول العربية والإقليمية والقراء العرب حول العالم(٧). تأثر الكثير من الأكاديميين والمثقفين بأفكاره ونظرياته فأخذ بعضهم على عاتقهم إكمال ما أبتدأه النيلي ببحوث تعتمد المنهج القصدي الذي أسسه سواء على الصعيد القرآني أوعلى الصعيد الفكري بشكل عام كالتأريخ واللغة والفلسفة. ولقد أُنشئ أكثر من موقع مستقل في صفحات الإنترنت وأكثر من صفحة ومجموعة على الفيسبوك تتناول الفكر النيلي وأخذت بالانتشار المطرد(٨).

- كتبه وانجازاته (آثاره العلمية)(٩):

١.اللغة الموحدة: في ثلاثة أجزاء، كتاب يؤسس لنظرية جديدة في علم اللغة العام تقوم على مبدأ قصدية الإشارة اللغوية وهذه النظرية هي بمثابة الجزء الأساس من مشروع (الحل القصدي للغة)، يكشف عن الدلالة (الحركية) الكامنة في الأصوات وبالتالي عن الدلالة العامة في الألفاظ.

٢.النظام القرآني مقدمة في المنهج اللفظي. وفيه مبادئ المنهج اللفظي لأجل التعامل بقصدية مع كتاب الله. ويعد هذا الكتاب من أهم كتبه في المجال القرآني.

٣.نظام المجموعات. يصنف فيه المجاميع القرآنية قصديا (كالمؤمنون والذين امنوا والكافرون والكفار والكفرة وغيرهم ويشرح الفرق بين المجموعات وفق القرآن) ويشرح عائدية الضمائر في بعض الآيات وتفسيرها حسب المنهج اللفظي وتقسيم المجموعات الكبيرة إلى مجموعات فرعية وكذلك ترتيب المجموعات عددياً من

حيث ترابطها زمانياً أو مكانياً.
٤.الحل القصدي للغة في مواجهة الاعتباطية. ينقد فيه الكثير من الآراء الفلسفية واللغوية التي تبناها مشاهير العلماء مثل فرديناند دوسوسور وعبد القاهر الجرجاني والفارابي وغيرهم.
٥.الحل الفلسفي بين محاولات الإنسان ومكائد الشيطان. نقد للكثير من الفلسفات القديمة والمعاصرة في مشهد فيه مزيج من الفن القصصي والمسرحي.
٦.البحث الأصولي بين الحكم العقلي للإنسان وحكم القرآن. نقد للفكر الأصولي الذي تتبناه الكثير من المؤسسات الدينية، ويشاع أنه قد ألفه في أقل من شهر واحدٍ.
٧.المحاضرات القصدية.
٨.حوارية الكفر والإيمان.
٩.بين النشاز الديني والانغلاق الثقافي. وفيه نقد للمؤسسة الثقافية وبعض أعلامها كـ)نصر حامد أبوزيد) و(محمد شحرور) و(محمد عمارة) و(صادق جلال العظم وغيرهم).
١٠.الشهاب الثاقب للمحتج بكتاب الله في الرد على أحمد الكاتب.
١١.نجوم القرآن الكريم في ولاية أمير المؤمنين (توفي ولم يكمله).
١٢.ملحمة كلكامش والنص القرآني. يتحدّث عن وحدة الشخصيتين كلكامش وذي القرنين على ضوء اللغة والعلم والنص القرآني ويثبت وحدتهما بين الملحمة المذكورة في الالواح البابلية والسومرية وبين القرآن والاحاديث المروية عن ذي القرنين.
١٣.طور الاستخلاف (الطور المهدوي): دراسة في مستقبل الجنس البشري وحتمية الطور المهدوي على ضوء القرآن والسّنة. يتميز الكتاب بشرح العلامات الكونية ذات البعد الفلكي التي تحدث قبل الطور المهدوي ووراثة الارض. ويوجد جزء ثاني بعنوان العلامات الاجتماعية أوجنات الطور المهدوي ولم يصدر بعد.
١٤.أصل الخلق وأمر السجود بين الولاية والتوحيد.
١٥.الشهادة الثالثة لـعلي بن أبي طالب (توفي قبل إكماله).
١٦.الطب القرآني.

الفصل الثاني

المنهج القصدي لدى عالم سبيط النيلي

- المنهج:

جاء في لسان العرب:
«طريق نهج بين واضح، والجمع نهجات ونهج ونهوج، ونهج الطريق وضحه، والمنهاج كالمنهج»
(١٠). وفي التنزيل: {لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا}(١١). ونهجت الطريق أثبته وأوضحته، يقال: إعمل على ما نهجته لك، ونهجت الطريق سلكته، وفلان يستنهج سبل فلان، أي: يسلك مسلكة، والنهج الطريق المستقيم. وفي معجم مقاييس اللغة: «النهج الطريق، ونهج لي الأمر: أوضحه، وهو مستقيم المنهاج والمنهج الطريق أيضاً، والجمع المناهج» (١٢).

إنّ حجر الزاوية في فكر عالم سبيط النيلي، يكمُن في رؤيته إلى اللغة، إذ لا يرى اللغة حاملةً للفكر، بل يعتبرها الفكرَ نفسه، وبناءً عليه تبدأ عمليّة إصلاح الفكر من خلال إصلاح اللغة، فما هو السائد من إصلاح الأفكار بعيداً عن اللغة أمرٌ مرفوضٌ تماماً؛ لأنّ البِنية التحتيّة للأفكار ليست إلا اللغة، فيجب أن نبدأ من اللغة نفسِها لإصلاح الأفكار، وهو شيء يذكّرنا بتوجّهات الفلسفة التحليليّة المعاصرة (Analytic Philosophy)(١٣).
ولذلك، يمكن أن نقول بأنّه يعتقد بأنّ

إصلاح الفكر ـ ولاسيّما الفكر الديني ـ ينشأ من إصلاح اللغة، لا من إصلاح العقل ولا الفلسفة، ولا من إصلاح الزوايا الأخرى. إذن، حجر الزاوية هي اللغة، وهي المنطلق الأساس للعمليّات الإصلاحيّة، فإذا استطعنا إصلاح اللغة، وفهمنا القضيّة اللغويّة، فإنّنا بذلك نكون قد نجحنا في فتح الباب الصحيح للوصول إلى الحلّ، ولذلك هو يسمّيه (الحلّ القصدي)، ممّا يوحي بأنّ ثمّة مشكلة نريد أن نحلّها، وهو يرى أنّ حلّ هذه المشكلة يكون بدايةً من اللغة. من هذه الزاوية بالخصوص، انطلق القصديّون نحو انتقاد الفلاسفة والعرفاء وعلماء التاريخ وأصول الفقه وغيرهم، معتبرين أنّ الحلّ الوحيد للمشاكل الإنسانيّة اليوم، إنّما يكمن في اللغة، فهاجموا جميع المداخل الأخرى بما فيها المدخل الفلسفي والعرفاني والتاريخي وغيرها، وسوف نشير باختصارٍ بالغ، إلى بعض مداخلاتهم النقديّة على هذه المداخل. وبما أنّ المنهج المقصدي، منهجٌ نقديٌّ بالدرجة الأولى، فلكي نوضّح طريقة تفكير القصديّين(١٤).

- المنهج القصدي ونقد المناهج التاريخية عند النيلي:

ينطلق المنهج القصدي في نقد الفلاسفة والمناطقة من العلاقة الجدليّة بين تعاظم «الأنا» وتعالي الاختلاف بين أبناء الأمّة، حيث اعتبر القصديّون أنّ الفلاسفة ـ شرقاً وغرباً ـ اعتقدوا بأنّ إصلاح الفكر يتمّ عبر إصلاح العقل، أي بدراسة العقل، وبتحليل مناشط التفكير، فإذا أصلحنا حركة العقل في استنتاجاته، نكون بذلك قد أصلحنا حياتنا(١٥).ينتقد عالم سبيط النيلي هذه الفكرة، ويعارض الفلسفة بمدارسها الشرقيّة والغربيّة معارضةً شديدة، معتبراً أنّ مدخلَهم العقلي لحلّ الأزمة الإنسانيّة هو مدخلٌ غيرُ صحيح؛ لأنّهم انطلقوا من الذات إلى الخارج، حيث أسّسوا علم المنطق وعلم المعرفة، فانطلقوا من فهم الذات، وفهم العقل، وفهم التفكير للوصول إلى الخارج، وهو ما يسمّيه القصديّون بـ «الأنانية»، ولهذا يقولون: من هنا تعملقت الذات الفلسفيّة، وصار الفيلسوف يرى نفسه كبيرا(١٦).

كلّما كان الموضوع عبارة عن شيءٍ خارج الذات، تلاشى الاختلاف وأتى الاتّفاق، وكلّما كان الموضوع هو عبارة عن الذات تعاظم الاختلاف وزاد الشقاق(١٧).

- المنهج القصدي ونقد المناهج التاريخيّة:

طالت انتقادات القصديّن المناهج التاريخيّة أيضاً، فاعتبروا أنّ المناهج التاريخيّة بكلّ أشكالها بما فيها علم الحديث، وعلم الرجال، وعلم التاريخ وغيرها، كلّها أخطاءٌ كبرى حصلت في تاريخ الأمّة؛ لأنّه لا يمكن إثبات التاريخ بواسطة الوثائق وعلم الرجال والأسانيد والحديث وما شابه ذلك، بل جاء علم الرجال ـ من وجهة نظرهم ـ لتبرير المزيَّفات لا لتمييز المزيّف عن غيره، ولا قيمة لعلم الأصول بكلّ مناهجه الإثباتية التاريخية ـ نحو الخبر الواحد، السيرة، الإجماع ولا حتى علوم القرآن بالطريقة السائدة، إذاً، يجب إغلاق هذه الأبواب بأجمعها(١٨).

وبعد أن أنكر المنهج القصدي جميع المداخل العرفانية والعقلية والتاريخيّة بجميع أشكالها، لم يبقَ أمامه إلا اللغة، التي يعتبرها هو الحلّ، لكن لا اللغة في مناهجها القديمة؛ لأنّها أيضاً باطلةٌ من وجهة نظره، بل القصديّون يعتبرون أنّ أكبر مجرم في تاريخ الإنسانيّة هم علماء اللغة أنفسهم، الذين دمّروا اللغة تحت شعار الدفاع عن اللغة وتقعيدها(١٩).

- المنهج القصدي ونقد المناهج اللغويّة

القديمة:

تكمن المشكلة الأساس في اعتقاد المناهج اللغويّة القديمة باعتباطيّة اللغة، فلو رصدنا كلّ التيّارات اللغويّة ورموز اللغة في العالم، وعلى رأسهم «الجرجاني» من المسلمين، و«دي سوسير» في الغرب، وهم المنظّرون لأغلب التيارات اللغويّة السائدة، سنجدهم يقولون ما يعتبره القصديون تناقضاً، إنّهم يقولون: إنّ اللغة نظامٌ غير منطقي (اعتباطي). هذه الفكرة متناقضة في نفسها؛ لأنّها تعتبر من جهة أنّ اللغة نظامٌ ممّا يعني أنّها تقوم على أسسٍ منظّمة ومنطقيّة، ومن جهة أخرى تعتبر أنّ اللغة غير منطقيّة، وهذا ليس إلا التناقض(٢٠).

وتعتبر المناهج اللغوية السائدة أنّ اللغة وُلدت بطريقة عفويّة، أي غير مخطّط لها، فلا توجد أيّة علاقة تكوينيّة بين اللغة والمعاني، وإنّما هي مواضعة اعتباريّة ارتبطت من خلالها كلمةٌ ما بمعنى معيّن، فاللغة قائمةٌ على الاعتباطيّة والعفويّة. على هذا الأساس، لا توجد علاقة ذاتيّة تربط الألفاظ بمعانيها(٢١).

إنّ هذا التصوّر هو الذي أسّس للاعتباطيّة والفوضى اللغويّة؛ لأنّ المفروض عدم وجود علاقة ذاتيّة تكوينيّة بين الكلمات والمعاني خلافاً لما نراه في الأمور الطبيعيّة، حيث يرتبط كلّ شيء بالآخر نتيجةَ علاقاتٍ سببيّة تكوينيّة(٢٢).

إنّ القول باعتباطيّة اللغة عند عالم سبيط النيلي لن يقف عند ذلك، بل هناك تجلّيات لهذه النظريّة لا يمكن القبول بها؛ لأنّها في الحقيقة جريمةٌ في حقّ اللغة والتفسير، وسوف تؤدّي إلى خسارةٍ عظيمة في اللغة نفسها، وبذلك حدد ستة نماذج أساسيّة من نتائج القول باعتباطيّة اللغة، وفقاً لقناعات القصديّين(٢٣)، وهي:

١- الترادف:

إنّ المناهج السائدة تقبل بوجود الترادف في اللغة، وهذا ما سيؤدّي إلى خسران كلمة من الكلمات، إذ بما أنّهم أنكروا أيّ علاقة بين الألفاظ والمعاني تصوّروا أنّ الكلمتين تؤدّيان معنى واحداً، في حين هذا الكلام غير صحيح أبداً؛ لأنّ هناك علاقة تكوينيّة بين الأصوات ومعانيها، ووراء كلّ لفظ (صوت) قصدٌ للمتكلّم، وكلّ كلمة لها إيقاعٌ صوتي معيّن، ولها تسلسلٌ وتعاقبٌ للأصوات(٢٤).

٢- الحذف:

إنّ الجريمة الثانية التي ارتكبها المنهج الاعتباطي في فهم النصوص، هو حذف الألفاظ انطلاقاً من تفسيرهم الخاطئ للنصّ، وعلى سبيل المثال عندما واجهوا الآية القرآنية التي تقول: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ﴾ (الحجر: ٢٦)، تصوّروا أنّ المسنون هنا لا معنى له؛ لأنّنا إذا راجعنا الكتب اللغويّة، سنجد أنّ الحمأ يعني الطين المتعفّن، وإذا راجعنا معنى «المسنون»، فسنجدهم يترجمونها بالمتعفّن، فيصبح معنى الآية هكذا: (ولقد خلقنا الإنسان من طينٍ متعفّنٍ متعفّن)، فتصبح كلمة المسنونِ بلا معنى، وبذلك نكون قد خسرنا كلمةً قرآنية، وكأنّ الله قد استخدم هذه الكلمة عبثاً ولغواً، وهذا هو مركز الجريمة، بل ينبغي أن يكون لكلمة «مسنون» معنى، ولكلمة «حمأ» معنى آخر، وعلينا أن لا نفترض معاني متداخلة، حتى لا نخسر لفظاً من الألفاظ(٢٥).

٣- التقديم والتأخير:

بما أنّ الاعتباطيّ أنكر أيّ علاقة تكوينيّة بين الألفاظ والمعاني، فقد اخترع مفهوم «التقديم والتأخير» في الجمل والتراكيب النحويّة، ظنّاً منه أنّ المكان الحقيقي

للألفاظ قد يختلف اعتباطاً، في حين ثمّة قصدٌ من وراء التراكيب النحويّة أيضاً، فكلّ كلمة تقع في مكانها الحقيقي دوماً، ولا يوجد تقديمٌ أو تأخيرٌ؛ لأنّ كلّ تركيب يفيد تعاقباً صوتيّاً معيّناً، فلا يمكن أن نقول بأنّ هذا التركيب في معنى ذاك التركيب اعتباطاً كما يفعل المفسّرون، انطلاقاً من عدم اعتقادهم بوجود علاقة تكوينيّة بين الألفاظ ومعانيها، أمّا في العقليّة القصديّة، ثمّة قصدٌ معيّن من وراء أيّ إيقاع صوتي في الكلام، فلا يمكن أن نعتبر المتقدّم متأخّراً أو نعتبر المتأخّر متقدّماً، فما يفعله العلماء من التقديم والتأخير في النصوص ليس إلا جريمة في حقّ اللغة(٢٦).

٤- إيقاع التناقض داخل النصّ:

لقد خلقت المناهج الاعتباطيّة في اللغة تناقضات في فهم النصوص، كما خلق الفلاسفة معارك فكريّة، ثم حاولوا إيجاد حلّ لما اختلقوه من تناقضات! وهذا ما أدّى إلى تصرّفهم في معاني الكلمات(٢٧).

ويذكر النيلي هنا مجموعة من الشواهد على اختلاق المعارك وافتعال الأزمات، في حين لا توجَد أزمةٌ أصلاً، وعلى سبيل المثال فهم تصوّروا أنّ قوله تعالى: ﴿..فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾ (المؤمنون:١٤) متناقضٌ مع قوله: ﴿..قُلِ اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ﴾ (الرعد: ١٦)؛ لأنّ «الأحسن» صفة التفضيل، وهذا يعني أنّ هناك خالقاً آخر، ولكنّ الله هو الأفضل منهم، بينما على أساس الآية الثانيّة لا يوجد خالقٌ غير الله، فبدأت المعركة، وربما تصرّف بعضهم في معنى الأحسن ليقول: إنّ الأحسن هنا بمعنى الحسن، ولكن لو فكّرنا بعقليّة المنهج القصدي لا يوجد أيّ تناقض في هاتين الآيتين، لأنّنا نقول بأنّ الله تبارك وتعالى أحسن الخالقين؛ لأنّه خالق الخالقين، فيوجد هناك خالقٌ آخر، ولكنّه بدوره مخلوقٌ لله تبارك وتعالى، وبهذا لا نحتاج إلى التصرّف في معاني الكلمات(٢٨).

٥- المجاز:

يعتقد المنهج القصدي أنّه لا يوجد مجازٌ في اللغة، وأنّ المجاز من مخترعات العلماء للخروج عن مشكلة استصعب عليهم حلّها، ومن الطبيعي أنّ إنكار المجاز نظريّة قديمة، وهناك من يقول بها من القدماء كالسكّاكي، ومن المتأخرين كالخميني في الجملة، لكنّ كيفيّة تخريجهم تختلف عن تخريج القصديّين، فكيف نحلّ مشكلة استخدام كلمة واحدة كالأسد في الحيوان المفترس والرجل الشجاع؟ إنّ الحلّ يكمن في العلاقة التكوينيّة بين كلمة الأسد ومعناها، إذ كلمة الأسد لها إيقاعٌ صوتيّ وإيقاعها الصوتي يعطي معنى واحداً، وهو القوّة والمِنعة، والأسد الذي اعتبروه المعنى الحقيقي هو أحد مصاديق هذا المعنى الأصلي، والأسد الذي اعتبروه المعنى المجازي ـ أي الرجل الشجاع ـ ليس تشبيهاً بالحيوان المفترس، بل لأنّه مصداقٌ حقيقيّ لهذا المعنى الأصلي بسبب وجود القوّة والمنعة فيه، وكلماتٌ نحو السُؤدَد والسيادة أيضاً أتت من نفس التركيبة اللغويّة لكلمة «الأسد»، فافتراض المعنى الحقيقي والمجازي باطلٌ من الأساس، بل يرجع الجميع إلى جامع واحد، وهو المعنى الأصلي لكلمة الأسد والباقي مصاديق لهذا الجامع(٢٩).

٦- تقدير المحذوفات:

بما أنّ المنهج الاعتباطي لم يفهم العلاقة الحقيقيّة بين اللفظ والمعنى، فقد ذهب إلى تقدير المحذوفات في بعض النصوص التي استصعب تخريجها، كقوله تعالى: ﴿وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ الَّتِي كُنَّا فِيهَا وَالْعِيرَ الَّتِي

أَقْبَلْنَا فِيهَا وإِنَّا لَصَادِقُونَ﴾ (يوسف: ٨٢)، حيث اعتبر أنّ السؤال عن القرية غير معقول، فكلمة الأهل هنا مقدّرة، فكانت الجملة في الحقيقة: واسأل أهل القرية، بينما المنهج القصدي يعتبر هذا التقدير جريمة في حقّ اللغة؛ لأنّه لا توجد ألفاظٌ مسكوت عنها، بل كلّ الألفاظ التي كانت مؤثّرة في إفادة المعنى قد ظهرت ولا يوجد شيءٌ خلف الستار لنفترض وجوده(٣٠).

ومما تقدم نرى إنّ المناهج اللغويّة السائدة باطلة من حيث إنّها تقوم على الاعتباطيّة؛ لأنّ اللغة نظامٌ صارم، فما افترضه العلماء من التساهلات في توصيف اللغة نابعٌ من عدم فهمهم الكامل لهذا النظام الصارم، فذهبوا إلى وجود الترادف، والتقديم والتأخير، والحذف، والمجاز وغيرها، في حين إذا علمنا العلاقة التكوينيّة في نظام اللغة ندرك أنّه لا دليل على أيّ واحد من هذه التصرّفات والتساهلات.

والغريب عند القصديين أنّ علماء اللغة رغم اعتباطهم قد وضعوا قواعد للغة! وهو ما اعتُبر ـ قصديّاً ـ تناقضاً في المناهج اللغويّة السائدة.

الفصل الثالث

النتائج المترتبة على استخدام المنهج القصدي في تفسير القرآن الكريم لدى عالم سبيط النيلي

١- اكتشاف القراءة الصحيحة للقرآن الكريم:

سيُمكّننا هذا المنهج القصدي من اكتشاف القراءة الصحيحة للقرآن الكريم، عبر مدى انسجام القراءة مع تلك اللغة الموحّدة، فإذا كانت قراءة منسجمة مع تلك اللغة الموحّدة، نستنتج أنّها هي القراءة الصحيحة.وعلى سبيل المثال عندما وصل عالم سبيط النيلي إلى كلمة «قضى» وفقاً لحساباته، استنتج أنّها تفيد معنى الحتم، ثمّ استقرأ جميع الآيات القرآنية فاستجابت جميعها للفكرة التي اكتشفها في هذه الكلمة، إلا آية واحدة، وهي: ﴿وَقَضَى رَبُّكَ أَلاَّ تَعْبُدُوا إِلاَّ إِيَّاهُ وبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلاَهُمَا فَلاَ تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ ولاَ تَنْهَرْهُمَا وقُلْ لَهُمَا قَوْلاً كَرِيماً﴾ (الإسراء: ٢٣)، حيث لا يمكن أن تكون «قضى» في هذه الآية الشريفة بمعنى الحتم والتحقّق، إذ لو كان المقصود الحتم، يجب أن لا يكون على وجه البسيطة مشركٌ بالله تعالى، وغير محسن إلى والديه، بينما نرى بأمّ أعيننا أنّ الشرك وعدم الإحسان للوالدين شائعٌ بين أبناء البشر، فما هو الحلّ؟(٣١)

بقي النيلي ـ حسب قوله ـ أربع سنوات يفكّر في هذا الموضوع؛ لأنّ جميع القراءات الموجودة والمتداولة هي: ﴿وَقَضَى رَبُّكَ أَلاَّ تَعْبُدُوا﴾، إلى أن وصل إلى رواية ضعيفة السند، جاء فيها: «وقضى! لو قضى ما أشرك بالله أحد، إنّما هي ووصّى ربك»(. من هنا رجّح النيلي هذه القراءة الضعيفة ـ حسب المناهج التاريخيّة ـ على غيرها؛ تمسّكاً بالمنهج القصدي في التفسير؛ لأنّه يعتبر أنّ آليات البحث التاريخي لإثبات القراءات القرآنيّة غير صحيحة، بل المهمّ انسجام القراءة مع تلك اللغة الموحّدة؛ لأنّها أمرٌ يقيني لا يمكن التخلّف عنه(٣٢).

وبذلك تكون النتيجة الأولى هي اكتشاف القراءات الصحيحة للقرآن الكريم وتحديدها.

٢- ارتفاع التناقضات:

إذا طبّقنا المنهج القصدي في التفسير فلن نجد أيّ تناقض في القرآن كي نحتار في حلّه، ونتمسّكَ بتأويلات وتكلفات في تفسير الآيات، وعلى سبيل المثال تصوّر المنهج السائد في التفسير أنّ يوم القيامة له ٢٤ أو ٢٧ إسم في القرآن الكريم، ولهذا وقع

في تهافتات وتناقضات في توجيه أحوال يوم القيامة، بينما هذا التصوّر باطلٌ من الأساس؛ لأنّ هذه الأيام هي غير يوم القيامة، إنّها أيامٌ مستقلّة ولها أحوالها المستقلّة، فيوم التغابن غير يوم القيامة، ويوم الدين غير يوم التغابن وهكذا، فهناك أربع وعشرين يوماً في نهاية الزمان، وعلى هذا بنى النيلي رؤيته لقضيّة المهدويّة، وأعاد النظر في كثير من الآيات التي افترضت أنّها تتحدّث عن يوم القيامة، لكي يقول بأنّ هذه الآيات مرتبطة بالإمام المهدي×، وكلّ هذا الخطأ نشأ من تصوّر الترادف بين هذه الأسماء، فافترضوا وجود أسماء مختلفة ليوم القيامة، بينما هذه الآيات تتحدّث عن حُقب زمنيّة مختلفة سوف تحدث في آخر الزمان، وهذا ما سيغيّر نظرتنا لكلّ قضيّة المعاد، وسترتفع التناقضات المتصوّرة في أحوال القيامة، حيث تحدّث القرآن الكريم في موضع عن تكفير السيئات، وفي موضع آخر يتحدّث عن الحبط، وفي موضع ثالثٍ عن رؤية جميع الأعمال وهكذا، الأمر الذي قد يبدو تناقضاً في بيان أحوال القيامة، لكنّها سوف ترتفع بهذا التصوّر الذي أتى به المنهج القصدي(٣٣).

٣- ارتفاع الجدل التفسيري القائم على التقديرات:إذا طبّقنا المنهج القصدي في التفسير، ستزول مساحة هائلة من الجدل التفسيري القائم على الافتراضات والتقديرات، حيث اعتبروا الفعل الماضي في مكانٍ فعلاً مضارعاً وبالعكس، أو حملوا بعضَ الكلمات على كلماتٍ أخرى نتيجةَ عدم فهمهم الصحيح للغة التكوينيّة الموحّدة، فكلّ هذه التقديرات والافتراضات التي نجدها في الكتب التفسيرية، ستذهب أدراج الرياح(٣٤).

٤- التحولات في هويّة الباحث في القرآن الكريم:

سيخرج تفسير القرآن الكريم عن إطار العلوم الإنسانيّة، ويدخل في ضمن العلوم الطبيعيّة؛ لأنّنا حسب الفرض نبحث عن العلاقات التكوينيّة الواقعيّة بين الأصوات ومعانيها، وهذا من شأن العلوم الطبيعيّة لا العلوم الإنسانيّة كالفلسفة والآداب(٣٥).

٥- تصحيح الروايات التاريخية الواردة في القرآن الكريم:

يُنكر المنهج القصدي جميع المداخل التاريخيّة، ومنها علم الرجال والحديث؛ لأنّ المعيار في تقويم الروايات عنده انطباقها على تلك اللغة الموحّدة، وليس المعيار تصحيح الأسانيد أو غيرها كما هو الأمر في علم الرجال أو الحديث، وبهذا سيتمكّن القصدي من تصحيح عددٍ هائلٍ من الروايات الواردة عن النبي وأهل البيت (عليهم الصلاة والسلام)، والتي افتُرضت معارضةً للقرآن الكريم أو ضعيفةً من جهة الإسناد(٣٦).

ولذلك يمكن عدّ النيلي رجلاً إخباريّاً من هذه الزاوية، بل متمرّساً في الإخباريّة، إذ يعارض الأصوليّين ويعتقد بصحّة الكثير من الروايات التي تصنّف في عداد الضعاف، وبذلك سيؤدّي المنهج القصدي إلى تغييرات كبيرة جدّاً في منظومتنا المعرفيّة.

ومن خلال ذلك، أنّ بإمكان القصديّ الآن إذا واجه آية معيّنة تصطدم بمشكلةٍ ما، أن يفترض تحريفها، ثم يُثبت النصّ الأصلي بعمليّة ترجيح لغوية محضة، دون ضرورة لوجود رواية أو قراءة أو نقل تاريخي ولو ضعيف على صيغة لفظيّة معيّنة.

الخاتمة:

ومن خلال ما تقدم في بحثنا، توصلنا إلى أن القصدية اللغوية لها جذور تاريخية، حيث نجد لها صدى واضح عند أصحاب

المناسبة الذاتية بين اللفظ والمعنى وخاصة عند عباد الصيمري، وليست هي جديدة تماما، فقد ذهب علماء علم الحروف من أهل الجفر والتكسير وأهل الأوفاق والأعداد قاطبة وبعض المعتزلة إلى إثبات المناسبات الذاتية والمرابطات الحقيقية في كل الأمور التوقيفية، وكلامهم يحتمل أن يكون معناه أن بين الألفاظ والمعاني مناسبة ذاتية تنشأ منها الدلالة، لكنه محتاج إلى الواضع للتبيين والكشف، وهذا الكلام باطل لا يتصور؛ لأن الألفاظ ما خلقت في أصل فطرتها على هذه الهيئات المخصوصة بالضرورة وإنما خلقت حروفاً أو كما يقول دي سوسير (فونيمات تحمل معنى) وهي الستة والعشرون أو الثمانية والعشرون أو التسعة والعشرون والثلاثة والثلاثون حرفاً على اختلاف اللغات، وهي مواد لكل اللغات على كثرتها وتباينها، وكلها مصوغة منها، فلا يصح أن تكون هذه الحروف بذاتها مناسبة لبعض المعاني بحيث تنشأ منها الدلالة عليها دون غيرها كما يزعم عالم سبيط، ولا أحد ممن شم رائحة العلم يدعى ذلك بل ولا المجنون، نعم الدلالة إنما تحصل بعد التأليف والتخصيص للمعنى المناسب وهو قول مولانا الرضا عليه السلام على ما رواه في التوحيد والعيون ما معناه: (أن الحروف ليس لها معاني غير أنفسها فإذا أردت ذلك تؤلفه لمعنى محدث لم يكن قبل ذلك)، فالنيلي على زعم أهل المناسبة الذاتية والقصدية يؤلف الحروف المتناسبة لذلك المعنى بمادته بالمناسبة النوعية وبصورته الشخصية، فيؤلف ويعين ذلك اللفظ لذلك المعنى فحصلت الدلالة بتأليف المؤلف بمناسبة تلك الألفاظ للدلالة على تلك المعاني.

وهذا هو الأساس الذي بنى عليه النيلي كامل القواعد والأسس في النظام القرآني، افترض النيلي أن الكلمات (والأحرف) هي أمور ذاتية (أي مقصودة بذاتها)، وبالتالي يجب معاملتها معاملة موضوعية.

الهوامش والمصادر

(١) ويكيبيديا، الموسوعة الحرة؛ ينظر: ابن منظور، لسان العرب، دار صادر، بيروت، د.ت، ص٣٥٣-٣٥٤.
(٢) ويكيبيديا، الموسوعة الحرة؛ إبراهيم مصطفى وآخرون، المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية، الإدارة العامة للمعجمات وإحياء التراث، دار الدعوة للتأليف والطباعة والنشر، استانبول- تركيا، ١٩٨٩، ج٢، ص٧٧٦.
(٣) ويكيبيديا، الموسوعة الحرة؛ د. جميل صليبا، المعجم الفلسفي، ط١، منشورات دار ذوي القربى، د.ت، ج٢، ص١٩٣.
(٤) عباس الفيلي، للمثقفين فقط! هل تعرف عالم سبيط النيلي؟..المفكر الكبير الذي قلب كل المسلّمات الدينية رأساً على عقب!، مقالة منشورة على موقع كتابات بتاريخ ٢٢ تموز ٢٠١٥.
(٥) حيدر حب الله، المنهج القصدي في اللغة والنظام القرآني - مطالعة وتعريف، تحرير وتنظيم: الشيخ سعيد نورا، مركز العترة الطاهرة للدراسات والبحوث، د.ت.
(٦) المصدر نفسه؛ عالم سبيط النيلي، الحل القصدي للغة، ص٢٣٦.
(٧) نبيل عبد الامير الربيعي، قراءة في إنجازات عالم سُبَيْط النيلي، الحوار المتمدن، العدد ٥١٥٩، ٢٠١٦/١١/٥.
(٨) ناظم السعود، في ذكرى رحيله عالم سبيط النيلي: ذكريات وحوار لم يكتمل!، على موقع قراءات، ٢٠٠٧/٨/١٨.
(٩) علي فضيلة خضير الشمري، الْمَنْهَج الْقَصْدِي عِنْدَ عَالِم سُبَيْط النَّيلي، وكالة نكون الإخبارية، د.ت.
(١٠) عالم سبيط النيلي، الطور المهدوي، دار المحجة البيضاء للطباعة والنشر، ٢٠٠٣، ص١١٠.
(١١) عالم سبيط النيلي، البحث الاصولي عند عالم سبيط النيلي، دار المحجة البيضاء للطباعة والنشر، ٢٠٠٨، ص٦٨.
(١٢) عالم سبيط النيلي، اصل الخلق وامر السجود بين الانا وبين الولاية والتوحيد، دار المحجة البيضاء للطباعة والنشر، ٢٠٠٤، ص٤١.
(١٣) النظام القرآني مقدمة في المنهج اللفظي، دار المحجة البيضاء للطباعة والنشر، ٢٠٠٦، ص٤١٦.
(١٤) الحل الفلسفي بين محاولات الانسان ومكائد الشيطان، دار المحجة البيضاء للطباعة والنشر، ٢٠٠٥، ص٢٥.
(١٥) عالم سبيط النيلي، الحل القصدي للغة في مواجهة الاعتباطية، دار المحجة البيضاء للطباعة والنشر، ٢٠٠٧، ص١٣٣.
(١٦) عالم سبيط النيلي، اللغة الموحدة، دار المحجة البيضاء للطباعة والنشر، ٢٠٠٨، ص٢٠٥.
(١٧) عالم سبيط النيلي، الشهاب الثاقب للمحتج بكتاب الله في الرد على الناصب احمد، دار المحجة البيضاء للطباعة والنشر، ٢٠٠٥، ص٣٦.
(١٨) عباس الفيلي، مصدر سابق.

(١٩) حيدر حب الله، مصدر سابق.
(٢٠) عالم سبيط النيلي، الحل القصدي للغة، ص٢٣٨.
(٢١) عباس الفيلي، مصدر سابق.
(٢٢) حيدر حب الله، مصدر سابق.
(٢٣) نبيل عبد الامير الربيعي، مصدر سابق، ص٣.
(٢٤) ابن رجب، أبو الفرج عبد الرحمن (ت ٧٩٥هـ)، القواعد في الفقه الإسلامي، مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة، ١٩٧٢م، ج١، ص١١٨.
(٢٥) عالم سبيط النيلي، الحل القصدي للغة، ص٢٣٨.
(٢٦) أبو بكر جابر الجزائري، منهاج المسلم، ط٣، مكتبة الكليات الازهرية، القاهرة، ص٨٤.
(٢٧) الماوردي، ادب الدنيا والدين، ط٥، مكتبة مصطفى البابي الحلبي، القاهرة، ١٩٨٦، ص٢٣٧.
(٢٨) عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب، د.م، د.ت، ص٤٨.
(٢٩) عالم سبيط النيلي، الحل القصدي للغة، ص٢٤٠.
(٣٠) حسام أحمد الفرج، نظرية علم النص، ص٤٧.
(٣١) عبد الهادي بن ظافر الشهري، مصدر سابق، ص٥٠.
(٣٢) نحو النص بين الاصالة والمعاصرة، ص٩١.
(٣٣) حيدر حب الله، مصدر سابق.
(٣٤) عباس الفيلي، مصدر سابق.
(٣٥) نحو النص بين الاصالة والمعاصرة، ص٩١.
(٣٦) المصدر نفسه.

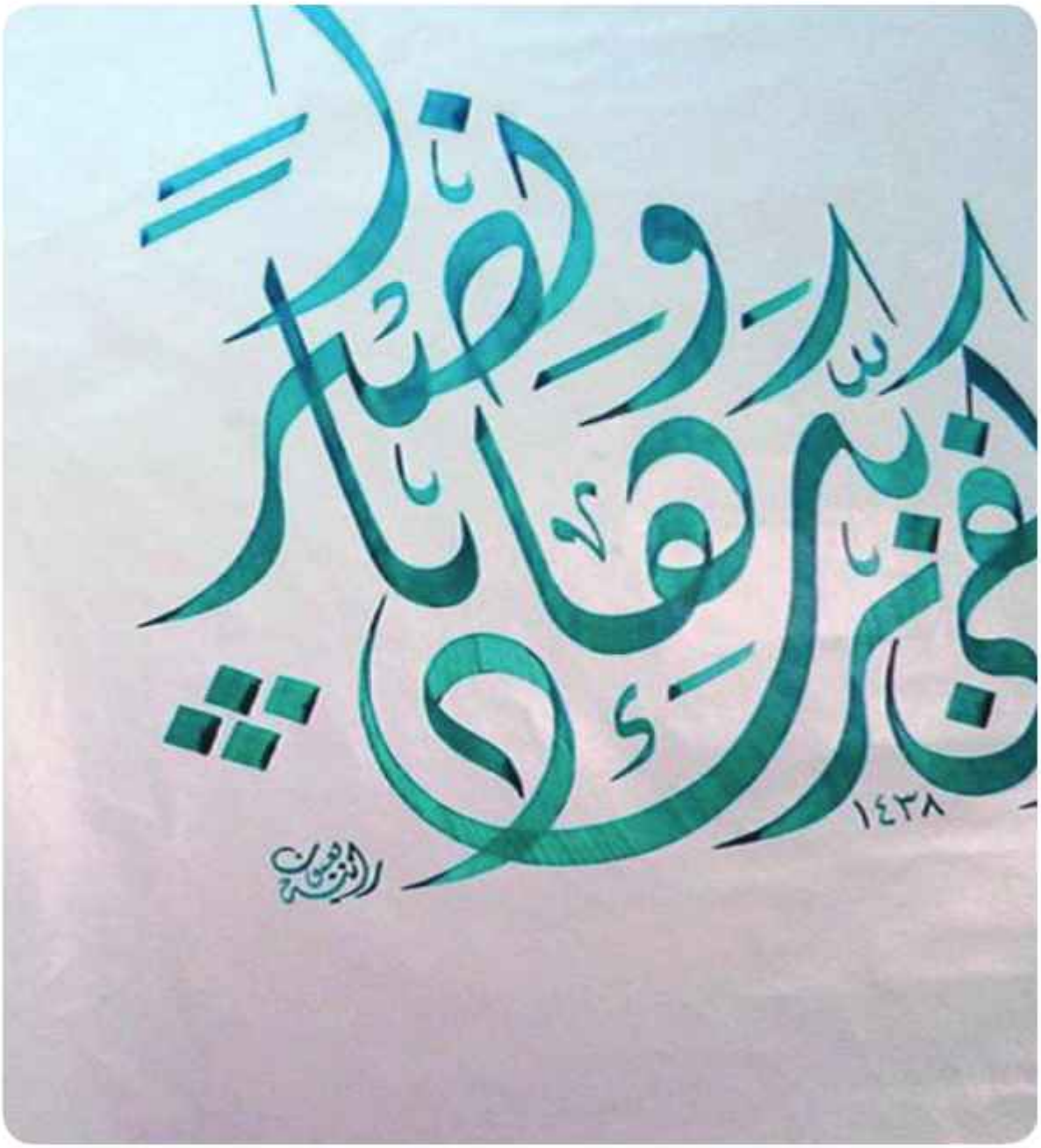

دور المعلم في غرس القيم الوطنية والتعايش السلمي
(الحلول والمعالجات عبر القرءان الكريم)

م. م. مهدي مناتي عبود عيسى
مديرية تربية غداد / الرصافة الثالثة

الملخص:
تناول البحث ما يتوجب أن تكون عليه شخصية المعلم المربي النائب عن المجتمع في بناء الجيل الجديد مراعياً التغيرات السياسية والاجتماعية التي تحتم على مؤسساتنا التعليمية الاهتمام بنوعية وجودة التعليم والتي من أهم أولوياتها الاهتمام بصناعة كوادر متعلمة مستوعبة للمسؤولية المدنية والسياسية. ، ولأن من أهم أسباب معاناتنا وشعوب العالم الأخرى هو صراع أشباه العلماء الذين تربوا على ثقافة عدم التسامح والاحوار مبتعدين عن مبدأ التعايش السلمي. مما أخذ بنا الى التركيز على كل ما يعزز مبدأ المواطنة الصالحة والانتماء لصناعة الخير للجميع مهتدين بنور القرآن الكريم والسنة المباركة الشريفة التي يتوجب على المعلمين الذين تم أعدادهم لمثل هذه المهمة ، توجب عليهم غرسها في نفوس التلاميذ منذ الصغر حتى بلوغهم أعلى المراتب العلمية واكتسابهم قيم الولاء والانتماء ، ولمواجهة ما عليه واقعنا وما نواجهه ، من كافة أشكال العنف والتطرف ، ولكي نعيش ونتعايش بسلام يتوجب منا العمل الحثيث مستعينين بمختلف الوسائل والادوات والاساليب التربوية ، للوقوف بوجه الممارسات المتطرفة لإزالة التمييز بين ابنائنا سواء كانوا تلاميذا أو طلبة .لذا استلزم أن نخلق عملية وقائية تستمر المحافظة عليها، ويكون ذلك من خلال تعرف المتعلم على مبادئ الاسلام الاصيلة في التعايش مع الأخرين من أبناء البشر وعلى وفق ما جاء في القرآن الكريم والسنة من مبادئ الديمقراطية والعدالة والمساواة والحرية في الرأي والمعتقد ، والالتزام بالحقوق والواجبات ، وصولاً الى المواطنة الصالحة .

Abstract

The research dealt with what the personality of a teacher educator representing society should be in building the new generation، taking into account the political and social changes that make it necessary for our educational institutions to pay attention to the quality and quality of education، whose most important priority is to focus on creating educated cadres who are aware of civil and political responsibility. And because one of the most important causes of our suffering and other peoples of the world is the struggle of quasi-scholars who were brought up in a culture of intolerance and dialogue، moving away from the principle of peaceful coexistence. Which led us to focus on everything that promotes the principle of good citizenship and belonging to doing good for all guided by the light of the Noble Qur'an and the blessed and honorable Sunnah that teachers who have been prepared for such a task must inculcate it in the hearts of students from childhood until they reach the highest scientific ranks and acquire the values of loyalty And belonging، and in order to confront all forms of violence and extremism، and to face our reality and what we are facing، from all forms of violence and extremism، and in order to live and coexist in peace، we must work diligently، using various means، tools and educational methods، to stand against extremist practices to eliminate discrimination between our children، whether they are students or students. So it is imperative that we create a preventive process. Maintaining them will continue، and that is through the learner،s acquaintance with the original principles of Islam in coexistence with other human beings and in accordance

with the principles of democracy، justice، equality and freedom of opinion and belief in the Holy Qur'an and Sunnah، and commitment to rights and duties، leading to good citizenship.

المقدمة:

وصلاة والسلام على محمد وآله الطاهرين وبعد فأن عِظَم التحديات جعل الكاتب يختار موضوع البحث والذي يُعد من صميم معاناة المجتمع التي تتطلب ايجاد الحلول ، أخذني الى البحث في دور المعلم لغرس القيم الوطنية والتعايش السلمي (الحلول والمعالجات من خلال القرآن والسنة) علنا نساعد في تقديم بعض ما ينفع مجتمعنا في الخلاص من الفتن الطائفية والعرقية التي أخذت تموج في واقعنا مبتدئاً بصانع المجمع وغارس اللبنات الاولى فيه الا وهو المعلم ، مقسماً البحث ضمن ثلاثة مباحث ، الاول منها كان في الاطار النظري لمفاهيم وتعريفات البحث في اللغة والاصطلاح وتناولت فيه مفاهيم (القيم – المواطنة – التعايش السلمي) ، أما المبحث الثاني فكان في دور المعلم ، وقد بيّنا فيه صفات ذلك المعلم الذي تقع على عاتقه أداء هذه المهمة ، وما هي الاسلحة السلوكية والعلمية والاخلاقية التي يجب أن يتسلح بها أما المبحث الثالث : فكان تطبيقاً عملياً لما يجب أن يقوم به المعلم في بناء وغرس التعايش السلمي والمواطنة الصالحة متخذا آيات القرآن الكريم والسنة المباركة سبيلاً لذلك ، مبيّناً ما هي السُبل التربوية الاسلامية من القرآن والسُنة التي ينتهجها المعلم لإيصال رسالته في صناعة المواطن الصالح المحب لمجتمعه والإنسانية كافة لتحقيق التعايش السلمي بين الناس ، فيجسد ذلك مرة من خلال القدوة الحسنة بالنبي وأهل البيت (عليهم السلام) ، ومرة من خلال القصص القرآني وما وصلنا من وقائع قصصية في السنة المباركة الشريفة ، ومرة أخرى من خلال النصائح القرآنية عبر آيات القرآن الكريم والارشادات النبوية المباركة ، وأخرى عبر ذكر ما جاء في القرآن الكريم والسُنة من مواقف التحلي بالصدق والوفاء بالعهد ، ومرة من خلال التربية وفق ما ذكره القرآن والسُنة من وصايا عالية القيمة يتوجب على الموطن الصالح التمسك بها والحذو بمضامينها ، ومرة أخرى يستغل المعلم المناسبات والاحداث العارضة لينشر السلوكيات الفاضلة التي يجب على المتعلمين التحلي بها ، وبعد كل ما تقدم نختتم بحثنا بمجموعة من النتائج والتوصيات التي توصلنا اليها من خلال بحثنا هذا ، ومن ثم قائمة تحوي مجموعة المصادر والمرجع التي استعان بها الباحث في كتابة بحثه ، راجيا من الله السداد والتوفيق لما يحب ويرضى ، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وسلم .

المبحث الاول

الإطار النظري لمفاهيم البحث

المطلب الأول :مفهوم القيم.

أولاً :القيم في اللغة : (((الْقيمَة) قيمَة الشَّيْء قدره وَقِيمَة الْمَتَاع ثمنه ، (الْقيمَة) الْأمة الْقيمَة المستقيمة المعتدلة وَفِي التَّنْزِيل الْعَزِيز {وَذَلِكَ دين الْقيمَة}(البينة/٥)) (١).

وعند الفيروزآبادي ((قَوَّمْتُه: عَدَّلْتُه ،فهو قَويمٌ ومُسْتَقِيمٌ))(٢) .

الذي تشير اليه الكلمة من خلال المعنى اللغوي أن(قيم)جمع (قيمة)وهي كون الشئ ذا ثمن ،أو ذا فائدة ، والقيمة خصلة حميدة ، وخلة شريفة ، يسعى الانسان للاتصاف بها .

ثانياً:القِيَّم في الاصطلاح:((معايير وجدانية

فكرية يعتقد بها الأفراد، وبموجبها يتعاملون مع الأشياء بالقبول أو الرفض)) (٣)

المطلب الثاني :

مفهوم المواطنة.

من الواضح أن المواطنة هي مفهوم ينعكس من الوعي الثقافي والسياسي الجمعي لكل مجتمع ، وقد نستطيع القول انها تمثل أفضل صورة لثقافة اي مجتمع وما هو علية من وعي سياسي، بمعنى انها حزمة المبادئ الجمعية القيمية داخل مجتمع ما.

أولاً : المواطنة في اللغة :وفي ضوء ما ذكرنا اعلاه ولابد من بيان لما ذكر في تعريف المواطنة والمواطن ، فالمواطن

((واطنَ يواطن، مُواطنةً، فهو مُواطِن، والمفعول مُواطَن واطن القومَ: عاش معهم في وَطَنٍ واحدٍ.• واطن فلانًا على الأمر:

١ - أضمر فِعْلَه معه «واطنه على التّعاون معه في بناء السُّور».

٢ - وافقه عليه«واطَنه على السَّفر ليلاً».)) (٤).

ثانياً: المواطنة في الاصطلاح : ويختلف مفهوم المواطنة الصالحة من مجتمع لأخر ، حيث أن المجتمعات تعد من تربية المواطن تربية صالحة هو هدفها في النمو الاجتماعي ، فالمواطنة الصالحة عندهم هو أن يتربى الانسان تربية اجتماعية توافق وتلائم المجتمع الذي ينتمي اليه ، بوجهة تحقق تطلعات ومصالح وأهداف هذا المجتمع .

فعند المجتمع القومي ، الموطن الصالح هومن يخدم أهداف أمته القومية ولو كانت تلك الأهداف على حساب حرية الشعوب ، واستعباد وقتل تلك الشعوب وسرقة خيراتها .

أما في المجتمع الشيوعي فالمواطن الصالح هو بمثابة آلة انتاجية تسيّرها زعامات ذلك الحزب الحاكم ، يهابهم ويعظمهم ((أربابا من دون الله)) (آل عمران : ٣/ ٦٤) ،فهو مسير لا مخير في شؤون حياته ، يطيع ويخشى القيادات اطاعة عمياء من دون الايمان بوجود خالق قادر رازق أقوى من تلك القيادات .

في حين أن المواطنة الصالحة وفق التربية الاسلامية ،اذ يُعبر عن المواطن الصالح هو الذي تجتمع عنده كل فضائل الحياة الاجتماعية من تكافل وتعاون ومحبة وتضامن ، وكذلك هو الانسان الذي نمت فيه الحاجة الى الانتماء والأُنس بالمجتمع، وتقليد الآخر واعتزازه بأمته من دون أي انحراف أو انقياد أعمى أو استهتار مع عدم فقدان المواهب الذاتية ومقومات شخصية الفرد .

وبذلك تكون المواطنة الصالحة وفق التربية الاسلامية قد جمعت بين التربية الذاتية للفرد وبين نزعته الاجتماعية ، من دون أن تطغى الواحدة على الأخرى ، أو انحرافهما عن جادة الخير ، وكل ذلك ضمن اطار العبودية لله ووفق الشريعة الاسلامية السمحاء ومن خلال ما نزل في القرآن الكريم تتضح الفلسفة الاسلامية التي تؤكد على تنمية مبدأ المواطنة الصالحة من خلال العدالة والتسامح والشورى والابتعاد عن الاكراه والتمييز كما في قوله تعالى : ((يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوباً وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ)) (الحجرات : ١٣) .

المطلب الثالث:

مفهوم التعايش السلمي.

أولاً:التعايش في اللغة:

((عَاشَ)عَيْشًا وعيشة ومعاشا صَار ذَا حَيَاة فَهُوَ عائش(أعاشه) جعله يعِيش

يُقَال أعاشه الله عيشة راضية(عايشه) عَاشَ مَعَه(عيشه)أعاشه(تعايشوا) عاشوا على الألفة والمودة وَمِنْه التعايش السّلمِيّ)).(٥)

وفي معجم اللغة المعاصر:

((عاشوا على المودَّة والعطاء وحسن الجوار «تعايش الرفيقان في غربتهما على الألفة- تعايشت الدّولتان تعايُشًا سِلميًّا»

° التَّعايش السِّلميّ بين الدُّول: الاتّفاق بينها على عدم الاعتداء))(٦).

ووفق ما ورد في تعريف التعايش لغتاً يكون لفظ (السلمي) جاء وصفاً مؤكداً لطبيعة التعايش ، بفرض أن هناك نوع آخر من التعايش والذي يسمى غير السلمي ،اذ جاء الوصف مقيداً ، يخرج من خلاله التعايش غير السلمي (٧) .

ثانياً: التعايش في الاصطلاح : فقد وردة عدة تعريفات للتعايش السلمي ، فهناك من وصفه بأنه سياسة خارجية قد تنتهجها بعض الدول التي تحب السلام . (٨) بينما يرى أخر أنه ((يعني قيام تعاون بين دول العالم على أساس من التفاهم وتبادل المصالح الاقتصادية والتجارية، كما يعني اتفاق الطرفين على تنظيم وسائل العيش بينهما، وفق قاعدة يحددانها مع تمهيد السبل المؤدية إليها))(٩) ، وآخر يتسع في التعريف اذ لا يقف عند العلاقة بين الدول بل ايضا بين الشعوب ، كما ان للحرب بين شعب وآخر محرك كذلك للسلم محرك بين شعب وآخر(١٠)، وهذا ينسجم مع ما أكدته (منظمة الأمم المتحدة للتربية والعلوم والثقافة اليونسكو)(١١) .

ويرى الكاتب أن ادق التعريفات واحوطها بمفهوم التعايش ((أن التعايش: هو القبول بوجود الآخر والعيش معه جنبا إلى جنب دون سعي لإلغائه أو الإضرار به سواء كان هذا الآخر فردا أو حزبا سياسيا أو طائفة دينية أو دولة مجاورة أو غير ذلك))(١٢)،وكذلك أن هذا التعريف أكثر شمولية من التعاريف السابقة اذ لا يقف عند الافراد أو الدول أو الديانات ،أو الاقاليم بل يشمل كل ذلك وأوسع.

المبحث الثاني

دور المعلم

أولاً: المعلم هو القدوة .

إن نظرة المتعلم سواء كان طالباً أو تلميذاً للمعلم بأنه ذلك المثل السامي والقدوة الحسنة ، فينظر اليه باحترام وفير واهتمام كبير، وله منزلة ذات مكان عالي في نفسه ، فتراه يحاكيه ويقتدي به ،متفاعلاً ومتأثراً بشخصه.فتراه متأثراً بطريقة كلامه ومظهره وسكناته وثقافته وكل معاملاته للمتعلمين ،وتجد كل ذلك قد ترك أثره الفعّال في نفسه ، مما تجدها ظاهرة في حياته اليومية .

هذا الأثر الكبير لشخصية المعلم على المتعلم تجعل من المتعلم مقلداً للمعلم بكل سلوكياته من دون أن يشعر المتعلم ، مما يُوّجب على المعلم أنّ يكون مثال للقدوة الحسنة التي يُقتدى بها.

مقومات شخصية المعلم القدوة تتجلى بالسلوكيات والاخلاقيات التالية : (١٣)

١-أن يكون صبوراً ذا أناة وتحمل في تعامله مع الطلاب حتى يكون ناجحاً في توجيههم.

٢-أن يتصف بالحزم والكياسة، وسعة الخُلق، كثير التصرف ، من دون غضب ،مما يجعله يكسب احترامهم ، ومتمكناً من الاشراف عليهم .

٣-أن يتصف بالإخلاص في عمل، مجداً فيه ومحباً له.

٤-أن يبتعد عن التكليف في تصرفاته طبيعياً في سلوكياته مع الطلبة والآخرين من زملائه، فلا تنكشف أخلاقه الحقيقية فتعرف نقاط ضعفه ،مع

الانتباه الى كون التلاميذ لديهم القدرة على معرفة حقيقته مهما حاول أخفاءها.

٥-أن يكن الاحترام للدين وللتقاليد الأصيلة ،و ذا حشمة ووقار؛ كونه يمثل واجهة المجتمع في تأدية الرسالة .

٦-أن يتصف بالشفقة على المتعلمين فيعاملهم معاملة الابناء في حرصه وخوفه عليهم فيخلصهم من الوقوع في المهالك ويسلحهم بسلاح النجاة .

٧-أن لا يقدم الأجر والجزاء على افادة العلم بل تكون الأولوية الى تأدية رسالته المقدسة والقصد بذلك وجه الله والقربة اليه تعالى .

٨-أن لا يقصر في نصح المتعلم كثيراً أو قليلاً ،فلا ينتقل من رتبة في علم الى غيرها من دون تمام الاولى ، حتى يستحق أعطاءه الأخرى .

٩-أن يردع المتعلم عن الخلق السيء ، وما يعترضه ما أمكن ومن دون تصريح ، وأن يكون رحيماً في ذلك لا موبخاً له .

١٠-عدم تحقير أي علم من العلوم الأخرى في نظر المتعلم للمادة التي يدرسها المعلم .

١١- أن يكون رفيقاً بالمتعلم في التغذية العلمية على قدر استيعاب وفهم المتعلم فلا يضخ اليه من المعلومات ما يفوق وسعه وقابليته فيسبب له النفور وتشتت المعلومة والخلط فيها.

١٢-أن يتصف المعلم بالعمل بعلمه ، فلا يخالف قوله فعله؛ فالعلم يدرك بالبصائر، أما العمل فيدرك بالأبصار، وذوي الأبصار أكثر. فلا رشد مع مخالفة العمل للعلم

ثانياً :اعطاء القدسية لشخصية المعلم

لاريب ولا شك أن مهنة التدريس من أشرف وأجل المهن ، لأثرها الكبير وأهميتها العظيمة في رسم شخصية الإنسان، ذلك الكائن الذي كرّمه الباري عز وجل- وأعطاه من الرِفعة ما ينزله منزلة كونه سيد لهذا الكون، وخليفة الله تعالى- اذا ما أحسنَ واتقى الله حق تقاته ، من كون أنَّ مهنة التعليم هي من أقدس وأشرف المهن والتي هدفها بناء الإنسان وجعله أهلاً لحمل الأمانة، ويكون ذلك من خلال بناء وتكوين شخصيات تتحلى بالصدق وتتفانى في خدمة أسمى القيم التي يمتاز بها ديننا الحنيف، بما تحمل على عاتقها من خدمة لأمتها ودينها وبما ينهض بها من كبوتها وسباتها وضعفها.

ولو تصفحنا في صفحات تراثنا الثقافي الإسلامي لوجدنا أن الدين الإسلام الحنيف قد أولى اهتماماً كبيراً بالعِلم ، وبالمُعلم خصوصاً ، لما يمتاز به من خصوصيةَ الأثر الفعال في إنجاح وتحقيق العملية التعليمية ، ويظهر دور المعلم واضحاً من خلال بيان القرآن الكريم لدور الانبياء مع التابعين لهم وبيان وظيفة النبي المعلم لمن يتبعوه فيشير القرآن الكريم في قوله تعالىَ ((مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُؤْتِيَهُ اللَّهُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا عِبَادًا لِي مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ كُونُوا رَبَّانِيِّينَ بِمَا كُنْتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ)) (آل عمران آية/٧٩) وقد بيَّن الباري – سبحانه وتعالى أن من أهم وأسمى وظائف الرسول (صلى الله عليه وآله) أن يُعليم الناس الكتاب والحكمة وأن يُزكوا انفسهم ، كما جاء في قوله تعالى:((رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ ۚ إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ)) (البقرة/ ١٢٩) .

فقد أنزل المربون المسلمون المعلم المنزلة التي يستحقها من حيث الاحترام والتقدير وخصوصاً من لدن طلبتهم حيث يقول الزرنوجي : ((اعلم أن طالب العِلم لايَنال العلم ولا ينتفع به إلا بتعظيمِ العلم وأهله، وتعظيم الأستاذ وتوقيره، ومن توقير

المعلـم أن لا يمشي أمامه، ولا يجلس مكانه، ولا يبتدئ بالكلام عنده إلا بإذن، ولا يكثر الكلام عنده ولايسأل شيئاً عند ملاقاته، ويراعي الوقت ولا يدق الباب، بل يـصبر حتـى يخـرج الأسـتاذ، فالحاصل أن يطلب رضاه ويجتنب سخطه، ويمتثل أمره في غير معصية االله تعـالى فإنـه لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق))(١٤)

وفق ما تقدم صار لابد من إنصاف المعلم وإعلاء شأنه وإنزاله المنزلة الرفيعة التي يستحقها من العنايـة والاحتـرام، فعندما يفتقد المعلم الشعور بالكرامة والحرية الشخصية لا يمكن أن يكون له التأثير الإيجابي علـى طلابه، وكذلك يتوجب انصاف المعلم وابعاد ه عن الشعور بالغبن والعوز في قلة الراتب حتى يقوم بواجباته على أتم وجه طالما أنـه يشعر بالإنصاف والتقدير لجهوده القيّمة .

ثالثاً: المعلم كناقل للمعلومات: انَّ الوسيط والناقل للمعلومات وتوصيلها الى أذهان الطلاب هو المعلم باعتباره هو الموجه الذي يقوم بعملية التعليم ، فالغرض من انشاء المؤسسات التربوية والتعليمية هو نقل المعارف والعلوم والآداب من جيل الى الجيل الذي يليه ، والذي أُسند له القيام بهذا الدور كان هو المعلم ممثلاً للمجتمع في الحفاظ ونقل تراثه العلمي والحضاري وكل القيَّم الأصيلة ،ولثقة المجتمع به كونه عنصراً راشداً ، مدركاً لأهدافه التربوية النبيلة ، ويتوجب على المتعلمين أن يدركوا أنَّ المعلم هو ممثل المجتمع والامين والمسؤول على نقل حضارته وموروثه العلمي والثقافي وكل القيَّم السامية النبيلة اليهم حتى تتم عملية التواصل والتفاعل بين الطرفين مما يتمم إنجاح العملية التعليمية، مما يتوجب على المعلم الإلمام بالمادة العلمية والتفاعل معها سلوكياً وعملياً بما يُسهل على الطلاب تقبلها واتقانها بأيسر ما يكون (١٥).

وخلاصة لما تقدم يرى الباحث ومن خلال تجربته في المجال التربوي انه يجب على المعلم أنَّ يكون في نقله للمعلومة أميناً واثقاً من مصدرها ، وأنَّ يلم بدرسهِ ويعد له إعداداً جيداً ، فالطالب هو الذي يقيّم أدائه ، فلا يدع مجالاً للطالب في الشعور بأنَّ معلمه ضعيف أو قليل المعلومة ،لأن نتيجة ذلك سوف تكون تغير نظرة الطالب للمعلم واهتزاز ثقته به ، وغالباً ما يحفز بعض الطلبة للقيام ببعض الممارسات التي تربك الدرس وتحول دون استمراره مما يُنفر الآخرين من تقبل المعلومة.

رابعاً :المعلم كموجه ومرشد:

فلابد أن يكون المعلم محفزاً لأذهان الطلبة بكل حركاته وسلوكياته ووسائله وكذلك من خلال متابعاته لطلابه والاستعانة بأولياء الامور وتقوية اتصاله بهم وتوجيههم لما يساعد على النهوض بأبنائهم ، يتشارك معهم في التخطيط والتنفيذ لذلك ، وأن يكسب حب وثقة طلابه مما يجعل علاقته معهم بعيدة عن التسلط والفرض والتحكم ، كون ذلك مدعاة النفور عنه ، وعدم انتاج اشخاص يتمكنون من قيادة أنفسهم ألا بالاعتماد على الآخر ، وأن لا تكون وسيلته التربوية الالفاظ المكررة والمطاطة والخيالية بل أن يكون لهم المربي الفاضل الذي ينقل لهم تجاربه ، فيوجههم الى الحق والخير بكل فطنة وذكاء.، كذلك لابد للمعلم من الغور في شخصيات طلابه للتمكن من تفتح أذهانهم والكشف عن ميولهم وامكاناتهم وقدراتهم على حل المشكلات ، مبيناً لهم عيوبهم وأخطائهم ، فيتخلصون من مواطن الضعف والفشل ويتوجهون نحو مواطن القوة والنجاح والابتكار (١٦)

خامساً :المعلم كعضو في المجتمع:
المعلم عضو من هذا المجتمع بانتمائه إليه فيعمل ومن خلال تربية طلابه على بناء المجتمع ومن خلال ذلك بناء الوطن وتطويره ويتحمل كل المسئوليات المناطة به كمربي ،فيُسهم في حركة التغيير والبناء الاجتماعي المرجوة لمجتمعه، وفي ايجاد الحلول
للمشكلات التي تحول دون تطور وازدهار مجتمعه، وكذلك المجتمع الانساني بصورة أوسع لما للإنسانية عليه من حقوق يجب رعايتها .
سادساً :المعلم عضو في هيئة التدريس بمدرسته:
لا يمكن للمعلم أنَّ يُحقق كلَّما يَصبو اليه من الاهداف التربوية التي يرجو تحقيقها لطلابه بالانفصال وبمعزل من بقية زملائه التربويين الآخرين ، اذ لابد أن يسهم المعلم في التخطيط والعمل الإداري الجماعي ، وكذلك توافر الجو الدراسي والنفسي والاجتماعي القائم على الثقة والاحترام المتبادل، وعلى الحرية والصراحة ،والمشاركة في النشاطات المدرسية ، وأن يشارك في حل المشكلات التي تواجهها المدرسة والاسهام في حلها (١٧).
المبحث الثالث:
تربية المعلم لطلابه على القيّم الوطنية والتعايش السلمي من خلال القرآن والسنة
أولاً : التربية من خلال القدوة.
أن يُنمي المعلم في نفوس طلابه روح الاقتداء بالرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) وأهل البيت (عليهم السلام) وكونهم أفضل وأجل قدوة يسير على نهجهم وخطاهم الطلاب في بناء الوطن ونشر الخير والمحبة والسلام ، والتعايش السلمي فيذكر لهم على سبيل المثال المؤاخاة التي نادى بها الرسول الكريم محمد (صلى الله عليه واله وسلم) كمثال حي وميداني لعظمة شخصية الرسول الكريم محمد (صلى الله عليه واله وسلم) في تمكنه من رسم معاني التعايش السلمي في الدين الإسلامي، وذلك حين وصوله (صلى الله عليه واله وسلم) الى مدينة يثرب التي كان سكانها من الاقوام اليهودية اضافةً الى القبائل العربية و أشهرها قبيلتي الأوس و الخزرج اللتان كانتا في صراع مرير وحروبٍ مستمرة طويلةٍ لسنوات ومن هذه الحروب وقعة يوم بعاث ، ويوم الدرك وغيرها ، أما موقف اليهود في هذه الوقعات فينقسمون الى فريقين إذ خرجت بنو قينقاع يناصرون الخزرج، في حين تخرج بنو النضير وقريظة يناصرون الأوس فيحرضونهم على إخوانه حتى يقع بينهم سفك الدماء، فيقتلون بعضهم البعض بأيديهم فألف بينهم الرسول العظيم (صلى الله عليه وآله وسلم) بتأثير شخصيته وعقله وعدالته وايمانه بحب الخير والسلام بين الناس ، حتى صاروا أمةً واحدة مع المهاجرين الذين قدموا اليهم من مكة المكرمة ، هرباً من بطش المشركين(١٨).أما ما يُروى عن أهل البيت (عليهم السلام) في للتعايش السلمي والتسامح فكثيرةٌ نذكر منها رواية جميلة جداً نُقلت عن معاوية بن أبي وهب أحد أصحاب الإمام الصادق (عليه السلام) قال:((قلت له: كيف ينبغي لنا أن نصنع فيما بيننا وبين قومنا وبين خلطائنا من الناس ممن ليسوا على أمرنا؟ فقال تنظرون إلى أئمتكم الذين تقتدون بهم فتصنعون ما يصنعون، فو الله إنهم ليعودون مرضاهم، ويشهدون جنائزهم، ويقيمون الشهادة لهم وعليهم، ويؤدون الأمانة إليهم)) (١٩).
انَّ الذي ذُكر في مضمون الرواية المباركة

عن أهل البيت (عليهم السلام) هو ما نعانيه اليوم ، اذ هو كيف يكون التعامل والعلاقة مع الأخوة وشركاء الوطن من المذاهب الأخرى وفي الكثير من المجتمعات الإسلامية التي يستوطنها السُنة والشيعة معاً جنباً إلى جنب، وكما هو في العراق فهو الواقعُ في سورية ولبنان وغيرها من البلاد الاسلامية التي يظهر على مواطنيها التنوع الديني والطائفي والمذهبي منذ أقدم العصور .وما يُنقل عن الإمام الحسن العسكري(عليه السلام) في الاقتداء بهم والتخلق بأخلاقهم (عليهم السلام) يُفصح عنه بقوله (عليه السلام):((إتَّقُوا اللّهَ وَكُونُوا زَيْنًا وَلا تَكُونُوا شَيْنًا، جُرُّوا إلَيْنا كُلَّ مَوَدَّة وَادْفَعُوا عَنّا كُلَّ قَبيح، فَإنَّهُ ما قيلَ فينا مِنْ حَسَن فَنَحْنُ أَهْلُهُ وَما قيلَ فينا مِنْ سُوء فَما نَحْنُ كَذلِكَ))(٢٠)

ثانياً :التربية بالقُصة الهادفة اذ يذكر لنا القرآن الكريم الكثير من القُصص في آياته المباركة عن المواطنة الصالحة والتعايش السلمي التي يتوجب على المعلم المربي أن يسردها لطلابه لأخذ العبرة والموعظة منها ، ومنها ما جاء في قصة إبني آدم (عليه السلام) كيف أنَّ أحدهم كان يمثل جانب الخير والسلام والآخر كان يمثل جانب الشر، قال تعالى : ((وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنَيْ آدَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الْآخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ *قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ))(المائدة / ٢٧) ، وقصة نبي الله يوسف(عليه السلام) مع أخوته ،وكيف أنه (عليه السلام) يستغفر الله لهم على الرغم من ظلمهم له فيقول تعالى عن لسان يوسف(عليه السلام) : ((قَالَ لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ *يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ *وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ))(يوسف/ ٦٢).

مما يرسم أجمل صور الانسانية والتسامح والخير بين بني البشر.كما تنقل لنا السنة المباركة القصص المعبرة عن النبي وأهل بيته الكرام (صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين)فيُنقل أن النبي(صلى الله عليه وسلم)عاد يهوديًا، ثم عرض عليه الإسلام،((كَانَ غُلَامٌ يَهُودِيٌّ يَخْدُمُ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَمَرِضَ، فَأَتَاهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَعُودُهُ، فَقَعَدَ عِنْدَ رَأْسِهِ، فَقَالَ لَهُ: «أَسْلِمْ»، فَنَظَرَ إِلَى أَبِيهِ وَهُوَ عِنْدَهُ فَقَالَ لَهُ: أَطِعْ أَبَا القَاسِمِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فقبل فأسلم، فخرج النبي (صلى الله عليه وسلم) وهو يقول: الحمد لله الذي أنقذه بي من النار))(٢١).

ولم تكن معاملة النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) تختلف مع جاره عقبة بن أبي معيط السيء الخلق الذي كان يأتي بالفرث فيرميه على باب الرسول(صلى الله عليه واله وسلم)، فلم يقابله الرسول الاعظم (صلى الله عليه واله وسلم) إلا بحسن الخلق وكرم النفس (٢٢).

فخلاصة الامر أن المعلم من خلال القصص البليغة والهادفة في القرآن الكريم والسنة المباركة يستطيع أن يُنمي روح التعايش السلمي والمواطنة الصالحة في نفوس طلابه.

ثالثا: التربية بالنصح والتوجيه

يذكر لنا القرآن الكريم الكثير من التوجيهات والارشادات والنصائح في التعايش السلمي التي يستطيع المعلم الاستعانة بها ، ((يَا دَاوُودُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ *إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ)))ص/ ٢٦) ، وكذلك يبيّن تعالى لنا بأن الانسان يجب أن يحافظ على الفطرة السليمة فكلما كان على فطرة الله التي فطره عليها فأنه يحب الخير والتعايش السلمي لان الفطرة خير

وكلها خير اذ يقول تعالى :)) فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا *لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ))(الروم/ ٣٠).

كما يوصينا النبي الكريم (صلى الله عليه وآله وسلم) بالحفاظ على الفطرة السليمة اذ يقول: ((كل مولود يولد على الفطـرة (٢٣)

((، ومن خلال دلالة هذا الحديث الشريف يتوجب على المعلم أن ينصح طلابه بوجوب المحافظة على الفطرة السليمة ، التي أصلها الدين الحنيف منذ أن خلق الله السموات والأرض فالإنسان اذا ما تُرك لفطرته من دون أي مؤثرات خارجية وثقافات دخيلة تُملى عليه ، تراه لا يختار بديلاً عن الطريق السليم الذى يوصله بالله تعالى الذى خلقه وسواه وأمره بالعيش بسلام مع أقرانه وخلطائه مـن الناس دون أي فوارق أو تعد على حقوقه أو حقوق الغير ، فتجده (صلى الله عليه وآله وسلم) يُعرِّفنا من هو المسلم الحق ومن هو المؤمن فيقول : ((ألا أنبئكم بالمؤمن: من ائتمنه المؤمنون على أنفسهم وأموالهم ألا أنبئكم بالمسلم؟ من سلم المسلمون من لسانه ويده، والمهاجر من هجر السيئات وترك ما حرم الله، والمؤمن حرام على المؤمن أن يظلمه أو يخذله أو يغتابه أو يدفعه دفعة))(٢٤) كل هذا النصح والتوجيه السديد من القرآن والسنة المباركة يتوجب أنّ يغذي المعلم به طلابه ليجعل منهم مواطنين صالحين في وطنهم .

رابعاً: التربية بالصدق والوفاء بالعهد

أن يتحلى المعلم بالصدق في القول والوفاء في ما يعاهد أو يواعد بما يجعل ذلك واضحا عليه أمام طلابه ، وينقل لهم هذه السجية النبيلة من الآيات المباركة والسنة الشريفة ،كما جاء في قوله تعالى : ((مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَى نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا * لِيَجْزِيَ اللَّهُ الصَّادِقِينَ بِصِدْقِهِمْ وَيُعَذِّبَ الْمُنَافِقِينَ إِنْ شَاءَ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا ﴾(الأحزاب/ ٢٣، ٢٤) ، وكذلك قوله تعالى :

﴿ إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَانِتِينَ وَالْقَانِتَاتِ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَالصَّائِمِينَ وَالصَّائِمَاتِ وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴾(الأحزاب/ ٣٥)، وقوله تعالى:﴿ وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ أُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ * لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ ذَلِكَ جَزَاءُ الْمُحْسِنِينَ * لِيُكَفِّرَ اللَّهُ عَنْهُمْ أَسْوَأَ الَّذِي عَمِلُوا وَيَجْزِيَهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ (الزمر/ ٣٣ – ٣٥)وقوله تعالى :﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ ﴾ (التوبة/ ١١٩)، وقوله تعالى في الوفاء بالعهد : ﴿وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ ﴾ (البقرة/ ١٧٧) ، وقوله تعالى : ﴿ بَلَى مَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ وَاتَّقَى فَإِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ * إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَئِكَ لَا خَلَاقَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾(آل عمران/ ٧٦، ٧٧)

وقوله تعالى : ﴿ وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمِيثَاقَهُ الَّذِي وَاثَقَكُمْ بِهِ إِذْ قُلْتُمْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴾ (المائدة/ ٧) وقوله تعالى:

﴿الَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَلَا يَنْقُضُونَ الْمِيثَاقَ ﴾ (الرعد/ ٢٠) وقوله تعالى:﴿

وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ ﴾ (البقرة/: ١٧٧).

أما في السنة المباركة ، فقيل إنه (صلى الله عليه وآله وسلم) واعد إنسانا في موضع فلم يرجع إليه، فبقي اثنين وعشرين يوما في انتظاره. وروي: « أنه بايع رجل رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ووعده أن يأتيه من مكانه ذلك، فنسي وعده في يومه وغده، وأتاه في اليوم الثالث وهو في مكانه «. وقال رسول الله: « العدة دين «. وقال (صلى الله عليه وآله وسلم): « الوأي - أي الوعد - مثل الدين أو أفضل))(٢٥) أما ما جاء عنه (صلى الله عليه وآله وسلم) في الصدق : ((عليكم بالصدق، فان الصدق يهدي إلى البر، وإن البر يهدي إلى الجنة، وما يزال الرجل يصدق ويتحرى الصدق حتى يكتب عند الله صديقا، وإياكم والكذب، وإن الكذب يهدي إلى الفجور وإن الفجور يهدي إلى النار، وما يزال الرجل يكذب ويتحرى الكذب حتى يكتب عند الله كذابا))(٢٦)

خامساً: التربية من خلال حفظ الوصايا النافعة .

في الحث على الخير والتعايش السلمي فقد أوصى القرآن الكريم بأجمل وأتم الوصايا فقال تعالى : ﴿قُلْ تَعَالَوْاْ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلاَّ تُشْرِكُواْ بِهِ شَيْئاً وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً وَلاَ تَقْتُلُواْ أَوْلاَدَكُمْ مِّنْ إِمْلاقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلاَ تَقْرَبُواْ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَلاَ تَقْتُلُواْ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلاَّ بِالْحَقِّ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ، وَلاَ تَقْرَبُواْ مَالَ الْيَتِيمِ إِلاَّ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّى يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُواْ الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ لاَ نُكَلِّفُ نَفْساً إِلاَّ وُسْعَهَا وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُواْ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُواْ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ (الأنعام/ ١٥١)، وهي من أجمع وأشمل ما وصى به القرآن الكريم ، أما ما جاء في السنة المباركة: فقال(صلى الله عليه وآله وسلم) ((لا تشرك بالله شيئا وإن قُطعت أو حُرقت، ولا تتركن الصلاة المكتوبة متعمدا ومن تركها متعمدا برئت منه الذمة، ولا تشربن الخمر فإنها مفتاح كل شر، وأطع والديك وإن أمراك أن تخرج من دنياك فاخرج لهما، ولا تنازعن ولاة الأمر وإن رأيت أنك أنت، ولا تفر من الزحف وإن هلكت وفرّ أصحابك، وأنفق من طولك على أهلك، ولا ترفع عصاك على أهلك، وأخفهم في الله عز وجل)(٢٧)

سادساً: التربية من خلال استغلال الاحداث والوقائع في المدرسة بالتعليق عليها والتفاعل معها .فمن خال استغلال بعض المناسبات الوطنية أو الدينية ينشر المعلم ويغرس مبادئ الاسلام في التعايش السلمي ومنها :

١-الديمقراطية في الإسلام :

يُقر الدين الإسلام مبدأ الشورى بين الأمة والديموقراطية في الإسلام اذ اهتم الإسلام بفكرة الديموقراطية وجعل لها قانونها وبيّنها ،ولم يجعلها ديمقراطية فوضوية كديموقراطية أثينا أو يجعلها حزبية مما تعلو فيها المصلحة الحزبية كالديمقراطية الغربية ،بل جعل أساسها المواطن وهدفها هو الصالح العام وطريقتها هي الشورى ، وإبداء الرأي والحرية فيه وكما بيّن ذلك القرآن الكريم والسنة المباركة اذ يقول الله تعالى : ﴿ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾ (آل عمران/ ١٥٩) .

وقوله تعالى في بيّان أن الدين الاسلامي هو دين الحرية والاختيار في الرأي والمعتقد يقول تعالى : ﴿ لا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ *قَد تَّبَيَّنَ

الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ ﴾ (البقرة/ ٢٥٦) ، ونجد طائفة أخرى من الآيات المباركة ترسم لنا البعد الانساني وتخط مبدأ التعايش السلمي حتى مع غير المسلمين بل حتى مع المشركين فيقول تعالى : ﴿ وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْلَمُونَ﴾ (التوبة/ ٦) وفي أيةٍ أخرى ﴿ وقولوا للناس حسنا﴾ (البقرة،/ ٨٣) ولم يقل قولوا للمسلمين حسنا بل أنه يأمرنا بالحسنى مع جميع الناس(٢٨).

وأن الاسلام هو دين الرحـــــمة النازلة الى كافة الناس والعالم أجمع اذ يخاطب الله تعالى نبيه الكريم (صلى الله عليه واله وسلم) فيقول له: ﴿وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين﴾ (الانبياء/ ١٠)

يتسع مفهوم الوطن في الفكر الدين الإسلامي حتى تصير كل أرض يغطيها الإسلام هي وطن لكافة المسلمين وكل انسان يسكن أرض للمسلمين فهو مواطن له حرية العيش والتنقل في هذه الأرض مكفول له الحرية في العيش واعتناق أيّ عقيدة يؤمن بها وله حق الرزق والعمل في هذه الأراضي وأن كان غالبية سكانها هم المسلمون طالما هو تحت القوانين التي تنظم التعايش السلمي لحياة الجماعة ، فالدين الإسلامي يُوصف بأنّه دينٌ عالمي لجميع الناس تنعم فيه كافة البشرية بمختلف أديانها والوان طوائفها بالأمن والخير والسلام والمحبة والاستقرار فالإسلام لا يفرق بين الناس على أساس عنصري أو طبقي أو طائفي(٢٩).

أذ تقوم الفلسفة الإسلامية على مبدأ الإيمان بالتعددية والحرية في اعتناق الأديان واحترام عقيدة الآخر والأقليات من العقائد الاخرى التي تعيش في أرض الاسلام وهذا هو أجمل ما يجسد مبدأ الديمقراطية والعدالة فدين الإسلام لا يفرض على الآخر من غير المسلمين الإيمان بالقوة والقهر بل هو دين قوامه العدل ، كما جاء في قوله تعالى :﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ * لا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ * وَلا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ * وَلا أَنَا عَابِدٌ مَا عَبَدْتُمْ * وَلا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ * لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ ﴾ (سورة الكافرون) وكما نقلنا من قوله تعالى:

﴿لا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ ﴾ (البقرة/٢٥٦).

فالقرآن يقبل التعددية مع الآخر من ديانات ويعتبر المعتقد مسئولية فردية وليس جماعية وهو لا يمنع حتى الكافر من ممارسة طقوسه في العيش وبما لا يضر بالآخرين من شركاء الوطن ولا يُجبر الغير مسلم على ممارسة الطقوس والعبادات الإسلامية ، وفي هذا تأكيد على التعايش السلمي وممارسة المواطنة (٣٠).أما السنة المباركة فتنقل لنا مثالاً حياً رائعاً لتحقيق التعددية والحرية والعيش المشترك بين المسلمين وغير المسلمين يتجلى ذلك في الدستور الإسلامي الذي سنه النبي الكريم(صلى الله عليه وآله وسلم) من خلال صحيفة المدينة في بناء المواطنة الصالحة و السليمة اذ من خلال تلك الصحيفة أصبح لغير المسلمين الذين يعيشون في دولة المدينة لهم حق العيش الكريم كما هو للمسلمين وعليهم ما على المسلمين(٣١) .

فالتربية هي الطريق الأمثل لتحقيق المواطنة الصالحة ومن خلال مؤسساتها المختلفة ، ذلك من خلال ما تقدمه للفرد من المعلومات و الخبرات والمعارف والقيَم التي تتصل بجوانب الحياة الإنسانية المتعددة، بما يضمن تحقيق الأمن القومى بصفة عامة في ضوء الفكر الإسلامى الذى أرسى دعائم المواطنة الصالحة بتحقيقها

للعدالة والمساواة والحرية والديمقراطية وإيماناً بالتعددية وحماية الأقليات وذلك لما نص به القرآن الكريم والسنة النبوية لتحقيق تماسك المجتمع وتنميته في ظل التغيرات العالمية المعاصرة.

٢-العدالة والمساوات في الاسلام .

ثبّتَ الإسلام مبدأ المساواة بين كافة الناس منطلقاً من الوحدة في الأصل الإنساني ، فأوجب التكافؤ في الحقوق والواجبات بين كافة البشر ، وكفل وفق مبدأ المساواة الحرية للجميع وبما فيه حرية المعتقد في الدين ، وإقامة العدل بين الجميع وحفظ الدماء والأموال والأعراض والمعاملة بالحسنى ما داموا شركاء في الوطن فلهم حقوق وعليهم واجبات (٣٢) .

والعدل في الإسلام هو معنى واسع يشمل تطبق العدالة في القوانين وفي الخصومات بين الناس وكذلك والعدل الاجتماعي بينهم (٣٣)والقرآن الكريم يحث على إقامة العدل والمساواة في كافة المجالات ومنطلقاً من مبدأ المواطنة ويتضح ذلك جلياً في قوله تعالى : ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعاً بَصِيراً﴾ (النساء / ٥٨) وقوله تعالى أيضاً : ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾(النحل / ٩٠) ، و يغرس الاسلام مبدأ العدل بين الرجل والمرأة في مختلف الحقوق والواجبات في قوله تعالى : ﴿لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِمَّا اكْتَسَبُوا وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِمَّا اكْتَسَبْنَ وَاسْأَلُوا اللَّهَ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيماً ﴾ (النساء/٣٢) تظهر العدالة جلية كالشمس الناصعة في قوله تعالى : ﴿ فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لا أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِنْكُمْ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ ﴾ (آل عمران / ١٩٥)

أما ما وردنا عبر السنة المباركة المنقولة عن أهل البيت (عليهم السلام) فقد ارسى أمير المؤمنين علي (عليه السلام) بكلمته العظيمة : ((وأشعر قلبك الرحمة للرعية، والمحبّة لهم، واللطف بهم، ولا تكونَنَّ عليهم سَبُعاً ضارياً تغتنم أكلهم، فإنّهم صنفان: إمّا أخٌ لك في الدين، وإمّا نظير لك في الخلق))(٣٤)

فالمساواة بين جميع أصناف البشر في المجتمع الواحد من دون أي تمييز في الجنس أو اللون أو العقيدة تمنح أفراد المجتمع كافة الحرية في الممارسة السياسية أو ممارسة الأنشطة الاقتصادية وكذلك الممارسة الدينية من دون خوف لوجود العدالة والتكافؤ في الفرص لتحقيق المصلحة العامة للبشر (٣٥).

ومن خلال ما تقدم تتشكل المواطنة وتصبح جزء لا يتجزأ من الفكر التربوى الإسلامي ، فالإسلام هو دين المساواة بين جميع البشر فلا فضل فيه لأحد على أحد إلا بتقوى الله وممارسة العمل الصالح كما جاء في الآية الكريمة ﴿يَأَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِن ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوباً وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُواْ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾. (الحجرات/١٣) اذ أن الاسلام قد أرسى مبادئ المواطنة والتي تجسدت من خلال الحرية و العدالة والمساواة والديمقراطية والتعددية .

الخاتمة:

وتنقسم الخاتمة الى :

أولاً: النتائج

يترتب وفق ما تقدم من وريقات البحث الطريق الى بناء التعايش السلمي من خلال القرآن الكريم والسنة المباركة يتجلى بما يلي :

١-يستطيع المعلم من خلال القرآن والسنة

رسم القدوة الصالحة والمثل الأعلى الذي يستطيع المتعلمون الاقتداء به ، وذلك من خلال المواقف القرآنية لسيرة الانبياء والصالحين وما تنقله السنة المباركة من سيرة النبي الكريم(صلى الله عليه وآله وسلم) وأهل البيت (عليهم السلام).

٢-على المعلم أن يغذي شخصية المتعلمين بالقيم والمثل السامية من خلال القصص القرآني والسيرة النبوية الشريفة لما تحتويه من العبرة والموعظة العظيمة . وجعل ذلك دستوراً ومنهجاً يسير على خطاه المتربون بغية الوصول الى التعايش السلمي .

٣-يزود المعلم طلابه بمبادئ الصدق والوفاء بالعهد التي يستلهمها من القرآن والسنة وجعلها الاساس في نبذ الغش والخديعة والغدر والخيانة في المجتمع .

٤-يجب أن يفهم المتعلمون أن كل مبادئ الحرية والديمقراطية الصحيحة أصلها وأساسها الدين الاسلامي الحنيف، وأن لا يتأثروا بالشعارات المستوردة من الخارج .

٥-انَّ الاسلام الحنيف أكد على المواطنة الصالحة من خلال مبادئ المساواة والعدالة بين أبناء المجتمع ونبذ جميع أشكال التعصب سواء التعصب للقبيلة أو القومية أو الدين أو المذهب ،فكل مواطن يعيش في المجتمع له حقوق وعليه واجبات ،بعيداً عن القومية أو الدين أو المعتقد .

ثانياً: التوصيات

من خلال السير في خطوات كتابة البحث يجد الباحث ونقاط عدة يوصي بالأخذ بها :

١-يتوجب اهتمام المؤسسة التربوية بغرس القيم الوطنية من خلال الاهتمام بتدريس مادة التربية الاسلامية .

٢-ادراج الدروس العملية الى جانب الدروس النظرية والتي تعزز عزس روح المواطنة الصالحة من خلال ممارسة القيام بالأعمال الخيرية والنافعة للمجتمع.

٣-الاهتمام بشخصية المعلم المربي ، واعداده اعداداً يجعل منه القدوة والمثل الاعلى الذي يؤثر في شخصيات المتعلمين ليقتدوا به متأثرين ومفتخرين بشخصيته ، ولا يجوز اختياره ممن يكون فعله مخالفاً لقوله .

٤-التأكيد على النشاطات والمعسكرات الا صفية ، وكذلك الزيارات الميدانية للشخصيات الوطنية ، والسماع الى خطب وتوجيهات العلماء والمثقفين والمصلحين ، بما لذلك من تأثير عميق في بناء شخصية المواطن الصالح .

٥-تزود مناهج التربية الوطنية بما يعززها من آيات القرآن الكريم والسنة الشرفة ، تزويد مناهج التربية الاسلامية بالدروس التطبيقية العملية التي تعزز وتبني روح المواطنة الصالحة.

٦-الحث على مساهمة وسائل الاعلام الحديثة من خلال البرامج والمسلسلات والافلام التي تبيّن أنَّ الاسلام هو أصل لكل القيم والصفات النبيلة التي من خلالها تتجسد المواطنة الصالحة.

الهوامش :

(١) المعجم الوسيط ا: مجمع اللغة العربية بالقاهرة (إبراهيم مصطفى / أحمد الزيات / حامد عبد القادر / محمد النجار) الناشر: دار الدعوة ،٢/ ٧٦٨.

(٢) القاموس المحيط المؤلف: مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادى (المتوفى: ٨١٧هـ) تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة بإشراف: محمد نعيم العرقسُوسي الناشر: مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت – لبن ان الطبعة: الثامنة، ١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥ م ، باب/ الميم ن فصل/القاف ، ١١٥٣.

(٣) التنشئة الاجتماعية للطفل الأردن : سميح أبو مغلي وآخرون ، دار البازوري العلمية للنشر والتوزيع ٢٠٠٢م ، ص/٢١٦٧.

(٤) معجم اللغة العربية المعاصرة: د أحمد مختار عبد الحميد عمر (المتوفى: ١٤٢٤هـ) بمساعدة فريق عمل الناشر: عالم الكتب ، ط/١، ١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٨ م عدد الأجزاء: ٤، باب /الواو ، ج/ ٣/٢٤٦٢.

(٥)المعجم الوسيط المؤلف: مجمع اللغة العربية بالقاهرة (إبراهيم مصطفى / أحمد الزيات / حامد عبد القادر / محمد النجار الناشر: دار الدعوة ، ٣/باب العين /٦٣٩.

(٦)معجم اللغة العربية المعاصرة: د أحمد مختار عبد الحميد عمر (ت: ١٤٢٤هـ) بمساعدة فريق عمل الناشر: عالم الكتب ط/١، ١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٨ م عدد الأجزاء: ٤ ،ج/ ٢، باب / العين ، مادة/ عيش/ ١٥٨.

(٧) يُنظر: القواعد الكبرى للتعايش السلمي من خلال القواعد الكلية : عبد العزيز العوضي ، بحث مقدم الى ندوة (فقه رؤية العالم والعيش فيه ، المذاهب الفقهية والتجارب المعاصرة) ،التي أقامتها وزارة الأوقاف في سلطنة عمان ،ص/٧.

(٨)يُظرالتعايش السلمي ومصير البشرية : حسين فهمي مصطفى، الدار القومية للطباعة والنشر، القاهرة، ط/١، ١٩٦٨م، ص٢٢ . ٢

(٩) الحوار من أجل التعايش: عبدالعزيز بن عثمان التويجري ، دار الشروق، القاهرة، الطبعة الأولى، عام ١٩٩٨م، ص /٧٧.)

(١٠) يُنظر: إيديولوجيات الحرب والسلم: فرنسوا شاتليه، ترجمة:جوزيف عبدالله، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت ط١ ١٤٠٢هـ-١٩٨١م،ص/٥.

(١١) اليونسكو ومهمة بناء حصون السلام في عقول البشر: عدنان نصراوين ، مطبعة الدستور التجارية، عمان، ط/١، ١٩٩٧م، ص /٥-٦.

(١٢) التعايش في ظل الاختلافات ، مركز العراق لمعلومات الديمقراطية، ، ص/٦٠ .

(١٣) يُنظر: دور المعلم في تنمية بعض القيم الاجتماعية لدى طلبة الصف الثاني عشر بمحافظات غزة من وجهة نظرهم إعداد الطالب: سهيل أحمد الهندي إشراف: الدكتور – فؤاد علي العاجز أستاذ أصول التربية المشارك قدمت هذه الرسالة كمتطلب تكميلي لنيل درجة الماجستير في أصول التربية بكلية التربية بالجامعة الإسلامية للعام الدراسي ٢٠٠١، ص/ ٤٥-٥٢) ، ص/ ٤٧.

(١٤)تعليم المتعلم طريق التعلُّم : برهان الاسلام الزرنوجي ، تحقيق :مروان قباني ، الناشر المكتب الاسلامي أضافة الى جمعية المقاصد الخيرية الاسلامية بيروت ١٩٨٦م ، ص/٧٨- ٨٠.

(١٥)يُنظر: دور المعلم في تنمية بعض القيّم الاجتماعية لدى طلبة الصف الثاني عشر بمحافظات غزة من وجهة نظرهم ،.

إعداد الطالب اشراف الدكتور – فؤاد علي العاجز، قدمت هذه الرسالة لنيل درجة الماجستير في اصول التربية ، في كلية التربية الجامعة الاسلامية للعام الدراسي ٢٠٠١م، ص/ ٤٧-٤٨ . :

(١٦) يُنظر : أُسس علم النفس العام : د . طلعت منصور، د. أنورالشرقاوي ، د. عادل عز الدين ،د. فاروق ابو عوف ، الناشر : مكتبة أنجلو المصرية ، القاهرة ١٩٨٤، ص/ ٣١٧، يُنظر : فلسفة التربية الاسلامية : عمر الشيباني، الناشر: الدار العربية للكتاب- ليبيا١٩٨٨، صم ٨١- ٨٣.

(١٧) ينظر: دور المعلم في تنمية بعض القيم الاجتماعية لدى طلبة الصف الثاني عشر بمحافظات غزة من وجهة نظرهم إعداد الطالب: سهيل أحمد الهندي إشراف: الدكتور – فؤاد علي العاجز أستاذ أصول التربية المشارك قدمت هذه الرسالة كمتطلب تكميلي لنيل درجة الماجستير في أصول التربية بكلية التربية بالجامعة الإسلامية للعام الدراسي ٢٠٠١، ص/ ٤٥-٥٢

(١٨)التعايش السلمي عند رسول الله محمد (ص) والاقتداء به في الوقت الحاضر ، مؤتمر الاعتدال في الدين والسياسة بقلم: م.د. ميثاق موسى عيسى، كلية الاثار-جامعة ذي قار، بحث مقدم الى (المؤتمر الوطني حول الاعتدال في الدين والسياسة) يومي ٢٢ و٢٣ اذار ٢٠١٧، الذي عقد من قبل مؤسسة النبأ للثقافة والاعلام ومركز الدراسات الاستراتيجية في جامعة كربلاء ومركز الفرات للتنمية والدراسات الاستراتيجية ، ص /٤ .

(١٩)أصول الكافي: ثقة الاسلام أبي جعفر محمد بن يعقوب بن إسحاق الكليني الرازي رحمه الله المتوفى سنة ٣٢٨ / ٣٢٩ هـ مع تعليقات نافعة مأخوذة من عدة شروح صححه وعلق عليه علي أكبر الغفاري الجزء الثاني ناشر: دار الكتب الاسلامية٢٠٠٠م، كتاب العشرة.. باب ما يجب من المعاشرة. ص/ ٦٣٦

(٢٠) حف العقول عن آل الرسول صلى الله عليهم ألفه الشيخ الثقة الجليل الأقدم أبو محمد الحسن بن علي بن الحسين بن شعبة الحراني رحمه الله من أعلام القرن الرابع عنى بتصحيحه والتعليق عليه علي أكبر الغفاري الطبعة الثانية ١٣٦٣ - ش ١٤٠٤ - ق مؤسسة النشر الاسلامي (التابعة) لجماعة المدرسين بقم المشرفة ، ص/ ٤٨٧- ٤٨٨.

(٢١) الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه = صحيح البخاري المؤلف: محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي المحقق: محمد زهير بن ناصر الناصر ، شرح وتعليق د. مصطفى ديب البغا أستاذ الحديث وعلومه في كلية الشريعة - جامعة دمشق ، الناشر: دار طوق النجاة (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي) ،ط /١، ١٤٢٢هـ ، كتاب الجنائز، باب اذا أسلم الصبي ج٢/٩٤.

(٢٢) يُنظر : التعايش السلمي عند رسول الله محمد (ص)والاقتداء به في الوقت الحاضر ، مؤتمر الاعتدال

في الدين والسياسة بقلم: م.د. ميثاق موسى عيسى، كلية الاثار-جامعة ذي قار،بحث مقدم الى (المؤتمر الوطني حول الاعتدال في الدين والسياسة) يومي ٢٢ و٢٣ اذار ٢٠١٧، الذي عقد من قبل مؤسسة النبأ للثقافة والاعلام ومركز الدراسات الاستراتيجية في جامعة كربلاء ومركز الفرات للتنمية والدراسات الاستراتيجية ، ص /٦

(٢٣) بحار الانوار ، لجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار تأليف العلم العلامة الحجة فخر الأمة المولى الشيخ محمد باقر المجلسي ، الناشر : دار إحياء التراث العربي بيروت لبنان ، ج٦٤/ ١٣٣.

(٢٤) بحار الانوار: للمجلسي ، ج٦٤/ ٣٥٨.

(٢٥) جامع السعادات للشيخ الجليل أحد أعلام المجتهدين المولى محمد مهدي النراقي المتوفى ١٢٠٩ هـ الجزء الثاني حققه وعلق عليه العلامة السيد محمد كلانتر عميد جامعة النجف الدينية قدم له الشيخ محمد رضا المظفر عميد كلية الفقه الطبعة الرابعة ، ج٢/٢٥٨

(٢٦) كنز العمال: المتقي الهندي ، تحقيق: ضبط وتفسير : الشيخ بكري حياني / تصحيح وفهرسة : الشيخ صفوة السقا ، سنة الطبع: ١٤٠٩ - ١٩٨٩ م ، ج٣/ ١٤٦.

(٢٧) اتحاف السادة المتقين بشرح أحياء علوم الدين : العلامة السيدمحمد بن محمد الحسيني الزيدي المتوفى ١٢٠٥ ه ، الناشر: دار الكتب العلمية ٧/ ٤٤٠..

(٢٨) يُنظر : التعايش السلمي عند رسول الله محمد (ص) والاقتداء به في الوقت الحاضر ، مؤتمر الاعتدال في الدين والسياسة بقلم: م.د. ميثاق موسى عيسى، كلية الاثار-جامعة ذي قار،بحث مقدم الى (المؤتمر الوطني حول الاعتدال في الدين والسياسة) يومي ٢٢ و٢٣ اذار ٢٠١٧، الذي عقد من قبل مؤسسة النبأ للثقافة والاعلام ومركز الدراسات الاستراتيجية في جامعة كربلاء ومركز الفرات للتنمية والدراسات الاستراتيجية ، ص/٢

(٢٩)يُنظر : منهج التربية في التصور الإسلامي : علي أحمد مدكور ، الناشر : دار الفكر العربي للنشر- القاهرة ، ٢٠٠٢م ، ص/ ٩٩.

(٣٠) يُنظر: المواطنة في التاريخ العربي الإسلامي : هيثم مناع ، الناشر : (ا: مركز دراسات حقوق الإنسان للنشر ، ١٩٩٧م - لقاهرة ، ص/ ٢٢

(٣١) ، العدل في نطاق العيش المشترك - رؤية إسلامية ، سلسلة المسيحية والإسلام في الحوار والتعاون - العدل في المسيحية والإسلام : مسعود المولى ، الناشر: المكتبة البولسية للنشر ، ١٩٩٦م - لبنان، ص/ ١٤٤.

(٣٢) يُنظر :تأملات في قضايا معاصرة : عبد العزيز بن عثمان التويجري ، : دار الشروق ، ٢٠٠٢م - القاهرة، ص/ ٥٢ - ٥٤.

(٣٣) يُنظر: أسلمة المعرفة - العلوم الإسلامية ومناهجها من وجهة نظر إسلامية :محمد علي أبو ريان ، الناشر : دار المعرفة الجامعية للنشر ، ١٩٩٧م - الإسكندرية ، ص/ ٢٧٧.

(٣٤) موسوعة الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) في الكتاب والسنة والتاريخ : محمد الريشهري بمساعدة محمد كاظم الطباطبائي ومحمود الطباطبائي المجلد الرابع / ٢٣٤.

(٣٥) حقوق الإنسان بين تعاليم الإسلام وإعلان الأمم المتحدة : محمد الغزالي ، الناشر : نهضة مصر للنشر ، ط ٤ ، ٢٠٠٥م- القاهرة ،ص/ ٢١٠- ٢١١ .

المصادر والمراجع :

١- القرآن الكريم

٢-اتحاف السادة المتقين بشرح أحياء علوم الدين : العلامة السيدمحمد بن محمد الحسيني الزيدي المتوفى ١٢٠٥ ه ، الناشر: دار الكتب العلمي.

٣-أسس علم النفس العام: د . طلعت منصور، د. أنورالشرقاوي ، د. عادل عز الدين ،د. فاروق ابو عوف ، الناشر : مكتبة أنجلو المصرية ، القاهرة ١٩٨٤.

٤-أسلمة المعرفة - العلوم الإسلامية ومناهجها من وجهة نظر إسلامية :محمد علي أبو ريان ، الناشر : دار المعرفة الجامعية للنشر ، ١٩٩٧م - الإسكندرية .

٥-أصول التربية الإسلامية وأساليبها في البيت والمدرسة والمجتمع : عبد الرحمن النحلاوي الناشر: دار الفكر ،ط: الخامسة والعشرون ١٤٢٨هـ-٢٠٠٧م.

٦- أصول الكافي: ثقة الاسلام أبي جعفر محمد بن يعقوب بن إسحاق الكليني الرازي رحمه الله المتوفى سنة ٣٢٨ / ٣٢٩ هـ مع تعليقات نافعة مأخوذة من عدة شروح صححه وعلق عليه علي أكبر الغفاري الجزء الثاني ناشر: دار الكتب الاسلامية ٢٠٠٠م، كتاب العشرة.. باب ما يجب من المعاشرة. ص/ ٦٣٦

٧-إيديولوجيات الحرب والسلم: فرنسوا شاتليه، ترجمة:جوزيف عبدالله، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت ط١ ١٤٠٢هـ-١٩٨١م،ص/٥.

٨-بحار الانوار ، لجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار تأليف العلم العلامة الحجة فخر الأمة المولى الشيخ محمد باقر المجلسي ، الناشر : دار إحياء التراث العربي بيروت لبنان.

٩-التعايش السلمي ومصير البشرية : حسين فهمي مصطفى، الدار القومية للطباعة والنشر، القاهرة، ط/١، ١٩٦٨م .

١٠-التعايش السلمي عند رسول الله محمد (ص) والاقتداء به في الوقت الحاضر ، مؤتمر الاعتدال في الدين والسياسة بقلم: م.د. ميثاق موسى عيسى، كلية الاثار-جامعة ذي قار،بحث مقدم الى (المؤتمر الوطني حول الاعتدال في الدين والسياسة) يومي ٢٢ و٢٣ اذار

٢٠١٧، الذي عقد من قبل مؤسسة النبأ للثقافة والاعلام ومركز الدراسات الاستراتيجية في جامعة كربلاء ومركز الفرات للتنمية والدراسات الاستراتيجية .

١١- التعايش في ظل الاختلافات ، مركز العراق لمعلومات الديمقراطية.

١٣-التنشئة الاجتماعية للطفل الأردن : سميح أبو مغلي وآخرون ، دار البازوري العلمية للنشر والتوزيع ٢٠٠٢م.

١٤- تأملات في قضايا معاصرة : عبد العزيز بن عثمان التويجري ، : دار الشروق ، ٢٠٠٢م - القاهرة.

١٥- تحف العقول عن آل الرسول صلى الله عليهم ألفه الشيخ الثقة الجليل الأقدم أبو محمد الحسن بن علي بن الحسين بن شعبة الحراني رحمه الله من أعلام القرن الرابع عنى بتصحيحه والتعليق عليه علي أكبر الغفاري الطبعة الثانية ١٣٦٣ - ش ١٤٠٤ - ق مؤسسة النشر الاسلامي (التابعة) لجماعة المدرسين بقم المشرفة.

١٦- تعليم المتعلم طريق التعلُّم : برهان الاسلام الزرنوجي ، تحقيق :مروان قباني ، الناشر المكتب الاسلامي أضافة الى جمعية المقاصد الخيرية الاسلامية بيروت ١٩٨٦م.

١٧-الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه = صحيح البخاري المؤلف: محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي المحقق: محمد زهير بن ناصر الناصر ، شرح وتعليق د. مصطفى ديب البغا أستاذ الحديث وعلومه في كلية الشريعة - جامعة دمشق ، الناشر: دار طوق النجاة (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي) ،ط / ١، ١٤٢٢هـ .

١٨- جامع السعادات للشيخ الجليل أحد أعلام المجتهدين المولى محمد مهدي النراقي المتوفى ١٢٠٩ هـ الجزء الثاني حققه وعلق عليه العلامة السيد محمد كلانتر عميد جامعة النجف الدينية قدم له الشيخ محمد رضا المظفر عميد كلية الفقه الطبعة الرابعة .

١٩- الحوار من أجل التعايش: عبدالعزيز بن عثمان التويجري ، دار الشروق، القاهرة، الطبعة الأولى، عام ١٩٩٨م.

٢٠-حقوق الإنسان بين تعاليم الإسلام وإعلان الأمم المتحدة : محمد الغزالي ، الناشر : نهضة مصر للنشر ، ط ٤ ، ٢٠٠٥م- القاهرة .

٢١- دور المعلم في تنمية بعض القيم الاجتماعية لدى طلبة الصف الثاني عشر بمحافظات غزة من وجهة نظرهم إعداد الطالب: سهيل أحمد الهندي إشراف: الدكتور - فؤاد علي العاجز أستاذ أصول التربية المشارك قدمت هذه الرسالة كمتطلب تكميلي لنيل درجة الماجستير في أصول التربية بكلية التربية بالجامعة الإسلامية للعام الدراسي ٢٠٠١.

٢٢-العدل في نطاق العيش المشترك - رؤية إسلامية ، سلسلة المسيحية والإسلام في الحوار والتعاون - العدل في المسيحية والإسلام : مسعود المولى ، الناشر: المكتبة البولسية للنشر ، ١٩٩٦م - لبنان.

٢٣- فلسفة التربية الاسلامية : عمر الشيباني، الناشر: الدار العربية للكتاب- ليبيا١٩٨٨.

٢٤- القاموس المحيط المؤلف: مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادى (المتوفى: ٨١٧هـ) تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة بإشراف: محمد نعيم العرقسُوسي الناشر: مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت - لبن ان الطبعة: الثامنة، ١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥ م ، باب/ الميم ن فصل/القاف ، ١١٥٢.

٢٥-القواعد الكبرى للتعايش السلمي من خلال القواعد الكلية : عبد العزيز العوضي ، بحث مقدم الى ندوة (فقه رؤية العالم والعيش فيه ، المذاهب الفقهية والتجارب المعاصرة) ،التي أقامتها وزارة الأوقاف في سلطنة عمان.

٢٦-كنز العمال: المتقي الهندي ، تحقيق: ضبط وتفسير : الشيخ بكري حياني / تصحيح وفهرسة : الشيخ صفوة السقا ، سنة الطبع: ١٤٠٩ - ١٩٨٩ م .

٢٧- المعجم الوسيط المؤلف: مجمع اللغة العربية بالقاهرة (إبراهيم مصطفى / أحمد الزيات / حامد عبد القادر / محمد النجار الناشر: دار الدعوة .

٢٨-- المواطنة في التاريخ العربي الإسلامي : هيثم مناع ، الناشر: مركز دراسات حقوق الإنسان للنشر ، ١٩٩٧م القاهرة.

٢٩- معجم اللغة العربية المعاصرة: د أحمد مختار عبد الحميد عمر (ت: ١٤٢٤هـ) بمساعدة فريق عمل الناشر: عالم الكتب ط/١، ١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٨ م .

٣٠- موسوعة الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) في الكتاب والسنة والتاريخ : محمد الريشهري بمساعدة محمد كاظم الطباطبائي ومحمود الطباطبائي.

٣١-اليونسكو ومهمة بناء حصون السلام في عقول البشر: عدنان نصراوين ، مطبعة الدستور التجارية، عمان، ط/١، ١٩٩٧م.

فصلية مُحَكَمة تُعنى بالبحوث والدراسات العلمية والإنسانية والفكرية
العدد (٣) السنة الثانية ذو القعدة ١٤٤٣ هـ حزيران ٢٠٢٢ م

الذكر البيض

فصلية مُحَكَمة تُعنى بالبحوث والدراسات العلمية والإنسانية والفكرية
العدد (٣) السنة الثانية ذو القعدة ١٤٤٣ هـ حزيران ٢٠٢٢ م

مسيرة حرب الاستقلال الاستونية
(1918-1920م)

م.م ندى كامل تايه
كلية التربية الأساسية/ الجامعة المستنصرية

المستخلص
تعد حرب الاستقلال الاستونية فصلاًرائعاً على الرغم من اهمال التاريخ العسكري لتلك الحرب.
لقد كان هذا الصراع بين الاستونيين والقوات البلشفية (الروسية) من جهة والقوات الألمانية من جهة أخرى على حد سواء وعلى الرغم من نقص جميع الامدادات والمعدات التي تتطلبها أي حرب من اجل، تمكنت تلك القوات الصغيرة وحديثة النشأة من هزيمة الأعداء ذوي القدرات العسكرية الفائقة، لقد كان الدفاع الاستونية دفاعا مريرا من اجل نيل الاستقلال التام، لقد كانت القيادة العليا للقوات المسلحة الاستونية جميع الدعم المعنوي اللوجستي المتفوق على الرغم من بساطتهم مقارنة بالدعة الذي حصلت عليه القوات المعادية، لقد كان هذا الدعم البسيط والذي له دور كبير في انتصار الاستونيين على اعدائهم، لقد حقق الاستونين اللذين احسنوا استخدام جميع الموارد المتاحة لديهم وتكاتفهم شعبهم جنب الى جنب لمساعدة قواتهن العسكرية، ولقد أعطت ولا تزال دروس الحرب الاستونية درسا هاما من أجل التحرير والاستقلال.

Abstract

The Estonian War of Independence is a fascinating chapter، although the military history of that war is neglected. It was this struggle between the Estonians and the (Russian) Bolshevik forces on the one hand، and the German forces on the other hand alike، and despite the lack of all the supplies and equipment which any war would require، these small and young forces were able to defeat the enemies of superior military capabilities، The Estonian defense was a bitter defense for the sake of achieving complete independence. The high command of the Estonian armed forces had all the superior moral and logistical support despite their simplicity compared to the comfort of the hostile forces. It was this simple support that played a major role in the victory of the Estonians over their enemies، The Estonians who made good use of all the resources available to them and their people joined together to help their military forces to achieve victory. And so، the lessons of the Estonian War have given an important lesson for liberation and independence.

Keywords: Estonian war، Britain، Bolshevik forces، Germans، Estonian military forces.

المقدمة:

بحلول ٢٤ فبراير من عام ١٩١٨م نشأ فراغ فريد في السلطة الاستونية عقب انتهاء الحرب العالمية الأولى وبعد سقوط روسيا القيصرية إذ بقيت استونيا تعاني من فراغ سياسي وعسكري على أثر تخلي القوات الروسية عن العاصمة الاستونية تالين، أعطى هذا التخلي ولأول مرة عبر تاريخ استونيا فرصة أمام الاستونيين للإعلان دولتهم (جمهورية استونيا) ولم يأتي هذا الاستقلال بطريقة سهلة بل بالعكس، إذ قاتل الاستونيين في حرب استقلال مريرة وقاسية بدأت في نهاية العام نفسه ضد الجيش الأحمر الروسي الذي جاء وسيطر على السلطة عقب احداث الثورة البلشفية.
كانت حرب الاستقلال الإستونية واحدة من سلسلة حروب خاضتها استونيا ضد جهات عديدة كانت لديا ثقل عسكري في هذه المنطقة، منها القوات الألمانية والقوات البريطانية وبعض القوات الفنلندية الداعمة للجيش الاستوني وبعض قوات فرنسا وقوات السويد وبعض قوات

اللاندسوير، كل هذه القوات كانت مجتمعة من اجل ان تضع لها موطئ قدم في هذه المنطقة التي تعاني من ويلات الحروب.

لقد كانت حرب اللاندسوير من الحروب التي تذكر في التاريخ ولها أثر في شمال بحر البلطيق، لقد كان هذا التحالف قد جعل من الجيش الاستوني متكاتفا مع افراد شعبه.لقد كانت فترة حرب الاستقلال الاستونية والتي جاءت في اعقاب الثورة الروسية وقد كانت حرب تقرير المصير الوطني والدفاع عن السيادة الاستونية على الرغم من إنها حرب دامت لمدة قصيرة جداً مقارنة بغيرها من حروب التحرير والاستقلال الأخرى، وقد حدثت قبل ١٠٤ عاما بالضبط إذ أحدثت تطوراً فكرياً لحروب الاستقلال التي جاءت بعدها، لقد كانت فكرة حرب الاستقلال واحدة من الحلول المستحيلة ناهيك على ان بوادر تلك الحرب كانت بقيادة مجموعة من الشباب المثقف الاستوني بين مفكر وطالب وعسكري من جميع طبقات وفئات الشعب، توحدت جهودهم لتحقيق السيادة القومية، ثم انتشر هذا الفكر القومي ليصل الى القيادات العسكرية الاتسونية التي خدمت في الجيش الروسي اثناء الحرب العالمية الأولى الذين عادوا الى بلدهم الام استونيا ليلقوا استحسانا لهذه الأفكار ويتولوا قيادة أولى تلك الحركات العسكرية التحررية ذات الفكر القومي.

لقد كان هؤلاء الافراد ذوي أثر كبير في تحقيق الانتصار الاستوني خلال وقت قصير، ولقد كانت حروب الاستقلال الاستونية واحدة من الحروب التي غيرت مجرى التاريخ وكانت مثالا فيما بعد لتقتدي به الدول الأوروبية الأخرى لنيل استقلالها وحريتها من تحت جناح وسيطرة الدول الكبيرة الأخرى.

لقد قسم بحثي هذا الى مقدمة وسبع مواضيع أساسية تناولت فيها مسيرة حرب الاستقلال الاستونية منذ بدايتها وحتى اعلان الجمهورية الاستونية بتسلسل تاريخي بدأ منذ بداية الحرب في ٢٨ نوفمبر عام ١٩١٨م حتى نهايتها في ٢ فبراير عام ١٩٢٠م وما تخللها من احداث ونزاعات ومعارك وتداخلات اجنبية عديدة سيتم ذكرها.وتلك المراحل هي:الموقف الاستوني، الطريق نحو الاستقلال، الموقف الهجومي، حرب اللاندسوير، الجبهة الشرقية، سوء الإدارة العسكرية، المرحلة النهائية.

أولا: الموقف الإستوني

كانت استونيا جزء من الإمبراطورية الروسية منذ عام (١٧٢١م) وحتى عام (١٩١٨م) حيث كانت الأراضي الاستونية تشكل تقريبا في حجم ولايتي نيوهامشير* وفيرمونت* الأمريكيتين مجتمعتين، تتكون تضاريسها من مستنقعات واراضي منخفضة في الشمال أضافة الى التلال متوسطة الارتفاع في الجنوب، وكانت تالين* هي العاصمة الواقعة غرب استونيا وكانت أراضيها ذات موانئ طبيعية التي كانت تتجمد في فصل الشتاء، إضافة الى ان اكثر أراضي إستونيا كانت معتمدة على الزراعة وغالبية السكان الاستونيون البالغ عددهم ١,٥مليون يعيشون في مزارع ذات اكتفاء ذاتي الى حد كبير الى حلول ١٩١٨م(١).

الاستونيون هم مجموعة عرقية تشبه الى حد كبير الفنلنديين، كذلك يتكلمون لغة فينية اوغرية او ما تعرف بالإستونية المنتمية الى عائلة اللغات الاورالية* التي يتكلم بها اغلب سكان بحر البلطيق وهي نفس اللغة التي يتكلم بها سكان لاتفيا ولتوانيا، وجاء اسم استونيا من كلمة

(استي) ويرجع أصل تسمية إستونيا بهذا الاسم إلى الكاتب الروماني (تاسيتس)* حيث إنه في كتابه جرمانيا وصف جماعة من الناس يسمون آيستي، وفي الملاحم الإسكندنافية القديمة تشير إلى بلد اسمها إستلَند (Estland) وهو اسم إستونيا في اللغات الجرمانية الحديثة(٢).

اما الديانة الرسمية لسكان استونيا فان الدين يلعب دورا صغيرا لدى الاستونيون، بسبب الاحتلال السوفييتي الماركسي الشيوعي لهم، لكن المسيحية تشكل نسبة ٨٠٪ من البروتستانت و٢٠٥ من الارثدوكس(٣).

عندما سقطت الإمبراطورية الروسية كانت هناك حالة من الفوضى تعم البلاد بسبب الانقلاب البلشفي، حيث سقطت بترو غراد* في ٧ نوفمبر سنة ١٩١٧م بيد قادة الحزب الشيوعي الروسي، لهذا رأى القادة السياسيون الاستونيون ضرورة للاستقلال الوطني عن روسيا وانها فرصة مؤاتيه لذلك، وفي ٢٤ فبراير سنة ١٩١٨م اعلن استونيا استقلالها وتشكيل حكومة مؤقتة فيها وتفرض سلطتها على المنطقة بأكملها بالرغم من ان الجيش الألماني قد احتل معظم أجزاء البلاد وكانت بيده سلطتها الفعلية، وبحلول ١١ نوفمبر ١٩١٨م حدث فراغ سياسي على اثر انسحاب الجيش الألماني بعد اعلان هزيمته في الحرب العالمية الأولى، فبدأ الاستونيون بتشكيل قوات عسكرية منظمة في نهاية عام ١٩١٧م، وكان قادة هذا الجيش هم من رجالات استونيا الذين كانوا ضمن الجيش الروسي السابق الذين تسللوا عودة الى بلادهم بالخفية كون ان استونيا كانت تحت الاحتلال الألماني، وعملوا على تكوين نواة هذا الجيش(٤).

بدأ هؤلاء الضباط الاستونيون الأصل بتنظيم القوات العسكرية الوطنية في نفس العام وهو ١٩١٧م وكان اكثرهم ممن خدموا في الجيش الروسي لفترات طويلة وكانت لهم خبرة في القتال وكان عددهم يقدر بحوالي ١٠٠ ألف مقاتل عند بدء الحرب العالمية الأولى، لقد كان لدى الاستونيون ما يكفي من القوات العائدة والدربة إضافة الى فرق عسكرية استونية متكونة من أربعة أفواج مشاة وفوج لسلاح الفرسان ولواء مدفعية وسرية خاصة للمهندسين العسكريين ليتم لها تحقيق الاستقلال، واضافة الى ذلك فان القوات الألمانية كانت قد قامت بالقبض على معظم افراد الحكومة الاستونية المؤقتة خلال فترة احتلال الجيش الألماني لإستونيا مما أدى الى اختباء معظمهم خوفا من وقوعهم اسرى لدى القوات الألمانية(٥).

لم تكن الفرقة الاستونية قوية بما يكفي لمقاومة عملية الانزال الألماني على الساحل الاستوني، بالمقابل عملت القوات الألمانية منذ احتلالها للأراضي الاستونية على تجريد المواطنين الاستونيين من أسلحتهم واجبارهم على تسلم الأسلحة الشخصية التي يحتفظ بها الاستونيون الى سلطات الاحتلال الألمانية(٦).

ثانيا: الطريق نحو الاستقلال

عند بداية هدنة ١١ نوفمبر سنة ١٩١٨م استأنفت الحكومة الاستونية المؤقتة نشاطها مرة أخرى واستطاعت وبفضل جهود بعض ضباط وبعد معارك طاحنة ومقاومة عنيفة من اجبار القوات الألمانية على الانسحاب رغم تفوقها على الحكومة الاستونية الجديدة، لقد كان الاستونيون في وضع صعب للغاية حيث كانوا بحاجة ماسة لتنظيم مؤسساتهم الحكومية والقوات المسلحة في نفس الوقت، في

المقابل كانت هناك القوات البلشفية الروسية التي كانت تتحشد على الحدود مع استونيا، وكانت استونيا في ذلك الوقت تعاني من نقص شديد في الموارد الغذائية نتيجة لاستنزاف مخازن الحبوب التي سرقتها الجيوش الألمانية والروسية إضافة الى شحة المواد الخام أدى الى ترك الصناعة عاطلة عن العمل وبالمقابل كان هنالك تعاون مشترك بين الالمان والروس البلشفيين للاستيلاء على السلطة في بترو غراد بعد (معاهدة برست-ليتوفسك)* في فبراير ١٩١٨م(٧).

وعلى الرغم من انهيار حكومة الإمبراطورية الألمانية امام الحلفاء واصل الالمان التحالف مع البلاشفة واعطائهم الأسلحة والامدادات من اجل ضرب استونيا ولاتفيا على التوالي واعاقة الإجراءات الدفاعية من قبل الحكومة المحلية في استونيا، ثم قام الالمان بتمدير مخازن الأسلحة بعد اخلائهم وانسحابهم من المناطق الاستونية وكذلك مصادرة المواد الغذائية والملابس ولم يبقى لإستونيا من الأسلحة والذخائر غير أنواع مختلفة من البنادق الخفيفة المتضررة الغير صالحة للاستعمال، ونتيجة لهذه الحالة ايقن الاستونيون ان الوقت غير مناسب لشن أي هجوم مضاد ضد القوات البلشفية، وفي ٢٨ نوفمبر من عام ١٩١٨م غزا الجيش الأحمر* السابع لروسيا السوفيتية استونيا من الشمال في منطقة (نارفا)* و من الجنوب في مدينة (باسكوف)* ثم اتجه نحو مدينتي (فورو) و(تارتو)* حيث بلغ عندها قوام القوات البلشفية الغازية ١٢ ألف مقاتل مقابل ٢٠٠ مقاتل استوني دون مدفعية ومؤلف من ضباط جيس وطلاب مدارس وقرويين وبعض المتطوعين الذين كان ينقصهم التدريب العسكري حيث كانوا يحملون أسلحة شخصية بسيطة خالية من الذخيرة ولا يرتدون الزي الرسمي العسكري مع القليل من المواد الغذائية(٨).

لقد انسحبت القوات الاستونية الى منطقة غرب استونيا كان تحوي كل من موانئ بارنو* و بلديسكي* والعاصمة تالين* التي كانت اكبر مورد للصناعة الاستونية وأيضا احتوائها على اكبر ميناء ومؤسسات استونية، وحيث تم تدمير سكة الحديد الهامة للجيش الاستوني في تابا فالغا* على ايدي القوات البلشفية الغازية، وعلى الرغم من هذا الوضع البائس للاستونيين بدأت الحكومة الاستونية بإعلان التعبئة والتنظيم لجميع الرجال القادرين على حمل السلاح للدفاع عن الوطن ونتيجة لهذه الوضعية الخطيرة أبلغت القوات البحرية البريطانية الحكومة الاستونية ان بعض القوات البريطانية في طريقها الى بحر البلطيق* لمساعدة الاستونيون في حربهم حيث وصل اسطول من السفن في ١٢ ديسمبر ١٩١٨م مكون من ٣٠ سفينة الى العاصمة تالين وبدأت بإنزال حمولة من الأسلحة الرشاشة والمدافع وبنادق من نوع لويس (Lewies guns))* ومخزون من الملابس والمؤن الضرورية للجيش الاستوني، ثم تم بعد ذلك تزويدهم بمدافع رشاشة دنماركية من نوع ماديسون (Madison) مع افراد من ضباط المشاة البحرية الملكية البريطانية لتدريب القوات الاستونية على القتال البحري(٩).

تلقى الاستونيون أيضا مساعدة من فنلندا حيث كان لهم روابط ثقافية ولغوية قوية مع الاستونيون وأعلنت فنلندا استقلالها عن الإمبراطورية الروسية في ٦ ديسمبر ١٩١٧م قد اقرضت في ذلك الوقت الحكومة الفنلندية ١٠ملايين مارك الى الحكومة الاستونية في ديسمبر سنة

١٩١٨م لكي يتم شراء أسلحة من مدافع خفيفة و ٢٠٠ بندقية مع ذخيرتها وعدة رشاشات مستعملة، وقامت العديد من المنظمات الفنلندية بتجنيد قوة من المتطوعين لمساعدة الاستونيين من ذوي الخبرة لتشكيل كتيبة مشاة وفوج مشاة مدعومة ب١٠ قطع مدفعية من اجل رفع الروح المعنوية الاستونية وبدأت كتيبة المشاة الفنلندية العمل على مساعدة الجيش الاستوني في بداية يناير عام ١٩١٩م ومع وصول المساعدات الأجنبية وسع الاستونين قواتهم واعادوا تنظيم وحداتهم القتالية وتنظيم الدعم الواصل لهم في ٢٩ نوفمبر ١٩١٨م كانت الحكومة الاستونية قد أصدرت مرسوما للتجنيد الإلزامي في أوائل ديسمبر من عام ١٩١٨م وحث المواطنين على الدعم المعنوي للجيش والتنبيه على الأهداف والطرق البلشفية في القتل والترهيب للسكان الاستونيين حيث لقي حوالي ٥٠٠ شخص منهم حتفه من جراء الممارسات الغير إنسانية للبلاشفة وانتشار ما سمي «بالرعب الأحمر» في المدن المحتلة من قبل الجيش الروسي(١٠).

هنا تشكلت وحدات للمتطوعين في مختلف منظمات المجتمع والعمل على وحدة تكتيكية من اجل الوصول الى التحرر التام من شتى اشكال السيطرة وتم انشاء «مكتب للقائد العام» في ٢٣ ديسمبر سنة ١٩١٨م وتعيين العقيد (يوهان ليدونر)* والعقيد (جان سووتز) كرئيسين لأركان جيش الدفاع الاستوني وتكوين قيادة مركزية مع الاستمرار بالقتال الموحد وتم انشاء إدارات للأركان متخصصة لإدارة شؤون الجيش الاستوني وبناء سكة حديد عسكرية على جبهة القوقاز أيضا في منذ مارس ١٩١٧م، وفي ٥ يناير عام ١٩١٨م عين العقيد سوتز قائد الشعبة الاستونية

وفي ديسمبر عام ١٩١٨م تشكلت فرقة باسم «فرقة البحرية الاستونية» تحت قيادة الكابتن البحري (يوهان بيتكا)* وهو شخص مختلف تماما عن العقيد ليودونر حيث كان قبطانا لسفينة تجارية منذ عام ١٨٩٥م وخدم لفترة قصيرة على متن الطراد المدرع التابع لبحرية الإمبراطورية الروسية (المدمرة الأدميرال اوداكوف) والتحق بخدمة البحرية الاستونية وادارتها في بداية الامر حيث كان الاسطول الاستوني يتألف من زوارق حربية روسية قديمة من نوع «لمبت» وعدد من السفن الصغيرة(١١).

في ٢٦ ديسمبر ١٩١٨م ارسل الاسطول البلشفي طرادتين مدمرتين حديثتين للإغارة على العاصمة تالين حيث رست هذه الطرادات بالقرب من ميناء تالين ودار قتال بينهما وبين السفن الحربية البريطانية الراسية في ذلك الميناء، استعصت الحركة على احدى الطرادتين بسبب توقفها في المياه الضحلة بالقرب من مدخل ميناء تالين واستسلمت للقوات البريطانية، حاول الطراد الاخر الهروب ليتم محاصرته وإعلان استسلامه للأسطول البريطاني أيضا، وفي نهاية المطاف استطاعت القوات البريطانية هزيمة الطرادتين واستطاعت الاستحواذ عليهما ليتم تسليمهما الى الاستونيين لإعادة بنائهما وترميمهما وتجهيزهما للخدمة ليكونا النواة لبناء الاسطول الإستوني فيما بعد، وفي يناير عام ١٩١٩م تم تشغيل هذين الطرادتين الجديد تحت اسم «لينوك وفامبولا»(١٢).

لقد تم استخدام احواض لبناء السفن في تالين لتجديد السفن القديمة وكذلك قامت القوات المسلحة من استغلال جميع المواد المتاحة للجيش الاستوني من خطوط سكك الحديد الموجودة في عموم البلاد

استغلالا بشكل يخدم العمليات القتالية وكذلك كونها الوسيلة للنقل البري في ذلك الوقت، وادت أهمية السكك في ذلك الوقت خلال الحرب العالمية الأولى خصوصا في فرنسا والنمسا وألمانيا وهنغاريا حيث كانت قطاراتها مصفحة بنيت لغرض استخدامها في الحروب بين عامي ١٩١٤-١٩١٨م وسرعان ما صنع الاستونيون بعد ذلك قطارات مدرعة لمساعدة القوات الاستونية في صد الهجوم الروسي على استونيا، نظرًا لأنه كان من غير المحتمل أن تشارك طرادات البحرية الإستونية في سفينة لشحن المبارزات مع الوجود البريطاني على بحر البلطيق ، فقد تم تجريد الطلاء والدروع والمدافع إلى الحد الأدنى واستخدام الطلاء والبنادق لتجهيز القطارات المدرعة، ولم تكن هناك أي غيرة بين الخدمة في هذه المسألة منذ أن قاد الكابتن بيتكا أول قطار مدرع أرسل إلى الجبهة في ديسمبر ١٩١٨ وساعده في ذلك البحارة الإستونيون حيث قاموا بالتمركز في مواقع الأسلحة على متن القطار(١٣).

قدم السرب البريطاني أيضًا بنادق لاستخدامها في القطارات المدرعة، حيث كان دور البحرية الإستونية هو توفير الدعم المدفعي للقوات البرية والقيام بهبوط برمائي، وقد حولت أحواض بناء السفن في تالين العديد من السفن المدنية لأغراض الدعم البحري، كما صنع الاستونيون بعض السيارات المدرعة للتصدي واخافة القوات الروسية بشكل كبير لعدم وجود مثل تلك السيارات المدرعة محلية الصنع عند الأعداء وعلى الرغم من انها كانت ذات فائدة محدودة لأنها كانت ضعيفة وخاصة عند وقوعها في المستنقعات الضحلة الا انها تفيد بحمل الأسلحة والمدافع الخفيفة وتستطيع الصعود الى المناطق قليلة الارتفاع والتلال(١٤).

ومع استمرار القتال حتى مايو ١٩١٩م طلبت البعثة البريطانية في استونيا بشكل عاجل من الحكومة البريطانية تزيد الجيش الاستوني بسيارات مصفحة من النوع الحديث لمجابهة الهجوم المتواصل من قبل البلاشفة ووضعها تحت قيادة فرق القطارات المدرعة، وعلى الرغم من ان تلك القطارات التي كانت تقوم باختراق صفوف الأعداء بوقت قياسي بالنسبة لقطارات مدرعة مكونة من عربتين مصفحتين مجهزتين بأربعة رشاشات خفيفة و ١٦ رشاش خفيف إضافة الى عربات النقل لنقل المواد الاحتياطية إضافة الى عربات المؤن المحملة بمؤن الجيش والمؤن الطبية وبعض العربات لتصليح السكك المدمرة وإعادة تأهيل القطارات المتضررة وارجاعها الى العمل كذلك تحتوي بعض الغرف على الساونا المشيدة خصيصا للسماح لقوات الخطوط الامامية بالاستحمام حفاظا على الروح المعنوية للجيش ونظافته العامة، على عكس الجانب البلشفي الذي كان يفتقر الى ابسط ظروف وعوامل النظافة خصوصا ان مقاتليه كانوا بعيدين عن المدن العامرة، لذلك بدأت حمو التيفوئيد بالانتشار في صفوف افراد الجيش الأحمر مما أدى الى انخفاض القوة القتالية لديهم(١٥).

أنشأ الاستونيون أيضا نظاما للإجلاء الطبي باستخدام قاطرات ركاب السكك الحديدية المعدلة الى سيارات اسعاف أيضا عملوا على تحوير بعض القطارات الى مستشفيات متنقلة لخدمة الجرحى واخلائهم من ارض المعركة كون ان ميادين المعارك كانت بعيدة بعض الشيء عن العاصمة تالين والعمل على تجنيد جميع مستشفيات البلاد وخاصة القريبة من

جبهات القتال لخدمة الجنود وأصبحت الخدمة الطبية للجيش الاستوني قادرة على التعامل مع ٥٠٠٠ جريح من مجموع ١٣،٠٠٠ مقاتل مع استمرار تزايد عدد المقاتلين الجرحى على الجبهة حتى تمكنوا من تشكيل فرقتين اضافيتين بالإضافة الى فرقة المشاة الأولى الاصلية وقسم القطار المدرع(١٦).

أما إذا أردنا التحدث عن وحدات الطيران الاستوني فأنه بدأ تأسيسه بعد انتهاء الحرب العالمية الأولى وكانت اسرابه مكونة من الطائرات الروسية والألمانية المنهوبة من الأعداء التي قامت بريطانيا بتزويدهم بالموارد لها، وكانت أيضا نواته من الضباط وضباط الصف الذين خدموا في وحدات طيران الإمبراطورية الروسية وقاموا بتطبيق خبرتهم بسهولة كأنشاء قوات جوية استونية ملحقة بالكتيبة الهندسية وذلك في عام ١٩١٨م، وبحلول عام ١٩١٩م كانت لدى استونيا قوات جوية منظمة ومستقلة قادرة، لكن اكبر القيود التي قيدت القوة الجوية الاستونية هي عدم توفر الوقود اللازم لها حيث بدأ ضباط الطيران بطرق الأبواب في بلدة (نارفا) من اجل طلب الوقود لكن دون جدوى حيث لم يكن احد لديه كون ان السيارات كانت نادرة نسبيا في ذلك الوقت(١٧).

طوال عام ١٩١٩م كان هنالك نقص في جميع الامدادات اللازمة حيث بدأ السكان من المدنيين بالتبرع للجيش الاستوني بالخيول والزلاجات والطعام ومع بدء نفاذ مخزون الحبوب اتخذت الحكومة خطة التقشف وخفض حصة الفرد من الخبز الى حوالي ١٤٠ غرام للشخص الواحد، لكن هذا الوضع لم يدم بل بدأ بالتحسن مع وصول مساعدات من بريطانيا من شحنات الحبوب وتموين من الولايات المتحدة وفنلندا التي منحت قرضا اخر لشراء كميات من الطعام إضافة الى قرض الأسلحة، هذا العمل أدى الى الإسراع بالقوات المسلحة الاستونية بالقيام بهجوم كاسح لتحرير البلاد بأكملها(١٨).

ثالثا: الموقف الهجومي

في٦يناير عام ١٩١٩م شنت القوات الاستونية هجوما حيث اتخذوا أسلوب المناورة والحركة السريعة ثم قامت البحرية الاستونية بإنزال برمائي خلف خطوط القوات البلشفية واستخدمت أيضا القوات المدرعة أيضا من اجل تحطيم خطوط العدو الروسية وفي منتصف يناير اقتحمت قطارات مدرعة مدينة تارتو وبذلك استطاعت إيقاف التقدم البلشفي نحو تارتو، وهنا ارتكبت القوات البلشفية على اثر الهجوم الاستوني مجزرة بحق سكان بلدة نارفا حيث تصدت القوات الاستونية بمساعدة الجيش الفنلندي لتلك القوات وقاموا بتحرير مدينة نارفا، وفي ١٩ يناير تم تطهير مدينة فالغا وفويا اللتين تقعان جنوب استونيا من البلاشفة

وفي١فبراير تحسن وضع الاستونين

مقارنة بالروس بسبب تحسن وضع الامدادات القادمة الى استونيا أيضا على اثر استيلاء الاستوينين على ٣٥ قطعة من المدافع الميدانية و ٧ مدافع بحرية و١١٨ رشاش خفيف و٢٠٠٠ بندقية وطائرتان و٩ قطارات و١٨٠ عربة حديدية واربع سفن ساحلية و ١٣،٠٠٠ قذيفة وكميات كبيرة من ذخيرة البنادق(١٩).تم اقتحام تارتو من قبل قوات الثوار وسرعان ما سيطروا على نارفا التي كانت معقل للبلاشفة في استونيا واستولت القوات الاستونية على فرق من الجيش الأحمر واسروا قائد اركان الفوج وقائد البحرية (ليون تروتسكي)*الذي تم القاء القبض

عليه اثناء هروبه من جبهة القتال، بالمقابل حشد البلاشفة في ١٩ فبراير ١٩١٩م حوالي ٧٥،٠٠٠ الى ٨٠،٠٠٠ جندي في باسكوف لشن هجوم مضاد ضد القوات الاستونية التي كانت اقل عددا من الجنود الروس حيث ارسل الى الجبهة الجنوبية الشرقية حوالي ٧٥،٠٠٠ جندي في ديسمبر عام ١٩١٩م ثم عززت تلك القوات بعدد كبير من المدفعية الحديثة والثقيلة فاقت المدفعية الاستونية التي كانت قديمة وبعضها محدث، لكن الذي خدم القوات الاستونية هو دعم المنظمات والرعاية الطبية الجيدة والامدادات ونظام الامدادات السريع لجبهات القتال مقارنة بالبلاشفة التي كانت الرعاية الطبية متوقفة تماما إضافة الى فوضوية عمليات النقل لسكك الحديد والنقص التام في امدادات الطعام عن الجيش، اما بالنسبة للخيول التي اعتمد عليها الجيش الأحمر كانت مصادرة من الفلاحين(٢٠).

وبذلك يعتبر الهجوم البلشفي على الخطوط الاستونية واطلاق عدة هجمات عليها أدى الى احتدام القتال خلال شهر مارس وابريل ولم يستطع البلاشفة الاستفادة في تفوقهم بالمدفعية لحصولهم على نصر وذلك بسبب وجود ضباط غير مدربين تدريب كافي ناهيك عن الضعف المعنوي، وأيضا لا يجب ان ننسى ان صفوف الجيش الأحمر كان بينها خليط من الفلاحين الروس والمجرين والصينين الذي لم يفهموا ولم يهتموا بأهداف تلك الحرب، إضافة الى القيادة العسكرية للبلاشفة اعتمدت على ضباط سابقين في الجيش الامبراطوري الروسي الذين كانوا يكنون العداء لبقية افراد الجيش(٢١).

بدأت الروح المعنوية للجيش الأحمر تدب فيها اثار الضعف والتدهور مع استمرار القتال وبحلول منتصف شهر مايو ١٩١٩م كانت هناك عمليات للجيش الاستوني في الشرق حتى وصلت الى الحدود الروسية وبدأت القوات الاستونية بشن هجمات على الحدود الروسية في الشرق وجنوبا الى لاتفيا وذلك لتطهير وتأمين البلاد من الخطر الروسي، وفي ٢٣ الى ٢٤ مايو قامت الفرقة الاستونية الثانية بهجوم استطاعت من خلاله السيطرة على حدود استونيا والتخلص من الخطر البلشفي(٢٢).

رابعا: حرب لاندسوير

كان الوضع معقدا جدا في لاتفيا بسبب وجود القوات الألمانية فيها حيث بلغ تعداد القوات الألمانية ما يقارب ٣٠،٠٠٠ جندي متمركزين جميعا في منطقة لاندسوير وكان اكثرهم من المان البلطيق في ديسمبر عام ١٩١٨م، وتسمى ب»الفرقة الحديدية» والتي تتألف من الالمان المتطوعين الذين فرضت قوات التحالف عليهم التسريح إضافة الى قياداتهم من قبل (روديجر فون دير جولتز)* الذي كان قائدا للقوات الألمانية ي أوروبا الشرقية حيث ان الالمان ارادوا استغلال تلك الفرصة لضرب البلاشفة، وبالنسبة لحكومة لاتفيا المؤقتة برئاسة (كارليس أولمانيس)* كانت مؤيدة للحلفاء ومعادية للألمان ولهذا نرى ان الجنرال المسرح الذي سبق ذكره بذل قسار جهده لعرقلة تشكيل جيش لاتفيا الوطني حيث قام بانقلاب ضد هذه الحكومة وتأسيس حكومة موالية للألمان في ١٦ ابريل عام ١٩١٩م برئاسة اللاتيفي (أندرييفس نيدرا)* أراد من خلاله مد سيطرته فيما بعد على لاتفيا واستونيا وانشاء مجموعة من الدول المؤيدة لألمانيا تحت سيطرة الارستقراطية الألمانية البلطيقية(٢٣).

في ٢٣ مايو ١٩١٩، دخلت قوات اللاندسوير

والفرقة الحديدية الى ريجا*، عاصمة لاتفيا، بعد طرد القوات البلشفية، وبدلاً من التحرك شرقاً لمتابعة تراجع البلاشفة، تحركت القوات الألمانية شمالاً وشمالاً شرقاً مهددة المنطقة الخلفية من الفرقة الثانية الإستونية للخطر، حيث طالب الجنرال ليدونر الألمان بوقف تقدمهم، لكن تم تجاهل هذا الطلب(٢٤).

وفي ٥ يونيو عام ١٩١٩م قام الالمان بطلاق النار على القطار الاستوني المدرع N٢ جنوب مدينة (سييس) اللاتفية والذي كان خط سكة حديد يربط بين مدينة ريفا ومدينة تارتو الاستونية، كان الهدف من هذه الهجمة هو صد تقدم القوات الاستونية التي كانت مسيطرة على هذه المدينة وهنا احتدم القتال مدة ٣ أيام متواصلة حتى تم طرد الاستونيين وبضغط على رؤساء البعثات العسكرية للحلفاء في بحر البلطيق على الاستونيون والالمان حتى تم عقد هدنة في ١ يونيو عام ١٩١٩م والدخول على اثرها في مفاوضات، لكن القتال استأنف اثناء هذه المفاوضات حيث تحركت الفرقة الاستونية الثالثة لتحتل ٩٩ كيلومتر جنوب المدينة مدعومين ب٢٨ بندقية رشاشة وقطارين مصفحين وتم انزال ١٤٠٠ جندي لاتيفي في المقابل لصد الهجوم الاستوني وتمركزت القوات الألمانية في محيط مدينة سييس وكان عددهم ٥٣٠٠ جندي مدعومين ب٥٠ بندقية وقطار مدرع وعدد من الطائرات(٢٥).

في ١٩ يونيو عام ١٩١٩م احتدم القتال مرة ثانية بين الألمان والاستونين في مدينة سييس ولمدة ٣ أيام أخرى وتمكن الاستونيون من شن هجوم مباغت وقوي انهارت امامه جميع القوات الألمانية وفرض قبضتهم على مدينة سييس وتم طرد القوات الألمانية نحو الجنوب وسيطروا على جميع خطوط سكك الحديد ثم واصل الاستونيون تقدمهم الناجح المصاحب للقطارات المدرعة ومع الروح الوطنية العالية بالرغم من افتقارهم الى الكثير من الأمور المهمة في سير المعارك مثل افتقارهم للأحذية والاقنعة المضادة للغازات والملابس العسكرية واكياس الذخيرة وحقائب الظهر وافتقارهم أيضا للمعدات الشخصية والأدوات البصرية المساعدة في توجيه نيران المدفعية إضافة الى عدم وجود بطاريات وهواتف ميدانية لفقدان الكوابل الميدانية والعتاد الشخصي والمواد الطبية الخاصة مما جعل الجنرال يوهان ليدونر يقوم بنفسه بحمل واخلاء الجرحى وهذا ما أدى الى بث روح التعاون والتغلب على المشاكل اللوجستية في تلك الحرب(٢٦).

وبحلول ٢٧ يونيو من نفس العام كانت فرق المشاة الاستونية امام خط الدفاع الألمانية الذي كان خلف بحيرتي (ياجيلي وكيسي) وبهذا أصبح الموقف الألماني ضعيفا جدا ولهذا قامت المانيا بوضع وحدات في مدينة لاندسوير وسحب الفرقة الحديدية وجميع صفوفهم(٢٧).

كان هناك هدوء في جبهات القتال الاستونية ما جعل تجمع صفوفهم يتم بطريقة سهلة خصوصا مع وصول القطارات المدرعة ناهيك عن الطعام والذخيرة، إذ قال الجنرال ليدونر: «لقد بدأنها استعدادات للهجوم على منطقة ريفا مع استكمال تدفق المواد الغذائية الى الفرق المهاجمة وكذلك قيام القوة البحرية بالاستعداد التام لتحرير المدينة وتهيئة كاسحات الألغام والجليد للقيام بواجباتها، وفي ٢٣ يونيو وصلت المدمرة فامبولا للقيام بعملها وتهيئة المدافع

طويلة الأمد التي يبلغ وزنها حوالي ١١٠٠ طن وتهيئة الوقود اللازم لها حيث وصلت قطعات قوات البحرية الى مصاب نهر (بارنو)* وانزلت المرساة فيه و توجهت بعض القطعات الأخرى الى مصب نهر كويغا(٢٨).

بدأ القتال الضاري في صبيحة يوم ٢ يوليو بالاستيلاء على مدينة ريغا وقامت قوات البحرية بالمقابل بضرب التحصينات الألمانية في مدخل مرفأ دوناموند وبدأت قطاعات القوات بحرية بأطلاق النار على الشواطئ وكذلك على السفن التجارية الألمانية وقامت بتدمير تلك السفن على الفور، وهنا تلقت القوات الاستونية أوامر بوقف العمليات العسكرية بسبب وصول انباء عن حصول الالمان على امدادات عسكرية ومعدات نقل لذلك كان يجب توقف هذه العمليات البحرية والمطالبة بعقد هدنة بين الطرفين لمنع التدمير الشمال لمدينة ريغا واخبار القوات الألمانية بالانسحاب الى غرب لاتفيا وكذلك المطالبة بإرجاع حكومة اولمانيس الى السلطة وافشال حملة الجنرال فون دي جولتز ضد الاستونيين مما جعل الطرف الأخير يعيد تنظيم قواته والحصول على دعم وتجهيز عسكري افضل وفي تلك الاثناء سيطرت القوات البحرية البريطانية والفرنسية الموالية للقوات الاستونية على الممرات البحرية في غرب البلطيق وفرض حصار على موانئ لاتفيا علاوة على ذلك تعرضت البنى التحتية للنقل والقاعدة الصناعية في لاتفيا الى اضرار جسيمة نتيجة هجوم الاستونيين عليها في القتال الأخير(٢٩).

خامسا: الجبهة الشرقية

في صيف عام ١٩١٩م استمر النشاط العسكري على الحدود الشرقية لإستونيا وان كانت بالكامل أراضي استونية ولهذا تشكلت قوة من الروس البلاشفة المناهضين للجيش الشمالي الغربي بقيادة الجنرال (نيكولاي يودنيتش)* في منطقة بسكوف وبدأت عمليات هجومية تجاه بترو غراد ودعمت القوات الاستونية جيش الشمال الغربي بشكل رئيسي بسبب ضغط من قوات الحلفاء الذين أرادوا رؤية البلاشفة مهزومين بأي ثمن ولهذا كان لدى الاستويين حماس اقل للتعاون مع جيش الشمال الغربي الذي رفضت قاداته الاعتراف بالاستونيين فيما بعد وسعت جاهدة من اجل استعادة إمبراطورية روسيا القيصرية بالكامل(٣٠).

تحسن الوضع بشكل كبير في فصل الصيف ووصلت كميات كبيرة من الملابس الى استونيا بحيث غطت على احتياجات الجيش من الملابس الشتوية بأكمله رغم انها غير كافية بشكل تام حيث استلمت وحدات المدافع الإستونية إضافة الى ذلك بنادق حديثة من بريطانيا العظمى وبحلول فصل الخريف كان لدى الاستونيين ١٤٢ بندقية ميدانية و٥٦٥ قطعة مدفعية ثقيلة أضاف الى عدد كبير من المدافع الرشاشة والذخيرة الكثيرة للمدفعية الا انها ظلت شحيحة مقارنة بالجيوش الكبرى الأخرى، وكان الجيش الاستوني قادرا على زيادة مخزونه من المواد الهندسية والنقل والاتصالات وتحديث الكابلات وزيادة المنتجات البترولية التي كانت لها اثر كبير لوجود نقص فيها بشكل رئيسي في القطاعات البحرية والوحدات الجوية كون ان وقود الطائرات كان شحيحا إضافة الى نقص مواد التشحيم رغم وصولها باستمرار من بريطانيا العظمى ثم ظهرت زيادة في وصول الطعام والملابس وغيرها من الأمور الضرورية في ميادين القتال(٣١).

لقد عززت بريطانيا من حجم مساعداتها للاستونيين والامدادات الكثيرة للجيش الغربي لذلك شعر الروس بخطورة البريطانيين لتفضليهم الجبهة الاستونية وقيادتهم عن طريق فنلندا ثم الى استونيا لاستخدامها ضد الجيش البلشفي حيث امدوا الجيش الاستوني إضافة الى امداداتهم السابقة عن طريق فنلندا استلم الجيش الاستوني ٤٥٠ رشاشة و ٤٢٠٠ بندقية و ١٠،٠٠٠ مسدس الي و ٣٠ دبابة و٤٢ طائرة إضافة الى مركبات مدرعة ومطابخ ميدانية، اما بالنسبة لتجهيز الجيش السابع الأحمر فقد انخفض مستواه القتالي وكانت قياداته من اسوء الى اسوء ومعنوياته متدنية جدا حتى انه في ١٠ أكتوبر عام ١٩١٩م شن جيش الشمال الغربي الاستوني هجوما كبيرا ابتداء من نارفا وحتى بترو غراد وكان تقدما ناجحا للغاية اسفر عن انتصارات ميدانية كبيرة، وبحلول ٢٠ أكتوبر عام ١٩١٩م وصلت قوات الجنرال يودينيتش الى ضواحي مدينة بترو غراد وفي ٢١ أكتوبر عزز البلاشفة الجيش الأحمر ب٢٨،٠٠٠ مقاتل من اجل شن هجوم مضاد على الجيش الشمالي الغربي وهنا بدأ انسحاب هذا الجيش نحو مدينة نارفا ثم قام الجنرال يودينيتش بإعادة تنظيم جنوده واضمام عدد من اللاجئين المدنيين ونزع سلاح الجيش الشمالي باستثناء ٢٥٠٠ رجل تطوعوا للخدمة النظامية مع القوات الاستونية(٣٢).

سادسا: سوء الإدارة العسكرية

يعزى فشل هجوم الجنرال يودونيتش الى حد كبير على عدم كفاية تخطيطه للوجستيات القتال إذ تقدمت قواته بسرعة نحو الهدف رغم تفوقه في العدد والعدة ويعود ايضا فشله في الصمود والتراجع نحو فارنا وهذا ما أكده شاهد عيان وهو مراسل صحفي في نيويورك تايمز: (لقد كان الهجوم مثالا رائعا على سوء الإدارة العسكرية.) وعلى الرغم من الامدادات البريطانية بالأسلحة والذخيرة الضرورية لدعم القوات التي كانت غير متوفرة لكثير من القوات، لكن سوء التخطيط لاستيعاب الخدمات الطبية كان غير كافٍ مثل بناء أماكن لإيواء الجنود من البرد القارص الذي كان يفتك بالقوات الاستونية والقوات المعادية على حد سواء واللذين لم يكونوا يستطيعون النوم في العراء كما في فصل الصيف، وكما ان الجوع والارهاق جعلهم أكثر استعدادا للتخلي عن أسلحتهم للعدو(٣٣).

سابعا: المرحلة النهائية

بدء الفشل يدب في جيش الحلفاء في المنطقة الشمالية الغربية لهذا ارادت القوات الاستونية أبداء الرغبة في دخول في مفاوضات مع البلاشفة حرصا منهم على انهاء الحرب لكن بشروطهم الخاصة، لهذا اتفقت الحكومة الاستونية مع الحكومة البلشفية على فتح محادثات سلام في تارتو في ٥ ديسمبر عام ١٩١٩م وبالرغم من بدء المحادثات الا ان القتال استمر في الجبهات بلا هوادة وامرت القيادة البلشفية جيشها باحتلال مدينة نارفا بأي ثمن كان لان هذا الاجراء سيؤدي الى تحسين الوقف العسكري البلشفي بشكل كبير وتزويد مفاوضي السلام في تارتو بورقة مساومة قوية، لذلك حشد البلاشفة ١٦٠،٠٠٠ جندي مع اكثر من ٢٠٠ قطعة مدفعية على طوال خط الدفاع الاستوني على نارفا(٣٤).

ردا على هذا الاجراء البلشفي قام الاستونيون ببناء شبكة قوية من المواقع الدفاعية على طول نهر نارفا ووضعوا

جميع الاحتياطات المتاحة للدفاع، وفي ٧ ديسمبر بدأ البلاشفة سلسلة من الهجمات المنظمة وفي ١٦ ديسمبر قاموا باختراق خطوط الدفاع الاستوني جنوب نارفا وعبروا نهر نارفا المتجمد وبالمقابل نجح الاستونيون في الهجوم المضاد والتصدي لهم وقاموا باستعادة الخد الدفاعي في ١٧ ديسمبر وان كان الثمن باهضا وتكبدوا الكثير من الخسائر من الطرفين لهذا توقف الهجوم البلشفي لبعض الوقت، وفي ٢٤ ديسمبر عام ١٩١٩م انقلب الوضع لصالح القوات الاستونية بعد سلسلة من الهجمات الجديدة بأمر من الجنرال ليدونر لتعزيز القوات الموجودة في الشمال وجنوب بحيرة بيبسي وفي ٢٨ ديسمبر شن البلاشفة سلسلة من هجمات المشاة امام الخطوط الاستونية الامامية لكنها صدت مرارا وتكرارا مع خسائر فادحة للمهاجمين البلاشفة(٣٥).

أدت هذه الهجمات الى خسائر فادحة في ٣٠ ديسمبر عام ١٩١٩م حيث ابلغ قائد الجيش الأحمر السابع القيادات البلشفية العليا ان وحداته لم تعد قادرة على مواجهة العمليات المضادة، وفي اليوم التالي وافق وفد السلام البلشفي على هدنة تنهي القتال ودخلت هذه الهدنة التي وافق عليها الطرفين الاستوني والبلشفي حيز التنفيذ في ٣ يناير عام ١٩٢٠م وكانت معاهدة السلام النهائية قد وقعت بين الطرفين في ٢ فبراير عام ١٩٢٠م واعترفت روسيا البلشفية بجمهورية استونيا دولة مستقلة ذات سيادة في ٢٤ فبراير ١٩٢٠م(٣٦).

الخاتمة

ان حرب الاستقلال الاستونية التي استمرت ٤٠٢ يوم كلفت الشعب الاستوني ٣٥٨٨ قتيل إضافة الى ١٣٧٧٥ جريح بينما قدمت بريطانيا العظمى وفرنسا وفنلندا الولايات المتحدة مساعدات عسكرية واقتصادية، كانت على أساس ائتماني وكان لابد من سداد الديون المستحقة بعد الحرب. انتهت الحرب بانتصار واضح لإستونيا، وتم تأمين حدودها، وأعطت معاهدة السلام شروط مواتية لإستونيا، وكانت الخدمات اللوجستية الفائقة عنصرًا أساسيًا في انتصار إستونيا.

استفاد الإستونيون بشكل أفضل من وسائلهم اللوجستية الضئيلة من خلال الارتجال والاستخدام الفعال للموارد المتاحة محليًا والمساعدات الأجنبية وأحواض بناء السفن وأعمال الهندسة لمعدات مرتجلة في تالين مثل العربات المدرعة والقطارات من الموارد المتاحة، وتم استخدام المساعدة العسكرية الأجنبية بشكل فعال.

لم يكن هذا المستوى من الفعالية هو حالة الحلفاء الاسميين لإستونيا، جيش الشمال الغربي، الذين تلقوا المساعدة الخارجية أيضًا، لكنهم فشلوا في التخطيط الفعال وأساءوا إدارة الموارد التي كانت لديهم في إدارة الموارد وتخطيط العمليات وتنسيقها، وكان الإستونيون محظوظين لوجود الجنرال يوهان ليدونر، ضابط أركان متمرس، كقائد أعلى لهم.

كان الجنرال ليدونر موضع ثقة القيادة المدنية للحكومة الإستونية، فمن جانبهم لم يتدخل القادة المدنيون قرارات القيادة وتعاونت بشكل وثيق مع القوات المسلحة، كما جلب الإستونيون متخصصين مدنيين ذوي خبرة للمساعدة في الأمور اللوجستية عند الضرورة.من ناحية أخرى، لم يثق البلاشفة بضباطهم العسكريين ذوي الخبرة وكان تخطيطهم وتنسيقهم عشوائيًا في أحسن الأحوال.

ليون تروتسكي، الذي غالبًا ما كان يدير شخصيًا العمليات العسكرية البلشفية،

لم يكن لديه خبرة عسكرية عملية تذكر في كونه محرضًا سياسيًا محترفًا، حيث كان الافتقار إلى الخبرة نفسه صحيحًا بالنسبة للقادة البلاشفة الآخرين الذين أشرفوا على الإمدادات العسكرية والنقل والخدمات الطبية. كان العديد من المتخصصين المدنيين ذوي الخبرة الذين كان بإمكانهم المساعدة في هذه الأمور يعتبرون أعداء طبقيين وكانوا قد فروا مسجونون أو لم يثق بهم ببساطة ولم يُمنحوا مناصب. كانت اللوجستيات البلشفية في كثير من الأحيان فوضوية. ونتيجة لذلك، كان جنودهم في كثير من الأحيان يعانون من الجوع وسوء الملابس ويفتقرون إلى الرعاية الطبية الأولية والصرف الصحي. من المؤكد أن أوجه القصور هذه لعبت دورًا أساسيًا في المعنويات السيئة ونقص كفاءة القوات البلشفية.

لا يمكن لأي قدر من الجدل السياسي حول الثورة العالمية من قبل المفوضين السياسيين تصحيح المعنويات السيئة. لأن الجيش البلشفي استولى على طعامهم وخيولهم، كان السكان المدنيون الروس خلف الجبهة في كثير من الأحيان معاديين أو غير مبالين بالقضية البلشفية. كان للجنود الإستونيين فهم أفضل لأهداف بلادهم الحربية - الاستقلالية الوطنية وسلامة منازلهم. وهكذا كانت معنوياتهم أعلى بكثير. لقد مدوا بمساعدات بشكل كبير وعلى إطعامهم بشكل أفضل ولبسهم وحصلوا على رعاية طبية أفضل. في جوهرها، تأسست جمهورية إستونيا على مبادئ ديمقراطية، ولم تكن روسيا البلشفية كذلك. وسرعان ما صاغ الإستونيون علاقة مدنية - عسكرية فعالة لم يمر البلاشفة بمرحلتها. حيث عملت القوات المسلحة الإستونية كمدافعين عن السكان والمضحين في سبيل الدفاع الوطني، وظلوا في أفكار السكان الاستونيين بأنهم كانوا وسيضلون من اجل الوطن وفي سبيل الشعب.

الهوامش*

١- نيوهامشر: هي مدينة تقع في الولايات المتحدة في مقاطعة غرافتون (نيوهامشير). يقدر عدد سكانها بـ ١٣،١٥١ نسمة ومساحتها ١٠٧،١ كم٢ وترتفع عن سطح البحر ١٧٧ متر.

٢- ي ولاية من الولايات المتحدة. تقع في إقليم نيو إنجلاند في شمال شرق الولايات المتحدة. فيرمونت هي سادس أصغر الولايات الأمريكية مساحةً، وثاني أصغر ولاية من ناحية عدد السكان، إذ يتخطى عدد سكانها الـ ٦٠٠ ألف نسمة بقليل.

٣- تالين: عاصمة جمهورية إستونيا ومركزها الإداري مقاطعة هاريو ،وأكبر مدن البلاد وأقدم عاصمة في شمال أوروبا. وتعرف أيضاً باسمها القديم رفال (Reval) الذي كان يطلق عليها من القرن الثالث عشر حتى عام ١٩١٧.

٤- اللغات الاورالية: اللغات الأورالية عائلة لغوية في أوروبا وسيبيريا، تتألف من فرعين رئيسيين اللغات الفينية الأوغرية واللغات السامودية. أصل الاسم هي جبال اورال في روسيا.

٥- تاسيتس: بابليوس (أوغايوس) كورنليوس تاسيتُس (٥٥-١٢٠م). كان مؤرخاً ورئيس قضاة في إحدى مقاطعات الإمبراطورية الرومانية، فقد الكثير من كتاباته وأهم ما تبقى منها أجزاء من كتابي الحوليات والتواريخ والذين يعدان من أعظم أعماله التاريخية، يركز الكتابان على حقبة الأباطرة الرومان تيبريوس وكلوديوس ونيرون وحكام ما يعرف بعام الأباطرة الأربعة، ويغطيان الفترة ما بين موت أغسطس (١٤م) إلى موت دوميتيانوس (٩٦م). يوجد فجوات هائلة في نصوص أعماله المتبقية من بينها واحدة بطول أربعة أسفار (أربعة أجزاء) من كتاب الحوليات.

٦- بتروغراد: سانت بطرسبرغ (بالروسية: Санкт-Петербург)، والتي عرفت سابقاً باسم لينينغراد (Ленинград في ١٩٣٤-١٩٩١) وباسم بيتروغراد (Петроград في ١٩١٤-١٩٢٤)، هي مدينة روسية تقع على دلتا نهر نيفا، شرق خليج فنلندا على بحر البلطيق.

٧- معاهدة برست-ليتوفسك: معاهدة بريست ليتوفسك (تُعرف أيضاً باسم معاهدة بريست للسلام)، هي معاهدة سلام وقعت في ٣ مارس ١٩١٨ بين الحكومة البلشفية الجديدة في روسيا ودول المحور (الإمبراطورية الألمانية، النمسا-المجر، بلغاريا، الإمبراطورية العثمانية). أنهت هذه المعاهدة مشاركة روسيا في الحرب العالمية الأولى.

٨- الجيش الأحمر: الجيش الأحمر (بالروسية: Красная Армия)، اختصار جيش العمال والفلاحين الأحمر (بالروسية: Рабоче-крестьянская Красная Армия)، هو الجيش الذي شيده البلاشفة بعد ثورة أكتوبر، لمقاومة حركات البيض المدعومين من قبل القوات الأجنبية (فرنسا، المملكة المتحدة، تشيكوسلوفاكيا، الولايات المتحدة، واليابان). عبارة أحمر لها مغزى ثوري وتشير إلى الدم.

٩- نارفا: نارفا (بالروسية: Нарва) هي ثالث أكبر مدينة في إستونيا، تقع في أقصى شرق أستونيا قرب الحدود الروسية-الأستونية، يقطن المدينة نحو ٦٥،٨٨٦ نسمة.

١٠- باسكوف: باسكوف هي بلدية تقع في إقليم أرجيش

في رومانيا.

١١- تارتو: تارتو ثاني أكبر مدن إستونيا إذ يبلغ تعداد سكانها نحو ١٠٢ ألفاً، وتعتبر تارتو بمثابة مركز للفكر والثقافة في البلاد خاصة وأنها تضم أقدم وأشهر جامعة إستونية وهي جامعة تارتو.

١٢- بارنو: بارنو (بالإستونية: Pärnu) (بالألمانية: Pernau) هي رابع أكبر مدينة في إستونيا. تقع في جنوب غرب إستونيا على ساحل خليج بارنو، وهي مدخل بحري في خليج ليفونيا في بحر البلطيق.

١٣- بالديسكي: بالديسكي هي بلدة وميناء بحري تقع على بحر البلطيق شمال شرق إستونيا.

١٤- فالغا: فالغا Valga ((بالألمانية: Walk)) هي مدينة في جنوب إستونيا وهي عاصمة مقاطعة فالغا. وكانت هي ومدينة فالكا في شمال لاتفيا مدينة واحدة حتى انفصالهما في عام ١٩٢٠.

١٥- بحر البلطيق: يقع في شمال أوروبا مُحاطا بشبه الجزيرة الإسكندنافية وأوروبا الوسطى وأوروبا الشمالية وأوروبا الشرقية والجزر الدنماركية، ويتصل بخليج كاتيغات عن طريق مضيق أوريسند والحزام الكبير والحزام الصغير، وهو بحر ذو ماء مسوس.

١٦- سلاح لويس: هو مدفع رشاش خفيف صنع في فترة الحرب العالمية الأولى. تم تصميمه من قبل الولايات المتحدة، وقامت المملكة المتحدة بتبني السلاح وصناعته. وأثناء الحرب العالمية الأولى تم إستخدامه بشكل كبير ومكثف من قبل المملكة المتحدة.

١٧- يوهان ليدونر: يوهان لايدونر (١٢ فبراير [OS كان الإستونية - ١٣ مارس ١٩٥٣ ٣١ يناير] ١٨٨٤) kindral (العامة) ورجل دولة. شغل منصب القائد العام للقوات المسلحة الإستونية خلال حرب الاستقلال الإستونية وكان من بين أكثر الأشخاص نفوذاً في تاريخ إستونيا بين الحربين العالميتين.

١٨- يوهان بيتكا: (١٩ فبراير ١٨٧٢-٢٢ نوفمبر ١٩٤٤) كان إستونيًا ريادي، قبطان البحر وأ أميرال الخلفي (١٩١٩). هو كان القائد من البحرية الإستونية في ال حرب الاستقلال الإستونية.

١٩- ليون تروتسكي: (بالروسية: Лев Давидович Троцкий) (اسمه الحقيقي ليف دافيدوفيتش برونشتاين) (٢٥ أكتوبر ١٨٧٩ - ٢١ أغسطس ١٩٤٠) هو ماركسي بارز وأحد زعماء ثورة أكتوبر في روسيا عام ١٩١٧ إضافة إلى الحركة الشيوعية العالمية في النصف الأول للقرن الماضي ومؤسس المذهب التروتسكي الشيوعي بصفته إحدى فصائل الشيوعية الذي يدعو إلى الثورة العالمية الدائمة، وتسلم بعدها مفوضية الحرب، وهو أيضاً مؤسس الجيش الأحمر ، وقوى من خلالها كيان الجيش الأحمر، كما أنه عضو المكتب السياسي في الحزب البلشفي إبان حكم لينين، كان له الأثر الفعال في القضاء على أعداء الثورة، عينه لينين مفوض العلاقات الخارجية عندما أسس حكومته البلشفية الأولى عام ١٩١٧، حيث يعتبره أفضل العقول في الحزب الشيوعي، وأقدر من لينين في بعض الأمور، فعملا جيداً مع بعضهما، وأعتقد أغلب الشعب الروسي أن تروتسكي سوف يخلف لينين في رئاسة الحزب ولكن ستالين كان ذا سلطة قوية أيضاً فانتصر في النهاية هازماً تروتسكي.

٢٠- روديغر فون دير غولتز: روديغر فون دير غولتز (بالألمانية: Rüdiger von der Goltz) هو ضابط ألماني، ولد في ٨ ديسمبر ١٨٦٥ في Sulechów في بولندا، وتوفي في ٤ نوفمبر ١٩٤٦ في بيرنبيورن في ألمانيا.

٢١- كارليس أولمانيس: (باللاتفية: Kārlis Ulmanis) (و. ١٨٧٧ - ١٩٤٢ م) هو سياسي، ودبلوماسي من لاتفيا.

٢٢- أندرييفس نيدرا: (Andreews Needra -، ٢٥ سبتمبر ١٩٤٢ ٨ فبراير ١٨٧١) كان كاتبا لاتفيا، اللوثرية القس ورئيس وزراء الألمانية الحكومة العميلة في لاتفيا بين ابريل ويونيو عام ١٩١٩، خلال الحرب اللاتفية الاستقلال.

٢٣- ريغا: ي عاصمة لاتفيا وأكبر مدنها. تقع على ساحل بحر البلطيق عند مصب نهر داوجفا، وهي أكبر المدن بين مدن دول بحر البلطيق إذ يبلغ عدد سكانها ٧١٣،٠١٦ نسمة (٢٠٠٩)، وتعتبر كالمركز الأساسي للثقافة، التعليم، السياسة، المال، التجار ة والاقتصاد والصناعة لمنطقة البلطيق.

٢٤- بارنو: (الإستونية: بارنو جوجي) هو نهر في إستونيا التي تستنزف في خليج بارنو، وهو خليج في خليج ليفونيا، في بارنو. يبلغ طوله ١٤٤ كيلومترًا ، وهو أحد أطول الأنهار في إستونيا ، حيث تبلغ مساحته ٦٩٢٠ كيلومترًا مربعًا ومتوسط تصريف ٦٤،٤ متر مكعب / ثانية.

٢٥- نيكولاي يودنيتش: (بالروسية: Николай Николаевич Юденич) (١٨ يوليو ١٨٦٢ - ٥ أكتوبر ١٩٣٣) قائد عسكري روسي تولى قيادة الجيش الروسي القوقازي خلال الحرب العالمية الأولى على الجبهة القوقازية , كما كان أحد قادة الحركة البيضاء المناهضة للشيوعيين خلال الحرب الأهلية الروسية (١٩١٨-١٩٢٠).

المصادر:

١- Estonian War of Independence، ١٩١٨ - ١٩٢٠ - ١٩٣٨ Reprint of a Summary of prepared in ١٩٣٩. (Eesti Vabadusvõltlejate Litt.: New York، ١٩٦٨)، ١١ - ١٣، Evald Uustalu. The History of the Estonian People. (London: Boreas Publishing Company. Ltd، ١٩٥٢)، ١٥٥ - ١٦١.

٢- United Kingdom National Archives Admiralty Memorandum" ١٨٦٤ ١١٦ hereafter cited as ADM giving a narrative of events in the Baltic States up ١٩١٨ for the time of the Armistice، November ١٩١٩ to August "،Estonian War of Independence Reprint of a Summary of prepared ١٩٢٠ - ١٩١٨ in ١٩٣٩ - ١٩٣٨،. ١٥ -١٦، Uustalu. The History of the Estonian People،. ١٦٣- ١٦٦.

٣- Edgar Anderson. "British Policy Towards the Baltic States ١٩١٨ - ١٩٢٠،" Journal of Central European Affairs. (October ١٩٥٩)، ٢٧٨.

٤- United Kingdom National Archives FO ٦٠٨ ٢٦٧ Jan ٢٥ ١٩١٩ Supply of Madsen Machine" Guns to Estonians،" The Lewis guns came from British war stocks، while the Madsen guns، which

were of Danish manufacture were purchased in Copenhagen and transported to Estonia by the British Navy. Estonian War of Independence، ١٩١٨ – ١٩٢٠ Reprint of a Summary of prepared in ١٩٣٨ – ١٩٣٩، ٢١ .، Paravane، [pseudonym] "With the Baltic Squadron، ١٩١٨ – ١٩٢٠، "Fortnightly Review. (٢ May ١٩٢٠)، ٧٠٧.

٥- United Kingdom National Archives ADM ١١٦ Memorandum giving a narrative of events" ١٨٦٤ in the Baltic States for the time of the Armistice، November ١٩١٨ up to August ١٩١٩.".

٦- Estonian War of Independence، ١٩١٨ – ١٩٢٠ Reprint of a Summary of prepared in ١٩٣٨ – ١٩٣٩، ٢٣ .، New York Times. (٢٧ February ١٩١٩).

٧- William A. Fletcher. "The British-Soviet Naval Conflict in the Baltic، ١٩١٨-١٩١٩.". Unpublished Master Thesis، San Jose State University. (١٩٧٢)، ٩٠، «Le vice-Admiral Pitka،» November) ٧ Bulletin de L'Esthonie. Number ١٩١٩)، Fred Limberg. Isamaa Eest: Vabariigi Sõjajõudude Organisatsioon ja Juhtkond. [For the Fatherland Estonian Republic Military Structure: Organization and Administration] (Cardiff: Uustalu. ٣٨، (١٩٨٠.). Boreas Publishing House، The History of the Estonian People، ١٦٨.

٨- David D. Mercer، "The Baltic Sea Campaign ١٩١٨ – ٢٩." US Naval Institute Proceedings. (May ١٩٦٢)، ٦٦، Paravane، "With the Baltic Squadron، ١٩١٨ – ١٩٢٠، "٧٠٧، O. Toomara "British Squadron at Tallinn: Its Gallant Record in the War of Liberation." The Baltic Times. Number ٢٥ (١٩٣٨)، ١

٩- C.R. Kutz. War on Wheels: The Evolution of an Idea. (Harrisburg PA: The Military Service Publishing Company. (١٩٤٠)، ١٩٦.

١٠- Formation of Armored Trains and their Importance in the Estonian War of Liberation." Eduard ٢٤ (١٩٣٨). The Baltic Times. No ١، Laaman Soomusrongide diwiis wabadussõjas. Volume I [The Armored Train Division in the War of Independence] (Tallinn: Uhiselu ١٩٢٣.)، ٧ – ١٠ O. Toomara "British Squadron at Tallinn: Its Gallant Record in the War of Liberation." The Baltic Times. Number ٢٥ (١٩٣٨)، ١

١١- Johan Pitka، "My Reminiscences of the Assistance of the British Navy in Our Fight for Independence." The Baltic Times. Number ٣ (١٩٣٩)، ١ – ٢

١٢- Nikolai Reek، "Lemsalu – Roopa – Võnnu – Rooneburg Battle – ١٩ – ٢٣ Võnnu – Roopa – ١٩ Ronneburgi lahing ١٩١٩ VI ٢٣ – ١٩١٩ June] Sõdur ٦/٧/٨، ١٥٨ a." [Lemsalu

١٣- United Kingdom National Archives، Foreign Office ٦٠٨ ٢٢٦٥٢ «Goode to Bosanque ١٩ May ١٩١٩»

١٤- Eesti Vabadussõda، ١٩١٨ – ١٩٢٠. Vol. II [The Estonian War of Independence] (Tallinn: Vabadussõja Ajaloo Komitee، ١٩٣٩.)، ٥٠، "Formation of Armoured Trains and their Importance in the Estonian War of Liberation،" ١ New York Times. (٦ April ١٩١٩)، ١٥- New York Times. (٢٠ March ١٩١٩) According to western press accounts typhiod fever was raging worse than ever in Petrograd in March – April ١٩١٩. It was known that ٢٠٠ a day were dying in Petrograd hospitals. The Bolsheviks were not carrying out disinfection as they considered it a bourgeois medical practice.

١٦- United Kingdom National Archives، FO ٦٠٨ ٢٢٦٥٢ «Goode to Bosanque ١٩ May ١٩١٩»، Eesti Vabadussõda، ١٩١٨ – ١٩٢٠. Vol. II .. ٧١ – ٧٤، Arthur Lossmann. Ruhutus Maalilmas: Sõdades، revolutsioonides ja vaba Eesti Õnnistuses. [In a Turbulent World: Wars، Revolutions and the blessing of a free Estonia] (Stockholm: Eesti Kirjastus. (١٩٥٩)، ١٢٤

١٧- United Kingdom National Archives FO ٦٠٨ ١٨٥ May ٢٠ ١٩١٩ "Telegram no – Bosanque. On ٢٠ May ١٩١٩ – "٥٧ the British representative in Tallinn made the urgent request to his government to supply the Estonian aviation section with ٢٥،٠٠٠ gallons (٩٥،٠٠٠ liters) of petrol، ١٢،٥٠٠ gallons (٤٧،٥٠٠ liters) of Caster oil، ٣،٥٠٠ gallons (١٣،٣٠٠ liters) of Gargoyle "A"، ٣،٥٠٠ gallons (١٣،٣٠٠ liters) of Gargoyle "B." Grargoyle "A" and "B" were manufactured by the Vacuum Oil Company Ltd and considered satisfactory lubricants for every aircraft engine available with the exception of valve in piston rotary type. F. Gerdessen، "Estonian Air Power

١٥٨ "..a ١٩١٩ VI ٢٣ – ١٩ Ronneburgi lahing
٢٨- ١٥٨.Ibid، Reek، "Lemsalu – Roopa، p
٢٩- Eesti Vabadussõda، ١٩١٨ – ١٩٢٠. Vol. II، ١٧٦
٣٠- Ibid. Esti Vabadussõda، p ١٧٦.
٣١- United Kingdom National Archives، ADM ١١٦
١٨٦٤ Report ١٩١٩ ٣٠th June Caledon at Libau"
on the Situation in Latvia." Eesti Vabadussõda،
١٩١٨ – ١٩٢٠. Vol. II، ١٧٨ – ١٨٧
٣٢- Anderson، "An Undeclared Naval War: the
British – Soviet Naval Struggle in the Baltic،١٩١٨
Journal of Central European Affairs. "،١٩٢٠ –
(April ١٩٦٢)، ٦٣
٣٣- Johan Pitka، Rajusõlmed: Mälestusi Aastatest
Second Edition، (Stockholm: Free ١٩١٤-١٩١٩
The First Edition] ١٩٧ ،(١٩٧٢ ،Europe Press
under the title Minu ١٩٢٢ was published in
Mälastused Suure Ilmasõja Algusest Eesti
Vabadussõja Lõpuni [My Remembrances from
the Beginning of the World War to the End of the
[Estonian Independence War
٣٤- Ibid، Johan Pitka، P ١٩٧.
٣٥- Supplies for the Estonian Navy would run
٢٠ On .١٩١٩ urgently low by the end of July
July the chief of the British military mission in
Estonia urgently requested that his government
cwt ٢٠ inch ٣ send the Estonian Navy quick fire
١،٠٠٠ ،(anti-aircraft shell (amount not specified
high explosive shells، coal ٢،٠٠٠ ،shrapnel shells
tons; petroleum ١٠،٠٠٠ tons; naphtha ١٥،٠٠٠
tons; ٥٠ tons; turbine oil ٢٠٠ tons; benzine ٢٠٠
٨ tons; cylinder oil ٦٠ tons; engine oil ٥٠ motor oil
tons United ٢٠ tons and glycerine ٥ tons; value oil
٢٠ July ٢٦٧ ٦٠٨ Kingdom National Archives FO
General Gough to Mr. Balfour – Material" ١٩١٩
".Urgently Required for the Estonian Navy
٣٦- Estonian War of Independence، ١٩١٨ – ١٩٢٠
– ١٩٣٨ Reprint of a Summary of prepared in
١٩٣٩.، ٤٤ – ٤٥.

April – July ١٨ Air Enthusiast. (No "،١٩٤٥ – ١٩١٨
William Tomingas. Mälestused. ،٦٥ – ٦٣ ،(١٩٨٢.)
(١٩٧٠ .[Memoirs] (Toronto: Kirjastus Kultuur،
١٠٠ – ٩٩.
١٨- United Kingdom National Archives FO ٦٠٨
"Food for Esthonia ١٩١٩ ٧ April" ٢٣٠
١٩- New York Times (٢٢ January ١٩١٩)، Times of
(٢٤ January ١٩١٩) .London
٢٠- United Kingdom National Archives، Foreign
May ١٩ Goode to Bosanque» ٢٢٦٥٢ ٦٠٨ Office
Facts on Communism: The Soviet Union «،١٩١٩
from Lenin to Khrushchev، Committee on Un-
،American Activities، House of Representatives
٨٦th Congress، Second Session. (Washington DC
١٦٥ ،(١٩٦٠ .Government Printing Office)
٢١- United Kingdom National Archives، FO ٦٠٨
٢٢ «١٩١٩ May ١٩ Goode to Bosanque» ٢٢٦٥٢
.Ibid
٢٣- United Kingdom National Archives FO
Military activity on the front of the" ١٩١/٦٠٨
١٠th – ٣rd Esthonian Republic for the Period of
Uustalu. The History of the Estonian ،١٩١٩ June
١٧١ ،.People
٢٤- United Kingdom National Archives ADM ١١٦
Memorandum giving a narrative of events" ١٨٦٤
in the Baltic States for the time of the Armistice،
The Macon "،١٩١٩ up to August ١٩١٨ November
(١٤ May ١٩١٩) .Daily Telegraph
٢٥- United Kingdom National Archives FO
Military activity on the front of the" ١٩١/٦٠٨
١٠th – ٣rd Esthonian Republic for the Period of
Eesti Laiaroopaline Soomusrong N٢ .١٩١٩ June
Vabadussõjas [Broad-gauge Armored Train N٢
in the Estonian Independence War]. (Stockholm:
،(.١٩٥٩ ،Soprusuning Rootsis LR Soomusrong N٢
The Miami ،١٣ .Times of London (٢٦ June ١٩١٩)
(١٠ June ١٩١٩) .Herald Record
٢٦- Eesti Vabadussõda، ١٩١٨ – ١٩٢٠. Vol. II، ١٧٤،
.Eesti Vabadussõjas Laiaroopaline Soonusrong N٢
١٤٠
٢٧- Reek، "Lemsalu – Roopa – Võnnu –

فصلية مُحَكَمة تُعنى بالبحوث والدراسات العلمية والإنسانية والفكرية
العدد (٣) السنة الثانية ذو القعدة ١٤٤٣ هـ حزيران ٢٠٢٢ م

فصلية مُحَكَمة تُعنى بالبحوث والدراسات العلمية والإنسانية والفكرية
العدد (٣) السنة الثانية ذو القعدة ١٤٤٣ هـ حزيران ٢٠٢٢ م
الذكر البيض

الأساليب التربوية في المقابلات الصورية للمعادلات القرآنية

م.د. مسلم حسين عطية
كلية الإمام الكاظم (عليه السلام) الجامعة / بغداد

الملخص:
إن البحث يتضمن في طياته المعادلات القرآنية التشريعية لمجموعة من اساليب تربوية بلاغية سلطت الضوء على أُسس وطرق العـمل الصالح،ثم تميزه عن العمل الطالح لكي يتسنى للمكلف كامل الاختيار، فيكمن في كون بلاغة القرآن لها الأثر البالغ في نفوس الآخرين والأساليب التي أوضحت الصورة وكشفت حركته نحو اتباعه للطريق القويم وامتناعه عن سلوك طريق الضلال وقع إختياري عليه ليكون مورد دراستي للبحث.

Abstract
The research includes in it the Quranic legislative equations for a group of rhetorical educational methods that shed light on the foundations and methods of good work and then distinguish it from bad work so that the taxpayer can have the full choice. His following the right path and his refusal to follow the path of shadows. I chose him to be my study resource for researc .

المقدمة:
الحمد لله الذي لا اله إلّا هو الحي القيوم عالم الغيب والشهادة والصلاة والسلام على خير الأنام نبي الرحمة محمد المصطفى صلى الله عليه وآله وسلّم وأهل بيته الطيبين الطاهرين.
وبعد.. فإن القرآن الكريم كتاب العلم والهداية ودستور الحياة لنظام كامل وشامل خاص يشتمل على قوانين وأحكام ومعادلات، معادلات تكوينية وتشريعية أما المعادلات التكوينية فلا تستند إلى نظرية الاختيار، اذ لا تكيف فيها بمعنى إن الأفعال التي تحدث هي أفعال من أصل التكوين، وهذا النوع من المعادلات يشمل كل من لا يملك التمييز والبصيرة من أمره، وأمّا المعادلات التشريعية فإنها تختص بالمكلفين، للقيام بالأفعال الاختيارية، اي يختار المكلف بين الفعل والترك.
ولأهمية الموضوع في الدراسات الإسلامية: الذي يتضمن في طياته المعادلات التشريعية لمجموعة اساليب تربوية باساليب بلاغية توضح أُسس وطرق العـمل الصالح ثم تميزه عن العمل الطالح لكي يتسنى للمكلف كامل الاختيار.
وسبب الاختيار: يكمن في كون بلاغة القرآن لها الأثر البالغ في نفوس الآخرين والأساليب التي أوضحت الصورة وكشفت حركته نحو اتباعه للطريق القويم وامتناعه عن سلوك طريق الضلال وقع إختياري عليه ليكون مورد دراستي للبحث فحمل عنوان (الأساليب التربوية في المقابلات الصورية للمعادلات القرآنية)،فالمقابلة القرآنية لها الأثر البلاغي على النفس بين التحذير والقبول.
وأما مشكلة البحث فتتركز بسبب علة الحسن في الطباق نفسها في المقابلة قائمة على الجمع بين الضدّين ، أي جمعًا بين الشيء وضده فلا بد لنا من عرض الجوانب التطبيقية، والتي تدور حولها محور الإشكاليات ومنها:
- ما اشتراط التناسب في مراعاة النظير والطباق في الصور القرآنية؟
- ما التناسب بين المعاني المتقابلة والصور التي تتركها في القلوب ؟
- ما الأثر التي تحدثه الصيغ البلاغية مع النفوس البشرية؟
خطة البحث: قسمت البحث الى تمهيد اشتمل على أربعة مطالب بيّنت فيها الحقائق اللغوية والاصطلاحية لعنوان البحث، وثلاثة مباحث، لكل مبحث مجموعة مطالب معززًا بشواهد قرآنية لكل مفهوم، وخاتمة البحث التي اشتملت على أهم النقاط التي توصلت اليها.

إن بيان مفاهيم البحث مع الإشارة التلميحية حول توظيف القرآن الكريم لكل مفهوم منها (أساليب ، تربية ، مقابلات ، معادلات) لتكون مدخلا يسلط الضوء فيه على مستوى العلاقات بين تلك المفاهيم في هذا المطلب، علاقة الاساليب القرآنية بالتربية القرآنية مع المعادلة القرآنية من جهة التركيب والمصاديق شكلا ومضمونا ، لا بد من بيان المفاهيم التي تداولتها في بحثي؛ ليتسنى لنا إجراء الخطوات الأولى للبحث، وبناءً عليه تم تسليط الضوء على التعريفات التي تتعلق بعنوان البحث، ثم بيان العلاقات فيما بينهم. لقد عرف أصحاب معاجم اللغة العربية هذه المصطلحات ابتداء من بيان المعنى اللغوي لها؛ ولأجل مراعاة التسلسل في بيان معاني تلك المصطلحات لغويًا واصطلاحًا، (الأساليب - التربوية - المقابلات - المعادلات).

التمهيد:

المطلب الأول: حقيقة الاساليب في اللغة والاصطلاح:

أولاً: الأساليب لغة:

(الأساليب جمع، ومفردها أسلوب فهو الطريق والوجه والمذهب فكل طريق ممتد فهو أسلوب، كإن تقول انتم في أسلوب سوء) (١) أي (سلكت أسلوب فلان في كذا : طريقته ومذهبه (٢) الأسلوب: الطريق) (٣) .

ثانيًا: الأساليب اصطلاحًا:

عُرِفت بتعريفات عدة نذكر منها:

١- هو (الطريقة الكلامية التي يسلكها المتكلم في تأليف كلامه، واختيار ألفاظه) (٤).

٢-او هي (طابع الذي انفرد به المتكلم في تأدية معانيه ومقاصده في كلامه، او هو طابع الكلام او فنه الذي انفرد به المتكلم كذلك)(٥).

٣-(أسلوب القران الكريم أسلوب خاص به، فإن لكل كلام إلهي أو بشري أسلوبه الخاص به) (٦) ؛ لذا فإن القرآن الكريم أسلوبه لهداية البشرية نحو حياة أبدية سعيدة، إذ إن أساليبه سواء كان فيها ترغيب وترهيب أو وعد ووعيد أو خوف ورجاء كما في الوعيد والإنذارات المكررة؛ لإيقاظ الكّفار والعصاة عن غيهم وغفلتهم (٧) ؛ لأن خوف الإنسان من ذنوبه ، والإنسان المنزه لا يخشى الحساب (٨) ، فيبقى الرجاء بالشفاعة الذي يكون مذهبًا تربويًا للإنسان ومانعًا من اليأس وقطع جميع الروابط بالله تعالى(٩) ، فتضمن إعجاز بياني في الجانب تربوي بجمال أسلوبه ورونقه فلا يضاهيه أسلوب يخاطب القلوب ويوجهها ويربيها ويبين لها الطريق بشكل واضح لتصل الى الجوهر الحقيقي للإنسانية، وهو الغاية الكبرى.

المطلب الثاني: حقيقة التربوية في اللغة والاصطلاح:

أولًا: التربوية في اللغةً: الأصل منها مفردة رب، فالتربيةُ في الاصل الرَّبُّ، وهو إنشاء الشيء حالًا فحالًا الى حد التمام(١٠)، فالأصل في المعنى تبليغ الشيء إلى كماله شيئًا فشيئًا (١١)، بمعنى ارتباط مفهوم التربية بطريقة تربية الرب لمربوبه.

ثانيًا:التربوية اصطلاحًا :إن مفهوم التربية عبر عنها العلماء اصطلاحًا بتعريفات متعددة منها:

أ-(طريقة لإعداد المرء إعدادًا صحيحاً وصالحاً ومتميزاً بسلوكه الفكري والانساني)(١٢) .

ب-أنها: (فلسفة واضحة مستمدة من القرآن الكريم والسنة الشريفة، وهي تتعهد الانسان بدنيًا وعقليًا وروحيًا)

(١٣) .

المطلب الثالث: حقيقة المقابلات في اللغة والاصطلاح:

أولًا: المقابلات لغة: المقابلات جمع، ومفردها مقابلة، أي من قابل الشيء بالشيء مقابلةً وقبالًا، أي عارضه فمن مقابلة الكتاب بالكتاب وقباله به معارضته، والمقابلة المواجهة والتقابل مثله كتقابل القوم في استقبال بعضهم بعضًا، ففي اللغة المعارضة والمواجهة. (١٤).

ثانيًا: المقابلة اصطلاحًا: الايتاء بمعنيين متوافقين أو معانٍ متوافقة على الترتيب (١٥).

المطلب الرابع: حقيقة المعادلات في اللغة والاصطلاح :

أولًا: المعادلات لغة : مفردها معادلة على ان أصلها يعود إلى مفهوم « العدل ضد الجور عدل يعدل، فهو عادل، وعدله، وأوزنه وفي المحمل، أي ركب معه والعدل المثل والنظير كالعدل والعديل (١٦) ، هي من قابل الشيء وقبالًا، أي عارضه (١٧) ، بمعنى (إن الاسلوب القرآني يعرض للمكلف حالتين متعارضتين؛ احدهما تأخذ به الى سبيل الرشد والنجاة يسلك سبيل النجاة) (١٨) ، والآخر يسلك به إلى (الغي والهلاك، والوقوع في المهالك التي يعسر التخلص منها) (١٩).

ثانيًا: المعادلة اصطلاحًا: هو الاعتدال وتوسط حال بين حالين في كم او كيف، كقولهم جسم معتدل بين الطول والقصر، وماء معتدل بين البارد والحار(٢٠) ، أما يحيل إلى معنى الاعتدال في التربية والسلوك ويشمل الجوانب المادية والمعنوية ، أي بمعنى ايجاد حالة من التعادل والتوازن بين الطرفين ؛ اذ لا افراط ولا تفريط ؛ لان الحالة الوسطية أمر يحيل الى المعنى الأخلاقي الذي دعا له الاسلام من خلال وجوب التزام مبدأ الاعتدال الذي يمثل فضائل الأخلاق إزاء طرفي الانحراف الافراط والتفريط (عند التحقيق يظهر ان لكل فضيلة حدًا معينًا، والتجاوز عنه بالإفراط او التفريط يؤدي الى الرذيلة فالفضائل بمنزلة الأوساط، والرذائل بمثابة الأطراف والوسط واحد معين لا يقبل التعدد) (٢١) .

ثالثًا: مفهوم العدل في الاستعمال القرآني:

أ-العدل في الحكم، قال تعالى: ﴿ وإذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل ﴾ (٢٢)

ب- العدل في القول، قال تعالى:﴿واذا قلتم فاعدللوا ﴾ (٢٣)

ت-العدل: الفدية، قال تعالى:

﴿ لا يُقبل منها عدل ﴾ (٢٤)

ث-العدل في الإشراك، قال تعالى: ﴿ ثم الذين كفروا بربهم يعدلون﴾ (٢٥)؛ أي يشركون به غيره.(٢٦)

المبحث الاول: تقابل الضد والتمثيل الصوري في سلوك الفرد إنَّ اسلوب التقابل هو احد الاساليب التي يتضمنها القرآن الكريم لغرض التوجيه والتربية نحو اهداف تصب في مصلحة المكلف سواء كان فردًا او جماعة، وهذا يتوقف على اختيار المكلف، فإن شاء اتخذ سبيل النجاة، وان شاء اتخذ سبيل الهلاك، وكل ذلك يتم عبر نظام المعادلة القرآنية، ولهذا تضمن المبحث أسلوبين تربويين مؤطّرين بإطار معادلتين متقابلتين؛ أولهما أسلوب تقابل يكتنف التضاد في المفاهيم والدلالات، وثانيهما أسلوب تقابل تمثيلي بالصورة الحسية، بمعنى يعمل على تشبيه نتيجة العمل المعنوي بالمادي وهذا ما سنتناوله في مدار هذا المبحث .

المطلب الاول: المعادلات القرآنية التربوية الصورية وتقابل الاضداد في سلوك الفرد بين المقدمات ونتائج الأعمال:

إن كلا الأسلوبين يتمحوران حول الجانب السلوكي والتربوي للإنسان، سواء كان سلبًا أو إيجابًا، الذي ينبغي على المكلف اجتناب السلوك السلبي الذي يبعده عن جادة الصواب واتباع الجانب الايجابي الذي يقربه من تلك الجادة ؛ لأن الله تعالى جعلها في معادلة تكون نتيجتها تحصيل الأفعال بالفوز، أو الخسران وفق المعطيات التي تعامل معها الانسان.

الشواهد التطبيقية من القرآن والسنّة:

١-روي عن الباقر عليه السلام في قوله تعالى:

﴿ فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَى وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَى ﴾(٢٧) (بأن الله يعطي بالواحد عشرًا الى مئة الف فما زاد (فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى)

قال : «لا يُريد شيئًا من الخير الا يسره الله له»(٢٨)(وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَى) بما آتاه الله(وَاسْتَغْنَى وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى) بأن الله يعطي بالواحد عشرًا الى كثير من ذلك

ـ وفي رواية أخرى الى مائة الف فما زاد (فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَى) قال : لا يُريد شيئًا من الشر الا يسره له) (٢٩)

ان الشواهد التطبيقية للمعادلتين في سورة الليل تضمنتا مفاهيم متقابلة بالشكل والمفهوم والدلالة وعلى النحو الآتي:

٢-قال تعالى: ﴿ فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى ﴾ (٣٠)

المعادلة الاولى: معادلة تربوية تدفع بالمكلف نحو القيام بالخطوات الثلاثة بعنوان أَعْطَى+ وَاتَّقَى+ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى (مقدمة) = فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى (نتيجة).

٣-قال تعالى: ﴿ وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَى وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَى ﴾ (٣١)

بَخِلَ + وَاسْتَغْنَى + وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى (مقدمة) = فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَى (نتيجة).

والمعادلة تقابلها ضدّيًا تتكون من خطوات مخالفة ومعاكسة للمفاهيم والدلالات التي وردت في المعادلة الأولى كذلك تحمل عنوان مقدمات لها، إذ ان مضامينها تحتوي على خطوات سلوكية سلبية ذكر عليه السلام عن الصفة المذمومة البخل في قوله:

(البُخلُ جَامِعٌ لِمَسَاوِئِ العُيُوبِ، وَهُوَ زِمَامٌ يُقَادُ بِهِ إِلى كُلِّ سُوءٍ) (٣٢) ، فالجانب التربوي هنا أشار إليه الامام علي عليه السلام قال: (وقدّر الارزاق فكثرها وقللها وقسمها على الضيق والسعة فعدل فيها؛ ليبتلي من اراد بميسورها ومعسورها وليختبر بذلك الشكر والصبر من غنيها وفقيرها) (٣٣)، وأما نتائج المعادلتين فهما متقابلتان كذلك، (فعدل فيها ليبتلى من اراده بيُسرها وعسرها)(٣٤)، فنتيجة المعادلة الأولى

(التيسير لليسرى) وتقابلها نتيجة المعادلة الثانية

(التيسير للعسرى) فالمعادلتين لدلالة المفاهيم المتقابلة في هذه الآيات التربوية.

المطلب الثاني: المعادلات القرآنية التربوية الصورية بين المقدمات ونتائج الاعمال:

وظّفَ القرآن الكريم الاساليب التربوية ضمن اطار قانون المعادلات، فلا تخلوا معادلة قرآنية من هدفية الاسلوب التربوي، ولا يخلوا اسلوب تربوي قرآني من دون اطار المعادلة سواء كان صريحًا بالشكل او غير صريح، في مضمونها او من خلال دلالتها ، ان القران الكريم يسعى الى تطوير قدرات المكلفين من خلال منهج تربوي متقن وبطرق متنوعة فهو منهج « قادر على بناء الانسان المسلم اذا اخذه كله دون اهمال لشيء منه ، وانه منهج يربي

الانسان الصالح للتعامل مع الحياة الدنيا ومع الحياة الاخرة»(٣٥) ؛ لذا فالقرآن الكريم نظام حياة يحفظ حقوق المكلف من خلال اسلوبه التربوي، إذ لا يضاهيه أي نظام مهما كان يتضمن ذلك النظام من نظريات واهداف واساليب لإدارة حياة البشر، ولهذا يعد أعظم مصدر للتربية في الماضي والحاضر والمستقبل هو كتاب الله، لما يحويه من ثروة تربوية عظمى جوهرية في الاهداف والمحتويات والاساليب (٣٦) ؛ لأن الاساليب التربوية المتنوعة تتمحور عليها الاهداف القرآنية والتي تسعى لنيل الانسان السعادة في الدنيا والآخرة، بمعنى يتمتع بحياة حرة كريمة يرتفع فيها كفة ميزان فضائل الاخلاق وينخفض فيها كفة ميزان الرذائل أي ان الانسان يعيش في مدار الاعتدال والوسطية لتلك الاخلاق والذي يمثل معيار الاستقامة والتوازن بين طرفي الافراط والتفريط ،وتلك ماهية (المقدمة) للمعادلة القرآنية والتي تترتبعليها

(النتيجة) لنفس المعادلة ، يتحصل مما تقدم ان القرآن الكريم يوجه المكلف سواء كان فردا او جماعة الى القيام بعمل ما او اتباع سلوك ما وعلى وفق اسلوب تربوي وتوعوي لكي ينال نتيجة عمله، وهذا بحد ذاته يربي في نفس المكلف روح الاندفاع والتحفيز اتجاه العمل المراد انجازه ومن خلاله تطوير قابلياته المعنوية الكامنة في نفسه، ويتجلى ذلك عبر تمتين علاقة العبد بربه.

الشواهد التطبيقية من القرآن والسنّة:

مفهوم المعادلة في القرآن إجراء وأعمال للقانون والنظام الإلهي العادل الذي يضمن حق الفرد والمجتمع كلٌ حسب استعداده ووفق حسابات العمل وجزاءهُ او العمل ونتيجته كما ورد في بعض النصوص القرآنية منها:

١- قال تعالى: ﴿ فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ﴾(٣٧) المعادلة: فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا (المقدمة) = خَيْرًا يَرَهُ (النتيجة) وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا (المقدمة) = شَرًّا يَرَهُ (النتيجة)

فسلوك الفرد هي معادلة في القرآن الكريم تناط له مسؤولية تهيئة المقدمات ليحضوا بالنتائج على المجتمع في الخير أو في الشر.

٢-إنّ السنة الشريفة امتداد طبيعي لمصادر التشريع ؛ لذا إنها بيّنت المعنى القرآني للمعادلة التي تهدف إلى تقوية علاقة المكلف بربه بطريقة تربوية لتنمي لديه حالة التوجه نحو قوة مطلقة قادرة على تلبية حوائجه الدنيوية والآخروية، (٣٨) قال الإمام الصادق عليه السلام:

(يا معاوية من أعطى ثلاثة لم يحرم ثلاثة : من أعطي الدعاء أعطي الإجابة قال تعالى:

﴿ ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ ﴾، ومن أعطي الشكر أعطي الزيادة وقال : ﴿ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾ ومن أعطي التوكل أعطي الكفاية فإن الله عز وجل يقول في كتابه : ﴿ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾ (٣٩)، يتضمن قوله عليه السلام في التفسير ثلاث معادلات قرآنية وتتمثل صيغها بالمعادلة الآتية :

ومن يتوكل على الله (مقدمة) = فهو حسبه
(نتيجة) .

لئن شكرتم(مقدمة) = لأزيدنّكم(نتيجة).

ادعوني (مقدمة) = استجب لكم
(نتيجة) .إن هذه الصيغ تؤكد تضمين المنهج التربوي في تلك المعادلات فدلالة (أعطي) الاولى في الحديث بمعنى مقدمة المعادلة و(أعطي) الثانية تمثل

جهة النتيجة للمعادلة ، فالعطاء يحيل هنا الى دلالتين ؛ دلالة الفعل ودلالة ما يترتب على الفعل، ويُعدّ هذا من الأساليب التربوية التي تكمن فيه دواعي للأمل ودوافع للعمل(٤٠)،وفطرة الانسان تميلُ الى مثل هذه الأساليب؛ لأنها تنسجم معها أولًا وتجسّد مبدأ جلب النفع ودفع الضرر ثانيًا، فحينما يدرك المكلف ان في هذا الفعل الذي يقوم به ستترتب عليه آثار تعود عليه بالنفع سواء كان نفع مادي او معنوي فإنه سوف يسعى مبادرًا الى الاتيان به رجاء ذلك، وهذا هو ما يروم اليه المنهج التربوي القرآني في صيغ المعادلات ، مما تقدم نجد ان القرآن الكريم ربط بين الاساليب والتربية والمعادلات الصورية ربطًا جوهريًا ؛ بسبب الإبداع الفني في النسيج اللغوي بين المفردات وتناسق الجمل بأبهى صورة. (٤١)

٣-الطرق تحمل في طياتها مضامين ودلالات تربوية تأخذ بيد المكلف نحو درجات الكمال ، نحو أخلاق فاضلة لها نقطة بداية ثم تتدرج به ليسمو نحو نقطة الكمال المطلوب ، وفي كل مرحلة من مراحل تدرجه وترقيه يحتاج الى اسلوب لا يختلف عن سابقه بالمعنى وانما يكون على نحو التطور والتقرب ، اي زيادة في الهداية والايمان وبطريقة تصاعدية او الابتعادُ عن الهدايةِ والايمان والاتجاه نحو الظلالةِ والكفر وبطريقّة تسافلية قال تعالى: ﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا ﴾ (٤٢)

المعادلة: مَنْ زَكَّاهَا (مقدمة) = قَدْ أَفْلَحَ (نتيجة)

مَنْ دَسَّاهَا (مقدمة)= وَقَدْ خَابَ (نتيجة)

ورد في قوله تعالى: ﴿ مَنْ كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُ وَمَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِأَنْفُسِهِمْ يَمْهَدُونَ ﴾ (٤٣)

المعادلة:مَنْ كَفَرَ (مقدمة) = فَعَلَيْهِ كُفْرُهُ (نتيجة)

وَمَنْ عَمِلَ صَالِحًا (مقدمة) = فَلِأَنْفُسِهِمْ (نتيجة)

٤-يتحصل مما تقدم أن القرآن الكريم يوجه الناس بأسلوبه التربوي على إتبّاع سلوك العطاء والتقوى؛ لأنهما يمثلان صفات الأعمال الصالحة، والحسنة تعودان على أصاحبها بالنفع والصلاح في الدنيا والآخرة قال تعالى: ﴿ إِنْ أَحْسَنْتُمْ أَحْسَنْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا ﴾ (٤٤)

المعادلة: إِنْ أَحْسَنْتُمْ (مقدمة) = لِأَنْفُسِكُمْ (نتيجة)

وَإِنْ أَسَأْتُمْ (مقدمة) = فَلَهَا (نتيجة)

وما يميز إحكام النص القرآني عن غيره من النصوص الأدبيةُ او الفلسفية او البلاغية هو (الاكتفاء الذاتي بجميع جوانبه؛ لأنه قائم بذاته على سبيل الحصر، إذ يعلنُ عن جهة التركيب والتشكيل والأسلوب والمعادلات وكل ما يتضمنه النص من مضامين بمعنى إن النص القرآني كينونةٌ في ذاته ، مغلقٌ ذاتيًا ، ومكتفٍ ذاتيًا)(٤٥) ، فنظُم العبارات موزونة بميزان الهي خاص غاية في الدقة والحكمة في التنظيم والانسجام فيما بين المفاهيم والموضوعات والأساليب والمصاديق بمفرداتها وجملها وسياقاتها بدليل قوله تعالى: ﴿ كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ﴾(٤٦)

المبحثُ الثّاني: التقابلات الصورية وآراء المفسرين في الشواهد القرآنية:

المطلب الاول التقابل الاول :

(فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى ـــــ وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ)

استفتح القرآن الكريم المعادلة بمفهوم (أعطى) باعتبار أن له دلالة تفيد عمل الخير والصلاح اذ يدل على (إنفاق المال لوجه الله بقرينة مقابلته للبخل الظاهر

في الامساك عن انفاق المال) (٤٧)، ويقابله مفهوم (بخل) وهو الصفة المذمومة التي يتصف بها كل من لا ينفق من ماله على المحتاجين، ومفهوم العطاء يحيل الى معنى يربي وينمي في نفس الانسان روح التعاون والتكافل المجتمعي، من خلال مد يد العون والمساعدة المادية سواء كان المحتاج قريبًا او بعيدًا، ويقابله مفهوم البخل الذي ينمّي ويربّي في نفس الانسان روح الانكماش والحرص والابتعاد عن روح التعاون والتكافل للقريب والبعد على رغم توفر المال لدى البخيل، و للعطاء عدة مصاديق نذكر منها(السخاء) والذي جاء عنه على لسان القرآن الناطق الامام علي عليه السلام بان (السخاءُ ما كان ابتداءً فأما ما كان عن مسألة فَحَيَاءٌ وَتَذَمُّمٌ) (٤٨)، فالعطاء اذا كان بمبادرة من المعطي لمن يستحقه فيكون سخيًا، إذ يكون البخل قائدًا لصاحبه الى مداخل السوء بأنواعه، لذلك تربي صفة العطاء في نفس المعطي روح الاحساس والشعور والمحبة للغير فيكون مدعاة للقرب من العناية الالهية، وأما البخل فهي صفة سيئة تربي لدى صاحبها الشعور بالنكوص ومرض الحرص والكره والبغض للناس ويكرس حبه لماله لا غير ليكون مدعاة للابتعاد عن العناية الالهية.

المطلب الثاني: التقابل الثاني :(وَاتَّقَى -اسْتَغْنَى)

ان المفهومان التقوى والاستغناء متقابلان ، اذ ان التقوى تعد عاملا وداعما اساسيا للعطاء، لذلك جاء مقرونًا ومتبوعًا له، وفي نفس الوقت يمثل شرطًا لتحقق العطاء على احسن وجه، فللتقوى دلالة على: (حفظ النفس عمّا يؤثم ، وذلك بترك المحظور) (٤٩) ، وعلى عكسها وضدها يأتي مفهوم (الاستغناء مقرونًا ومتبرعًا للبخل وله دلالة على طلب الغنى والثروة بالإمساك والجمع) (٥٠) ، فالتقوى (تربي وتقوي في الانسان روح البذل والعطاء وتحفظه من وساوس النفس ومكائد الشيطان و وتمنعه من الانجرار الى الصفة التي تقابله وهي صفة البخل المذمومة، واما الاستغناء فهي تدفع بصاحبها نحو البخل وامساك يده عن العطاء والسعي نحو جمع المال والحرص عليه ومنعه من الاخرين الذين هم بأمس الحاجة إليه، فالمتقي بعرف القرآن هو الشخص الذي لا يعمل عمل ما كالبذل والعطاء (زكاة أو صدقة) أو غيرهما الا ويكون متقربًا به لوجه الله تعالى، وقد اشار القران الكريم لهذا المعنى بنفس السورة في: قوله تعالى: ﴿وَسَيُجَنَّبُهَا الْأَتْقَى الَّذِي يُؤْتِي مَالَهُ يَتَزَكَّى وَمَا لِأَحَدٍ عِنْدَهُ مِنْ نِعْمَةٍ تُجْزَى إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الْأَعْلَى ﴾ (٥١) ، فلا يبتغي المعطي المتقي جزاء من احد سوى جزاء ربه الأعلى، واما الاستغناء فبما أنها صفة مذمومة تسلك بصاحبها الى الطغيان والكفر، وتجره نحو مزيدا من البعد عن عناية الله سبحانه وأجره، فلا يعطي ولا يؤدي حق النعم التي أنعمها الله تعالى عليه، فهي صفة مذمومة ملازمة للبخل المذموم، وقد أشار القرآن الكريم لهذا المعنى في قوله تعالى:﴿ كَلَّا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَيَطْغَى أَنْ رَآهُ اسْتَغْنَى ﴾ (٥٢) ؛ لأنه يعتقد نفسه مستغنيا عن ربه المنعم عليه فيكفر به)(٥٣)، يظن البخيل كذلك انه بحرصه هذا يفعل خيرا وعمله صحيح ولكن يكشف القرآن الكريم له عكس ذلك في قوله تعالى: ﴿ وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ هُوَ خَيْرًا لَهُمْ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَهُمْ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ﴾(٥٤) ، وكذلك الحال في موضوع البخل

والاستغناء فإنهما من الأعمال السيئة ويعود على صاحبها بالضرر والهلاك.

المعادلة: قال تعالى: ﴿ هَا أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ تُدْعَوْنَ لِتُنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَمِنْكُمْ مَنْ يَبْخَلُ وَمَنْ يَبْخَلْ فَإِنَّمَا يَبْخَلُ عَنْ نَفْسِهِ وَاللَّهُ الْغَنِيُّ وَأَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ ﴾ (٥٥)

(المقدمة) لِتُنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَمِنْكُمْ مَنْ يَبْخَلُ + وَمَنْ يَبْخَلْ = أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ + وَاللَّهُ الْغَنِيُّ (النتيجة).

ولأهمية موضوعة التقوى في تربية وحياة الانسان في الدارين رسمها النبي صلى الله عليه واله وسلّم قائلًا: (كرم الدنيا الغنى، وكرم الآخرة التقوى) (٥٦)

المطلب الثالث: التقابل الثالث:

(صَدَّقَ بِالْحُسْنَى ــ كَذَّبَ بِالْحُسْنَى)

يتقابل مفهوم التصديق مع مفهوم التكذيب، اذ ان التصديق له دلالة على (تصديق البعث والايمان به ولازمه الإيمان بوحدانيته تعالى في الربوبية والألوهية، وكذا الإيمان بالرسالة فأنها طريق بلوغ وعده تعالى للثواب)،(٥٧)ويقابله بالدلالة المعاكسة مفهوم التكذيب بمعنى التكذيب بالبعث وعدم الايمان بالله تعالى وملائكته وكتبه ورسله، والمفهومان المتقابلان – صدّق وكذّب – يُعدان شرطان مهمان ومكملان لأجزاء مقدمات المعادلتين. ويظهر من هذا الترتيب في اجزاء المقدمات الغرض منه أسلوب التدرج التربوي انطلاقا من مفهوم الى مفهوم اعم منه، اي (متدرج من الأخصّ إلى الأعمّ فإنّ العطاء أخصّ من الاتقاء والاتقاء أخصّ من التصديق بالحُسنى، فكلّ مُعط في سبيل الله متق، وكلّ مُتق مصدّق بالحُسنى، فالمصدّق بالحُسنى يشمل المُتّقي وغيره، والمُتّقي يشمل المُعطي وغيرهُ) (٥٨) وكذلك الحال بالنسبة لأجزاء مقدمات التكذيب تبدأ بمفهوم البخل ثم تتدرج بالاستغناء انتهاء بالتكذيب ، فهذا التدرج لهذه المضامين المترابطة في المعادلتين توحي على ان السلوك التربوي لطريق السلامة والنجاة يكمن في تلك الشروط المتلازمة، فلكي تحصل النتيجة الطبيعية المقررة للمعادلة لابد من توافرهم معا والا اذا حصل تغير في أجزاء المقدمة سيكون حتما تغير في طبيعة النتيجة، بمعنى أن مضمون النتيجة متوقف على مضامين المقدمة، وندرج الأمر في أي معادلة بغض النظر عن كيفيتها من جهة السلب أو الايجاب، لذلك فان طريق الهلاك هو أيضا يكمن فيه سلوك للطريق المعاكس فان كانت أجزاء المقدمة سلبية حتما ستكون النتيجة مساوقة لها. لذا فان صفة الحسنى التي قرنت التصديق والتكذيب انما هي (تشمل كل ما هو الأحسن ممّا ينبغي التصديق به ولا تختصّ بشيء معيّن) (٥٩)، فمن مصاديق الحسنى، الإيمان بأصول الدين بوحدانية الله تعالى والنبوة والإمامة والبعث والمعاد، وإنكار او تكذيب أي منهما يخرج صاحبه الى طريق الضلال، ويتوقف التصديق والتكذيب بالدين وضرورياته على المعرفة بها، فبدون المعرفة لا يتحصل التصديق به؛ لذلك جاء تأكيد الإمام علي عليه السلام في احد خطبه على أن (اول الدين معرفته، وكمال معرفته، التصديق به، وكمال التصديق به توحيده)(٦٠)، فلا يمكن فهم الدين والعمل بمقرراته من دون التعرف عليه؛ فدأب القرآن الكريم وفق اسلوبه التربوي ان يوضح للمكلف معرفة طريق الهداية الصحيح ومن ثم يوجهه اليه، يقابل ذلك بيان طريق الضلال وما يشوبه من شبهات فيعرفها له ويوجهه على اجتنابها، وقد عبر القرآن الكريم في مواطن عدة حول استعمالات

مثل هذا الأسلوب، منها ما ورد في قوله تعالى: ﴿ فَلَا صَدَّقَ وَلَا صَلَّى وَلَكِنْ كَذَّبَ وَتَوَلَّى ﴾ (٦١) في مقابلة للمفهومين (صدق، كذب) على ان (صدق) مقدمة ملازمة للصلاة، ولذلك عد التصديق بيوم الدين من الصفات الأساسية للمصلي ويعكس هذا المعنى أيضا قوله تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ يُصَدِّقُونَ بِيَوْمِ الدِّينِ ﴾(٦٢)، في إشارة الى المصلين، وكذلك أكد على ان التصديق بضرورات الدين من صفات المتقين ويقابله التكذيب بها هو من صفات الكافرين كما ورد في قوله تعالى:

﴿ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَذَبَ عَلَى اللَّهِ وَكَذَّبَ بِالصِّدْقِ إِذْ جَاءَهُ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِلْكَافِرِينَ وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ أُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ ﴾ (٦٣)

المعادلة: كَذَبَ عَلَى اللَّهِ + وَكَذَّبَ بِالصِّدْقِ (المقدمة) = جَهَنَّمَ مَثْوًى لِلْكَافِرِينَ (النتيجة).

جَاءَ بِالصِّدْقِ + وَصَدَّقَ بِهِ (المقدمة) = هُمُ الْمُتَّقُونَ (النتيجة).

ورد عن ابي عبد الله عليه السلام قال : (الكَذِبُ عَلَى اللهِ وعلى رَسُولِهِ - صلّى الله عليه وآله وسلم- مِنَ الكَبَائِرِ)(٦٤) ، اذًا هي مقدمة للتولي بل ومن لوازمها، وقد توعدَ الله سبحانه وتعالى المكذبين بالويل والعذاب في الدنيا والآخرة وعلى جميع القضايا التي لا يصدقون ولا يؤمنون بها، إذ ورد تكرار لآية ﴿ فَوَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ ﴾ في تأكيد على أهمية وخطورة التكذيب في عدة سور منها] سورة الطور، و سورة المرسلات : اية ١٥ و١٩ و٢٤ و٢٨ و٣٤ و ٣٧ و ٤٠ و٤٥و٤٧ و ٤٩ ، وسورة المطففين : اية ١٠ [تأكيد وترسيخ لأنواع التكذيب وما يترتب عليها من نتائج.

المطلب الرابع: التقابل الرابع: (فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى- فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَى) التيسير لها دلالة التوجيه أو الهداية والتسهيل نحو الأمر المطلوب سلوكه، وهي من « اليسر: ضد العسر، وتيسّر واستيسر: تسهّل، ويسّره: سهّله، يكون في الخير » (٦٥)بمعنى ان من يسلك طريق العطاء والبذل المرتكز على التقوى فسوف يوفق الى الاستمرار بالقيام بالأعمال الصالحة، أي ينمي لدى المكلف الشعور والاحساس بالعناية الالهية من خلال « توفيقه للأعمال الصالحة بتسهيلها عليه من غير تعسير أو جعله مستعدًا للحياة السعيدة عند ربه ودخول الجنة » (٦٦) وقد ورد في القرآن الكريم ما يؤازر هذا الأسلوب من جهة المفهوم والدلالة في قوله تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى وَآتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ ﴾ (٦٧) ، فالزيادة في الهدى لها دلالة على تيسير وتسهيل أمورهم على تجاوز العقبات التي تواجههم في سلوك طريق الصلاح، إذ ان المكلف في كل حركة وفي كل عمل يريد انجازه مشفوعًا بالتقوى يحتاج الى عامل التوفيق والعناية الالهية ؛ لأنها عوامل مساعدة في المجال التربوي للنفس وصقلها كي تحظى بسعادة الدنيا والآخرة، أما التيسير للعسرى فهو مفهوم له دلالة بالضد من مفهوم التيسير لليسرى؛ لأن من يختار طريق الضلال والمتمثل هنا من خلال سلوك البخل والاستغناء والتكذيب لضرورات الدين، فلا مناص الا ان يسهل له ما يريد، بمعنى ان لا تشمله العناية الالهية بتوفيقه نحو التدرج والصعود في سلم الصلاح والنجاة، بل سيكون متوجهًا نحو الانحدار وذلك يكون من خلال (عدم توفيقه للأعمال الصالحة، بتثقيلها عليه وعدم شرح صدره للإيمان أو إعداده للعذاب) (٦٨)، وقد جسد القرآن الكريم هذين الأسلوبين

المتقابلين في التربية الالهية في معنى قوله تعالى: ﴿ مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَنْ نُرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ جَهَنَّمَ يَصْلَاهَا مَذْمُومًا مَدْحُورًا، وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ وَسَعَى لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ كَانَ سَعْيُهُمْ مَشْكُورًا كُلًّا نُمِدُّ هَؤُلَاءِ وَهَؤُلَاءِ مِنْ عَطَاءِ رَبِّكَ وَمَا كَانَ عَطَاءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا ﴾ (٦٩)

المعادلة: يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ + عَجَّلْنَا لَهُ فِيهَا + مَا نَشَاءُ لِمَنْ نُرِيدُ (المقدمة) = لَهُ جَهَنَّمَ يَصْلَاهَا + مَذْمُومًا + مَدْحُورًا (النتيجة).

المعادلة: وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ + وَسَعَى لَهَا سَعْيَهَا + وَهُوَ مُؤْمِنٌ (المقدمة) = فَأُولَئِكَ كَانَ سَعْيُهُمْ مَشْكُورًا + كُلًّا نُمِدُّ هَؤُلَاءِ وَهَؤُلَاءِ مِنْ عَطَاءِ رَبِّكَ + وَمَا كَانَ عَطَاءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا (النتيجة).

إن مفاهيم المعادلتين المتقابلتين يحيلان الى دلالات لأسلوب تربوي آخر وهو أن مفاهيم (الاعطاء والتقوى والتصديق بالحسنى) تمثل خط الاعتدال والاستقامة عند علماء الأخلاق، أي أن لكل فضيلة من هذه الفضائل طرفان يمثلان الانحراف عن خط الوسط أو الاعتدال، ؛ لأن (الانحراف عن الوسط إما الى طرف الافراط أو الى طرف التفريط، فيكون بإزاء كل فضيلة جنسان من الرذيلة) (٧٠)

المبحث الثالث: التقابل للايات المباركة في المعطيات والنتائج تقابل التمثيل بالصورة:

يمثل الإسراف والتبذير انحرافًا لطرف الافراط، والبخل والاستغناء والتكذيب انحرافا لطرف التفريط ، لذا فان سلوك خط الاعتدال هو سلوك لطريق الاستقامة الذي يوصل صاحبه الى بر الأمان، وأما سلوك الاتجاه المعاكس له فهو الطريق الذي يوصل صاحبه نحو الهاوية، ولكل طريق مقدمات ونتائج قال تعالى: ﴿ إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا ﴾

(٧١) تقابل التمثيل بالصورة:

﴿ مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِائَةُ حَبَّةٍ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴾ (٧٢) يتضح من الآية الكريمة (الحث بالدعوة الى الانفاق في سبيل الله واستجاشة المشاعر بتصوير المعنى في صورة شاخصة تستهوي الوجدان وتستميل القلوب) (٧٣) التقابل بالمثل تتكون من مقدمة ونتيجة، وتتضمن المقدمة شرطين أو جزأين، وكذلك النتيجة تتألف من جزأين.

معادلة

مثل الذين ينفقون أموالهم + في سبيل الله (مقدمة) = كمثل حبّة + أنبتت سبع سنابل (نتيجة)

المطلب الاول: التقابل الأول : (مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ – كَمَثَلِ حَبَّةٍ)

محور المعادلة يرتكز على أسلوب تمثيل نتيجة عمل ما بشكل صورة حسية لكي تستسيغها الافهام؛ لأن المثل يكشف عن العلاقة بين التخييل والواقع (٧٤)، لذلك حرص القرآن الكريم على استعمال مثل هذا الأسلوب التصويري بشكل كبير لغرض تربية العباد في الاستئناس بنتائج أعمالهم وفهم ما لا يدرك من خلال تقريب معناه باطار روعة التصوير القرآني بطريقته الفريدة في الحث على الانفاق في صورة محسوسة. وعلى هذا الأساس تضرب الأمثال لكي « تقرب المعاني بما يعرفه الناس ويرونه بعيونهم ويحسونه بأنفسهم، وتمكنهم من ادراك ما غاب عن أبصارهم وأسماعهم الظاهرة ليعقلوه ويفهموه»(٧٥) ؛ لذلك يكشف القرآن الكريم الغرض من ضرب الأمثلة يكمن في الدعوة للتفكر والتذكر كما ورد في قوله تعالى: ﴿ تُؤْتِي أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا

وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴾ (٧٦) ، وقوله تعالى ﴿ لَوْ أَنْزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُتَصَدِّعًا مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ (٧٧) لقد ورد مفهوم الانفاق بصيغة فعل المضارع (ينفقون أموالهم) للدلالة على الاستمرارية في العمل لجموع القائمين به، وهذا العمل قد أعطى له القرآن الكريم مثلا من حياة الانسان العملية والتي يشاهدها بحاسة البصر مرارا وتكرارا، وهي عملية انبات حبة الحنطة أو الشعير وما ينتج منها من ثمر، لذلك جعل صورة الحبة الحسية تقابل وتماثل الصورة المعنوية لثواب وأجر العمل الحسن والمتمثلة بإنفاق المال لما للصورة الحسية من أثر في نفس المكلف ان مفهوم (حبة) له دلالة على الحجم الصغير، ليحيل الى معنى ان الانفاق بعرف القرآن الكريم قليلا كان او كثيرا ليس معيارا لقبوله وترتب الأجر والأثر عليه، وانما المعيار كيفية العمل ومدى تضمنه شروط قبوله ﴿ وَلَا يُنْفِقُونَ نَفَقَةً صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً وَلَا يَقْطَعُونَ وَادِيًا إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ (٧٨) أسلوب يجعل المكلف لا يستحقر ما يريد انفاقه حتى لو كان قليلا؛ لأنه يُسجل ويُكتب له عند الله عملا صالحا مادام يكتنف شروط القبول، ثم أن الحبة لا قيمة لها لوحدها ولا تكتسب قيمتها الا حينما تُزرع وتنمو وتُثمر، كذلك الانفاق بالمال لا قيمة له صغيرا كان المال أم كبيرا دون أن يتضمن الشروط القرآنية، وهو إنفاقه في سبيل الله أو لوجه الله أو ابتغاء مرضاة الله، وان يكون خيرا وجيدا وليس رديئا أو غير ذلك من الشروط التي ذكرها القرآن الكريم وبينها، وقد ورد في نهج البلاغة عن أمير المؤمنين عليه السلام فيما يختص بفعل الخير صغيره وكبيره « افعلوا الخير ولا تحقروا منه شيئا، فان صغيره كبير، وقليله كثير » (٧٩).

المطلب الثاني: التقابل الثاني : (فِي سَبِيلِ اللَّهِ – أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ)

شرطان متقابلان، الشرط الأول؛ شرط واقع شرعي يتوقف عليه قبول الانفاق، والشرط الثاني؛ شرط واقع تكويني تتحقق فيه عملية انبات الحبة لتحصل لتنتج السنابل السبعة (تستنبت في التربة الصالحة فتنبت سبع سنابل في كل سنبلة مائة حبة) (٨٠) لذا يكشف لنا القرآن الكريم من هذا البيان أن يكرس في أفهامنا، أن الأمور الشرعية والمعنوية تربى وتنمو كما هو حال الزرع يربى وينمو، لذلك هي بمثابة عملية تربوية للناس بأن أعمالهم اذا كانت صالحة وتتضمن الخير ومتوفر فيها شرط القبول فإنها سوف تثمر بمعنى أنها تعود بالنفع على فاعلها في الحياة الدنيا والحياة الآخرة، وهو المنتفع بها، فما ينفقه « لا يبطل ولا يفوت بل يرجع إليهم من غير أن يفوت عن ذي حق حقه»(٨١) قال تعالى: ﴿ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَلِأَنْفُسِكُمْ وَمَا تُنْفِقُونَ إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللَّهِ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ ﴾ (٨٢)؛ لذا فإن

(في سبيل الله ولوجه الله وابتغاء مرضاة الله .....) هي جوهر قبول الأعمال ومنها الانفاق، فكل انفاق لا يكون متقربا به لله تعالى فلا يقبل بعرف القرآن، وقد وردت آيات غير قليلة بهذا الخصوص منها قوله تعالى ﴿ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ ﴾ (٨٣) ؛ فقبول الانفاق من قبل الله تعالى هو انمائها وحفظها لفاعلها في الآخرة، كما هو حال انباته للحبة بسبع سنابل؛ لأن «

المنبت هو الله، ولكن الحبة لما كانت سببا أسند اليها الانبات كما يسند الى الأرض والى الماء»(٨٤) .

المطلب الثالث: تمثيل الصور بالمضاعفة

ان تمثيل الصورة في مضاعفة العمل له دلالة وإشارة إلى أنه هو الذي يضاعف أجر العمل وهو الذي يضاعف ثمر النبات، فمن لطف الله تعالى وكرمه مضاعفة أجر العمل الحسن بعشرة أضعاف، والانفاق في سبيل الله من مصاديق الأعمال الحسنة ﴿ مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا ﴾ (٨٥)، ومن جانب آخر اكتفى القرآن الكريم بذكر حالة التضعيف لسبع سنابل مع عدد حبات كل سنبلة ولم يذكر المجموع الكلي؛ لأن « هذا المثل أبلغ في النفوس، من ذكر عدد السبعمائة»(٨٦) ويقابل هذا المعنى مفهوم عدم قبول عمل الانفاق من قبل الله تعالى فيما لو كان فاقدا لشروط القبول والتي تتمثل بالإنفاق في سبيل الله، والإنفاق عن طيب نفس، وانفاق ما هو خير وحسن، وقد وردت آيات قرآنية تعكس تلك الاتجاهات في قوله تعالى ﴿ وَمَا مَنَعَهُمْ أَنْ تُقْبَلَ مِنْهُمْ نَفَقَاتُهُمْ إِلَّا أَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَبِرَسُولِهِ وَلَا يَأْتُونَ الصَّلَاةَ إِلَّا وَهُمْ كُسَالَى وَلَا يُنْفِقُونَ إِلَّا وَهُمْ كَارِهُونَ ﴾ (٨٧) ؛ لذا يتحصل من الآية المعادلة الآتية؛ فالكفر بالله وبرسوله وبالصلاة إضافة الى إنفاق بكره تساوي عدم قبول العمل، فالشخص حينما لا يؤمن بالله تعالى ولا برسوله سيكون بالضرورة غير مؤمن بلوازم الايمان والذي يكون الإنفاق في سبيل الله من أحد لوازم الايمان بالله تعالى، وأما الشرط الثاني وهو ما يكون الإنفاق فيه مضافا الى أنه في سبيل الله ولكن يشترط أن لا يتبعه مَنًّا أو أذى كما ورد في قوله تعالى ﴿ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ لَا يُتْبِعُونَ مَا أَنْفَقُوا مَنًّا وَلَا أَذًى لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ (٨٨)

المعادلة :

الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ + فِي سَبِيلِ اللَّهِ + لَا يُتْبِعُونَ مَا أَنْفَقُوا مَنًّا وَلَا أَذًى (مقدمة) = لهم أجرهم عند ربهم + وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ + وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ (نتيجة)

أمّا اذا خالط انفاقهم المن والأذى فلا يحظون بالأجر والثواب؛ لأنهما يبطلان العمل وهو ما أكده قوله تعالى ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَذَى ﴾ (٨٩) .

المعادلة: صَدَقَاتِكُمْ بِالْمَنِّ + وَالْأَذَى (مقدمة) = تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُمْ (نتيجة)

لذلك يرجح القرآن الكريم بعدم دفع الصدقة والاقتصار على القول الحسن؛ لأنه يكون أفضل منها ﴿ قَوْلٌ مَعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِنْ صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَا أَذًى وَاللَّهُ غَنِيٌّ حَلِيمٌ ﴾ (٩٠) ؛ لأن (أذى المنفق للمنفق عليه يدل على عظم إنفاقه والمال الذي أنفقه في عينه، وتأثره عما يسوئه من السؤال، وهما علتان يجب ان تزاحا عن نفس المؤمن، فإن المؤمن متخلق بأخلاق الله والله سبحانه غني لا يكبر عنده ما أنعم وجاد به) (٩١) كل ما تم ذكره من معادلات قرآنية حول الإنفاق يحيل الى عمق المستويات التربوية التي ينتهجها القرآن في تربية عباده من جهة كيفية التعامل مع هذا العمل العبادي (فتشريع الانفاق قصد به اصلاح المجتمع والربط بين افراده برباط من التراحم والمودة وقيام حياته على التكافل والتعاون) (٩٢) .، وهو ذات النهج الذي أرشد اليه الأئمة عليهم السلام ومنه ما جاء على لسان أمير المؤمنين عليه السلام في أن النعم الالهية اختصاص منه تعالى لعباده لينفعوا بها عباده، فإن لم يؤدوا حقها فسوف تسلب منهم (إن

لله عبادا يختصهم الله بالنعم لمنافع العباد فيقرّها في أيديهم ما بذلوها، فإذا منعوها نزعها منهم ثم حوّلها الى غيرهم) (٩٣) ، ثم إن بعض من الناس وقد وصفهم القرآن الكريم بالكافرين، إذ ان هؤلاء ليس فقط لا ينفقون في سبيل الله، بل ينفقونها لغرض الصد بها عن سبيل الله ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ فَسَيُنْفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ وَالَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ ﴾ (٩٤) .

المعادلة: الَّذِينَ كَفَرُوا+ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ (المقدمة)= تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً + ثُمَّ يُغْلَبُونَ + إِلَى جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ (النتيجة).

وأما المنفقون في سبيل الله فيعود عليهم بالأجر المضاعف وحسن العاقبة، هذا هو دأب القرآن الكريم في توجيه الناس نحو خطوات المسار السليم لأجل اتباعها وعدم التفريط بها، بدليل قول النبي صلى الله عليه واله وسلم: (ما طلعت شمس يوم قطّ الا بعث بجنبتها ملكان يناديان يسمعان أهل الارض الا الثقلين : اللهم أعط منفقًا خلفًا وأعط ممسكًا تلفًا) (٩٥)، أسلوب التمثيل بالصورة بهذه الطريقة في بيان قيمة العمل المراد فعله، أسلوب يختص به القرآن ويعكس اعجازا بلاغيا وحكمة الهية، ومن ذلك جعل العدد (سبع) ملازما لعدة استعمالات يكمن في طياته أسرار لا يعلمها الا الله تعالى، لذلك ورد العدد (سبع) في آيات متنوعة وعظيمة، منها ما ذكر في السبع المثاني ﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ ﴾ (٩٦) استعمل القران العدد ليكون معادلا للقرآن(٩٧)،وكذلك استعمل في خلق السماوات والأرض ،﴿ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا ﴾ (٩٨) واستعمل العدد (سبع) للرؤيا وتأويلها كما ورد في قصة يوسف عليه السلام في قوله تعالى :﴿ وَقَالَ الْمَلِكُ إِنِّي أَرَى سَبْعَ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعَ سُنْبُلَاتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَاتٍ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي رُؤْيَايَ إِنْ كُنْتُمْ لِلرُّؤْيَا تَعْبُرُونَ ﴾ (٩٩) ، فجعل من العدد (سبع) تقابلا بين معدوداته.

المعادلة: سبع سماوات = سبع أرضين
سبع بقرات سمان = سبع بقرات عجاف
سبع سنبلات خضر = سبع سنبلات يابسات

هذه الاستعمالات المتنوعة لهذا العدد توحي على أنه « لم يكن مصادفة إنما لحكمة إلهية » (١٠٠) ، وهي حكمة متقن نظامها سواء على مستوى الأساليب أو المعادلات في شكلها ومضامينها ودلالاتها، فكل حركة وسكنة وكل حرف وكلمة وجملة حكمة بالغة، وفي معادلة التقابل والتمثيل بالصورة أن الفعل الشرعي يمثل له بالفعل التكويني .

المعادلة: الذين ينفقون أموالهم = كمثل حبة
في سبيل الله = أنبتت سبع سنابل

(ان تخرج ساقًا يتشعب منها سبع شعب لكل واحدة سنبلة، وهذا التمثيل تصوير للإضعاف، كأنها مائلة بين اعين الناظر، فإن قلت : كيف صح هذا التمثيل، والتمثيل به غير موجود ؟ قلتُ : بل هو موجود في الدخن والذرة وغيرهما، وربما فرخت ساق البرة في الاراضي القوية المقلة فيبلغ هذا المبلغ ولو لم يوجد لكان صحيحًا على سبيل الفرض والتقدير) (١٠١)

الخاتمة ونتائج البحث:

نختتم البحث بعد ان توصلت الى اهم

النقاط التي تدور في ميدانه:

١-التمثيل القرآني بالصورة طريقته في بيان قيمة العمل المراد فعله، أسلوب يختص به القرآن ويعكس إعجازًا بلاغيا وحكمة الهية، ومنها جعل الأعداد) ملازما لعدة استعمالات يكمن في طياته أسرار لا يعلمها الا الله تعالى.

٢- المعادلات القرآنية هي تقابل فمثلًا الكفر بالله وبرسوله وبالصلاة إضافة الى إنفاق بكره تساوي عدم قبول العمل، فالشخص حينما لا يؤمن بالله تعالى ولا برسوله سيكون بالضرورة غير مؤمن بلوازم الايمان والذي يكون الإنفاق في سبيل الله من أحد لوازم الايمان بالله تعالى.

٣-المعادلات القرآنية حول الإنفاق تحيل الى عمق المستويات التربوية التي ينتهجها القرآن في تربية العباد من جهة كيفية التعامل مع هذا العمل العبادي فتشريع الانفاق قصد به اصلاح المجتمع والربط بين افراده برباط من التراحم والمودة وقيام حياته على التكافل والتعاون وهو ذات النهج الذي أرشد اليه الأئمة(عليهم السلام).

٤-المعنى القرآني في بعض الشواهد هو صورة تقابل لمعادلات كثيرة، ومنها مفهوم عدم قبول عمل الانفاق من قبل الله تعالى فيما لو كان فاقدا لشروط القبول والتي تتمثل بالإنفاق في سبيل الله، والإنفاق عن طيب نفس، وانفاق ما هو خير وحسن، وقد وردت آيات قرآنية تعكس تلك المفاهيم.

الهوامش

(١) لسان العرب : أبو الفضل جمال الدين بن محمد بن منظور الافريقي المصري، دار صادر، بيروت، ط٦- ١٤١٦هـ ١٩٩٧م : ١ / ٤٧٣ .

(٢) المعجم الوسيط : الفيروز ابادي محمد بن يعقوب، مكتبة الشروق الدولية، ط٤، ١٤٢٥،٤هـ-٢٠٠٤م : ٤٤١ (باب سلب)

(٣) القاموس المحيط : الفيروز ابادي محمد بن يعقوب، مؤسسة الرسالة، ط٨- ١٤٢٦هـ ٢٠٠٥م : ٩٨(فصل السين) .

(٤) مناهل العرفان في علوم القرآن : الزرقاني محمد عبد العظيم، دار الكتاب العربي، بيروت - لبنان ط١، ١٤١٥هـ: ٢ /٣٠٣ .

(٥) مناهل العرفان في علوم القرآن : الزرقاني ٢ / ٣٠٣ .

(٦) الاساليب القرآنية في معالجة مشكلات المسلمين : رسالة ماجستير، طالب اسماعيل عبد الوهاب سلمان، ١٤٣٧هـ - ٢٠١٦م: ١٧

(٧) ينظر: الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل : الشيرازي آية الله ناصر مكارم، الناشر مدرسة الامام علي بن ابي طالب عليه السلام ، ط١ : ١٧ / ٢٠٣ .

(٨) ينظر: الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل : الشيرازي ٢/٤١٨ .

(١١) ينظر: المصدر نفسه :٢/٢٤٤ .

(١٠) ينظر: مفردات في غريب القرآن : الراغب الاصفهاني ابي القاسم الحسين بن محمد المعروف، م (٥٠٢ هـ) تحقيق محمد سيد كيلاني، د. المعرفة، بيروت - لبنان : ١٨٤.

(١١) ينظر: انوار التنزيل واسرار التأويل : الشيرازي الشافعي البيضاوي، ناصر الدين ابي الخير عبد الله بن عمر بن محمد (ت ٦٩١هـ)،الناشر: دار احياء التراث العربي، بيروت- لبنان :١ / ٢٨.

(١٢) المبادئ التربوية في القرآن الكريم: صالح. د. آراس محمد، آداب الرافدين ٥٧، ١٤٣١هـ-٢٠١٠م : ٣

(١٣) الاساليب التربوية في القرآن الكريم :
د. عدنان الحموي العُلبي، ملخص بحث : ٣٧ .

(١٤) الوافي في النحو والبلاغة والعروض، احمد حاطوم واخرون، الناشر: دار الفكر، لبنان - بيروت ، ط١- ٢٠٠٠م، ٢٦٠.

(١٥) ينظر: الايضاح في علوم البلاغة ، محمد عبد الرحمن بن عمر ابو المعالي جلال الدين الزويني الشافعي (ت ٧٣٩هـ)، تحقيق: محمد عبد المنعم ، الناشر دار الجيل ، بيروت - لبنان ، ط٣، ١/٨٩.

(١٦) القاموس المحيط : الفيروز ابادي، ١٠٣٠ (مادة عدل) .

(١٧) لسان العرب : ١٢ / ١٥ (مادة قبل) .

(١٨) بحار الانوار : الجامعة لدرر اخبار الائمة الاطهار، تأليف العلم العلامة الحجة فخر الامة المولى الشيخ محمد باقر المجلسي، (قدس الله سره) الوفاة، ١١١١هـ ، الناشر ، مؤسسة الوفاء، بيروت - لبنان ، ط٢، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م : ١ / ٩٢ .

(١٩) بحار الانوار : ٢ / ٥٠ .

(٢٠) ينظر: مفهوم الاعتدال في الفكر السياسي الاسلامي، محمد عبد الكريم واخرين، مجلة العلوم السياسية ، العدد ٣٠ مجلد ٣٠ ، ٥.
(٢١) جامع السعادات:النراقي، محمد مهدي، انتشارات اسماعيليان، قم، ط٧- ١٤٢٨هـ - ٢٠٠٦م، ١/٧٦.
(٢٢) النساء:٥٨
(٢٣) الانعام : ١٥٢.
(٢٤) البقرة: ٤٨.
(٢٥) الانعام: ١
(٢٦) مجمع البيان في تفسير القران، الطبرسي، مؤسسة الاعلمي للمطبوعات، ٧/٧-٩ .
(٢٧) سورة الليل : ٥-١٠.
(٢٨) تفسير العياشي: العياشي محمد بن مسعود (ت ٣٢٠ هـ)، قسم الدراسات الاسلامية ، النشر مؤسسة البعثة، قم ، ط١ -١٩٩٨ : ٣ / ١٧١ .
(٢٩) مسند علي بن ابراهيم القمي، الناشر: نشر زائر ، قم- ايران، ١٣٨٩هـ ش، ٥/٥.
(٣٠) الليل : ٥ - ٧ .
(٣١) الليل : ٨ - ١٠
(٣٢) شرح نهج البلاغة، ابن ابي الحديد، ١٩/٣١٦.
(٣٣) ميزان الحكمة ، محمد المحمدي الريشهري، ٢/٢٣٠٣.
(٣٤) موسوعة احاديث اهل البيت (عليهم السلام): تأليف هادي النجفي ، دار احياء التراث العربي ، بيروت - لبنان ، ط١- ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م : ١٢ / ٣١٩ .
(٣٥) الاساليب التربوية التي تربط كتاب الله في المجتمع : د. محمد سيد احمد شحاته ، استاذ الحديث وعلومه المشارك جامع الازهر كلية التربية زلفى، ٩٨.
(٣٦) ينظر: اعداد الانسان الصالح في ضوء التربية القرآنية : د. داود درويش حلس ، مركز القرآن الكريم والدعوة الاسلامية كلية اصول الدين في الجامعة الاسلامية ، ١٤٢٩هـ ٤٧٤.
(٣٧)الزلزلة : ٧ - ٨ .
(٣٨) الميزان في تفسير القرآن : الطباطبائي، محمد حسين ، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات ، بيروت - لبنان، ط١، ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م : ٢٧ / ٣٤٣
(٣٩) المحاسن ، احمد بن محمد بن خالد البرقي (ت ٢٧٤هـ)، الناشر: دار الكتب الإسلامية، قم- ايران، ١٣٧٠هـ ش، ١/٣.
(٤٠) ينظر: البلاغة والاسلوبية : د. محمد عبد المطلب، دار نوبار للطباعة ، القاهرة ، ط١- ١٩٩٤م :٤٨.
(٤١) ينظر: البلاغة والاسلوبية : د. محمد عبد المطلب:٤٨ .
(٤٢) الشمس : ١٠.
(٤٣) الروم : ٤٤
(٤٤) الاسراء : ٧
(٤٥ نحو اصول جديدة للفقه الاسلامي ، فقه المرأة (الوصية - الارث - القوامة - التعددية - اللباس): د . محمد شحرور ، الأهالي للتوزيع ، سورية - دمشق ،ط١ - ٢٠٠٠م : ٩٤ .
(٤٦) هود : ١.
(٤٧) الميزان في تفسير القرآن، الطباطبائي : ٢٠ / ٣٤٥
(٤٨) شرح نهج البلاغة : الموسوي عباس علي، دار الرسول الاكرم، دار الحجة لبيضاء ، ط ١، بيروت - لبنان ١٤١٨هـ - ١٩٩٨م : ٥ / ٢٤٥ .
(٤٩) المفردات في غريب القرآن، الراغب الاصفهاني، ١/ ٥٣١ (كتاب الواو) .
(٥٠) الميزان في تفسير القرآن ، الطباطبائي: ٢٠ / ٣٠٣- ٣٠٤ .
(٥١) الليل : ١٧ - ٢٠
(٥٢) العلق :٦ - ٧
(٥٣) الميزان في تفسير القرآن، الطباطبائي : ٢٠ / ٣٧٢ .
(٥٤) آل عمران : ١٨٠
(٥٥) محمد : ٣٨
(٥٦) ميزان الحكمة ، محمد المحمدي الريشهري، ٤/٣٦٣٠.
(٥٧) الميزان في تفسير القرآن، الطباطبائي : ٢٠ / ٣٤٥ .
(٥٨) على طريق التفسير البياني : السامرائي د. فاضل صالح، جامعة الشارقة، د، ط ، ١٤٢٣هـ:١/١٢٩.
(٥٩) على طريق التفسير البياني : السامرائي، ١ / ١٢٩ .
(٦٠) شرح محمد عبده (نهج البلاغة) : نشر ذوي القربى، ايران - قم ١٤٢٧هـ ، ط١:١/١٩-٢٠
(٦١) القيامة : ٣١ - ٣٢.
(٦٢) المعارج : ٢٦
(٦٣) الزمر: ٣٢- ٣٣ .
(٦٤) اصول الكافي : الكليني ثقة الاسلام الشيخ محمد بن يعقوب، (ت ٣٢٩هـ)، منشورات الفجر، بيروت - لبنان، ط١ ، ١٤٢٨هـ _ ٢٠٠٧م : ٢ / ١٩٥ (باب الكذب) .
(٦٥) القاموس المحيط : ٤٤٩ ، الفيروز ابادي، (فصل الياء) .
(٦٦) الميزان في تفسير القرآن : ٢٠ / ٣٤٥ .
(٦٧) محمد: ١٧
(٦٨) الميزان في تفسير القرآن : ٢٠ / ٣٤٥ .
(٦٩) سورة الاسراء : ١٨- ٢٠
(٧٠) جامع السعادات، محمد النراقي : ١ / ٨٠ .
(٧١) الانسان : ٣
(٧٢) البقرة : ٢٦١
(٧٣) اسلوب الدعوة القرآنية بلاغة .. ومنهاجًا : دكتور عبد الغني محمد سعد بركة، الناشر مكتبة وهبة، دار غريب للطباعة، ط١ ١٤٠٣، هـ - ١٩٨٣م : ١٩٧ .
(٧٤) الصورة الفنية في المثل القرآني : د . محمد حسين

الصغير، دار الرشيد للنشر ، د ط ، ١٣٧٣هـ - ١٩٨١ م : ١٤

(٧٥) امثال ونماذج بشرية من القرآن الكريم : احمد بن محمد طاحون، ادارة المطبوعات، جدة، ط١ ، ١٤١١هـ - ١٩٩٠م : ١ / ٦

(٧٦) ابراهيم : ٢٥

(٧٧) الحشر : ٢١

(٧٨) التوبة : ١٢١

(٧٩) شرح محمد عبده (نهج البلاغة) : ٤/ ٥٠٩

(٨٠) اسلوب الدعوة القرآنية بلاغة .. ومنهاجًا : ١٩٨ .

(٨١) الميزان في تفسير القرآن: ٩/ ١١٩

(٨٢) البقرة : ٢٧٢

(٨٣) الأنفال : ٦٠

(٨٤) تفسير الكشاف: الزمخشري الخوارزمي أبو القاسم جار الله محمود بن عمر ، اعتنى به وخرج أحاديثه وعلق عليه، خليل مأمون شيحا، دار المعرفة، بيروت - لبنان، ط٢، ١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥م: ٣/ ١٤٩.

(٨٥) الأنعام : ١٦٠

(٨٦) تفسير القرآن العظيم : الدمشقي أبو الفداء اسماعيل بن عمر بن كثير القرشي، تحقيق سامي بن محمد السلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، الرياض- السعودية -، ط٢، ١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩م : ١/ ٦٩١.

(٨٧) التوبة : ٥٤

(٨٨) البقرة : ٢٦٢ .

(٨٩) البقرة :٢٦٤

(٩٠) البقرة :٢٦٣

(٩١) الميزان في تفسير القرآن : ٢ / ٣٩٣ .

(٩٢) اسلوب الدعوة القرآنية بلاغة .. ومنهاجًا : ١٩٩ .

(٩٣) شرح محمد عبده (نهج البلاغة) : ٤/ ٥٠٩ .

(٩٤) الأنفال :٣٦

(٩٥) صحيح الترغيب والترهيب، محمد ناصر الدين الألباني ، مكتبة المعارف- الرياض ، ط١-١٤٢١هـ، ١٧٠٦.

(٩٦) الحجر :٨٧

(٩٧) ينظر: الحقائق السبع التي يؤكدها الاعجاز العلمي في القرآن الكريم، د. خالد بكرو، المجلة الاكاديمية للاعجاز العلمي، بحث منشور ٣/ج١/١٤٣٩هـ- ٢٠/١/٢٠١٨.

(٩٨) الطلاق:١٢

(٩٩) يوسف : ٤٣

(١٠٠) دلالة العدد في القرآن (بحث): د. كلثوم مدقن، مجلة الأثر، ع ١٤/ جوان ٢٠١٢م، جامعة ورقلة، الجزائر: ١١٣.

(١٠١) تفسير الكشاف : الزمخشري الخوارزمي أبو القاسم جار الله محمود بن عمر ، اعتنى به وخرج أحاديثه وعلق عليه، خليل مأمون شيحا، دار المعرفة، بيروت - لبنان، ط٣ ، ١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م : ٣ / ١٤٩ .

المصادر والمراجع:

*القران الكريم

١- لسان العرب : أبو الفضل جمال الدين بن محمد بن منظور الافريقي المصري، دار صادر، بيروت، ط٦- ١٤١٦هـ ١٩٩٧م : ١ / ٤٧٣ .

٢- المعجم الوسيط : الفيروز ابادي محمد بن يعقوب، مكتبة الشروق الدولية، ط٤، ١٤٢٥،٤هـ-٢٠٠٤م : ٤٤١ (باب سلب).

٣- القاموس المحيط : الفيروز ابادي محمد بن يعقوب، مؤسسة الرسالة، ط٨- ١٤٢٦هـ ٢٠٠٥م : ٩٨(فصل السين) .

٤- مناهل العرفان في علوم القرآن : الزرقاني محمد عبد العظيم، دار الكتاب العربي، بيروت - لبنان ط١، ١٤١٥هـ: ٢ /٣٠٣ .

٥- الاساليب القرآنية في معالجة مشكلات المسلمين : رسالة ماجستير، طالب اسماعيل عبد الوهاب سلمان، ١٤٣٧هـ - ٢٠١٦م: ١٧

٦- ينظر: الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل : الشيرازي آية الله ناصر مكارم، الناشر مدرسة الامام علي بن ابي طالب عليه السلام ، ط١ : ١٧ / ٢٠٣ .

٧- مفردات في غريب القرآن : الراغب الاصفهاني ابي القاسم الحسين بن محمد المعروف، م (٥٠٢ هـ) تحقيق محمد سيد كيلاني، د. المعرفة، بيروت - لبنان : ١٨٤.

٨- انوار التنزيل واسرار التأويل : الشيرازي الشافعي البيضاوي، ناصر الدين ابي الخير عبد الله بن عمر بن محمد (ت ٦٩١هـ)،الناشر: دار احياء التراث العربي، بيروت- لبنان :١ / ٢٨.

٩- المبادئ التربوية في القرآن الكريم: صالح. د. آراس محمد، آداب الرافدين ٥٧، ١٤٣١هـ-٢٠١٠م.

١٠- الاساليب التربوية في القرآن الكريم : د. عدنان الحموي العُلبي، ملخص بحث : ٣٧ .

١١- الوافي في النحو والبلاغة والعروض، احمد حاطوم واخرون، الناشر: دار الفكر، لبنان - بيروت ، ط١-٢٠٠٦.

١٢- الايضاح في علوم البلاغة ، محمد عبد الرحمن بن عمر ابو المعالي جلال الدين الزويني الشافعي (ت ٧٣٩هـ)، تحقيق: محمد عبد المنعم ، الناشر دار الجيل ، بيروت - لبنان ، ط٣.

١٣- بحار الانوار : الجامعة لدرر اخبار الائمة الاطهار، تأليف العلم العلامة الحجة فخر الامة المولى الشيخ محمد باقر المجلسي، (قدس الله سره) الوفاة، ١١١١هـ ، الناشر ، مؤسسة الوفاء، بيروت - لبنان ، ط٢، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م .

١٤- مفهوم الاعتدال في الفكر السياسي الاسلامي، محمد

عبد الكريم واخرين، مجلة العلوم السياسية ، العدد ٣٠ مجلد ٣٠ ، ٥.

١٥- جامع السعادات:النراقي، محمد مهدي، انتشارات اسماعيليان، قم، ط٧- ١٤٢٨هـ - ٢٠٠٦م.

١٦- مجمع البيان في تفسير القران، الطبرسي، مؤسسة الاعلمي للمطبوعات.

١٧-تفسير العياشي: العياشي محمد بن مسعود (ت ٣٢٠ هـ)، قسم الدراسات الاسلامية ، النشر مؤسسة البعثة، قم ، ط١ -١٩٩٨ .

١٨- مسند علي بن ابراهيم القمي، الناشر: نشر زائر ، قم- ايران، ١٣٨٩هـ ش.

١٩- شرح نهج البلاغة، ابن ابي الحديد.

٢٠- ميزان الحكمة ، محمد المحمدي الريشهري.

٢١- موسوعة احاديث اهل البيت (عليهم السلام): تأليف هادي النجفي ، دار احياء التراث العربي ، بيروت - لبنان ، ط١- ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م .

٢٢- الاساليب التربوية التي تربط كتاب الله في المجتمع : د. محمد سيد احمد شحاته ، استاذ الحديث وعلومه المشارك جامع الازهر كلية التربية زلفى.

٢٣- اعداد الانسان الصالح في ضوء التربية القرآنية : د. داود درويش حلس ، مركز القرآن الكريم والدعوة الاسلامية كلية اصول الدين في الجامعة الاسلامية ، ١٤٢٩هـ

٢٤- الميزان في تفسير القرآن : الطباطبائي، محمد حسين ، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات ، بيروت - لبنان، ط١، ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م .

٢٥- المحاسن ، احمد بن محمد بن خالد البرقي (ت ٢٧٤هـ)، الناشر: دار الكتب الإسلامية، قم- ايران، ١٣٧٠هـ ش.

٢٦- البلاغة والاسلوبية : د. محمد عبد المطلب، دار نوبار للطباعة ، القاهرة ، ط١- ١٩٩٤م.

٢٧- نحو اصول جديدة للفقه الاسلامي ، فقه المرأة (الوصية - الارث - القوامة - التعددية - اللباس): د . محمد شحرور ، الأهالي للتوزيع ، سورية - دمشق ،ط١ - ٢٠٠٠م .

٢٨- شرح نهج البلاغة : الموسوي عباس علي، دار الرسول الاكرم، دار الحجة لبيضاء ، ط ١، بيروت - لبنان ١٤١٨هـ - ١٩٩٨م .

٢٩- المفردات في غريب القرآن، الراغب الاصفهاني.

٣٠- على طريق التفسير البياني : السامرائي د. فاضل صالح، جامعة الشارقة، د، ط ، ١٤٢٣هـ

٣١- شرح محمد عبده (نهج البلاغة) : نشر ذوي القربى، ايران - قم ١٤٢٧هـ ، ط١٩٩٨م.

٣٢- اصول الكافي : الكليني ثقة الاسلام الشيخ محمد بن يعقوب، (ت ٣٢٩هـ)، منشورات الفجر، بيروت - لبنان، ط١ ، ١٤٢٨هـ_ ٢٠٠٧م.

٣٣- اسلوب الدعوة القرآنية بلاغة .. ومنهاجًا : دكتور عبد الغني محمد سعد بركة، الناشر مكتبة وهبة، دار غريب للطباعة، ط١ ١٤٠٣، هـ - ١٩٨٣م .

٣٤- الصورة الفنية في المثل القرآني : د . محمد حسين الصغير، دار الرشيد للنشر ، د ط ، ١٣٧٣هـ - ١٩٨١ م .

٣٥- امثال ونماذج بشرية من القرآن الكريم : احمد بن محمد طاحون، ادارة المطبوعات، جدة، ط١ ، ١٤١١هـ - ١٩٩٠م .

٣٦- تفسير الكشاف: الزمخشري الخوارزمي أبو القاسم جار الله محمود بن عمر ، اعتنى به وخرج أحاديثه وعلق عليه، خليل مأمون شيحا، دار المعرفة، بيروت - لبنان، ط٢، ١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥م.

٣٧- تفسير القرآن العظيم : الدمشقي أبو الفداء اسماعيل بن عمر بن كثير القرشي، تحقيق سامي بن محمد السلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، الرياض- السعودية -، ط٢، ١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩م .

٣٨- صحيح الترغيب والترهيب، محمد ناصر الدين الألباني ، مكتبة المعارف- الرياض ، ط١-١٤٢١ه.

٣٩- الحقائق السبع التي يؤكدها الاعجاز العلمي في القرآن الكريم، د. خالد بكرو، المجلة الاكاديمية للاعجاز العلمي، بحث منشور ٣/ج١/١٤٣٩هـ- ٢٠/١/٢٠١٨.

٤٠- دلالة العدد في القرآن (بحث): د. كلثوم مدقن، مجلة الأثر، ع ١٤/ جوان ٢٠١٢م، جامعة ورقلة، الجزائر: ١١٣.

٤١- تفسير الكشاف : الزمخشري الخوارزمي أبو القاسم جار الله محمود بن عمر ، اعتنى به وخرج أحاديثه وعلق عليه، خليل مأمون شيحا، دار المعرفة، بيروت - لبنان، ط٣ ، ١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م .

فصلية مُحَكَمة تُعنى بالبحوث والدراسات العلمية والإنسانية والفكرية
العدد (٣) السنة الثانية ذو القعدة ١٤٤٣ هـ حزيران ٢٠٢٢ م

An Ecocritical Comparative Study between the Works of Kamala Markanday and Altayib Salih

Assistant Professor Dr. Rafid Sami Majeed
Al-Ma'moon University College-

Abstract:
In Coffer Dams (1973) by Kamala Markandaya, the English occupiers who occupied India with the cruelty they practiced on Indian people and the Indian Nature suffered hard years when they were faced by the freedom seeking People and the manipulation of Nature. That is what Europeans faced in the East, on one hand. On the other hand , the Eastern man was also a victim of his own desires and Nature's non satisfaction and wrath .In Season of Migration to the North (1966) by Altayib Salih , a Sudanese Youngman (Mustafa Sae'd) takes a journey to the North Country (England) that occupied his Southern Country (Sudan) .There, he shows his revenge that was fed by the nature he came from, just to prove to himself and to others that he is still alive and capable of having a reaction to what happened to him and to nature ,at the hands of the occupiers from the North country.Key Words : Ecocritical, , Eastern , Western ,South , West ,migration,

الملخص:
رحلة من الجنوب إلى الشمال وبالعكس : دراسة نقد بيئية مقارنة بين أعمال كمالا مركندايا و الطيب صالح
في رواية كوفر دامز ((١٩٧ للكاتبة كامالا مركندايا ، عانى المحتلون الإنجليز الذين احتلوا الهند, بالقسوة التي مارسوها على الشعب الهندي والطبيعة الهندية ,سنوات صعبة عندما واجهوا الناس الباحثين عن الحرية وتحرير لطبيعة. ان هذا ما واجهه الأوروبيون في الشرق من جهة. من ناحية أخرى ، كان الرجل الشرقي أيضًا ضحية لرغباته الخاصة وعدم رضاء الطبيعة وغضبها. في رواية (موسم الهجرة إلى الشمال) (١٩٦٦) للطيب صالح ، قام الشاب السوداني (مصطفى سعيد) برحلة إلى البلد الشمالي (إنجلترا) الذي احتل بلده الجنوبي (السودان) ، وهناك اظهر انتقامه الذي غذته الطبيعة التي أتى منها ، فقط ليثبت لنفسه وللآخرين أنه لا يزال على قيد الحياة وقادر على رد الفعل لما حل به وللطبيعة على يد المحتلين من بلاد الشمال.

1.Introduction

Both the western and the Eastern men are influenced by Nature that surrounds them. It interferes in the building of their physical and psychological making. It happens that one of them may aspire or dream of enjoying what nature gives to his counterpart on the other side of the world, and thus his dreams and ambitions turn into aggressive desires that amount to aggression, occupation and looting of wealth. This is what the Western man did to the property of the Eastern man when the former invaded the country of the latter and the awful things he did there. Yet , Nature and man in the Eastern country being invaded did not stand idly but fought the Western man until they managed to defeat and kick him out and finally sent him back to his country dragging the trails of failure . Something so similar to this did happen to the Eastern man who went to the land of the Western man under the pretext of learning or education, and, there, the former showed the latter his aggression when he sexually assaulted the European woman as a kind of revenge against the Western man in reaction to what the latter did

stood that man is the result and product of his environment and that means that Nature imprints itself on the personality of a community's members. The personality of an individual is embodied in his motives, values and methods of thinking in the community. His behavior is similar to his counterparts' in the same community. On the one hand, this behavior is influenced by culture, community and terrain and thus he is a social product. On the other hand, he is governed by the values of the social environment. However, when he moves to a different new nature and social environments with different values, his behavior and practice change with his awareness that he may be accepted within that new social component as long as his behaviors and conducts cope and harmonize with the ones done by the people of that community . His ability to adapt to the new community depends on to the level of his consciousness, age, and the extent of his willingness to change, and capacity to acquire from the people in new community but not to be different. (Selmano:28) Still, some humans chose to be different from other individuals just because their own personality and way of thinking that they came with when they were in their old environment still affects their formation and psychology , thus they keep their old traditions and norms despite their being in a new community under new environment Alexander Spirkin (1983:49) writes :

Man is constantly aware of the influence of nature in the form of the air he breathes, in the former's country. (Coffer Dams:69)

Nature, represented by women, stood in the face of the foreign invaders and played a huge part in their failure of them when it tormented them with physical and psychological suffering, and then sending them back to their country as losers. In her novel The Coffer Dams (1973), Kamala Markandaya presents the Western man in the country of the East and Al-Tayeb Saleh in his novel Season of Migration to the North (1966) presents an Eastern Sudanese man in the West. Both men witnessed certain events and lived under the influence of nature of the country of the other and were influenced by it when it caused a lot of change and damage in their characters. In this way, both Markandaya and Salih assure that human beings cannot avoid being affected by Nature with all its power to create changes in humans' psychological and physical selves.

1.1. Fierce Mother Nature Affects Man

1.1.2. The Coffer Dams (1973)

Humans usually adopt to the place and time they are in .This adaptation is in the form of psychological ,cultural , and traditional .Jose B. Ashford (2010,P.9), writes :

«As humans , our developmental capacity for adaptation is heavenly connected to cultural practice and traditions. Culture here refers to the entirety of psychological , social , material and symbolic (knowledge based) resources that humans have developed over millennia and that are transmitted across generations»

Interpreting Ashford's words, It is under-

and geographical environment is typically different from the one who is originated in a coastal or mountain and rural environment in terms of character, personality, conduct and thinking. This principle is depicted by both Markandaya and Salih in their literary works .

Indian people are kamala Markandaya's raw material who 'constructs' her novels and mean to reflect her own beliefs and love to her country and defends both of them calmly but vividly. In The Coffer Dams(1972), she writes an account of the construction of the dam in southern India, and she highlights the conflict between Western technological norms with the different layers of ancient and new India. The events of the novel start with the arrival of Engineer Clinton in India with his young wife Helen having in mind the finding of a new Dam. He is delighted to complete his construction, although the Indian engineers are equally keen to do the same as they like to stick to the construction time schedule. Helen, aware of the very different heartbeat of tribal society in the nearby woods, is increasingly directed to those human realities that are overridden by the rush of machines and planners. Soon the dam begins to claim its great sacrifices, both British and Indian, including Helen's lover, the Indian engineer, Beshiam, who has suffered being crippled for life. As the monsoon comes, the suspicion that the dam will hold on, controls the British. The monsoon destroys the common front of the dam that was barely surviving .When the

the water he drinks, the food he eats, and the flow of energy and information. ... We are connected with nature by «blood» ties and we cannot live outside nature... Its influence varies. Depending on where human beings happen to be on the earth,s surface, it assigns them varying quantities of light, warmth, water, precipitation, flora and fauna...

The tidy connection between man and universe is within the concept of the truth that the universe is a state of energetic adjust and is continually getting different shapes of vitality. A few shapes are on the increment of diminish, whereas others encounter intermittent variances .Each of us could be a delicate resonator, a kind of reverberate of the vitality streams of the universe. So it would be very off base to respect as it were the vitality of the sun as the source of life on soil and humankind as its most elevated sign. So a person's development becomes stronger if he remains in the same place where he is raised with the same people, whom he knows, and his behavior is compatible with them but when he moves to a different environment, some of his behaviors and traditions change to be consistent with his new acquaintances and nature. (Selmano:29) The social and natural environment with their various types ,values ,and direct and indirect factors, have an impact on the pattern of man's thinking and behavior in order to create an individual who needs to live in the new social and natural systems. Therefore, a person comes from a social

and comfortable for those who obey her rules, but [it is] ruthless in her destruction of those who transgress ." Good people are rewarded, while bad ones have to be taught a lesson. Clinton does not care for the Indian nature when all he wants to achieve is his dream of being a celebrated engineer who wanted to finish his work in the Dam caring not to Nature and the harm he does to it.

1.2. Season of Migration to the North (1966)

In this novel, Altayib Salih tells the story of Mustafa Sa،eed, a young man from Sudan who travels to study first in Cairo and then goes to London, where he could be a professor at college and where he shows his revenge on colonialism.He himself becomes a product of colonialism when English troops conquered his country. He reflects his revenge through the coldblooded seduction of English women. He has sexual relationships with women but eventually falls in love with one of them and married her. His marriage is consummated by violence and he went to prison. When he returns to Sudan, he moves to a small village on the Nile, where he gets married and has children. At the end of the novel, he disappears mysteriously in a flood.

Salih reminds his readers of the celebrated book of the Arabian Nights when adding to the events of the novel the handsome Black man who is liked and admired by white women who consider him an example of sexual power and energy. The monsoon comes to an end, miraculously, the villagers looked at the dam and considered it cleaned and bleached, but the Westerners deemed it drained and isolated, and became aware of their loss. (Coffer Dams: 86)

Love that start between Helen and Beshiam is the outcome of the influence of the East in the heart of the Western young lady. It is forbidden love and needed to be punished by Nature that directs all its power to punish the British Engineer Clinton for his surpassing his limits in it, and Helen and Bisham for their forbidden affair. In The Return of the Native (1878),Thomas Hardy decide to give Nature the upper hand to punish Eustacia, who was married to Clym , when she plans to run away from the heath where she lived, along with her lover Wildeve who agrees to help her with her plan. On a violent stormy night, on her way to meet her lover, Eustacia falls into the river and drowned. Wildeve, trying to save her drowned too. Merkandaya admits that Nature is the judge and executor which puts the suitable punishment for people in a wrong affair into action. It punishes Helen and Bisham . Nature sends the monsoon to fight the trespassing engineers and shows them its mighty power, yet it spares the innocent harmless villagers it's the agony and anger. Catherine M. Roach (1981: 128) remind[s] people that "Mother Earth has the ability to be our caretaker and provider, provided we take care of her in return ...The world is warm

self rubbed all over with oil and perfumed and puts on a silky night-wrap, and when she lies down on the red mat after the evening prayer and opens her thighs, a man feels like he's Abu Zeid El-Hilali.

Abu Zeid El- Hilali is known for his strength and is admired by people. This image of the black knight is encouraged by the European women who admire Mustafa that some of them committed suicide when he deserted them. Sae'd grows up in Sudan which has rough Nature where the desert - the Nubian Desert to the northeast and Bayuda Desert to the east - is dry and tough, and Sudanese people need to be as tough as possible just to endure the severity and dryness.(Selmano:16) It is clear that Sae'd is influenced by this kind of Nature and he is not lean to the European women he knows. He practiced his power over them and made some of them believe that he is an Oriental god like, the image that fascinated them. This way of treating women is practiced by not only by Mustafa but by most men in his own country that witnessed the patriarchal society with the idea of the ownership of women. When he travelled to London, He could not abandon his Nature and the country from which he came He takes with him all the customs and norms practiced in Sudan and plans to apply them on the Londoner community. He does not forget what the novel is set in England and Sudan, showing the social and Nature differences within these two places and the influence of both locations on Mustafa. (Selmano:25) It also tackles the theme of colonial arrogance, politics of independent Sudan, and the status of women and are weaved in elegant style and technique to present a smart story from the perfumed East that is going to be in direct confrontation with the West in the Sudanese young man's mind and heart.

Mustafa imagines himself living in a male-dominated world by showing his energy to women whom he looks at and treated as "Hareem" "females living in Sultan's palace, and they are there to satisfy his sexual desires at the time he desires." (Immigration: 97) This proud man is fed by natural instinct and power. He is deeply convinced that men are overpowered over women and that is why they cannot resist him or his desire. He ghas in his mind that he can control women with his handsome look and his physical power .He thinks of himself to be a traditional historical hero whom is loved and admired by all women .To add more to this, Altayib Salih, gives Bint Mahjoub (Immigration : 99) , a Sudanese girl the freedom to say about men's way of treating women that :

The infidel women aren't so knowledgeable about this business as our village girls ... They're uncircumcized and treat the whole business like having a drink of water. The village girl gets her-

life, could be killed in a fearful flood, just like the way happened to Mustafa. Moreover, the moral code of the village of Wad Hamid is different from the culture of Europe, because each Nature of the two places leaves its thumbprint on the humans who are subjected completely to Nature. Despite people's attempt to tame it by different methods (such as the use of water pumps), yet everything they try is useless and goes in vain. When Mustafa is sent to court for killing Jean Morris and caused three of his lovers to kill themselves , his lawyer Professor Maxwell Foster-Keen, says there " These girls were killed not by Mustafa but by the germ of a deadly disease that assailed them a thousand years ago."(29) and germs are part of Nature. The lawyer adds that Mustafa came to England expecting to be educated and get more enlightened, but he found out that London was just like Sudan, both are barbaric, and he was disappointed with the Western civilization, He adds another reason for setting Mustafa free and that is colonialism has caused the alienation between Western and Eastern cultures, which must be responsible for the failure of the romantic relationships that Mustafa had. For these two reasons. Ghali says that Mustafa should not be held responsible for the violence he showed. Nature and Colonialism are to be blamed for that.

Altayib Salih explains that indi- English men did in his country when they invaded Sudan. He is motivated by revenge and choses the English women to be the victims of his revengeful self. When he says to the narrator of the novel, "In her eyes I was a symbol of all her hankerings, I am south that yearns for the North and the ice « (Immigratiom:102) he means that he embodies an «icy» aura and has no emotions or feelings, just a reckless and heartless person who shows no mercy to women. Mustafa fights any chance for himself to unite with the Western community and yield to the Western Nature and thus forgets about the Eastern one and leave it behind. Although he starts his affair with Jean Morris, yet he retreats to Sudan after the scandal and his going to prison. Adoption to the Western community in Saed's mind is just for all the pleasures that were offered by the community, but he could not let himself be indulged in the English society for all the differences that exists between such a community and the Sudanese one, as there is a dispute between the two of them inside Mustafa's mind. The Sudanese society in which he is raised with all its traditions and thoughts that haunts his mind and soul defeats the other one.

Throughout Season of Migration to the North ,the narrator explains that people are at the mercy of Nature. His grandfather, who has a successful and calm

tion and environment they go to. Both Clinton and Mustafa practiced their knowledge and traditions in the countries they went to but did not succeed in defeating Nature there.

Bibliography:

Altayib, Salih .(1991). Season of Migration to the North .Translated by, Denys Johnson-Davies .Johannesburg: Heinemann Publishers Ltd

Jose B. Ashford .(2012). Human Behavior in the Social Environment : A Multidimensional Perspective. Belmont: Brooks /Cole , Cencage Learning , 4th ed.

M. Roach ,Catherine. (1981).Mother / Nature: Popular Culture and Environmental Ethics, .Indiana :Indiana University Press, 1981.

Markandaya ,Kamala .The Coffer Dams .1969 .London :The Penguin Books .

Spirkin ,Alexander .(1983).On the Human Being and Being Human in Dialectical Materialism. London: The Longman. Chapter 5.

Felex , Selmano .(2017) « Sudanese men Psychology and natural Surrounding» in Sudanese Culture (2017) edited by Musa Mohammed Ahmed .PP.23-33

Glahil.Ali (2018).»Alatyib Salih in his works « in Collected Essays on Sudanese Writers edited by Kamil Masood Alharith.Alkhartoom :Sudanese Publishers .PP.67-88Leman, Gren(2019) Causes of Death: Natural and Unnatural. London: The Longman.

viduals are defined by their place in the socio-cultural landscape. Mustafa's girlfriends provoked his anger when they reduced him to an Orientalist stereotype, just like Othello, and his attorney did the same thing. Despite the fact that Mustafa disagrees to this reasoning and explains "I am no Othello. I am a lie" (29) yet he could not avoid being reduced to a stereotype and that he was not different from other men. Mustafa refuses the stereotype and wishes only for death, so that "the lie" might be killed along with him." Death is caused by Nature which proves itself the winner in both cases: in defeating Clinton and the trespasser Engineers and in punishing Sa'ed . (Leman:45) .Nature will be always the most powerful survivor when compared to man›s survival .Sae›d and the Enginer must be punished by the fair and power of Nature.

.Conclusion1.3

People, whether Westerners or Easterners, are subjects of Nature. Nature practices all its power on them and punishes the wrong doers. In both novels The Coffer Dams and Season of Migration to the North both writers agree and admit that their characters may enjoy being admired or loved, yet they are controlled by the norms and traditions practiced in their countries and if they leave to another place ,they keep them alive and try within themselves and then to apply them in the new loca-

فصلية مُحَكَمة تُعنى بالبحوث والدراسات العلمية والإنسانية والفكرية
العدد (٣) السنة الثانية ذو القعدة ١٤٤٣ هـ حزيران ٢٠٢٢ م

الذكوات البيض

Al-Thakawat Al-Biedh Magazine

فصلية مُحَكَمة تُعنى بالبحوث والدراسات العلمية والإنسانية والفكرية
العدد (٣) السنة الثانية ذو القعدة ١٤٤٣ هـ حزيران ٢٠٢٢ م

الذكر البيض

GENERAL SUPERVISOR
Alla' Al-Qassam
Director General of Research and studies directorate

Prof. fayiz hatu alsharae

Editor in chief

Hussain Ali Mohammed Al-Hasani

Editor Manager

Edition Commission:

Prof. eabd alrida bahiat dawud

Prof. hasan mindil aleakili

Prof. nidal hanash alsaaeidaa

Ass.Prof. Aqeel Abbas Al-Rekan

Ass.Prof. safa eabdallah burhan

ma.da.mufaq subraa alsaaeidaa

ma.da. fadil muhamad rida alsharae

ma.da. Tariq Audda Marri

ma.da. Nozad Safar Bakhsh

Prof. nur aldiyn ‹abu lihyat / aljazayir

Prof. jamal shublaa / alardin

Prof. muhamad khaqanaa / ‹iiran

Prof. Mohammed Khaqani / Iran

Prof.maha khayr bik nasir / lubnan

Linguistic Correction

Ass.Prof. Ali Abdel Wahab Abbas

Translated into English By

Lamia jabbar Salman